النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة

جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي

الجزء الثاني

نبذة: صدّر المؤلف كتابه بذكر فتح مصر على يد جيش المسلمين بقيادة عمرو بن العاص رضي الله عنه , ثم ذكر من ملك مصر قبل الإسلام ، ثم عقب بمن تولى خلافة مصر بعد الإسلام؛ ذاكرًا أهم الأحداث التي وقعت في خلافته. فجمع المؤلف بذلك بين دفتي كتابه من تولوا إمارة مصر قبل الإسلام وبعد الإسلام إلى نهاية سنة إحدى وسبعين وثمانمائة.

الفهرس:

- ولاية علي بن الإخشيذ
- السنة الأولى من ولاية كافور الإخشيذي
- بناء جوهر القائد القاهرة وحاراتها
- السنة الثالثة من ولاية جوهر القائد
- ركوب الخلفاء الفاطميين في أول العام من كل سنة
- خطبة شهر رمضان
- السنة الأولى من ولاية العزيز نزار العبيدي على مصر
- السنة العاشرة من ولاية العزيز نزار وهي سنة خمس وسبعين وثلاثمائة
- السنة العشرون من ولاية العزيز نزار وهي سنة خمس وثمانين وثلاثمائة
- السنة الأولى من ولاية الحاكم منصور
- السنة الثانية عشرة من ولاية الحاكم منصور
- السنة العشرون من ولاية الحاكم منصور وهي سنة ست وأربعمائة
- السنة الثالثة من ولاية الظاهر لإعزاز دين الله على مصر
- السنة الثالثة عشرة من ولاية الظاهر
- سنة ست وستين سار بدر الجمالي أمير الجيوش من عكا إلى مصر
- أمر النيل
- السنة الثانية عشرة من خلافة المستنصر
- السنة الرابعة والعشرون من خلافة المستنصر
- السنة الخامسة والثلاثون من خلافة المستنصر
- السنة الثالثة والأربعون من خلافة المستنصر وهي سنة سبعين وأربعمائة
- السنة الخامسة والخمسون من خلافة المستنصر
- السنة الأولى من خلافة المستعلي أحمد
- السنة الأولى من خلافة الآمر منصور
- السنة الثالثة عشرة من خلافة الآمر منصور
- السنة الرابعة والعشرون من خلافة الآمر منصور
- السنة الثانية من خلافة الحافظ عبد المجيد
- السنة الثالثة عشرة من خلافة الحافظ
- السنة الأولى من خلافة الظافر بالله أبي منصور إسماعيل على مصر
- السنة الثانية من خلافة الفائز بنصر الله
- الأسباب التي كانت سببًا لذهاب ملك العاضد وزوال دولة الفاطميين
- السنة الأولى من خلافة العاضد وهي سنة ست وخمسين وخمسمائة
- السنة التاسعة من خلافة العاضد
- الملك الظاهر أحب أولاد أبيه إليه
- وقعة حطين
- ثم خرجت الفرنج بعد أن ملكوا عكا قاصدين عسقلان
- السنة التاسعة من سلطنة صلاح الدين يوسف بن أيوب على مصر
- السنة الثامنة عشرة من سلطنة صلاح الدين يوسف بن أيوب على مصر
- السنة الأولى من سلطنة العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف على مصر

- السنة الأولى من سلطنة الملك المنصور
- السنة الأولى من سلطنة الملك العادل أبي بكر بن أيوب على مصر
- السنة العاشرة من سلطنة الملك العادل أبي بكر بن أيوب على مصر
- السنة الثامنة عشرة من سلطنة الملك العادل أبي بكر بن أيوب على مصر
- السنة الأولى من سلطنة الملك الكامل
- السنة التاسعة من سلطنة الملك الكامل
- السنة السابعة عشرة من سلطنة الملك الكامل
- السنة الأولى من سلطنة الملك العادل الصغير
- نجم الدين أيوب بن الكامل محمد على مصر
- السنة التاسعة من سلطنة الملك الصالح نجم الدين أيوب على مصر
- سلطنة المعز أيبك التركماني
- السنة الرابعة من ولاية الملك المعز أيبك الصالحي
- السنة الأولى من سلطنة المنصور علي ابن الملك المعز
- السنة التي حكم فيها المظفر قطز مصر
- ثم عاد الملك الظاهر إلى الديار المصرية
- القضاة المالكية
- يوم الاثنين سابع عشر ذي الحجّة أمر الملك الظاهر بإراقة الخمور
- الحجوبية

ولاية علي بن الإخشيذ

هوعلي بن الإخشيد محمد بن طغج بن جف الأميرأبو الحسن الفرغاني التركي ولي سلطنة مصر بعد موت أخيه أنوجور بن الإخشيذ محمد في يوم السبت عشرين ذي القعدة سنة تسع وأربعين وثلاثمائة أقامه خادمه كافور الإخشيذي الخصي في مملكة مصر باتفاق حواشي والده والجند وأقره الخليفة المطيع لله على ذلك وصار كافورالإخشيذي هو القائم بتدبير مملكته والمتصرف فيها كما كان أيام أخيه أنوجور وجمع له الخليفة جميع ما كان لأبيه وأخيه من أعمال الديار المصرية والممالك الشامية والثغور والحرمين الشريفين وأطلق كافور لعلي هذا في السنة ما كان يطلقه لأخيه أنوجور وهوفي كل سنة أربعمائة ألف دينار وقويت شوكة كافوربعد موت أنوجور وتولية علي هذا أعظم مما كانت أيام أنوجور ومولد علي.

المذكورأعني صاحب الترجمة لأربع بقين من صفر سنة ست وثلاثمائة وفى دام علي هذا في الملك وله الاسم فقط والمعنى لكافور إلى سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة ووقع بمصر الغلاء واضطربت أمور الديار المصرية والإسكندرية بسبب المغاربة أعوان الخلفاء الفاطميين الواردين إليها من المغرب وتزايد الغلاء وعز وجود القمح , ثم قدم القرمطي إلى الشام في سنة أثنتين وثلاثمائة ووقع لها بأمور وعجز المصريين عن دفعه عنها لشغلهم بالغلاء والمغاربة الفاطميين ومع هذا قل ماء النيل في هذه السنين فارتفعت الأسعار أكثر مما كانت عليه ووهنت ضياع مصر وقراها من عدم زيادة النيل وعظم الغلاء وكثرت الفتن وسار ملك النوبة إلى أسوان ووصل إلى إخميم وقتل ونهب وسبى وأحرق وعظم آضطراب أعمال الديارالمصرية قبليها وبحريها ثم فسد ما بين علي بن الإخشيذ صاحب مصر وبين مدبرمملكته , كافور الإخشيذي ومنع كافورالناس من الاجتماع به حتى اعتل علي المذكور بعلة أخيه أنوجورومات لإحدىعشرة خلت من المحرم سنة خمس وخمسين وثلاثمائة وحمل إلى المقدس ودفن عند أبيه الإخشيذ وأخيه أنوجور وبقيت مصر من بعده أيامًا بغير أمير وكافور يدبر أمرها على عادته في أيام أولاد الإخشيذ ومعه أبو الفضل جعفر بن الفرات.

ثم ولي كافور إمرة مصر بآتفاق أعيان الديارالمصرية وجندها وكانت مدة سلطنة علي بن الإخشيذ المذكور على مصر خمس سنين وشهرين ويومين.

السنة الأولى من ولاية علي بن الإخشيذ وهي سنة خمسين وثلاثمائة: أعني بذلك أنه ولي في ذي القعدة سنة تسع وأربعين وثلاثمائة وقد ذكرناتلك السنة في أيام أخيه أنوجور فلذلك ذكرنا أن سنة خمسين وثلاثمائة أول السنين لعلي هذاعلى مصربهذا المقتضى.

فيها أعني سنة خمسين وثلاثمائة دخل غلام سيف الدولة بن حمدان إلى بلاد الروم وسبىألف نفس وغنم أموالًا كثيرة.

وفيها أخذ ملك الروم رومانوس بن قسطنطين من المسلمين جزيرة أقريطش من بلاد المغرب وكان الذي افتتح أقريطش عمربن شعيب غزاها وآفتتحها في حدود سنة ثلاثين ومائتين وصارت في يد أولاده إلى هذا الوقت.

وفيها شرع معزالدولة بن بويه في بناء دار هائلة عظيمة ببغداد وأخرب لأجلها دورا وقصورا وقلع أبواب الحديد التي كانت على أبواب مدينة المنصور وألزم الناس ببيع أملاكهم ليدخلها في البناء ونزل في الأساسات ستا وثلاثين ذراعا فلزمه من الغرامات عليها إلى أن مات ثلاثةعشرألف ألف درهم وصادر الدواوين وغيرها وجعل كلما حصل له شيء أخرجه في بنائها وقددرست هذه الدارمن قبل سنة ستمائة ولم يبق لها أثر وبقي

مكانها دجلة تأوي إليها الوحوش وبقي شيء من الأساس يعتبر به من يراه قلت دار الظالم خراب ولو بعد حين.

وفيها قلد قضاء القضاة أبو العباس عبد الله بن الحسن بن أبي الشوارب وركب بالخلع من دار معز الدولة وبين يديه الدبادب والبوقات وفي خدمته الجيش وشرط على نفسه أن يحمل كل سنة إلى خزانة معز الدولة مائتي ألف درهم وكتب عليه بذلك سجلا فآنظر إلى هذه المصيبة وآمتنع المطيع من تقليده ومن دخوله عليه وأمرألا يمكن من الدخول عليه أبدًا.

وفيها أيضًا ضمن معز لدولة الحسبة والشرطة ببغداد.

وفيها في شعبان توفي بمصر متولي خراجها أبو بكر محمد بن علي بن مقاتل فوجدوا في داره ثلاثمائة ألف دينار مدفونة.

وفيها توفي الحسن بن القاسم الإمام أبو علي الطبري الشافعي الفقيه مصنف المحرر وهو أول وفيها توفي الأميرعبد الملك بن نوح الساماني صاحب بلاد خراسان وغيرها تقطربه فرسه فحمل ميتا ونصبوا مكانه أخاه منصور بن نوح الساماني وأرسل إليه الخليفة المطيع لله بالخلع والتقليد.

وفيها توفي محدث بغداد الحافظ أبوسهل أحمد بن محمد بن عبد الله بن زياد القطان في شعبان كان إماما ورعا صواما قواما سمع الحديث وروى الكثير ومات وله إحدى وتسعون سنة.

وفيها توفي إسماعيل بن علي بن إسماعيل الشيخ أبو محمد الخطبي كان إماما عالما أخباريا محدثا كان يرتجل الخطب ويخطب بها.

وفيها توفي محمد بن أحمد بن يوسف أبو الطيب المقرىء ويعرف بغلام ابن شنبود وقد تقدم ذكرابن شنبود في محله كان إماما عارفا بالقراءات زاهدًا.

وفيها توفي عبد الله بن إسماعيل بن إبراهيم بن عيسى ابن الخليفة أبي جعفر المنصور الخطيب أبو جعفر الهاشمي العباسي خطيب جامع المنصور وابن خطيبه كان عالي النسب من بني العباس كان في طبقة هارون الواثق في علو النسب.

وفيها توفي القاضي أبو السائب عتبة بن عبيد الله بن موسى الهمذاني مولده بهمذان في سنة أربع وستين ومائتين وكان أبوه تاجرًا ولي قضاء أذربيجان ثم قضاء همذان ثم آل به الأمر إلى أن تقلد قضاء القضاة وكان إماما عالمًا غلب عليه الزهد وسافر ولقي الجنيد في سفره وأخذ عنه ثم تفقه بجماعة من العلماء وكان عالما فاضلا.

وفيها توفي الأمير فاتك الإخشيذي المجنون أبو شجاع وكان أكبر مماليك الإخشيذ وولي إمرة دمشق وكان فارسًا شجاعًا كان رومي الجنس وكان رفيقا للأستاذ كافور الإخشيذي فلما صار كافور مدبر مملكة أولاد الإخشيذ وعظم أمره أنف فاتك هذا من المقام بمصر كيلا يكون كافور أعلى مرتبة منه فآنتقل من مصر إلى إقطاعه وهو بلاد الفيوم وكان كافور يخافه ويكرهه فلم يصح مزاج فاتك بالفيوم ومرض وعاد إلى مصر فمات بها وكان فاتك المذكور كريما جوادا ولما قدم المتنبي إلى مصر سمع بعظمة فاتك وتكرمه فلم يجسر أن يمدحه خوفا من كافور وكان فاتك يراسله بالسلام ويسأل عنه فآتفق اجتماعهما يوما بالصحراء وجرت بينهما مفاوضات فلما رجع فاتك إلى داره بعث إلى المتنبي هدية قيمتها ألف دينار ثم أتبعها بهدايا أخر فاستأذن المتنبي كافورا في مدحه

فأذن له فمدحه بقصيدته التي أولها: لا خيل عندك تهديها ولا مال فليسعد النطق إن لم تسعد الحال ويأتي شيء من ذكر فاتك أيضًا في ترجمة كافور إن شاء الله تعالى ولما مات فاتك رثاه المتنبي أيضًا.

وفيها توفي أبو وهب الزاهد أحد المشهورين بالأندلس قال أبوجعفرأحمدبن عون الله بن حديرسمعت أبا وهب يقول والله لاعانق الأبكار في جنات النعيم والناس في الحساب إلا من عانق الذل وضاجع الصبروخرج منها كما دخل فيها.

وفيها توفي الناصر لدين الله أبوالمطرف صاحب الأندلس الملقب بأميرالمؤمنين واسمه عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل المقدم ذكره ابن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان الاموي المرواني ثم الأندلسي ولي الأمر بعد جده وكان ذلك من غرائب الوجود لأنه كان شابا وبالحضرة أكابر من أعمامه وأعمام أبيه وتقدم هووهوابن آثنتين وعشرين سنة فآستقام له الأمر وبنى مدينة الزهراء وقد ذكرنا أمر بنائها في محله ومات في هذه السنة وكانت مدة أيامه خمسين سنة وكان من أجل ملوك الأندلس.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمس أذرع وأربع عشرة إصبعا مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعا سواء.

السنة الثانية من ولاية علي بن الإخشيذ فيها نقلت سنة خمسين وثلاثمائة إلى سنة إحدى وخمسين الخراجية وكتب بذلك عن المطيع كتاب في هذا المعنى فمنه أن السنة الشمسية خمسة وستون وثلأثماثة يوم وربع بالتقريب وأن السنة الهلالية أربعة وخمسون وثلاثمائة وكسر وما زالت الأمم السالفة تكبس زيادات السنين على آختلاف مذاهبها وفي كتاب الله تعالى شهادة بذلك قال الله تعالى ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وآزدادوا تسعا فكانت هذه الزيادة هي المشار إليها وأما الفرس فإنهم أجروا معاملاتهم على السنة المعتدلة التي شهورها اثنا عشر شهرًا وأيامها ستون وثلاثمائة يوم ولقبوا الشهور آثني عشر لقبا وسموا الأيام بأسامي وأفردوا الأيام الخمسة الزائدة وسموها المسترقة وكبسوا الربع في كل مائة وعشيرين سنة شهرا فلما انقرض ملكهم بطل ذلك.

وفيها دخل الدمستق ملك الروم عين زربى في مائة وستين ألفا وعين زربى في سفح جبل مطل عليها فصعد بعض جيشه الجبل ونزل هوعلى بابها وأخذوا في نقب السور فطلبوا الأمان فأمنهم وفتحوا له فدخلها وندم حيث أمنهم ونادى بأن يخرج جميع من في البلد إلى الجامع فلما أصبح بث رجاله وكانوا مائة ألف وكل من وجدوه في منزله قتلوه فقتلوا عالما لايحصى ثم فعل في البلد تلك الأفاعيل القبيحة.

وفيها عاد الدمستق إلى حلب فخرج إليه سيف الدولة بغيرآستعداد وحاربه فحاربه الدمستق بمائتي ألف مقاتل فانهزم سيف الدولة في نفر يسير وكانت داره بظاهر حلب فنزلها الدمستق وأخذ منهاثلاثمائة وتسعين بدرة دراهم وأخذ منها ألفا وأربعمائة بغل ومن السلاح مالا يحصى ثم نهبها الدمستق وأحرقها ثم أحرق بلاد حلب وقاتله أهل حلب من وراء السور فقتلوا جماعة من الروم فسقطت قائمة من السور على جماعة من أهل حلب فقتلتهم فأكب الروم على تلك الثلمة وقاتلوا حتى ملكوا حلب ووضعوا فيها السيف حتى كلوا وملوا وأخربوا الجامع وأحرقوا ما عجزوا عن حمله ولم ينج إلا من صعد القلعة فألح ابن أخت الملك في أخذ القلعة فقتل بحجر وكان عند الدمستق ألف ومائتا أسير من أهل حلب فضرب أعناقهم ثم عاد إلى الروم ولم يعرض لأهل القرى وقال لهم ازرعوا فهذا بلدنا وعن قليل نعود إليكم.

وفيها كتبت الشيعة ببغداد على أبواب المساجد لعنة معاوية رضي الله عنه ولعنة من غصب فاطمة رضي الله عنها حقها من فدك ولعنة من منع الحسن أن يدفن مع جده صلى الله عليه وسلم ثم محي في الليل فأراد معزالدولة إعادته فأشار عليه الوزير المهلبي أن يكتب مكان ما محي لعن الله الظالمين لآل رسول الله صلى الله عليه وسلم وصرحوا بلعنة معاوية رضي الله عنه فقط.

وفيها أسرت الروم أبا فراس بن سعيد بن حمدان من مدينة منبج وكان واليها.

وفيها توفي الوزير أبو محمد الحسن بن محمد بن هارون المهلبي أصله من بني المهلب بن أبي صفرة أقام في وزارة معز الدولة ثلاث عشرة سنة وكان فاضلا شاعرًا فصيحًا نبيلا سمحا جوادا ذا مروءة وكرم وعاش أربعا وستين سنة وآستوزر معز الدولة عوضه أبا الفضل العباس بن الحسن الشيرازي ثم صادر معز الدولة أولاد المهلبي من بعد موته.

وفيها توفي دعلج بن أحمد بن دعلج أبو محمد السجزي الفقيه العمل ولد سنة ستين ومائتين أوقبلها وسمع الكثير قال الحاكم أخذ عن ابن خزيمة المصنفات وكان يفتي بمذهبه وكان شيخ الحديث له صدقات جارية على أهل الحديث بمكة والعراق مات في جمادى الآخرة وله نيف وتسعون سنة.

وفيها توفي عبد الباقي بن قانع بن مرزوق بن واثق أبوالحسين الاموي مولاهم البغدادي الحافظ سمع الكثير وروى عنه الدارقطني وغيره وصنف معجم الصحابة ومات في شوال.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال وفيها توفي إبراهيم بن علي أبو إسحاق الهجيمي والحسن بن محمد الوزير أبو محمد المهلبي ودعلج بن أحمد السجزي وعبد الله بن جعفربن محمد بن الورد البغدادي بمصر وعبد الباقي بن نافع أبوالحسين في شوال وأبو بكر محمد بن الحسن بن محمد بن زياد النقاش في شوال وله خمس وثمانون سنة وأبو جعفر محمد بن علي بن دحيم الشيباني وأبو أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ست أذرع وإحدى عشرة إصبعًا.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا وسبع أصابع.

M0لنة الثالثة من ولاية علي بن الإخشيذ وهي سنة آثنتين وخمسين وثلاثمائة: فيها في يوم عاشوراء ألزم معز الدولة الناس بغلق الأسواق ومنع الطباخين من الطبخ ونصبوا القباب في الأسواق وعلقوا عليها المسوح وأخرجوا النساء منشورات الشعور يقمن المأتم على الحسين بن علي رضي الله عنه قلت وهذا أول يوم وقع فيه هذه العادة القبيحة الشيعية ببغداد وكان ذلك في صحيفة معز الدولة بن بويه ثم اقتدى به من جاء بعده من بني بويه وكل منهم رافضي خبيث نذكر ذلك كله فيما يأتي في الحوادث إن شاء الله تعالى.

وفيها أصاب سيف الدولة علي بن عبد الله بن حمدان فالج في يده ورجله.

وفيها قال ثابت بن سنان أرسل بعض بطارقة الأرمن إلى ناصرالدولة الحسن بن حمدان رجلين ملتصقين عمرهما خمس وعشرون سنة ومعهما أبوهما والالتصاق كان في الجنب ولهما بطنان وسرتان ومعدتان وتختلف أوقات جوعهما وعطشهما وبولهما وكل واحد منهما مكمل الخلق وكان أحدهما يميل إلى النساء والاخر إلى المرد وقال القاضي علي بن الحسن التنوخي ومات أحدهما وبقي أياما وأنتن وأخوه حي فجمع ناصر الدولة الأطباء على أن يقدروا على فصلهما فلم يقدروا ومات الآخر من رائحة الميت بعد أيام.

وفيها قتل ملك الروم وصار الدمستق هوالملك واسمه تقفور.

وفيها توفيت خولة أخت سيف الدولة بن حمدان بحلب وهي التي رثاها المتنبي بقوله: يا أخت خير يا بنت خير أب كناية بهما عن أشرف النسب وفيها آنتصرت الروم على الإسلام بكائنة حلب وضعف أمر سيف الدولة بعد تلك الملاحم الكبار التي طير فيها لب العدو ومزقهم ولله الأمر.

وفيها خرج أيضًا سيف الدولة غازيا فسار إلى حران وعطف على ملطية وقتل من الروم خلائق وملأ يده سبيا وغنائم ولله الحمد.

وفيها في شعبان ورد غزاة خراسان نحو ستمائة رجل إلى الموصل يريدون الجهاد نجدة لأهل الموصل.

وفيها عبرت الروم الفرات لقصد الجزيرة فتهيأ ناصرالدولة بن حمدان لقتالهم.

وفيها اجتمع أهل بغداد ووبخوا الخليفة المطيع لله بكائنة حلب وطلبوا منه أن يخرج بنفسه إلى الغزو ويأخذ بثأر أهل حلب وبينما هم في ذلك ورد الخبر بموت طاغية الروم وأن الخلف وقع بينهم فيمن يملكونه عليهم وأن أهل طرسوس غزوهم وانتصروا عليهم وعادوا بغنائم لم ير في دهر مثلها فآنتدب المسلمون لغزو الروم من كل جانب.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال وفيها توفي أحمد بن عبيد بن أحمد أبو بكر الحمصي الصفار وأبو الحسين أحمد بن محمود البيهقي وأبو بكر محمد بن محمد بن أحمد بن مالك الإسكافي.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ثلاث أذرع سواء مبلغ الزيادة خمس عشرة ذراعًا وست عشرة إصبعًا.

السنة الرابعة من ولاية علي بن الإخشيذ وهي سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة: فيها عمل يوم عاشوراء كعام أول من المأتم والنوح إلى الضحى فوقعت فتنة عظيمة بين أهل السنة والرافضة وجرح جماعة ونهب الناس.

وفيما نزل ملك الروم الدمستق المصيصة في جيش ضخم فأقام أسبوعا ونقب السور من أماكن وقاتله أهلها إلى أن رحل عنها بعد أن أهلك الضياع وكان رحيله لشدة الغلاء فإن القحط كان وفيها بعث القرامطة إلى سيف الدولة يستهدونه حديدا فسير إليهم شيئا كثيرا وحمل ذلك إليهم في الفرات ثم في البرية إلى هجر.

وفيها خرج معز الدولة بن بويه إلى الموصل لقتال ناصر الدولة بن حمدان فلحقه ذرب شديد سار ناصر الدولة أمامه إلى ميافارقين ثم عاد إلى الموصل وآقتتل مع أعوان معز الدولة فاستأمن إليه الديلم وأستأسر جميع الترك وأخذ حواصل معز الدولة وثقله فعاد معز الدولة يريد الموصل فوقع له مع ناصر الدولة فصول ثم اصطلحوا وعاد معز الدولة إلى بغداد خائبًا.

وفيها عمل سيف الدولة بن حمدان خيمة عظيمة ارتفاع عمودها خمسون ذراعًا.

وفيها ورد الخبر أن الروم يريدون أذنة و المصيصةفآستنجد أهل أذنة بأهل طرسوس فجاؤوهم بخمسة عشر ألفًا من فارس وراجل فآلتقوا واشتذ القتال وانهزم المشركون فركب المسلمون أقفية الروم واتبعوهم فخرج الروم كمين نحو أربعة آلاف مقاتل فتحيز

المسلمون إلى تل هناك فقاتلوهم يومين ثم كثر عليهم جموع الروم فاستأصلوهم وحاصروا أهل المصيصة ونقبوا سورها من مواضع فقاتلهم المسلمون أشد قتال إلى أن ترحلوا عنها مخذولين.

وفيها ملك المسلمون حصن اليمانية وهوعلى ثلاثة فراسخ من آمد.

وفيها جاء عسكر من الروم وكادوا أن يملكوا حصنا من نواحي حلب فسار لحربهم عسكر سيف الدولة وقاتلوهم فلم يفلت من الروم أحد وقتل منهم خمسمائة نفر وتجرح المسلمون وخيولهم ثم جاء الخبر بنزول الروم أيضًا إلى المصيصة أوإلى طرسوس مع تقفور ملك الروم وأنهم في ثلاثمائة ألف وعاثوا وأفسدوا ثم ساروا لعظم القحط كما وقع لهم أولا فتبعهم أهل المصيصة وطرسوس فقتلوا وأسروا طائفة كثيرة من الروم.

وفيها توفي إبراهيم بن محمد بن حمزة بن عمارة الحافظ أبوإسحاق ب حمزة الأصبهاني قال أبونعيم كان أوحد زمانه في الحفظ لم ير بعد عبد الله بن مظاهر في الحفظ مثله جمع الشيوخ والسند وتوفي في سابع رمضان وعمارة جدهم هوابن حمزة بن يساربن عبد الرحمن بن حفص وحفص هوأخو أبي مسلم الخراساني صاحب الدولة العباسية.

وفيها توفي سعيد بن عثمان بن سعيد بن السكن الحافظ أبو علي البغدادي ثم المصرى البزاز ولد سنة أربع وتسعين ومائتين وسمع بمصر والشام والجزيرة والعراق وخراسان وما وراء النهر وكان كبير الشأن مكثرا متقنا مصنفا بعيد الصيت له تجارة في البرية ومات في المحرم وقد روى عنه صحيح البخاري عبد الله بن محمد بن أسد الجهمي وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن يحيى بن مفرج وأبو جعفر بن عون الله.

وفيها توفي بندار بن الحسين محمد بن المهلب أبو الحسين الشيرازي كان يسكن بمدينة أرجان كان الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال وفيها توفي أبوإسحاق إبراهيم بن محمد بن حمزة الأصبهاني الحافظ في رمضان وأبوعيسى بكاربن أحمد بن بكاربن بنان المقرىء وأبو علي سعيد بن عثمان بن سعيد بن السكن الحافظ بمصر وابن أبي الفوارس شجاع بن جعفر الوراق الواعظ في عشر والمائة وعبد الله بن الحسن بن بندار الأصبهاني وأبو محمد عبد الله بن محمد بن العباس الفاكهاني وأبو القاسم علي بن يعقوب الهمذاني بن أبي العقب في ذي الحجة عن اثنتين وتسعين سنة وأبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن خروف بمصر وأبو علي محمد بن هارون بن شعيب الأنصاري.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ثلاث أذرع وخمس عشرة إصبعا مبلغ الزيادة خمس عشرة ذراعًا وأربع أصابع.

M0لنة الخامسة من ولاية علي بن الإخشيذ وهي سنة أربع وخمسين وثلاثمائة: فيها عمل في يوم عاشوراء المأتم ببغداد كالسنة الماضية ولم يتحرك لهم السنية خوفا من معزالدولة بن بويه.

وفيها وثب غلمان سيف الدولة بن حمدان على غلامه نجا الكبير وضربوه بالسيوف وكان أكبر وفيها توفيت أخت معزالدولة بن بويه ببغداد فنزل الخليفة المطيع في طيارة إلى دار معزالدولة يعزيه فخرج إليه معزالدولة ولم يكلفه الصعود من الطيارة وقبل الأرض مرات ورجع الخليفة إلى داره.

وفيها حج الركب من بغداد.

وفيها بنى تقفور ملك الروم قيسارية قريبا من بلاد المسلمين وسكنها وكان الناس في هذه السنة الماضية في شغل بالغلاء والقحط بسائر بلاد حلب وديار بكر.

وفيها توفي أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد أبو الطيب المتنبي الجعفي الكوفي الشاعر المشهور حامل لواء الشعر في عصره ولد سنة ثلاث وثلاثمائة وكثر المقام بالبادية لاقتباس اللغة ونظر في فنون الأدب وتعاطى قول الشعر من صغره حتى بلغ فيه الغاية وفاق أهل زمانه ومدح الملوك وسار شعره في الدنيا ومدح سيف الدولة بن حمدان وكافور الإخشيذي وغيرهما وقال أبو القاسم التنوخي وقد كان خرج المتنبي إلى كلبا وأقام فيهم وادعى أنه علوي ثم ادعى بعد ذلك النبوة إلى أن شهد عليه بالكذب في الدعويين وحبس دهرًا وأشرف على القتل ثم آستتابوه وأطلقوه وقال وحدثني أبي إلى أن قال وكان المتنبي قرأ على البوادي كلاما ذكر أنه قرآن أنزل عليه نسخت منه سورة فصاحته وبقي أولها في حفظي وهو والنجم السيار والفلك الموار والليل والنهار إن الكافر لفي أخطار امض على سننك وآقف أثر من كان قبلك من المسلمين فإن الله قامع بك زيغ من ألحد في الدين وضل عن السبيل قال: وكان المتنبي ينكر ذلك ويجحده وقال له ابن خالويه النحوي يوما في مجلس سيف الدولة لولا أن الآخر جاهل لما رضي أن يدعى المتنبي لأن المتنبي معناه كاذب ومن رضي أن يدعى بالكاذب فهو جاهل.

فقال: إني لم أرض أن أدعى به انتهى.

ومن شعر المتنبي وهوأشهر من أن يذكر قوله: وما أنا بالباغي على الحب رشوة قبيح هوى يرجى عليه ثواب إذا نلت منك الود فالمال هين وكل الذي فوق التراب تراب ومن شعره وهو البيت الذي ذكروا أنه ادعى النبوة فيه: ومن نكد الدنيا على الحرأن يرى عدوا له ما من صداقته بد ومن أشعره قصيدته التي أولها: لك يا منازل في القلوب منازل ومنها: جمح الزمان فلا لذيذ خالص مما يشوب ولا سرور كامل فإذا أتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأني فاضل ومن شعر المتنبي قصيدته التي أولها: أجاب دمعي وما الداعي سوى طلل دعا فلباه قبل الركب والإبل فمنها قوله: والهجر أقتل لي مما أراقبه أنا الغريق فما خوفي من البلل ومنها: لعل عتبك محمود عواقبه فربما صحت الأجسام بالعلل ويعجبني قوله من شعره: خير أعضائنا الرؤوس ولكن فضلتها بقصدك الأقدام وما أحسن مطلع قصيدته: إذا غامرت في شرف مروم فلا تقنع بما دون النجوم ومنها: فطعم الموت في أمرحقير كطعم الموت في أمرعظيم ومنها: وكل شجاعة في المرءتغني ولامثل الشجاعة في الحكيم ولكن تأخذ الأذهان منه على قدر القرائح والعلوم مات المتنبي قتيلًا بالنعمانية.

وفيها توفي محمد بن حبان بن أحمدبن حبان الحافظ العلامة أبوحاتم التميمي البستي صاحب التصانيف المشهورة كان عالما بالفقه والحديث والطب والنجوم وفنون من العلوم وألف المسند الصحيح و " التاريخ و " الضعفاء قال الحاكم كان من أوعية العلم في الفقه واللغة والحديث والوعظ.

وفيها توفي محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن عبدويه أبو بكر البزاز الشافعي المحدث ولد سنة ستين ومائتين وسكن بغداد وسمع الكثير وحدث روى عنه الدارقطني وجماعة.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال وفيها توفي أبوالطيب أحمد بن الحسين بن الحسن الجعفي المتنبي وله إحدى وخمسون سنة وأبوحاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي في شوال وأبو بكر محمد بن الحسن بن يعقوب بن مقسم العطار المقرىء وأبو بكر محمد بن عبد الله بن إبراهيم الشافعي البزاز في ذى الحجة وله خمس وتسعون سنة.

أمر النيل في هذه السنة الماء القديم ثلاث أذرع وخمس أصابع مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا وخمس عشرة إصبعًا.

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحابته وسلم ولاية كافور الإخشيذي الأستاذ أبو المسك كافور بن عبد الله الإخشيذي الخادم الأسود الخصي صاحب مصر والشام والثغور اشتراه سيده أبو بكر محمد الإخشيذ بثمانية عشر دينارًا من الزياتين وقيل: من بعض رؤساء مصر ورباه وأعتقه ثم رقاه حتى جعله من كبار القواد لما رأى منه الحزم والعقل وحسن التدبير.

ولما مات الإخشيذ في سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة أقام كافور هذا أبناءه واحدًا بعد واحد.

وكان الذي ولى أولًا أبا القاسم أنوجور بن الإخشيذ ومعنى أنوجور بالعربية محمود وقد تقدم ذلك كله.

فدام أنوجور في الملك إلى أن مات في يوم السبت لثمان خلون من ذي القعدة سنة تسع وأربعين وثلاثمائة.

ثم بعد موت أنوجور أقام أخاه أبا الحسن علي بن الإخشيذ كما تقدم ذكر ذلك كله في ترجمتهما.

وكان كافور هذا هو مدبر ملكهما.

ودخل كافور في أيام ولايتهما في ضمان البلاد مع الخليفة ووفى بما ضمنه.

ولما مات الإخشيذ اضطربت أحوال الديار المصرية فخرج كافور منها بابني الإخشيذ وتوجه بهما إلى الخليفة المطيع لله وأصلح أمرهما معه والتزم كافور للخليفة بأمر الديار المصرية ثم عاد كافور بهما إلى الديار المصرية.

وكان غلبون قد تغلب على مصر بعد موت الإخشيذ في غيبة كافور لما توجه إلى العراق فقدم كافور إلى مصر وتهيأ لحرب غلبون المذكور وحاربه وظفر به وقتله وأصلح أحوال الديار المصرية واستمر مدبرها إلى أن مات أنوجور وتولى أخوه علي ثم مات علي أيضًا في سنة خمس وخمسين وثلاثمائة واستقل كافور بالأمر وخطب له على المنابر وتم أمره.

قال الحافظ أبو عبد الله الذهبي في تاريخ الإسلام: كافور الإخشيذي الحبشي الأستاذ السلطان أبو المسك اشتراه الإخشيذ من بعض رؤساء مصر كان أسود بصاصًا.

ثم ساق الذهبي نحو ما حكيناه إلى أن قال: تقدم عند الإخشيذ صاحب مصر لعقله ورأيه وسعده إلى أن صار من كبار القواد وجهزه الإخشيذ في جيش لحرب سيف الدولة بن حمدان.

ثم إنه لما مات أستاذه صار أتابك ولده أبي القاسم أنوجور وكان صبيًا فغلب كافور على الأمر وبقى الاسم لأبي القاسم والدست لكافور حتى قال وكيله: خدمت كافورًا وراتبه في اليوم ثلاث عشرة جراية وتوفي وقد بلغت جرايته على يدي في كل يوم ثلاثة عشر ألف جراية.

قلت وهو أتابك وقال أبو المظفر في تاريخه مرآة الزمان: كان كافور شجاعًا مقدامًا جوادًا يفضل على الفحول.

وقصده المتنبي ومدحه فأعطاه أموالًا كثيرة ثم فارقه إلى العراق.

وقال أبو الحسن بن آذن النحوي: حضرت مع أبي مجلس كافور وهو غاص بالناس فقام رجل فدعا له وقال في دعائه: أدام الله أيام مولانا بكسر الميم من أيام فأنكر كافور والحاضرون ذلك فقام رجل من أوساط الناس فقال: لا غرو إن لحن الداعي لسيدنا أو غص من دهش بالريق أو بهر ومثل سيدنا حالت مهابته بين البليغ وبين القول بالحصر فإن يكن خفض الأيام من غلط في موضع النصب لا من قلة البصر فقد تفاءلت من هذا لسيدنا والفأل مأثورة عن سيد البشر بأن أيامه خفض بلا نصب وأن أوقاته صفو بلا كدر فعجب الحاضرون من ذلك وأمر له كافور بجائزة.

وقال أبو جعفر مسلم بن عبيد الله بن طاهر العلوي النسابة: ما رأيت أكرم من كافور! كنت أسايره يومًا وهو في موكب خفيف يريد التنزه وبين يديه عدة جنائب بمراكب ذهب وفضة وخلفه بغال المراكب فسقطت مقرعته من يده ولم يرها ركابيته فنزلت عن دابتي وأخذتها من الأرض ودفعتها إليه فقال: أيها الشريف أعوذ بالله من بلوغ الغاية ما ظننت أن الزمان يبلغني حتى تفعل بي أنت هذا وكاد يبكي فقلت: أنا صنيعة الأستاذ ووليه.

فلما بلغ باب داره ودعني فلما سرت التفت فإذا بالجنائب والبغال كلها خلفي فقلت: ما هذا قالوا: أمر الأستاذ أن يحمل مركبه كله إليك فأدخلته داري وكانت قيمته تزيد على خمسة عشر ألف دينار.

وراوي هذه الحكاية مسلم بن عبيد الله المذكور من صالحي الأشراف.

ووقع له حكاية غريبة نذكرها في ضمن هذه الترجمة ثم نعود إلى ما نحن فيه من ترجمة كافور وهي أنه كان لمسلم بن عبيد الله المذكور غلام قد رباه من أحسن الغلمان فرآه بعض القواد فبعث إليه ألف دينار مع رجل وقال له: اشتر لي منه هذا الغلام قال الرجل: فوافيته يعني الشريف مسلم بن عبيد الله في الحمام ورأيت الغلام عريانًا فرأيت منظرًا حسنًا فقلت في نفسي: لا شك أن الشريف لا يفوته هذا الغلام وأديت الرسالة فقال الشريف: ما دفع فيه هذا الثمن إلا وهو يريد أن يعصي الله فيه ارجع إليه بماله فلا أبيعه.

فعدت إليه وأخبرته ونمت تلك الليلة فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فسلمت عليه فما رد علي وقال: ظننت في ولدي مسلم الخنا مع الغلام.

امض إليه واسأله أن يجعلك في حل.

فلما طلع الفجر مضيت إليه وأخبرته وبكيت وقبلت يديه ورجليه وسألته أن يجعلني في حل فبكى وقال: أنت في حل وأما كافور فإنه لما صار قبل سلطنته مدبر الممالك المصرية وعظم أمره أنف من ذلك خشداشه الأمير أبو شجاع فاتك الرومي الإخشيذي المقدم ذكره في سنة نيف وخمسين وثلاثمائة.

وكان فاتك يعرف بالمجنون وكان الإخشيذ قد اشترى فاتكًا هذا من أستاذه بالرملة كرهًا وأعتقه وحظي عند الإخشيذ وكان رفيقًا لكافور هذا وهو الأعظم مع طيش وخفة وحبورة وكان كافور عاقلًا سيوسًا فكان كلما تزايد أمر كافور وعظم يزيد جنون فاتك وحسده فلا يلتفت كافور إليه بل يدر عليه الإحسان ويراعيه إلى الغاية.

وكان الفيوم إقطاع فاتك المجنون فاستأذن فاتك كافورًا أن يتوجه إلى إقطاعه بالفيوم ويسكن هناك حتى لا يرى عظمة كافور فأذن له كافور في ذلك وودعه فخرج فاتك إلى الفيوم فلم يصح مزاجه بها لوخامتها فعاد بعد مدة مريضًا إلى مصر ليتداوى بها.

وكان المتنبي الشاعر بمصر قد مدح كافورًا بغرر القصائد فسمع المتنبي بكرم المجنون فأحب أن يمدحه ولم يجسر خوفًا من كافور.

وكان كافور يكره فاتكًا في الباطن ويخافه وصار فاتك يراسل المتنبي ويسأل عنه إلى أن اتفق اجتماعهما يومًا بالصحراء وجرت بينهما مفاوضات.

فلما رجع فاتك إلى داره بعث إلى المتنبي بهدية قيمتها ألف دينار ثم أتبعها بهدايا أخر.

فاستأذن المتنبي كافورًا في مدح فاتك فأذن له خوفًا من فاتك وفي النفس شيء من ذلك فمدحه لا خيل عندك تهديها ولا مال فليسعد النطق إن لم تسعد الحال إلى أن قال: كفاتك ودخول الكاف منقصة كالشمس قلت وما للشمس أمثال فحقد كافور على المتنبي لذلك وفطن المتنبي بعدوانه فخرج من مصر هاربًا وكان هذا سببًا لهجو المتنبي كافورًا بعد أن كان مدحه بعدة مدائح على ما يأتي ذكره إن شاء الله تعالى.

قال الذهبي: وكان كافور يدني الشعراء ويجيزهم وكان تقرأ عنده في كل ليلة السير وأخبار الدولة الأموية والعباسية وله ندماء وكان عظيم الحرمة وله حجاب يمتنع عن الأمراء وله جوار مغنيات وله من الغلمان الروم والسود ما يتجاوز الوصف زاد ملكه على ملك مولاه الإخشيذ وكان كريمًا كثير الخلع والهبات خبيرًا بالسياسة فطنًا ذكيًا جيد العقل داهية كان يهادي المعز صاحب المغرب ويظهر ميله إليه وكذا يذعن بالطاعة لبني العباس ويداري ويخدع هؤلاء وهؤلاء وتم له الأمر.

وكان وزيره أبو الفضل جعفر بن الفرات راغبًا في الخير وأهله.

ولم يبلغ أحد من الخدام ما بلغ كافور وكان له نظر في العربية والأدب والعلم.

وممن كان في خدمته أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله النجيرمي النحوي صاحب الزجاج.

وقال إبراهيم بن إسماعيل إمام مسجد الزبير: كان كافور شديد الساعد لا يكاد أحد يمد قوسه فإذا جاؤوه برام دعا بقوسه وقال: ارم عليه فإن أظهر الرجل العجز ضحك وقدمه وأثبته وإن قوي على مدها واستهان بها عبس وسقطت منزلته من عنده.

ثم ذكر له حكايات تدل على أنه كان مغرى بالرمي.

قال: وكان يداوم الجلوس غدوة وعشية لقضاء حوائج الناس وكان يتهجد ويمرغ وجهه ساجدًا ويقول: اللهم لا تسلط علي مخلوقًا.

انتهى.

قلت: ونذكر حينئذ أحوال المتنبي معه وما مدحه به من القصائد.

لما فارق المتنبي سيف الدولة بن حمدان مغاضبًا له قصد كافورًا الإخشيذي ودخل مصر ومدحه بقصيدته التي منها: قواصد كافور توارك غيره ومن ورد البحر استقل السواقيا

فجاءت بنا إنسان عين زمانه وخفت بياضًا خلفها وماقيا وهو أول مديح قاله فيه وكان ذلك في جمادى الآخرة سنة ست وأربعين وثلاثمائة.

وقال ابن خلكان: وأنشده أيضًا في شوال سنة سبع وأربعين وثلاثمائة قصيدته البائية التي يقول فيها: وأخلاق كافور إذا شئت مدحه وإن لم أشأ تملي علي فأكتب إذا ترك الإنسان أهلًا وراءه ويمم كافورًا فما يتغرب ومنها أيضًا: وكل امرىء يولي الجميل محبب وكل مكان ينبت العز طيب وآخر شيء أنشده في شوال سنة تسع وأربعين وثلاثمائة ولم يلقه بعدها قصيدته البائية: أرى لي بقربي منك عينًا قريرةً وإن كان قربًا بالبعاد يشاب وهل نافعي أن ترفع الحجب بيننا ودون الذي أملت منك حجاب أقل سلامي حب ما خف عنكم وأسكت كيما لا يكون جواب ومنها: وما أنا بالباغي على الحب رشوة ضعيف هوىً يبغى عليه ثواب وما شئت ألا أن أدل عواذلي على أن رأيي في هواك صواب وأعلم قومًا خالفوني فشرقوا وغربت أنى قد ظفرت وخابوا ومنها: وإن مديح الناس حق وباطل ومدحك حق ليس فيه كذاب إذا نلت منك الود فالمال هين وكل الذي فوق التراب تراب وما كنت لولا أنت إلا مهاجرًا له كل يوم بلدة وصحاب وأقام المتنبي بعد إنشاد هذه القصيدة سنة لا يلقى كافورًا غضبًا عليه لكنه يركب في خدمته خوفًا منه ولا يجتمع به واستعد للرحيل في الباطن وجهز جميع ما يحتاج إليه.

وقال في يوم عرفة سنة خمسين وثلاثمائة قبل مفارقته مصر بيوم واحد قصيدته الدالية التي هجا كافورًا فيها.

وفي آخر هذه القصيدة المذكورة يقول: من علم الأسود المخصي مكرمة أقومه البيض أم آباؤه الصيد أم أذنه في يد النخاس دامية أم قدره وهو بالفلسين مردود ومنها: وذاك أن الفحول البيض عاجزة عن الجميل فكيف الخصية السود وله فيه أهاجٍ كثيرة تضمنها ديوان شعره.

ورحل المتنبي من مصر إلى عضد الدولة بن بويه بشيراز.

وقال ابن زولاق: أقام كافور الإخشيذي الأستاذ إحدى وعشرين سنة وشهرين وعشرين يومًا يعني أقام مدبر مملكة مصر من قبل ولدي أستاذه وهما أنوجور وعلي ابنا الإخشيذ محمد بن طغج وأقام هو فيها سنتين وأربعة أشهر وسبعة أيام ملكًا مستقلًا بنفسه.

قلت: ونذكر ذلك محررًا بعد ذلك.

قال ابن زولاق: وكان كافور دينًا كريمًا.

وسماطه على ما ذكره صاحب كنز الدرر في اليوم مائتا خروف كبار ومائة خروف رميس ومائتان وخمسون إوزة وخمسمائة دجاجة وألف طير من الحمام ومائة صحن حلوى كل صحن عشرة أرطال ومائتان وخمسون قرابة أقسما.

قال: ولما توفي كافور أجتمع الأولياء وتعاقدوا وتعاهدوا ألا يختلفوا وكتبوا بذلك كتابًا ساعة توفي كافور وعقدوا الولاية لأحمد بن علي الإخشيذ وكان إذ ذاك صبيًا ابن إحدى عشرة سنة وكافور بعد في داره لم يدفن ودعي له على المنابر بمصر وأعمالها والشامات والحرمين ثم من بعده للحسن بن عبيد الله ابن طغج.

ثم عقد للحسن بن عبيد الله المذكور على بنت عمه فاطمة بنت الإخشيد بوكيل سيره من الشام وجعل التدبير بمصر فيما يتعلق بالأموال إلى الوزير أبي الفضل جعفر بن الفرات وما يتعلق بالرجال والعساكر لسمول الإخشيذي صاحب الحمام بمصر.

وكل ذلك كان في يوم الثلاثاء لعشر بقين من جمادى الأولى سنة سبع وخمسين وثلاثمائة.

انتهى كلام ابن زولاق رضي الله عنه.

وأما وفاة كافور المذكور فإنه توفي بمصر في جمادى الأولى سنة ست وخمسين وثلاثمائة وقيل: سنة سبع وخمسين وثلاثمائة وقيل: سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة والأصح سنة سبع وخمسين وثلاثمائة قبل دخول القائد جوهر المعزي إلى مصر.

وقيل: إنه لما دخل جوهر القائد إلى مصر خرج منها كافور هذا وليس بشيء والأول أصح.

وملك بعده أحمد بن علي بن الإخشيذ الآتي ذكره.

وعاش كافور بضعًا وستين سنة وكانت إمارته على مصر اثنتين وعشرين سنة منها استقلالًا بالملك سنتان وأربعة أشهر خطب له فيها على منابر مصر والشام والحجاز والثغور مثل طرسوس والمصيصة وغيرهما وحمل تابوته إلى القدس فدفن به وكتب على قبره: ما بال قبرك يا كافور منفردًا بالصحصح الموت بعد العسكر اللجب يدوس قبرك آحاد الرجال وقد كانت أسود الشرى تخشاك في الكتب وقال الوليد بن بكر العمري: وجدت على قبر كافور مكتوبًا: انظر إلى عبر الأيام ما صنعت أفنت أناسًا بها كانوا وما فنيت دنياهم ضحكت أيام دولتهم حتى إذا فنيت ناخت لهم وبكت

السنة الأولى من ولاية كافور الإخشيذي

وهي سنة خمس وخمسين وثلاثمائة.

فيها أقيم المأتم على الحسين رضي الله عنه في يوم عاشوراء ببغداد على العادة.

وفيها ورد الخبر بأن ركب الشام ومصر والمغرب من الحجاج أخذوا وهلك أكثرهم ووصل الأقل إلى مصر وتمزق الناس كل ممزق وأخذتهم بنو سليم وكان ركبًا عظيمًا نحو عشرين ألف جمل ومعهم الأمتعة والذهب فمما أخذ لقاضي طرسوس المعروف بالخواتيمي مائة ألف وعشرون ألف دينار.

وفيها قدم أبو الفوارس محمد بن ناصر الدولة من الأسر إلى ميافارقين كانت أخت ملك الروم أخذته لتفادي به أخاها فنفذ سيف الدولة أخاها في ثلاثمائة إلى حصن الهتاخ فلما شاهد بعضهم بعضًا سرح المسلمون أسيرهم في خمسة فوارس وسرح الروم أسيرهم أبا الفوارس في خمسة فالتقيا في وسط الطريق وتعانقا ثم صار كل واحد إلى أصحابه فترجلوا له وقبلوا الأرض واحتفل سيف الدولة بن حمدان لقدوم ابن أخيه وعمل الأسمطة الهائلة وقدم له الخيل والمماليك والعدد التامة فمن ذلك مائة مملوك بمناطقهم وسيوفهم وخيولهم.

وفيها جاء الخبر بأن نائب أنطاكية محمد بن موسى الصلحي أخذ الأموال التي في خزائن أنطاكية وخرج بها كأنه متوجه إلى سيف الدولة بن حمدان فدخل بلاد الروم مرتدًا.

وقيل: إنه كان عزم على تسليم أنطاكية إلى الروم فلم يمكنه ذلك لاجتماع أهل البلد على ضبطه فخشي أن ينم خبره إلى سيف الدولة فيتلفه فهرب بالأموال.

وفيها قدم الغزاة الخراسانية من الغزو إلى ميافارقين فتلقاهم أبو المعالي بن سيف الدولة وبالغ في إكرامهم بالأطعمة والعلوفات.

وكان رئيس الغزاة المذكورين محمد بن عيسى.

وفيها سار طاغية الروم بجموعه إلى الشام فعاث وأفسد وأقام به نحو خمسين يومًا فبعث سيف الدولة يستنجد أخاه ناصر الدولة لبعده ووقع لسيف الدولة مع الروم حروب ووقائع كثيرة.

وفيها توفي محمد بن عمر بن محمد بن سالم أبو بكر بن الجعابي التميمي البغدادي الحافظ قاضي الموصل سمع الكثير ورحل وكان حافظ زمانه.

صحب أبا العباس بن عقدة وصنف الأبواب والشيوخ والتاريخ وكان يتشيع وروى عنه الدارقطني وأبو حفص بن شاهين والحاكم أبو عبد الله وآخرون آخرهم وفاة أبو نعيم الحافظ.

ومولده في صفر سنة أربع وثمانين ومائتين.

قال أبو علي الحافظ النيسابوري: ما رأيت في المشايخ أحفظ من عبدان ولا رأيت في أصحابنا أحفظ من أبي بكر بن الجعابي!.

وفيها توفي محمد بن الحسين بن علي بن الحسن الأنباري الشاعر المشهور كان انتقل إلى نيسابور فسكنها إلى أن مات بها في شهر رمضان.

وكان من فحول الشعراء.

ومن شعره وقد رأيته لغيره: تبكي بعين بغير دمع وابكي بدمع بغير عين ويعجبني في هذا قول أمير المؤمنين عبد الله بن المعتز: بكت عيني غداة البين حزنًا وأخرى بالبكا بخلت علينا فعاقبت التي بخلت بدمع بأن غمضتها يوم التقينا ومما يجيش ببالي أيضًا في هذا المعنى قول القائل ولم أدر لمن هو غير أنني أحفظه قديمًا: قالت سعاد أتبكي بالدمع بعد الدماء فقلت قد شاب دمعي من طول عمر بكائي الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي أبو الحسن علي بن الحسن بن علان الحراني الحافظ يوم النحر وأبو بكر محمد بن عمر بن محمد بن سالم التميمي بن الجعابي وأبو الحكم منذر بن سعيد البلوطي قاضي الأندلس وعالمها ومفتيها.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمس أذرع وثماني أصابع.

مبلغ الزيادة أربع عشرة ذراعًا وتسع عشرة إصبعًا.

فيها عملت الرافضة المأتم في يوم عاشوراء ببغداد على العادة.

وفيها مات السلطان معز الدولة بن بويه الآتي ذكره وتولى مملكة العراق من بعده ابنه عز الدولة بختيار بن أحمد بن بويه.

وفيها قبض على الملك ناصر الدولة الحسن بن عبد الله بن حمدان ولده أبو تغلب لأن أخلاقه ساءت وظلم وقتل جماعة وشتم أولاده وتزايد أمره فقبض عليه ولده المذكور

بمشورة رجال الدولة في جمادى الأولى وبعثه إلى القلعة ورتب له كل ما يحتاج إليه ووسع عليه.

وفيها توفي السلطان معز الدولة أبو الحسن أحمد بن بويه بن فناخسرو بن تمام بن كوهي كان أبوه بويه يصطاد السمك وكان ولده هذا ربما احتطب وقد تقدم ذكر ذلك كله في محله في هذا الكتاب فآل أمره إلى الملك.

وكان قدومه إلى بغداد سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة وكان موته بالبطن فعهد إلى ولده عز الدولة أبي منصور بختيار وكان الرفض في أيامه ظاهرًا ببغداد ويقال: إنه تاب قبل موته وتصدق وأعتق.

قلت: وجميع بني بويه على هذا المذهب القبيح غير أنهم لا يفشون ذلك خوفًا على الملك.

ومات معز الدولة في سابع عشر شهر ربيع الآخر عن ثلاث وخمسين سنة وكانت دولته اثنتين وعشرين سنة.

وكان قد رد المواريث إلى ذوي الأرحام.

ويقال: إنه من ذرية سابور في الأكتاف وهو أخو ركن الدولة الحسن وعماد الدولة علي.

وكان معز الدولة يعرف بالأقطع كان أصابته جراح طارت بيده اليسرى وبعض أصابع اليمنى.

وهو عم عضد الدولة الآتي ذكره أيضًا.

وفيها توفي علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم الإمام العلامة أبو الفرج الأصبهاني الكاتب مصنف كتاب الأغاني وغيره سمع الحديث وتفقه وبرع واستوطن بغداد من صباه وكان من أعيان أدبائها كان أخباريًا نسابة شاعرًا ظاهرًا بالتشيع.

قال أبو علي التنوخي: كان أبو الفرج يحفظ من الشعر والأغاني والأخبار والمسندات والأنساب ما لم أر قط مثله ويحفظ سوى ذلك من علوم أخر منها: اللغة والنحو والمغازي والسير.

قلت: وكتاب الأغاني في غاية الحسن.

وكان منقطعًا إلى الوزير المهلبي وله فيه غرر مديح وله فيه من جملة قصيده يهنئه بمولود من سرية رومية: اسعد بمولود أتاك مباركًا كالبدر أشرق جنح ليل مقمر سعد لوقت سعادة جاءت به أم حصان من بنات الأصفر متبحبح في ذروتي شرف العلا بين المهلب منتماه وقيصر شمس الضحى قرنت إلى بدر الدجى حتى إذا اجتمعا أتت بالمشتري وشعره كثير ومحاسنه مشهورة.

ولادته في سنة أربع وثمانين ومائتين وهي السنة التي مات فيها البحتري الشاعر.

ومات في يوم الأربعاء رابع عشر ذي الحجة.

وفيها توفي سيف الدولة أبو الحسن علي بن عبد الله بن حمدان بن حمدون بن الحارث بن لقمان بن راشد بن المثنى بن رافع بن الحارث بن غطيف بن محربة بن حارثة بن مالك بن عبيد بن عدي بن أسامة بن مالك بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب

التغلبي ومولده في يوم الأحد سابع عشر ذي الحجة سنة ثلاث وثلاثمائة وقيل: سنة إحدى وثلاثمائة قال أبو منصور الثعالبي: كان بنو حمدان ملوكًا وأمراء أوجههم للصباحة وألسنتهم للفصاحة وأيديهم للسماحة وعقولهم للرجاحة وسيف الدولة مشهور بسيادتهم وواسطه قلادتهم.

وحضرته مقصد الوفود ومطلع الجود وقبلة الآمال ومحط الرحال وموسم الأدباء وحلبة الشعراء.

وكان سيف الدولة ملكًا شجاعًا مقدامًا كريمًا شاعرًا فصيحًا ممدحًا.

وقصده الشعراء من الآفاق ومدحه المتنبي بغرر المدائح.

ومن شعر سيف الدولة في قوس قزح: وساق صبيح للصبوح دعوته فقام وفي أجفانه سنة الغمض يطوف بكاسات العقار كأنجم فمن بين منقض علينا ومنفض وقد نشرت أيدي الجنوب مطارفًا على الجو دكنًا والحواشي على الأرض يطرزها قوس السحاب بأصفر على أحمر في أخضر إثر مبيض كأذيال خود أقبلت في غلائل مصبغة والبعض أقصر من بعض قال ابن خلكان: وهذا من التشبيهات الملوكية التي لا يكاد يحضر مثلها للسوقة.

ويحكى أن ابن عمه أبا فراس الأمير الشاعر كان يومًا بين يدي سيف الدولة في نفر من ندمائه فقال لهم سيف الدولة: أيكم يجيز قولي وليس له إلا سيدي يعني ابن عمه أبا فراس المذكور وقال: مجزوء الخفيف لك جسمي تعله فدمي لم تحله فارتجل أبو فراس وقال: قال إن كنت مالكًا فلي الأمر كله فاستحسنه وأعطاه ضيعة بأعمال منبج تغل ألفي دينار في كل سنة.

ومن شعر سيف الدولة أيضًا: تجنى علي الذنب والذنب ذنبه وعاتبني ظلمًا وفي شقه العتب وأعرض لما صار قلبي بكفه فهلا جفاني حين كان لي القلب إذا برم المولى بخدمة عبده تجنى له ذنبًا وإن لم يكن ذنب وله: أقبله على جزع كشرب الطائر الفزع فصادف خلسة فدنًا ولم يلتذ بالجرع وأما ما قيل في سيف الدولة من المديح فكثير يضيق هذا المحل عن ذكر شيء منه.

وكانت وفاته يوم الجمعة في ثالث ساعة وقيل: رابع ساعة لخمس بقين من صفر بحلب.

ونقل إلى ميافارقين ودفن في تربة أمه وهي داخل البلد.

وكان مرضه بعسر البول.

وكان قد جمع من نفض الغبار الذي يجتمع عليه في غزواته شيئًا وجعله لبنة بقدر الكف وأوصى أن يوضع خده عليها في لحده فنفذت وصيته في ذلك.

وكان ملك حلب في سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة انتزعها من يد أحمد بن سعيد الكلابي صاحب الإخشيذ وكان قبل ذلك ملك واسط وتلك النواحي.

وفيها توفي جعفر بن محمد بن الحارث الشيخ أبو محمد المراغي المحدث المشهور كان فاضلًا راوية للشعر.

قال: أنشدني منصور بن إسماعيل الفقيه: لي حيلة فيمن ب - - نم وليس في الكذاب حيله من كان يخلق ما يقو - - ل فحيلتي فيه قليله أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ذراعان وأربع عشرة إصبعًا.

مبلغ الزيادة اثنتا عشرة ذراعًا وسبع عشرة إصبعًا.

وهي سنة سبع وخمسين وثلاثمائة وهي التي مات فيها كافور المذكور حسب ما تقدم ذكره.

فيها عملت الرافضة مأتم الحسين بن علي في بغداد على العادة في كل سنة في يوم عاشوراء.

وفيها لم يحج أحد من الشام ولا من مصر.

وفيها في ذي القعدة أقبل تقفور عظيم الروم بجيوشه إلى الشام فخرج من دربند ونازل أنطاكية فلم يلتفتوا إليه فقال: أرحل وأخرب الشام ثم أعود إليكم من الساحل ورحل ونازل معرة مصرين فأخذها وغدر بهم وأسر منهم أربعة آلاف وستمائة نسمة.

ثم نزل على معرة النعمان فأحرق جامعها وكان الناس قد هربوا في كل وجه إلى الحصون والبراري والجبال.

ثم سار إلى كفرطاب وشيزر ثم إلى حماة وحمص وخرج من بقي بها فأمنهم ودخلها وصلى في البيعة وأخذ منها رأس يحيى بن زكريا وأحرق الجامع.

ثم سار إلى عرقة فافتتحها ثم سار إلى طرابلس فأخذ ربضها.

وأقام في الشام أكثر من شهرين ورجع فأرضاه أهل أنطاكية بمال عظيم.

وفيها تزوج عز الدولة بختيار بن معز الدولة أحمد بن بويه بابنة عسكر الرومي الكردي على صداق مائة ألف دينار.

وفيها قتل أبو فراس الحارث بن أبي العلاء سعيد بن حمدان التغلبي العدوي الأمير الشاعر الفصيح تقدم بقية نسبه في ترجمة ابن عمه سيف الدولة بن حمدان ومولده بمنبج في سنة عشرين وثلاثمائة وكان يتنقل في بلاد الشام في دولة ابن عمه سيف الدولة بن حمدان وكان من الشجعان والشعراء المفلقين وديوان شعره موجود.

ومن شعره قصيدة: رأيت الشيب لاح فقلت أهلًا وودعت الغواية والشبابا وما إن شبت من كبر ولكن لقيت من الأحبة ما أشابا وله أيضًا: من يتمن العمر فليدرع صبرًا على فقد أحبائه ومن يؤجل ير في نفسه ما يتمناه لأعدائه وفيها توفي حمزة بن محمد بن علي بن العباس الحافظ أبو القاسم الكناني المصري سمع الكثير ورحل وطوف وجمع وصنف وروى عنه ابن منده والدارقطني والحافظ عبد الغني بن سعيد الأزدي وغيرهم.

وقال ابن منده: سمعت حمزة بن محمد الحافظ يقول: كنت أكتب الحديث فلا أكتب وسلم فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي: " أما تختم الصلاة علي في كتابك " الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي أحمد بن الحسن بن إسحاق بن عتبة الرازي بمصر وأبو سعيد أحمد بن محمد بن رميح النسوي وحمزة بن محمد أبو القاسم الكناني بمصر وأبو العباس عبد الله بن الحسين النضري المروزي في

شعبان عن سبع وتسعين سنة وعمر بن جعفر البصري الحافظ وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن علي بن محرم المحتسب وأبو سليمان محمد بن الحسين الحراني وأبو علي محمد أبن محمد بن عبد الحميد بن خالد بن إسحاق بن آدم الفزاري.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ذراع واحدة وإحدى وعشرون إصبعًا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا وأربع عشرة إصبعًا.

ولاية أحمد بن علي بن الإخشيذ هو أحمد بن علي بن الإخشيذ محمد بن طغج بن جف الأمير أبو الحسن التركي الفرغاني المصري.

ولي سلطنة مصر بعد موت مولى جده كافور الإخشيذي في العشرين من جمادى الأولى سنة سبع وخمسين وثلاثمائة وهو يوم مات كافور وسنه يوم ولي إحدى عشرة سنة وصار الحسن بن عبيد الله بن طغج أعني ابن عم أبيه خليفته وأبو الفضل جعفر بن الفرات وزيره ومعهما أيضًا سمول الإخشيذي مدبر العساكر.

فأساء أبو الفضل جعفر بن الفرات السيرة وقبض على جماعة وصادرهم منهم يعقوب بن كلس الآتي ذكره فهرب يعقوب بن كلس المذكور إلى المغرب وهو من أكبر أسباب حركة المعز وإرسال جوهر القائد إلى الديار المصرية.

ولما زاد أمر ابن الفرات اختلف عليه الجند واضطربت أمور الديار المصرية على ما سنذكره بعد أن نذكر مقالة ابن خلكان إن شاء الله تعالى.

قال ابن خلكان: وكان عمر أبي الفوارس أحمد بن علي بن الإخشيذ يوم ولي إحدى عشرة سنة وجعل الجند خليفته في تدبير أموره أبا محمد الحسن بن عبيد الله بن طغج بن جف وهو ابن عم أبيه وكان صاحب الرملة من بلاد الشام وهو الذي مدحه المتنبي بقصيدته التي أولها: أنا لائمي إن كنت وقت اللوائم علمت بما بي بين تلك المعالم وقال في مخلصها: إذا صلت لم أترك مصالًا لفاتك وإن قلت لم أترك مقالًا لعالم وإلا فخانتني القوافي وعاقني عن ابن عبيد الله ضعف العزائم ومنها: أرى دون ما بين الفرات وبرقة ضرابًا يمشي الخيل فوق الجماجم وطعن غطاريف كأن أكفهم عرفن الردينيات قبل المعاصم هم المحسنون الكر في حومة الوغى وأحسن منه كرهم في المكارم وهم يحسنون العفو عن كل مذنب ويحتملون الغرم عن كل غارم قال: ولما تقرر الأمر على هذه القاعدة تزوج الحسن بن عبيد الله فاطمة ابنة عمه الإخشيذ ودعوا له على المنابر بعد أبي الفوارس أحمد بن علي صاحب الترجمة.

قال: والحسن بالشام.

واستمر الحال على ذلك إلى ليلة الجمعة لثلاث عشرة خلت من شعبان من سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ودخل إلى مصر رايات المغاربة الواصلين صحبة القائد جوهر المعزي وانقرضت الدولة الإخشيذية من مصر.

وكانت مدتها أربعًا وثلاثين سنة وعشرة أشهر وأربعة وعشرين يومًا.

وكان قد قدم الحسن بن عبيد الله من الشام منهزمًا من القرامطة لما استولوا على الشام.

ودخل الحسن على ابنة عمه التي تزوجها وحكم بمصر وتصرف وقبض على الوزير جعفر بن الفرات وصادره وعذبه ثم سار إلى الشام في مستهل شهر ربيع الآخر من سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة.

ولما سير القائد جوهر جعفر بن فلاح إلى الشام وملك البلاد أسر ابن فلاح المذكور أبا محمد الحسن بن عبيد الله بن طغج وسيره إلى مصر مع جماعة من الأمراء إلى جوهر القائد ودخلوا إلى مصر في جمادى الأولى سنة تسع وخمسين وثلاثمائة.

وكان الحسن بن عبيد الله قد أساء إلى أهل مصر في مدة ولايته عليهم فلما وصلوا إلى مصر تركوهم وقوفًا مشهورين مقدار خمس ساعات والناس ينظرون إليهم وشمت بهم من في نفسه منهم شيء ثم أنزلوا إلى مضرب القائد جوهر وجعلوا مع المعتقلين من آل الإخشيذ.

ثم في السابع عشر من جمادى الأولى أرسل القائد جوهر ولده جعفرًا إلى مولاه المعز ومعه هدايا عظيمة تجل عن الوصف وأرسل معه المأسورين الواصلين من الشام وفيهم الحسن بن عبيد الله وحملوا في مركب بالنيل وجوهر ينظرهم وانقلب المركب فصاح الحسن بن عبيد الله على القائد جوهر: يا أبا الحسن أتريد أن تغرقنا فاعتذر إليه وأظهر له التوجع ثم نقلوا إلى مركب آخر.

انتهى كلام ابن خلكان باختصار.

ولم يذكر ابن خلكان أمر أحمد بن علي بن الإخشيذ أعني صاحب الترجمة وأظن ذلك لصغر سنه.

وقال غير ابن خلكان في أمر انقراض دولة بني الإخشيذ وجهًا آخر وهو أن الجند لما اختلفوا على الوزير أبي الفضل بن الفرات وطلب منه الأتراك الإخشيذية والكافورية ما لا قدرة له به من المال ولم تحمل إليه أموال الضمانات قاتلوه ونهبت داره ودور جماعة من حواشيه.

ثم كتب جماعة منهم إلى المعز العبيدي بالمغرب يستدعونه ويطلبون منه إنفاذ العساكر إلى مصر وفي أثناء ذلك قدم الحسن بن عبيد الله بن طغج من الشام منهزمًا من القرامطة ودخل على ابنة عمه وقبض على الوزير أبي الفضل جعفر بن الفرات لسوء سيرته ولشكوى الجند منه فعذبه وصادره وتولى الحسن بن عبيد الله تدبير مصر بنفسه ثلاثة أشهر واستوزر كاتبه الحسن بن جابر الرياحي ثم أطلق الوزير جعفر بن الفرات من محبسه بوساطة الشريف أبي جعفر مسلم الحسيني وفوض إليه أمر مصر ثانيًا كل ذلك وأحمد بن علي صاحب الترجمة ليس له من الأمر إلا مجرد الاسم فقط.

ثم سافر الحسن بن عبيد الله بن طغج من مصر إلى الشام في مستهل شهر ربيع الآخر سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة وبعد مسيره بمدة يسيرة في جمادى الآخرة من السنة وصل الخبر بمسير عسكر المعز صحبة جوهر القائد الرومي إلى مصر فجمع الوزير جعفر بن الفرات أنصاره واستشارهم فيما يعتمد فاتفق الرأي على أمر فلم يتم.

وقدم جوهر القائد إلى الديار المصرية بعد أمور نذكرها في ترجمته إن شاء الله تعالى وزالت دولة بني الإخشيذ من مصر وانقطع الدعاء منها لبني العباس.

وكانت مدة دولة الإخشيذ وبنيه بمصر أربعًا وثلاثين سنة وأربعة وعشرين يومًا منها دولة أحمد بن علي هذا أعني أيام سلطته بمصر سنة واحدة وثلاثة أشهر إلا ثلاثة أيام.

وكانت مدة الدعاء لبني العباس بمصر منذ ابتدأت لدولة بني العباس إلى أن قدم القائد جوهر المعزي وخطب باسم مولاه المعز معد العبيدي الفاطمي مائتي سنة وخمسًا وعشرين سنة.

ومنذ افتتحت مصر إلى أن انتقل كرسي الإمارة منها إلى القائد جوهر ثلاثمائة سنة وتسعًا وثلاثين سنة.

انتهت ترجمة أحمد بن علي ابن الإخشيذ.

بن علي بن الإخشيذ على مصر وكانت ولايته في جمادى الأولى من السنة الماضية غير أننا ذكرنا تلك السنة في ترجمة كافور ونذكر هذه السنة في ولاية أحمد هذا على أن القائد جوهرًا حكم في آخرها وليس ما نحن فيه من ذكر السنين على التحرير وإنما المقصود ذكر الحوادث على أي وجه كان.

وهذه السنة هي ثمان وخمسين وثلاثمائة.

فيها عملت الرافضة المأتم في يوم عاشوراء ببغداد وزادوا في النوح وتعليق المسوح ثم عيدوا يوم الغدير.

وفيها كان القحط ببغداد وأبيع الكر بتسعين دينارًا.

وفيها ملك جوهر القائد العبيدي مصر وخطب لبني عبيد المغاربة وانقطع الدعاء لبني العباس من مصر حسب ما ذكرناه في ترجمة أحمد بن علي ابن الإخشيذ هذا.

وفيها حج بالناس من العراق الشريف أبو أحمد الموسوي والد الرضي والمرتضى.

وفيها ولي إمرة دمشق الحسن بن عبيد الله بن طغج ابن أخي الإخشيذ فأقام بها شهورًا ثم رحل في شعبان واستناب بها سمول الكافوري ثم سار الحسن إلى الرملة فالتقى مع ابن فلاح مقدمة جوهر القائد في ذي الحجة بالرملة فانهزم جيشه.

وأخذ أسيرًا وفيها عصي جند حلب على ابن سيف الدولة فجاء من ميافارقين ونازل حلب وبقي القتال عليها مدة.

وفيها استولى الرعيلي على أنطاكية وهو رجل غير أمير وإنما هو من الشطار وانضم عليه جماعة فقوي أمره بهم فجاءت الروم ونزلوا على أنطاكية وأخذوها في ليلة واحدة وهرب الرعيلي من باب البحر هو وخمسة آلاف إنسان ونجوا إلى الشام وكان أخذها في ذي الحجة من هذه السنة وأسر الروم أهلها وقتلوا جماعة كثيرة.

وفيها جاء القائد جعفر بن فلاح مقدمة القائد جوهر العبيدي المعزي إلى الشام فحاربه أميرها الشريف ابن أبي يعلى فانهزم الشريف وأسره جعفر بن فلاح وتملك دمشق.

وفيها توفي ناصر الدولة الحسن بن أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان تقدم بقية نسبه في ترجمة أخيه سيف الدولة كان ناصر الدولة صاحب الموصل ونواحيها وكان أخوه سيف الدولة يتأدب معه وكان هو أيضًا شديد المحبة لسيف الدولة.

فلما مات سيف الدولة تغيرت أحواله لحزنه عليه وساءت أخلاقه وضعف عقله فقبض عليه ابنه أبو تغلب الغضنفر بمشورة الأمراء وحبسه مكرمًا حسب ما ذكرناه فلم يزل محبوسًا إلى أن مات في شهر ربيع الأول.

وقيل: إن ناصر الدولة هذا كان وقع بينه وبين أخيه سيف الدولة وحشة فكتب إليه سيف الدولة وكان رضيت لك العليا وقد كنت أهلها وقلت لهم: بيني وبين أخي فرق ولم يك بي عنها نكول وإنما تجافيت عن حقي فتم لك الحق ولا بد لي من أن أكون مصليًا إذا كنت أرضى أن يكون لك السبق وفيها توفي سابور بن أبي طاهر القرمطي في ذي الحجة كان طالب قبل موته عمومته بتسليم الأمر إليه فحبسوه فأقام في الحبس أيامًا ثم خرج من الحبس وعمل في ذي الحجة ببغداد غدير خم على ما جرت به العادة ثم مات بعد مدة يسيرة.

وفيها توفي أحمد بن الراضي بالله بعد أن طالت علته بمرض البواسير.

وفيها توفي محمد بن أحمد بن جعفر الشيخ أبو بكر البيهقي كان من كبار مشايخ نيسابور في زمانه.

سئل عن الفتوة فقال: هي حسن الخلق وبذل المعروف.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي ناصر الدولة الحسن بن عبد الله بن حمدان التغلبي صاحب الموصل وكان أسن من سيف الدولة والحسن بن محمد بن أحمد بن كيسان الحربي وأبو القاسم زيد بن علي بن أبي بلال الكوفي ومحمد بن معاوية الأموي القرطبي في شهر رجب.

أمر النيل في هذه السنة: ولاية جوهر القائد الرومي المعزي هو أبو الحسن جوهر بن عبد الله القائد المعزي المعروف بالكاتب مولى المعز لدين الله أبي تميم معد العبيدي الفاطمي.

كان خصيصًا عند أستاذه المعز وكان من كبار قواده ثم جهزه أستاذه المعز إلى أخذ مصر بعد موت الأستاذ كافور الإخشيدي وأرسل معه العساكر وهو المقدم على الجميع وكان رحيله من إفريقية في يوم السبت رابع عشر شهر ربيع الأول سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة وتسلم مصر في يوم الثلاثاء ثامن عشر شعبان من السنة.

على ما سنحكيه.

ولما دخل مصر صعد المنبر يوم الجمعة خطيبًا وخطب ودعا لمولاه المعز بإفريقية وذلك في نصف شهر رمضان سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة المذكورة.

وكان المعز لما ندب جوهرًا هذا إلى التوجه إلى الديار المصرية أصحبه من الأموال والخزائن ما لا يحصى وأطلق يده في جميع ذلك وأفرغ الذهب في صور الأرحاء وحملها على الجمال لعظم ذلك في قلوب الناس.

وقال في رحيله من القيروان شاعر الأندلس محمد بن هانىء قصيدته المشهورة في جوهر وهي: رأيت بعيني فوق ما كنت أسمع وقد راعني يوم من الحشر أروع غداة كأن الأفق سد بمثله فعاد غروب الشمس من حيث تطلع ألا إن هذا حشد من لم يذق له غرار الكرى جفن ولا بات يهجع إذا حل في أرض بناها مدائنا وإن سار عن أرض غدت وهي بلقع تحل بيوت المال حيث محله وجم العطايا والرواق المرفع وكبرت الفرسان لله إذ بدا

وظل السلاح المنتضى يتقعقع وعب عباب الموكب الفخم حوله وزف كما زف الصباح الملمع رحلت إلى الفسطاط أول رحلة بأيمن فأل في الذي أنت تجمع فإن يك في مصر ظماء لمورد فقد جاءهم نيل سوى النيل يهرع ويممهم من لا يغار بنعمة فيسلبهم لكن يزيد فيوسع ولما استولى على مصر أرسل جوهر هذا يهنئ مولاه المعز بذلك فقال ابن هانىء المذكور أيضًا في ذلك: يقول بنو العباس هل فتحت مصر فقل لبني العباس قد قضي الأمر وقد جاوز الإسكندرية جوهر تصاحبه البشرى ويقدمه النصر دخول جوهر إلى الديار المصرية وكيف ملكها قال غير واحد: كان قد انخرم نظام مصر بعد موت كافور الإخشيدي لما قام على مصر أحمد بن علي بن الإخشيذ وهو صغير فصار ينوب عنه ابن عم أبيه الحسن بن عبيد الله بن طغج والوزير يومئذ جعفر بن الفرات فقلت الأموال على الجند فكتب جماعة منهم إلى المعز لدين الله معد وهو بالمغرب يطلبون منه عسكرًا ليسلموا إليه مصر فجهز المعز جوهرًا هذا بالجيوش والسلاح في نحو ألف فارس أو أكثر فسار جوهر حتى نزل بجيوشه إلى تروجة بقرب الإسكندرية وأرسل إلى أهل مصر فأجابوه بطلب الأمان وتقرير أملاكهم لهم فأجابهم جوهر إلى ذلك وكتب لهم العهد.

فعلم الإخشيذية بذلك فتأهبوا لقتال جوهر المذكور فجاءتهم من عند جوهر الكتب والعهود بالأمان فاختلفت كلمتهم ثم اجتمعوا على قتاله وأمروا عليهم ابن الشويزاني وتوجهوا لقتاله نحو الجيزة وحفظوا الجسور فوصل جوهر إلى الجيزة ووقع بينهم القتال في حادي عشر شعبان ودام القتال بينهم مدة ثم سار جوهر إلى منية الصيادين وأخذ مخاضة منية شلقان ووصل إلى جوهر طائفة من العسكر في مراكب فقال جوهر للأمير جعفر بن فلاح: لهذا اليوم أرادك المعز لدين الله! فعبر عريانًا في سراويل وهو في مركب ومعه الرجال خوضًا والتقى مع المصريين ووقع القتال بينهم وثبت كل من الفريقين فقتل كثير من الإخشيذية وانهزم الباقون بعد قتال شديد.

ثم أرسلوا يطلبون الأمان من جوهر فأمنهم وحضر رسوله ومعه بند وطاف بالأمان ومنع من النهب فسكن الناس وفتحت الأسواق ودخل جوهر من الغد إلى مصر في طبوله وبنوده وعليه ثوب ديباج مذهب ونزل بالمناخ وهو موضع القاهرة اليوم واختطها وحفر أساس القصر في الليلة وبات المصريون في أمن فلما أصبحوا حضروا لهنائه فوجدوه قد حفر أساس القصر في الليل وكان فيه زورات غير معتدلة فلما شاهد ذلك جوهر لم يعجبه ثم قال: قد حفر في ليلة مباركة وساعة سعيدة فلا أغيره ثم تركه.

ثم كتب جوهر إلى مولاه المعز يبشره بالفتح وبعث إليه برؤوس القتلى وقطع خطبة بني العباس ولبس السواد ولبس الخطباء البياض وأمر أن يقال في الخطبة: اللهم صل على محمد المصطفى وعلى علي المرتضى وعلى فاطمة البتول وعلى الحسن والحسين سبطي الرسول الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا.

وصل على الأئمة الطاهرين آباء أمير المؤمنين المعز لدين الله.

ففعل ذلك وانقطعت دعوة بني العباس في هذه السنة من مصر والحجاز واليمن والشام.

ولم تزل الدعوة لبني عبيد في هذه الأقطار من هذه السنة إلى سنة خمس وستين وخمسمائة مائتي سنة وثماني سنين على ما يأتي ذكره في خلافة المستضيء العباسي.

وكان الخليفة في هذه الأيام عند انقطاع خطبة بني العباس من مصر المطيع لله الفضل.

ومات المطيع ومن بعده سبعة خلفاء من بني العباس ببغداد حتى انقرضت دولة بني عبيد من مصر على يد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب والخليفة يوم ذاك المستضيء العباسي على ما يأتي ذلك في محله إن شاء الله تعالى.

ثم في شهر ربيع الآخر سنة تسع وخمسين وثلاثمائة أذنوا بمصر بحي على خير العمل.

واستمر ذلك.

ثم شرع جوهر في بناء جامعه بالقاهرة المعروف بجامع الأزهر وهو أول جامع بنته الرافضة بمصر وفرغ من بنائه في شهر رمضان سنة إحدى وستين وثلاثمائة بعد أن كان ابتنى القاهرة كما سيأتي ذكر بنائها في هذه الترجمة أيضًا.

ولما ملك جوهر مصر كان الحسن بن عبيد الله بن الإخشيذ المقدم ذكره بالشام وهو بيده إلى الرملة فبعث إليه جوهر بالقائد جعفر بن فلاح المقدم ذكره أيضًا فقاتل ابن فلاح حسنًا المذكور بالرملة حتى ظفر به وبعث به إلى مصر حسب ما تقدم ذكره وبعثه القائد جوهر إلى المغرب فكان ذلك آخر العهد به.

ثم سار جعفر بن فلاح إلى دمشق وملكها بعد أمور وخطب بها للمعز في المحرم سنة تسع وخمسين وثلاثمائة.

ثم عاد ابن فلاح إلى الرملة فقام الشريف أبو القاسم إسماعيل بن أبي يعلى بدمشق وقام معه العوام ولبس السواد ودعا للمطيع وأخرج إقبالًا أمير دمشق الذي كان من قبل جوهر القائد فعاد جعفر بن فلاح إلى دمشق في ذي الحجة ونازلها فقاتله أهلها فطاولهم حتى ظفر بهم وهرب الشريف أبو القاسم إلى بغداد على البرية.

فقال ابن فلاح: من أتى به فله مائة ألف درهم فلقيه ابن غلبان العدوي في البرية فقبض عليه وجاء به إلى ابن فلاح فشهره على جمل وعلى رأسه قلنسوة من لبود وفي لحيته ريش مغروز ومن ورائه رجل من المغاربة يوقع به ثم حبسه ثم طلبه ابن فلاح ليلًا وقال له: ما حملك على ما صنعت وسأله من ندبه إلى ذلك فقال: ما حدثني به أحد إنما هو أمر قدر فرق له جعفر بن فلاح ووعده أنه يكاتب فيه القائد جوهرًا واسترجع المائة ألف درهم من الذين أتوا به وقال لهم: لا جزاكم الله خيرًا غدرتم بالرجل.

وكان ابن فلاح يحب العلويين فأحسن إليه وأكرمه.

واستمر جوهر حاكم الديار المصرية إلى أن قدم إليها مولاه المعز لدين الله معد في يوم الجمعة ثامن شهر رمضان سنة اثنتين وستين وثلاثمائة فصرف جوهر عن الديار المصرية بأستاذه المعز وصار من عظماء القواد في دولة المعز وغيره.

ولا زال جوهر على ذلك إلى أن مات في سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة ورثاه الشعراء.

وكان جوهر حسن السيرة في الرعية عادلًا عاقلًا شجاعًا مدبرًا.

قال ابن خلكان رضي الله عنه: توفي يوم الخميس لعشر بقين من ذي القعدة سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة.

وكان ولده الحسين بن جوهر قائد القواد للحاكم صاحب مصر ثم نقم عليه فقتله في سنة إحدى وأربعمائة وكان الحسين قد خاف على نفسه من الحاكم فهرب هو وولده وصهره القاضي عبد العزيز بن محمد بن النعمان وكان زوج أخته فأرسل الحاكم من ردهم وطيب قلوبهم وآنسهم مدة.

ثم حضروا إلى القصر بالقاهرة للخدمة فتقدم الحاكم إلى راشد وكان سيف النقمة فاستصحب عشرة من الغلمان الأتراك فقتلوا الحسين بن جوهر وصهره القاضي وأحضروا رأسيهما إلى بين يدي الحاكم.

وقد ذكرنا الحسين هنا حتى يعرف بذكره أن جوهرًا المذكور فحل غير خصي بخلاف الخادم بهاء الدين قراقوش والأستاذ كافور الإخشيذي والخادم ريدان وغيرهم.

بناء جوهر القائد القاهرة وحاراتها

قال القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر في كتابه الروضة البهية الزاهرة في الخطط المعزية القاهرة قال: اختط جوهر القصر وحفر أساسه في أول ليلة نزوله القاهرة وأدخل فيه دير العظام وهو المكان المعروف الآن بالركن المخلق قبالة حوض جامع الأقمر قريب من بئر العظام والمصريون يسمونها بئر العظمة ويزعمون أن طاسة وقعت من شخص في بئر زمزم وعليها اسمه فطلعت من هذه البئر.

ونقل جوهر القائد العظام التي كانت في الدير المذكور والرمم إلى دير في الخندق فدفنها لأنه يقال: إنها عظام جماعة من الحواريين وبنى مكانها مسجدًا من داخل السور وأدخل أيضًا قصر الشوك في القصر المذكور وكان منزلًا تنزله بنو عذرة وجعل للقصر أبوابًا: أحدها باب العيد وإليه تنسب رحبة باب العيد وإلى جانبه باب يعرف بباب الزمرد وباب آخر قبالة دار الحديث يعني المدرسة الكاملية وباب آخر قبالة القطبية وهي البيمارستان الآن يعرف الباب المذكور بباب الذهب وباب الزهومة وباب آخر من ناحية قصر الشوك وباب آخر من عند مشهد الحسين ويعرف بباب التربة وباب آخر يعرف بباب الديلم وهو باب مشهد الحسين الآن قبالة دار الفطرة.

قال: وأما أبواب القاهرة التي استقر عليها الحال الآن فيأتي ذكرها.

قال أي ابن عبد الظاهر: وإن حد القاهرة من مصر من السبع سقايات إلى تلك الناحية عرضًا.

قال: ولما نزل جوهر القائد اخطت كل قبيلة خطة عرفت بها فزويلة بنت البابين المعروفين ببابي زويلة وهما البابان اللذان عند مسجد ابن البناء وعند الحجارين وهما بابا القاهرة.

ومسجد ابن البناء المذكور بناه الحاكم.

وذكر ابن القفطي أن المعز لما وصل مصر دخل إلى القاهرة من الباب الأيمن فالناس إلى اليوم يزدحمون فيه وقليل من يدخل من الباب الأيسر لأنه أشيع في الناس أن من دخله لم تقض له حاجة وهو الذي عند دكاكين الحجارين والذي يتوصل منه إلى المحمودية.

قلت: وقد دثر رسوم هذا الباب الثاني المذكور وهو كان يمر منه الآن من باب سر الجامع المؤيدي إلى الأناطيين.

قال: والباب الآخر من أبواب القاهرة القوس الذي هو قريب من باب النصر الذي يخرج منه إلى الرحبة وهو عند باب سعيد السعداء ودكاكين العطارين الآن.

وباب آخر يعرف بالقوس أيضًا وهو الذي يخرج منه إلى السوق الذي هو قريب من حارة بهاء الدين قراقوش على يسرة باب الجامع الحاكمي من ناحية الحوض وتعرف قديمًا بالريحانية.

وكل هذه الأبواب والسور كانت باللبن.

وأما باب زويلة الآن وباب النصر وباب الفتوح فبناها الوزير الأفضل بن أمير الجويش وكتب على باب زويلة تاريخه واسمه وذلك في سنة ثمانين وأربعمائة.

وقالت المهندسون: إن في باب زويلة عيبًا لكونه ليست له باشورة قدامه ولا خلفه على عادة الأبواب.

وأما باب القنطرة فبناه القائد جوهر المذكور.

وأما السور الحجر الذي على القاهرة ومصر والأبواب التي به فبناها الطواشي بهاء الدين قراقوش الرومي في أيام أستاذه السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب في سنة سبعين وخمسمائة فبنى فيه قلعة المقس وهو البرج الكبير الذي كان على النيل.

قلت: وقد نسف هذا البرج من تلك الأماكن في سنة سبعين وستمائة.

يأتي ذكر ذلك في ترجمة الملك المنصور قلاوون إن شاء الله تعالى من هذا الكتاب.

قال: وبنى باب الجامع والقلعة التي بالجبل والبرج الذي بمصر قريبًا من باب القنطرة المسمى بقلعة يازكوج وجعل السور طائفًا بمصر والقاهرة ولم يتم بناؤه إلى الآن وأعانه على عمله وحفر البئر التي بقلعة الجبل أسارى الفرنج وكانوا ألوفًا.

وهذه البئر من عجائب الأبنية تدور البقر من أعلاها وتنقل الماء من نقالة في وسطها وتدور أبقار في وسطها تنقل الماء من أسفلها ولها طريق إلى الماء تنزل البقر إلى معينها في مجازة وجميع ذلك حجر منحوت ليس فيه بناء وقيل: إن أرض هذه البئر مسامتة لأرض بركة الفيل وماؤها عذب.

سمعت من يحكي عن المشايخ أنها لما حفرت جاء ماؤها حلوًا فأراد قراقوش الزيادة في مائها فوسعها فخرجت منها عين مالحة غيرت حلاوتها.

وطول هذا السور الذي بناه قراقوش على القاهرة ومصر والقلعة بما فيه من ساحل البحر تسعة وعشرون ألف ذراع وثلاثمائة ذراع وذراعان بذراع العمل وهو الذراع الهاشمي من ذلك ما بين قلعة المقسم على شاطىء النيل والبرج بالكوم الأحمر بساحل مصر عشرة آلاف وخمسمائة ذراع.

ومن قلعة المقسم إلى حائط القلعة بالجبل بمسجد سعد الدولة ثمانية آلاف وثلاثمائة واثنتان وتسعون ذراعًا.

ومن جانب حائط القلعة من جانب مسجد سعد الدولة إلى البرج بالكوم الأحمر سبعة آلاف ومائتا ذراع.

ودائر القلعة بالجبل بمسجد سعد الدولة ثلاثة آلاف ومائتان وعشر أذرع وذلك طول قوسه في ابتدائه وأبراجه من النيل إلى النيل على التحقيق والتعديل.

انتهى كلام ابن عبد الظاهر.

على أنه لم يسلم من الاعتراض عليه في كثير مما نقله وأيضًا مما سكت عنه.

وقال غيره: دخل جوهر القائد مصر بعسكر عظيم ومعه ألف حمل مال ومن السلاح والعدد والخيل ما لا يوصف.

فلفا انتظم حاله وملك مصر ضاقت بالجند والرعية واختط سور القاهرة وبنى بها القصور وسماها المنصورية وذلك في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة.

فلما قدم المعز العبيدي من القيروان غير اسمها وسماها القاهرة.

والسبب في ذلك أن جوهرًا لما قصد إقامة السور وبناء القاهرة جمع المنجمين وأمرهم أن يختاروا طالعًا لحفر الأساس وطالعًا لرمي حجارته فجعلوا بدائر السور قوائم من خشب وبين القائمة والقائمة حبل فيه أجراس وأفهموا البنائين ساعه تحريك الأجراس أن يرموا ما في أيديهم من اللبن والحجارة ووقف المنجمون لتحرير هذه الساعة وأخذ الطالع فاتفق وقوف غراب على خشبة من تلك الخشب فتحركت الأجراس وظن الموكلون بالبناء أن المنجمين حركوها فألقوا ما بأيديهم من الطين والحجارة في الأساس فصاح المنجمون: لا لا القاهر في الطالع! ومضى ذلك وفاتهم ما قصدوه.

وكان غرض جوهر أن يختاروا للبناء طالعًا لا يخرج البلد عن نسلهم أبدًا فوقع أن المريخ كان في الطالع وهو يسمى عند المنجمين القاهر فحكموا لذلك أن القاهرة لا تزال تحت حكم الأتراك وأنهم لا بد أن يملكوا هذه البلد.

فلما قدم المعز إليها وأخبر بهذه القصة وكان له خبرة بالنجامة وافقهم على ذلك وأن الترك تكون لهم الغلبة على هذا البلد فغير اسمها وسماها القاهرة.

وقيل فيها وجه آخر وهو أن بقصور القاهرة قبة تسمى القاهرة فسميت على أسمها.

والقول الأول هو المتواتر بين الناس والأقوى.

وقيل غير ذلك.

ثم بنيت حارات القاهرة من يومئذ فعمر فيها: حارة الروم: وهما حارتان حارة الروم الآن المشهورة وحارة الروم الجوانية وهي التي بقرب باب النصر على يسار الداخل إلى القاهرة ثم استثقل الناس قول حارة الروم الجوانية فحذفوا صدر الكلمة وقالوا الجوانية والوراقون يكتبون حارة الروم السفلى وحارة الروم العليا المعروفة بالجوانية.

وقال القاضي زين الدين: إن الجوانية منسوبة للأشراف الجوانيين منهم الشريف النسابة الجواني.

وحارة الديلم هي منسوبة إلى الديلم الواصلين صحبة أفتكين المعزي غلام معز الدولة بن بويه حين قدم إلى القاهرة أولاد مولاه معز الدولة.

وفندق مسرور منسوب لمسرور خادم من خدام القصر في الدولة العبيدية.

وخليج القاهرة حفره أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ويعرف بخليج أمير المؤمنين وكان حفره عام الرمادة وهي سنة ست عشرة من الهجرة فساقه إلى بحر

القلزم فلم يأت عليه الحول حتى جرت فيه السفن وحمل فيها الزاد والأقوات إلى مكة والمدينة وانتفع بذلك أهل الحجاز.

وقال الكندي: كان حفره في سنة ثلاث وعشرين وفرغ منه في ستة أشهر وجرت فيه السفن ووصلت إلى الحجاز في الشهر السابع ثم بنى عليه عبد العزيز بن مروان قنطرة وكتب عليها أسمه وقام ببنائها سعيد أبو عثمان ذكره القضاعي صاحب الخطط.

قال: ثم دثرت ثم أعيدت ثم عمرت في أيام العزيز بالله وليس لها أثر في هذا الزمان.

وإنما بنى السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب قنطرة السد الآن التي عليها بستان الخشاب.

وكان يخرج الماء من البحر بالمقس من البرانج فوسعه الملك الكامل محمد ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب وجعله خليجًا وهو خليج الذكر.

وأول من رتب حفر الخليج على الناس الوزير المأمون بن البطائحي صاحب الجامع الأقمر بالقاهرة وكذلك جعل على أصحاب البساتين وجعل عليه واليًا بمفرده وهو أول من رتب السقائين عند معونة المأمون هذا وكذلك القرابة والفعلة.

الحسينية هي منسوبة لجماعة الأشراف الحسينيين كانوا في أيام الملك الكامل محمد بن العادل قدموا من الحجاز فنزلوا بها واستوطنوها وبنوا بها المدابغ وصنعوا فيها الأديم المشبه بالطائفي ثم سكنها الأجناد بعد ذلك وكانت برسم الريحانية الغزاوية والمولدة والعجمان وعبيد الشراء وكانت ثماني حارات: حارة حامد والمنشية الكبرى والمنشية الصغرى والحارة الكبيرة والحارة الوسطى كانت هي لعبيد الشراء والوزيرية كانت كلها سكن الأرمن فارسهم وراجلهم.

بناه الخادم الأستاذ الخصي بهاء الدين قراقوش الذي بنى السور وأرصده لأبناء السبيل.

اللؤلؤة عند باب القنطرة بناها الظاهر لإعزاز دين الله الخليفة العبيدي وكانت نزهة الخلفاء الفاطميين وبها كانت قصورهم.

ويأتي ذكر شيء من ذلك في تراجمهم إن شاء الله تعالى.

حارة الباطلية كان المعز لدين الله العبيدي لما قسم العطاء في الناس جاءت إليه طائفة فسألت العطاء فقيل: فرغ المال فقالوا: رحنا نحن في الباطل فسموا الباطلية فعرفت الحارة بهم.

حارة كتامة هي قبيلة معروفة عرفت بهم.

البرقية هذه الحارة نزل فيها جماعة من أهل برقة واستوطنوها فعرفت بهم.

وكانوا جماعة كبيرة حضروا صحبة المعز لدين الله لما قدم من بلاد المغرب.

خزانة البنود دار القطبية هي دار ست الملك بنت العزيز لدين الله نزار وأخت الحاكم بأمر الله منصور.

يأتي ذكرها في ترجمة أخيها الحاكم.

وسكن هذه الدار في دولة الأيوبية مؤنسة ثم الأمير فخر الدين جهاركس صاحب القيسارية بالقاهرة ثم سكنها الملك الأفضل قطب الدين واستمرت ذريته بها حتى أخرجهم الملك المنصور قلاوون منها وبناها بيمارستانه المعروف في القاهرة بين القصرين.

ولسكن قطب الدين الأفضل هذا سميت القطبية والأفضل المذكور من بني أيوب.

حارة الخرنشف كانت قديمًا ميدانًا للخلفاء فلما تسلطن المعز أيبك التركماني بنوا به إصطبلات وكذلك القصر الغربي وكانت النساء اللاتي أخرجن منه سكن بالقصر النافعي فامتدت الأيدي إلى طوبه وأخشابه وحجارته فتلاشى حاله وتهدم وتشعث فسمي بالخرنشف لهذا المقتضى وإلا فكان هذا الميدان من محاسن الدنيا.

حارة الكافوري هذه الحارة كانت بستانًا للأستاذ الملك كافور الإخشيذي صاحب مصر ثم من بعده صار للخلفاء المصريين ثم هدم البستان في الدولة المعزية أيبك لما خرب الميدان والقصور وبني أيضًا إصطبلات ودورًا ومساكن.

حارة برجوان منسوبة إلى الخادم برجوان.

كان برجوان من جملة خدام القصر في أيام العزيز بالله نزار العبيدي الفاطمي ثم كان برجوان هذا مدبر مملكة الحاكم بأمر الله.

حارة بهاء الدين منسوبة إلى الأستاذ بهاء الدين قراقوش الصلاحي الخادم الخصي الذي بنى السور وقلعة الجبل.

وقد تقدم ذكر ذلك كله.

قيسارية أمير الجيوش المعروفة الآن بسوق مرجوش.

وأولها من باب حارة بهاء الدين قراقوش إلى قريب من الجامع الحاكمي بناها أمير الجيوش الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالي الذي كان إليه تدبير الملك والوزارة في دولة الخليفة المستنصر معد العبيدي.

وذكر ابن أبي منصور في كتابه المسمى أساس السياسة أنه كان في موضعها دار تعرف بدار القباني ودور قوم يعرفون ببني هريسة.

وهو خادم عرف به.

وهو خلف إصطبل الطارمة.

الرميلة تحت قلعة الجبل كانت ميدان أحمد بن طولون وبها كانت قصوره وبساتينه.

درب ملوخية هو منسوب لأمير اسمه ملوخية كان صاحب ركاب الخليفة الحاكم بأمر الله العبيدي وكان يعرف أيضًا بملوخية الفراش.

العطوف: منسوبة إلى الخادم عطوف أحد خدام القصر في دولة الفاطمية.

وكان أصله من خدام أم ست الملك بنت العزيز بالله أخت الحاكم المقدم ذكرها.

رحبة باب العيد كان الخليفة لا يركب يوم العيد إلا من باب القصر الذي من هذه الناحية خاصة.

ويأتي ذكر ذلك كله في ترجمة المعز لدين الله العبيدي.

خانقاه السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب: وهي دار سعيد السعداء خادم الخليفة المستنصر معد العبيدي أحد خلفاء مصر ثم صارت في آخر الوقت سكن الوزير طلائع بن رزيك وولده رزيك بن طلائع.

وكان طلائع يلقب في أيام وزارته بالملك الصالح وهو صاحب جامع الصالح خارج بأبي زويلة.

ولما سكنها طلائع المذكور فتح لها من دار الوزارة أعني التي هي الآن خانقاه بيبرس الجاشنكير سردابًا تحت الأرض وجمع بين دار سعيد السعداء ودار الوزارة في السكن لكثرة حشمه وصار يمشي في السرداب من الدار الواحدة إلى الأخرى.

الحجر وهي قريبة من باب النصر قديمًا على يمين الخارج من القاهرة وكان يأوي فيها جماعة من الشباب يسمون صبيان الحجر يكونون في جهات متعددة.

الوزيرية منسوبة إلى الوزير أبي الفرج يعقوب بن كلس وزير العزيز بالله نزار العبيدي وكان الوزير هذا يهودي الأصل ثم إنه أسلم وتنقل في الخدم إلى أن ولي الوزارة.

الجودرية منسوبة إلى جماعة يعرفون بالجودرية اختطوها وكانوا أربعمائة رجل.

منسوبون إلى جودر خادم المهدي.

سوق السراجين استجد في أيام المعز أيبك التركماني سنة ثلاث وخمسين وستمائة.

سقيفة العداسين هي الآن معروفة بالأساكفة وبالبندقانيين وكانت تلك الناحية كلها تعرف بسقيفة العداسين.

حارة الأمراء هي درب شمس الدولة.

العدوية هي من أول باب الخشيبة إلى أول حارة زويلة.

درب الصقالبة هو درب من جملة حارة زويلة.

حارة زويلة باب الزهومة كان بابًا من أبواب القصر أعني قصر القاهرة.

الصاغة بالقاهرة كانت مطبخًا للقصر يخرج إليه من باب الزهومة.

درب السلسلة: هو الملاصق للسيوفيين.

دار الضرب: بنيت في أيام الوزير المأمون بن البطائحي المقدم ذكره وهي بالقشاشين قبالة البيمارستان المنصوري.

الصالحية: هي منسوبة للوزير الملك الصالح طلائع بن رزيك المقدم ذكره لأن غلمانه أعني مماليكه كانوا ينزلون بها.

المقس: قال القضاعي: كانت ضيعة تعرف بأم دنين وإنما سميت المقس لأن العشار وهو المكاس كان فيها يستخرج الأموال فقيل له المكس ثم قيل المقس.

المسجد المعلق: كان هناك مساجد ثلاثة معلقة بناها الحاكم بأمر الله في أيام خلافته.

وأما هذه المباني التي هي الآن خارج القاهرة فكلها تجددت في الدولة التركية ومعظمها في دولة الملك الناصر محمد بن قلاوون ومن بعده من سد مصر إلى باب زويلة طولًا وعرضًا.

يأتي ذكر ذلك كله إن شاء الله تعالى في تراجم من جدد الكورة والقناطر والجوامع والمدارس وغيرهم من السلاطين والملوك كل واحد على حدته بحسب ما يقتضيه الحال.

ترجمة القائد جوهر وما يتعلق به من بنيان القاهرة وغيرها قد تقدم الكلام أن جوهرًا القائد هذا غير خصي وولده القائد الحسين بن جوهر كان من كبار قواد الحاكم بأمر الله وجوهر هذا هو صاحب الجامع الأزهر.

وقد تقدم ذكر ذلك كله غير أننا ذكرناه هنا ثانيًا تنبيهًا لمن نظر في ترجمة جوهر القائد المذكور لئلا يلتبس عليه بشيء آخر.

السنة الأولى من ولاية جوهر وهي سنة تسع وخمسين وثلاثمائة.

فيها أقامت الرافضة المأتم على الحسين بن علي ببغداد في يوم عاشوراء على عادتهم وفعلهم القبيح في كل سنة.

وفيها ورد الخبر في المحرم بأن تقفور ملك الروم خرج بالروم إلى جهة أنطاكية ونازلها وأحاط بها وقاتل أهلها حتى ملكها بالأمان ثم أخرج أهلها منها وأطلق العجائز والشيوخ والأطفال وقال لهم: امضوا حيث شئتم ثم أخذ الشباب والصبيان والغلمان سبيًا فكانوا أكثر من عشرين ألفًا.

وكان تقفور المذكور قد طغى وتجبر وقهر العباد وملك البلاد وعظمت هيبته في قلوب الناس واشتغل عنه الملوك بأضدادهم فاستفحل أمر تقفور بذلك.

ثم تزوج تقفور المذكور بامرأة الملك الذي كان قبله على كره منها وكان لها ولدان فأراد تقفور أن يخصيهما ويهديهما للبيعة ليستريح منهما لئلا يملكا الروم في أيامه أو بعده فعلمت زوجته أمهما بذلك فأرسلت إلى الدمستق ليأتي إليها في زي النساء ومعه جماعة في زي النساء فجاؤوا وباتوا عندها ليلة الميلاد فوثبوا عليه وقتلوه وأجلس في الملك بعده ولدها الأكبر وتم لها ما أرادت.

ولله الحمد على موت هذا الطاغية.

وفيها في ذي الحجة انقض بالعراق كوكب عظيم أضاءت منه الدنيا حتى صار كأنه شعاع وفيها حج بالناس من العراق الشريف النقيب أبو أحمد الموسوي والد الرضي والمرتضى والثلاثة رافضة وهم محط رحال الشيعة في زمانهم.

وفيها توفي الأمير صالح بن عمير العقيلي أمير دمشق ولي إمرة دمشق خلافة عن الحسن بن عبيد الله بن طغج ابن أخي الإخشيذ في دولة أحمد بن علي بن الإخشيذ في سنة سبع وخمسين وثلاثمائة ووقع له في ولايته على دمشق أمور وحروب.

ولما انهزم الأستاذ فاتك الكافور من القرمطي وغلب القرمطي على الشام خرج منها صالح هذا وغاب عنها مدة أيام ثم عاد إليها بعد خروج القرمطي منها ودام بها وأصلح أمورها فلم تطل مدته ومات بعد مدة يسيرة.

وكان شجاعًا جوادًا مقدامًا.

وهو آخر من ولي دمشق من قبل الإخشيذ محمد وبنيه.

وفيها توفي الأمير أبو شجاع فاتك الإخشيذي الخازن ولي إمرة دمشق أيضًا قبل تاريخه من قبل أنوجور الإخشيذي وكان شجاعًا مقدامًا جوادًا وولي عدة بلاد وطالت أيامه في السعد.

وهو غير فاتك المجنون الذي مدحه المتنبي ورثاه لأن فاتكًا المذكور كان بمصر في دولة خشداشه كافور الإخشيذي ووفاة هذا كانت بدمشق.

وفيها هلك تقفور طاغية الروم: لم يكن أصله من أولاد ملوك الروم بل قيل إنه كان ولد رجل مسلم من أهل طرسوس يعرف بابن الفقاس فتنصر وغلب على الملك وكان شجاعًا مدبرًا سيوسًا لم ير مثله من عهد إسكندر ذي القرنين وهو الذي افتتح حلب وأخذها من سيف الدولة بن حمدان ولم يأخذ حلب أحد قبله من ملوك الروم فعظم بذلك في أعين ملوك الروم وملكوه عليهم إلى أن قتل.

وقد تقدم قتله في حوادث هذه السنة.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي أحمد بن بندار بن إسحاق الشعار وأبو بكر أحمد بن يوسف بن خلاد في صفر وأبو القاسم حبيب بن الحسن القزاز ومحمد بن أحمد بن الحسن أبو علي الصواف ومحمد بن علي بن حبيش الناقد.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمس أذرع وسبع عشرة إصبعًا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا وتسع عشرة إصبعًا.

السنة الثانية من ولاية جوهر الرومي المعزي القائد على مصر وهي سنة ستين وثلاثمائة: فيها عمل الرافضة المأتم ببغداد في يوم عاشوراء على العادة في كل سنة من النوح واللطم والبكاء وتعليق المسوح وغلق الأسواق وعملوا العيد والفرح يوم الغدير وهو ثامن عشر ذي الحجة.

وفيها في أول المحرم لحق الخليفة المطيع لله سكتة آل الأمر فيها إلى استرخاء جانبه الأيمن وثقل لسانه.

وفيها في صفر أعلن المؤذنون بدمشق: بحي على خير العمل بأمر القائد جعفر بن فلاح نائب دمشق للمعز لدين الله العبيدي ولم يجسر أحد على مخالفته ثم في جمادى الآخرة أمرهم ابن فلاح المذكور بذلك في الإقامة فتألم الناس لذلك فهلك ابن فلاح في عامه.

وفيها في شهر ربيع الأول وقع الصلح بين أبي المعالي ابن سيف الدولة ابن حمدان وبين قرعويه وكان بينهما حروب منذ مات سيف الدولة إلى اليوم فأقاما الخطبة بحلب للمعز لدين الله العبيدي وأرسل إليهما جوهر القائد من مصر بالأموال والخلع.

وفيها سار أبو محمد الحسن بن أحمد القرمطي إلى الشام في قبائل العرب وحاصر دمشق فخرج إليه من مصر القائد جعفر بن فلاح بعساكره من المغاربة واقتتلوا أيامًا إلى أن حمل القرمطي بنفسه على جعفر بن فلاح فقتله وقتل عامة عسكره وملك دمشق وولى عليها ظالم بن موهوب العقيلي ثم عاد القرمطي إلى بلاد هجر فلم يثبت ظالم بعده بدمشق وخرج منها بعد وفيها حج بالناس النقيب الشريف أبو أحمد الموسوي من بغداد.

وفيها توفي الأمير جعفر بن فلاح أحد قواد المعز لدين الله العبيدي كان مقدم عساكر القائد جوهر وبعثه جوهر إلى دمشق لمحاربة الحسن بن عبيد الله بن طغج فحاربه وأسره ومهد البلاد وولي دمشق وأصلح أمورها إلى أن قدم عليه القرمطي وحاربه وظفر به وقتله.

وهو أول أمير ولي إمرة دمشق لبني عبيد المغربي.

والعجب أن القرمطي لما قتله بكى عليه ورثاه لأنهما يجمع التشيع بينهما وإن كانا عدوين.

وكان جعفر بن فلاح المذكور أديبًا شاعرًا فصيحًا.

كتب مرة إلى الوزير يعقوب يقول له: ولي صديق ما مسني عدم مذ نظرت عينه إلى عدمي أعطى وأقنى ولم يكلفني تقبيل كف له ولا قدم وفيها توفي سليمان بن أحمد بن أيوب الحافظ أبو القاسم الطبراني اللخمي.

ولخم: قبيلة من العرب قدموا من اليمن إلى بيت المقدس ونزلوا بالمكان الذي ولد فيه عيسى عليه السلام وبينه وبين بيت المقدس فرسخان والعامة تسميه بيت لحم بالحاء المهملة وصوابه بيت لخم بالخاء المعجمة.

وكان مولده بعكا في سنة ستين ومائتين وهو أحد الحفاظ المكثرين الرحالين سمع الكثير وصنف المصنفات الحسان منها المعجم الكبير في أسامي الصحابة والمعجم الأوسط في غرائب شيوخه والمعجم الأصغر في أسامي شيوخه وكتاب الدعاء و كتاب عشرة النساء وكتاب حديث الشاميين وكتاب المناسك وكتاب الأوائل وكتاب السنة وكتاب النوادر ومسند أبي هريرة وكتاب التفسير و كتاب دلائل النبوة وغير ذلك.

ومات في ذي القعدة.

وذكر الحافظ سليمان بن إبراهيم الأصبهاني أن أبا أحمد العسال قاضي أصبهان قال: أنا سمعت من الطبراني عشرين ألف حديث وسمع منه إبراهيم بن محمد بن حمزة ثلاثين ألفًا وسمع منه أبو الشيخ أربعين ألفًا.

وفيها توفي محمد بن الحسين بن عبد الله الحافظ أبو بكر الآجري البغدادي كان محدثًا دينًا صالحًا ورعًا مصنفًا صنف كتاب العزلة وغيره.

ومات في هذه السنة.

وفيها توفي محمد بن أبي عبد الله الحسين بن محمد الكاتب أبو الفضل المعروف بابن العميد هو كان لقب والده كان فيه فضل وأدب وترسل وزر لركن الدولة الحسن بن بويه بعد موت أبيه.

ومن بعض أصحاب أبيه الصاحب بن عباد.

قال الثعالبي في كتابه اليتيمة: وكان يقال: بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد.

وكان الصاحب بن عباد قد سافر إلى بغداد فلما عاد إليه قال له ابن العميد: كيف وجدتها قال: بغداد في البلاد كالأستاذ في العباد.

وكان ابن العميد سيوسًا مدبرًا قائمًا بحقوق المملكة وقصده الشعراء من الآفاق ومدحه المتنبي وابن آخ الرجال من الأبا - - عد والأقارب لا تقارب إن الأقارب كالعقا - - رب بل أضر من العقارب وقيل: إن الصاحب بن عباد اجتاز بدار ابن العميد بعد وفاته فلم ير هناك أحدًا بعد أن كان الدهليز يغص من زحام الناس فقال: أيها الربع لم علاك اكتئاب أين ذاك الحجاب والحجاب أين من كان يفزع الدهر منه فهو اليوم في التراب تراب وقال علي بن سليمان: رأيت بالري دار قوم لم يبق منها سوى بابها يعني دار ابن العميد وعليها مكتوب: اعجب لصرف الدهور معتبرًا فهذه الدار من عجائبها عهدي بها بالملوك زاهية قد سطع النور في جوانبها تبدلت وحشة بساكنها ما أوحش الدار بعد صاحبها وكان ابن العميد قبل أن يقتل بمدة قد لهج بإنشاد هذين البيتين وهما: دخل الدنيا أناس قبلنا رحلوا عنها وخلوها لنا ونزلناها كما قد نزلوا ونخليها لقوم بعدنا الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي جعفر بن فلاح أول من حكم على الشام لبني عبيد قتله أبو علي القرمطي وسليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني في ذي القعدة وله مائة سنة وعشرة أشهر وأبو علي عيسى بن محمد الطوماري وأبو بكر محمد بن جعفر بن محمد بن الهيثم الأنباري وأبو عمرو محمد بن جعفر بن محمد بن مطر النيسابوري وأبو الفضل محمد بن الحسين بن العميد وزير ركن الدولة بن بويه وأبو بكر محمد بن الحسين الآجري في المحرم.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمس أذرع سواء.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وإحدى وعشرون إصبعًا.

السنة الثالثة من ولاية جوهر القائد

وهي سنة إحدى وستين وثلاثمائة.

فيها عملت الرافضة مأتم الحسين بن علي رضي الله عنهما ببغداد على العادة في يوم عاشوراء.

وفيها عاد الهجري كبير القرامطة من الموصل إلى الشام وانصرفت المغاربة أعني عسكر وفيها وقع الصلح بين منصور بن نوح الساماني صاحب خراسان وبين ركن الدولة الحسن بن بويه وبين ولده عضد الدولة بن ركن الدولة المذكور بأن يحمل ركن الدولة إلى منصور بن نوح الساماني في كل سنة مائة ألف دينار ويحمل ابنه عضد الدولة خمسين ألف دينار.

وفيها اعترض بنو هلال الحاج البصري والخراساني ونهبوهم وقتلوا منهم خلقًا ولم يسلم منهم إلا من مضى مع الشريف أبي أحمد الموسوي أمير الحاج فإنه مضى بهم على طريق المدينة فحج وعاد.

وفيها توفي سعيد بن أبي سعيد أبو القاسم الجنابي القرمطي الهجري عليه وعلى أقاربه اللعنة والخزي.

ولم يبق من أولاد أبي سعيد غيره وغير أخيه يوسف وقام بأمر القرامطة بعده مكانه أخوه يوسف المذكور.

وعقد القرامطة بعد يوسف لستة نفر من أولادهم على وجه الشركة بينهم لا يستبد أحد منهم بشيء دون الآخر.

قلت: وهذا يدل على قطع أثرهم واضمحلال أمرهم وزوال ملكهم إلى جهنم وبئس المصير فإنهم كانوا أشر خلق الله وأقبحهم سيرة وأظلمهم سطوة هذا مع الفسق وقلة الدين وسفك الدماء وانتهاك المحارم وقتل الأشراف وأخذ الحجاج ونهبهم والاستخفاف بأمر الشرع والسنة وهتك حرمة البيت العتيق واقتلاع الحجر الأسود منه حسب ما تقدم ذكر ذلك كله في حوادث السنين السابقة.

وقد طال أمرهم وقاسى المسلمون منهم شدائد وخرب في أيامهم ممالك وبلاد.

ألا لعنة الله على الظالمين.

وفيها توفي علي بن إسحاق بن خلف أبو القاسم الزاهي الشاعر البغدادي كان وصافًا محسنًا كثير الملح حسن الشعر في التشبيهات وكان قطانًا وكانت دكانه في قطيعة الربيع الحاجب.

ومن شعره وأجاد إلى الغاية من قصيدة: وبيض بألحاظ العيون كأنما هززن سيوفًا واستللن خناجرا تصدين لي يومًا بمنعرج اللوى فغادرن قلبي بالتصبر غادرا سفرن بدورًا وانتقبن أهلة وملن غصونًا والتفتن جآذرا وأطلعن في الأجياد بالدر أنجمًا جعلن لحبات القلوب ضرائرا هذا مثل قول المتنبي ومذهب الزاهي زها عليه.

وقول المتنبي: بدت قمرًا ومالت خوط بانٍ وفاحت عنبرًا ورنت غزالا وذكر الثعالبي لبعض شعراء عصره على هذا الأسلوب في وصف مغن: فديتك يا أتم الناس ظرفًا وأصلحهم لمتخذ حبيبا فوجهك نزهة الأبصار حسنًا وصوتك متعة الأسماع طيبا رنا ظبيًا وغنى عندليبًا ولاح شقائقًا ومشى قضيبا ومات الزاهي ببغداد.

ومن شعره أيضًا قوله: قم فهنىء عاشقين أصبحا مصطلحين جمعا بعد فراق فجعا منه ببين ثم عادا في سرور من صدود آمنين فهما روح ولكن ركبا في بدنين الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي الحسن بن الخضر الأسيوطي وخلف بن محمد بن إسماعيل ببخارى وعثمان بن عمر بن خفيف الدراج ومحمد بن الحارث بن أسد القيرواني أبو عبد الله الفقيه الحافظ.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربع أذرع وعشرون إصبعًا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا وأربع عشرة إصبعًا.

السنة الرابعة من ولاية جوهر القائد وهي سنة اثنتين وستين وثلاثمائة: فيها لم تعمل الرافضة المأتم ببغداد بسبب ما جرى على المسلمين من الروم وكان عز الدولة بختيار بن بويه بواسط والحاجب سبكتكين ببغداد وكان سبكتكين المذكور يميل إلى السنة فمنعهم من ذلك.

وفيها حشدت الروم وأخذوا نصيبين واستباحوا وقتلوا وسبوا وقدم بغداد من نجا منهم واستنفروا الناس في الجوامع وكسروا المنابر ومنعوا الخطيب وحاولوا الهجوم على

الخليفة المطيع لله واقتلعوا بعض شبابيك دار الخلافة حتى غلقت أبوابها ورماهم الغلمان بالنشاب من الرواشن وخاطبوا الخليفة بالتعنيف وبأنه عاجز عما أوجبه الله عليه من حماية حوزة الإسلام وأفحشوا القول.

ووافق ذلك غيبة السلطان عز الدولة بختيار بن معز الدولة أحمد بن بويه في الكوفة فخرج إليه أهل العقل والدين من بغداد وفيهم الإمام أبو بكر الرازي الفقيه وأبو الحسن علي بن عيسى النحوي وأبو القاسم الداركي وابن الدقاق الفقيه وشكوا إليه ما دهم الإسلام من هذه الحادثة العظمى فوعدهم عز الدولة بالغزو ونادى بالنفير في الناس فخرج من العوام خلق مثل عدد الرمل ثم جهز جيشًا وغزوا فهزموا الروم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وأسروا أميرهم وجماعة من بطارقته وأنفذت رؤوس القتلى إلى بغداد وفرح المسلمون بنصر الله تعالى.

وفيها في شهر رمضان دخل المعز لدين الله أبو تميم معد العبيدي إلى مصر بعد أن بنيت له القاهرة ومعه توابيت آبائه وكان قد مهد له ملك الديار المصرية مولاه جوهر القائد وبنى له القاهرة وأقام له بها دار الإمارة والقصر.

وفيها وزر ببغداد أبو طاهر بن بقية ولقب بالناصح وكان سمحًا كريمًا له راتب كل يوم من الثلج ألف رطل وراتبه من الشمع في كل شهر ألف من وكان أبو طاهر من صغار الكتاب يكتب على المطبخ لمعز الدولة فآل الأمر إلى الوزارة.

فقال الناس: من الغضارة إلى الوزارة! وكان كريمًا فغطى كرمه عيوبه.

وفيها زلزلت بلاد الشام وهدمت الحصون ووقع من أبراج أنطاكية عدة ومات تحت الردم خلق كثير.

وفيها حج بالناس النقيب أبو أحمد الموسوي.

وفيها ضاق الأمر على عز الدولة بختيار بن بويه فبعث إلى الخليفة وطلب إسعافه على قتال الروم فباع الخليفة المطيع ثيابه وأنقاض داره من ساج ورصاص وجمع من ذلك أربعمائة ألف درهم وبعث بها إليه.

وفيها توفي السري بن أحمد بن السري أبو الحسن الكندي الرفاء الشاعر المشهور كان في صباه يرفو ويطرز في دكان بالموصل ومع ذلك يتولع بالأدب وينظم الشعر ولم يزل على ذلك حتى جاد شعره ومهر فيه وقصد سيف الدولة ابن حمدان بحلب ومدحه وأقام عنده مدة ثم بعد وفاته قدم بغداد ومدح الوزير المهلبي وغيره.

وكان بينه وبين أبي بكر محمد وأبي عثمان سعيد ابني هاشم الخالديين الموصليين الشاعرين المشهورين معاداة فادعى عليهما سرقة شعره وشعر غيره.

وكان شاعرًا مطبوعًا عذب الألفاظ كثير الافتنان في التشبيهات والأوصاف وكان لا يحسن من العلوم شيئًا غير قول الشعر.

ومن شعره أبيات يذكر فيها صناعته: وكانت الإبرة فيما مضى صائنة وجهي وأشعاري فأصبح الرزق بها ضيقا كأنه من ثقبها جاري ومن محاسن شعره في المديح: يلقى الندى برقيق وجه مسفر فإذا التقى الجمعان عاد صفيقا رحب المنازل ما أقام فإن سرى في جحفل ترك الفضاء مضيقا ومن غرر شعره في النسيب قوله وهو في غاية الحسن: بنفسي من أجود له بنفسي ويبخل بالتحية والسلام وحتفي كامن في مقلتيه كمون الموت

في حد الحسام وفيها توفي محمد بن هانىء أبو القاسم وقيل: أبو الحسن الأزدي الأندلسي الشاعر المشهور قيل: إنه من ولد يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة وقيل: بل هو من ولد أخيه روح بن حاتم.

وكان أبوه هانىء من قرية من قرى المهدية بإفريقية.

وكان شاعرًا أديبًا كان ماهرًا في الأدب حافظًا لأشعار العرب وأخبارهم واتصل بصاحب إشبيلية وحظي عنده وكان كثير الانهماك في اللذات متهمًا بمذهب الفلاسفة ولما اشتهر عنه ذلك نقم عليه أهل إشبيلية واتهم الملك بمذهبه فأشار عليه الملك بالغيبة عن البلد مدة ينسى فيها خبره فانفصل وعمره يومئذ سبع وعشرون سنة.

وقصته طويلة إلى أن قتل ببرقة في عوده إلى المغرب من مصر بعد أن مدح المعز العبيدي بغرر المدائح.

وكان عوده إلى المغرب لأخذ عياله وعوده بهم إلى مصر.

وتأسف المعز عليه كثيرًا.

ومن شعره قصيدته النونية في مدح المعز لدين الله المذكور منها: بيض وما ضحك الصباح وإنها بالمسك من طرر الحسان لجون أدمى لها المرجان صفحة خده وبكى عليها اللؤلؤ المكنون وكان ابن هانىء هذا في المغرب مثل المتنبي في المشرق وكان موته في شهر رجب.

وهو صاحب القصيدة المشهورة التي أولها: فتقت لكم ريح الشمال عبيرا وفيها توفي الوزير عباس بن الحسين أبو الفضل الشيرازي كان جبارًا ظالمًا قتل بالكوفة بسقي الذراريح ودفن بمشهد علي عليه السلام.

ومما يحكى عن ظلمه أنه قتل ببغداد رجل من أعوان الوالي فبعث أبو الفضل الشيرازي هذا من طرح النار من النحاسين إلى السماكين فاحترق ببغداد حريق عظيم لم يعهد مثله وأحرقت أموال عظيمة وجماعة كثيرة من النساء والرجال والصبيان والأطفال فأحصي ما أحرق ببغداد فكان سبعة عشر ألف إنسان وثلاثمائة دكان وثلاثمائة وعشرين دارًا أجرة ذلك في الشهر ثلاثة وأربعون ألف دينار.

فلما وقع ذلك قال له رجل: أيها الوزير أريتنا قدرتك ونحن نأمل من الله أن يرينا قدرته فيك! فبعد قليل قبض عليه عز الدولة وصادره وعاقبه ثم سقي ذراريح فتقرحت مثانته وهلك في ذي الحجة.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن يحيى المزكي وأبو العباس إسماعيل بن عبد الله بن محمد بن ميكال وأبو بحر محمد بن الحسن بن كوثر البربهاري وأبو جعفر محمد بن عبد الله البلخي شيخ الحنفية ببخارى في ذي الحجة كان إمام عصره بلا مدافعة وأبو عمر محمد بن موسى بن فضالة وأبو الحسن محمد بن هانىء شاعر الأندلس.

أمر النيل في هذه السنة: ولاية المعز العبيدي هو أبو تميم معد بن المنصور إسماعيل بن القائم بأمر الله محمد بن المهدي عبيد الله العبيدي الفاطمي المغربي الملقب بالمعز لدين الله والذي تنسب إليه القاهرة المعزية.

مولده بالمهدية في يوم الاثنين حادي عشر شهر رمضان سنة تسع عشرة وثلاثمائة وبويع بالخلافة في الغرب يوم الجمعة التاسع والعشرين من شوال سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة بعد موت أبيه.

يأتي ذكر نسبه وأقوال الناس فيه بعد أن نذكر قدومه إلى القاهرة وما وقع له مع أهلها ثم مع القرمطي.

وقال ابن خلكان: وكان المعز قد بويع بولاية العهد في حياة أبيه المنصور إسماعيل ثم جددت له البيعة بعد وفاته في يوم الأحد سابع ذي الحجة سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة.

قلت: هو أول خليفة كان بمصر من بني عبيد.

قال الحافظ أبو عبد الله الذهبي في تاريخ الإسلام: وهو أول من تملك ديار مصر من بني عبيد الرافضة المدعين أنهم علويون.

وكان ولي عهد أبيه إسماعيل فاستقل بالأمر في آخر سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة وسار في نواحي إفريقية ليمهد مملكته فأذل العصاة واستعمل على المدن غلمانه واستخدم الجند.

ثم جهز مولاه جوهرًا القائد في جيش كثيف فسار فافتتح سجلماسة وسار حتى وصل إلى البحر المحيط وصيد له من سمكه وافتتح مدينة فاس وأرسل بصاحبها وصاحب سبتة أسيرين إلى المعز ووطأ له جوهر من إفريقية إلى البحر سوى مدينة سبتة فإنها بقيت لبني أمية أصحاب الأندلس.

وقال الشيخ شمس الدين أبو المظفر في تاريخه مرآة الزمان: وكان مغرىً بالنجوم يعني المعز والنظر فيما يقتضيه الطالع فنظر في مولده وطالعه فحكم له بقطع فيه فاستشار منجمه فيما يزيله عنه فأشار عليه أن يعمل سردابًا تحت الأرض ويتوارى فيه إلى حين جواز الوقت فعمل على ذلك وأحضر قواده وكتابه وقال لهم: إن بيني وبين الله عهدًا في وعد وعدنيه وقد قرب أوانه وقد جعلت نزارًا ولدي ولي عهدي بعدي ولقبته العزيز بالله واستخلفته عليكم وعلى تدبير أموركم مدة غيبتي فالزموا الطاعة له واتركوا المخالفة واسلكوا الطريق السديدة فقالوا: الأمر أمرك ونحن عبيدك وخدمك ووصى العزيز ولده بما أراد وجعل القائد جوهرًا مدبره والقائم بأمره بين يديه ثم نزل إلى سرداب اتخذه وأقام فيه سنة وكانت المغاربة إذا رأوا غمامًا سائرًا ترجل الفارس منهم إلى الأرض وأومأ بالسلام يشير إلى أن المعز فيه ثم خرج المعز بعد ذلك وجلس للناس فدخلوا عليه على طبقاتهم ودعوا له فأقام على ما كان عليه.

انتهى.

وقيل: إنه دخل مصر ومعه خمسمائة جمل موسوقة ذهبًا عينًا وأشياء كثيرة غير ذلك.

وقال القفطي: إن المعز كان قد عزم على تجهيز عسكر إلى مصر فسألته أمه تأخير ذلك لتحج خفية فأجابها وحجت.

فلما وصلت إلى مصر أحس بها كافور الإخشيذي الأستاذ فحضر إليها وخدمها وحمل إليها هدايا وبعث في خدمتها أجنادًا فلما رجعت من حجها منعت ولدها من غزو بلاده.

فلما توفي كافور بعث المعز جيوشه فأخذوا مصر.

انتهى.

ولما أرسل المعز القائد جوهرًا إلى مصر وفتحها وبلغه ذلك سار بنفسه إلى المهدية في الشتاء فأخرج من قصور آبائه من الأموال خمسمائة حمل ثم سار نحو الديار المصرية بعد أن مهد له جوهر القائد وبنى له القاهرة.

وكان صادف مجيء جوهر إلى مصر الغلاء والوباء فلم يلتفت إلى ذلك وافتتحها ثم افتتح الحجاز والشام وأرسل يعرف المعز.

وقد ذكرنا شيئًا من ذلك في ترجمة جوهر القائد.

وخرج المعز من المغرب في سنة إحدى وستين وثلاثمائة بعد أن استخلف على إفريقية بلكين بن زيري الصنهاجي وجد المعز في السير في خزائنه وجيوشه حتى دخل الإسكندرية في شعبان سنة اثنتين وستين وثلاثمائة فتلقاه قاضي مصر أبو طاهر الذهلي والأعيان وطال حديثهم معه وأعلمهم بأن قصده القصد المبارك من إقامة الجهاد والحق وأن يختم عمره بالأعمال الصالحة وأن يعمل بما أمره به جده رسول الله صلى الله عليه وسلم ووعظهم وطول حتى أبكى بعضهم وخلع على جماعة.

ثم نزل بالجيزة وأخذ جيشه في التعدية إلى مصر ثم ركب هو ودخل القاهرة وقد بنيت له بها دور الإمارة ولم يدخل مدينة مصر وكانوا قد احتفلوا وزينوا مصر بأحسن زينة.

فلما دخل القصر خر ساجدًا وصلى ركعتين.

وقال عبد الجبار البصري: وكان السبب في مجيئه إلى مصر أن الروم كانوا قد استولوا على الشام والثغور وطرسوس وأنطاكية وأذنة وعين زربة والمصيصة وغيرها وفرح بمصاب المسلمين وبلغه أن بني بويه قد غلبوا على بني العباس وأنهم لا حكم لهم معهم فاشتد طمعه في البلاد وكان له بمصر شيعة فكاتبوه يقولون: إذا زال الحجر الأسود ملك مولانا المعز الدنيا كلها ويعنون بالحجر الأسود الأستاذ كافورًا الإخشيذي الخصي وكان كافور يومئذ أمير مصر نيابة عن ابن الإخشيد وعن الحسن بن عبيد الله بن طغج أمير الشام وكان الحسن قد دخل مع الشيعة في الدعوة وكان الحسن ضعيفًا رخوًا ولذلك كان كافور هو المتكلم عنه لأن الجند كانوا قد طمعوا فيه أعني الحسن وكرهوه وكرههم فقال له أبو جعفر بن نصر وكان من دعاة المعز بالقاهرة: هؤلاء القوم قد طمعوا فيك والمعز لك مثل الوالد فإن شئت كاتبته ليشد منك ويكون من وراء ظهرك فقال الحسن: إي والله قد أحرقوا قلبي!.

فكتب إلى المعز يخبره فبعث المعز القائد جوهرًا وهو عبد رومي غير خصي فجاء جوهر إلى مصر في مائة ألف مقاتل فدخل مصر في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة حسب ما ذكرناه وأخرج الحسن المذكور بعد أن قاتله واستولى جوهر على الخزائن والأموال والذخائر.

وتوجه الحسن إلى الرملة ثم ظفر به جوهر وبعث به إلى المعز إلى الغرب فلما دخل عليه الحسن قربه المعز وبش به وقال: أنت ولدي وكاتبتني على دخول مصر وإنما بعثت جوهرًا لينصرك ولقد لحقني بتجهيز الجيوش إلى مصر أربعة آلاف ألف وخمسمائة ألف دينار.

فظن الحسن أن الأمر كما قال المعز ولم يدر أنه خدعه فسعى إليه بجماعة من قواد مصر والأمراء وأرباب الأموال وعرفه حال المصريين وكان كل واحد من هؤلاء الذين دل

الحسن المعز عليهم مثل قارون في الغنى فكتب المعز إلى جوهر باستئصالهم ومصادرتهم أو أن يبعث بهم إليه ثم حبسهم مع الحسن فكان ذلك آخر العهد بهم.

فقال الذهبي: هذا قول منكر! بل أخرج الحسن بن عبيد الله من مصر وبايع للمعز ثم قدم بعد ذلك ووقعت الوحشة بينهم.

ولما دخل المعز إلى القاهرة احتجب في القصر فبعث عيونه ينقلون إليه أخبار الناس وهو متوفر في النعم والأغذية المسمنة والأطلية التي تنقي البشرة وتحسن اللون.

ثم ظهر للناس بعد مدة وقد لبس الحرير الأخضر وجعل على وجهه اليواقيت والجواهر تلمع كالكواكب.

وزعم أنه كان غائبًا في السماء وأن الله رفعه إليه فامتلأت قلوب العامة والجهال منه رعبًا وخوفًا وقطع ما كان على ابن الإخشيذ في كل سنة من الأتاوة للقرامطة وهي ثلاثمائة ألف دينار.

ولما بلغ القرمطي ذلك عظم عليه لأن المعز كان يصافيه لما كان بالمغرب ويهاديه فلما وصل إلى مصر قطع ذلك عنه.

وسار القرمطي واسمه الحسن بن أحمد بن أبي سعيد الحسن بن بهرام القرمطي إلى بغداد وسأل الخليفة المطيع بالله العباسي على لسان عز الدولة بختيار أن يمده بمال ورجال ويوليه الشام ومصر ليخرج المعز منها فامتنع الخليفة المطيع بالله من ذلك وقال: كلهم قرامطة وعلى دين واحد فأما المصريون يعني بني عبيد فأماتوا السنن وقتلوا العلماء وأما هؤلاء يعني القرامطة فقتلوا الحاج وقلعوا الحجر الأسود وفعلوا ما فعلوا.

فقال عز الدولة بختيار للقرمطي: اذهب فافعل ما بدا لك.

وقيل: إن بختيار أعطاه مالًا وسلاحًا.

فسار القرمطي إلى الشام ومعه أعلام سود وأظهر أن الخليفة المطيع ولاه وكتب على الأعلام اسم المطيع عبد الكريم وتحته مكتوب السادة الراجعون إلى الحق وملك القرمطي الشام ولعن المعز هذا على منبر دمشق وأباه وقال: هؤلاء من ولد القداح كذابون ممخرقون أعداء الإسلام ونحن أعلم بهم ومن عندنا خرج جدهم القداح.

ثم أقام القرمطي الدعوة لبني العباس وسار إلى مصر بعساكره.

ولما بلغ المعز مجيئه تهيأ لقتالهم فنزل القرمطي بمشتول الطواحين وحصل بينه وبين المعز مناوشات ثم تقهقر المعز ودخل القاهرة وانحصر بها إلى أن أرضى القرمطي بمال وخدعه وانخدع القرمطي وعاد إلى نحو الشام فمات بالرملة في شهر رجب وأراح الله المسلمين منه.

وصفا الوقت للمعز فإن القرمطي كان أشد عليه من جميع الناس للرعب الذي سكن في قلوب الناس منه فكانت القرامطة إذا كانوا في ألف حطموا مائة ألف وانتصفوا.

خذلان من الله تعالى لأمر يريده.

ما قيل في نسب المعز وآبائه قال القاضي عبد الجبار البصري: اسم جد الخلفاء المصريين سعيد ويلقب بالمهدي وكان أبوه يهوديًا حدادًا بسلمية ثم زعم سعيد هذا أنه ابن الحسين بن أحمد بن عبد الله بن ميمون القداح.

وأهل الدعوة أبو القاسم الأبيض العلوي وغيره يزعمون أن سعيدًا إنما هو من امرأة الحسين المذكور وأن الحسين رباه وعلمه أسرار الدعوة وزوجته بنت أبي الشلغلغ فجاءه ابن فسماه عبد الرحمن.

فلما دخل الغرب وأخذ سجلماسة تسمى بعبيد الله ثم تكنى بأبي محمد وسمى ابنه الحسن وزعمت المغاربة أنه يتيم ربه وليس بابنه ولا بابن زوجته وكناه أبا القاسم وجعله ولي عهده.

انتهى.

وقال القاضي أبو بكر بن الباقلاني: القداح جد عبيد الله كان مجوسيًا ودخل عبيد الله المغرب وادعى أنه علوي ولم يعرفه أحد من علماء النسب وكان باطنيًا خبيثًا حريصًا على إزالة ملة الإسلام أعدم الفقه والعلم ليتمكن من إغراء الخلق وجاء أولاده أسلوبه وأباحوا الخمر والفروج وأشاعوا الرفض وبثوا دعاة فأفسدوا عقائد جبال الشام كالنصيرية والدروزية.

وكان القداح كاذبًا مخرقًا وهو أصل دعاة القرامطة.

انتهى.

وقال ابن خلكان: اختلف في نسبهم فقال صاحب تاريخ القيروان: هو عبيد الله بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم.

انتهى.

وقال غيره: هو عبيد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر المذكور في قول صاحب تاريخ القيروان.

وقيل: هو علي بن الحسين بن أحمد بن عبد الله بن الحسن بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم.

وقيل: هو عبيد الله بن التقي بن الوفي بن الرضي وهؤلاء الثلاثة يقال لهم المستورون في ذات الله.

والرضي المذكور هو ابن محمد بن إسماعيل بن جعفر.

واسم التقي الحسين.

واسم الوفي أحمد.

واسم الرضي عبد الله.

وإنما استتروا خوفًا على أنفسهم لأنهم كانوا مطلوبين من جهة الخلفاء من بني العباس لأنهم علموا أن فيهم من يروم الخلافة أسوة غيرهم من العلويين وقضاياهم ووقائعهم في ذلك مشهورة.

وإنما تسمى المهدي عبيد الله استتارًا.

هذا عند من يصحح نسبه ففيه اختلاف كثير.

وأهل العلم بالأنساب من المحققين ينكرون دعواه في النسب.

وقيل: هو عبيد الله بن الحسين بن علي بن محمد بن علي الرضي بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق.

وقيل: هو علي بن الحسين بن أحمد بن عبد الله بن الحسين بن محمد بن زين العابدين بن محمد بن الحسين وإنما سمى نفسه عبيد الله استتارًا.

وهذا أيضًا على قول من يصحح نسبهم.

والذي ينكر نسبه يقول: اسمه سعيد ولقبه عبيد الله وزوج أمه الحسين بن أحمد القداح كان كحالًا يقدح العين إذا نزل فيها ماء.

وقال ابن خلكان: وجاء المعز من إفريقية وكان يطعن في نسبه.

فلما قرب من البلد يعني مصر وخرج الناس للقائه اجتمع به جماعة من الأشراف فقال له من بينهم الشريف عبد الله بن طباطبا: إلى من ينتسب مولانا فقال له المعز: سنعقد مجلسًا ونسرد عليكم نسبنا.

فلما استقر المعز بالقصر جمع الناس في مجلس عام وجلس لهم وقال: هل بقي من رؤسائكم أحد فقالوا: لم يبق معتبر فسل عند ذلك نصف سيفه وقال: هذا نسبي! ونثر عليهم ذهبًا كثيرًا وقال: هذا حسبي! فقالوا جميعًا: سمعنا وأطعنا.

قلت: وفي نسب المعز أقوال كثيرة أخر أضربت عن ذكرها خوف الإطالة.

والظاهر أنه ليس بشريف وأنه مدع.

والله أعلم.

واستمر بالقاهرة إلى أن مرض بها وتوفي يوم الجمعة السابع عشر من شهر ربيع الأول سنة خمس وستين وثلاثمائة وله ست وأربعون سنة وقام ولده العزيز نزار بعده بالأمر.

وأقام المعز واليًا ثلاثًا وعشرين سنة وخمسة أشهر وسبعة وعشرين يومًا منها بمصر ثلاث سنين وباقي ولايته كانت بالمغرب وخلف عشرة أولاد: نزارًا الذي ولي مصر بعده وعبد الله وعقيلًا وسبع بنات.

وأقام بتدبير مملكة ولده العزيز جوهرًا القائد باني القاهرة وصاحب جامع الأزهر المقدم ذكره.

قال ابن خلكان: إنه توفي يوم الجمعة الحادي عشر من شهر ربيع الآخر.

وقيل: الثالث عشر و قيل لسبع خلون منه.

فخالف ما قلنا في اليوم والشهر إلا أنه وافق في السنة.

قال: ومعد بفتح الميم والعين المهملة وتشديد الدال المهملة.

انتهى.

قلت: وكان المعز عاقلًا حازمًا أديبًا جوادًا ممدحًا فيه عدل وإنصاف للرعية فمن عدله ما حكي عنه أن زوجة الإخشيذ الذي كان ملك مصر لما زالت دلتهم أودعت عند يهودي بغلطاقًا كله جوهر ثم فيما بعد طالبته فأنكر فقالت: خذ كم البغلطاق وأعطني ما فضل فأبى فلم تزل به حتى قالت: هات الكم وخذ الجميع فلم يفعل وكان في البغلطاق بضع عشرة درة فأتت المرأة إلى قصر المعز فأذن لها فأخبرته بأمرها فأحضره وقرره فلم يقر فبعث إلى داره من خرب حيطانها فظهرت جرة فيها البغلطاق فلما رآه المعز تحير من حسنه ووجد اليهودي قد أخذ من صدره درتين فاعترف أنه باعهما بألف وستمائة دينار فسلمه المعز بكماله للمرأة.

فاجتهدت أن يأخذه المعز هدية أو بثمن فلم يفعل فقالت: يا مولاي هذا كان يصلح لي وأنا صاحبة مصر وأما اليوم فلا فلم يقبله المعز وأخذته وانصرفت.

وكان المعز قد أتقن فنونًا من العلم والأدب.

ومن شعره قوله: لله ما صنعت بنا تلك المحاجر في المعاجر مضى وأقضى في النفو - - س من الخناجر في الحناجر ولقد تعبت ببينكم تعب المهاجر في الهواجر

ركوب الخلفاء الفاطميين في أول العام من كل سنة

والمعز هذا هو الذي استسن ذلك كله فكان أمره إذا كان أواخر ذي الحجة من كل سنة انتصب كل من المستخدمين في الأماكن الآتي ذكرها لإخراج آلات الركوب: فيخرج من خزائن الأسلحة ما يحمله صبيان الركاب حول الخليفة من الصماصم المصقولة المذهبة والدبابيس الملبسة الكيمخت الأحمر والأسود مدورة الرأس مضرسة ولتوت رؤوسها مستطيلة وآلات يقال لها المستوفيات وهي عمد حديد طول ذراعين مربعة الشكل لها مقابض مدورة في اليد وعدد معلومة أيضًا من كل صنف يتسلمها نقباؤهم وستمائة حربة بأسنة مصقولة تحتها جلب فضة كل اثنتين في شرابة تعطى لثلاثمائة عبد من السودان الشباب يقال لهم أرباب السلاح الصغير ويعطى لكل منهم درقة.

هذا من خزائن السلاح.

ثم يخرج من خزائن التجمل وهي من حقوق خزائن السلاح القضب الفضة برسم تشريف الوزير وأرباب الرتب من الأمراء والعساكر من الرجالة والمشاة وهي رماح ملبسة بأنابيب الفضة المنقوشة بالذهب سوى ذراعين منها فإنها مشدودة بالمعاجر الشرب الملونة وتبقى أطرافها المرقومة مسبلة كالسناجق وبرأس كل رمح رمامين فضة منفوخة وأهلة مجوفة وفيها جلاجل لها حس إذا تحركت وعدتها مائة رمح.

ومن العماريات وهي شبه الكجاوات مائة عمارية ملبسة بالديباج الأحمر والأصفر والسقلاطون مبطنة مضبوطة بزنانير من حرير وعلى دائر التربيع مناطق بكوامخ فضة مسمورة في جلد.

ويخرج للوزير لواءان على رمحين ملفوفين غير منشورين فيسيران أمام الوزير.

ثم يسير للأمراء أرباب الرتب في الخدم أولهم صاحب الباب عشر قصبات وعشر عماريات.

وللإسفهسالار مثل ذلك عدة عماريات بألوان مختلفة ومن سواهما من الأمراء خمس.

ثم يخرج من البنود الخاص الدبيقي المرقوم الملون برماح ملبسة بالأنابيب على رؤوسها الرمامين والأهلة للوزير أيضًا خاصة.

ودون هذه البنود مما هو حرير على رماح غير ملبسة رؤوسها ورمامينها نحاس مجوف مذهب أمام الأمراء المذكورين.

ثم يخرج لقوم يقال لهم السريرية سلاح كل قطعة طول ثلاث أذرع برأسها طلعة مصقولة وهي من خشب القنطارية داخلة في الطلعة وفي عقبها حديد مدور السفل فهي في كف حاملها الأيمن وهو يفتلها فتلًا متدارك الدوران وفي يده اليسرى نشابة كبيرة يخطر بها.

ثم يخرج من النقارات حمل خمسين بغلًا على خمسين بغلًا على كل بغل خمس مثل الكوسات يقال لها طبول.

قلت: ولها حس مستحسن.

ويسيرون في المواكب ثلاثًا.

ثم يخرج لقوم متطوعين ليس لهم جراية ولا نفقة وعدتهم مائة رجل لكل واحد درقة من درق اللمط واسعة وسيف ويسيرون رجالة.

هذا ما يخرج من خزائن السلاح.

ثم يحضر حامي خزائن السروج وهو من الأستاذين المحنكين إليها مع مشارفها وهو من الشهود المعدلين فيخرج منها من خاص الخليفة من الركاب المحلى ما هو برسم ركوبه وما يجنب في الموكب مائة سرج تشد على عدة حصن.

ويقال: كل مركب مصوغ من ذهب وفضة أو من ذهب منزل فيه المينا وروادفها وقرابيسها من نسبتها.

ومنها مرصع بحب اللؤلؤ الفائق.

والخيل مطوقة بأعناق الذهب وقلائد العنبر وفي أيدي أكثرها خلاخل مسطحة بالذهب ومكان الجلد من السروج الديباج الأحمر والأصفر وغيرهما من الألوان المنقوشة قيمة كل دابة وما عليها ألف دينار.

فيشرف الوزير منها بعشرة لركوبه وأولاده ومن يشاء من أقاربه.

ويتسلم ذلك كله عرفاء الإصطبلات.

ثم يخرج من الخزانة أيضًا لأرباب الدواوين المرتبين في الخدم مراكب على مقدارهم عليها من العدة دون ما تقدم ذكرهم وعدتهم ثلاثمائة خيل وبغال.

ثم ينتدب حاجب يفرق لأرباب الخدم كل واحد سيفًا وقلمًا فيحضر سحر اليوم المذكور إلى منازل أرباب الخدم بالقاهرة ومصر ولهم رسوم من الركاب من دينار إلى نصف دينار إلى ثلث دينار.

فإذا تكمل ما وصفنا وتسلمه أربابه من العرفاء يجلس الخليفة في الشباك لعرض الخيل الخاص المقدم ذكرها ويقال له يوم عرض الخيل فيستدعى الوزير بصاحب الرسالة وهو من كبار الأستاذين المحنكين فيمضي مسرعًا على حصان دهراج فيعود ويعلم باستدعاء الوزير فيخرج الخليفة من مكانه راكبًا في القصر والناس بين يديه مشاة فينزل بالسدلا بدهليز باب الملك الذي فيه الشباك وعليه ستر فيقف زمام القصر من جانبه الأيمن وصاحب بيت المال من جانبه الأيسر.

فيركب الوزير من داره وبين يديه الأمراء.

فيترجل الأمراء من باب القصر والوزير راكب ويدخل من باب العيد في هذا اليوم وينزل عند أول الدهاليز الطوال ويمشي وحوله حاشيته وأقاربه إلى الشباك فيجلس على كرسي جيد ورجلاه تطأ الأرض.

فعندما يجلس يرفع الأستاذان جانبي الستر الذي على الخليفة.

فإذا رأى الوزير الخليفة وقف وسلم وخدم بيده إلى الأرض خمس مرات.

ثم يؤذن له في الجلوس على كرسيه ويقرأ القراء آيات لائقة بذلك الحال نصف ساعة.

ثم تعرض الخيول كالعرائس بأيدي شداديها فيقرأ القراء عند تمام العرض ويرخى جنبات الستر.

ويقوم الوزير فيدخل ويقبل يد الخليفة ورجله ثم ينصرف فيركب من مكان نزوله والأمراء في ركابه ركبانًا ومشاة إلى قريب من داره.

فإذا صلى الإمام الظهر جلس الخليفة لعرض ما يلبسه في الغد من خزائن الكسوة الخاصة ويكون لباسه البياض فيعين منديلًا خاصًا وبدلة.

ويتسلم المنديل شاد التاج الشريف ويقال له شد الوقار وهو من الأستاذين المحنكين وله ميزة فيشدها شدة غريبة لا يعرفها سواه شكل الإهليلجة.

ثم يحضر إليه اليتيمة وهي جوهرة عظيمة لا تعرف لها قيمة فتنظم وحولها ما هو دونها من الجواهر وهي موضوعة في هلال من ياقوت أحمر ليس له مثال في الدنيا زنته أحد عشر مثقالًا وقيل أكثر يقال له الحافر فتنظم في خرقة حرير أحسن ما يمكن من الوضع ويخاط على التاج بخياطة خفيفة فيكون ذلك بأعلى جبهة الخليفة وبدائرها قصب الزمرد الذبابي العظيم القدر.

ثم يؤمر بشد المظلة التي تشاكل تلك البدلة وهي اثنا عشر شوزكًا عرض أسفل كل شوزك شبر وطوله ثلاث أذرع وثلث وآخر الشوزك من فوق دقيق جدًا.

فيجتمع ما بين الشوازك في رأس عمودها دائرة.

والعمود من الزان ملبس بأنابيب الذهب.

وفي آخر أنبوبة تلي الرأس فلكة بارزة قدر عرض إبهام.

فيشد آخر الشوازك في حلقة ذهب.

وللمظلة أضلاع من خشب الخلنج مربعات مكسوة بالذهب على عدد الشوازك خفاف بطول الشوازك.

وفيها خطاطيف لطاف وحلق يمسك بعضها بعضًا تنضم وتنفتح ورأسها كالرمانة ويعلوه أيضًا رمانة صغيرة كلها ذهب مرصع بجوهر ولها رفرف دائر عرضه أكثر من شبر ونصف وتحت الرمانة عنق مقدار ست أصابع.

فإذا أدخلت الحلقة الذهب الجامعة لآخر الشوازك في رأس العمود ركبت عليها الرمانة ولفت في عرضي دبيقي مذهب فلا يكشفها منه إلا حاملها عند تسليمها وقت الركوب.

ثم يؤمر بشد لواءي الحمد المختصين بالخليفة وهما رمحان طويلان ملبسان بمثل أنابيب عمود المظلة إلى حد نصفهما برأسهما لواءان من حرير أبيض مرقومان بالذهب ملفوفان على رماحهما ويخرجان بخروج المظلة فيحملهما أميران.

ثم يخرج إحدى وعشرون راية لطيفة من حرير مرقوم ملونة بكتابة في كل واحدة بما يخالف لونها ونص كتابتها: " نصر من الله وفتح قريب ".

طول كل راية ذراعان في ذراع ونصف فتسلم ثم يخرج رمحان في رؤوسهما أهلة من ذهب في كل واحد سبع من ديباج أحمر وأصفر وفي فمه طارة مستديرة يدخل فيها الريح فينفتحان فيظهر شكلهما ويتسلمهما فارسان يسيران أمام الرايات.

ثم يخرج السيف الخاص وحليته ذهب مرصعة بالجواهر في خريطة مرقومة بالذهب لا يظهر سوى رأسه فيخرج مع المظلة وحامله أمير عظيم القدر وهو أكبر حامل.

ثم يخرج الرمح وهو رمح لطيف في غلاف منظوم من لؤلؤ وله سنان مختصر بحلية ذهب وله شخص مختص بحمله.

ودرقة بكوامخ ذهب وسيعة تنسب إلى حمزة بن عبد المطلب في غشاء حرير فيحملها أمير مميز له جلالة.

ثم يعلم الناس سلوك الموكب.

والموكب ذورتان إحداهما كبرى وهي من باب القصر إلى باب النصر مارًا إلى الحوض حوض عز الملك.

ثم ينعطف على اليسار إلى باب الفتوح إلى القصر.

والآخرى هي الصغرى إذا خرج من باب النصر سار حول السور ودخل من باب الفتوح إلى القصر.

فكان إذا ركب ساروا بين يديه بغير اختلال ولا تبديل.

فإذا أصبح الصبح يوم غرة العام اجتمع أرباب الرتب من القاهرة ومصر وأرباب السيوف والأقلام فصفوا بين القصرين ولم يكن فيه بناء كاليوم بل كان خلاء.

ويبكر الأمراء إلى دار الوزير فيركب الوزير من غير استدعاء ويسير أمامه تشريفه المقدم ذكره والأمراء بين يديه ركابًا ومشاة وأمامه بنوه وإخوته وكل منهم يرخي الذؤابة بغير حنك وهو في أبهة عظيمة من الثياب الفاخرة والمنديل بالحنك متقلدًا سيفًا مذهبًا فيدخل أهله عند القصر في أخص مكان لا يصل الأمراء إليه ويدخل الوزير من باب القصر راكبًا وحده إلى دهليز العمود فينزل على مصطبة هناك ويمشي إلى القاعة ويجلس بها.

فإذا دخلت الدابة لركوب الخليفة وأسندت إلى الكرسي الذي يركب عليه الخليفة من باب المجلس أخرجت المظلة إلى حاملها فيكشفها بإعانة جماعة من الصقالبة برسم خدمتها فيركزها في آلة من حديد متخذة شكل القرن المصطحب وهو مشدود في ركاب حاملها الأيمن بقوة وتأكيد بعقبها فيمسك العمود بحاجز فوق يده فيبقى وهو منتصب لا يضطرب في ريح عاصف.

ثم يخرج السيف فيتسلمه حامله فإذا تسلمه أرخى ذؤابته فلا تزال مرخاة ما دام حاملًا له.

ثم تخرج الدواة فيتسلمها حاملها وهو من الأستاذين المحنكين وهي الدواة التي كانت من أعاجيب الزمان وهي من الذهب وحليتها من المرجان تلف في منديل شرب بياض مذهب.

وفيها يقول بعض الشعراء: ألين لداود الحديد كرامة فقدره في السرد كيف يريد ولان لك المرجان وهو حجارة على أنه صعب المرام شديد ثم يخرج الوزير ومن معه وينضم إليه الأمراء فيقف إلى جانب الدابة فيرفع صاحب المجلس الستر فيخرج منه الخليفة بالهيئة المشروحة قبل تاريخه: من الثياب والمنديل الحامل للتيمة بأعلى جبهته وهو محنك مرخى الذؤابة مما يلي جانبه الأيسر متقلد سيفًا عربيًا وبيده قضيب الملك وهو طول شبر ونصف من عود مكسو بالذهب المرصع بالجوهر فيسلم على الوزير قوم مرتبون لذلك ويسلمون على أهله وعلى الأمراء بعدهم.

ثم يخرجون شيئًا بعد شيء إلى أن يبقى الوزير فيخرج بعدهم ويركب ويقف قبالة باب القصر إلى أن يخرج الخليفة وحوله الأستاذون ودابته تمشي على بسط مفروشة خيفة أن تزلق على الرخام.

فعندما يقرب من الباب يضرب رجل ببوق من ذهب لطيف معوج الرأس يقال له العربانة بصوت عجيب يخالف أصوات البوقات فتضرب أبواق الموكب وتنشر المظلة ويخرج الخليفة من الباب فيقف مقدار ما يركب الأستاذون المحنكون وأرباب الرتب الذين كانوا بالقاعة.

ثم يسيرون والمظلة على يسار الخليفة وصاحبها يبالغ ألا يزول عنه ظلها وصبيان الركاب منهم جماعة كبيرة من الشكيمتين وجماعة أخرى في عنق الدابة وجماعة أخرى في ركابيه.

فالأيمن مقدم المقدمين وهو صاحب المقرعة التي يناولها للخليفة ويتناولها منه ويؤدي عن الخليفة ويسير الموكب وبأوله أخلاط بعض العسكر ثم الأماثل ثم أرباب المناصب ثم

أرباب الأطواق ثم الأستاذون المحنكون ثم حاملا لواءي الحمد من الجانبين ثم حامل الدواة وموضعها من حاملها بينه وبين قربوس السرج ثم صاحب السيف وهما في الجانب الأيسر.

وكل ممن تقدم ذكره بين العشرة والعشرين من أصحابه.

وأهل الوزير من الجانب الأيمن بعد الأستاذين المحنكين ثم الخليفة وحوله صبيان الركاب المذكورة تفرقة السلاح فيهم وهم ما يزيد على ألف رجل وعليهم المناديل الطبقيات يتقلدون بالسيوف وأوساطهم مشدودة بمناديل والسلاح مشهور بأيديهم من جانبي الخليفة كالجناحين وبينهم فرجة لوجه الدابة ليس فيها أحد.

وبقرب من رأس الدابة صقلبيان محملان مذبتين كل واحدة كالنخلتين لما يسقط من طائر وغيره وهو سائر على تؤدة ورفق.

وبطول الموكب والي القاهرة رائح وعائد يفسح الطرقات ويسير الفرسان فيلقى في عوده الإسفهسالار كذلك في حث الأجناد في الحركة وينكر على المزاحمين ويلقى أيضًا في عوده صاحب الباب بمن في زمرة الخليفة إلى أن يصل إلى الإسفهسالار فيعود لترتيب الموكب وبيد كل منهم دبوس.

وخلف دابة الخليفة قوم من صبيان الركاب لحفظ أعقابه وخلفهم أيضًا أخر يحمل كل واحد سيفًا في خريطة ديباج أحمر وأصفر بشراريب يقال لها سيوف الدم لضرب الأعناق.

ثم صبيان السلاح الصغير أرباب الفرنجيات المقدم ذكرهم أولًا.

ثم يأتي الوزير وفي ركابه قوم من أصحابه وقوم يقال لهم صبيان الزرد من أقوياء الأجناد يختارهم لنفسه نحو من خمسمائة رجل من جانبيه كأنه على قلق من حراسة الخليفة ويجتهد ألا يغيب عن نظره وخلفه الطبول والصنوج والصفافير بحيث تدوي منهم الدنيا في عدد كثير.

ثم يأتي حامل الدرقة والرمح.

ثم طوائف الرجال من الركابية والجيوشية وقبلهما المصامدة ثم الفرنجية ثم الوزيرية زمرة بعد زمرة في عدد وافر يزيد على أربعة آلاف نفر ثم أصحاب الرايات ثم طوائف العساكر من الآمرية والحافظية والحجرية الكبار والحجرية الصغار والصقلية ثم الأتراك المصطنعون ثم الديلم ثم الأكراد والغز المصطنعة وهم البحرية.

ويقدم هذه الفرسان عدة وافرة من المترجلة أرباب قسي اليد وقسي الرجل في نيف وخمسمائة نفر وهم المعدون للأساطيل وجملنهم نحو ثلاثة آلاف وأكثر.

وهؤلاء الذين ذكرناهم بعض من كل لا جميع عسكر الخليفة.

ثم يدخلون من باب الفتوح ويقفون بين القصرين كما كانوا.

فإذا وصل الخليفة إلى موضع جامع الأقمر الآن وقف وقفة وانفرج الموكب فيمر الموكب بالخليفة ويسكع الوزير ليظهر للناس خدمته ويشير إليه الخليفة بالسلام إشارة خفيفة وهذه أعظم مكارمة تصدر عن الخليفة وهي للوزير صاحب السيف خاصة فيسبق إذًا لدخول الباب بالقصر راكبًا إلى موضعه على العادة خاصة له والأمراء مشاة.

فيصل الخليفة إلى الباب وقد ترجل الوزير وقبله الأستاذون المحنكون فيحدقون به والوزير أمام الدابة إلى أن ينزل الخليفة فيخرج الوزير ويركب من مكانه والأمراء في خدمته وأقاربه بين يديه فيسيرون إلى داره فيسلمون وينصرفون إلى أماكنهم فيجدون قد أحضر إليهم المقرر من الخليفة يأمر بضرب دنانير ورباعية ودراهم في العشر الأخير من ذي الحجة عليها تاريخ السنة التي ركب فيها فيحمل للوزير منها شيء كثير وإلى أولاده وأقاربه ثم إلى أرباب الرتب من أرباب السيوف والأقلام من عشرة دنانير إلى رباعي إلى قيراط وإلى دينار واحد فيقبلون ذلك تبركًا.

ولا ينقطع الركوب من أول العام إلا متى شاء ولا يتعدى ما ذكرناه في يومي السبت والثلاثاء.

فإذا عزم على الركوب في هذه الأيام أعلم بذلك وعلامته إنفاق الأسلحة في صبيان الركاب من خزائن السلاح.

وكان أكثر ركوبه إلى مصر.

فإذا ركب ركب الوزير وراء الخليفة في أقل جمع مما تقدم ذكره في ركوب أول العام.

فيشق الخليفة القاهرة إلى جامع أحمد بن طولون إلى المشاهد إلى درب الصفا ويقال له الشارع الأعظم إلى دار الأنماط إلى جامع مصر فيجد ببابه الشريف الخطيب واقفًا على مصطبة فيها محراب مفروش بحصير معلق عليه سجادة وفي يده مصحف يقال إنه بخط علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو من حاصله فيناول الشريف الخليفة المصحف فيأخذه ويقبله ويتبارك به ويعطيه صاحب الخريطة المقرر للصلاة ثلاثين دينارًا وهي رسمه كلما مر به الخليفة فيعطيها الشريف إلى مشارف الجامع فيأخذ منها أربعة عشر دينارًا ويفرق الباقي على القامة والمؤذنين خاصة.

ثم يسير الخليفة إلى دار الملك فينزلها والوزير معه وكلما مر من القصر إلى دار الملك بمسجد أعطى قيمه دينارًا.

ثم تأتي المائدة من القصر وعدتها خمسون شدة على رؤوس الفراشين مع صاحب المائدة وهو أستاذ جليل إلا أنه ليس بمحنك وفي شدة طيفور فيه الأواني الخاص فيها من الأطعمة الخاص من كل نوع شهي وكل صنف من المطاعم العالية وله روائح عبقة مسك أرخية وعلى شدة طرحة حرير تعلو الشدة.

فيحمل الخليفة إلى الوزير منها جزءًا وافرًا ويعطي الأمراء ومن حضر ثم يوصل إلى أهل مصر من ذلك كثيرًا من الفضلات.

ثم يصلي الخليفة العصر ويتحرك إلى العود والناس في الطريق جلوس لنظره.

وزيه في هذه الأيام لبس الثياب البياض المذهبة والملونة وهي العمامة والمنديل مشدود وشدته مفردة عن شدات الرعية وذؤابته تقرب من الجانب الأيسر ويتقلد السيف العربي المجوهر بغير حنك ولا مظلة ولا يتيمة ولذلك أوقات مخصوصة فلا يمر بمسجد في طريقه إلا ويعطي قيمه دينارًا كما جرى في الرواح.

وينعطف من باب الخرق فيدخل من بابي زويلة ويشق القاهرة إلى القصر.

ويكون ذلك من المحرم إلى شهر رمضان كما مر في أول العام.

وكان إذا ركب في أول العام يكتب إلى ولاة الأعمال والنواب سجلات مخلقة يذكر فيها ركوب الخليفة.

وهذا كله سوى ركوبه في شهر رمضان إلى الخطبة على ما سنذكر إن شاء الله تعالى.

ركوب الخليفة في يومي عيد الفطر والنحر إذا تكملت عدة شهر رمضان وهي عندهم أبدًا ثلاثون يومًا وتهيأت الأمور كما تقدم ذكره ركب الخليفة بالمظلة واليتيمة ولباسه في هذا اليوم الثياب البياض الموشحة وهي أجل لباسهم والمظلة أبدًا زيها تابع لزي ثياب الخليفة.

ويخرج الخليفة من باب العيد إلى المصلى وعساكره وأجناده من الفرسان والرجالة زائدة على العادة موفورة العدد فيقفون صفين من باب العيد إلى المصلى.

ويكون صاحب بيت المال قد تقدم على الرسم لفرش المصلى فيفرش الطراحات على رسمها في المحراب مطابقة ويعلق سترين يمنة ويسرة على الستر الأيمن الفاتحة وسبح اسم ربك الأعلى وعلى الأيسر الفاتحة و هل أتاك حديث الغاشية ويركز في جانبي المصلى لواءين مشدودين على رمحين قد لبست أنابيبهما من الفضة ويرخيهما فيدخل الخليفة من شرقي المصلى إلى مكان يستريح فيه قليلًا ثم يخرج محفوظًا كما يخرج للجمعة فيصلي بالتكبيرات المسنونة والقوم من ورائه على ترتيبهم في صلاة الجمعة.

ويقرأ في الأولى بعد الفاتحة " سبح اسم ربك الأعلى " وفي الأخرى " الغاشية " ثم يصعد إلى ذروة المنبر وعليها طراحة سامان أو دبيقي وباقي درجه مستور بالأبيض.

ويقف الوزير أسفل المنبر ومعه قاضي القضاة وصاحب الباب وإسفهسالار العساكر وصاحب السيف وصاحب الرسالة وزمام القصر وصاحب دفتر المجلس وصاحب المظلة وزمام الأشراف الأقارب وصاحب بيت المال وحامل الرمح ونقيب الأشراف الطالبيين.

فيشير الخليفة إلى الوزير فيصعد ويقبل رجله بحيث يراه الناس ثم يقف على يمينه.

ثم يشير إلى القاضي فيصعد إلى سابع درجة فيشير إليه الخليفة فيخرج من كمه درجًا أحضر إليه أمس من ديوان الإنشاء قد عرض على الخليفة والوزير فيقرؤه معلنًا وأوله البسملة ويليها ثبت بمن شرف بصعوده المنبر الشريف في يوم كذا من سنة كذا من عبيد أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين بعد صعود السيد الأجل.

ويذكر الوزير بألقابه ونعوته.

ومرة يشرف الخليفة أحدًا من أقارب الوزير فيستدعيه القاضي.

ثم يتلو ذلك ذكر القاضي وهو القارىء فلا يسع القاضي أن يقول نعوت نفسه بل يقول المملوك فلان ابن فلان.

وقرأه مرة ابن أبي عقيل القاضي فقال عن نفسه: العبد الذليل المعترف بالصنع الجميل في المقام الجليل أحمد بن عبد الرحمن بن أبي عقيل.

أو غير ذلك بحسب ما يكون اسم القاضي.

ثم يستدعي من ذكرنا وقوفهم على باب المنبر فيصعدون وكل له مقام يمنة أو يسرة ثم يشير إليهم الوزير فيأخذ كل واحد نصيبًا من اللواء الذي يحاذيه فيسترون الخليفة ويستترون ثم يخطب الخليفة خطبة بليغة.

فإذا فرغ كشفوا ما بأيديهم من الألوية وينزلون أولًا بأول القهقرى.

ثم ينزل الخليفة إلى مكانه الذي خرج منه ويركب في زيه المفخم إلى قريب من القصر فيتقدمه الوزير كما ذكرنا ويدخل من باب العيد فيجلس في الشباك وقد نصب منه إلى فسقية كانت في وسط الإيوان سماط طوله عشرون قصبة عليه من الخشكنان والبستندود والبرماورد مثل الجبل الشاهق وفيه كل قطعة منها ربع قنطار فما دون ذلك إلى رطل فيدخل الناس فيأكلون ولا منع ولا حجر فيمر ذلك بأيدي الناس وليس هذا مما يعتد به بل يفرق إلى الناس ويحمل إلى دورهم.

ونذكر مصروفها في ترجمة العزيز فإنه أول من رتبها في عيد الفطر خاصة.

سماط العيدين وأما سماط الطعام ففي يوم عيد الفطر اثنتان: أولى وثانية وفي عيد النحر مرة واحدة.

ويعبى السماط في الليل وطوله ثلاثمائة ذراع في عرض سبع أذرع وعليه من أنواع المأكل أشياء كثيرة.

فيحضر إليه الوزير أول صلاة الفجر والخليفة جالس في الشباك ومكنت الناس منه فاحتملوا ونهبوا ما لا يأكلونه ويبيعونه ويدخرونه.

وهذا قبل صلاة العيد.

فإذا فرغ من صلاة العيد مد السماط المقدم ذكره فيؤكل ثم يمد سماط ثان من فضة يقال له المدورة عليها أواني الفضة والذهب والصيني فيها من الأطعمة الخاص ما يستحى من ذكره.

والسماط بطول القاعة وهو خشب مدهون شبه الدكك اللاطية عرضه عشر أذرع.

ويحط في وسط السماط واحد وعشرون طبقًا في كل طبق واحد وعشرون خروفًا ومن الدجاج ثلاثمائة وخمسون طائرًا ومن الفراريج مثلها ومن فراخ الحمام مثلها.

وتتنوع الحلوى أنواعًا ثم يمد بخلل تلك الأطباق أصحن خزفيات في جنبات السماط في كل صحن تسع دجاجات في ألوان فائقة من الحلوى والطباهجة المفتقة بالمسك الكثير.

وعدة الصحون خمسمائة صحن مرتب كل ذلك أحسن ترتيب.

ثم يؤتى بقصرين من حلوى قد عملا بدار الفطرة زنة كل واحد سبعة عشر قنطارًا فيمضى بواحد من طريق قصر الشوك إلى باب الذهب ويشق بالآخر من الجانب الآخر فينصبان أول السماط وآخره.

ثم يخرج الخليفة راكبًا فينزل على السرير الذي عليه المدورة الفضة وعلى رأسه أربعة من كبار الأستاذين المحنكين وأربعة من خواص الفراشين.

ثم يستدعي الوزير فيجلس عن يمينه والأمراء ومن دونهم فيجلسون على السماط فيتداول الناس السماط ولا يرد أحد عنه حتى يذهب عن آخره فلا يقوم الخليفة إلا قريب الظهر.

ثم يخرج الوزير ويذهب إلى داره ويعمل سماط يقارب سماط الخليفة.

وهكذا يقع في عيد النحر في أول يوم منه.

انتهى الركوب في عيد الفطر.

ركوب عيد الأضحى وأما ركوب الخليفة في عيد الأضحى فهو أيضًا بالزي المقدم ذكره والصلاة كذلك إلا أن الركوب يكون في أيام متتابعة أولها يوم العيد إلى المصلى ثم يركب ثاني يوم ثم ثالث يوم من باب الريح وهو في ركن القصر والباب مقابل سعيد السعداء وكان الموضع المذكور فضاء لا عمارة فيه فيخرج الخليفة من باب الريح فيجد الوزير واقفًا فيمشي بين يديه إلى المنحر فينحر فيه ما شاء الله أن ينحر ويعطي الرسوم.

ورسوم الاضحية كرسوم ركوب الخليفة أول العام ويفرق الضحايا إلى المساجد وجوامع القاهرة وغيرها.

فإذا انقضى ذلك خلع الخليفة على الوزير ثيابه الحمر التي كانت عليه ومنديلًا آخر بغير اليتيمة والعقد المنظوم عندما يطلع من المنحر فيشق الوزير بذلك القاهرة إلى باب زويلة ويسلك على الخليج إلى باب القنطرة ويدخل دار الوزارة فلذلك يفضل عيد النحر على عيد الفطر لكونه يخلع فيه على الوزير.

وأما الركوب لفتح خليج السد عند وفاء النيل فهو يضاهي ركوبهم في أول العام.

نذكر منه على سبيل الاختصار نبذة يسيرة: إذا كان ليالي الوفاء حمل إلى المقياس من المطابخ نحو عشرة قناطير خبز وعشرة خراف مشوية وعشر جامات خلوى وعشر شمعات وتوجه القراء وأرباب الجوامع فيقرؤون تلك الليلة بجامع المقياس حتى يكون الوفاء فيهتم الخليفة لذلك ويركب ويستدعي الوزير على العادة ويسير بالزي المقدم من غير مظلة وينزل بالصناعة ثم يركب العشاري ويدخل البيت المذهب في العشاري ومعه من شاء من المحنكين ولا تزيد عدتهم على أربعة نفر.

ويطلع إلى العشاري خواص الخليفة وخواص الوزير وهم اثنان أو ثلاثة والناس كلهم فيه قيام إلا الوزير فإنه يجلس.

ثم يمر العشاري إلى المقياس ثم تساق أشياء من التجمل يطول شرحها من جنس ركوبه أول العام.

ثم يخرج بعد فراغه من تخليق المقياس ويركب العشاري ويعود إلى دار الملك بمصر وتارة إلى المقس ومن أحدهما إلى القاهرة في زي مهول من كثرة ما يهتم له من العساكر والزينة والسلاح.

ويكون هذا الركوب أولى وثانية فالأولى في ليلة يتوجه القراء والثانية يوم فتح الخليج.

وعندما يفتح الخليج ينشده الشعراء في المعني.

فمن ذلك: فتح الخليج فسال منه الماء وعلت عليه الراية البيضاء وأما ركوبهم في المواكب في يومي الاثنين والخميس وغير ذلك فأمر عظيم.

فأول الركوب ركوب متولي دفتر المجلس بالقصر الباطن.

ويتضمن هذا الركوب الإنعام بالعطاء بأداء الرسوم والعطايا المفرقة في غرة السنة ثم يأتي ركوب وثالث ورابع وخامس.

خزانة الكتب وأما خزانة الكتب فكانت في أحد مجالس البيمارستان العتيق اليوم كان فيها ما يزيد على مائة ألف مجلد في سائر العلوم يطول الأمر في عدتها.

وقد اختصرنا من أمور الفاطميين نبذة كثيرة خشية الإطالة والخروج عن المقصود وفيما ذكرناه كفاية ويعلم به أيضًا أحوالهم بالقياس.

وبما يأتي ذكرهم في عدة تراجم أيضًا فإنهم ثلاثة عشر خليفة بمصر نذكرهم إن شاء الله في هذا الكتاب كل واحد على حدته.

خطبة شهر رمضان

وأما خطبة الخليفة في شهر رمضان فنذكرها من قول ابن عبد الظاهر.

قال: وأما عظم الخليفة في أيامه وما كانت قاعدته وطريقته التي رتبها ودامت من بعده عادة لكل خليفة فشيء كثير من ذلك: أنه كان يخطب في شهر رمضان ثلاث خطب ويستريح فيه جمعة وكانوا يسمونها جمعة الراحة.

وكان إذا أراد أن يخطب يتقدم متولي خزانة الفرش إلى الجامع ويغلق المقصورة التي برسم الخليفة والمنظرة وأبواب مقاصيرها وباذهنج المنبر ثم يركب متولي بيت المال وعلى يد كل واحد منهما تعليقه وفرشه وهي عدة سجادات مفروزة منطقة وبأعلاها سجادة لطيفة لا تكشف إلا عند توجه الخليفة إلى المحراب.

ثم يفرش الجامع بالحصر المحاريب المفروزة مما يلي المحراب وكان ذلك بجامع الأزهر قبل أن يبني الحاكم جامعه ثم صار بعد ذلك بجامع الحاكم ثم يهيأ للداخل للجامع مثل ذلك ثم يطلق البخور وتغلق أبواب الجامع ويجعل عليها الحجاب والبوابون ولا يمكن أحد أن يدخله إلا من هو معروف من الخواص والأعيان.

فإذا كان حضور الخليفة إلى الجامع ضربت السلسلة من ركن الجامع إلى الوجه الذي قبالته ولا يمكن أحد من الترجل عندها.

ثم يركب الخليفة ويسلم لكل واحد من مقدمي الركاب في الميمنة والميسرة أكياس الذهب والورق سوى الرسوم المستقرة والهبات والصدقات في طول الطريق.

ويخرج الخليفة من باب الذهب والمظلة بمشدة الجوهر على رأسه وعلى الخليفة الطيلسان.

فعند ذلك يستفتح المقرئون بالقراءة في ركابه بغير رهجية والدكاكين مزينة مملوءة بأواني الذهب والفضة فيسير الخليفة إلى أن يصل إلى وجه الجامع ووزيره بين يديه فتحط السلسلة ويتم الخليفة راكبًا إلى باب جامع الأزهر الذي تجاه درب الأتراك فينزل

ويدخل من باب الجامع إلى الدهليز الأول الصغير ومنه إلى القاعة المعلقة التي كانت برسم جلوسه فيجلس في مجلسه وترخى المقرمة الحرير ويقرأ المقرئون وتفتح أبواب الجامع حينئذ.

فإذا استحق الأذان أذن مؤذنو القصر كلهم على باب مجلس الخليفة ورئيس الجامع على باب المنبر وبقية المؤذنين في المآذن.

فعندما يسمع قاضي القضاة الأذان يتوجه إلى المنبر فيقبل أول درجة وبعده متولي بيت المال ومعه المبخرة وهو يبخر ولم يزالا يقبلان درجة بعد درجة إلى أن يصلا ذروة المنبر فيفتح القاضي بيده التزرير ويرفع الستر ويتناول من متولي بيت المال المبخرة ويبخر هو أيضًا ثم يقبلان الدرج أيضًا وهما نازلان.

وبعد نزولهما يخرج الخليفة والمقرئون بين يديه بتلك الأصوات الشجية إلى أن يصل إلى المنبر ويصعد عليه.

فإذا صار بأعلاه أشار للوزير بالطلوع فيطلع إليه وهو يقبل الدرج حتى يصل إليه فيزر عليه القبة ثم ينزل الوزير ويقف على الدرجة الأولى ويجهر المقرئون بالقراءة ثم يكبر المؤذنون ثم يشرع المؤذنون في الصمت ويخطب الخليفة حتى إذا فرغ من الخطبة طلع إليه الوزير وحل الأزرار فينزل الخليفة وعن يمينه الوزير وعن يساره القاضي والداعي بين يديه والقاضي والداعي هما اللذان يوصلان الأذان إلى المؤذنين حتى يدخل المحراب ويصلي بالناس ويسلم.

فإذا انقضت الصلاة أخذ لنفسه راحة بالجامع بمقدار ما تعرض عليه الرسوم وتفرق وهي للنائب في الخطابة ثلاثة دنانير وللنائب في صلوات الخمس ثلاثة دنانير وللمؤذنين أربعة دنانير ولمشارف خزانة الفرش وفراشها ومتوليها لكل ثلاثة دنانير ولصبيان بيت المال ديناران ولمعبي الفاكهة ديناران.

وأما القراء فكان لهم رسوم غير ذلك.

ومن حين يركب الخليفة من القصر إلى الجامع حتى يعود الصدقات تعم الناس.

قلت: وأظن أن الدينار كان غير دينار زماننا هذا فإنه قال بعدما ذكر لمعبي الفاكهة دينارين: فأما الفواكه التي كانت تعبى بالجامع فإنها كانت تباع بجملة كثيرة ويتزاحم الناس على شرائها لبركاتها ويقسم ثمنها بين الإمام والمؤذنين.

قلت: ولعل هذا كان رسمًا للمعبي غير ثمن الفاكهة.

والله أعلم.

ودام هذا الترتيب إلى آخر وقت إلى أيام العاضد آخر خلفاء مصر من بني عبيد.

ونذكر أيضًا في ترجمة الآمر بأحكام الله من العبيديين كيفية خروج الخليفة إلى الجامع بأزيد من هذا عندما نحكي ما كان يقع له من الوجد في خطبته إن شاء الله تعالى.

انتهى ترجمة المعز لدين الله رحمه الله تعالى.

السنة الأولى من ولاية المعز معد وهي سنة ثلاث وستين وثلاثمائة: وفيها أظهر الخليفة المطيع ما كان يستره من علته وثقل لسانه وتعذر الحركة عليه للفالج الذي كان ناله قديمًا وانكشف ذلك لسبكتكين فدعا الخليفة المطيع إلى خلع نفسه وتسليم الأمر إلى ولده الطائع لله عبد الكريم ففعل ذلك وعقد له الأمر في يوم الأربعاء لثلاث عشرة خلت من ذي القعدة من السنة المذكورة.

فكانت خلافته إلى أن خلع نفسه تسعًا وعشرين سنة وأربعة أشهر وأربعة وعشرين يومًا.

وصورة ما كتب: هذا ما أشهد على متضمنه أمير المؤمنين الفضل المطيع لله بن المقتدر بالله حين نظر لدينه ورعيته وشغل بالعلة الدائمة عما كان يراعيه من الأمور الدينية اللازمة وانقطع إفصاحه عما يجب عليه لله في ذلك فرأى اعتزال ما كان إليه من هذا الأمر وتسليمه إلى ناهض به قائم بحقه ممن يرى له الرأي.

عقده له وأشهد بذلك طوعًا وذكر التاريخ المذكور.

وفي آخره بخط القاضي أبي الحسن محمد بن صالح: شهد عندي بذلك أحمد بن حامد بن محمد وعمر بن محمد بن أحمد وطلحة بن محمد بن جعفر.

قلت: وانقطع المطيع بداره وكان يسمى بعد ذلك الشيخ الصالح إلى أن مات في سنة أربع وستين وثلاثمائة على ما يأتي ذكره في الآتية إن شاء الله تعالى.

وفيها توفي عبد العزيز بن أحمد بن جعفر الفقيه الحنبلي العالم المشهور مولده سنة اثنتين وثمانين ومائتين وصنف المصنفات الكبيرة منها كتاب المقنع مائة جزء وكتاب الكافي مائتي جزء و الشافي ثمانين جزءًا وأشياء غير ذلك ومات في شوال.

وفيها توفي أبو الفتح علي بن محمد بن أبي الفتح البستي الشاعر المشهور وكان إمامًا فاضلًا يعاني الجناس.

ومن شعره قوله: يا أيها الذاهب في مكره مهلًا فما المكر من المكرمات عليك بالصحة فهي المنى يحيا محياك إذا المكرمات وفيها توفي محمد بن أحمد بن سهل أبو بكر الرملي المعروف بابن النابلسي الزاهد المشهور.

بعث إليه كافور الإخشيذي بمال فرده وقال للرسول: قل لكافور: قال الله تعالى: " إياك نعبد وإياك نستعين " فالاستعانة بالله وكفى.

فرد كافور الرسول بالمال وقال: قل له: " له ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى " فأين ذكر كافور ها هنا! الملك والمال لله.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي جمح بن القاسم المؤذن وأبو بكر عبد العزيز بن جعفر بن أحمد صاحب الخلال وأبو بكر محمد ابن أحمد بن سهل الرملي بن النابلسي الشهيد وأبو العباس محمد بن موسى ابن السمسار ومظفر بن حاجب بن أركين والنعمان بن محمد أبو حنيفة المغربي الباطني قاضي مملكة المعز وكان حنفي المذهب لأن الغرب كان يوم ذاك أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمس أذرع سواء.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا وأربع عشرة إصبعًا.

السنة الثانية من ولاية المعز معد وهي سنة أربع وستين وثلاثمائة: فيها في المحرم أوقع العيارون ببغداد حريقًا من الخشابين إلى باب الصغير فاحترق أكثر هذا السوق وهلك شيء كثير.

وأستفحل أمر العيارين ببغداد حتى ركبوا الجند وتلقبوا بالقواد وغلبوا على الأمور وأخذوا الخفارة عن الأسواق والدروب.

وكان فيهم أسود يقال له الزبد كان يأوي قنطرة الزبد يشحذ وهو عريان.

فلما كثر الفساد رأى هذا الأسود من هو أضعف منه قد أخذ بالسيف فطلب الأسود سيفًا ونهب وأغار وحف به طائفةً وتقوى وأخذ أموال الناس وتمول حتى اشترى جارية بألف دينار فراودها فتمنعت فقال: ما تكرهين مني قالت: أكرهك كلك قال: ما تحبين قالت: تبيعني قال: أو أفعل خيرًا لك من ذلك فحملها إلى القاضي وأعتقها ووهبها ألف دينار فتعجب الناس من سماحته.

ثم خرج إلى الشام فهلك هناك.

وفيها خرج الخليفة الطائع ومعه سبكتكين من بغداد في المحرم يريدان واسطًا لقتال بختيار فمات الخليفة المطيع الفضل في يوم الاثنين لثمان بقين من المحرم.

وكان المطيع قد خرج مع ولده الخليفة الطائع يريد واسطًا فرده ولده في تابوت إلى بغداد فدفن بها ثم مات سبكتكين بعده بيوم واحد فحمل أيضًا إلى بغداد.

وكان أصل سبكتكين من مماليك عز الدولة الأتراك وخلع عليه الخليفة الطائع بالإمارة عوضًا عن أستاذه عز الدولة وخرجا لقتاله فمات.

وكانت مدة إمارته شهرين وثلاثة عشر يومًا.

ولما مات سبكتكين عقد الأتراك لأفتكين الرامي مولى معز الدولة وكان أعور وأطاعوه.

وعرض عليه الطائع اللقب فامتنع واقتصر على الكنية.

وعمل على لقاء عز الدولة فاستنجد عز الدولة بابن عمه عضد الدولة فنجده وقاتل الأتراك وكسرهم بعد حروب كثيرة.

ثم طمع عضد الدولة في الإمارة وعزله عز الدولة وخلع عليه الخليفة الطائع مكانه وعظم أمر عضد الدولة بعد ذلك.

وفيها توفي الخليفة المطيع لله أبو القاسم الفضل أمير المؤمنين المقدم ذكر وفاته لما خرج مع ولده الطائع.

وهو ابن الخليفة المقتدر جعفر ابن الخليفة المعتضد أبي العباس أحمد الهاشمي العباسي.

وأمه أم ولد اسمها مشعلة.

بويع بالخلافة بعد المستكفي في سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة.

وكان مولده سنة إحدى وثلاثمائة.

وخلع نفسه من الخلافة غير مكره لذلك حسب ما ذكرناه في السنة الماضية ونزل عن الخلافة لولده الطائع ومات في المحرم في هذه السنة كما تقدم.

وفيها توفي الأمير محمد بن بدر الحمامي وكنيته أبو بكر.

كان والده بدر الحمامي مولى أحمد بن طولون وكان أميرًا على فارس فمات فقام ولده هذا بعده.

قال أبو نعيم: وكان ثقة مات ببغداد.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي أبو بكر أحمد بن محمد بن إسحاق الدينوري بن السني وأبو هاشم عبد الجبار بن عبد الصمد السلمي والمطيع لله الفضل بن المقتدر ومحمد بن بدر الحمامي أمير فارس ومحمد بن عبد الله بن إبراهيم السليطي أبو الحسن.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربع أذرع سواء.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا وعشرون إصبعًا.

السنة الثالثة من ولاية المعز معد وهي السنة التي مات فيها حسب ما تقدم ذكره في ترجمته وهي سنة خمس وستين وثلاثمائة: فيها كتب ركن الدولة أبو علي الحسن بن بويه إلى ولده عضد الدولة أبي شجاع أنه قد كبرت سنة ويؤثر مشاهدته فاجتمعا فقسم ركن الدولة الملك بين أولاده فجعل لعضد الدولة فارس وكرمان وأرجان ولمؤيد الدولة الري وأصبهان ولفخر الدولة همذان والدينور وجعل ولده الأصغر أبا العباس في كنف عضد الدولة.

وفيها عاد جواب ركن الدولة إلى عز الدولة بما يطيب خاطره.

وكان لما بلغ عز الدولة ما فعل ركن الدولة من قسمة البلاد بين أولاده كتب إليه يخبره ما عمله عضد الدولة ويسأله زجره عنه وأن يؤمنه مما يخاف فخاطب ركن الدولة ولده عضد الدولة في الكف عنه فشكا إليه عضد الدولة ما عامله عز الدولة به وانضمام وزيره أبن بقية عليه فلم يزل به ركن الدولة حتى أجابه بالكف عنه.

وفيها خلع على أبي عبد الله أحمد بن محمد بن عبد الله العلوي لإمارة الحاج من دار عز الدولة وركب معه أبو طاهر الوزير ابن بقيه إلى داره وحج بالناس.

وفيها حج بالناس من مصر من جهة العزيز بن المعز عندما تخفف بعد موت أبيه المعز رجل علوي وأقيمت له الدعوة بمكة والمدينة بعد أن منع أهل مكة والمدينة من الميرة ولاقوا من عدم ذلك شدائد حتى اذعنوا له.

وفيها توفي الأمير أبو صالح منصور بن نوح الساماني صاحب خراسان وقام ولده أبو القاسم نوح مقامه وسنه ثلاث عشرة سنة.

وفيها توفي ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة أبو الحسن صاحب التاريخ كان طبيبًا فاضلًا عاشر الخلفاء والملوك وكان ثقة فريدًا في رقته.

وفيها توفي الحسين بن محمد بن أحمد بن ماسرجس الحافظ أبو علي الماسرجسي.

أسلم ماسرجس على يد عبد الله بن المبارك وكان نصرانيًا.

أخذ بدمشق عن أصحاب هشام بن عمار وما صنف في الإسلام أكبر من مسنده وصنف المسند الكبير مهذبًا معللًا في ألف وثلاثمائة وجمع حديث الزهري جمعًا لم يسبقه إليه أحد وكان يحفظه مثل الماء.

وفيها توفي عبد الله بن عدي بن عبد الله بن محمد بن المبارك الحافظ أبو أحمد الجرجاني.

ويعرف بابن القطان.

رحل إلى الشام ومصر رحلتين أولاهما سنة سبع وتسعين.

قال الذهبي: كان لا يعرف العربية مع عجمة فيه وأما في العلل والرجال فحافظ لا يجارى.

وفيها توفي محمد بن علي بن إسماعيل أبو بكر الشاشي الفقيه الشافعي المعروف بالقفال الكبير كان إمام عصره بما وراء النهر ولم يكن للشافعية بما وراء النهر مثله.

وفيها توفي عبد السلام بن محمد بن أبي موسى أبو القاسم الصوفي البغدادي سافر ولقي وفيها توفي عبد العزيز بن عبد الملك بن نصر أبو الأصبغ الأموي الأندلسي.

ولد بقرطبة ثم رحل إلى بخارى واستوطن بها.

قال الحاكم أبو عبد الله: سمعته ببخارى يروي أن مالك بن أنس كان يحدث فجاءت عقرب فلدغته ست عشرة مرة فتغير لونه ولم يتحرك فقيل له في ذلك فقال: كرهت أن أقطع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربع أذرع وإحدى وعشرون إصبعًا.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا وثلاث وعشرون إصبعًا.

والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب.

ولاية العزيز نزار هو نزار أبو منصور العزيز بالله بن المعز لدين الله أبي تميم معد بن المنصور بالله أبي طاهر إسماعيل بن القائم بأمر الله محمد بن المهدي أبي محمد عبيد الله العبيدي الفاطمي المغربي ثم المصري ثاني خلفاء مصر من بني عبيد والخامس من المهدي إليه ممن ولي من آبائه الخلافة بالمغرب.

مولده بالمهدية من القيروان ببلاد المغرب في يوم عاشوراء سنة أربع وأربعين وقيل: سنة اثنتين وأربعين وثلاثمائة.

وخرج مع أبيه المعز من المغرب إلى القاهرة ودام بها إلى أن مات أبوه المعز معد بعد أن عهد إليه بالخلافة.

فولي بعده في شهر ربيع الآخر سنة خمس وستين وثلاثمائة وله اثنتان وعشرون سنة وملك مصر وخطب له بها وبالشام وبالمغرب والحجاز وحسنت أيامه.

وكان القائم بتدبير مملكته مولى أبيه جوهرًا القائد.

وكان العزيز كريمًا شجاعًا سيوسًا وفيه رفق بالرعية.

قال المسبحي: وفي أيامه بني قصر البحر بالقاهرة الذي لم يكن مثله لا في الشرق ولا في الغرب وقصر الذهب وجامع القرافة.

قلت: وقد محي آثار هؤلاء المباني حتى كأنها لم تكن.

قال المسبحي: وكان أسمر أصهب الشعر أعين أشهل بعيد ما بين المنكبين حسن الخلق قريبًا من الناس لا يؤثر سفك الدماء وكان مغرى بالصيد وكان يتصيد السباع وكان أديبًا فاضلًا.

انتهى.

وذكره أبو منصور الثعالبي في يتيمة الدهر وذكر له هذه الأبيات وقد مات له ابن في العيد فقال: نحن بنو المصطفى ذوو محن يجرعها في الحياة كاظمنا عجيبة في الأنام محنتنا أولنا مبتلىً وخاتمنا يفرح هذا الورى بعيدهم طرًا وأعيادنا مآتمنا وقال أبو منصور أيضًا: سمعت الشيخ أبا الطيب يحكي أن الأموي صاحب الأندلس كتب إليه نزار هذا يعني العزيز صاحب مضر كتابًا يسبه فيه ويهجوه فكتب إليه الأموي: أما بعد قد عرفتنا فهجوتنا ولو عرفناك لأجبناك.

والسلام.

قال: فاشتد ذلك على نزار المذكور وأفحمه عن الجواب.

يعني أنه غير شريف وأنه لا يعرف له قبيلة حتى كان يهجوه.

انتهى كلام أبي منصور.

ولما تم أمر العزيز بمصر واستفحل أمره وأخذ في تمهيد أمور بلاده خرج عليه قسام الحارثي وغلب على دمشق.

وكان قسام المذكور من الشجعان وكان أصله من قرية تلفيتا من قرى جبل سنير.

كان ينقل التراب على الحمير وتنقلت به الأحوال حتى صار له ثروة وأتباع وغلب بهم على دمشق حتى لم يبق لنوابها معه أمر ولا نهي ودام على ذلك سنين.

فلما ملك العزيز وعظم أمره أراد زواله فندب إليه جيشًا مع تكين فسار تكين إليه وحاربه أيامًا وصار العزيز يمده بالعساكر إلى أن ضعف أمر قسام وأختفى أيامًا ثم استأمن فقيدوه وحملوه إلى العزيز إلى مصر.

وقال القفطي غير ذلك قال: فغلب على دمشق رجل من العيارين يعرف بقسام وتحصن بها يعني دمشق وخالف على صاحب مصر فسار لحربه الأمير الفضل من مصر فحاصر دمشق وضاق بأهلها الحال فخرج قسام متنكرًا فأخذته الحرس فقال: أنا رسول

فأحضروه إلى الفضل فقال له: أنا رسول قسام إليك لتحلف له وتعوضه عن دمشق بلدًا يعيش به وقد بعثني إليك سرًا فحلف الفضل له.

فلما توثق منه قام وقبل يديه وقال: أنا قسام فأعجب الفضل ما فعله وزاد في إكرامه ورده إلى البلد وسلمه إليه وقام الفضل بكل ما ضمنه وعوضه موضعًا عاش به.

فلما بلغ ذلك العزيز أحسن صلته.

انتهى.

وقال الذهبي روايةً أخرى في أمر قسام قال: وهو الذي يتحدث الناس أنه ملك دمشق وأنه قسم البلاد وقدم لقتاله سلمان بن جعفر بن فلاح إلى دمشق بجيش فنزل بظاهرها ولم يمكنه دخولها فبعث إليه قسام بخطه: أنا مقيم على الطاعة.

وبلغ العزيز ذلك فبعث البريد إلى سلمان ليرده فترحل سلمان من دمشق وولى العزيز عليها أبا محمود المغربي ولم يكن له أيضًا مع قسام أمر ولا حل ولا عقد.

انتهى كلام الذهبي.

قلت: ولعل الذي ذكره الذهبي كان قبل توجه عسكر تكين والفضل فإن الفضل لما سار بالجيوش أخذ دمشق من قسام وعوضه بلدًا وهو المتواتر.

والله أعلم.

وقال الحافظ أبو الفرج بن الجوزي: كان العزيز قد ولى عيسى بن نسطورس النصراني ومنشا اليهودي فكتبت إليه امرأة: بالذي أعز اليهود بمنشا والنصارى بابن نسطورس وأذل المسلمين بك إلا نظرت في أمري.

فقبض العزيز على اليهودي والنصراني وأخذ من ابن نسطورس ثلاثمائة ألف دينا ر انتهى.

وقال ابن خلكان: وأكثر أهل العلم لا يصححون نسب المهدي عبيد الله والد خلفاء مصر حتى إن العزيز في أول ولايته صعد المنبر يوم الجمعة فوجد هناك ورقة فيها: إنا سمعنا نسبًا منكرًا يتلى على المنبر في الجامع إن كنت فيما تدعي صادقًا فاذكر أبا بعد الأب الرابع وإن ترد تحقيق ما قلته فانسب لنا نفسك كالطائع أو فدع الأنساب مستورة وادخل بنا في النسب الواسع فإن أنساب بني هاشم يقصر عنها طمع الطامع فقرأها العزيز ولم يتكلم.

ثم صعد العزيز المنبر يومًا آخر فرأى ورقة فيها مكتوب: بالظلم والجور قد رضينا وليس بالكفر والحماقه إن كنت أعطيت علم غيب فقل لنا كاتب البطاقه قال: وذلك لأنهم ادعوا علم المغيبات والنجوم.

وأخبارهم في ذلك مشهورة.

انتهى كلام ابن خلكان باختصار.

وقال غيره: كأن العزيز ناهضًا وفي أيامه فتحت حمص وحماة وحلب وخطب له صاحب الموصل أبو الذواد محمد بن المسيب بالموصل وخطب له باليمن.

ثم انتقض ما بينه وبين صاحب حلب أبي الفضائل بن سعد الدولة ومدبر ملكه لؤلؤ بعد وفاة سعد الدولة بن سيف الدولة بن حمدان صاحب حلب لما قتل بكجور وهرب كاتبه أعني كاتب بكجور وهو علي بن الحسين المغربي من حلب إلى مشهد الكوفة على البرية ثم اجتهد حتى وصل إلى مصر واجتمع بالعزيز هذا وعظم أمر حلب عنده وكثرها وهون عليه حصونها وأمر متوليها أبي الفضائل.

قلت: ولؤلؤ وأبو الفضائل يأتي بيان ذكرهما فيما يقع بينهما وبين العزيز وتأتي أيضًا وفاتهما في الحوادث فيظهر بذلك أمرهما على من لا يعرفهما.

فلما هون علي بن الحسين أمر حلب على العزيز تشوقت نفسه إلى أخذ حلب من أبي الفضائل.

وكان للعزيز غلامان أحدهما يسمى منجوتكين والآخر بازتكين من الأتراك وكانا أمردين مشتدين فأشار على العزيز المغربي المذكور بإنفاذ أحدهما لقتال الحلبيين لتنقاد إليه الأتراك مماليك سعد الدولة فإنه كان قبل ذلك قد استأمن إلى العزيز جماعة من أصحاب سعد الدولة بن سيف الدولة بن حمدان بعد موت سعد الدولة فأمنهم العزيز وأحسن إليهم وقربهم منهم وفي الصقلبي في ثلاثمائة غلام يعني مملوكًا وبشارة الإخشيذي في أربعمائة غلام ورباح السيفي فولى العزيز وفيًا الصقلبي عكا وولى بشارة طبرية وولى رباحًا غزة.

ثم إن العزيز ولى مملوكه منجوتكين حرب حلب وقدمه على العساكر وولاه الشأم واستكتب له أحمد بن محمد النشوري ثم ضم إليه أيضًا أبا الحسن علي بن الحسين المغربي المقدم ذكره ليقوم المغربي بأمر منجوتكين وتدبيره مع الحلبيين فإنه كان أصل هذه الحركة.

وخرج العزيز حتى شيعهم بنفسه وودعهم.

فسار منجوتكين حتى وصل دمشق فتلقاه أهلها والقواد وعساكر الشام والقبائل فأقام منجوتكين بعساكره عليها مدة ثم رحل طالبًا لحلب في ثلاثين ألفًا.

وكان بحلب أبو الفضائل بن سعد الدولة بن سيف الدولة بن حمدان ومعه لؤلؤ فأغلقا أبوابها واستظهرا في القتال غاية الاستظهار على المصريين.

وكان لؤلؤ لما قدم عسكر مصر إلى الشام كاتب بسيل ملك الروم في النجدة على المصريين ومت له بما كان بينه وبين سعد الدولة من المعاهدة والمعاقدة وأن هذا ولده قد حصر مع عساكر المصريين وحثه على إنجاده ثم بعث إليه بهدايا وتحف كثيرة وسأله في المعونة والنصرة على المصريين وبعث الكتاب والهدايا مع ملكون السرياني فتوجه ملكون السرياني إليه فوجد ملك الروم يقاتل ملك البلغر فأعطاه الهدية والكتاب فقبل الهدية وكتب إلى البرجي نائبه بأنطاكية أن يسير بالعساكر إلى حلب ويدفع المغاربة أعني عساكر العزيز عن حلب.

فسار البرجي في خمسين ألفًا ونزل البرجي بعساكره الجسر الجديد بين أنطاكية وحلب.

فلما بلغ ذلك منجوتكين استشار علي بن الحسين المغربي والقواد في ذلك فأشاروا عليه بالانصراف من حلب وقصد الروم والابتداء بهم قبل وصول الروم إلى حلب لئلا يحصلوا بين عدوين.

فساروا حتى نزلوا تحت حصن أعزاز وقاربوا الروم وصار بينهم النهر المعروف بالمقلوب.

فلما وقع بصرهم على الروم رموهم بالنشاب وبينهم النهر المذكور ولم يكن لأحد الفريقين سبيل للعبور لكثرة الماء.

وكان منجوتكين قد حفظ المواضع التي يقل الماء فيها وأقام جماعة من أصحابه يمنعون عسكره من العبور لوقت يختاره المنجم.

فخرج من عسكره من الديلم رجل شيخ كبير في السن وبيده ترس وثلاث روسات فوقف على جانب النهر وبإزائه قوم من الروم فرموه بالنشاب وهو يسبح حتى قطع النهر وصار على الأرض من ذلك البر والماء في النهر إلى صدره.

فلما رأوه عساكر منجوتكين رموا بأنفسهم في الماء فرسانًا ورجالة ومنجوتكين يمنعهم فلا يمتنعون حتى صاروا مع الروم في أرض واحدة وقاتلوا الروم فأنزل الله نصره على المسلمين فولى الروم وأعطوهم ظهورهم وركبهم المسلمون فأثخنوهم قتلًا وأسرًا وأفلت كبير الروم البرجي في عدد يسير إلى أنطاكية وغنم المسلمون من عساكرهم وأموالهم شيئًا لا يعد ولا يحصى.

وكان مع الروم ألفان من عسكر حلب المسلمين فقتل منجوتكين منهم ثلاثمائة.

وتبع منجوتكين الروم إلى أنطاكية فأحرق ضياعها ونهب رساتيقها ثم كر راجعًا إلى حلب وكان وقت الغلات فعلم لؤلؤ أنه لا له نجدة وأنه يضعف عن مقاومة المصريين فكاتب المغربي والنشوري كاتبي منجوتكين وأرغبهما في المال وبذل لهما ما أرضاهما وسألهما أن يشيرا على منجوتكين بالانصراف عن حلب إلى دمشق وأن يعود في العام المقبل فخاطباه في ذلك وصادف قولهما له شوق منجوتكين إلى دمشق وكان منجوتكين أيضًا قد مل الحرب فانخدع وكتب هو والجماعة إلى العزيز يقولون: قد نفدت الميرة ولا طاقة للعساكر على المقام ويستأذنونه في الرجوع إلى دمشق.

وقبل أن يجيء جواب العزيز رحلوا عن حلب إلى دمشق.

وبلغ العزيز ذلك فشق عليه رحيلهم ووجد أعداء المغربي طريقًا إلى الطعن فيه عند العزيز فصرف العزيز المغربي وقلد الأمر للأمير صالح بن علي الروذباري وأقعده مكانه.

ثم حمل العزيز من غلات مصر في البحر إلى طرابلس شيئًا كثيرًا ثم رجع منجوتكين إلى حلب في السنة الآتية وبنى الدور والحمامات والخانات والأسواق بظاهر حلب وقاتل أهل حلب.

واشتد الحصار على لؤلؤ وأبي الفضائل بحلب وعدمت الأقوات عندهم بداخل حلب فكاتبوا ملك الروم ثانيًا وقالوا له: متى أخذت حلب أخذت أنطاكية ومتى أخذت أنطاكية أخذت قسطنطينية.

فلما سمع ملك الروم ذلك سار بنفسه في مائة ألف وتبعه من كل بلد من معاملته عسكره فلما قرب من البلاد أرسل لؤلؤ إلى منجوتكين يقول: إن الإسلام جامع بيني وبينك وأنا ناصح لكم وقد وافاكم ملك الروم بجنوده فخذوا لأنفسكم ثم جاءت جواسيس منجوتكين فأخبروه بمثل ذلك فأحرق منجوتكين الخزائن والأسواق وولى منهزمًا وبعث أثقاله إلى دمشق وأقام هو بمرج قنسرين ثم سار إلى دمشق.

ووصل بسيل ملك الروم بجنوده إلى حلب ونزل موضع عسكر المصريين فهاله ما كان فعله منجوتكين وعلم كثرة عساكر المصريين وعظموا في عينه وخرج إليه أبو الفضائل صاحب حلب ولؤلؤ وخدماه.

ثم سار ملك الروم في اليوم الثالث ونزل على حصن شيزر وفيه منصور بن كراديس أحد قواد العزيز فقاتله يومًا واحدًا ثم طلب منه الأمان فأمنه فخرج بنفسه إليه فأهل به بسيل ملك الروم وأعطاه مالًا وثيابًا وسلم الحصن إليه فرتب ملك الروم عليه أحد ثقاته.

ثم نازل حمص فافتتحها عنوة وسبى منها ومن أعمالها أكثر من عشرة آلاف نسمة.

ثم نزل على طرابلس أربعين يومًا فقاتلهم فلم يقدر على فتحها فرحل عائدًا إلى الروم.

ووصل خبره إلى العزيز فعظم عليه ذلك إلى الغاية ونادى في الناس بالنفير وفتح الخزائن وأنفق على جنده.

ثم سار بجيوشه ومعه توابيت آبائه فنزل إلى الشام ووصل إلى بانياس فأخذه مرض القولنج وتزايد به حتى مات منه وهو في الحمام في سنة ست وثمانين وثلاثمائة.

وقيل في وفاته غير ذلك أقوال كثيرة منها أنه مات بمدينة بلبيس من ضواحي القاهرة وقيل: إنه مات في شهر رمضان قبل خروجه من القاهرة في الحمام وعمره اثنتان وأربعون سنة وثمانية أشهر.

وكانت مدة ولايته على مصر إحدى وعشرين سنة وخمسة أشهر وأيامًا.

وتولى مصر بعده ابنه أبو علي منصور الملقب بالحاكم الآتي ذكره إن شاء الله.

وكان العزيز ملكًا شجاعًا مقدامًا حسن الأخلاق كثير الصفح حليمًا لا يؤثر سفك الدماء وكانت لديه فضيلة وله شعر جيد وكان فيه عدل وإحسان للرعية.

قلت: وهو أحسن الخلفاء الفاطميين حالًا بالنسبة لأبيه المعز ولابنه الحاكم على ما يأتي ذكره إن شاء الله.

قال ابن خلكان: وزادت مملكته على مملكة أبيه وفتحت له حمص وحماة وشيزر وحلب وخطب له المقلد العقيلي صاحب الموصل بالموصل وأعمالها في المحرم سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة وضرب اسمه على السكة والبنود وخطب له باليمن.

ولم يزل في سلطانه وعظم شأنه إلى أن خرج إلى بلبيس متوجهًا إلى الشام فابتدأت به العلة في العشر الأخير من رجب سنة ست وثمانين وثلاثمائة.

ولم يزل مرضه يزيد وينقص حتى ركب يوم الأحد لخمس بقين من شهر رمضان من السنة المذكورة إلى الحمام بمدينة بلبيس وخرج إلى منزل الأستاذ أبي الفتوح برجوان وكان برجوان صاحب خزانته بالقصر فأقام عنده وأصبح يوم الاثنين وقد أشتد به الوجع يومه ذلك وصبيحة نهار الثلاثاء وكان مرضه من حصاة وقولنج فاستدعى القاضي محمد بن النعمان وأبا محمد الحسن بن عمار الكتامي الملقب أمين الدولة وهو أول من تلقب من المغاربة وكان شيخ كتامة وسيدها ثم خاطبهما في أمر ولده الملقب بالحاكم ثم استدعى ولده المذكور وخاطبه أيضًا بذلك.

ولم يزل العزيز في الحمام والأمر يشتد به إلى بين الصلاتين من ذلك النهار وهو الثلاثاء الثامن والعشرون من شهر رمضان سنة ست وثمانين وثلاثمائة فتوفي في مسلخ الحمام.

هكذا قال المسبحي.

قلت: والعزيز هذا هو الذي رتب الفطرة في عيد شوال وكانت تعمل على غير هذه الهيئة.

وكانت الفطرة تعمل وتفرق بالإيوان ثم نقلت في عدة أماكن وكان مصروفها في كل سنة عشرة آلاف دينار.

وتفصيل الأنواع: دقيق ألف حملة سكر سبعمائة قنطار قلب فستق ستة قناطير لوز ثمانية قناطير بندق أربعة قناطير تمر أربعمائة إردب زبيب ثلاثمائة إردب خل ثلاثة قناطير عسل نحل خمسة قناطير شيرج مائتا قنطار حطب ألف ومائتا حملة سمسم إردبان آنيسون إردبان زيت طيب للوقود ثلاثون قنطارًا ماء ورد خمسون رطلًا مسك خمس نوافج كافور عشرة مثاقيل زعفران مائة وخمسون درهمًا.

ثمن مواعين وأجرة صناع وغيرها خمسمائة دينار.

انتهى باختصار.

ولنعد إلى ذكر وفاة العزيز صاحب الترجمة.

وقال صاحب تاريخ القيروان: إن الطبيب وصف له دواء يشربه في حوض الحمام وغلط فيه فشربه فمات من ساعته ولم ينكتم تاريخ موته ساعة واحدة.

وترتب موضعه ولده الحاكم أبو علي منصور.

وبلغ الخبر أهل القاهرة فخرج الناس غداة الأربعاء لتلقي الحاكم فدخل البلد وبين يديه البنود والرايات وعلى رأسه المظلة يحملها ريدان الصقلبي فدخل القصر عند اصفرار الشمس ووالده العزيز بين يديه في عمارية وقد خرجت رجلاه منها وأدخلت العمارية القصر وتولى غسله القاضي محمد بن النعمان ودفن عند أبيه المعز في حجرة من القصر.

وكان دفنه عند العشاء الأخيرة.

وأصبح الناس يوم الخميس سلخ الشهر والأحوال مستقيمة وقد نودي في البلدان: لا مؤونة ولا كلفة وقد أمنكم الله على أموالكم وأرواحكم فمن نازعكم أو عارضكم فقد حل ماله ودمه.

وكانت ولادة العزيز يوم الخميس رابع عشر المحرم سنة أربع وأربعين وثلاثمائة.

انتهى كلام ابن خلكان باختصار رحمه الله.

وقال المختار المسبحي صاحب التاريخ المشهور: قال لي الحاكم وقد جرى ذكر والده العزيز: يا مختار استدعاني والدي قبل موته وهو عاري الجسم وعليه الخرق والضماد

يعني كونه كان في الحمام قال: فاستدعاني وقبلني وضمني إليه وقال: واغفي عليك يا حبيب قلبي ودمعت عيناه ثم قال: امض يا سيدي فالعب فأنا في عافية.

قال الحاكم: فمضيت والتهيت بما يلتهي به الصبيان من اللعب إلى أن نقل الله تعالى العزيز إليه.

انتهى كلام المسبحي.

وكان العزيز حازمًا فصيحًا.

وكتابه إلى عضد الدولة بحضرة الخليفة الطائع العباسي يدل على فضل وقوة.

وكان كتابه يتضمن بعد البسملة: من عبد الله ووليه نزار أبي منصور الإمام العزيز بالله أمير المؤمنين إلى عضد الدولة الإمام نصير ملة الإسلام أبي شجاع بن أبي علي.

سلام عليك فإن أمير المؤمنين يحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ويسأله الصلاة على جده محمد رسول رب العالمين وحجة الله على الخلق أجمعين صلاةً باقيةً ناميةً متصلةً دائمةً بعترته الهادية وذريته الطيبة الطاهرة.

وبعد فإن رسولك وصل إلى حضرة أمير المؤمنين مع الرسول المنفذ إليك فأدى ما تحمله من إخلاصك في ولاء أمير المؤمنين ومودتك ومعرفتك بحق إمامته ومحبتك لآبائه الطائعين الهادين المهديين.

فسر أمير المؤمنين بما سمعه عنك ووافق ما كان يتوسمه فيك وأنك لا تعدل عن الحق.

ثم ذكر كلامًا طويلًا في المعنى إلى أن قال: وقد علمت ما جرى على ثغور المسلمين من المشركين وخراب الشام وضعف أهله وغلاء الأسعار.

ولولا ذلك لتوجه أمير المؤمنين بنفسه إلى الثغور وسوف يقدم إلى الحيرة وكتابه يقدم عليك عن قريب فتأهب إلى الجهاد في سبيل الله.

وفي آخر الكتاب: وكتبه يعقوب بن يوسف فكتب إليه عضد الدولة كتابًا يعترف فيه بفضل أهل البيت ويقر للعزيز أنه من أهل تلك النبعة الطاهرة وأنه في طاعته ويخاطبه بالحضرة الشريفة وما هذا معناه.

انتهى.

قلت: وأنا أتعجب من كون عضد الدولة كان إليه أمر الخليفة العباسي ونهيه ويقع في مثل هذا لخلفاء مصر وقد علم كل أحد ما كان بين بني العباس وخلفاء مصر من الشنآن.

وما أظن عضد الدولة كتب له ذلك إلا عجزًا عن مقاومته فإنه قرأ كتابه في حضرة الخليفة الطائع وأجاب بذلك أيضًا بعلمه فهذا من العجب.

قال الوزير يعقوب بن كلس: سمعت العزيز بالله يقول لعمه حيدرة: يا عم أحب أن أرى النعم عند الناس ظاهرة وأرى عليهم الذهب والفضة والجوهر ولهم الخيل واللباس والضياع والعقار وأن يكون ذلك كله من عندي.

قال المسبحي: وهذا لم يسمع بمثله قط من ملك.

انتهت ترجمة العزيز.

ولما مات رثاه الشعراء بعدة قصائد.

السنة الأولى من ولاية العزيز نزار العبيدي على مصر

وهي سنة ست وستين وثلاثمائة.

وفيها جاء أبو بكر محمد بن علي بن شاهويه صاحب القرامطة ومعه ألف رجل من القرامطة إلى الكوفة وأقام الدعوة بها لعضد الدولة وأسقط خطبة عز الدولة بختيار.

وكان قدومه معونة لعضد الدولة.

وفيها عمل في الديار المصرية المأتم في يوم عاشوراء على الحسين بن علي رضي الله عنهما وهو أول ما صنع ذلك بديار مصر.

فدامت هذه السنة القبيحة سنين إلى أن انقرضت دولتهم على ما سيأتي ذكره.

وفيها كانت وقعة بين عز الدولة بن معز الدولة أحمد وبين ابن عمه عضد الدولة بن ركن الدولة الحسن بن بويه وقعة هائلة أسر فيها غلام تركي لعز الدولة فاشتد حزنه عليه وامتنع عز الدولة من الأكل والشرب وأخذ في البكاء واحتجب عن الناس وحرم على نفسه الجلوس في الدست وبذل لعضد الدولة في الغلام المذكور جاريتين عوادتين كان قد بذل له في الواحدة مائة ألف درهم فرده عضد الدولة عليه.

وفيها حج بالناس أبو عبد الله أحمد بن أبي الحسين العلوي.

وحجت في السنة جميلة بنت ناصر الدولة بن حمدان ومعها أخواها إبراهيم وهبة الله حجةً ضرب بها المثل وفرقت أموالًا عظيمة منها أنها لما رأت الكعبة نثرت عليها عشرة آلاف دينار وسقت جميع أهل الموسم السويق بالسكر والثلج.

كذا قال أبو منصور الثعالبي.

وقتل أخوها هبة الله في الطريق.

وأعتقت ثلاثمائة عبد ومائتي جارية وفرقت المال في المجاورين حتى أغنتهم وخلعت على كبار الناس خمسين ألف ثوب.

وكان معها أربعمائة عمارية.

ثم ضرب الدهر ضربانه واستولى عضد الدولة بن بويه على أموالها وحصونها فإنه كان خطبها فامتنعت ولم يدع لها شيئًا إلى أن احتاجت وافتقرت.

فانظر إلى هذا الدهر كيف يرفع ويضع.

وفيها توفي المستنصر بالله صاحب الأندلس أبو العاصي الحكم بن الناصر لدين الله عبد الرحمن الأموي.

بقي في الملك ستة عشر عامًا وعاش ثلاثًا وستين سنة.

وكان حسن السيرة جمع من الكتب ما لا يعد ولا يوصف.

وفيها توفي السلطان ركن الدولة أبو علي الحسن بن بويه بن فناخسرو بن تمام بن كوهي بن شيرزيل الأصغر بن شيركوه بن شيرزيل الأكبر الديلمي صاحب أصبهان والري وهمذان وعراق العجم كله.

وهؤلاء الملوك الثلاثة: عضد الدولة وفخر الدولة ومؤيد الدولة أولاده.

وكان ملكًا جليلًا سعيدًا في أولاده قسم عليهم الممالك فقاموا بها أحسن قيام.

وملك ركن الدولة أربعًا وأربعين سنة وأشهرًا.

وكان أبو الفضل بن العميد وزيره والصاحب إسماعيل بن عباد كان وزير ولديه مؤيد الدولة ثم فخر الدولة.

ومات ركن الدولة المذكور في المحرم.

وبويه: بضم الباء الموحدة وفتح الواو وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها هاء ساكنة وفناخسرو: بفتح الفاء وتشديد النون وبعد الألف خاء معجمة مضمومة ثم سين مهملة ساكنة ثم راء مضمومة وبعدها واو.

وقد ضبطته لكي يعرف بعد ذلك اسم من يأتي من أولاده في هذا الكتاب.

وفيها توفي إسماعيل الشيخ أبو عمر السلمي.

كان من كبار المشايخ وله قدم صدق وحكايات مشهورة رحمه الله.

وفيها توفي الحسن بن أحمد بن أبي سعيد الحسن بن بهرام أبو علي وقيل: أبو محمد القرمطي الجنابي الخارجي.

ولد بالأحساء في شهر رمضان سنة ثمان وسبعين ومائتين وغلب على الشام لما قتل جعفر بن فلاح وتوجه إلى مصر لقتال المعز العبيدي كما ذكرناه في ترجمة المعز ثم مات بالرملة في عوده إلى دمشق في شهر رجب.

وجده أبو سعيد هو أول القرامطة وقد مر من أخبارهم القبيحة نبذة كبيرة في عدة سنين.

وكان الحسن هذا صاحب الترجمة فصيحًا شاعرًا وكان يلقب بالأعصم وكان يلبس الثياب القصيرة وهو أحد من قتل العباد وأخرب البلاد.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي الحسن بن أحمد بن أبي سعيد الجنابي القرمطي كان ملك الشام وحاصر مصر شهرًا وركن الدولة الحسن بن بويه صاحب عراق العجم وكانت دولته خمسا وأربعين سنة ووزر له أبو الفضل بن العميد وتوفي أبو الحسن محمد بن عبد الله بن زكرياء بن حيويه النيسابوري بمصر وأبو الحسن محمد بن الحسن النيسابوري السراج المقرىء الزاهد.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربع أذع سواء.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا وأربع أصابع.

السنة الثانية من ولاية العزيز نزار وهي سنة سبع وستين وثلاثمائة.

فيها دخل عضد الدولة بن ركن الدولة بن بويه بغداد وخرج منها ابن عمه عز الدولة بختيار بن معز الدولة بن بويه ثم تقاتلا فانتصر عز الدولة ثم قتل حسب ما سنذكره في هذه السنة.

وفيها زادت دجلة في نيسان حتى بلغت إحدى وعشرين ذراعًا فهدمت الدور والشوارع وهرب الناس في السفن وهيأ عضد الدولة الزبازب تحت داره والزبازب هي المراكب الخفيفة.

وفيها حج بالناس أبو عبد الله العلوي.

وفيها جاء الخبر بهلاك أبي يعقوب يوسف بن الحسن الجنابي القرمطي صاحب هجر وأغلقت الأسواق له بالكوفة ثلاثة أيام وكان قد توزر لعضد الدولة.

وفيها توفي أبو القاسم إبراهيم بن محمد بن أحمد النصربادي النيسابوري ونصرباد: محلة من نيسابور.

وكل باد يأتي في اسم بلد من هؤلاء البلدان هو بالتفخيم حتى يصح معناه.

كان أبو القاسم حافظ خراسان وشيخها وإليه يرجع في علوم القوم والسير والتواريخ وكان صحب الشبلي وغيره من المشايخ.

مات بمكة حاجًا ودفن عند قبر الفضيل بن عياض.

وفيها توفي السلطان أبو منصور بختيار عز الدولة بن معز الدولة أحمد بن بويه الديلمي.

ولي ملك العراق بعد أبيه وتزوج الخليفة الطائع لله عبد الكريم بابنته شاه زمان على صداق مائة ألف دينار.

وكان عز الدولة شجاعًا قويًا يمسك الثور العظيم بقرنيه فلا يتحرك.

وكان بينه وبين ابن عمه عضد الدولة منافسات وحروب على الملك وتقاتلا غير مرة آخرها في شوال قتل فيها عز الدولة المذكور في المعركة وحمل رأسه إلى عضد الدولة فوضع المنديل على وجهه وبكى.

وتملك عضد الدولة العراق بعده واستقل بالممالك.

وعاش عز الدولة ستًا وثلاثين سنة.

وفيها توفي محمد بن أحمد بن عبد الله بن نصر أبو طاهر الذهلي البغدادي القاضي نزيل مصر وقاضيها.

ولد ببغداد في ذي الحجة سنة تسع وسبعين ومائتين.

وفيها توفي الوزير أبو طاهر محمد بن محمد بن بقية وزير عز الدولة وكان عضد الدولة قد بعث إليه يميله عن عز الدولة فقال: الخيانة والغدر ليستا من أخلاق الرجال.

فلما قتل عز الدولة قبض عليه عضد الدولة وشهره في بغداد من الجانبين وعلى رأسه برنس ثم أمر به أن يطرح تحت أرجل الفيلة فقتلته الفيلة ثم صلب في طرف الجسر من الجانب الشرقي ولم يشفع فيه الخليفة الطائع لأمر كان في نفسه منه أيام مخدومه عز الدولة وأقيم عليه الحرس.

فاجتاز به أبو الحسن محمد بن عمر الأنباري الصوفي الواعظ وكان صديقًا لابن بقية المذكور فرثاه بمرثيته المشهورة وهي: علو في الحياة وفي الممات لحق أنت إحدى المعجزات كأن الناس حولك حين قاموا وفود نداك أيام الصلات كأنك قائم فيهم خطيبًا وكلهم قيام للصلاة مددت يديك نحوهم احتفاء كمدهما إليهم بالهبات وتشعل عندك النيران ليلًا كذلك كنت أيام الحياة ركبت مطية من قبل زيد علاها في السنين الماضيات ولم أر قبل جذعك قط جذعًا تمكن من عتاق المكرمات وتلك فضيلة فيها تأس تباعد عنك تعيير العداة أسأت إلى النوائب فاستثارت فأنت قتيل ثأر النائبات وصير دهرك الإحسان فيه إلينا من عظيم السيئات وكنت لمعشر سعدًا فلما مضيت تفرقوا بالمنحسات غليل باطن لك في فؤادي يخفف بالدموع الجاريات ولو أني قدرت على قيام لفرضك والحقوق الواجبات ملأت الأرض من نظم القوافي ونحت بها خلاف النائحات ولكني أصبر عنك نفسي مخافة أن أعد من الجناة وما لك تربة فأقول تسقى لأنك نصب هطل الهاطلات ولما ضاق بطن الأرض عن أن يضم علاك من بعد الممات أصاروا الجو قبرك واستنابوا عن الأكفان ثوب السافيات عليك تحية الرحمن تترى برحمات غواد رائحات قلت: ولم أذكر هذه المرثية بتمامها هنا إلا لغرابتها وحسن نظمها.

واستمر ابن بقية مصلوبًا إلى أن توفي عضد الدولة.

وفيها توفي الأمير الغضنفر بن ناصر الدولة بن حمدان صاحب الموصل وابن صاحبها.

النصربادي الواعظ العارف وعز الدولة بختيار بن معز الدولة بن بويه ملك العراق قتل في مصاف بينه وبين ابن عمه عضد الدولة والغضنفر بن ناصر الدولة بن حمدان صاحب الموصل وابن صاحبها وأبو طاهر محمد بن أحمد بن عبد الله الذهلي بمصر في ذي القعدة وله ثمان وثمانون سنة وأبو بكر محمد بن عمر القرطبي ابن القوطية اللغوي والوزير أبو طاهر محمد بن محمد بن بقية نصير الدولة وزير عز الدولة صلبه عضد الدولة.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ثلاث أذرع وثلاث وعشرون إصبعًا.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا وأربع أصابع.

السنة الثالثة من ولاية العزيز نزار وهي سنة ثمان وستين وثلاثمائة.

فيها أمر الخليفة الطائع أن تضرب على باب عضد الدولة الدبادب أعني الطبلخانات في وقت الصبح والمغرب والعشاء وأن يخطب له على منابر الحضرة.

قلت: وهذا أول ملك دقت الطبلخانة على بابه وصار ذلك عادة من يومئذ.

وقال الحافظ أبو الفرج بن الجوزي: وهذان أمران لم يكونا من قبله ولا أطلقا لولاة العهود ولا خطب بحضرة السلطان إلا له ولا ضربت الدبادب إلا على بابه.

وقد كان معز الدولة أحب أن تضرب له الدبادب بمدينة السلام فسأل الخليفة المطيع لله في ذلك فلم يأذن له.

قال الحافظ أبو عبد الله الذهبي: وما ذاك إلا لضعف أمر الخلافة.

انتهى.

وفيها توفي أحمد بن جعفر بن حمدان بن مالك الحافظ أبو بكر القطيعي البغدادي كان يسكن قطيعة الرقيق.

ومولده في أوائل سنة أربع وسبعين ومائتين.

وكان مسند العراق في زمانه وسمع الكثير وروى عنه الدارقطني وابن شاهين والحاكم وخلق سواهم.

وفيها توفي عبد الله بن إبراهيم بن يوسف الحافظ أبو القاسم الجرجاني الآبندوني وآبندون: قرية من قرى جرجان.

كان رفيق ابن عدي في الرحلة سكن بغداد وحدث بها عن جماعة وروى عنه رفيقه الإمام أبو بكر الإسماعيلي وغيره.

وفيها توفي محمد بن عيسى بن عمرويه الشيخ أبو أحمد الجلودي الزاهد راوي صحيح مسلم سمع الكثير وروى عنه غير واحد.

قال الحاكم: كان من أعيان الفقراء الزهاد وأصحاب المعاملات في التصوف ضاعت سماعاته من ابن سفيان فنسخ البعض من نسخة لم يكن له فيما سماع.

وفيها توفي هفتكين الأمير أبو منصور التركي الشرابي.

هرب من بغداد خوفًا من عضد الدولة ووقع له أمور مع العزيز هذا صاحب الترجمة بمصر ثم أطلقه العزيز.

وصار له موكب فخافه الوزير يعقوب بن يوسف بن كلس فدس عليه من سقاه السم.

وكان إليه المنتهى في الشجاعة.

وفيها توفي تميم بن المعز معد العبيدي الفاطمي أخو العزيز هذا صاحب مصر.

وكان تميم أميز أولاد المعز وكان فاضلًا جوادًا سمحًا يقول الشعر.

وشق موته على أخيه العزيز.

وفيها توفي الحسن بن عبد الله بن المرزبان أبو سعيد السيرافي النحوي القاضي.

كان أبوه مجوسيًا واسمه بهزاد فأسلم فسمي عبد الله.

سكن الحسن بغداد وولي القضاء بها وكان مفتنًا في علوم القراءات والنحو واللغة والفقه والفرائض والكلام والشعر والعروض والقوافي والحساب وسائر العلوم وشرح كتاب سيبويه مع الزهد والورع.

وفيها توفي عبد الله بن محمد بن ورقاء أبو أحمد الشيباني كان من أهل البيوتات وأسرته من أهل الثغور مات في ذي الحجة.

وفيها توفي محمد بن محمد بن يعقوب النيسابوري من ولد الحجاج بن الجراح سمع الكثير وكان عابدًا صالحًا حافظًا ثقة صدوقًا.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي أبو بكر أحمد بن جعفر القطيعي في ذي الحجة عن خمس وتسعين سنة وأبو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي النحوي في رجب وله أربع وثمانون سنة وأبو القاسم عبد الله بن إبراهيم الجرجاني الآبندوني الحافظ الزاهد ببغداد وله خمس وتسعون سنة وعيسى بن حامد الرخجي القاضي وأبو أحمد محمد بن عيسى بن عمرويه الجلودي في ذي الحجة وله ثمانون سنة وأبو الحسين محمد بن محمد بن يعقوب الحجاجي الحافظ المفيد الصالح في ذي الحجة بنيسابور عن ثلاث وثمانين سنة وهفتكين التركي الذي هرب خوفًا من عضد الدولة وتملك دمشق وحارب المصريين مرات.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربع أذرع وخمس عشرة إصبعًا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا وإصبع واحدة.

السنة الرابعة من ولاية العزيز نزار وهي سنة تسع وستين وثلاثمائة.

فيها تزوج الخليفة الطائع ببنت عضد الدولة وقد مر ذلك ولكن الأصح في هذه السنة.

وعقد العقد بحضرة الخليفة الطائع على صداق مبلغه مائتا ألف دينار.

وكان الوكيل عن عضد الدولة في العقد أبا علي الحسن بن أحمد الفارسي النحوي والخطيب أبو علي المحسن بن علي القاضي التنوخي وكيلًا عن الخليفة.

وفيها توفي فارس بن زكرياء والد ابن فارس أبي الحسين اللغوي صاحب كتاب المجمل في اللغة.

وكان عالمًا بفنون العلوم وروى عنه الأئمة ومات ببغداد.

وفيها توفي أحمد بن عطاء بن أحمد بن محمد بن عطاء أبو عبد الله الروذباري ابن أخت أبي علي الروذباري.

كان شيخ الشام في وقته وكان ممن جمع بين علم الشريعة والحقيقة ومات بقرية بين عكا وصور يقال لها منواث.

وفيها توفي الحسين بن علي أبو عبد الله البصري ويعرف بالجعل سكن بغداد.

وكان من شيوخ المعتزلة وصنف على مذاهب المعتزلة ومات يوم الجمعة ثاني ذي الحجة.

وفيها توفي عبد الله بن محمد الراسبي كان بغدادي الأصل وكان من كبار المشايخ وأرباب المعاملات.

ومن كلامه قال: خلق الله الأنبياء للمجالسة والعارفين للمواصلة والمؤمنين للمجاهدة.

ومن كلامه: أعظم حجاب بينك وبين الحق اشتغالك بتدبير نفسك واعتمادك على عاجز مثلك في أسبابك.

وتوفي ببغداد.

وفيها توفي أبو تغلب الغضنفر بن ناصر الدولة الحسن بن حمدان التغلبي وقد تقدم ذكر وفاته والأصح أنه في هذه السنة.

كان ملك الموصل وديار ربيعة وقلاع ابن حمدان ووقع له حروب مع بني بويه وأقاربه بني حمدان إلى أن طرقه عضد الدولة وأخذ منه بلاده فانهزم إلى أخلاط ثم توجه نحو الديار المصرية وحارب أعوان العزيز صاحب مصر فقتل في المعركة وبعث برأسه إلى العزيز صاحب الترجمة.

وفيها توفي عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الحافظ أبو محمد الأصبهاني أبو الحافظ صاحب التصانيف ولد سنة أربع وسبعين ومائتين وسمع في صغره من جده لأمه محمود بن الفرج الزاهد وغيره وهو صاحب تاريخ بلده والتاريخ على السنين وكتاب السنة وكتاب العظمة وغيرها.

وفيها توفي أبو سهل محمد بن سليمان بن محمد بن سليمان بن هارون العجلي الصعلوكي النيسابوري الفقيه الشافعي.

كان أديبًا لغويًا مفسرًا نحويًا شاعرًا صوفيًا.

ولد سنة ست وتسعين ومائتين ومات في ذي القعدة.

ومن شعره: أنام على سهو وتبكي الحمائم وليس لها جرم ومني الجرائم كذبت وبيت الله لو كنت عاشقًا لما سبقتني بالبكاء الحمائم وفيها توفي محمد بن صالح بن علي بن يحيى بن عبد الله أبو الحسن القاضي القرشي الهاشمي ويعرف بابن أم شيبان سمع الكثير وتفقه على مذهب مالك رضي الله عنه وكان عاقلًا متميزًا كثير التصانيف.

ولم يل القضاء بمدينة السلام من بني هاشم غيره.

وفيها توفي محمد بن علي بن الحسن أبو بكر التنيسي.

سمع منه الدارقطني ورآه وحده فقال له: يا أبا بكر ما في بلدك مسلم قال: بلى ولكنهم اشتغلوا بالدنيا عن الآخرة.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي أبو عبد الله بن عطاء الروذباري وعبد الله بن إبراهيم بن أيوب بن ماسي في رجب وله خمس وتسعون سنة وأبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان أبو الشيخ في المحرم وله خمس وتسعون سنة وأبو سهل محمد بن سليمان الصعلوكي ذو الفنون في آخر السنة وله ثمانون سنة وقاضي العراق ابن أم شيبان أبو الحسن محمد بن صالح الهاشمي فجأة في جمادى الأولى عن ست وسبعين سنة وأبو بكر محمد بن علي بن الحسن المصري بن النقاش في شعبان وكان حافظًا وأبو عمرو محمد بن صالح ببخارى وأبو علي مخلد بن جعفر الباقرحي.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربع أذرع وخمس أصابع.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا سواء.

السنة الخامسة من ولاية العزيز نزار وهي سنة سبعين وثلاثمائة.

فيها خرج عضد الدولة للقاء الصاحب إسماعيل بن عباد فقدم عليه ابن عباد من الري من عند أخيه مؤيد الدولة فبالغ عضد الدولة في إكرامه إلى الغاية لكونه وزير أخيه مؤيد الدولة وصاحب أمره ونهيه.

وتردد إليه عضد الدولة في إقامته ببغداد غير مرة إلى أن سافر إلى مخدومه مؤيد الدولة في شهر ربيع الآخر.

وفيها توجه عضد الدولة إلى همذان.

فلما عاد إلى بغداد خرج الخليفة لتلقيه ولم يكن ذلك بعادة أن الخليفة يلاقي أحدًا من الأمراء.

قلت: وهذا كان أولًا وأما في الآخر فإن الطائع كان قد بقي تحت أوامر عضد الدولة كالأسير.

وفيها حج بالناس أبو الفتح أحمد بن عمر العلوي وخطب بمكة والمدينة للعزيز هذا صاحب مصر.

وفيها غرقت بغداد من الجانبين وأشرف أهلها على الهلاك ووقعت القنطرتان وغرم على بنائهما أموال كثيرة.

وفيها توفي أحمد بن علي الإمام العلامة أبو بكر الرازي الحنفي العالم المشهور.

مولده في سنة خمس وثلاثمائة كان إمام الحنفية في زمانه وكان مشهورًا بالدين والورع والزهد.

قال أبو المظفر في تاريخه: وحاله كان يزيد على حال الرهبان من كثرة التقشف وهو صاحب التصانيف وفيها توفي محمد بن جعفر بن الحسين بن محمد بن زكرياء الحافظ أبو بكر الوراق المعروف بغندر كان حافظًا متقنًا ورحل إلى البلاد وسمع الكثير وكتب ما لم يكتبه أحد وكان حافظًا ثقة.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي أبو بكر أحمد بن علي الرازي عالم الحنفية في ذي الحجة وله خمس وستون سنة وبشر بن أحمد أبو سهل الأسفرايني في شوال عن نيف وتسعين سنة وأبو محمد الحسن بن أحمد السبيعي الحلبي الحافظ.

وأبو محمد الحسن بن رشيق بمصر في جمادى الآخرة وأبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه النحوي وأبو بكر عبد الله بن محمد بن محمد بن فورك في ذي القعدة وأبو منصور محمد بن أحمد الأزهري صاحب تهذيب اللغة في ربيع الآخر.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ذراع واحدة.

مبلغ الزيادة خمس عشرة ذراعًا وأربع أصابع.

السنة السادسة من ولاية العزيز نزار وهي سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة.

فيها اتفق فخر الدولة وقابوس بن وشمكير على عداوة أخيه عضد الدولة في الباطن.

قلت: وهذه أول فتنة بدت بين الإخوة أولاد ركن الدولة الثلاثة عضد الدولة وفخر الدولة ومؤيد الدولة.

وفطن عضد الدولة لذلك ولم يظهره وجهز العساكر لأخيه مؤيد الدولة لقتال قابوس المذكور فتوجه إليه مؤيد الدولة وحصره وأخذ بلاده ولم ينفعه فخر الدولة.

وكان لقابوس من البلاد طبرستان وغيرها.

وفيها حج بالناس أبو عبد الله العلوي من العراق.

وفيها توفي أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل الحافظ أبو بكر الجرجاني كان إمامًا طاف البلاد ولقي الشيوخ وسمع الكثير وصنف الكتب الحسان منها: الصحيح صنفه على صحيح البخاري والفرائد والعوالي وغير ذلك ومات في شهر رجب.

وفيها توفي الحسن بن أحمد بن صالح الحافظ أبو محمد السبيعي الكوفي.

كان حافظًا مكثرًا إلا أنه كان عسر الرواية وكان الدارقطني يجلس بين يديه جلوس الصبي بين يدي المعلم هيبة له ومات في ذي الحجة ببغداد.

وفيها توفي عبد العزيز بن الحارث بن أسد أبو الحسن التميمي الحنبلي كان فقيهًا فاضلًا وله تصانيف في أصول الكلام وفي مذهبه والفرائض وغير ذلك.

وفيها توفي علي بن إبراهيم أبو الحسن الحصري البصري الصوفي الواعظ.

سكن بغداد وصحب الشبلي وغيره وكان صاحب خلوات ومجاهدات وله كلام حسن في التوفيق.

وفيها توفي محمد بن أحمد بن طالب الأخباري رحل وسمع الكثير وكان فاضلًا محدثًا أخباريًا.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي أبو بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي الجرجاني في رجب وله أربع وتسعون سنة وأبو العباس الحسن بن سعيد العباداني المطوعي المقرىء وله مائة وسنتان وأبو محمد عبد الله بن إسحاق القيرواني شيخ المالكية وأبو زيد محمد بن أحمد المروزي الفقيه في رجب وأبو عبد الله محمد بن خفيف الشيرازي شيخ الصوفية بفارس.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ثلاث أذرع وسبع عشرة إصبعًا.

مبلغ الزيادة خمس عشرة ذراعًا وإصبعان.

السنة السابعة من ولاية العزيز نزار وهي سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة.

فيها وثب أبو الفرج محمد بن عمران بن شاهين على أخيه أبي محمد الحسن بن عمران صاحب البطيحة فقتله واستولى على بلده.

وفيها حج بالناس أبو الفتح أحمد بن عمر العلوي وقيل: إنه لم يحج أحد من العراق من هذه السنة إلى سنة ثمانين بسبب الفتن والخلف بين خلفاء بني العباس وبين خلفاء مصر بني عبيد.

وفيها أنشأ عضد الدولة بيمارستانه ببغداد في الجانب الغربي ورتب فيه الأطباء والوكلاء والخزان وكل ما يحتاج إليه.

قال الحافظ أبو عبد الله الذهبي: وفي هذا الزمان كانت البدع والأهواء فاشية ببغداد ومصر من الرفض والاعتزال والضلال فإنا لله وإنا إليه راجعون!.

قلت: ومعنى قول الذهبي: ومضر فإنه معلوم من كون خلفاء بني عبيد كانوا يظهرون الرفض وسب الصحابة وكذلك جميع أعوانهم وعمالهم.

وأما قوله: ببغداد فإنه كان بسبب عضد الدولة الآتي ذكره فإنه كان أيضًا يتشيع ويكرم جانب الرافضة.

وفيها توفي السلطان عضد الدولة أبو شجاع فناخسرو وقيل بويه على اسم جده وفناخسرو أشهر ابن السلطان ركن الدولة الحسن بن بويه بن فناخسرو الديلمي.

ولي مملكة فارس بعد عمه عماد الدولة ثم قوي على ابن عمه عز الدولة بختيار بن معز الدولة بن بويه وأخذ منه العراق وبغداد.

وقد تقدم من ذلك نبذة يسيرة في حوادث بعض السنين.

وبلغ سلطانه من سعة المملكة والاستيلاء على الممالك ما لم يبلغه أحد من بني بويه ودانت له البلاد والعباد.

وهو أول من خوطب بالملك شاهنشاه في الإسلام وأول من خطب له على منابر بغداد بعد الخلفاء وأول من ضربت الدبادب على باب داره.

وكان فاضلًا نحويًا وله مشاركة في فنون كثيرة وله صنف أبو علي الفارسي الإيضاح.

قال أبو علي الفارسي: منذ تلقب شاهنشاه تضعضع أمره وما كفاه ذلك حتى مدح نفسه فقال: عضد الدولة وابن ركنها ملك الأملاك غلاب القدر ولما أحس بالموت تمثل بشعر القاسم بن عبد الله الوزير وهو قوله: قتلت صناديد الرجال فلم أدع عدوًا ولم أمهل على ظنة خلقا وأخليت دور الملك من كل نازل وبددتهم غربًا وشردتهم شرقا ثم جعل يبكي ويقول: ما أغنى عني ماليه! هلك عني سلطانيه! وصار يرددها إلى أن مات في شوال ببغداد وله سبع وأربعون سنة.

وتولى الملك من بعده ابنه صمصام الدولة ولم يجلس للعزاء إلا في أول السنة.

أظن أنهم كانوا أخفوا موت عضد الدولة لأمر أو أنه اشتغل بملك جديد حتى فرغ منه.

وفيها توفي محمد بن جعفر بن أحمد أبو بكر الحريري المعدل البغدادي وكان يعرف بزوج الحرة وكان جليل القدر من الثقات.

مات ببغداد ودفن عند قبر معروف الكرخي.

رحمة الله عليهما.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ثلاث أذرع وسبع عشرة إصبعًا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا وأربع أصابع.

السنة الثامنة من ولاية العزيز نزار وهي سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة.

فيها في ثاني عشر المحرم أظهرت وفاة عضد الدولة وحمل تابوته إلى المشهد وجلس ابنه صمصام الدولة للعزاء وجاءه الخليفة الطائع معزيًا ولطم عليه الناس في دوره وفي الأسواق أيامًا عديدة.

ثم ركب صمصام الدولة إلى دار الخلافة وخلع عليه الخليفة الطائع عبد الكريم سبع خلع وعقد له لواءين ولقب شمس الدولة.

وفيها بعد مدة يسيرة ورد الخبر على صمصام الدولة المذكور بموت عمه مؤيد الدولة أبي منصور بن ركن الدولة بجرجان فجلس صمصام الدولة أيضًا للتعزية وجاءه الخليفة الطائع مرة ثانية معزيًا في عمه مؤيد الدولة المذكور.

ولما مات مؤيد الدولة كتب وزيره الصاحب إسماعيل بن عباد إلى أخيه فخر الدولة علي بن ركن الدولة بالإسراع إليه وضبط ممالك أخيه مؤيد الدولة فقدم فخر الدولة إليه وملك بلاد أخيه واستوزر الصاحب بن عباد المذكور.

وعظم ابن عباد في أيام فخر الدولة إلى الغاية.

وفيها كان الغلاء المفرط بالعراق وبلغ الكر القمح أربعة آلاف وثمانمائة درهم ومات خلق كثير على الطريق جوعًا وعظم الخطب.

وفيها ولى العزيز نزار صاحب الترجمة خطلخ القائد إمرة دمشق.

وفيها توفي السلطان مؤيد الدولة أبو منصور بويه ابن السلطان ركن الدولة حسن بن بويه المقدم ذكره.

مات بجرجان وله ثلاث وأربعون سنة وشهر.

وكانت مدة إمرته سبع سنين وشهرًا.

وكان قد تزوج ببنت عمه معز الدولة فأنفق في عرسها سبعمائة ألف دينار.

وكان موته في ثالث عشر شعبان فيكون بعد موت أخيه عضد الدولة بنحو عشرة أشهر.

وصفا الوقت لأخيهما فخر الدولة.

وفيها توفي سعيد بن سلام أبو عثمان المغربي.

مولده بقرية يقال لها كركنت كان أوحد عصره في الزهد والورع والعزلة.

وفيها توفي عبد الله بن محمد بن عثمان بن المختار أبو محمد المزني الواسطي الحافظ كان ثقة مات بواسط.

ومن كلامه قال: الذين وقع عليهم اسم الخلافة ثلاثة: آدم وداود عليهما السلام وأبو بكر الصديق رضي الله عنه.

قال الله تعالى في حق آدم: " إني جاعل في الأرض خليفة " وقال في حق داود: " يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض " وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ثلاثين ألف مسلم كلهم يقول لأبي بكر: يا خليفة رسول الله.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربع أذرع سواء.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا وإصبعان.

السنة التاسعة من ولاية العزيز نزار وهي سنة أربع وسبعين وثلاثمائة.

فيها دخلت القرامطة البصرة لما علموا بموت عضد الدولة ولم يكن لهم قوة على حصارها فجمع لهم مال فأخذوه وانصرفوا.

وفيها وقع الصلح بين صمصام الدولة وبين عمه فخر الدولة بمكاتبة أبي عبد الله بن سعدان إلى الصاحب بن عباد.

فكان ابن سعدان يخاطب الصاحب بن عباد بالصاحب الجليل وفيها ملكت الأكراد ديار بكر بن ربيعة.

وسببه أنه كان بجبال حيزان رجل كردي يقطع الطريق يقال له أبو عبد الله الحسين بن دوستك ولقبه باد واجتمع عليه خلق كثير وجرت له مع بني حمدان حروب إلى أن قتل.

فلما قتل باد المذكور كان له صهر يقال له مروان بن كسرى وكان له أولاد ثلاثة وكانوا من قرية يقال لها كرماس بين إسعرذ والمعدن وكانوا رؤساءها.

فلما خرج باد خرج معه أولاد مروان المذكور وهم: الحسن وسعيد وأحمد وأخ آخر.

فلما قتل باد انضم عسكره على ابن أخته الحسن واستفحل أمره وتقاتل مع من بقي من بني حمدان فهزمهم.

ثم مات عضد الدولة بن بويه فصفا له الوقت وملك ديار بكر وميافارقين وأحسن السيرة في الناس فأحبته الرعية ثم افتتح بعد ذلك عدة حصون يأتي ذكرها إن شاء الله تعالى في محلها.

وفيها توفي عبد الرحيم بن محمد بن إسماعيل بن نباتة الخطيب الفارقي صاحب الخطب والذي من ذريته الشيخ جمال الدين محمد بن نباتة الشاعر المتأخر الآتي ذكره إن شاء الله تعالى.

وكان مولده بميافارقين في سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة.

وكان بارعًا في الأدب وكان يحفظ نهج البلاغة وعامة خطبه بألفاظها ومعانيها ومات بميافارقين عن تسع وثلاثين سنة.

ولولده أبي طاهر محمد خطب أيضًا.

وفيها توفي محمد بن محمد بن مكي أبو أحمد القاضي الجرجاني رحل في طلب الحديث ولقي مضى زمن وكان الناس فيه كرامًا لا يخالطهم خسيس فقد دفع الكرام إلى زمان أخس رجالهم فيه رئيس تعطلت المكارم يا خليلي وصار الناس ليس لهم نفوس أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربع أذرع سواء.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا وأربع أصابع.

السنة العاشرة من ولاية العزيز نزار وهي سنة خمس وسبعين وثلاثمائة

فيها توفي أحمد بن الحسين بن علي الحافظ أبو زرعة الرازي الصغير كان إمامًا طاف البلاد في طلب الحديث وجالس الحفاظ وصنف التراجم والأبواب وكان متقنًا صدوقًا فقد بطريق مكة في هذه السنة.

وفيها توفي الحسين بن علي بن محمد بن يحيى الحافظ أبو أحمد النيسابوري ويقال له حسينك مولده سنة ثلاث وتسعين ومائتين ومات بنيسابور في شهر ربيع الآخر وكان ثقة جليلًا مأمونًا حجة.

وفيها توفي محمد بن عبد الله بن محمد أبو بكر التميمي الأبهري الفقيه المالكي ولد سنة تسع وثمانين ومائتين وصنف التصانيف الحسان في مذهبه وانتهت إليه رياسة المالكية في زمانه.

وفيها توفي عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن مهران أبو مسلم البغدادي الحافظ الثقة العابد العارف رحل إلى البلاد وأقام بسمرقند وجمع المسند وكان يعد من الزهاد.

وفيها توفي عبد الله بن علي بن عبيد الله أبو القاسم الواردي البصري القاضي شيخ أهل الظاهر في عصره سمع الكثير وحدث وكان موصوفًا بالفضل وحسن السيرة وولي القضاء بعدة بلاد وحسنت سيرته.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي أبو زرعة الرازي الصغير أحمد بن الحسين الحافظ وأبو علي الحسين بن علي التميمي حسينك والحسين بن محمد بن عبيد أبو عبد الله العسكري الدقاق في شوال وأبو مسلم عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن مهران البغدادي الحافظ الزاهد وأبو القاسم عبد العزيز بن عبد الله الداركي شيخ الشافعية ببغداد وأبو القاسم عبد العزيز بن جعفر الخرقي وعمر بن محمد بن علي أبو حفص الزيات ومحمد بن عبد الله بن محمد القاضي أبو بكر الأبهري شيخ المالكية بالعراق ويوسف بن القاسم القاضي أبو بكر الميانجي.

الماء القديم أربع أذرع واثنتان وعشرون إصبعًا.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا وعشر أصابع.

السنة الحادية عشرة من ولاية العزيز نزار وهي سنة ست وسبعين وثلاثمائة.

فيها استقر الأمر على الطاعة لشرف الدولة بن عضد الدولة وتحالف الإخوة الثلاثة أولاد عضد الدولة وتعاقدوا ومضمون ما كتب بينهم: هذا ما اتفق عليه وتعاهد وتعاقد شرف الدولة أبو الفوارس وصمصام الدولة وأبو النصر أبناء عضد الدولة بن ركن الدولة اتفقوا

على طاعة أمير المؤمنين الطائع لله ولشرف الدولة بن عضد الدولة وذكر ما جرت به العادة وكان ذلك بعد أمور وقعت بين صمصام الدولة وبين أخيه شرف الدولة المذكور حتى أذعن له صمصام الدولة.

وفيها توفي أبو القاسم المظفر بن علي الملقب بالموفق أمير البطيحة وولي بعده أبو الحسن علي بن نصر بعهد منه.

فبعث ابن نصر هذا لشرف الدولة يبذل الطاعة وسأل الخلع والتقليد فأجيب إلى ذلك ولقب مهذب الدولة فسار بالناس أحسن سيرة.

وفيها توفي الحكم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد الأموي المغربي أمير الأندلس.

ولي مملكة الأندلس بعد وفاة أبيه يوم مات سنة خمسين وثلاثمائة وكنيته أبو العاصي ولقبه المستنصر بالله وأقام واليًا على الأندلس خمسًا وعشرين سنة ومات في صفر.

وأمه أم ولد يقال لها مرجان.

وتولى بعده ولده هشام بن الحكم وكان مشكور السيرة.

وهو الذي كتب إليه العزيز صاحب الترجمة من مصر يهجوه وقد ذكرنا ذلك في أول ترجمة العزيزة فرد المستنصر هذا جواب العزيز وكتب في أول كتابه قصيدة أولها: ألسنا بني مروان كيف تقلبت بنا الحال أو دارت علينا الدوائر إلى أن قال: إذا ولد المولود منا تهللت له الأرض واهتزت إليه المنابر ثم قال: وبعد فقد عرفتنا فهجوتنا ولو عرفناك لهجوناك.

والسلام.

وفيها توفي محمد بن أحمد بن حمدان بن علي بن عبد الله بن سنان أبو عمرو الحيري الزاهد صحب جماعة من الزهاد وكان عالمًا بالقراءات والنحو وكان متعبدًا مات ببغداد في ذي القعدة.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي إبراهيم بن أحمد أبو إسحاق المستملي ببلخ طوف وخرج المعجم وأبو سعيد الحسن بن جعفر السمسار الخرقي وأبو الحسن علي بن الحسن بن علي القاضي الجراحي الضعيف وأبو الحسن علي بن عبد الرحمن البكائي.

وأبو القاسم عمر بن محمد بن سبنك وقسام الحارثي الغالب على دمشق قبض عليه في هذه السنة وأبو عمرو محمد بن أحمد بن حمدان الحيري في ذ القعدة عن ثلاث وتسعين سنة وأبو بكر محمد بن عبد الله بن عبد العزيز الرازي الواعظ.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ست أذرع سواء.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا وإحدى وعشرون إصبعًا.

السنة الثانية عشرة من ولاية العزيز نزار وهي سنة سبع وسبعين وثلاثمائة.

فيها توفيت والدة شرف الدولة فجاءه الخليفة الطائع لله معزيًا.

وفيها في شعبان ولد لشرف الدولة بن عضد الدولة ولدان توأمان فكنى أحدهما أبا حرب وسماه سلار والثاني أبا منصور وسماه فناخسرو.

وفيها ولى العزيز صاحب الترجمة بكتكين التركي إمرة دمشق وندبه لقتال قسام حسب ما تقدم ذكره.

وفيها توفي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار أبو علي الفارسي النحوي الإمام المشهور ولد ببلدة فسا وقدم بغداد وسمع الحديث وبرع في علم النحو وانفرد به وقصده الناس من الأقطار وعلت منزلته في العربية وصنف فيها كتبًا كثيرة لم يسبق إلى مثلها حتى اشتهر ذكره في الآفاق وتقدم عند عضد الدولة حتى قال عضد الدولة: أنا غلام أبي علي في النحو.

ومن تصانيف أبي علي: الإيضاح والتكملة وكتاب الحجة في القراءات ومات ببغداد في شهر ربيع الأول عن نيف وتسعين سنة.

وفيها كان قد هيأ العزيز صاحب مصر عدة شواني لغزو الروم فاحترقت مراكبه فآتهم بها أناسًا.

ثم بعد ذلك وصلت رسل الروم في البحر إلى ساحل القدس بتقادم للعزيز ودخلوا مصر يطلبون الصلح فأجابهم العزيز واشترط شروطًا شديدة التزموا بها كلها منها: أنهم يحلفون أنه لا يبقى في مملكتهم أسير إلا أطلقوه وأن يخطب للعزيز في جامع قسطنطينية كل جمعة وأن يحمل إليه من أمتعة الروم كل ما افترضه عليهم ثم ردهم بعقد الهدنة سبع سنين.

وفيها توفيت ستيتة وقيل آمنة بنت القاضي أبي عبد الله الحسين المحاملي وأم القاضي أبي الحسين محمد بن أحمد بن القاسم المحاملي كنيتها أمة الواحد.

كانت فاضلة من أعلم الناس وأحفظهم لفقه الشافعي وتقرأ القراءات والفرائض والنحو وغير ذلك من العلوم مع الزهد والعبادة أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمس أذرع سواء.

مبلغ الزيادة سبع عشره ذراعًا وعشر أصابع.

السنة الثالثة عشرة من ولاية العزيز نزار وهي سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة.

فيها في المحرم أمر شرف الدولة بأن ترصد الكواكب السبعة في مسيرها وتنقلها في بروجها على مثال ما كان المأمون يفعل وتولى ذلك ابن رستم الكوهي وكان له علم بالهيئة والهندسة وبنى بيتًا في دار المملكة بسبب ذلك في آخر البستان وأقام الرصد لليلتين بقيتا من صفر.

وفيها كثرت العواصف وهبت ريح بفم الصلح عظيمة جرفت دجلة من غربيها إلى شرقيها فأهلكت خلقًا كثيرًا وغرقت كثيرًا من السفن الكبار.

وفيها بدأ المرض بشرف الدولة ولحقه سوء مزاج.

وفيها لحق الناس بالبصرة حر عظيم في نيف وعشرين يومًا من تموز وهو أبيب بالقبطي فكان الناس يتساقطون موتى بالعراق في الشوارع.

وفيها ولى العزيز صاحب مصر على دمشق منيرًا الخادم وعزل عنها بكتكين التركي لأنه كان وفيها توفي أحمد بن الحسين بن أحمد بن علي بن محمد العلوي الدمشقي ويعرف بالعقيقي صاحب الدار المشهورة بدمشق وكان من وجوه الأشراف جوادًا ممدحًا مات بدمشق في جمادى الأولى.

وفيها توفي الخليل بن أحمد بن محمد بن الخليل أبو سعيد السجزي القاضي الحنفي وقيل: اسمه محمد والخليل لقب له ويعرف أيضًا بابن جنك.

كان شيخ أهل الرأي في عصره وكان مع كثرة علمه أحسن الناس كلامًا في الوعظ والتذكير وكان صاحب فنون من العلوم وطاف الدنيا شرقًا وغربًا وسمع الحديث وكان شاعرًا فصيحًا مات قاضيًا بسمرقند في جمادى الآخرة ورثاه أبو بكر الخوارزمي.

وفيها توفي عبد الله بن علي بن محمد أبو نصر السراج الصوفي الطوسي كان من كبار مشايخ طوس وزهادهم مات بنيسابور في شهر رجب وهو ساجد.

ومن شعره: ما ناصحتك خبايا الود من أحد ما لم تنلك بمكروه من العذل مودتي فيك تأبى أن تسامحني بأن أراك على شيء من الزلل وفيها توفي محمد بن محمد بن أحمد بن إسحاق أبو أحمد الحافظ النيسابوري الكرابيسي الحاكم الكبير إمام عصره صاحب التصانيف سمع الكثير وروى عنه خلق كثيرة وصنف على كتابي البخاري ومسلم وعلى جامع أبي عيسى الترمذي وصنف كتابي الأسماء والكنى والعلل والمخرج على كتاب المزني وغير ذلك وولي القضاء بمدن كثيرة ومات في شهر ربيع الأول عن ثلاث وتسعين سنة.

وفيها توفي أبو القاسم بن الجلاب المالكي وقيل اسمه عبد الرحمن بن عبيد الله وسماه القاضي عياض: محمد بن الحسين تفقه بالقاضي أبي بكر محمد الأبهري وصنف كتابًا جليلًا في مسائل الخلاف وكتاب التفريع في مذهبه وكان أحفظ أصحاب الأبهري.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ثلاث أذرع سواء.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا واثنتا عشرة إصبعًا.

السنة الرابعة عشرة من ولاية العزيز نزار وهي سنة تسع وسبعين وثلاثمائة.

فيها مات شرف الدولة شيرزيل بن عضد الدولة بويه وقيل: فناخسرو ابن ركن الدولة الحسن بن بويه الديلمي بعد أن عهد بالملك إلى أخيه أبي نصر.

وجاء الطائع الخليفة لأبي نصر وعزاه في أخيه شرف الدولة ثم ركب أبو نصر إلى دار الخليفة وحضر الأعيان.

وخلع الخليفة الطائع على أبي نصر المذكور سبع خلع أعلاها سوداء وعمامة سوداء وفي عنقه طوق كبير وفي يديه سواران ومشى الحجاب بين يديه بالسيوف.

فلما حصل بين يدي الطائع قبل الأرض ثم أجلس على كرسي وقرأ أبو الحسن علي بن عبد العزيز بن حاجب النعمان كاتب الخليفة عهده وقدم إلى الطائع لواءه فعقده ولقبه بهاء الدولة وضياء الملة.

قلت: وهذا الثالث من بني عضد الدولة بن بويه فإنه ولي بعد عضد الدولة صمصام الدولة ثم شرف الدولة ثم بهاء الدولة هذا.

وكان بهاء الدولة المذكور من رجال بني بويه.

وبلغ الأتراك بفارس ولايته فوثبوا وأخرجوا صمصام الدولة من معتقله وكان اعتقله أخوه شرف الدولة.

ولما خرج صمصام الدولة واستفحل أمره وقع بينه وبين الأتراك فتركوه وأقاموا ابن أخيه أبا علي ولقبوه شمس الدولة.

ووقع لهم أمور يطول شرحها.

وفيها توفي محمد بن المظفر بن موسى بن عيسى أبو الحسين البزاز البغدادي الحافظ المشهور ولد سنة ست وثمانين ومائتين في المحرم ورحل وسمع الكثير وروى عنه خلائق كتب عنه الدارقطني.

وقد روينا مسنده الذي جمعه من حديث أبي حنيفة رضي الله عنه عن المسند المعمر الحاكم عبد الرحيم بن الفرات الحنفي.

أنبأنا ابن أبي عمر وغير واحد قالوا: أنبأنا أبو الحسن بن البخاري أنبأنا الخشوعي أنبأنا ابن خسرو البلخي عن المبارك بن عبد الجبار الصيرفي عن أبي محمد الفارسي عن ابن المظفر.

وقال محمد بن أبي الفوارس: انتهى إليه علم الحديث مع الفقه والأمانة وحسن الخط.

وفيها توفي شرف الدولة شيرزيل بن عضد الدولة بويه بن ركن الدولة الحسن بن بويه بن فناخسرو الديلمي سلطان بغداد وابن سلطانها.

ظفر بأخيه صمصام الدولة بعد حروب وحبسه وملك العراق.

وكان حسن السيرة يميل إلى الخير وأزال المصادرات.

وكان مرضه بالاستسقاء وامتنع من الحمية فمات منه في جمادى الآخرة عن تسع وعشرين سنة وملك سنتين وثمانية أشهر.

وتولى السلطنة بعده أخوه أبو نصر بهاء الدولة حسب ما ذكرناه في أول هذه السنة.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ثلاث أذرع سواء.

مبلغ الزيادة خمس عشرة ذراعًا وتسع عشرة إصبعًا.

السنة الخامسة عشرة من ولاية العزيز نزار وهي سنة ثمانين وثلاثمائة.

فيها قلد أبو أحمد الحسين بن موسى الموسوي العلوي نقابة الطالبيين والنظر في المظالم وإمرة الحاج وكتب عهده على جميع ذلك واستخلف ولديه المرتضى والرضي على النقابة وخلع عليهما من دار الخلافة ببغداد.

وفيها تغير بهاء الدولة على الخليفة الطائع لله عبد الكريم حتى نكبه في السنة الآتية.

وفيها حج بالناس أبو عبد الله أحمد بن محمد بن عبيد الله نيابة عن الشريف أبي أحمد الموسوي.

وفيها توفي حمزة بن أحمد بن الحسين الشريف أبو الحسن العلوي الدمشقي كان جوادًا رئيسًا يسكن بباب الفراديس.

ولما قرىء نسب خلفاء مصر الفاطميين على منبر دمشق استهزأ بهم ونال منهم فبعث ابن كلس وزير العزيز من قبض عليه وحبسه بالإسكندرية إلى أن مات بها.

وفيها توفي الوزير يعقوب بن يوسف بن كلس أبو الفرج وزير العزيز صاحب مصر.

كان يهوديًا من أهل بغداد ثم انتقل إلى الرملة وعمل سمسارًا فانكسر عليه مال فهرب إلى مصر.

وتاجر لكافور الإخشيذي فرأى منه فطنةً فقال: لو أسلم لصلح للوزارة فأسلم فقصده الوزير يوم ذلك فهرب ابن كلس هذا إلى المغرب وترقى إلى أن وزره العزيز صاحب الترجمة سنة خمس وستين وثلاثمائة.

فاستقامت أمور العزيز بتدبيره إلى أن مات.

فلما أشرف على الموت عاده العزيز وغمه أمره.

فقال له العزيز: وددت أنك تباع فأشتريك بملكي أو تفتدى فأفديك بولدي فهل من حاجة توصي بها فبكى ابن كلس وقبل يده وجعلها على عينيه ثم أوصى العزيز بوصايا ومات.

فصلى عليه العزيز وألحده في قبره بيده في قبة في دار العزيز كان بناها العزيز لنفسه وأغلق الدواوين بعده أيامًا.

وقيل: إنه كان حسن إسلامه وقرأ القرآن والنحو وكان يجمع العلماء والفضلاء.

ولما مات خفف شيئًا كثيرًا.

وقيل: إنه كفن وحنط بما قيمته عشرة آلاف دينار قاله الذهبي وغيره من المؤرخين ورثاه مائة شاعر.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي أبو القاسم طلحة بن محمد بن جعفر الشاهد وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن يحيى بن مفرج القرطبي قاضي الجماعة ووزير مصر يعقوب بن يوسف بن كلس وأبو بكر محمد بن عبد الرحمن بن صبر الحنفي المعتزلي.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ثلاث أذرع سواء.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا وعشرون إصبعًا.

وهي سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة.

فيها خلع الخليفة الطائع عبد الكريم في تاسع عشر شعبان وتولى القادر الخلافة.

وسببه أن أبا الحسين بن المعلم كان من خواص بهاء الدولة فحبسه الطائع وجاء بهاء الدولة إلى دار الخلافة وقد جلس الطائع متقلدًا سيفًا.

فلما قرب بهاء الدولة قبل الأرض وجلس على كرسي وتقدم أصحابه فجذبوا الطائع بحمائل سيفه وتكاثروا عليه ولفوه في كساء وحمل في زبزب في الدجلة وأصعد إلى دار الملك.

وارتج البلد وظن أكثر الناس أن القبض على بهاء الدولة ونهبت دار الخلافة وماج الناس إلى أن نودي بخلافة القادر.

وكتب على الطائع كتاب بخلع نفسه وأنه سلم الأمر إلى القادر بالله فتشغبت الجند يطلبون رسم البيعة وترددت الرسل بينهم وبين بهاء الدولة أو منعوا الخطبة باسم القادر ثم أرضوهم وسكنوا وأقيمت الخطبة للقادر في الجمعة الآتية.

والقادر هذا ابن عم الطائع المخلوع عن الخلافة به.

واسمه أحمد وكنيته أبو العباس ابن الأمير إسحاق ابن الخليفة جعفر المقتدر.

والطائع الذي خلع اسمه عبد الكريم وكنيته أبو بكر ابن الخليفة المطيع الفضل ابن الخليفة جعفر المقتدر المذكور حبس وأقام سنين بعد ذلك إلى أن مات على ما سيأتي ذكره في محله إن شاء الله تعالى.

وفيها حج بالناس أبو الحسن محمد بن الحسن بن يحيى العلوي الشريف أمير الحج وكذلك حج بالناس عدة سنين.

وفيها توفي أحمد بن الحسين بن مهران أبو بكر النيسابوري المقرىء العابد مصنف كتاب الغاية في القراءات.

قال الحاكم: كان إمام عصره في القراءات وكان أعبد من رأينا من القراء وكان مجاب الدعوة.

مات في شوال وله ست وثمانون سنة.

وفيها توفي أحمد بن محمد بن الفضل بن جعفر بن محمد بن الجراح أبو بكر الخزاز كان أديبًا فاضلًا فارسًا شجاعًا.

وفيها توفي بكجور التركي ولي إمرة دمشق لأستاذه العزيز صاحب الترجمة نقل إليها من ولاية حمص.

وكان ظالمًا جبارًا ساءت سيرته في ولايته.

ولما كثر ظلمه عزله العزيز صاحب مصر وولى مكانه منيرًا الخادم سنة ثمانٍ وسبعين.

فلم يسلم بكجور المذكور البلد إلا بعد قتال وتوجه إلى جهة حلب ثم قتل بمكان يقال له الناعورة.

وكان أصل بكجور المذكور من موالي سعد الدولة بن سيف الدولة بن حمدان.

فيها توفي سعد الدولة أبو المعالي شريف بن سيف الدولة علي بن عبد الله بن حمدان التغلبي الأمير صاحب حلب وابن صاحبها في شهر رمضان.

وعهد إلى ولده أبي الفضائل ووصى لؤلؤًا الكبير به وبولده الآخر أبي الهيجاء.

ووقع بينهم وبين العزيز صاحب مصر وقائع وحروب ذكرناها في أول ترجمة العزيز هذا وما وقع له معهم إلى أن مات العزيز.

وفيها توفي عبد الله بن أحمد بن حمويه بن يوسف بن أعين أبو محمد السرخسي مولده في سنة ثلاث وتسعين ومائتين.

قال أبو ذر: قرأت عليه.

وهو صاحب أصولٍ حسان.

وفيها توفي عبيد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف أبو الفضل الزهري العوفي هو إمام مسند كبير القدر.

قال أبو بكر الخطيب: كان ثقة.

ولد سنة تسعين ومائتين.

وفيها توفي محمد بن إبراهيم بن علي بن عاصم بن زاذان الحافظ أبو بكر بن المقرىء مسند أصبهان طاف البلاد وسمع الكثير وروى عنه خلق.

قال ابن مردويه: هو ثقة مأمون صاحب أصول مات في شوال وله ست وتسعون سنة.

وفيها توفي عبيد الله بن أحمد بن معروف أبو محمد القاضي ولي القضاء من الجانبين ببغداد وكانت له منزلة عالية من الخلفاء والملوك خصوصًا من الطائع وكان من العلماء الثقات الفضلاء العقلاء.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ثلاث أذرع واثنتا عشرة إصبعًا.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا وثلاث وعشرون إصبعًا.

السنة السابعة عشرة من ولاية العزيز نزار وهي سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة.

فيها منع أبو الحسين علي بن محمد بن المعلم الكوكبي صاحب أمر بغداد الرافضة من أهل الكرخ وباب الطاق من النوح في يوم عاشوراء ومن تعليق المسوح وكان ذلك يعمل من نحو ثلاثين سنة.

وفيها جلس الخليفة القادر بالتاج وحضر القضاة والأشراف والأعيان وأحضر رسول صاحب المولتان فذكر الرسول رغبة مرسله في الإسلام والدخول فيه برعيته وسأل أن ينفذ إليه الخليفة من يعلمهم السنن والفرائض والشرائع والحدود فكتب على يده كتابًا ووعد بكل جميل وسر الناس بذلك غاية السرور وفيها شغب الديلم والترك والجند على بهاء الدولة وطلبوا منه تسليم أبي الحسين بن المعلم وكان ابن المعلم قد استولى على

بهاء الدولة وحكم عليه وقصر في حق الجند فامتنع بهاء الدولة من تسليمه ثم غلب وسلمه لخاله شيرزيل فسقاه السم مرتين فلم يعمل فيه فخنقه بحبل الستارة حتى مات ودفنه.

وفيها غلت الأسعار ببغداد فبيع رطل الخبز بأربعين درهمًا والجوزة بدرهم.

وفيها حج بالناس محمد بن الحسن العلوي.

وفيها توفي أحمد بن علي بن عمر أبو الحسين الحريري.

ولد سنة اثنتين وثلاثمائة وهو غير صاحب المقامات.

أخرج له الخطيب حديثًا من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يقول الله تعالى: " أنا ثالث الشريكين ما لم يخن أحدهما صاحبه فإذا خانه خرجت من بينهما ".

ومات أبو الحسين في شهر رمضان.

وفيها توفي عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب أبو سعيد الرازي القرشي الصوفي نزيل نيسابور كان كالريحانة بين الصوفية سيدًا ثقة.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري في ذي الحجة وأبو القاسم عبد الله بن أحمد بن محمد بن يعقوب النسائي الشافعي راوي مسند الحسن بن سفيان عنه وأبو سعيد عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب الرازي وله أربع وتسعون سنة وأبو عمر محمد بن العباس بن حيويه الخزاز في شهر ربيع الآخر أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربع أذرع واثنتا عشرة إصبعًا.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا وثماني عشرة إصبعًا.

السنة الثامنة عشرة من ولاية العزيز نزار وهي سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة.

فيها تزوج الخليفة القادر بالله سكينة بنت بهاء الدولة على صداق مائة ألف دينار فماتت قبل الدخول بها.

وفيها عظم الغلاء حتى بلغ ثمن كر القمح ببغداد ستة آلاف درهم وستمائة درهم غياثي والكارة الدقيق مائتين وستين درهمًا.

وفيها ابتنى الوزير أبو نصر سابور بن أردشير دارًا بالكرخ سماها دار العلم ووقفها على العلماء ونقل إليها كتبًا كثيرة.

وفيها توفي أحمد بن إبراهيم بن الحسن بن شاذان الحافظ أبو بكر البزاز ولد في شهر ربيع الأول سنة ثمان وتسعين ومائتين ومات في شوال ببغداد.

وكان ثبتًا ثقةً صاحب أصول.

قيل له: وفيها توفي جعفر بن عبد الله بن يعقوب أبو القاسم الرازي.

روى عن محمد بن هارون الروياني مسنده وسمع عبد الرحمن بن أبي حاتم وجماعة.

قال أبو يعلى الخليلي: موصوف بالعدالة وحسن الديانة وهو آخر من روى عن الروياني.

وفيها توفي عبد الله بن عطية بن عبد الله بن حبيب أبو محمد المقرىء الدمشقي المفسر العدل إمام مسجد عطية داخل باب الجابية.

كان يحفظ خمسين ألف بيت من شعر العرب في الاستشهادات على معاني القرآن واللغة.

مات بدمشق في شوال.

ومن شعره قوله: احذر مودة ماذق مزج المرارة بالحلاوه يحصي الذنوب عليك أي - - ام الصداقة للعداوه وفيها توفي عبد الله بن محمد بن القاسم بن حزم أبو محمد الأندلسي القلعي من أهل قلعة أيوب.

رحل إلى مصر والشام والعراق سنة خمسين وثلاثمائة وسمع الكثير وعاد إلى الأندلس وصنف الكتب.

وكانوا يشبهونه بسفيان الثوري في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ومات في شهر ربيع الآخر وله ثلاث وستون سنة.

وفيها توفي محمد بن صالح بن محمد بن سعد أبو عبد الله الأندلسي الفقيه المالكي سمع بمصر والشام والجزيرة وبغداد ثم أقام ببخارى حتى مات بها في شهر رجب.

وكان فاضلًا أديبًا ودعت قلبي ساعة التوديع وأطعت قلبي وهو غير مطيعي إن لم أشيعهم فقد شيعتهم بمشيعين: حشاشتي ودموعي وفيها توفي نصر بن محمد بن أحمد بن يعقوب أبو الفضل الطوسي العطار الصوفي الحافظ أحد أركان الحديث بخراسان مع الدين والزهد والسخاء والعفة.

وقد سافر إلى العراق ومصر والشام والحجاز وجمع من الحديث ما لم يجمعه أحد وصنف الكتب.

ومات وهو ابن ثلاث وسبعين سنة.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربع أذرع وثماني عشرة إصبعًا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا وإحدى وعشرون إصبعًا.

السنة التاسعة عشرة من ولاية العزيز نزار وهي سنة أربع وثمانين وثلاثمائة.

فيها تزوج مهذب الدولة علي بن نصر ببنت بهاء الدولة بن بويه وعقد أيضًا للأمير أبي منصور بن بهاء الدولة على بنت مهذب الدولة كل صداق مائة ألف دينار.

وفيها سار صمصام الدولة بن عضد الدولة من شيراز يريد الأهواز فخرج بهاء الدولة من بغداد ونزل واسطًا وأرسل جيشًا لقتال صمصام الدولة بن بويه فالتقوا مع صمصام الدولة وانتصروا عليه.

وفيها عزل الشريف أبو أحمد الموسوي عن نقابة الطالبيين وصرف ولداه الرضي والمرتضى عن النيابة عنه وتولى عوضه الشريف الزينبي.

وفيها رجع الحاج إلى بغداد ولم يحج أحد من العراق خوفًا من القرامطة.

وفيها توفي إبراهيم بن هلال أبو إسحاق الصابىء صاحب الرسائل كان فاضلًا شاعرًا نكب غير مرة بسبب رسائله.

ومولده في شهر رمضان سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة ومات في هذه السنة ودفن بالشونيزية.

ورثاه الشريف الرضي الموسوي بقصيدته الدالية التي أولها: أرأيت من حملوا على الأعواد أرأيت كيف خبا ضياء النادي وعاتبه الناس في ذلك لكونه شريفًا ورثى صابئًا فقال: إنما رثيت فضله.

قال ابن خلكان: وجهد فيه عز الدولة أن يسلم فلم يفعل.

وكان يصوم شهر رمضان مع المسلمين ويحفظ القرآن الكريم أحسن حفظ.

وفيها توفي عبد الله بن محمد بن نافع بن مكرم أبو العباس البستي الزاهد كان ورث من آبائه أموالًا عظيمة أنفقها على الفقهاء والفقراء أقام سبعين سنة لا يستند إلى جدار ولا إلى غيره ومات في المحرم.

وفيها توفي علي بن عيسى بن علي الإمام أبو الحسن الرماني النحوي.

مولده سنة ست وتسعين ومائتين وبرع في علم النحو واللغة والأصول والتفسير وغيرها.

وله كتاب التفسير الكبير وهو كثير الفوائد إلا أنه صرح فيه بالاعتزال وسلك الزمخشري سبيله وزاد عليه.

مات ببغداد ودفن بالشونيزية.

وفيها توفي محمد بن العباس بن أحمد بن محمد الحافظ أبو الحسن بن الفرات.

ولد سنة تسع عشرة وثلاثمائة وكتب الكثير وجمع ما لم يجمعه أحد من أقرانه وكان عنده عن علي بن محمد المصري وحده ألف جزء وكتب مائة تفسير ومائة تاريخ وخفف ثمانية عشر صندوقًا مملوءة كتبًا غير ما سرق منه وأكثرها بخطه.

وكانت له جارية تعارض معه بما يكتبه.

ومات ببغداد في شوال وكان مأمونًا ثقة.

انتهى كلام صاحب مرآة الزمان.

وفيها توفي محمد بن عمران بن موسى بن عبيد الله أبو عبد الله الكاتب المرزباني كان صاحب أخبار وروايات للآداب وصنف كتبًا في فنون العلوم.

وكان أبو علي الفارسي يقول عنه: هو من محاسن الدنيا.

وفيها توفى المحسن بن علي بن محمد بن أبي الفهم القاضي أبو علي التنوخي مصنف كتاب الفرج بعد الشدة.

مولده سنة سبع وعشرين وثلاثمائة بالبصرة.

وكان أديبًا شاعرًا.

تقلد القضاء بسر من رأى ومات ببغداد في المحرم.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربع أذرع واثنتان وعشرون إصبعًا.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا وسبع أصابع.

السنة العشرون من ولاية العزيز نزار وهي سنة خمس وثمانين وثلاثمائة

فيها تحركت القرامطة على البصرة فجهز بهاء الدولة إليهم جيشًا فرجعوا عنها.

وفيها زلزلت الدنيا زلزلة عظيمة مات فيها تحت الهم خلق كثير.

وفيها أمر صمصام الدولة بقتل من كان بفارس من الأتراك كل ذلك ولم ينتج أمر صمصام الدولة.

وفيها توفي طغان صاحب بهاء الدولة الذي كان ندبه لقتال صمصام الدولة بشيراز.

وفيها حج بالناس أحمد بن محمد بن عبد الله العلوي من العراق وبعث بدر بن حسنويه الكردي خمسة آلاف دينار إلى الاصيفر الأعرابي الذي كان يقطع الطريق على الحاج عوضًا عما كان يأخذه من الحاج وجعل ذلك رسمًا عليه في كل سنة من ماله رحمه الله.

وفيها توفي الوزير الصاحب إسماعيل بن عباد بن العباس أبو القاسم وزير مؤيد الدولة بن ركن الدولة الحسن بن بويه ثم وزر لأخيه فخر الدولة.

كان أصله من الطالقان وكان نادرة زمانه وأعجوبة عصره في الفضائل والمكارم.

أخذ الأدب عن الوزير أبي الفضل بن العميد وزير ركن الدولة بن بويه وسمع الحديث من أبيه ومن غير واحد وحدث باليسير.

وهو أول وزير سمي بالصاحب لأنه صحب مؤيد الدولة من الصبا فسماه الصاحب فغلب عليه ثم سمي به كل من ولي الوزارة حتى حرافيش زماننا حملة اللحم وأخذة المكوس! وقيل: إنه كان يصحب ابن العميد فقيل له صاحب ابن العميد ثم خفف فقيل الصاحب.

ولما ولي الوزارة قال فيه أبو سعيد الرستمي: ورث الوزارة كابرًا عن كابر موصولة الإسناد بالإسناد يروي عن العباس عباد وزا - - رته وإسماعيل عن عباد ولما مات مؤيد الدولة تولى السلطنة أخوه فخر الدولة فأقر الصاحب هذا على وزارته فعظم أمره أكثر ما كان وبقي في الوزارة ثمانية عشر عامًا وفتح خمسين قلعة وسلمها إلى فخر رق الزجاج وراقت الخمر وتشابها فتشاكل الأمر فكأنما خمر ولا قدح وكأنما قدح ولا خمر وله القصيدة التي أولها: تبسم إذ تبسم عن أقاحي وأسفر حين أسفر عن صباح وقيل: إن القاضي العميري أرسل إلى الصاحب كتبًا كثيرة وكتب معها يقول: العميري عبد كافي الكفاة وإن اعتد في وجوه القضاة خدم المجلس الرفيع بكتب مفعمات من حسنها

مترعات فأخذ منها الصاحب بن عباد كتابًا واحدًا وكتب معها: قد قبلنا من الجميع كتابًا ورددنا لوقتها الباقيات لست أستغنم الكثير فطبعي قول خذ ليس مذهبي قول هات ومات الصاحب بالري عشية ليلة الخميس خامس عشرين صفر وأغلقت له مدينة الري وحضر مخدومه فخر الدولة وجميع أعيان مملكته وقد غيروا لباسهم.

فلما خرج نعشه صاح الناس صيحة واحدة وقبلوا الأرض لنعشه ومشى فخر الدولة أمام نعشه وقعد للعزاء أيامًا ورثاه الشعراء بعدة قصائد.

وليس هذا محل الإطناب في التراجم سوى تراجم ملوك مصر التي بسببها صنف هذا الكتاب.

وفيها توفي علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار بن عبد الله أبو الحسن البغدادي الدارقطني الحافظ المشهور صاحب التصانيف.

سمع من أبي القاسم البغوي وخلق كثير ببغداد والكوفة والبصرة وواسط ورحل في كهولته إلى الشام ومصر فسمع القاضي أبا الطاهر الذهلي وطبقته وروى عنه أبو حامد الأسفرايني وأبو عبد الله الحاكم وعبد الغني بن سعيد المصري وخلق سواهم.

قال الخطيب أبو بكر: كان الدارقطني فريد عصره ووحيد دهره ونسيج وحده وإمام وقته انتهى إليه علم الأثر والمعرفة بعلل الحديث وأسماء الرجال وأحوال الرواة مع الصدق والثقة وصحة الاعتقاد.

وكانت وفاته في ثامن ذي القعدة.

وفيها توفي عمر بن أحمد بن عثمان بن أحمد بن أيوب بن أزداد الشيخ أبو حفص بن شاهين الحافظ الواعظ محدث بغداد ومفيدها سمع الكثير وحدث ومولده سنة سبع وتسعين ومائتين.

قال ابن ماكولا: كان ثقة مأمونًا سمع بالشام والعراق والبصرة وفارس وجمع الأبواب والتراجم وصنف كثيرًا.

وفيها توفي أبو الحسن عباد بن العباس والد الصاحب بن عباد المقدم ذكره مات بعد ابنه بمدة يسيرة.

وكان فاضلًا جليلًا سمع الحديث وصنف كتاب أحكام القرآن.

وقد تقدم أن أصلهم من الطالقان وهي قرية كبيرة بين قزوين وأبهر وحولها عدة قرى وقيل: هو إقليم يقع عليه هذا الاسم.

وبخراسان مدينة يقال لها طالقان غير هذه.

وفيها توفي بشر بن هارون أبو نصر النصراني الكاتب كان شاعرًا هجاء خبيث اللسان كتب مرة إلى إبراهيم الصابىء: حضرت بالجسم وقد كنت بالن - - فس وإن لم ترني حاضرا أنطقني بالشعر حبي لكم ولم أكن من قبلها شاعرا فكتب إليه الصابىء تحت خطه: ولا بعدها.

وفيها توفي الحسين بن حامد بن الحسن بن حامد بن الحسن بن حامد أبو محمد الأديب الشاعر كان فاضلًا يتجر وله مال كثير.

ولما قدم المتنبي بغداد خدمه فقال له المتنبي: لو كنت مادحًا تاجرًا لمدحتك.

وفيها توفي عقيل بن محمد بن عبد الواحد أبو الحسن الأحنف العكبري الأديب الشاعر.

ومن شعره: من أراد العز والرا - - حة من هم طويل وفيها توفي محمد بن عبد الله بن محمد بن سكرة أبو الحسن الهاشمي البغدادي الشاعر المشهور ويعرف بابن رابطة.

هو من ولد علي بن المهدي من بني العباس.

كان شاعرًا ظريفًا فصيحًا وشعره في غاية الجودة والرقة.

من ذلك قوله: في وجه إنسانةٍ كلفت بها أربعة ما اجتمعن في أحد الوجه بدر والصدغ غالية والريق خمر والثغر من برد أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ثلاث أذرع وخمس عشرة إصبعًا.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا وسبع أصابع.

السنة الحادية والعشرون من ولاية العزيز نزار وفيها مات وهي سنة ست وثمانين وثلاثمائة.

فيها في المحرم ادعى أهل البصرة أنهم كشفوا عن قبر عتيق فوجدوا فيه ميتًا طريًا بثيابه وسيفه وأنه الزبير بن العوام فأخرجوه وكفنوه ودفنوه بالمربد وبنى عليه أبو المسك عنبر بناءً وجعله مشهدًا وأوقف عليه أوقافًا ونقل إليه القناديل والآلات.

قال الذهبي: فالله أعلم من ذلك الميت.

وفيها توفي أحمد بن علي بن أحمد أبو علي المدائني ويلقب بالهائم.

وجه اليماني من تأمله أبصر فيه الوجود والعدما قد شاب عثنونه وشاربه وعارضاه لم يبلغا الحلما وفيها توفي محمد بن علي بن عطية أبو طالب الحارثي مصنف كتاب قوت القلوب.

كان من أهل الجبل ونشأ بمكة وتزهد وكان له لسان حلو في الوعظ والتصوف.

وفيها توفي محمد بن إبراهيم بن أحمد أبو بكر السوسي شيخ الصوفية بدمشق كان زاهدًا عابدًا ما عقد على درهم ولا دينار ولا اغتسل من حلال ولا حرام حدث عن أحمد بن عطاء الروذباري وأقرانه ولقي المشايخ.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي أبو حامد أحمد بن عبد الله النعيمي بهراة في شهر ربيع الأول وأبو أحمد عبد الله بن الحسين بن حسنون السامري وأبو أحمد عبيد الله بن يعقوب بن إسحاق الأصبهاني روى عن جده مسند أحمد بن منيع وأبو الحسن علي بن عمر الحربي السكري في شوال وله تسعون سنة وأبو عبد الله الختن شيخ الشافعية محمد بن الحسن الإستراباذي وأبو طالب محمد بن علي بن عطية المكي صاحب القوت في جمادى الآخرة والعزيز نزار بن المعز العبيدي في رمضان عن ثلاث وأربعين سنة.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ثلاث أذرع وخمس أصابع.

مبلغ الزيادة خمس عشرة ذراعًا وثلاث وعشرون إصبعًا.

ولاية الحاكم بأمر الله هو أبو علي منصور الحاكم بأمر الله بن العزيز بالله نزار بن المعز بالله معد بن المنصور بالله إسماعيل بن القائم بأمر الله محمد بن المهدي عبيد الله العبيدي الفاطمي المغربي الأصل المصري المولد والدار والمنشأ الثالث من خلفاء مصر من بني عبيد والسادس منهم ممن ولي من أجداد بالمغرب وهم: المهدي والقائم والمنصور المقدم ذكرهم.

مولده يوم الخميس لأربع ليال بقين من شهر ربيع الأول سنة خمس وسبعين وثلاثمائة بالقاهرة وقيل: في الثالث والعشرين منه.

وولاه أبوه العزيز عهد الخلافة في شعبان سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة وبويع بالخلافة يوم مات أبوه يوم الثلاثاء لليلتين بقيتا من شهر رمضان سنة ست وثمانين وثلاثمائة فولي الخلافة وله إحدى عشرة سنة ونصف وقيل: عشر سنين ونصف وستة أيام وقيل غير ذلك.

قال العلامة أبو المظفر بن قزأوغلي في تاريخه: وكانت خلافته متضادة بين شجاعة وإقدام وجبن وإحجام ومحبةٍ للعلم وانتقام من العلماء وميل إلى الصلاح وقتل الصلحاء.

وكان الغالب عليه السخاء وربما بخل بما لم يبخل به أحد قط.

وأقام يلبس الصوف سبع سنين وامتنع من دخول الحمام وأقام سنين يجلس في الشمع ليلًا ونهارًا ثم عن له أن يجلس في الظلمة فجلس فيها مدة.

وقتل من العلماء والكتاب والأماثل ما لا يحصى وكتب على المساجد والجوامع سب أبي بكر وعمر وعثمان وعائشة وطلحة والزبير ومعاوية وعمرو بن العاص رضي الله عنهم في سنة خمس وتسعين وثلاثمائة ثم محاه في سنة سبع وتسعين وأمر بقتل الكلاب وحرم بيع الفقاع وعمله ثم نهى عنه ورفع المكوس عن البلاد وعما يباع فيها ونهى عن النجوم وكان ينظر فيها ونفى المنجمين وكان يرصدها ويخدم زحل وطالعه المريخ ولهذا كان يسفك الدماء.

وبنى جامع القاهرة وجامع راشدة على النيل بمصر ومساجد كثيرة ونقل إليها المصاحف المفضضة والستور الحرير وقناديل الذهب والفضة ومنع من صلاة التراويح عشر سنين ثم أباحها وقطع الكروم ومنع من بيع العنب ولم يبق في ولايته كرمًا وأراق خمسة آلاف جرة من عسل في البحر خوفًا من أن تعمل نبيذًا ومنع النساء من الخروج من بيوتهن ليلًا ونهارًا وجعل لأهل الذمة علامات يعرفون بها وألبس اليهود العمائم السود وأمر ألا يركبوا مع المسلمين في سفينة وألا يستخدموا غلامًا مسلمًا ولا يركبوا حمار مسلم ولا يدخلوا مع المسلمين حمامًا وجعل لهم حمامات على حدة ولم يبق في ولايته ديرًا ولا كنيسة إلا هدمها ونهى عن تقبيل الأرض بين يديه والصلاة عليه في الخطب والمكاتبات وجعل مكان الصلاة عليه: السلام على أمير المؤمنين ثم رجع عن ذلك وأسلم خلق من أهل الذمة خوفًا منه ثم ارتدوا وأعاد الكنائس إلى حالها.

انتهى كلام أبي المظفر.

قال الحافظ أبو عبد الله الذهبي في تاريخه: كان جوادًا سمحًا خبيثًا ماكرًا رديء الاعتقاد سفاكًا للدماء قتل عددًا كبيرًا من كبراء دولته صبرًا وكان عجيب السيرة يخترع كل وقت أمورًا وأحكامًا يحمل الرعية عليها فأمر بكتب سب الصحابة على أبواب المساجد والشوارع وأمر العمال بالسب في الأقطار في سنة خمس وتسعين وثلاثمائة وأمر بقتل الكلاب في مملكته وبطل الفقاع والملوخيا ونهى عن السمك وظفر بمن باع ذلك فقتلهم ونهى في سنة اثنتين وأربعمائة عن بيع الرطب ثم جمع منه شيئًا عظيمًا فأحرق الكل ومنع من بيع العنب وأباد كثيرًا من الكروم وأمر النصارى بأن تعمل في أعناقهم الصلبان وأن يكون طول الصليب ذراعًا وزنته خمسة أرطال بالمصري وأمر اليهود أن يحملوا في أعناقهم قرامي الخشب في زنة الصلبان أيضًا وأن يلبسوا العمائم السود ولا يكتروا من مسلم بهيمة وأن يدخلوا الحمام بالصلبان ثم أفرد لهم حمامات.

وفي العام أمر بهدم الكنيسة المعروفة بالقمامة.

ولما أرسل إليه ابن باديس ينكر عليه أفعاله أراد استمالته فأظهر التفقه وحمل في كمه الدفاتر وطلب إليه فقيهين وأمرهما بتدريس مذهب مالك في الجامع ثم بدا له فقتلهما صبرًا وأذن للنصارى الذين أكرههم إلى الإسلام في الرجوع إلى الشرك.

وفي سنة أربع وأربعمائة منع النساء من الخروج في الطريق ومنع من عمل الخفاف لهن فلم يزلن ممنوعات سبع سنين وسبعة أشهر حتى مات.

ثم إنه بعد مدة أمر ببناء ما كان أمر بهدمه من الكنائس.

وكان أبوه العزيز قد ابتدأ ببناء جامعه الكبير بالقاهرة يعني الذي هو داخل باب النصر فتممه هو.

وكان على بنائه ونظره الحافظ عبد الغني بن سعيد.

وكان الحاكم يفعل الشيء ثم ينقضه.

وخرج عليه أبو ركوة الوليد بن هشام العثماني الأموي الأندلسي بنواحي برقة فمال إليه خلق عظيم فجهز الحاكم لحربه جيشًا فانتصر عليهم أبو ركوة وملك ثم تكاثروا عليه وأسروه ويقال: إنه قتل من أصحابه مقدار سبعين ألفًا.

وحمل أبو ركوة إلى الحاكم فذبحه في سنة سبع وتسعين.

انتهى كلام الذهبي باختصار.

قلت: ونذكر واقعته مع عساكر الحاكم وكيف ظفر به الحاكم وقتله مفصلًا في سنة سبع وتسعين المذكورة في الحوادث بأوسع من هذا إن شاء الله تعالى لأن قصته غريبة فتنظر هناك.

وقال ابن خلكان: وكان أبو الحسن علي المعروف بابن يونس المنجم قد صنع له الزيج المعروف بالحاكمي وهو زيج كبير مبسوط.

قال: نقلت من خط الحافظ أبي طاهر أحمد بن محمد السلفي رحمه الله تعالى أن الحاكم المذكور كان جالسًا في مجلسه العام وهو حفل بأعيان دولته فقرأ بعض

الحاضرين: " فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجًا مما قضيت ويسلموا تسليمًا " والقارىء في أثناء ذلك كله يشير إلى الحاكم.

فلما فرغ من القراءة قرأ شخص يعرف بابن المشجر والمشجر بضم الميم وفتح الشين المعجمة والجيم المشددة وبعدها راء مهملة وكان ابن المشجر رجلًا صالحًا فقرأ: " يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابًا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئًا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا الله حق قدره إن الله لقوي عزيز ".

فلما انتهت قراءته تغير وجه الحاكم ثم أمر لابن المشجر المذكور بمائة دينار ولم يطلق للآخر شيئًا.

ثم إن بعض أصحاب ابن المشجر قال له: أنت تعرف خلق الحاكم وكثرة استحالاته وما تأمن أن يحقد عليك وأنه لا يؤاخذك في هذا الوقت ثم يؤاخذك بعدها فالمصلحة عندي أن تغيب عنه.

فتجهز ابن المشجر إلى الحج وركب في البحر وغرق.

فرآه صاحبه في النوم فسأله عن حاله فقال: ما قصر الربان معنا أرسى بنا على باب الجنة.

انتهى كلام ابن خلكان رحمه الله.

وقال ابن الصابىء: كان الحاكم يواصل الركوب ليلًا ونهارًا ويتصدى له الناس على طبقاتهم فيقف عليهم ويسمع منهم فمن أراد قضاء حاجته قضاها في وقته ومن منعة سقطت المراجعة في أمره.

وكان المصريون موتورين منه فكانوا يدسون إليه الرقاع المختومة بالدعاء عليه والسب له ولأسلافه والوقوع فيه وفي حرمه حتى انتهى فعلهم إلى أن عملوا تمثال امرأة من قراطيس بخف وإزار ونصبوها في بعض الطرق وتركوا في يدها رقعة كأنها ظلامة فتقدم الحاكم وأخذها من يدها.

فلما فتحها رأى في أولها ما استعظمه فقال: انظروا هذه المرأة من هي فقيل له: إنها معمولة من قراطيس فعلم أنهم قد سخروا منه وكان في الرقعة كل قبيح.

فعاد من وقته إلى القاهرة ونزل في قصره واستدعى القواد والعرفاء وأمرهم بالمسير إلى مصر وضربها بالنار ونهبها وقتل من ظفروا به من أهلها فتوجه إليها العبيد والروم والمغاربة وجميع العساكر.

وعلم أهل مصر بذلك فاجتمعوا وقاتلوا عن نفوسهم وأوقعوا النار في أطراف البلد فاستمرت الحرب بين العبيد والعامة والرعية ثلاثة أيام والحاكم يركب في كل يوم إلى القرافة ويطلع إلى الجبل ويشاهد النار ويسمع الصياح ويسأل عن ذلك فيقال له: العبيد يحرقون مصر وينهبونها فيظهر التوجع ويقول: لعنهم الله! من أمرهم بهذا.

فلما كان اليوم الرابع اجتمع الأشراف والشيوخ إلى الجوامع ورفعوا المصاحف وضجوا بالبكاء وابتهلوا إلى الله تعالى بالدعاء فرحمهم الأتراك والمغاربة ورقوا لهم وانحازوا إليهم وقاتلوا معهم وكان أكثرهم مخالطًا لهم ومداخلًا ومصاهرًا وانفرد العبيد وصار القتال

معهم وعظمت القصة وزادت الفتنة واستظهرت كتامة والأتراك عليهم وراسلوا الحاكم وقالوا: نحن عبيد ومماليك وهذا البلد بلدك وفيه حرمنا وأموالنا وأولادنا وعقارنا وما علمنا أن أهله جنوا جناية تقتضي سوء المقابلة وتدعو إلى مثل هذه المعاملة.

فإن كان هناك باطن لا نعرفه فأخبرنا به وانتظرنا حتى نخرج بعيالنا وأموالنا منه.

وإن كان ما عليه هؤلاء العبيد مخالفًا لرأيك فأطلقنا في معاملتهم بما يعامل به المفسدون والمخالفون.

فأجابهم بأنه ما أراد ذلك ولعن الفاعل له والآمر به وقال: أنتم على الصواب في الذب عن المصريين وقد أذنت لكم في نصرتهم والإيقاع بمن تعرض لهم.

وأرسل إلى العبيد سرًا يقول: كونوا على أمركم وحمل إليهم سلاحًا قواهم به.

وكان غرضه في هذا أن يطرح بعضهم على بعض وينتقم من فريق بفريق.

وعلم القوم بما يفعل فراسلته كتامة والأتراك: قد عرفنا غرضك وهذا هلاك هذه البلدة وأهلها وهلاكنا معهم وما يجوز أن نسلم نفوسنا والمسلمين لقتل الحريم وذهاب المهج.

ولئن لم تكفهم لنحرقن القاهرة ونستنفرن العرب وغيرهم فلما سمع الرسالة وكانوا قد استظهروا على العبيد ركب حماره ووقف بين الصفين وأومأ للعبيد بالانصراف فانصرفوا واستدعى كتامة والأتراك ووجوه المصريين واعتذر إليهم وحلف أنه بريء مما فعله العبيد وكذب في يمينه فقبلوا الأرض بين يديه وشكروه وسألوه الأمان لأهل مصر فكتب لهم وقرىء الأمان على المنابر وسكنت الفتنة وفتح الناس أسواقهم وراجعوا معايشهم.

واحترق.

من مصر مقدار ثلثها ونهب نصفها.

وتتبع المصريون من أخذ أزواجهم وبناتهم وأخواتهم وابتاعوهن من العبيد بعد أن فضحوهن وقتل بعضهن نفوسهن خوفًا من العار.

واستغاث قوم من العلوي الأشراف إلى الحاكم وذكروا أن بعض بناتهم في أيدي العبيد على أسوأ حال وسألوه أن يستخلصهن فقال الحاكم: انظروا ما يطالبونكم به عنهن لأطلقه لكم فقال له بعضهم: أراك الله في أهلك وولدك مثل ما رأينا في أهلنا وأولادنا فقد اطرحت الديانة والمروءة بأن رضيت لبنات عمك بمثل هذه الفضيحة ولم يلحقك منهن امتعاض ولا غيرة.

فحلم عنه الحاكم وقال له: أنت أيها الشريف مجرح ونحن حقيقون باحتمالك وإلا غضبنا عليك وزاد الأمر على الناس فيما يفجؤهم به حالًا بعد حال من كل ما تنخرق به العادات وتفسد الطاعات.

ثم عن له أن يدعي الربوبية وقرب رجلًا يعرف بالأخرم ساعده على ذلك وضم إليه طائفة بسطهم للأفعال الخارجة عن الديانة.

فلما كان في بعض الأيام خرج الأخرم من القاهرة راكبًا في خمسين رجلًا من أصحابه وقصد مصر ودخل الجامع راكبًا دابته ومعه أصحابه على دوابهم وقاضي القضاة ابن أبي

العوام جالس فيه ينظر في الحكم فنهبوا الناس وسلبوهم ثيابهم وسلموا للقاضي رقعة فيها فتوى وقد صدرت باسم الحاكم الرحمن الرحيم.

فلما قرأها القاضي رفع صوته منكرًا واسترجع وثار الناس بالأخرم وقتلوا أصحابه وهرب هو.

وشاع الحديث في دعواه الربوبية وتقرب إليه جماعة من الجهال فكانوا إذا لقوه قالوا: السلام عليك يا واحد يا أحد يا محيي يا مميت وصارت له دعاة يدعون أوباش الناس ومن سخف عقله إلى اعتقاد ذلك فمال إليه خلق كثير طمعًا في الدنيا والتقرب إليه.

وكان اليهودي والنصراني إذا لقيه يقول: إلهي قد رغبت في شريعتي الأولى فيقول الحاكم: افعل ما بدا لك فيرتد عن الإسلام.

وزاد هذا الأمر بالناس.

وقال الشيخ شمس الدين في تاريخه مرآة الزمان: رأيت في بعض التواريخ بمصر أن رجلًا يعرف بالدرزي قدم مصر وكان من الباطنية القائلين بالتناسخ فاجتمع بالحاكم وساعده على ادعاء الربوبية وصنف له كتابًا ذكر فيه أن روح آدم عليه السلام انتقلت إلى علي بن أبي طالب وأن روح علي انتقلت إلى أبي الحاكم ثم انتقلت إلى الحاكم.

فنفق عند الحاكم وقربه وفوض الأمور إليه وبلغ منه أعلى المراتب بحيث إن الوزراء والقواد والعلماء كانوا يقفون على بابه ولا ينقضي لهم شغل إلا على يده.

وكان قصد الحاكم الانقياد إلى الدرزي المذكور فيطيعونه.

فأظهر الدرزي الكتاب الذي فعله وقرأه بجامع القاهرة فثار الناس عليه وقصدوا قتله فهرب منهم وأنكر الحاكم أمره خوفًا من الرعية وبعث إليه في السر مالًا وقال: اخرج إلى الشام وانشر الدعوة في الجبال فإن أهلها سريعو الانقياد.

فخرج إلى الشام ونزل بوادي تيم الله بن ثعلبة غربي دمشق من أعمال بانياس فقرأ الكتاب على أهله واستمالهم إلى الحاكم وأعطاهم المال وقرر في نفوسهم الدرزي التناسخ وأباح لهم شرب الخمر والزناء وأخذ مال من خالفهم في عقائدهم وإباحة دمه وأقام عندهم يبيح لهم المحظورات إلى أن انتهى.

وقال الذهبي: وكان يحب العزلة يعني الحاكم ويركب على بهيمة وحده في الأسواق ويقيم الحسبة بنفسه وكان خبيث الاعتقاد مضطرب العقل.

يقال: إنه أراد أن يدعي الإلهية وشرع في ذلك فكلمه أعيان دولته وخوفوه بخروج الناس كلهم عليه فانتهى.

واتفق أنه خرج ليلة في شوال سنة إحدى عشرة من القصر إلى ظاهر القاهرة فطاف ليلته كلها ثم أصبح فتوجه إلى شرقي حلوان ومعه ركابيان فرد أحدهما مع تسعة من العرب السويديين ثم أمر الآخر بالانصراف.

فذكر أنه فارقه عند قبر الفقاعي فكان آخر العهد به يعني الحاكم.

انتهى كلام الذهبي.

ونذكر أمر موته بأطول من هذا من طرق عديدة.

قال ابن الصابىء وغيره: إن الحاكم لما بدت عنه هذه الأمور الشنيعة استوحش الناس منه.

وكان له أخت يقال لها ست الملك من أعقل النساء وأحزمهن فكانت تنهاه وتقول: يا أخي احذر أن يكون خراب هذا البيت على يديك.

فكان يسمعها غليظ الكلام ويتهددها بالقتل.

وبعث إليها يقول: رفع إلي أصحاب الأخبار أنك تدخلين الرجال إليك وتمكنينهم من نفسك وعمل على إنفاذ القوابل لاستبرائها فعلمت أنها هالكة معه.

وكان بمصر سيف الدولة بن دواس من شيوخ كتامة وكان شديد الحذر من الحاكم وممتنعًا من دخول قصره ولقائه إلا في المواكب على ظهر فرسه واستدعاه الحاكم مرة إلى قصره فامتنع.

فلما كان يوم الموكب عاتبه الحاكم على تأخره فقال له سيف الدولة المذكور: قد خدمت أباك ولي عليكم حقوق كثيرة يجب لمثلها المراعاة وقد قام في نفسي أنك قاتلي فأنا مجتهد في دفعك بغاية جهدي وليس لك حاجة إلى حضوري في قصرك.

فإن كان باطن رأيك في مثل ظاهره فدعني على حالي فإنه لا ضرر عليك في تأخري عن حضور قصرك.

وإن كنت تريد بي سوءًا فلئن تقتلني في داري بين أهلي وولدي يكفنونني ويتولونني أحب إلي من أن تقتلني في قصرك وتطرحني تأكل الكلاب لحمي فضحك الحاكم وأمسك عنه.

وراسلت ست الملك أخت الحاكم ابن دواس هذا مع بعض خدمها وخواصها وهي تقول له: لي إليك أمر لا بد لي فيه من الاجتماع بك فإما تنكرت وجئتني ليلًا أو فعلت أنا ذلك.

فقال: أنا عبدك والأمر لك.

فتوجهت إليه ليلًا في داره متنكرة ولم تصحب معها أحدًا.

فلما دخلت عليه قام وقبل الأرض بين يديها دفعات ووقف في الخدمة فأمرته بالجلوس وأخلي المكان.

فقالت: يا سيف الدولة قد جئت في أمر أحرس به نفسي ونفسك والمسلمين ولك فيه الحظ الأوفر وأريد مساعدتك فيه فقال: أنا عبدك.

فاستحلفته واستوثقت منه وقالت له: أنت تعلم ما يقصده أخي فيك وأنه متى تمكن منك لم يبق عليك وكذا أنا ونحن على خطر عظيم.

وقد انضاف إلى ذلك تظاهره بادعائه الإلهية وهتكه ناموس الشريعة وناموس آبائه وقد زاد جنونه.

وأنا خائفة أن يثور المسلمون عليه فيقتلوه ويقتلونا معه وتنقضي هذه الدولة أقبح انقضاء.

فقال سيف الدولة: صدقت يا مولاتنا فما الرأي.

قالت: قتله ونستريح منه فإذا تم لنا ذلك أقمنا ولده موضعه وبذلنا الأموال وكنت أنت صاحب جيشه ومدبره وشيخ الدولة والقائم بأمره وأنا امرأة من وراء حجاب وليس غرضي إلا السلامة منه وأني أعيش بينكم آمنة من الفضيحة.

ثم أقطعته إقطاعات كثيرة ووعدته بالأموال والخلع والمراكب.

فقال لها عند ذلك: مري بأمرك قالت: أريد عبدين من عبيدك تثق بهما في سرك وتعتمد عليهما في مهماتك فأحضر عبدين ووصفهما بالشهامة فاستحلفتهما ووهبتهما ألف دينار ووقعت لهما بثياب وإقطاعات وخيل وغير ذلك وقالت لهما: أريد منكما أن تصعدا غدًا إلى الجبل فإنها نوبة الحاكم في الركوب وهو ينفرد ولا يبقى معه غير القرافي الركابي وربما رده ويدخل الشعب وينفرد بنفسه فاخرجا عليه فاقتلاه واقتلا القرافي والصبي إن كانا معه وأعطتهما سكينين من عمل المغاربة تسمى الواحدة منهما: يافورت ولهما رأس كرأس المبضع الذي يفصد به الحجام ورجعت إلى القصر وقد أحكمت الأمر وأتقنته.

وكان الحاكم ينظر في النجوم فنظر مولده وكان قد حكم عليه بالقطع في هذا الوقت فإن تجاوزه عاش نيفًا وثمانين سنة.

وكان الحاكم لا يترك الركوب بالليل وطوف القاهرة.

فلما كان تلك الليلة قال لوالدته: علي في هذه الليلة وفي غد قطع عظيم والدليل عليه علامة تظهر في السماء طلوع نجم سماه وكأني بك وقد انتهكت وهلكت مع أختي فإني ما أخاف عليك أضر منها.

فتسلمي هذا المفتاح فهو لهذه الخزانة وفيها صناديق تشتمل على ثلاثمائة ألف دينار خذيها وحوليها إلى قصرك تكون ذخيرة لك.

فقبلت الأرض وقالت: إذا كنت تتصور هذا فارحمني واقض حقي ودع ركوبك الليلة وكان يحبها فقال: أفعل ولم يزل يتشاغل حتى مضى صدر من الليل وكان له قوم ينتظرونه كل ليلة على باب القصر فإذا ركب ركبوا معه ويتبعه أبو عروس صاحب العسس.

ومن رسمه أن يطوف كل ليلة حول القصر في ألف رجل بالطبول الخفاف والبوقات البحرية.

فإذا خرج الحاكم من باب القاهرة قال له: ارجع وأغلق الأبواب فلا يفتحها حتى يعود.

وضجر الحاكم من تأخره عن الركوب في تلك الليلة ونازعته نفسه إليه فسألته أمه وقالت: نم ساعة فنام ثم انتبه وقد بقي من الليل ثلثه وهو ينفخ ويقول: إن لم أركب الليلة وأتفرج وإلا خرجت روحي.

ثم قام فركب حماره وأخته تراعي ما يكون من أمره وكان قصرها مقابل قصره فإذا ركب علمت.

ولما ركب سار في درب يقال له درب السباع ورد صاحب العسس ونسيمًا الخادم صاحب الستر والسيف وخرج إلى القرافة ومعه القرافي الركابي والصبي.

فحكى أبو عروس صاحب العسس أنه لما صعد الجبل وقف على تل كبير ونظر إلى النجوم وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون وضرب بيد على يد وقال: ظهرت يا مشؤوم ثم سار في الجبل فعارضه عشرة فوارس من بني قرة وقالوا: قد طال مقامنا على الباب وبنا من الفاقة والحاجة ما نسأل معه حسن النظر والإحسان فأمر الحاكم القرافي أن يحملهم إلى صاحب بيت المال ويأمره أن يعطيهم عشرة آلاف درهم فقالوا له: لعل مولانا ينكر تعرضنا له في هذا المكان فيأمر بنا بمكروه ونحن نريد الأمان قبل الإحسان فما وقفنا إلا من الحاجة فأعطاهم الأمان ورد القرافي معهم وبقي هو والصبي فسار إلى الشعب الذي جرت عادته بدخوله وقد كمن العبدان الأسودان له وقد قرب الصباح فوثبا عليه وطرحاه إلى الأرض فصاح: ويلكما! ما تريدان فقطعا يديه من رأس كتفيه وشقا جوفه وأخرجا ما فيه ولفاه في كساء وقتلا الصبي وحملا الحاكم إلى ابن دواس بعد أن عرقبا الحمار فحمله ابن دواس مع العبدين إلى أخته ست الملك فدفنته في مجلسها وكتمت أمره وأطلقت لابن دواس والعبدين مالًا كثيرًا وثيابًا.

وأحضرت خطير الملك الوزير وعرفته الحال واستكتمته واستحلفته على الطاعة والوفاء ورسمت له بمكاتبة ولي العهد عبد الرحيم بن الياس وكان مقيمًا بدمشق نيابة عن الحاكم بأن يحضر إلى الباب فكتب إليه بذلك.

وأنفذت علي بن داود أحد القواد إلى الفرما وهي مدينة على ساحل البحر فقالت له: إذا دخل ولي العهد فاقبض عليه واحمله إلى تنيس وقيل غير ذلك كما سيأتي ذكره.

ثم كتبت إلى عامل تنيس عن الحاكم بإنفاذ ما عنده من المال فأنفذه وهو ألف ألف دينار وألف ألف درهم خراج ثلاث سنين.

وجاء ولي العهد إلى الفرما فقبض عليه وحمل إلى تنيس.

وفقد الناس الحاكم في اليوم الثاني ومنع أبو عروس من فتح أبواب القاهرة انتظارًا للحاكم على حسب ما أمره به.

ثم خرج الناس في اليوم الثالث إلى الصحراء وقصدوا الجبل فلم يقفوا له على أثر.

وأرسل القواد إلى أخته وسألوها عنه فقالت: ذكر لي أنه يغيب سبعة أيام وما هنا إلا الخير فانصرفوا على سكون وطمأنينة.

ولم تزل أخته في هذه الأيام ترتب الأمور وتفرق الأموال وتستحلف الجند ثم بعثت إلى ابن دواس المذكور وأمرته أن يستحلف الناس لابن الحاكم كتامة وغيرها ففعل ذلك.

فلما كان في اليوم السابع ألبست أبا الحسن علي بن الحاكم أفخر الملابس واستدعت ابن دواس وقالت له: المعول في قيام هذه الدولة عليك وتدبيرها موكل إليك وهذا الصبي ولدك فابذل في خدمته وسعك فقبل الأرض ووعدها بالطاعة.

ووضعت التاج على رأس الصبي وهو تاج عظيم فيه من الجواهر ما لا يوجد في خزانة خليفة وهو تاج المعز جد أبيه وأركبته مركبًا من مراكب الخليفة وخرج بين يديه الوزير وأرباب الدولة.

فلما صار إلى باب القصر صاح خطير الملك الوزير: يا عبيد الدولة مولاتنا السيدة تقول لكم هذا مولاكم فسلموا عليه فقبلوا الأرض بأجمعهم وارتفعت الأصوات بالتكبير والتهليل

ولقبوه الظاهر لإعزاز دين الله وأقبل الناس أفواجًا فبايعوه وأطلق المال وفرح الناس وأقيم العزاء على الحاكم ثلاثة أيام.

وقال القضاعي في قتله وجهًا آخر قال: خرج الحاكم إلى الجبل المعروف بالمقطم ليلة الاثنين السابع والعشرين من شوال هذه السنة يعني سنة إحدى عشرة وأربعمائة فطاف ليلته كلها وأصبح عند قبر الفقاعي ثم توجه شرقي حلوان: موضع بالمقطم ومعه ركابيان فرد أحدهما مع تسعة نفر من العرب كانت لهم رسوم ويقال لهم السويديون إلى بيت المال وأمر لهم بجائزة ثم عاد الركابي الآخر وذكر أنه فارقه عند قبر الفقاعي والقصبة وأصبح الناس على رسمهم فخرجوا ومعهم الموكب والقضاة والأشراف والقواد فأقاموا عند الجبل إلى آخر النهار ثم رجعوا إلى القاهرة ثم عادوا ففعلوا ذلك ثلاثة أيام.

فلما كان يوم الخميس سلخ شوال خرج مظفر صاحب المظلة ونسيم صاحب الستر وابن مسكين صاحب الرمح وجماعة من الأولياء الكتاميين والأتراك والقضاة والعدول وأرباب الدولة فبلغوا دير القصير المكان المعروف بحلوان وأمعنوا في الجبل فبينما هم كذلك بصروا بالحمار الذي كان راكبه على قرن الجبل قد ضربت يداه بسيف فقطعتا وعليه سرجه ولجامه فتتبعوا الأثر فإذا أثر راجل خلف أثر الحمار وأثر راجل قدامه فقصوا الأثر حتى أتوا إلى البركة التي شرقي حلوان فنزلها بعض الرجالة فوجد فيها ثيابه وهي سبع جباب مزررة لم تحل أزرارها وفيها أثر السكاكين فتيقنوا قتله.

وكان عمره ستًا وثلاثين سنة وسبعة أشهر وولايته على مصر خمسًا وعشرين سنة وشهرًا واحدًا.

قال ابن خلكان بعد ما ذكر قتلته بنحو ما ذكرناه هنا: مع أن جماعة من الغالين في حبهم السخيفي العقول يظنون حياته وأنه لا بد أن يظهر ويحلفون بغيبة الحاكم وتلك خيالات هذيانية.

انتهى.

قال القضاعي بعد ما ساق سبب قتله بنحو ما ذكرناه إلى أن قال: ثم أمرت ست الملك بخلع عظيمة ومال كثير ومراكب ذهب وفضة للأعيان وأمرت ابن دواس أن يشاهدها في الخزانة وقالت له: غدًا نخلع عليك فقبل ابن دواس الأرض وفرح.

وأصبح من الغد فجلس عند الستر ينتظر الإذن حتى يأمر وينهى وكان للحاكم مائة عبد يختصون بركابه ويحملون السيوف بين يديه ويقتلون من يأمرهم بقتله فبعثت بهم ست الملك إلى ابن دواس ليكونوا في خدمته فجاؤوا في هذا اليوم ووقفوا بين يديه فقالت ست الملك لنسيم صاحب الستر: اخرج قف بين يدي ابن دواس وقل للعبيد: يا عبيد مولاتنا تقول لكم هذا قاتل مولانا الحاكم فاقتلوه فخرج نسيم فقال لهم ذلك فمالوا على ابن دواس بالسيوف فقطعوه وقتلوا العبدين اللذين قتلا الحاكم وكل من اطلع على سرها قتلته فقامت لها الهيبة في قلوب الناس.

انتهى كلام القضاعي.

وقال ابن الصابىء: لما قتلت ست الملك ابن دواس قتلت الوزير الخطير ومن كانت تخاف منه ممن عرف بأمرها.

وأما ما خلفه الحاكم من المال فشيء كثير.

قيل: إنه ورد عليه أيام خلافته رسول ملك الروم فأمر الحاكم بزينة القصر.

قالت السيدة رشيدة عمة الحاكم: فأخرج أعدالًا مكتوبًا على بعضها: الحادي والثلاثون والثلاثمائة وكان في الأعدال الديباج المغرز بالذهب فأخرج ذلك وفرش الإيوان وعلق في حيطانه حتى صار الإيوان يتلألأ بالذهب وعلق في صدره العسجدة وهي درقة من ذهب مكللة بفاخر الجوهر يضيء لها ما حولها إذا وقعت عليها الشمس لا تطيق العيون النظر إليها.

وأيضًا مما يدل على كثرة ماله ما خلفته ابنته ست مصر بعد موتها فخلفت شيئًا كثيرًا يطول الشرح في ذكره من ذلك ثمانية آلاف جارية قاله المقريزي وغيره ونيف وثمانون زيرًا صينيًا مملوءة جميعًا مسكًا ووجد لها جوهر نفيس من جملته قطعة ياقوت زنتها عشرة مثاقيل.

وكان إقطاعها في السنة خمسين ألف دينار وكانت مع ذلك كريمة سمحة والشيء بالشيء يذكر.

وماتت في أيام الحاكم عمته السيدة رشيدة بنت المعز فخلفت ما قيمته ألف وسبعمائة ألف دينار ومن جملة ما وجد لها في خزائن كسوتها ثلاثون ألف ثوب خز واثنا عشر ألفًا من الثياب المصمتة ألوانًا ومائة قطرميز مملوءة كافورًا وكانت مع ذلك دينة تأكل من غزلها لا من مال السلطان.

وماتت أختها عبدة بنت المعز بعدها بثلاثة أيام وكانتا قد ولدتا برقادة من عمل القيروان.

وتركت أيضًا عبدة المذكورة ما لا يحصى من ذلك: أنه ختم على موجودها بأربعين رطل شمع مصرية ومن جملة ما وجد لها ألف وثلاثمائة قطعة مينا فضة زنة كل مينا عشرة آلاف درهم وأربعمائة سيف محلى بذهب وثلاثون ألف شقة صقلية ومن الجوهر إردب زمرد وكانت لا تأكل عمرها إلا الثريد.

وقد خرجنا عن المقصود ونعود إلى ما يتعلق بالحاكم وأسبابه.

وأما ولي العهد الذي كان بدمشق وكتبت ست الملك بحضوره فاسمه الياس وقيل: عبد الرحيم وقيل: عبد الرحمن بن أحمد وكنيته أبو القاسم ويلقب بالمهدي ولاه الحاكم العهد سنة أربع وأربعمائة.

وقد قدمنا من ذكره أنه كان وصل إلى تنيس وقبض عليه صاحب تنيس وبعث به إلى ست الملك فحبسته في دار وأقامت له الإقامات ووكلت بخدمته خواص خدمها وواصلته بالملاطفات والافتقادات فلما مرضت ويئست من نفسها أحضرت الظاهر لإعزاز دين الله أعني ابن أخيها الحاكم وقالت له: قد علمت ما عاملتك به وأقله حراسة نفسك من أبيك فإنه لو تمكن منك لقتلك وما تركت لك أحدًا تخافه إلا ولي العهد فبكى بين يديها هو ووالدته وسلمت إليهما مفاتيح الخزائن وأوصتهما بما أرادت.

وقالت لمعضاد الخادم: امض إلى ولي العهد وتفقد خدمته فإذا دخلت عليه فانكب كأنك تسائله بعد أن توافق الخدم على ضربه بالسكاكين فمضى إليه معضاد فقتله ودفنه وعاد فأخبرها فأقامت بعد ذلك ثلاثة أيام وماتت.

وتولى أمر الدولة معضاد الخادم المذكور ورجل آخر علوي من أهل قزوين وآخرون.

وذكر القضاعي في قصة ولي العهد شيئًا غير ذلك قال: إن ست الملك لما كتبت إلى دمشق بحمل ولي العهد إلى مصر لم يلتفت إلى ذلك واستولى على دمشق ورخص للناس ما كان الحاكم حظره عليهم من شرب الخمر وسماع الملاهي فأحبه أهل دمشق.

وكان بخيلًا ظالمًا.

فشرع في جمع المال ومصادرة الناس فأبغضه الجند وأهل البلد.

فكتبت أخت الحاكم إلى الجند فتتبعوه حتى مسكوه وبعثوا به مقيدًا إلى مصر فحبس في القصر مكرمًا فأقام مدة.

وحمل إليه يومًا بطيخ ومعه سكين فأدخلها في سرته حتى غابت.

وبلغ ابن عمه الظاهر بن الحاكم فبعث إليه القضاة والشهود فلما دخلوا عليه اعترف أنه الذي فعل ذلك بنفسه.

وحضر الطبيب فوجد طرف السكين ظاهرًا فقال لهم: لم تصادف مقتلًا.

فلما سمع ولي العهد ذلك وضع يده عليها فغيبها في جوفه فمات.

وقال ابن الصابىء: وكان على حلب عند هلاك الحاكم عزيز الدولة فاتك الوحيدي وقد استفحل أمره وعظم شأنه وحدث نفسه بالعصيان فلاطفته ست الملك وراسلته وآنسته وبعثت إليه بالخلع والخيل بمراكب الذهب وغيرها ولم تزل تعمل عليه الحيل حتى أفسدت غلاما له يقال له بدر وكان مالك أمره وغلمانه تحت يده وبذلت له العطاء الجزيل على الفتك به ووعدته أن توليه مكانه.

وكان لفاتك غلام هندي يهواه فاستغواه بدر المذكور وقال: قد عرفت من مولاك ملالك وتغير نيته فيك وعزم على قتلك ودافعته عنك دفعات وأنا أخاف عليك.

ثم تركه بدر أيامًا ووهب له دنانير وثيابًا ثم أظهر له المحبة وقال: إن علم بنا الأمير قتلنا فقال الهندي: فما أفعل فاستحلفه بدر واستوثق منه وقال: إن قبلت ما أقول أعطيتك مالًا وأغنيتك وعشنا جميعًا في أطيب عيش.

قال: فما تريد قال: تقتله ونستريح منه فأجابه وقال: الليلة يشرب وأنا أسقيه وأميل عليه فإذا سكر فأقتله.

وجلس فاتك المذكور على الشرب فلما قام إلى مرقده حمل الهندي سيفه وكان ماضيًا ثم دخل في اللحاف وبدر على باب المجلس واقف.

فلما ثقل فاتك في نومه غمز بدر الهندي فضربه بالسيف فقطع رأسه فصاح بدر واستدعى الغلمان وأمرهم بقتل الهندي فقتلوه.

واستولى بدر على القلعة وما فيها وكتب إلى أخت الحاكم بما جرى فأظهرت الوجد على فاتك في الظاهر وشكرت بدرًا في الباطن على ما كان منه من حفظ الخزائن وبعثت إليه بالخلع ووهبت له جميع ما خلفه مولاه وقلدته موضعه.

ونظرت ست الملك في أمور الدولة بعد قتل الحاكم أربع سنين أعادت الملك فيها إلى غضارته وعمرت الخزائن بالأموال واصطنعت الرجال.

ثم اعتلت علة لحقها فيها ذرب فماتت منه.

وكانت عارفة مدبرة غزيرة العقل.

وقد خرجنا عن المقصود على سبيل الاستطراد.

وكانت وفاة الحاكم ليلة الثلاثاء لليلتين بقيتا من شوال سنة إحدى عشرة وأربعمائة وكان فيه كسوف الشمس.

وكانت مدة عمره ستًا وثلاثين سنة وسبعة أشهر وقيل: سبعًا وثلاثين سنة.

وكانت ولايته على مصر خمسًا وعشرين سنة وشهرًا واحدًا قاله القضاعي.

وتولى الملك من بعده ابنه الظاهر لإعزاز دين الله علي بن الحاكم وقام بتدبير مملكته عمته ست الملك المقدم انتهت ترجمة الحاكم.

ونذكر أيضًا من أحواله نبذة كبيرة في الحوادث المتعلقة بأيامه مرتبة على السنين فيها عجائب وغرائب.

وأما ما ينسب إليه من الشعر وقيل: هو للآمر العبيدي الآتي ذكره فهو قوله: دع اللوم عني لست مني بموثق فلا بد لي من صدمة المتحنق وأسقي جيادي من فرات ودجلة وأجمع شمل الدين بعد التفرق

السنة الأولى من ولاية الحاكم منصور

وهي سنة سبع وثمانين وثلاثمائة: فيها استولى الحاكم صاحب الترجمة خليفة مصر على السواحل والشامات.

وفيها حج بالناس أبو عبد الله العلوي.

وفيها توفي الحسن بن عبد الله بن سعيد أبو أحمد العسكري العلامة الراوية صاحب التصانيف الحسان في اللغة والأدب والأمثال.

وفيها توفي الحسن بن مروان أبو علي الكردي الأمير صاحب ميافارقين.

قد ذكرنا مبدأ أمره وكيف تغلب على ديار بكر وملك حصونها.

مات قتيلًا على باب آمد.

وفيها توفي صندل الخادم مولى بهاء الدولة وصاحب خيله أعني أمير آخوره وقام الأمير أبو المسك عنبر مقامه.

وفيها توفي السلطان فخر الدولة أبو الحسن علي ابن السلطان ركن الدولة الحسن بن بويه بن فناخسرو الديلمي مات بالري وكان ابن أخيه بهاء الدولة بواسط فجلس للعزاء وجلس ابنه أبو منصور ببغداد.

وقيل: إن فخر الدولة سم وسم ولداه من بعده فمات الكل في هذه السنة فملك أبو الحسين قابوس بن وشمكير من بعده طبرستان وجرجان فإنهما كانا في مملكته وأخذهما منه مؤيد الدولة أخو فخر الدولة هذا المقدم ذكره.

وكان فخر الدولة شجاعًا لقبه الخليفة الطائع بملك الأمة أو بفلك الأمة.

وكانت وفاته في عاشر شعبان وله ست وأربعون سنة وخمسة أيام.

وكانت مدة ملكه ثلاث عشرة سنة وعشرة أشهر وسبعة وعشرين يومًا.

وخلف مالًا كثيرًا.

وقال ابن الصابىء بعد ما عدد ما خلفه من المتاع وغيره قال: وخلف ألفي ألف وثمانمائة ألف وخمسة وسبعين ألفًا ومائتين وأربعة وثمانين دينارًا ومن الورق والنقرة والفضة مائة ألف ألف وثمانمائة ألف وستين ألفًا وسبعمائة وتسعين درهمًا ومن الجواهر واليواقيت الحمر والصفر والحلي واللؤلؤ والبلخش والماس وغيره أربعة عشر ألفًا وخمسمائة وعشرين قطعة قيمتها ثلاثة آلاف ألف دينار ومن أواني الذهب ما وزنه ثلاثة آلاف ألف دينار ومن البلور والصيني ونحوه ثلاثة آلاف ومن السلاح والثياب والفرش ثلاثة آلاف حمل.

وقيل: إنه خلف من الخيل والبغال والجمال ثلاثين ألف رأس ومن الغلمان والمماليك خمسة آلاف ومن السراري خمسمائة ومن الخيام عشرة آلاف خيمة.

وكان شحيحًا.

كانت مفاتيح خزائنه في الكيس الحديد مسمرًا بالمسامير لا يفارقه.

وملك بعده ابنه أبو طالب رستم وعمره أربع سنين.

وفيها توفي محمد بن أحمد بن إسماعيل بن عنبس أبو الحسين البغدادي الواعظ ويعرف بابن سمعون وكان يسمى الناطق بالحكمة.

قال أبو عبد الرحمن السلمي: هو من مشايخ بغداد له لسان عالٍ في العلوم لا ينتمي إلى أستاذ وهو لسان الوقت المرجوع إليه في آداب المعاملات.

وفيها توفي نوح بن منصور بن نوح أبو القاسم الساماني.

كان هو وآباؤه من ملوك ما وراء النهر وسمرقند.

وولي نوح هذا وله ثلاث عشرة سنة وتعصب له عضد الدولة بن بويه وأخذ له من الخليفة الطائع العهد على خراسان والخلع فأقام على خراسان إحدى وعشرين سنة ومات في شهر رجب.

وفيها توفي صمصام الدولة المرزبان وكنيته أبو كاليجار بن عضد الدولة بن بويه بن ركن الدولة الحسن بن بويه الديلمي.

ولي المملكة بعد موت أبيه عضد الدولة فلم ينجح أمره وغلب عليه أخوه شرف الدولة وقهره وحبسه وأخذ بغداد منه وأكحله.

فدام في الحبس إلى أن مات أخوه شرف الدولة ونزل من الحبس وهو أعمى.

وانضم إليه أناس وسار إلى فارس وملك شيراز.

ووقع له أمور مع أولاد أخيه وحروب.

وأقام بشيراز إلى أن قتل بها في هذه السنة وقيل: في السنة الآتية وهو الأصح.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ثلاث أذرع وإصبع واحدة.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا وسبع أصابع.

السنة الثانية من ولاية الحاكم منصور وهي سنة ثمانٍ وثمانين وثلاثمائة: فيها توفي محمد بن أحمد بن إبراهيم أبو الفرج المقرىء الشنبوذي مولده في سنة ثلاثمائة.

كان يقول: أحفظ خمسين ألف بيت من الشعر من شواهد القرآن.

ومات ببغداد وبها كان مولده.

وفيها توفي أحمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب الإمام أبو سليمان الخطابي البستي الفقيه الأديب مصنف كتاب معالم السنن وكتاب غريب الحديث وكتاب شرح أسماء الله الحسنى وكتاب الغنية عن الكلام وأهله وكتاب العزلة وغير ذلك.

وفيها توفي محمد بن عبد الله بن محمد بن زكرياء الحافظ أبو بكر الشيباني الجوزقي المعدل شيخ نيسابور ومحدثها وابن أخت محدثها أبي إسحاق إبراهيم بن محمد وجوزق: من قرى نيسابور كان حافظًا إمامًا صنف المسند الصحيح على كتاب مسلم.

ومات في شوال عن اثنتين وثمانين سنة.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ثلاث أذرع واثنتا عشرة إصبعًا.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا وسبع أصابع.

السنة الثالثة من ولاية الحاكم منصور وهي سنة تسع وثمانين وثلاثمائة: فيها حج بالناس محمد بن محمد بن عمر من العراق وكان في الحج الشريفان: الرضي والمرتضى فاعترض ركب الحاج أبو الجراح الطائي فأعطياه تسعة آلاف دينار من أموالهما حتى أطلق الحاج.

وفيها استولى الأمير أبو القاسم محمود بن سبكتكين على أعمال خراسان بعد أن هزم الأمير عبد الملك بن نوح الساماني وأزال السامانية منها وأقام الدعوة للخليفة القادر بعد أن كانت وفيها توفي زاهر بن أحمد بن محمد بن عيسى أبو علي السرخسي الفقيه الشافعي المقرىء المحدث.

سمع الكثير وروى عنه غير واحد.

ومات في شهر ربيع الآخر وله ست وتسعون سنة.

وفيها توفي عبد الله بن أبي زيد عبد الرحمن الفقيه أبو محمد القيرواني شيخ المالكية بالمغرب.

جمع مذهب الإمام مالك رضي الله عنه وشرح أقواله.

وكان واسع العلم كثير الحفظ ذا صلاح وعفة وورع.

قال القاضي عياض بن موسى بن عياض: حاز رياسة الدين والدنيا ورحل إليه من الأمصار.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربع أذرع وعشرون إصبعًا.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا وعشرون إصبعًا.

السنة الرابعة من ولاية الحاكم منصور وهي سنة تسعين وثلاثمائة: فيها ظهر بسجستان معدن الذهب فكانوا يصفون من التراب الذهب الأحمر.

وفيها ولى الحاكم صاحب مصر على نيابة الشام فحل بن تميم فمرض ومات بعد أشهر فولى وفيها حج بالناس من العراق أبو الحارث العلوي.

وفيها توفي الحسين بن محمد بن خلف أبو عبد الله الفراء والد القاضي أبي يعلى.

كان إمامًا فقيهًا على مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة وسمع الحديث وتفقه وبرع.

ومات في شعبان ببغداد.

وفيها توفي المعافى بن زكرياء بن يحيى بن حميد بن حماد بن داود أبو الفرج النهرواني ويعرف بابن طرارى.

ولد سنة ثلاث وثلاثمائة وقيل: سنة خمس وثلاثمائة.

وكان إمامًا في النحو واللغة وأصناف الآداب وكان يتفقه على مذهب محمد بن جرير الطبري.

وصنف كتاب الجليس والأنيس.

قال المعافى المذكور: حججت فكنت بمنىً فسمعت مناديًا ينادي: يا أبا الفرج فقلت: لعله غيري.

ثم نادى يا أبا الفرج المعافى فهممت أن أجيبه.

ثم إنه رجع فنادى: يا أبا الفرج المعافى بن زكرياء النهرواني فقلت عند ذلك: ها أنا: فما تريد.

قال: لعلك من نهروان الشرق قلت نعم قال: نحن نريد نهروان الغرب.

قال: فعجبت من هذا الاتفاق.

قلت: وهذا من الغرائب كونه طابق اسمه واسم أبيه والكنية والشهرة ويكون هذا من نهروان الشرق وذاك من نهروان الغرب.

وكانت وفاته في ذي الحجة وله خمس وثمانون سنة.

وفيها توفي ناجية بن محمد بن سليمان أبو الحسن الكاتب البغدادي نادم الخلفاء والأكابر وكان ولما رأيت الصبح قد سل سيفه وولى انهزامًا ليله وكواكبه ولاح احمرار قلت قد ذبح الدجى وهذا دم قد ضمخ الافق ساكبه أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ثلاث أذرع وأربع عشرة إصبعًا.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا وإصبعان.

السنة الخامسة من ولاية الحاكم منصور وهي سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة: فيها جلس الخليفة القادر بأبهة الخلافة ودخل عليه الحجاج بعد عودهم من الحج والقضاة والأشراف فأعلمهم أنه قد جعل الأمر في ولده أبي الفضل ولقبه الغالب بأمر الله وعمره ثماني سنين وأربعة أشهر وأيام.

وفيها حج من العراق بالناس أبو الحارس محمد بن محمد بن عمر العلوي.

وفيها توفي جعفر بن الفضل بن جعفر بن محمد بن الفرات الوزير المحدث أبو الفضل المعروف بابن حنزابة.

كان أبوه قد وزر للمقتدر سنة خلع.

وسافر هو إلى مصر وتقلد الوزارة لكافور الإخشيذي وسمع الحديث بمصر ورواه ومات بمصر.

وفيها توفي المقلد بن المسيب بن رافع حسام الدولة أبو حسان العقيلي صاحب الموصل.

كان أخوه أبو الفؤاد أول من تغلب على الموصل وملكها في سنة ثمانين وثلاثمائة وملك حسام الدولة هذا الموصل بعده وكان حسن التدبير واتسعت مملكته.

وأرسل إليه الخليفة القادر اللواء والخلع.

وكان له شعر وفيه رفض فاحش.

قتله غلام له تركي في صفر.

قلت: لا شلت يداه!.

يقال: إنه قتله لأنه سمعه يوصي رجلًا من الحاج أن يسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول له: لولا صاحباك لزرتك.

وذكر الذهبي هذه الحكاية بإسناد إلى جماعة إلى أن قال عن الرجل الذي قال له المقلد هذا بالسلام إنه قال: فأتيت المدينة ولم أقل ذلك إجلالًا فنمت فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في منامي فقال: يا فلان لم لم تؤد الرسالة فقلت: يا رسول الله أجللتك فرفع رأسه إلى رجل قائم فقال له: خذ هذا الموس واذبحه به يعني المقلد.

ثم رجعنا فوافينا العراق فسمعت أن الأمير المقلد ذبح على فراشه ووجد الموسى عند رأسه فذكرت للناس الرؤيا فشاعت فأحضرني ابنه يعني ابن المقلد الذي ولي بعده واسمه قرواش فحدثته فقال: أتعرف الموسى فقلت نعم فأحضر طبقًا مملوءًا مواسي فأخرجته منها فقال: صدقت هذا وجدته عند رأسه وهو مذبوح.

قلت: هذا ما جوزي به في الدنيا وأما في الأخرى فجهنم وبئس المصير هو وكل من يعتقد معتقده إن شاء الله تعالى.

وفيها توفي جيش بن محمد بن صمصامة أبو الفتوح القائد المغربي ابن أخت أبي محمود الكتامي أمير أمراء جيوش المغرب ومصر والشام وتولى نيابة دمشق غير مرة وكان ظالمًا سفاكًا للدماء.

ظلم الناس فاجتمع الصلحاء والزهاد ودعوا عليه فسلط الله عليه الجذام حتى رأى في نفسه العبر ولم ينته حتى أخذه الله.

وفيها توفي الحسين بن أحمد بن الحجاج أبو عبد الله الشاعر كان من أولاد العمال والكتاب ببغداد وتولى حسبة بغداد لعز الدولة بختيار بن بويه فتشاغل بالشعر والسخف والخلاعة عما هو بصدده.

قلت: وابن الحجاج هذا يضرب به المثل في السخف والمداعبة والأهاجي.

وغالب.

شعره في الفحش والأهاجي والهزل من ذلك قوله: المستعان بربي من كس ستي وزبي قد كلفاني نيكًا قد كان يقصف صلبي وقال ابن خلكان: الشاعر المشهور ذو المجون والخلاعة في شعره.

كان فرد زمانه في فنه فإنه لم يسبق إلى تلك الطريقة مع عذوبة ألفاظه وسلامة شعره من التكلف ومدح الملوك والأمراء والوزراء.

وديوانه كبير أكثر ما يوجد في عشرة مجلدات.

والغالب عليه الهزل وله في الجد أيضًا.

ويقال: إنه في الشعر في درجة امرىء القيس وأنه لم يكن بينهما مثلهما لأن كل واحد أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربع أذرع وإصبعان.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا وعشرون إصبعًا.

السنة السادسة من ولاية الحاكم منصور وهي سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة: فيها في المحرم غزا السلطان محمود بن سبكتكين الهند فالتقاه صاحبها الملك جيبال ومعه ثلاثمائة فيل فنصر الله ابن سبكتكين وقتل من الكفار خمسة آلاف ومن الفيلة خمسة عشر فيلًا.

وفيها ولى الحاكم على دمشق أبا منصور ختكين القائد فظلم وأساء السيرة.

وفيها توفي عثمان بن جني العلامة أبو الفتح النحوي اللغوي الموصلي صاحب المصنفات منها اللمع والكافي في شرح القوافي و المذكر والمؤنث وسر الصناعة والخصائص وشرح المتنبي وغير ذلك.

وكان أبوه جني مملوكًا روميًا لسليمان بن فهد بن أحمد الأزدي الموصلي.

وسكن ابن جني المذكور بغداد ودرس بها وأقرأ حتى مات في صفر.

وفيها توفي علي بن عبد العزيز أبو الحسن الجرجاني قاضي الري.

سمع الحديث الكثير وترقى في العلوم حتى برع في الفقه والشعر والنحو وغير ذلك من العلوم.

وفيها توفي محمد بن محمد بن جعفر أبو بكر القاضي الشافعي ويعرف بابن الدقاق صاحب الأصول كان معدودًا من الفضلاء مات ببغداد.

وفيها توفي الوليد بن بكر بن مخلد بن أبي زياد أبو العباس الأندلسي رحل في طلب العلم إلى مصر والشام والعراق والحجاز وخراسان وما وراء النهر وسمع الكثير.

وكان إمامًا عالمًا بالفقه والنحو والحديث والأدب والشعر.

ومن شعره قوله: لأي بلائك لا تدكر وماذا يضرك لو تعتبر فبان الشباب وحل المشيب وحان الرحيل فما تنتظر أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ست أذرع وسبع أصابع.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا وعشر أصابع.

السنة السابعة من ولاية الحاكم منصور وهي سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة: فيها منع عميد الجيوش يوم عاشوراء من النوح وتعليق المسوح ببغداد وغيرها ثم منع أهل السنة مما كانوا ابتدعوه أيضًا في مقابلة الرافضة من التوجه إلى قبر مصعب بن الزبير وغيره وفي شهر ربيع الآخر منها أمر نائب دمشق من قبل الحاكم صاحب مصر تمصولت الأسود الحاكمي بمغربي فضرب وطيف به على حمار ونودي عليه: هذا جزاء من يحب أبا بكر وعمر ثم أمر به فضربت عنقه.

رحمه الله تعالى.

وفيها نازل السلطان محمود بن سبكتكين سجستان وأخذها من صاحبها خلف بن أحمد بالأمان.

وفيها لم يحج أحد من العراق خوفًا من الأصيفر الأعرابي.

وفيها زلزل الشام والعواصم والثغور فمات تحت الهدم خلائق كثيرة.

وفيها توفي إسماعيل بن حماد أبو نصر الجوهري مصنف كتاب الصحاح في اللغة.

كان أصله من فاراب أحد بلاد الترك وكان يضرب المثل به في حفظ اللغة وحسن الكتابة وخطه يذكر مع خط ابن مقلة ومهلهل واليزيدي.

وكان يؤثر الغربة على الوطن دخل بلاد ربيعة ومضر في طلب العلم واللغة.

وفي كتابه الصحاح لقول إسماعيل بن محمد النيسابوري: هذا كتاب الصحاح سيد ما صنف قبل الصحاح في الأدب يشمل أنواعه ويجمع ما فرق في غيره من الكتب مات الجوهري مترديًا من سطح داره بنيسابور.

وفيها توفي أمير المؤمنين الطائع لله أبو بكر عبد الكريم ابن الخليفة المطيع لله الفضل ابن الخليفة المقتدر بالله جعفر ابن الخليفة المعتضد بالله أحمد الهاشمي العباسي البغدادي.

وأمه أم ولد.

ولي الخلافة بعد أن خلع والده المطيع نفسه لمرض تمادى به في ذي القعدة سنة ثلاث وستين وثلاثمائة فدام في الخلافة إلى أن خلع بعد القبض عليه في شعبان سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة وبويع القادر بالله بالخلافة.

واستمر الطائع محبوسًا في دار عند القادر مكرمًا إلى أن مات في هذه السنة في ليلة عيد الفطر وصلى عليه القادر وكبر عليه خمسًا.

ومات الطائع وله ثلاث وسبعون سنة.

وفيها توفي محمد بن عبد الرحمن بن العباس بن عبد الرحمن بن زكرياء الحافظ أبو طاهر البغدادي الذهبي المخلص محدث العراق.

قال الخطيب أبو بكر: كان ثقة.

مولده في شوال سنة خمس وثلاثمائة وسمع الكثير وروى عنه غير واحد.

وفيها توفي إبراهيم بن أحمد بن محمد أبو إسحاق الطبري المقرىء شيخ الشهود ومقدمهم ببغداد والبصرة والكوفة ومكة والمدينة.

قرأ القرآن وسمع الكثير وكان مالكي المذهب وحج فأم بالناس بالمسجد الحرام أيام الموسم وما تقدم فيه إمام ليس بقرشي سواه.

وقرأ عليه الرضي الموسوي القرآن.

وسكن بغداد وحدث بها إلى أن توفى بها رحمه الله.

وفيها توفي محمد بن عبد الله بن محمد بن محمد بن حليس السلامي الشاعر المشهور كان فصيحًا بليغًا.

ومن شعره وهو في المكتب وهو أول قوله: بدائع الحسن فيه مفترقه وأعين الناس فيه متفقه سهام ألحاظه مفوقة فكل من رام لحظه رشقه قال الثعالبي في حقه: هو من أشعر أهل العراق قولًا بالإطلاق وشهادة بالاستحقاق.

ثم قال بعدما أثنى عليه: وقال الشعر وهو ابن عشر سنين.

وفيها توفيت ميمونة بنت ساقولة الواعظة البغدادية.

كان لها لسان حلو في الوعظ.

قالت: هذا قميصي له اليوم سبع وأربعون سنة ألبسه وما تخرق غزلته لي أمي الثوب إذا لم يعص الله فيه لا يتخرق.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمس أذرع وعشرون إصبعًا.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا وخمس عشرة إصبعًا.

السنة الثامنة من ولاية الحاكم منصور فيها قلد بهاء الدولة الشريف أبا أحمد الحسين بن موسى الموسوي قضاء القضاة والحج والمظالم ونقابة الطالبيين ولقبه الطاهر الأوحد ذا المناقب فلم ينظر في القضاء لامتناع الخليفة القادر بالله من الإذن له في ذلك.

وفيها حج بالناس من العراق أبو الحارث محمد العلوي فاعترض الركب الاصيفر الشيعي الأعرابي وعول على نهبهم فقالوا: من يكلمه ويقرر له ما يأخذه من الحاج فقدموا أبا الحسين بن الرفاء وأبا عبد الله بن الدجاجي وكانا من أحسن الناس قراءة فدخلا عليه وقرآ بين يديه فقال لهما: كيف عيشكما ببغداد قالا: نعم العيش تصلنا الخلع والصلات.

فقال: هل وهبوا لكما ألف ألف دينار في مرة واحدة.

قالا: لا ولا ألف دينار.

فقال: قد وهبت لكما الحاج وأموالهم فدعوا له وانصرفوا وفرح الناس.

ولما قرأ بعرفات قال أهل مصر والشام: ما سمعنا عنكم تبذيرًا مثل هذا يكون عندكم شخصان مثل هذين فتصحبونهما معكم معًا فإن هلكا فبأي شيء تتجملون بعد ذلك!.

ومن حسن قراءتهما وطيب صوتهما أخذهما أبو الحسن بن بويه مع أبي عبد الله بن البهلول فكانوا يصفون به بالنوبة التراويح وهم أحداث السن.

وفيها توفي الحسن بن محمد بن إسماعيل أبو علي الإسكافي الملقب بالموفق.

كان بهاء الدولة قد فوض إليه أموره وقام بتدبير ملكه.

وكان شجاعًا مقدامًا لا يتوجه في أمر إلا وينصر.

وارتفع أمره حتى قال رجل لبهاء الدولة: يا مولانا زينك الله في عين الموفق.

ولازال الناس به حتى قبض عليه بهاء الدولة وخنقه.

وفيها توفي خلف بن القاسم بن سهل الحافظ أبو القاسم الأندلسي كان يعرف بابن الدباغ مولده سنة خمس وعشرين وثلاثمائة كان حافظًا مكثرًا جمع مسند الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه وحديث شعبة بن الحجاج وأسامي المعروفين بالكنى من الصحابة والتابعين وسائر المحدثين وكان أعلم الناس برجال الحديث والتواريخ والتفسير.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربع أذرع سواء.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا وخمس عشرة إصبعًا.

السنة التاسعة من ولاية الحاكم منصور وهي سنة خمس وتسعين وثلاثمائة.

فيها حج بالعراقيين أبو جعفر بن شعيب ولحقهم عطش كبير في طريقهم فهلك خلق كثير.

وفيها قتل الحاكم صاحب مصر جماعة بمصر من أعيانها صبرًا.

وفيها كانت وقعة بين بهاء الدولة بن بويه وبين عميد الجيوش انكسر فيها عميد الجيوش وانهزم وفيها خرج أبو ركوة على الحاكم وتعاظم أمره حتى عزم الحاكم على الخروج إلى الشام وبرز إلى بلبيس بالعساكر والأموال فأشير عليه بالعود إلى مصر فعاد وجهز إليه جيشًا فواقعوه غير مرة حتى هزموه حسب ما ذكرناه في أصل ترجمة الحاكم من هذا المحل ونذكره أيضًا في السنة الآتية.

وفيها توفي أحمد بن محمد البشري الصوفي المحدث رحل في طلب الحديث وجاور بمكة مدة وصار شيخ الحرم ثم عاد إلى مصر فتوفي بالطريق بين مصر ومكة وكان صالحًا ثقة.

وفيها توفي أحمد بن فارس بن زكرياء بن محمد بن حبيب أبو الحسين الرازي وقيل: القزويني المعروف بالرازي المالكي اللغوي نزيل همذان وصاحب المجمل في اللغة.

سمع الحديث وروى عنه جماعة وولد بقزوين ونشأ بهمذان.

وكان أكثر مقامه بالري وكان كاملًا في الأدب فقيهًا مالكيًا مناظرًا في الكلام وينصر أهل الديانة وطريقته في النحو طريقة الكوفيين.

وله مصنفات بديعة.

ومن شعره قوله: مرت بنا هيفاء مجدولة تركية تنمى لتركي ترنو بطرف فاتن فاتر أضعف من حجة نحوي وفيها توفى أحمد بن محمد بن أحمد بن عمر الزاهد أبو الحسين بن أبي نصر النيسابوري الخفاف.

قال الحاكم: كان مجاب الدعوة وسماعاته صحيحة بخط أبيه من أبي العباس السراج وأقرانه وبقي واحد عصره في علوم الإسناد ومات في شهر ربيع الأول.

قال الحاكم: وصليت عليه وله ثلاث وتسعون سنة.

وفيها توفي محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده واسم منده: إبراهيم بن الوليد بن سيده الحافظ الكبير أبو عبد الله العبدي الأصبهاني المعروف بابن منده رحل وطوف الدنيا وجمع وصنف وكتب ما لا ينحصر.

وحدث عن أبيه وعم أبيه عبد الرحمن بن يحيى وخلق كثير وروى عنه جماعة.

قال أبو نعيم وهو معاصره: ابن منده حافظ من أولاد المحدثين توفي في سلخ ذي القعدة واختلط في آخر عمره.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم سبع أذرع وخمس عشرة إصبعًا.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا وثلاث أصابع.

M0لنة العاشرة من ولاية الحاكم منصور وهي سنة ست وتسعين وثلاثمائة: فيها حج بالناس من العراق محمد بن محمد بن عمر العلوي وخطب بالحرمين للحاكم صاحب مصر على العادة وأمر الناس بالحرمين بالقيام عند ذكر الحاكم وفعل مثل ذلك بمصر وغيرها وفيها جلس الخليفة القادر بالله العباسي لأبي المنيع قرواش بن أبي حسان ولقبه بمعتمد الدولة وتفرد قرواش المذكور بالإمارة وحده.

وفيها توفي إسماعيل بن أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل أبو سعد الجرجاني كان عالمًا بفنون علم الحديث والفقه والعربية ودخل بغداد وعقد مجلس المناظرة وحضره أبو الطيب الطبري وأبو حامد الأسفراييني.

وفيها توفي عبد الوهاب بن الحسن بن الوليد بن موسى الكلابي المحدث أبو الحسين الدمشقي يعرف بأخي تنوك سمع الكثير وروى عنه الناس.

قال عبد العزيز الكناني: كان ثقة نبيلًا مأمونًا.

وكانت وفاته في شهر ربيع الأول ومات وهو مسند وقته.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي الحافظ أبو عمر أحمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن الباجي في المحرم وأبو الحسن أحمد بن محمد بن عمران بن الجندي وهو ضعيف وأبو سعد إسماعيل بن أبي بكر الإسماعيلي شيخ الشافعية وأبو الحسين عبد الوهاب بن الحسن الكلابي في شهر ربيع الأول وله تسعون سنة والقاضي أبو الحسن علي بن محمد بن إسحاق الحلبي بمصر وأبو بكر محمد بن الحسن بن الفضل بن المأمون وأبو بكر محمد بن علي بن النضر الديباجي وأبو بكر محمد بن عمر بن علي بن خلف بن زنبور الوراق.

الماء القديم أربع أذرع وعشر أصابع.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا وست عشرة إصبعًا.

السنة الحادية عشرة من ولاية الحاكم منصور وهي سنة سبع وتسعين وثلاثمائة: فيها دخل بهاء الدولة البصرة وملكها واستولى على ذخائر ابن واصل.

وفيها استفحل أمر أبي ركوة الذي خرج على الحاكم وذكرنا أمره في الماضية ودعا لعمه هشام الأموي.

وأبو ركوة المذكور اسمه الوليد وهو من ذرية هشام بن عبد الملك بن مروان وعظم أمره وانضم عليه الخلائق واستولى على برقة وغيرها وكسر عسكر الحاكم وضرب السكة وصعد المنبر وخطب خطبة بليغة ولعن الحاكم وآباءه وصلى بالناس وعاد إلى دار الإمارة وقد استولى على جميع ما كان فيها.

وعرف الحاكم بما جرى فانزعج وكف عن القتل وانقطع عن الركوب الذي كان يواصله ثم جهز الحاكم إلى حرب أبي ركوة قائدًا من الأتراك يقال له ينال الطويل وأرسل معه خمسة آلاف فارس وكان معظم جيش ينال من كتامة وكانت مستوحشة من ينال فإنه قتل كبار كتامة بأمر الحاكم فتوجه ينال وواقع أبا ركوة فهزمه أبو ركوة وأخذه أسيرًا وقال له: العن الحاكم فبصق في وجه أبي ركوة فأمر أبو ركوة به فقطع إربًا إربًا.

وأخذ أبو ركوة واشتد الأمر على الحاكم أكثر وأكثر بكسر ينال وبعث إلى الشام واستدعى الغلمان الحمدانية والقبائل وأنفق عليهم الأموال وجهزهم وجعل عليهم الفضل بن عبد الله فطرقهم أبو ركوة وكسرهم وساق خلفهم حتى نزل عند الهرمين بالجيزة وغلق الحاكم أبواب القاهرة ثم عاد أبو ركوة إلى عسكره.

فندب الحاكم العساكر ثانيًا فسار بهم الفضل في جيوش كثيرة والتقى مع أبي ركوة فهزمه وقتل من عسكره نحو ثلاثين ألفًا.

ثم ظفر الفضل بأبي ركوة وسار به مكرمًا إلى الحاكم.

وسبب إكرامه له خوفه عليه من أن يقتل نفسه وقصد الفضل أن يأتي به الحاكم حيًا.

فأمر الحاكم أن يشهر أبو ركوة على جمل ويطاف به.

وكانت القاهرة قد زينت أحسن زينة وكان بها شيخ يقال له الأبزاري إذا خرج خارجي صنع له طرطورًا وعمل فيه ألوان الخرق المصبوغة وأخذ قردًا ويجعل في يده درة ويعلمه أن يضرب بها الخارجي من ورائه ويعطى مائة دينار وعشر قطع قماش.

فلما قطع أبو ركوة الجيزة أمر به الحاكم فأركب جملًا بسنامين وألبس الطرطور وأركب الأبزاري خلفه والقرد بيده الدرة وهو يضربه والعساكر حوله وبين يديه خمسة عشر فيلًا مزينة ودخل القاهرة على هذا الوصف ورؤوس أصحابه بين يديه على الخشب والقصب وجلس الحاكم في منظرة على باب الذهب والترك والديلم عليهم السلاح وبأيديهم اللتوت وتحتهم الخيول بالتجافيف حول أبي ركوة وكان يومًا عظيمًا وأمر به الحاكم أن يخرج إلى ظاهر القاهرة ويضرب عنقه على تل بإزاء مسجد ريدان خارج القاهرة.

فلما حمل إلى هناك أنزل فإذا به ميت فقطع رأسه وحمل به إلى الحاكم فأمر بصلب جسده.

وارتفعت منزلة الفضل عند الحاكم بحيث إنه مرض فعاده مرتين أو ثلاثًا وأقطعه إقطاعات كثيرة ثم عوفي من مرضه وبعد أيام قبض عليه الحاكم وقتله شر قتلة.

وفيها كسا الحاكم الكعبة القباطي البيض وبعث مالًا لأهل الحرمين.

وفيها توفي عبد الصمد بن عمر بن محمد بن إسحاق أبو القاسم الدينوري الواعظ الزاهد كان فقيهًا زاهدًا عابدًا محدثًا منقطعًا عن الناس وهو من كبار الشيوخ رحمه الله.

وفيها توفي الشيخ الإمام العالم الحافظ أبو الحسن علي بن عمر القصار المالكي ببغداد.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمس أذرع وأربع أصابع.

مبلغ الزيادة أربع عشرة ذراعًا وست عشرة إصبعًا.

السنة الثانية عشرة من ولاية الحاكم منصور

وهي سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة: فيها في يوم عاشوراء عمل أهل الكرخ ما جرت به العادة من النوح وغيره.

واتفق يوم عاشوراء يوم المهرجان فأخره عميد الجيوش إلى اليوم الثاني مراعاة لأجل الرافضة هذا ما كان ببغداد.

فأما مصر فإنه كان يفعل بها في يوم عاشوراء من النوح البكاء والصراخ وتعليق المسوح أضعاف ذلك لا سيما أيام خلفاء مصر بني عبيد فإنهم كانوا أعلنوا الرفض وسب الصحابة من غير تستر ولا خيفة.

وفيها كانت فتنة عظيمة بين أهل السنة والرافضة ببغداد.

وفيها زلزلت الدينور فهدمت المنازل وأهلكت ستة عشر ألف إنسان وخرج من سلم إلى الصحراء وبنوا لهم أكواخًا من القصب وذهب من الأموال ما لا يعد ولا يحصى.

وفيها هدم الحاكم بيعة قمامة التي ببيت المقدس وغيرها من الكنائس بمصر والشام وألزم أهل الذمة بما ذكرناه في ترجمة الحاكم.

وفيها توفي أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد أبو الفضل الهمذاني الملقب ببديع الزمان صاحب الرسائل الرائقة وصاحب المقامات الفائقة التي على منوالها نسج الحريري مقاماته واعترف له بالفضل عليه.

وكان إمام وقته في المنثور والمنظوم.

ومن كلامه النثر: " الماء إذا طال مكثه ظهر خبثه وإذا سكن متنه تحرك نتنه ".

وله من تعزية: " الموت خطب قد عظم حتى هان ومس قد خشن حتى لان والدنيا قد تنكرت حتى صار الموت أخف خطوبها وجنت حتى صار أصغر ذنوبها.

" وله من هذا أشياء كثيرة.

وأما شعره فجيد إلى الغاية.

من ذلك قوله من جملة قصيدة: وكاد يحكيك صوب الغيث منسكبًا لو كان طلق المحيا يمطر الذهبا والدهر لو لم يخن والشمس لو نطقت والليث لو لم يصد والبحر لو عذبا وكانت وفاته في هذه السنة بمدينة هراة.

وفيها توفي عبد الواحد بن نصر بن محمد أبو الفرج المخزومي النصيبي الشاعر المشهور المعروف بالببغاء.

والببغاء هو الطير المعروف بالدرة وقيل غيرها.

خدم الببغاء المذكور سيف الدولة بن حمدان ومدحه وكان شاعرًا مجيدًا وكاتبًا مترسلًا جيد المعاني حسن القول في المدائح.

ومن شعره: وكأنما نقشت حوافر خيله للناظرين أهلة في الجلمد وكأن طرف الشمس مطروف وقد جعل الغبار له مكان الإثمد وفيها توفي عبد الله بن محمد أبو محمد البخاري الخوارزمي الفقيه الشافعي كان فقيهًا فصيحًا أديبًا يرتجل الخطب الطوال ويقول الشعر على البديهة.

ومن شعره: كم حضرنا وليس يقضى التلاقي نسأل الله غير هذا الفراق وفيها توفي أبو منصور بن بهاء الدولة وقيل: إن اسمه بويه.

كان أبوه بهاء الدولة يخافه ومنع الخدم من الكلام معه وضيق عليه.

ولما مات وجد عليه وجدًا عظيمًا ولبس السواد وواصل البكاء والحزن إلى أن اجتمع إليه وجوه الديلم وسألوه أن يرجع إلى عادته.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمس أذرع سواء.

مبلغ الزيادة أربع عشرة ذراعًا وتسع أصابع.

السنة الثالثة عشرة من ولاية الحاكم منصور وهي سنة تسع وتسعين وثلاثمائة: فيها لحق الحاج عند عودهم من مكة الأصيفر الأعرابي وقرر عليهم أبو الحارث محمد بن محمد بن عمر العلوي أمير الحاج مالًا فأوردوه ودخلوا الكوفة بعد أن لاقوا مشقة شديدة وأقاموا بها حتى أرسل إليهم أبو الحسن علي بن مزيد أخاه حمادًا فحملهم إلى المدائن ثم دخلوا بغداد.

وفيها صرف أبو عمر عبد الواحد عن قضاء البصرة ووليها أبو الحسن بن أبي الشوارب.

فقال العصفري الشاعر في هذه المعنى: عندي حديث ظريف بمثله يتغنى فذا يقول اكرهونا وذا يقول استرحنا ويكذبان جميعًا ومن يصدق منا وفيها ولى الحاكم القائد أبا الجيش حامد بن ملهم أميرًا على دمشق بعد علي بن جعفر بن فلاح فوليها سنة وأربعة أشهر ثم عزل بمحمد بن نزال.

وفيها لم يحج أحد من العراق خوفًا من العطش والعرب وخرجوا ثم عادوا.

وفيها توفيت يمنى أم القادر.

كانت مولاة عبد الواحد بن الخليفة المقتدر وكانت من أهل الدين والصلاح.

وصلى عليها القادر في داره وكبر أربعًا وحملت إلى الرصافة في طيار فدفنت بها.

وفيها توفي الأمير لؤلؤ غلام سيف الدولة بن حمدان صاحب حلب والذي كان واقع العزيز نزارًا والد الحاكم وقد تقدم ذكر ذلك في ترجمة العزيز مفصلًا.

كان لؤلؤ شجاعًا مقدامًا.

ولما مات لؤلؤ تولى الملك بعده ابنه مرتضى الدولة وهرب بعد ذلك إلى الروم.

وفيها توفي هشام بن الحكم بن عبد الرحمن الأموي صاحب الأندلس ولقبه المؤيد وهو من ذرية مروان بن الحكم الأموي وهو عم أبي ركوة الذي كان خرج على الحاكم المقدم ذكره وباسمه كان يخطب أبو ركوة المذكور.

ولي هشام هذا الملك وله تسع سنين وأقام واليًا على أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ذراعان وست عشرة إصبعًا.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا وثلاث وعشرون إصبعًا.

السنة الرابعة عشرة من ولاية الحاكم منصور وهي سنة أربعمائة: فيها أرجف بموت الخليفة القادر فجلس للناس بعد صلاة الجمعة ودخل عليه القضاة والأشراف وعليه أبهة الخلافة وقبل أبو حامد الأسفراييني يده.

وفيها أرسل الحاكم إلى المدينة إلى دار جعفر الصادق من فتحها وأخذ منها ما كان فيها وكان فيها مصحف وسرير وآلات وكان الذي فتحها ختكين العضدي الداعي وحمل معه رسوم الأشراف وعاد إلى مصر بما وجد في الدار وخرج معه من شيوخ العلويين جماعة فلما وصلوا إلى الحاكم أطلق لهم نفقات قليلة ورد عليهم السرير وأخذ الباقي وقال: أنا أحق به فانصرفوا داعين عليه.

وشاع فعله في الأمور التي خرق العادات فيها ودعي عليه في أعقاب الصلوات وظوهر بذلك فأشفق فخاف وأمر بعمارة دار العلم وفرشها ونقل إليها الكتب العظيمة وأسكنها من شيوخ السنة شيخين يعرف أحدهما بأبي بكر الأنطاكي وخلع عليهما وقربهما ورسم لهما بحضور مجلسه وملازمته وجمع الفقهاء والمحدثين إليها وأمر أن يقرأ بها فضائل الصحابة ورفع عنهم الاعتراض في ذلك وأطلق صلاة التراويح والضحى وغير الأذان وجعل مكان " حي على خير العمل " " الصلاة خير من النوم " وركب بنفسه إلى جامع عمرو بن العاص وصلى فيه الضحى وأظهر الميل إلى مذهب الإمام مالك والقول به ووضع للجامع تنورًا من فضة يوقد فيه ألف ومائتا فتيلة واثنين آخرين من دونه وزفهم بالدبادب والبوقات والتهليل والتكبير ونصبهم ليلة النصف من شعبان وحضر أول يوم من رمضان إلى الجامع الذي بالقاهرة وحمل إليه الفرش الكثيرة وقناديل الذهب والفضة فكثر الدعاء له.

ولبس الصوف في هذه السنة يوم الجمعة عاشر شهر رمضان وركب الحمار وأظهر النسك وملأ كفه دفاتر وخطب بالناس يوم الجمعة وصلى بهم ومنع من أن يخاطب يا مولانا ومن تقبيل الأرض بين يديه وأقام الرواتب لمن يأوي المساجد من الفقراء والقراء والغرباء وأبناء السبيل وأجرى لهم الأرزاق وصاغ محرابًا عظيمًا من فضة وعشرة قناديل ورصع المحراب بالجوهر ونصبه بالمسجد الجامع.

وأقام على ذلك ثلاث سنين يحمل الطيب والبخور والشموع إلى الجوامع وفعل ما لم يفعله أحد.

ثم بدا له بعد ذلك فقتل الفقيه أبا بكر الأنطاكي والشيخ الآخر وخلقًا كثيرًا أخر من أهل السنة لا لأمر يقتضي ذلك وفعل ذلك كله في يوم واحد.

وأغلق دار العلم ومنع من جميع ما كان فعله وعاد إلى ما كان عليه أولًا من قتل العلماء والفقهاء وأزيد ودام على ذلك حتى مات قتيلًا حسب ما ذكرناه.

وفيها توفي الحسين بن موسى بن محمد بن إبراهيم بن موسى بن جعفر الصادق الشريف أبو أحمد الموسوي والد الشريف الرضي والمرتضى.

مولده في سنة أربع وثلاثمائة.

وكان سيدًا عظيمًا مطاعًا كانت هيبته أشد من هيبة الخلفاء خاف منه عضد الدولة فاستصفى أمواله.

وكانت منزلته عند بهاء الدولة أرفع المنازل ولقبه بالطاهر والأوحد وذي المناقب وكان فيه كل الخصال الحسنة إلا أنه كان رافضيًا هو وأولاده على مذهب القوم.

ومات ببغداد عن سبع وتسعين سنة وصلى عليه ابنه المرتضى ودفن في داره ثم نقل إلى مشهد الحسين ورثاه ولده المرتضى.

وفيها توفي أبو الحسن بن الرفاء القارئ المجيد الطيب الصوت الذي ذكرنا قصته مع الأصيفر الأعرابي عندما اعترض الحاج في سنة أربع وتسعين وكانت وفاته ببغداد.

وفيها توفي أبو عبد الله القمي التاجر المصري كان بزاز خزانة الحاكم مات في ذي القعدة بين مصر ومكة وحمل إلى البقيع ودفن به وكان ذا مال عظيم خرج في هذه السنة مع حجاج مصر بعد أن اشتملت وصيته على ألف ألف دينار غير المتاع والقماش والجوهر.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربع أذرع سواء.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا وثلاث وعشرون إصبعًا.

السنة الخامسة عشرة من ولاية الحاكم منصور وهي سنة إحدى وأربعمائة: فيها خطب أبو المنيع قرواش بن المقلد الملقب بمعتمد الدولة للحاكم صاحب مصر بالموصل.

وكان الحاكم قد استماله فجمع معتمد الدولة أهل الموصل وأظهر طاعة الحاكم فأجابوه وفي القلوب ما فيها فأحضر الخطيب يوم الجمعة رابع المحرم وخلع عليه قباء دبيقيًا وعمامة صفراء وسراويل ديباج أحمر وخفين أحمرين وقلده سيفًا وأعطاه نسخة ما يخطب به وأولها: " الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر ولله الحمد.

الحمد لله الذي انجلت بنوره غمرات الغضب وانهدت بقدرته أركان النصب وأطلع بقدره شمس الحق من الغرب الذي محا بعدله جور الظلمة وقصم بقوته ظهر الغشمة فعاد الأمر إلى نصابه والحق إلى أربابه البائن بذاته المنفرد بصفاته الظاهر بآياته المتوحد بدلالاته لم تفنه الأوقات فتسبقه الأزمنة ولم يشبه الصور فتحويه الأمكنة ولم تره العيون فتصفه الألسنة سبق كل موجود وجوده وفات كل جود جوده واستقر في كل عقل توحيده وقام في كل مرأىً شهيده.

أحمده كما يجب على أوليائه الشاكرين تحميده وأستعينه على القيام بما يشاء ويريده وأشهد له بما شهد أصفياؤه وشهوده.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة لا يشوبها دنس الشرك ولا يعتريها وهم الشك خالصة من الإدهان قائمة بالطاعة والإذعان.

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم اصطفاه واختاره لهداية الخلق وإقامة الحق فبلغ الرسالة وأدى الأمانة وهدى من الضلالة والناس حينئذ عن الهدى غافلون وعن سبيل الحق ضالون فأنقذهم من عبادة الأوثان وأمرهم بطاعة الرحمن حتى قامت حجج الله وآياته وتمت بالتبليغ كلماته صلى الله عليه وعلى أول مستجيب إليه علي أمير المؤمنين وسيد الوصيين أساس الفضل والرحمة وعماد العلم والحكمة وأصل الشجرة الكرام البررة النابتة في الأرومة المقدسة المطهرة وعلى خلفائه الأغصان البواسق من تلك الشجرة وعلى ما خلص منها وزكا من الثمرة.

أيها الناس اتقوا الله حق تقاته وارغبوا في ثوابه واحذروا من عقابه فقد تسمعون ما يتلى عليكم من كتابه قال الله عز وجل: " يوم ندعو كل أناس بإمامهم ".

فالحذر ثم الحذر فكأني وقد أفضت بكم الدنيا إلى الآخرة وقد بان أشراطها ولاح سراطها ومناقشة حسابها والعرض على كتابها " فمن يعمل مثقال ذرةٍ خيرًا يره ومن يعمل مثقال ذرةٍ شرًا يره ".

اركبوا سفينة نجاتكم قبل أن تغرقوا " واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا " وأنيبوا إليه خير الإنابة وأجيبوا داعي الله على باب الإجابة قبل " أن تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله " إلى قوله: " فأكون من المحسنين ".

تيقظوا من الغفلة والفترة قبل الندامة والحسرة وتمني الكر والتماس الخلاص ولات حين مناص وأطيعوا إمامكم ترشدوا وتمسكوا بولاة العهود تهتدوا فقد نصب الله لكم علمًا لتهتدوا به وسبيلًا لتقتدوا به جعلنا الله وإياكم ممن تبع مراده وجعل الإيمان زاده وألهمه تقواه ورشاده أستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المؤمنين.

ثم جلس وقام وقال: " الحمد لله ذي الجلال والإكرام وخالق الأنام ومقدر الأقسام المنفرد بحقيقة البقاء والدوام فالق الإصباح وخالق الأشباح وفاطر الأرواح أحمده أولًا وآخرًا وأشكره باطنًا وظاهرًا وأستعين به إلهًا قادرًا و أستنصره وليًا ناصرًا وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله شهادة من أقر بوحدانيته إيمانًا واعترف بربوبيته إيقانًا وعلم برهان ما يدعو إليه وعرف حقيقة الدلالة عليه.

اللهم وصل على وليك الأزهر وصديقك الأكبر علي بن أبي طالب أبي الخلفاء الراشدين المهديين.

اللهم وصل على السبطين الطاهرين الحسن والحسين وعلى الأئمة الأبرار والصفوة الأخيار من أقام منهم وظفر ومن خاف فاستتر.

اللهم وصل على الإمام المهدي بك والذي بلغ بأمرك وأظهر حجتك ونهض بالعدل في بلادك هاديًا لعبادك.

اللهم وصل على القائم بأمرك والمنصور بنصرك اللذين بذلا نفوسهما في رضائك وجاهدًا أعداءك.

اللهم وصل على المعز لدينك المجاهد في سبيلك المظهر للآيات الخفية والحجج الجلية.

اللهم وصل على العزيز بك الذي مهدت به البلاد وهديت به العباد.

اللهم واجعل نوامي صلواتك وزواكي بركاتك على سيدنا ومولانا إمام الزمان وحصن الإيمان وصاحب الدعوة العلوية و الملة النبوية عبدك ووليك المنصور أبي علي الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين كما صليت على آبائه الراشدين وأكرمت أجداده المهديين.

اللهم وفقنا لطاعته واجمعنا على كلمته ودعوته واحشرنا في حزبه وزمرته.

اللهم وأعنه على ما وليته واحفظه فيما استرعيته وبارك له فيما آتيته وانصر جيوشه وأعل أعلامه في مشارق الأرض ومغاربها إنك على كل شيء قدير.

فلما سمع الخليفة القادر ذلك أزعجه وأرسل عميد الجيوش في تجهيز العساكر.

فلما بلغ قرواشًا وفيها لم يحج أحد من العراق خوفًا من الأعراب وحج الناس من مصر وغيرها.

.

وفيها ولى الحاكم لؤلؤ بن عبد الله الشيرازي دمشق ولقبه بمنتخب الدولة فقدم إليها في جمادى الآخرة من الرقة ثم عزله عنها في يوم عيد الأضحى وولى عوضه أبا المطاع ذا القرنين بن حمدان وكان يوم الجمعة فصلى لؤلؤ بالناس العيد وأبو المطاع الجمعة.

وحمل لؤلؤ إلى بعلبك فقتل بها بأمر الحاكم.

وفيها توفي أبو علي الأمير عميد الجيوش واسمه الحسين بن أبي جعفر.

كان أبوه من حجاب عضد الدولة بن بويه وجعل ابنه هذا برسم صمصام الدولة فخدم المذكور صمصام الدولة وبهاء الدولة فولاه بهاء الدولة العراق فقدمها والفتن قائمة فقتل وصلب وغرق حتى بلغ من هيبته أنه أعطى غلامًا له صينية فضة فيها دنانير فقال: خذها على رأسك وسر من النجمي إلى الماصر الأعلى فإن اعترضك معترض فأعطه إياها واعرف المكان فجاء الغلام وقد انتصف الليل وقال: مشيت الحد جميعه فلم يلقني أحد.

وفيها توفي أحمد بن محمد بن عبد الرحمن أبو عبيد الهروي اللغوي المؤدب مصنف الغريبين في اللغة لغة القرآن ولغة الحديث ومات في شهر رجب.

وفيها توفي علي بن محمد أبو الفتح البستي الكاتب الشاعر.

قال الحاكم: هو واحد عصره وحدثني أنه سمع الكثير من أبي حاتم بن حبان.

انتهى.

قلت: وهو صاحب النظم الرائق والنثر الفائق.

ومن كلامه النثر: من أصلح فاسده أرغم حاسده.

عادات السادات سادات العادات.

ومن شعره رحمه الله تعالى: أعلل بالمنى روحي لعلي أروح بالأماني الهم عني واعلم أن وصلك لا يرجى ولكن لا أقل من التمني أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربع أذرع وثماني عشرة إصبعًا.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا وثماني عشرة إصبعًا.

السنة السادسة عشرة من ولاية الحاكم منصور وهي سنة اثنتين وأربعمائة.

فيها في شهر ربيع الآخر كتب الخليفة القادر العباسي محضرًا في معنى الخلفاء المصريين والقدح في أنسابهم وعقائدهم وقرئت النسخ ببغداد وأخذت فيها خطوط القضاة والأئمة والأشراف بما عندهم من العلم بمعرفة نسب الديصانية قالوا: شهادة يتقربون بها إلى الله ومعتقدين ما أوجب الله على العلماء أن ينشروه للناس فشهدوا جميعًا أن الناجم بمصر وهو منصور بن نزار الملقب بالحاكم حكم الله عليه بالبوار والخزي والنكال ابن معد بن إسماعيل بن عبد الرحمن بن سعيد لا أسعده الله فإنه لما

صار إلى المغرب تسمى بعبيد الله وتلقب بالمهدي هو ومن تقدمه من سلفه الأرجاس الأنجاس عليه وعليهم اللعنة أدعياء خوارج لا نسب لهم في ولد علي بن أبي طالب وأن ذلك باطل وزور.

وأنهم لا يعلمون أن أحدًا من الطالبيين توقف عن إطلاق القول في هؤلاء الخوارج إنهم أدعياء.

وقد كان هذا الإنكار شائعًا بالحرمين في أول أمرهم بالمغرب منتشرًا انتشارًا يمنع من أن يدلس على أحد كذبهم أو يذهب وهم إلى تصديقهم.

وأن هذا الناجم بمصر هو وسلفه كفار وفساق فجار زنادقة ولمذهب الثنوية والمجوسية معتقدون قد عطلوا الحدود وأباحوا الفروج وسفكوا الدماء وسبوا الأنبياء ولعنوا السلف وادعوا الربوبية.

وكتب في شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وأربعمائة.

وكتب خلق كثير في المحضر المذكور منهم: الشريف الرضي والمرتضى أخوه وابن الأزرق الموسوي ومحمد بن محمد بن عمر بن أبي يعلى العلويون والقاضي أبو محمد عبد الله بن الأكفاني والقاضي أبو القاسم الجزري والإمام أبو حامد الاسفراييني والفقيه أبو محمد الكشفلي والفقيه أبو الحسين القدوري الحنفي والفقيه أبو علي بن حمكان وأبو القاسم التنوخي والقاضي أبو عبد الله الصيمري.

انتهى أمر المحضر باختصار.

فلما بلغ الحاكم قامت قيامته وهان في أعين الناس لكتابة هؤلاء العلماء الأعلام في المحضر.

وفيها حج بالناس من العراق أبو الحارث محمد بن محمد بن عمر العلوي وهبت عليهم ريح سوداء وفقدوا الماء ولقوا شدائد.

وفيها توفي أحمد بن مروان أبو نصر وقيل: أبو منصور ممهد الدولة الكردي صاحب ميافارقين.

وقد ذكرنا مقتل الحسن بن مروان على باب آمد وأنهم من غير بيت في الرياسة وأنهم وثبوا على ديار بكر وملكوها.

ووقع لأحمد هذا أمور ووقائع وحروب.

وفيها توفي عبد الرحمن بن محمد بن عيسى بن فطيس بن أصبغ بن فطيس أبو المطرف الإمام قاضي الجماعة بقرطبة سمع الحديث وروى عنه جماعة وكان من الحفاظ وكبار العلماء عارفًا بعلل الحديث والرجال وله مشاركة في سائر العلوم.

وفيها توفي محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن يحيى بن جميع أبو الحسين الصيداوي الغساني.

رحل إلى البلاد وسمع الكثير وروى عنه غير واحد.

ولد سنة خمس وثلاثمائة وكان ثقة محدثًا كبير الشأن ووفاته في شهر رجب.

وفيها توفي محمد بن عبد الله بن الحسن أبو الحسين بن اللبان البصري العلامة صاحب الفرائض سمع الحديث وبرع في الفرائض حتى إنه كان يقول: ليس في الدنيا فرضي إلا من أصحابي وأصحاب أصحابي أو لا يحسن شيئًا.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ذراعان وثماني أصابع.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا وعشر أصابع.

السنة السابعة عشرة من ولاية الحاكم منصور وهي سنة ثلاث وأربعمائة.

فيها في يوم الجمعة سادس عشر المحرم قلد الشريف الرضي نقابة الطالبيين بسائر الممالك.

وفيها أرسل الحاكم صاحب الترجمة كتابًا إلى السلطان محمود بن سبكتكين صاحب غزنة يدعوه إلى طاعته فبعث محمود بالكتاب إلى القادر بعد أن خرقه وبصق في وسطه.

وفيها لم يحج أحد من العراق.

وفيها توفي الحسن بن حامد بن علي بن مروان أبو عبد الله الفقيه الحنبلي الوراق كان مدرس الحنابلة وفقيههم وله مصنفات منها كتاب الجامع أربعمائة جزء.

وهو شيخ القاضي أبي يعلى الفراء وكان معظمًا في النفوس مقدمًا عند السلطان وكان زاهدًا ورعًا ينسخ بالأجرة ويتقوت منه.

وفيها توفي السلطان فيروز أبو نصر بهاء الدولة بن عضد الدولة بويه بن ركن الدولة حسن بن بويه بن فناخسرو الديلمي وقيل: اسمه خاشاد.

وبهاء الدولة هذا هو الذي قبض على الخليفة الطائع وخلعه من الخلافة وولى القادر الخلافة عوضه وقد ذكرنا ذلك في وقته.

وكان بهاء الدولة ظالمًا غشومًا سفاكًا للدماء حتى إنه كان خواصه يهربون من قربه.

وجمع من المال ما لم يجمعه أحد من بني بويه إلا إن كان عمه فخر الدولة المقدم ذكره.

ولم يكن في ملوك بني بويه أظلم منه ولا أقبح سيرة.

وكان به مرض الصرع يصرع في دست الملك ورث ذلك عن أبيه ومات به في أرجان في يوم الاثنين خامس جمادي الآخرة وكانت مدة سلطنته أربعًا وعشرين سنة وتسعة أشهر وأيامًا ومات وله اثنتان وأربعون سنة وتسعة أشهر وحمل من أرجان إلى الكوفة.

وتولى الملك من بعده ولده أبو شجاع بعهد منه.

وفيها توفي قابوس بن وشمكير أمير الجبال بنيسابور وغيرها.

كان أيضًا سيىء السيرة قتل جماعة من خواصه وحجابه ففسدت القلوب عليه ودبروا في قتله وقصدوا ابنه منوجهر ولا زالوا به حتى قبض على أبيه قابوس هذا وقتله بالبرد ثم قتل منوجهر جماعة ممن أشار عليه بقتل أبيه وندم حين لا ينفع الندم.

وفيها توفي الشريف محمد بن محمد بن عمر العلوي أبو الحارث نقيب الطالبيين بالكوفة.

كان شجاعًا جوادًا دينًا رئيسًا كانت إليه النقابة مع تسيير الحاج حج بالناس عشر سنوات وكان ينفق عليهم من ماله ويحمل المنقطعين رحمه الله.

ومات بالكوفة في جمادى الآخرة.

وفيها توفي علي بن محمد بن خلف الإمام أبو الحسن المعافري القيرواني القابسي الفقيه المالكي.

كان عالم أهل إفريقية.

حج وسمع جماعة وأخذ بإفريقية عن ابن مسرور الدباغ وغيره وكان حافظًا للحديث وعلله فقيهًا أصوليًا متكلمًا مصنفًا صالحًا وكان أعمى لا يرى شيئًا وهو مع ذلك من أصح الناس كتبًا وأجودهم تقييدًا يضبط كتبه ثقات أصحابه والذي ضبط له صحيح البخاري بمكة رفيقه أبو محمد الأصيلي.

وفيها توفي محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم القاضي أبو بكر الباقلاني البصري صاحب التصانيف في علم الكلام سكن بغداد وكان في وقته أوحد زمانه صنف في الرد على الرافضة والمعتزلة والخوارج والجهمية.

وذكره القاضي عياض في طبقات الفقهاء المالكية فقال: هو الملقب بسيف السنة ولسان الأمة المتكلم على لسان أهل الحديث وطريق أبي الحسن الأشعري وإليه انتهت رياسة المالكية.

وفيها توفي محمد بن موسى أبو بكر الخوارزمي الحنفي شيخ الحنفية وعالمهم ومفتيهم انتهت إليه رياسة الحنفية في زمانه وكان تفقه على أبي بكر أحمد بن علي الرازي وسمع الحديث من أبي بكر الشافعي وروى عنه أبو بكر البرقاني.

قال القاضي أبو عبد الله الصيمري بعدما أثنى عليه: وما شاهد الناس مثله في حسن الفتوى والإصابة فيها وحسن التدريس.

وقد دعي إلى ولاية الحكم مرارًا فامتنع تورعًا.

ومات في جمادى الأولى.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ذراعان وثلاث وعشرون إصبعًا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا واثنتا عشرة إصبعًا.

السنة الثامنة عشرة من ولاية الحاكم منصور وهي سنة أربع وأربعمائة.

فيها قلد فخر الملك الأمر ولقبه الخليفة القادر سلطان الدولة وعقد لواءه بيده وقرىء تقليده وفيها أبطل الحاكم المنجمين من بلاده وأعتق أكثر مماليكه وجعل ولي عهده ابن عمه عبد الرحيم بن إلياس وخطب له بذلك وأمر بحبس النساء في البيوت وصلحت سيرته.

وفيها حج بالناس من العراق أبو الحسن محمد بن الحسن وكذلك في سنة خمس.

وفيها كانت الملحمة الهائلة بين ملك الترك طغان وبين ملك الصين فقتل فيها من الكفار نحو من مائة ألف ودامت الحرب بينهم أيامًا ثم انتصر المسلمون أعني الترك ولله الحمد.

وفيها استولى الحاكم على حلب وزال ملك بني حمدان منها.

وفيها توفي إبراهيم بن عبد الله بن حصن أبو إسحاق الغافقي محتسب دمشق من قبل الحاكم وكان شهمًا في الحسبة أدب رجلًا فلما ضربه درة قال المضروب: هذه في قفا أبي بكرة فلما ضربه أخرى قال: هذه في قفا عمر فضربه أخرى فقال: هذه في قفا عثمان ثم ضربه أخرى فسكت.

فقال له الغافقي: أنت ما تعرف ترتيب الصحابة أنا أعرفك وأفضلهم أهل بدر لأصفعنك على عددهم فصفعه ثلاثمائة وست عشرة درة فحمل من بين يديه فمات بعد أيام.

قلت: إلى سقر.

وبلغ الحاكم ذلك فأرسل يشكره ويقول: هذا جزاء من ينتقص السلف الصالح.

قلت: لعل هذه الواقعة كانت صادفت من الحاكم أيام صلاحه وإظهاره الزهد والتفقه.

وفيها توفي الحسين بن أحمد بن جعفر أبو عبد الله كان زاهدًا عابدًا لا ينام إلا عن غلبة وكان وفيها توفي علي بن سعيد الإصطخري أحد شيوخ المعتزلة صنف للقادر الرد على الباطنية وأجرى عليه القادر جراية سنية وحبسها من بعده على بنيه.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ثلاث أذرع سواء.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا سواء.

السنة التاسعة عشرة من ولاية الحاكم منصور وهي سنة خمس وأربعمائة.

فيها منع الحاكم النساء من الخروج من بيوتهن وقتل بسبب ذلك عدة نسوة.

وفيها جلس الخليفة القادر ببغداد وأحضر العلويين والعباسيين والقضاة وأحضر الخلع السلطانية ماعدا التاج ولواء واحدًا وقرىء عهد أبي طاهر ركن الدين بن بهاء الدولة ولقبه بجلال الدولة وجمال الملة ركن الدين.

قلت: وهذا أول لقب سمعناه في الإسلام أعني ركن الدين.

ولا أدري متى لقب به ابن بهاء الدولة المذكور غير أنني سمعت من بعض علماء العجم أن ابن بهاء الدولة المذكور مشى بين يدي الخليفة القادر فقال له الخليفة: اركب ركن الدين فسمي بذلك.

والله أعلم.

وفيها توفي بدر بن حسنويه بن الحسين أبو النجم الكردي كان من أهل الجبال وولاه عضد الدولة الجبال وهمذان ودينور ونهاوند وسابور وتلك النواحي بعد وفاة أبيه حسنويه.

وكان شجاعًا عادلًا كثير الصدقات.

والخليفة القادر كناه أبا النجم ولقبه ناصر الدولة وعقد له لواء بيده.

وفيها توفي بكر بن شاذان بن بكر أبو القاسم المقرىء الواعظ البغدادي قرأ القرآن وسمع الحديث وكان عابدًا زاهدًا وكانت وفاته في شوال.

وفيها توفي عبد الله بن محمد بن عبد الله أبو محمد بن الأكفاني الحنفي القاضي الأسدي كان عالمًا دينًا ولد سنة ست عشرة وثلاثمائة.

قال أبو إسحاق الطبري: من قال: إن أحدًا أنفق على العلم مائة ألف دينار غير أبي محمد بن الأكفاني فقد كذب.

قلت: هذا هو العلم الخالص لوجه الله تعالى.

وفيها توفي عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحافظ أبو سعيد كان أبوه من إستراباد وسكن سمرقند وصنف تاريخ سمرقند وعرضه على الدارقطني فاستحسنه وكان ثقة.

وفيها توفي عبد السلام بن الحسين بن محمد أبو أحمد البصري اللغوي كان رجلًا فاضلًا عارفًا وفيها توفي عبد العزيز بن عمرو بن محمد بن يحيى بن حميد بن نباتة ونباتة بضم النون أبو نصر البغدادي كان من الشعراء المجيدين مات ببغداد في شوال.

ومن شعره: وإذا عجزت من العدو فداره وامزج له إن المزاج وفاق فالنار بالماء الذي هو ضدها تعطي النضاج وطبعها الإحراق وفيها توفي عبد الغفار بن عبد الرحمن أبو بكر الدينوري لم يكن ببغداد مفت على مذهب سفيان الثوري غيره وهو آخر من أفتى بجامع المنصور على مذهب الثوري.

قلت: لعل ذلك كان بالشرق وأما بالغرب فدام مذهب الثوري بعد هذا التاريخ عدة سنين.

كان عبد الغفار عالمًا فاضلًا مناظرًا ومات في شوال.

وفيها توفي محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم الحافظ أبو عبد الله الحاكم النيسابوري ويعرف بابن البيع الضبي ولد سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة كان أحد أركان الإسلام وسيد المحدثين وإمامهم في وقته والمرجوع إليه في هذا الشأن رحل إلى البلاد وصنف الكتب وسمع الكثير وروى عنه الجم الغفير ومات في صفر.

وفيها توفي هبة الله بن عيسى كاتب مهذب الدولة البطائحي ووزيره كان فاضلًا راوية للأخبار وشاعرًا فصيحًا.

الماء القديم ثلاث أذرع سواء.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا وإصبعان.

السنة العشرون من ولاية الحاكم منصور وهي سنة ست وأربعمائة

فيها منع فخر الملك يوم عاشوراء من النوح مخافة الفتنة وكان الشريف الرضي قد توفي في خامس المحرم فاشتغلوا به وكان قد وقع بالعراق وباء عظيم خصوصًا بالبصرة.

وفي صفر قلد الشريف المرتضى نقابة الطالبيين والحج والمظالم بعد موت أخيه الشريف الرضي بإشارة سلطان الدولة فخر الملك.

وفيها ولى الحاكم شاتكين شهم الدولة دمشق وعزله سنة ثمان.

وفيها لم يحج أحد من العراق وحج الناس من مصر وغيرها.

وفيها توفي أحمد بن محمد بن أحمد أبو حامد الاسفراييني الفقيه الشافعي كان إمامًا فقيهًا عالمًا انتهت إليه رياسة مذهب الشافعي في زمانه.

كان يقال: لو رآه الشافعي لفرح به.

وكان يتوسط بين الخليفة القادر وبين السلطان محمود بن سبكتكين.

ومات ليلة السبت لإحدى عشرة ليلة بقيت من شوال.

وفيها توفي محمد بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه الشريف أبو الحسن الرضي الموسوي ولد سنة تسع وخمسين وثلاثمائة.

كان عارفًا باللغة والفرائض والفقه والنحو وكان شاعرًا فصيحًا عالي الهمة متدينًا إلا أنه كان على مذهب القوم إمامًا للشيعة هو وأبوه وأخوه.

ومن شعره من جملة أبيات: يا صاحبي قفا لي واقضيا وطرًا وحدثاني عن نجد بأخبار هل روضت قاعة الوعساء أو مطرت خميلة الطلح ذات البان والغار تضوع أرواح نجدٍ من ثيابهم عند القدوم لقرب العهد بالدار وفيها توفي محمد بن الحسن بن فورك أبو بكر الأصبهاني الفقيه المتكلم كان إمامًا عالمًا استدعي إلى نيسابور وتخرج به جماعة في الأصول والكلام وله فيهما تصانيف.

وكان رجلًا صالحًا سمع الحديث وروى عنه أبو بكر البيهقي وأبو القاسم القشيري وغيرهما.

قتله محمود بن سبكتكين بالسم لكونه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رسولًا في حياته فقط وإن روحه قد بطل وتلاشى وليس هو في الجنة عند الله تعالى يعني روحه صلى الله عليه وسلم.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ذراع وعشرون إصبعًا.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا وإصبعان.

السنة الحادية والعشرون من ولاية الحاكم منصور وهي سنة سبع وأربعمائة: فيها وقعت القبة الكبيرة التي على الصخرة ببيت المقدس.

وفيها كانت الفتنة بين الرافضة وأهل السنة بواسط ونهبت دور الشيعة والعلويين وقصدوا علي بن مزيد واستنصروا به.

وفيها احترق مشهد الحسين بن علي بكربلاء من شمعتين غفلوا عنهما.

وفيها في أولها تشعب الركن اليماني من البيت الحرام.

وفيها كانت الوقعة بين سلطان الدولة وبين أخيه أبي الفوارس وانهزم أبو الفوارس.

وفيها ملك السلطان محمود بن سبكتكين خوارزم.

وفيها توفي أحمد بن محمد بن يوسف بن محمد بن دوست أبو عبد الله كان حافظًا متقنًا مات في شهر رمضان.

وفيها توفي سليمان بن الحكم الأموي المغربي صاحب الأندلس.

وثب عليه رجلان ادعيا أنهما من الأشراف وتغلبا على الأندلس.

وكانت مدة ولاية سليمان هذا على الأندلس ثلاث سنين وثلاثة أشهر وثلاثة أيام.

وانقطعت بموته ولاية بني أمية على الأندلس سبع سنين وثمانية أشهر وأيامًا ثم عادت سنة أربع عشرة وأربعمائة.

وفيها توفي محمد بن علي بن خلف أبو غالب الوزير فخر الملك.

أصله من واسط وكان أبوه صيرفيًا فتنقلت به الأيام إلى أن استوزره بهاء الدولة وبعثه نائبًا عنه إلى بغداد.

وكان جوادًا ممدحًا.

أثر ببغداد الآثار الجميلة.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربع أذرع سواء.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا وأربع أصابع.

السنة الثانية والعشرون من ولاية الحاكم منصور وهي سنة ثمان وأربعمائة: فيها عزل الحاكم شاتكين من إمرة دمشق وكان ظالمًا غشومًا وهو الذي بنى جسر الحديد تحت قلعة دمشق واتفق أن يوم فراغ الجسر قال: لا يعبر غدًا أحد عليه.

فلما أصبح جلس على الباب ينظر إليه وقد عزم على أن يكون أول من يركب ويعبر عليه وإذا بفارس قد أقبل فعبر عليه فأنكره وقال: من أين قال: من مصر وناوله كتابًا من الحاكم بعزله.

فقال بعض أهل دمشق: عقد الجسر وقد ح - - ل عراه بيديه ما درى أن عليه يعبر العزل إليه ولم يحج أحد في هذه السنين إلى سنة اثنتي عشرة وأربعمائة أعني من العراق.

وفيها توفي شباشي المشطب ولقبه السعيد وكنيته أبو طاهر مولى شرف الدولة بن عضد الدولة بن بويه.

ولقبه بهاء الدولة بالسعيد وذي الفضيلتين ثم لقب بهاء الدولة أبا الهيجاء بختكين بالمناصح وأشرك بينهما في أمور الأتراك ببغداد.

وكان السعيد هذا كثير الصدقات فائض المعروف والإحسان لأهل بغداد كان يكسو الأيتام والضعفاء وينظر في حال الفقراء وكان من محاسن الدنيا وعاش بعد المناصح رفيقه ستة أشهر ومات.

وكان رفيقه المناصح أيضًا من رجال الدهر وعقلائهم ومن أعلاهم همة ولم يخلف بعده مثله.

وفيها توفي محمد بن إبراهيم بن محمد أبو الفتح الطرسوسي المجاهد في سبيل الله استوطن بيت المقدس بنية الرباط وتوفي به.

الماء القديم خمس أذرع وعشرون إصبعًا.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا وست عشرة إصبعًا.

السنة الثالثة والعشرون من ولاية الحاكم منصور وهي سنة تسع وأربعمائة: فيها توفي عبد الله بن محمد بن أبي علان أبو محمد قاضي الأهواز وأحد شيوخ المعتزلة كان فاضلًا صنف الكتب الكثيرة في علم الكلام وغيره.

ومن جملة تصانيفه: كتاب جمع فيه فضائل النبي صلى الله عليه وسلم ذكر له فيه ألف معجزة وكان له مال عظيم وضياع كثيرة.

وفيها توفي عبد الغني بن سعيد بن علي بن سعيد بن بشر بن مروان بن عبد العزيز بن مروان الحافظ أبو محمد المصري المحدث المشهور مولده في ثاني ذي القعدة سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة وسمع الكثير وبرع في علم الحديث وصنف الكتب: منها كتاب المؤتلف والمختلف وكان عالمًا بأسامي الرجال وعلل الحديث.

وكان الدارقطني يعظمه ويقول: ما رأيت في طريقي مثله ما اجتمعت به وانفصلت منه إلا بفائدة.

ومات بمصر في شوال وفيها توفي علي بن نصر أبو الحسن مهذب الدولة صاحب البطيحة كان جوادًا ممدحًا صاحب ذمة ووفاء وهو الذي استجار به القادر بالله قبل أن يتخلف فأجاره ومنع الطائع منه وقام في خدمته أحسن قيام.

وفيها توفي محمد بن الحسين أبو عبد الله العلوي ولاه الحاكم القضاء والنقابة والخطابة بدمشق وكان في القضاء قبل ذلك نائبًا عن مالك بن سعيد ابن أخت الفارقي قاضي قضاة الحاكم وكانت وفاته بدمشق في شهر رمضان.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمس أذرع وثماني أصابع.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا وثلاث وعشرون إصبعًا.

السنة الرابعة والعشرون من ولاية الحاكم منصور وهي سنة عشر وأربعمائة: فيها جلس الخليفة القادر بالله ببغداد وحضر القضاة وكتب عهد أبي الفوارس بن بهاء الدولة على كرمان وأعمالها وبعث إليه بالخلع السلطانية على العادة.

وفيها ورد كتاب السلطان يمين الدولة محمود بن سبكتكين على الخليفة القادر بما فتحه من بلاد وفيها توفي إبراهيم بن مخلد بن جعفر بن إسحاق أبو إسحاق الباقرجي كان

محدثًا صدوقا جيد النقل حسن الضبط من أهل الديانة والعلم والأدب وكان يتفقه على مذهب محمد بن جرير الطبري.

وفيها توفي محمد بن المظفر بن عبد الله أبو الحسن المعدل كان فاضلًا شاعرًا مات ببغداد في جمادى الأولى.

وفيها توفي هبة الله بن سلامة أبو القاسم الضرير البغدادي كان من أحفظ الناس لتفسير القرآن وسمع الحديث ورواه وكان ثقة صالحًا.

وفيها توفي أحمد بن موسى بن مردويه الحافظ أبو بكر الأصبهاني في شهر رمضان قاله الذهبي.

وكان إمامًا حافظًا ثقة سمع الكثير وروى عنه جماعة.

وفيها توفي عبد الواحد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن مهدي الحافظ أبو عمر الفارسي البزاز في شهر رجب عن إحدى وتسعين سنة وأشهر وكان إمامًا فقيهًا محدثًا ثقة من كبار المشايخ.

وفيها توفي عبد الصمد بن منصور بن الحسن بن بابك أبو القاسم الشاعر المشهور أحد الشعراء المجيدين المكثرين وديوانه في ثلاثة مجلدات.

ومن شعره بيت من جملة قصيدة في غاية ومر بي النسيم فرق حتى كأني قد شكوت إليه ما بي ومات ببغداد.

وبابك بفتح الباءين الموحدتين وبينهما ألف وفي الآخر كاف.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ست أذرع وعشرون إصبعًا.

مبلغ الزيادة تسع عشرة ذراعًا وثماني أصابع.

السنة الخامسة والعشرون من ولاية الحاكم منصور وهي التي مات فيها الحاكم حسب ما ذكرناه في ترجمته.

والسنة المذكورة سنة إحدى عشرة وأربعمائة: فيها توفي محمد بن عبد الله بن أحمد أبو الفرج الدمشقي ويعرف بابن المعلم وهو الذي بنى الكهف بقاسيون ويقال له كهف جبريل وفيه المغارة التي يقال: إن الملائكة عزت آدم عليه السلام فيها لما قتل قابيل هابيل.

وكان محمد هذا شيخًا صالحًا زاهدًا عابدًا مات في شهر رجب ودفن بمقبرة الكهف.

وفيها توفي الحسن بن الحسن بن علي بن المنذر أبو القاسم كان إمامًا فاضلًا محدثًا ومات ببغداد في هذه السنة.

وممن ذكر الذهبي وفاتهم قال: وتوفي أبو نصر أحمد بن محمد بن أحمد بن حسنون النرسي والحاكم منصور بن العزيز العبيدي صاحب مصر يعني صاحب الترجمة وأبو القاسم الحسن بن الحسن بن علي بن المنذر ببغداد وأبو القاسم علي بن أحمد الخزاعي ببلخ.

انتهى.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ثماني أذرع وخمس أصابع.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا وثلاث أصابع.

ولاية الظاهر لإعزاز دين الله هو الظاهر لإعزاز دين الله أبو هاشم وقيل: أبو الحسن علي بن الحاكم بأمر الله أبي علي منصور بن العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله معد بن المنصور إسماعيل بن القائم محمد بن المهدي عبيد الله العبيدي الفاطمي المغربي الأصل المصري المولد والمنشأ والوفاة الرابع من خلفاء مصر من بني عبيد والسابع من المهدي.

مولده بالقاهرة في ليلة الأربعاء عاشر شهر رمضان سنة خمس وتسعين وثلاثمائة وولي الخلافة بعد قتل أبيه الحاكم في شوال من سنة إحدى عشرة وأربعمائة حسب ما ذكرناه مفصلًا في أواخر ترجمة أبيه الحاكم وقيام عمته ست الملك في أمره.

وقال صاحب مرآة الزمان: وولي الخلافة في يوم عيد النحر سنة إحدى عشرة وأربعمائة وله ست عشرة سنة وثمانية أشهر وخمسة أيام وتم أمره.

ووافقه على ذلك القاضي شمس الدين بن خلكان لكنه قال: وكانت ولايته بعد أبيه بمدة لأن أباه فقد في السابع والعشرين من شوال سنة إحدى عشرة وأربعمائة وكان الناس يرجون ظهوره ويتبعون آثاره إلى أن تحققوا عدمه فأقاموا ولده المذكور في يوم النحر.

انتهى كلام ابن خلكان.

وقال أبو المظفر في المرآة: وملك الظاهر لإعزاز دين الله سائر ممالك والده مثل الشام والثغور وإفريقية وقامت عمته ست الملك بتدبير مملكته أحسن قيام وبذلت العطاء في الجند وساست الناس أحسن سياسة.

وكان الظاهر لإعزاز دين الله عاقلًا سمحًا جوادًا يميل إلى دين وعفة وحلم مع تواضع.

أزال الرسوم التي جددها أبوه الحاكم إلى خير وعدل في الرعية وأحسن السيرة وأعطى الجند والقواد الأموال واستقام له الأمر مدة وولى نوابه بالبلاد الشامية إلى أن خرج عليه صالح بن مرداس الكلابي وقصد حلب وبها مرتضى الدولة أبو نصر بن لؤلؤ الحمداني نيابة عن الظاهر هذا فحاصرها صالح المذكور إلى أن أخذها.

ثم تغلب حسان بن المفرج بن دغفل البدوي صاحب الرملة على أكثر الشأم وتضعضعت دولة الظاهر.

واستوزر الوزير نجيب الدولة علي بن أحمد الجرجرائي.

وكان الوزير هذا من بيت حشمة ورياسة وكان أقطع اليدين من المرفقين قطعهما الحاكم بأمر الله في سنة أربع وأربعمائة وكان يكتب عنه العلامة القاضي أبو عبد الله القضاعي وكانت العلامة الحمد لله شكرًا لنعمته.

ولم يظهر أمر هذا الوزير إلا بعد موت عمة الظاهر ست الملك بعد سنة خمس عشرة وأربعمائة.

وكان الظاهر لإعزاز دين الله كثير الصدقات منصفًا من نفسه لا يدعي دعاوى والده وجده في معرفة النجوم وغيرها من الأشياء المنكرة لا سيما لما وقع من بعض حجاج المصريين كسر الحجر الأسود بالبيت الحرام في سنة ثلاث عشرة وأربعمائة.

وكان أمر الحجر أنه لما وصل الحاج المصري إلى مكة المشرفة وثب شخص من الحاج إلى الحجر الأسود وهو مكانه من البيت الحرام وضربه بدبوس كان في يده حتى شعثه وكسر قطعًا منه وعاجله الناس فقتلوه وثار المكيون بالمصريين فقتلوا منهم جماعة ونهبوهم حتى ركب أبو الفتوح الحسن بن جعفر فأطفأ الفتنة ودفع عن المصريين.

وقيل: إن الرجل الذي فعل ذلك كان من الجهال الذين استغواهم الحاكم وأفسد عقائدهم.

فلما بلغ الظاهر ذلك شق عليه وكتب كتابًا في هذا المعنى.

قال هلال بن الصابىء: وجدت كتابًا كتب من مصر في سنة أربع عشرة وأربعمائة على لسان المصريين وهو كتاب طويل فمنه: وذهبت طائفة من النصيرية إلى الغلو في أبينا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضوان الله عليه غلت وأدعت فيه ما ادعت النصارى في المسيح.

ونجمت من هؤلاء الكفرة فرقة سخيفة العقول ضالة بجهلها عن سواء السبيل فغلوا فينا غلوًا كبيرًا وقالوا في آبائنا وأجدادنا منكرًا من القول وزورًا ونسبونا بغلوهم الأشنع وجهلهم المستفظع إلى ما لا يليق بنا ذكره.

وإنا لنبرأ إلى الله تعالى من هؤلاء الجهلة الكفرة الضلال.

ونسأل الله أن يحسن معونتنا على إعزاز دينه وتوطيد قواعده وتمكينه والعمل بما أمرنا به جدنا المصطفى وأبونا علي المرتضى وأسلافنا البررة أعلام الهدى.

وقد علمتم يا معشر أوليائنا ودعاتنا ما حكمنا به من قطع دابر هؤلاء الكفرة الفساق والفجرة المراق وتفريقنا لهم في البلاد كل مفرق فظعنوا في الآفاق هاربين وشردوا مطرودين خائفين.

وكان من جملة من دعاه الخوف منهم إلى الانتزاح رجل من أهل البصرة أهوج أثول ضال مضل سار مع الحجيج إلى مكة حرسها الله فرقًا من وقع الحسام وتستر بالحج إلى بيت الله الحرام.

فلما حصل في البيت المفضل المعظم والمحل المقدس المكرم أعلن بالكفر وما كان يخفيه من المكر وحمله لمم في عقله على قصد الحجر الأسود حتى قصده وضربه بدبوس ضربات متواليات أطارت منه شظايا وصلت بعد ذلك.

ثم إن هذا الكافر عوجل بالقتل على أسوإ حاله وأضل أعماله وألحق بأمثاله من الكفرة الواردين موارد ضلاله ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم.

ولعمري إن هذه لمصيبة في الإسلام قادحة ونكاية فادحة فإنا لله وإنا إليه راجعون.

لقد ارتقى هذا الملعون مرتقى عظيمًا ومقامًا جسيمًا أذكر به ما كان أقدم عليه غلام ثقيف المعروف بالحجاج لعنه الله من إحراق البيت وهدمه وإزالة بنيانه وردمه.

ثم ذكر كلامًا طويلًا في هذا المعنى يطول الشرح في ذكره.

انتهى كلام ابن الصابىء.

وروى ابن ناصر بإسناد إلى أبي عبد الله محمد بن علي العلوي قال: وفي سنة ثلاث عشرة وأربعمائة كسر الحجر الأسود لما صليت الجمعة يوم النفر الأول بمنى ولم يكن رجع الناس بعد من منى قام رجل ممن ورد من ناحية مصر بيده سيف مسلول وبالأخرى دبوس بعدما قضى الإمام الصلاة فقصد الحجر الأسود ليستلمه على الرسم فضرب وجه الحجر ثلاث ضربات متواليات بالدبوس وقال: إلى متى يعبد الحجر! ولا محمد ولا علي يقدران على منعي عما أفعله إني أريد أن أهدم هذا البيت وأرفعه.

فاتقاه الحاضرون وتراجعوا عنه وكاد يفلت.

وكان رجلًا تام القامة أحمر اللون أشقر الشعر سمينًا وكان على باب المسجد عشرة فرسان على أن ينصروه فاحتسب رجل من أهل اليمن أو من أهل مكة أو غيرها نفسه فوجأه بخنجر واحتوشه الناس فقتلوه وقطعوه وأحرقوه بالنار وثارت الفتنة وكان الظاهر من القتلى أكثر من عشرين غير ما أخفي منهم.

وتقشر بعض وجه الحجر في وسطه من تلك الضربات وتخشن.

وزعم بعض الحجاج أنه سقط منه ثلاث قطع وكأنه ثقب ثلاثة ثقوب وتساقطت منه شظايا مثل الأظفار وموضع الكسر أسمر يضرب إلى صفرة محبب مثل الخشخاش.

فجمع بنو شيبة ما تفرق منه وعجنوه بالمسك وحشوا تلك المواضع وطلوها بطلاء من اللك فهو بين لمن تأمله وهو على حاله إلى اليوم.

انتهى.

ثم بعد هذه الواقعة بلغ الظاهر هذا أن السلطان يمين الدولة محمود بن سبكتكين عظم أمره فأحدث أن يكتب إليه كتابًا يدعوه إلى طاعته فكتب إليه وأرسل إليه بالخلع وأن يخطب باسمه بتلك البلاد.

وكان أبوه الحاكم بأمر الله أرسل إليه قبل ذلك فخرق محمود بن سبكتكين كتاب الحاكم وبصق فيه ومات الحاكم وفي قلبه من ذلك أمور وقد ذكرنا ذلك في ترجمته.

فلما علم الظاهر هذا بما كان والده الحاكم عزم عليه من أمر محمود المذكور أخذ هو أيضًا في ذلك وكاتب السلطان محمودًا فلم يلتفت محمود لكتابه وبعث به وبالخلع إلى الخليفة القادر العباسي وتبرأ من الظاهر هذا.

فجمع القادر القضاة والأشراف والجند وغيرهم ببغداد وأخرج الخلع إلى باب النوبي وكانت سبع جبب وفرجية ومركب ذهب وأضرمت النار وألقيت الثياب فيها وسبك المركب الذهب فظهر منه أربعون ألف دينار وخمسمائة وقيل: أخرج منه دراهم هذا العدد فتصدق بها الخليفة القادر على ضعفاء بني هاشم.

وبلغ الظاهر فقامت قيامته وانكص عن مكاتبة محمود بعدها.

وكان الظاهر ينظر في مصالح الرعية بنفسه وفي إصلاح البلاد.

فلما وقع الفناء في ذوات الأربع في سنة سبع عشرة وأربعمائة منع الظاهر من ذبح البقر السليمة من العيوب التي تصلح للحرث وغيره وكتب على لسانه كتاب قرىء على الناس فمنه: إن الله تعالى بتتابع نعمته وبالغ حكمته خلق ضروب الأنعام وعمل فيها منافع الأنام فوجب أن تحمى البقر المخصوصة بعمارة الأرض المذللة لمصالح الخلق فإن في ذبحها غاية الفساد وإضرارًا للعباد والبلاد.

وأباح ذبح ما لا يصلح للعمل ولا يحصل به النفع.

فمنع الناس ذبح البقر.

وحصل بذلك النفع التام.

ومات في أيام الظاهر المذكور مبارك الأنماطي البغدادي التاجر وكان له مال عظيم وكان قد خرج من بغداد إلى مصر فتوفي بها في سنة سبع عشرة وأربعمائة وكان معه ثلاثمائة ألف دينار.

فقال الظاهر: هل له وارث فقيل: ما له سوى بنت ببغداد فترك الظاهر المال كله للبنت ولم يأخذ منه شيئًا.

وفي سنة عشرين وأربعمائة خرج على الظاهر بالبلاد الشامية صالح بن مرداس أسد الدولة وحسان بن المفرج بن الجراح وجمعا الجموع واستوليا على الأعمال وانتهيا إلى غزة.

فجهز الظاهر لحربهما جيشًا عليه القائد أنوشتكين منتخب الدولة التركي أمير الجيوش المعروف بالدزبري فالتقى معهما فانهزم حسان بن المفرج وقتل صالح وابنه الأصغر.

وبعث الدزبري برأس صالح إلى الظاهر بمصر وأفلت نصر بن صالح الأكبر إلى حلب.

واستولى الدزبري على الشام ونزل على دمشق وكتب إلى الظاهر كتابًا مضمونه النصر ويعرفه فيه بما جرى وكان بينه وبينهما ملحمة هائلة.

ولما فرغ الدزبري من القتال مدحه مظفر الدولة بن حيوس بأبيات بسبب هذه الواقعة أولها: هل للخليط المستقل إياب أم هل لأيام مضت أعقاب يا مي هل لدنو دارك رجعة أم للعتاب لديكم إعتاب لا أرتجي يومًا سلوا عنكم هيهات سدت دونه الأبواب أو صاب جسمي من جناية بعدكم والصبر صبر بعدكم أو صاب ولمصطفى الملك اعتزام المصطفى لما أحاط بيثرب الأحزاب يومان للإسلام عز لديهما دين الإله وذلت الأعراب طلبوا العقاب ليسلموا بنفوسهم فابتزهم دون العقاب عقاب واستشعروا نصرًا فكان عليهم وتقطعت دون المراد رقاب كانوا حديدًا في الورى لكنهم لما اصطلوا نار المظفر ذابوا المذكور إلى حلب وملكها طمع صاحب أنطاكية الرومي في حلب وجمع الروم وسار إليها وأحاط بها وقاتل أهلها فكبسه شبل الدولة نصر المذكور من داخلها ومعه أهل البلد فقتلوا معظم أصحابه وانهزم ملكهم صاحب أنطاكية إليها في نفر يسير من أصحابه وغنم نصر أموالهم وعساكرهم.

وقيل: كبسه نصر المذكور على أعزاز فغنم منه أموالًا عظيمة.

وسر الظاهر هذا بنصرة نصر لكون الإسلام يجمع بينهما.

وكان المتغلبون على البلاد في أيام الظاهر كثيرين جدًا وذلك لصغر سنه وضعف بدنه.

ووقع له في أيامه خطوب قاساها إلى أن توفي بالقاهرة في يوم الأحد النصف من شعبان سنة سبع وعشرين وأربعمائة وعمره إحدى وثلاثون سنة.

وكانت ولايته على مصر ست عشرة سنة وتسعة أشهر.

تولى الملك بعده ابنه أبو تميم معد ولقب بالمستنصر وسنه ثماني سنين وقام علي بن أحمد الجرجرائي الوزير بالأمر وأخذ له البيعة وقرر للجند أرزاقهم واستقامت الأحوال.

وكانت وفاة الظاهر بعلة الاستسقاء طالت به نيفًا وعشرين سنة من عمره.

قلت: ولهذا أشرنا أنه كان كثرة من تغلب عليه لضعف بدنه وصغر سنه.

وكان الظاهر جوادًا ممدحًا سمحًا حليمًا محببًا للرعية ولا بأس به بالنسبة لآبائه وأجداده.

وهو الذي بنى قصر اللؤلؤة عند باب القنطرة وهو من القصور المعدودة بالقاهرة وصار يتنزه به هو ومن جاء بعده من خلفاء مصر من ذريته وأقاربه وكان التوصل إلى القصر من باب مراد وصار الخلفاء يقيمون به في أيام النيل.

ودام أمر هذا القصر مستقيمًا إلى أن وقع الغلاء بالديار المصرية في زمن المستنصر وذهب من محاسن القاهرة شيء كثير من عظم الغلاء والوباء كما سيأتي ذكره إن شاء الله في محله.

السنة الأولى من ولاية الظاهر لإعزاز دين الله على مصر وهي سنة اثنتي عشرة وأربعمائة: فيها وقع بين سلطان الدولة وبين مشرف الدولة بن بويه واستفحل في الآخر أمر مشرف الدولة وخطب له ببغداد في المحرم وخوطب بشاهنشاه مولى أمير المؤمنين وقطعت الخطبة لسلطان الدولة من بغداد.

وفيها لم يحج أحد من العراقيين ولا في الماضية.

فقصد الناس يمين الدولة محمود بن سبكتكين وقالوا له: أنت سلطان الإسلام وأعظم ملوك الأرض وفي كل سنة تفتح من بلاد الكفر ما تحبه والثواب في فتح طريق الحج أعظم وقد كان الأمير بدر بن حسنويه وما في أمرائك إلا من هو أكبر منه شأنًا يسير الحاج بماله وتدبيره عشرين سنة.

فتقدم ابن سبكتكين إلى قاضيه أبي محمد الناصحي بالتأهب للحج ونادى في أعمال خراسان بالحج وأطلق للعرب ثلاثين ألف دينار سلمها إلى الناصحي المذكور غير ما للصدقات فحج بالناس أبو الحسن الأقساسي.

فلما بلغوا فيد حاصرتهم العرب فبذل لهم القاضي الناصحي خمسة آلاف دينار فلم يقنعوا وصمموا على أخذ الحافي فركب رأسهم جماز بن عدي وقد انضم عليه ألفا رجل من بني نبهان وأخذ بيده رمحًا وجال حول الحاج وكان في السمرقنديين غلام يعرف بابن عفان فرماه بسهم فسقط منه ميتًا وهرب جمعه وعاد الحاج في سلامة.

وفيها توفي أحمد بن محمد بن أحمد أبو سعد الماليني الصوفي الحافظ سافر إلى الأقطار وسمع خلقًا كثيرًا وصنف وصحب المشايخ وكان يقال له طاوس الفقراء.

وفيها توفي الحسن بن علي أبو علي الدقاق النيسابوري أحد المشايخ كان صاحب حال ومقال.

قال القشيري: سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول في قول النبي صلى الله عليه وسلم: " من تواضع لغني لأجل دنياه ذهب ثلثا دينه " قال: لأن المرء بأصغريه قلبه ولسانه فإذا خدمه بأركانه وتواضع له بلسانه ذهب ثلثا دينه فإن خدمه بقلبه ذهب الكل.

وفيها توفي محمد بن أحمد بن محمد أبو الحسن بن رزقويه البغدادي البزاز ولد سنة خمس وعشرين وثلاثمائة ودرس الفقه وسمع الحديث فأكثر وكان ثقة صدوقًا كثير السماع حسن الاعتقاد جميل المذهب.

وفيها توفي محمد بن الحسين بن محمد بن موسى أبو عبد الرحمن السلمي النيسابوري الحافظ الكبير شيخ شيوخ الدنيا في زمانه طاف الدنيا شرقًا وغربًا ولقي الشيوخ الأبدال وإليه المرجع في علوم الحقائق والسير وغيرها وله المصنفات الحسان.

وفيها توفي محمد بن عمر أبو بكر العنبري الشاعر مات يوم الخميس ثاني عشر جمادى الأولى ببغداد.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمس أذرع وست عشرة إصبعًا.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا وثلاث أصابع.

السنة الثانية من ولاية الظاهر لإعزاز دين الله على مصر وهي سنة ثلاث عشرة وأربعمائة: فيها وقع الصلح بين سلطان الدولة بن بهاء الدولة بن بويه وبين أخيه مشرف الدولة على يد الأوحد أبي محمد وزير سلطان الدولة وخطب لسلطان الدولة ببغداد كما كان أولًا قبل الخلاف.

وفيها توفي علي بن عيسى بن سليمان أبو الحسن القاضي المعروف بالسكري الفارسي مولده في صفر ببغداد سنة سبع وثلاثمائة كان فاضلًا عالمًا.

مات في شعبان رحمه الله.

وفيها توفي علي بن هلال الإمام الأستاذ أبو الحسن صاحب الخط المنسوب الفائق المعروف بابن البواب.

كان أبوه بوابًا لبني بويه وقرأ هو القرآن وتفقه وفاق أهل عصره في الخط المنسوب حتى شاع ذكره شرقًا وغربًا.

ومن شعر أبي العلاء المعري من قصيدة: ولاح هلال مثل نون أجادها بماء النضار الكاتب ابن هلال يعني بابن هلال ابن البواب هذا.

وقال هلال بن الصابىء: دخل أبو الحسن البتي دار فخر الملك فوجد ابن البواب هذا جالسًا على عتبة الباب ينتظر خروج فخر الملك فقال له: جلوس الأستاذ في العتب رعاية للنسب.

فغضب ابن البواب وقال: لو كان لي الأمر ما مكنت مثلك من الدخول فقال البتي: حتى لا يترك الشيخ صنعته.

انتهى.

وقد قال فيه بعضهم: هذا وأنت ابن بواب وذو عدم فكيف لو كنت رب الدار والمال وفيها توفي محمد بن محمد بن النعمان أبو عبد الله فقيه الشيعة وشيخ الرافضة وعالمها ومصنف الكتب في مذهبها.

قرأ عليه الرضي والمرتضى وغيرهما من الرافضة وكان له منزلة عند بني بويه وعند ملوك الأطراف الرافضة.

قلت: كان ضالًا مضلًا هو ومن قرأ عليه ومن رفع منزلته فإن الجميع كانوا يقعون في حق الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين عليهم من الله ما يستحقونه.

ورثاه الشريف المرتضى ولو عاش أخوه لكان أمعن في ذلك فإنهما كانا أيضًا من كبار الرافضة.

وقد تكلم أيضًا في بني بويه أنهم كانوا يميلون إلى هذا المذهب الخبيث ولهذا نفرت القلوب منهم وزال ملكهم بعد تشييده.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربع أذرع وعشرون إصبعًا.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا وثماني عشرة إصبعًا.

السنة الثالثة من ولاية الظاهر لإعزاز دين الله على مصر

وهي سنة أربع عشرة وأربعمائة: فيها دخل مشرف الدولة بن بهاء الدولة إلى بغداد وتلقاه الخليفة في زبزب بأبهة الخلافة ولم يكن القادر لقي أحدًا من الملوك قبله.

وفيها ورد كتاب السلطان يمين الدولة محمود بن سبكتكين على الخليفة القادر أنه أوغل في بلاد الهند.

وعنوان الكتاب: عبد مولانا أمير المؤمنين وصنيعته محمود بن سبكتكين.

وفيها عادت دولة بني أمية إلى الأندلس بعد أن انقطعت سبع سنين.

وفيها توفي الحسن بن الفضل بن سهلان أبو محمد وزير سلطان الدولة وهو الذي بنى سور 2 الحائر بمشهد الحسين بكربلاء وكان من كبار الشيعة كان رافضيًا خبيثًا قبض عليه وصودر وسمل وحبس حتى مات.

وفيها توفي محمد بن أحمد أبو جعفر النسفي الفقيه الحنفي العلامة صاحب التصانيف ومصنف كتاب التعليقة المشهورة وغيره.

كان عالمًا فاضلًا ورعًا زاهدًا مفتنًا في علوم وكانت وفاته في شعبان.

وفيها توفي محمد بن الخضر بن عمر أبو الحسين الحمصي القاضي الفرضي ولي القضاء بدمشق نيابة عن أبي عبد الله محمد بن الحسين النصيبي وكان نزهًا عفيفًا.

مات بدمشق في جمادى الأولى.

وفيها توفي تمام بن محمد بن عبد الله بن جعفر بن عبد الله بن الجنيد الحافظ أبو القاسم ابن الحافظ أبي الحسين الرازي ثم الدمشقي المحدث.

ولد بدمشق سنة ثلاثين وثلاثمائة وسمع الكثير أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ثلاث أذرع وثماني أصابع.

مبلغ الزيادة أربع عشرة ذراعًا وأربع عشرة إصبعًا.

السنة الرابعة من ولاية الظاهر لإعزاز دين الله على مصر وهي سنة خمس عشرة وأربعمائة: فيها حج من العراقيين أبو الحسن الأقساسي ومعه حسنك صاحب محمود بن سبكتكين فأرسل إليه الظاهر صاحب مصر خلعًا وصلة فقبلها حسنك ثم خاف من القادر فلم يدخل بغداد وكاتب القادر ابن سبكتكين فيما فعل حسنك فأرسل إليه حسنك بالخلع المصرية فأحرقها القادر.

وكان حسنك أمير خراسان من قبل ابن سبكتكين.

وفيها ولي وزارة مصر للظاهر صاحب الترجمة نجيب الدولة علي بن أحمد الجرجرائي بعد موت ست الملك عمة الظاهر.

وفيها منع الرافضة من النوح في يوم عاشوراء ووقع بسبب ذلك فتنة بين الشيعة وأهل السنة قتل فيها خلق كثير ومنع الرافضة من النوح وعيد الغدير وأيد الله أهل السنة ولله الحمد.

وفيها توفي أحمد بن محمد بن عمر بن الحسن أبو الفرج العدل البغدادي الفقيه الحنفي ويعرف بابن المسلمة مولده سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة وسمع الحديث وكان إمامًا عالمًا فاضلًا صدوقًا ثقة كثير المعروف وداره مأوى لأهل العلم.

وفيها توفي سلطان الدولة أبو شجاع بن بهاء الدولة فيروز بن عضد الدولة بويه ابن ركن الدولة الحسن بن بويه بن فناخسرو الديلمي بشيراز.

وكان مدة ملكه اثنتي عشرة سنة وأشهرًا وتولى الملك صبيًا ومات وله ثلاث وعشرون سنة.

وقال صاحب مرآة الزمان: مات عن اثنتين وثلاثين سنة.

انتهى.

قلت: وكان في مدة ملكه وقع له حروب كثيرة مع أخيه مشرف الدولة وخطب له ببغداد ثم اصطلحا حسب ما ذكرناه وخطب لمشرف الدولة على عادته إلى أن توفي سلطان الدولة هذا.

وفيها توفي عبد الله بن عبد الله بن الحسين أبو القاسم الخفاف كان يعرف بابن النقيب البغدادي رأى الشبلي وغيره وسمع الكثير وكان سماعه صحيحًا وكان شديدًا في السنة ولما مات ابن المعلم فقيه الشيعة جلس رضي الله عنه للتهنئة وقال: ما أبالي أي وقت مت بعد أن شاهدت موته.

وأقام عدة سنين يصلي الفجر بوضوء العشاء الآخرة.

قلت: ومما يدل على دينه وحسن اعتقاده بغضه للشيعة عليهم الخزي.

ولو لم يكن من حسناته إلا ذلك لكفاه وفيها توفي محمد بن الحسن الشريف أبو الحسن الأقساسي العلوي.

هو من ولد زيد بن علي بن الحسين رضي الله عنه.

حج بالناس من العراق سنين كثيرة نيابة عن المرتضى وكان فاضلًا شاعرًا فصيحًا وهو أيضًا من كبار الشيعة.

وفيها توفي الأمير أبو طاهر بن دمنة صاحب آمد من ديار بكر.

كان قتل ابن مروان صاحب ميا فارقين وقتل عبد البر شيخ آمد واستولى عليهما من سنة سبع وثمانين وثلاثمائة إلى هذه السنة.

وكان يصانع ممهد الدولة بن مروان وأيضًا يصانع شروة.

فلما قتل شروة ممهد الدولة وولي أخوه أبو منصور طمع هذا في البلاد واستفحل أمره.

وفيها توفي أحمد بن محمد بن أحمد بن القاسم بن إسماعيل الضبي أبو الحسن المحاملي الفقيه الشافعي كان تفقه بأبي حامد الاسفرايني وغيره وكان إمامًا فقيهًا مصنفًا مات في شهر ربيع الأول.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ذراعان وخمس أصابع.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا سواء.

السنة الخامسة من ولاية الظاهر وهي سنة ست عشرة وأربعمائة: فيها توفي في شهر ربيع الآخر السلطان مشرف الدولة أبو علي الحسن ابن السلطان أبي نصر فيروز بهاء الدولة ابن السلطان عضد الدولة بويه ابن السلطان ركن الدولة الحسن بن بويه الديلمي.

واستقر الأمر بعد موته على تولية جلال الدولة أبي طاهر فخطب له على منابر بغداد وهو بالبصرة وخلع على شرف الملك أبي سعيد بن ماكولا وزيره ولقبه علم الدين سعد الدولة أمين الملة شرف الملك.

قلت: وهذا ثاني لقب سمعناه من اسم مضاف إلى الدين.

وأول ما سمعنا من هذه الألقاب لقب بهاء الدولة بن بويه ركن الدين.

قلنا: لعل ذلك كان تعظيمًا في حقه لكونه سلطانًا فيكون هذا على هذا الحكم هو أول لقب لقب به في الإسلام والله أعلم.

ومن يومئذ ظهرت الألقاب وتغالت فيها الأعاجم حتى إنهم لم يدعوا شيئًا إلا وأضافوا الدين له حتى اشتهر ذلك وشاع وسمي به كل أحد حتى الأسالمة فمنهم من يسمى جلال الدين وسعد الدين وجمال الدين فلا قوة إلا بالله.

وحق المغاربة في حنقهم ممن يلقب بهذه الألقاب.

وأنا بالله أحلف لو ملكت أمري ما لقبت بجمال الدين ولا غيره وأكره من يسميني بذلك ولا أقدر على تغيير الاصطلاح.

وهذا لا يكون إلا من ولي أمر أو حاكم بلدة.

وقد خرجنا عن المقصود فنعود إلى ذكر مشرف الدولة.

ومات مشرف الدولة وله ثلاث وعشرون سنة وثلاثة أشهر وأربعة عشر يومًا.

وكانت مدة ملكه خمس سنين وشهرًا وخمسة وعشرين يومًا.

وكان شجاعًا مقدامًا جوادًا إلا أنه كان يميل إلى الشيعة على عادة آبائه وأجداده ميلًا ليس بذاك وينصر أهل السنة في بعض الأحيان.

وكل ملوك بني بويه كانوا على ذلك غير أنهم كانوا يميلون في الباطن للشيعة.

والله أعلم بحالهم.

وفيها توفي عبد الرحمن بن عمر بن محمد بن سعيد أبو محمد التجيبي المصري البزار المعروف بابن النحاس مسند ديار مصر في وقته.

مولده ليلة النحر سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة ومات في عاشر صفر.

وفيها توفي علي بن محمد أبو الحسن التهامي الشاعر المشهور كان من الشعراء المجيدين وشعره في غاية الحسن.

قدم القاهرة مستخفيًا ومعه كتب كثيرة من حسان بن المفرج البدوي وهو متوجه إلى بني قرة فظفروا به فاعتقل بخزانة البنود في سادس عشرين شهر ربيع الآخر ثم قتل سرًا في سجنه في تاسع جمادى الأولى.

والتهامي بكسر التاء المثناة من فوقها وفتح الهاء وبعد الألف ميم هذه النسبة إلى تهامة وهي تطلق على مكة حرسها الله.

ومن شعر التهامي من جملة قصيدة: قلت لخلي وثغور الربا مبتسمات وثغور الملاح وله بيت بديع من جملة قصيدة: وإذا جفاك الدهر وهو أبو الورى طرا فلا تعتب على أولاده وفيها توفي محمد بن يحيى بن أحمد بن الحذاء أبو عبد الله القرطبي الحافظ المحدث العلامة سمع الكثير وروى الحديث وكتب وصنف ومات في شهر رمضان.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ثلاث أذرع وعشرون إصبعًا.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا وأربع أصابع.

السنة السادسة من ولاية الظاهر لإعزاز دين الله على مصر وهي سنة سبع عشرة وأربعمائة: فيها عاد جلال الدولة إلى البصرة وقبض على وزيره أبي سعيد عبد الواحد بن أحمد بن جعفر بن ماكولا وعلى أبي علي ابن عمه.

ثم جرت أسباب استوجبت إطلاق ابن عمه واستوزره جلال الدولة ولقبه يمين الدولة وزير الوزراء وخلع عليه.

وفيها توفي أحمد بن محمد بن عبد الله بن العباس بن محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب أبو الحسن القرشي الأموي قاضي القضاة كان عفيفًا جليلًا قال القاضي أبو العلاء: ما رأينا مثله جلالةً وصيانة وشرفًا.

وفيها توفي محسن بن عبد الله بن محمد أبو القاسم التنوخي اللغوي القاضي الحنفي ولد يوم الأحد الثامن والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة تسع وأربعين وثلاثمائة وقدم دمشق مجتازًا إلى الحج فأدركه أجله في الطريق في ذي القعدة فحمل إلى مدينة النبي صلى الله عليه وسلم ودفن بالبقيع.

وكان من أوعية العلم وله مصنفات كثيرة وشعر جيد من ذلك وكل أداريه على حسب حاله سوى حاسدي فهي التي لا أنالها وكيف يداري المرء حاسد نعمة إذا كان لا يرضيه إلا زوالها وفيها توفي عبد الله بن أحمد الإمام أبو بكر المروزي القفال شيخ الشافعية بخراسان كان يعمل الأقفال وحذق في عملها حتى صنع قفلًا بآلاته ومفتاحه وزن أربع حبات.

فلما صار ابن ثلاثين سنة اشتغل بالعلم وتفقه حتى برع فيه وفاق أقرانه.

ومات في جمادى الآخرة وله تسعون سنة.

وفيها توفي علي بن أحمد بن عمر بن حفص أبو الحسن بن الحمامي كان إمامًا محدثًا كبير الشأن سمع وحدث ومات في شعبان عن تسع وثمانين سنة.

وفيها توفي في قول الذهبي عمر بن أحمد بن إبراهيم بن عبدويه أبو حازم الهذلي العبدوي أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربع أذرع وأربع عشرة إصبعًا.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا وسبع أصابع.

السنة السابعة من ولاية الظاهر لإعزاز دين الله على مصر وهي سنة ثماني عشرة وأربعمائة: فيها خطب لجلال الدولة على المنابر ببغداد بعد أن منع الأتراك من ذلك وخطبوا لأبي كاليجار.

وفيها ورد كتاب السلطان محمود بن سبكتكين على الخليفة القادر يخبر بما فتح من البلاد من أرض الهند وكسره الصنم المعروف بسومنات.

وفيها توفي الحسين بن علي بن الحسين أبو القاسم الوزير المغربي ولد بمصر في ذي الحجة سنة سبعين وثلاثمائة وهرب منها لما قتل الحاكم أباه عليًا وعمه محمدًا.

وقيل: إن أباه وزر للعزيز بمصر ثم للحاكم ابنه.

وهرب الحسين هذا للعراق وخدم بني بويه ووقع له بالشرق أمور ووزر لغير واحد من ملوك الشرق.

وكان فاضلًا عاقلًا شاعرًا شهمًا شجاعًا كافيًا في فنه حتى الدهر سهل وصعب والعيش مر وعذب فاكسب بمالك حمدًا فليس للحمد كسب وما يدوم سرور فاختم وطينك رطب
وفيها توفي عبد الرحمن بن هشام القرشي الأموي صاحب الأندلس الذي كان لقب نفسه في سنة أربع عشرة وأربعمائة بالمستظهر والمستكفي والمعتمد وعاد ملك بني أمية إلى

الأندلس بسببه فلما كان في هذه السنة وثب الجند عليه فقتلوه وانقطعت ولاية بني أمية عن الأندلس إلى سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة.

وكانت ولاة الأندلس من بني أمية أربعة عشر على عدد أسلافهم ومدة سنينهم مائتان وثمانون سنة فأولهم عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم أبو المطرف الملقب بالداخل لكونه دخل المغرب بويع سنة تسع وثلاثين ومائة في أيام أبي جعفر المنصور العباسي.

ثم ولي بعده ابنه هشام في سنة اثنتين وسبعين.

ثم ولي بعده ابنه الحكم بن هشام بن عبد الرحمن في سنة ثمانين ومائة.

ثم ولي بعده ابنه عبد الرحمن بن الحكم في سنة ست وثمانين ومائة.

ثم ولي بعده ابنه محمد في سنة ثمان وثلاثين ومائتين.

ثم ولي بعده ابنه المنذر بن محمد سنة ثلاث وسبعين ومائتين ومات سنة خمس وسبعين ولم يكن له ولد فولي عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل سنة 275 ه.

ثم ولي بعده ابنه عبد الرحمن سنة ثلاثمائة.

ثم ولي بعده الحكم بن عبد الرحمن سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة.

ثم ولي بعده ابنه هشام سنة سبعين وثلاثمائة ومات سنة تسع وتسعين وثلاثمائة بعد أن تغلب عليه محمد بن هشام بن عبد الجبار الملقب بالناصر لدين الله سنة 399 ه ثم غلب عليه المستعين سليمان بن الحكم سنة 400 ه.

ثم غلب محمد بن هشام بن عبد الجبار للمرة الثانية في شوال سنة 00 ه.

ثم هشام بن الحكم للمرة الثانية في ذي الحجة سنة 400 ه.

ثم ولي سليمان المستعين للمرة الثانية من شوال سنة 403 ه إلى المحرم من سنة 407 ه.

ثم تغلب علي بن حمود إلى شهر رمضان سنة 408 ه.

ثم ولي المرتضى عبد الرحمن بن محمد في شهر رمضان سنة 408 ه ثم تغلب القاسم بن محمود في نفس السنة.

ثم يحيى بن علي بن حمود في سنة 412 ه ثم القاسم بن حمود للمرة الثانية في سنة 413 ه.

ثم ولي المستظهر عبد الرحمن بن هشام في شهر رمضان سنة 414 ه.

ثم ولي المستكفي محمد بن عبد الرحمن في ذي القعدة سنة 414 ه.

ثم تغلب يحيى بن علي بن حمود للمرة الثانية في ربيع الأول سنة 416 ه.

ثم ولي المعتد هشام بن عبد الرحمن من ربيع الأول سنة 418 ه إلى سنة 422 ه.

وهو آخرهم.

وفيها توفي الشريف أبو الحسن علي بن طباطبا العلوي.

كان فاضلًا شاعرًا فصيحًا.

مات وفيها توفي إبراهيم بن محمد بن إبراهيم أبو إسحاق الأسفراييني الأصولي المتكلم الفقيه الشافعي إمام أهل خراسان ركن الدين.

وهو أول من لقب من الفقهاء.

كان إمامًا مفتنًا له التصانيف المشهورة وكانت وفاته يوم عاشوراء بنيسابور.

وقد تقدم أن الألقاب ما تداول تسميتها إلا من الأعاجم لحبهم للرياسة والتعظيم كما هي عادتهم.

وفيها توفي معمر بن أحمد بن محمد بن زياد أبو منصور الأصبهاني الزاهد كان من كبار المشايخ وله قدم هائلة في الفقه والصلاح.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربع أذرع وعشرون إصبعًا.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا وثلاث عشرة إصبعًا.

السنة الثامنة من ولاية الظاهر لإعزاز دين الله على مصر وهي سنة تسع عشرة وأربعمائة: فيها ولي الظاهر أمر دمشق لأمير الجيوش الدزبري وكان شجاعًا شهمًا واسمه أبو منصور أنوشتكين التركي.

وفيها توفي محمد بن عمر بن يوسف أبو عبد الله بن الفخار القرطبي المالكي الحافظ عالم الأندلس في عصره سمع الحديث وحدث وحج وجاور بالمدينة وأفتى بها وكان إمامًا عالمًا زاهدًا ورعًا متقشفًا عارفًا بمذاهب الأئمة وأقوال العلماء يحفظ المدونة حفظًا جيدًا.

وفيها توفي حمزة بن إبراهيم أبو الخطاب كان بلغ من بهاء الدولة بن بويه منزلة عظيمة لم يبلغها غيره كان يعلمه النجوم.

وكان حاكمًا على الدولة والوزراء والقواد يخافونه وما كان يقنع من الوزراء بالقليل.

ولما فتح فخر الملك قلعة سابور حمل إليه مائة ألف دينار فاستقلها وما كان بهاء الدولة يخالفه أبدًا.

وفيها توفي عبد المحسن بن محمد بن أحمد بن غالب بن غلبون أبو محمد الصوري الشاعر المشهور.

كان أبو الفتيان بن حيوس مغرىً بشعره ويفضله على أبي تمام والبحتري والمتنبي فقال أبو العلاء المعري: الأمراء لا يناظرون " يعني أنه ليس في هذا المقام.

وكان أبو الفتيان يقول: إن أغزل ما قيل قول جرير: إن العيون التي في طرفها حور قتلننا ثم لم يحيين قتلانا يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به وهن أضعف خلق الله إنسانا وقال الصوري أغزل منهما وهو قوله: ما الذي قالته عينا - - ك لقلبي فأجابا قلت: وقال غير ابن حيوس: إن أرق ما قيل قول القائل: عيون عن السحر المبين تبين لها عند تحريك القلوب سكون إذا أبصرت قلبًا خليًا من الهوى تقول له كن مغرمًا فيكون ومن شعره أيضًا: صددت فكنت مليح الصدود وأعرضت أفديك من معرض ومن كان في سخطه محسنًا فكيف يكون إذا ما رضي وله أيضًا: تريك نفسك في معاندة الورى رشدًا ولست إذا فعلت براشد شغلتك عن أفعالها أفعالهم هلا اقتصرت على عدو واحد وفيها توفي محمد بن محمد بن إبراهيم بن مخلد الفقيه أبو الحسن البغدادي الحنفي ولد سنة تسع وعشرين وثلاثمائة وسمع الكثير ورواه وكان يتجر وله مال عظيم صادره ملوك بني بويه حتى افتقر ومات فلم يكفن حتى بعث إليه الخليفة كفنًا.

ومات ولم يكن في زمانه أعلى سندًا منه.

وكان صدوقًا صالحًا ثقة فقيهًا فاضلًا عالمًا.

وفيها توفي أبو الفوارس قوام الدولة بن بهاء الدولة فيروز بن عضد الدولة بويه بن ركن الدولة الحسن بن بويه الديلمي.

كان عزم على نقض الصلح بينه وبين أخيه أبي كاليجار فعاجلته منيته فمات في ذي القعدة وحمل تابوته إلى شيراز فدفن في تربة عماد الدولة بن بويه.

وفيها هلك قسطنطين أخو بسيل ملك الروم وبعد موته انتقل الملك إلى بنت له وزوجها وهو ابن خالها يسمى أرمانوس ولم يكن من بيت الملك وجعلت ولاية العهد في أرمانوس المذكور ولبس الخف الأحمر وتسمى قيصرًا.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم سبع أذرع سواء.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا وأربع أصابع.

السنة التاسعة من ولاية الظاهر لإعزاز دين الله على مصر وهي سنة عشرين وأربعمائة: فيها وقع بالعراق برد في الواحدة مائة وخمسون رطلًا كانت كالثور النائم ونزلت في الأرض مقدار ذراع قاله أبو المظفر في مرآة الزمان وفيها فسد الأمر بين قرواش صاحب الموصل وبين أبي نصر بن مروان صاحب ميافارقين.

وسببه أن قرواشًا كان تزوج ببنت أبي نصر المذكور فأقامت عنده مدة ثم هجرها فطلبها أبو نصر فنقلها إليه وهذا أول الشر.

وفيها توفي علي بن عيسى بن الفرج أبو الحسن الربعي صاحب أبي علي الفارسي قرأ الأدب ببغداد على السيرافي وخرج إلى شيراز ودرس بها النحو على الفارسي عشرين سنة ثم عاد إلى بغداد وأقام بها باقي عمره.

خرج يومًا يمشي على جانب الشط فرأى الشريف الرضي والمرتضى في سفينة ومعهما عثمان بن جني النحوي فصاح أبو الحسن: من أعجب أحوال الشريفين أن يكون عثمان جالسًا في صدر السفينة وعلي يمشي على الحافة فضحكا وقالا: باسم الله.

قلت: وهذا مما يدل على أن الرضي والمرتضى كانا يصرحان بالرفض.

وفيها توفي الأستاذ الأمير المختار عز الملك محمد بن أبي القاسم عبيد الله بن أحمد بن إسماعيل بن عبد العزيز المعروف بالمسبحي الكاتب الحراني الأصل المصري المولد والمنشأ صاحب التاريخ المشهور وغيره من المصنفات.

قال ابن خلكان: كانت فيه فضائل ولديه معارف ورزق حظوة في التصانيف واتصل بخدمة الحاكم العبيدي.

قال: وتاريخه ثلاثة عشر ألف ورقة.

انتهى.

قلت: وله عدة تصانيف أخر.

مات في شهر ربيع الآخر.

والمسبحي: بضم الميم وفتح السين المهملة وكسر الباء الموحدة ثانية الحروف وفي آخرها حاء مهملة.

قال السمعاني: هذه النسبة إلى الجد.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربع أذرع وعشرون إصبعًا.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا سواء.

السنة العاشرة من ولاية الظاهر لإعزاز دين الله على مصر وهي سنة إحدى وعشرين وأربعمائة.

فيها عملت الرافضة النوح في يوم عاشوراء بالكرخ ووقع بينهم وبين أهل السنة وقعة قتل فيها جماعة من الفريقين.

وفيها خطب للأمير أبي سعيد مسعود بن محمود بن سبكتكين بعد موت أبيه بأرمينية والأطراف.

وفيها عاد جلال الدولة إلى بغداد من واسط.

ولم يحج أحد من العراقيين في هذه السنة وحج الناس من مصر وغيرها.

وفيها توفي أحمد بن عبد الله بن أحمد أبو الحسن ويعرف بابن الدان أصله من الجزيرة وسكن دمشق وكان يعظ وكان صاحب مقالات وكرامات وهو معدود من المشايخ.

وفيها توفي أحمد بن محمد بن العاص بن أحمد بن سليمان بن عيسى بن عراج أبو عمر القسطلي الشاعر المشهور.

قال ابن حزم: كان عالمًا بنقد الشعر لو قلت إنه لم يكن بالأندلس أشعر من ابن دراج لم أبعد.

وهو من مدينة قسطلة دراج وقيل هو اسم ناحية.

وكان من كتاب الإنشاء في أيام المنصور بن أبي عامر.

ومن شعره من جملة قصيدة طويلة: أضاء لها فجر النهى فنهاها عن المدنف المضنى بحر هواها وضللها صبح جلا ليله الدجى وقد كان يهديها إلي دجاها وفيها توفي السلطان يمين الدولة أبو القاسم محمود بن سبكتكين ابن الأمير ناصر الدولة أبي منصور صاحب غزنة وغيرها.

كان السلطان محمود هذا يلقب قبل السلطنة بسيف الدولة وكان من عظماء ملوك الدنيا وفتح عدة بلاد من الهند وغيرها واتسعت مملكته حتى بلغت أوقافه عشرة آلاف قرية وامتلأت خزائنه من أصناف الأموال والجواهر وكان دينًا خيرًا متعبدًا فقيهًا على مذهب أبي حنيفة.

وما حكاه ابن خلكان من قصة القفال في صلاة الحنفية بين يدي ابن سبكتكين المذكور ليس لها صحة يعرف ذلك من له أدنى فوق من وجوه عديدة فإن محمودًا المذكور كان قد قرأ في ابتداء أمره وبرع في الفقه والخلاف وصار معدودًا من العلماء وصنف كتابًا في فقه الحنفية قبل سلطنته بمدة سنين وذلك قبل أن يشتهر القفال.

فمن يكون بهذه المثابة لا يحتاج إلى من يعرفه الصلاة على المذاهب الأربعة بل ولا غيرها وأصاغر الفقهاء من طلبة العلم يعرفون الخلاف في مثل هذه المسألة.

وأيضًا حاشا القفال من أن يقع في مثل هذه القبائح من كشف العورة والضراط في الملأ وتحكيم رجل نصراني في قراءة كتب المذهبيين والافتراء على مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة وما ثم أمر يحتاج إلى ذلك ولا ألجأت الضرورة إلى أن يفعل بعض ما قيل عنه.

وإنما محمود بن سبكتكين رجل من المسلمين لا يزيد في الحنفية ولا ينقص من الشافعية ولعل بعض الفقراء يكون أفضل منه عند الله تعالى.

وها أنا لم أكن مثل القفال في كثرة علومه بل ولا أصاغر تلامذته لو قيل لي: افعل بين يدي السلطان بعض ما قيل عن القفال لا أرضى بذلك ولا ألتفت إلى السلطان ولا إلى غيره ولا أهزأ بصلاة مسلم كائن من كان.

فهذا كله موضوع على القفال من أهل التحامل والتعصب.

فنعوذ بالله من الاستخفاف بالعلماء والوقوع في حقهم ونسأل الله السلامة في الدين.

وكانت وفاة السلطان محمود في جمادى الأولى من هذه السنة رحمه الله تعالى.

وتولى بعده الملك ابنه مسعود بن محمود الآتي ذكره.

الماء القديم أربع أذرع وثلاث وعشرون إصبعًا.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا وست أصابع.

السنة الحادية عشرة من ولاية الظاهر لإعزاز دين الله على مصر وهي سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة.

فيها قتل أبو علي الحسن بن علي بن ماكولا بالأهواز قتله غلام له يعرف بعدنان كان يجتمع مع امرأة في داره ففطن بهما فعلما بذلك فخافا منه وساعدهما فراش كان في

داره فغموه بشيء وعصروا خصاه حتى مات وأظهروا أنه مات فجأة فأخذ الغلام والفراش وضربا فأقرا بما وقع من أمره فصلبا وحبست المرأة في دار.

وفيها أخذ ملك الروم مدينة الرها.

وفيها ولد بمدينة إسكاف ولد له رأس وبقية بدنه كالحية فنطق ساعة مولده وقال: الناس تحت غضب منذ أربع سنين والواجب أن يخرجوا فيستسقوا ليكشف عنهم البلاء.

فكتب قاضي إسكاف للخليفة بذلك فاجتمع الناس واستسقوا فلم يسقوا.

وفيها توفي الخليفة القادر بالله أمير المؤمنين أبو العباس أحمد ابن الأمير أبي أحمد إسحاق ابن الخليفة جعفر المقتدر ابن الخليفة المعتضد أحمد ابن الأمير أبي أحمد طلحة الموفق ابن الخليفة جعفر المتوكل ابن الخليفة محمد المعتصم ابن الخليفة الرشيد هارون ابن الخليفة المهدي محمد ابن الخليفة أبي جعفر المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب الهاشمي العباسي البغدادي.

بويع بالخلافة بعد القبض على الطائع عبد الكريم في حادي عشر شهر رمضان سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة ومولده في سنة ست وثلاثين وثلاثمائة.

وأمه أم ولد تسمى يمنى ماتت في خلافته.

وتوفي ليلة الاثنين حادي عشر ذي الحجة ودفن ليلة الثلاثاء بين المغرب والعشاء.

وكانت خلافته إحدى وأربعين سنة وثلاثة أشهر وهو أطول الخلفاء العباسية مدة لا نعلم خليفة أقام في الخلافة هذه المدة من بني العباس ولا غيرهم إلا المستنصر معدًا العبيدي الآتي ذكره فإنه أقام في خلافة مصر ستين سنة.

وتخلف بعد القادر ابنه أحمد ولقب بالقائم بأمر الله.

وكان القادر رحمه الله أبيض كث اللحية يخضب وكان دينًا خيرًا حسن الاعتقاد أمارًا بالمعروف فاضلًا.

صنف كتبًا كثيرة في فنون من العلم منها كتاب في أصول الدين وكتاب في فضائل الصحابة وعمر بن عبد العزيز وكتاب كفر فيه القائلين بخلق القرآن.

وكان كثير الصيام والصدقات رحمه الله تعالى.

وفيها توفي عبد الوهاب بن علي بن نصر بن أحمد القاضي أبو محمد البغدادي المالكي الفقيه سمع الحديث وروى عنه غير واحد وكان شيخ المالكية في عصره وعالمهم وصنف كتاب التلقين وشرح الرسالة وغير ذلك.

وفيها توفي يحيى بن نجاح أبو الحسين بن القلاس الأموي مولاهم القرطبي.

رحل إلى البلاد وسمع الكثير وحج واستوطن مصر.

وكان عالمًا ورعًا دينًا.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ثلاث أذرع وعشرون إصبعًا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا وست أصابع.

السنة الثانية عشرة من ولاية الظاهر لإعزاز دين الله على مصر وهي سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة.

فيها بعث الظاهر صاحب الترجمة بكسوة الكعبة فكسيت.

وفيها لم يحج أحد من العراق ولا من خراسان وحج الناس من مصر.

وفيها رأى رجل من أهل أصبهان في النوم أن شخصًا وقف على منارة أصبهان وقال: سكت نطق نطق سكت.

فانتبه وحكى للناس فما عرف أحد معناه فقال رجل: يا أهل أصبهان سكت الدهر زمانًا عنهم ثم أبكاهم دمًا حين نطق فما كان بعد ذلك إلا قليل ودخل عسكر مسعود بن محمود بن سبكتكين ونهب البلد وقتل عالمًا لا يحصى.

وفيها توفي علي بن أحمد بن الحسن بن محمد بن نعيم أبو الحسن البصري الحافظ الشاعر.

قال محمد بن علي الصوري: لم أر ببغداد أكمل منه.

وجمع بين معرفة الحديث وعلم الكلام والأدب والفقه والشعر.

ومن شعره وأجاد: إذا عطشتك أكف اللئام كفتك القناعة شبعًا وريا فكن رجلًا رجله في الثرى وهمة هامته في الثريا وفيها توفي محمد بن الطيب بن سعيد بن موسى أبو بكر الصباغ البغدادي ولد سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة وسمع الكثير.

قال أبو بكر الخطيب: كتبت عنه وكان صدوقًا ثقة.

وقال رئيس الرؤساء أبو القاسم علي بن الحسن: تزوج محمد بن الطيب زيادة على تسعمائة امرأة.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله الحربي الحرفي في شوال وله سبع وثمانون سنة وأبو الحسن علي بن أحمد النعيمي المحدث الأديب وأبو الفضل منصور بن منصور بن نصر بن عبد الرحيم ابن بنت السمرقندي الكاغدي في ذي وفيها كان الطاعون ببلاد الهند والعجم وعظم إلى الغاية وكان أكثره بغزنة وخراسان وجرجان والري وأصبهان ونواحي الجبل إلى حلوان وامتد إلى الموصل والجزيرة وبغداد حتى قيل: إنه خرج من أصبهان وحدها أربعون ألف جنازة ثم امتد إلى شيراز.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربع أذرع وعشرون إصبعًا.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا وأربع أصابع.

السنة الثالثة عشرة من ولاية الظاهر

لإعزاز دين الله على مصر وهي سنة أربع وعشرين وأربعمائة.

فيها عملت الرافضة المأتم ببغداد في يوم عاشوراء على العادة فأقام بذلك العيارون أعني عن الزعران الذين كانوا غلبوا على بغداد وعجزت الحكام عنهم.

وفيها توفي أحمد بن الحسين بن أحمد أبو الحسين المعروف بابن السماك الواعظ البغدادي مولده سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة وكان يعظ بجامع المنصور والمهدي ويتكلم على طريق الصوفية وكان لكلامه رونق غير أنهم تكلموا فيه وكانت وفاته ببغداد في ذي الحجة من السنة.

وفيها ثار أهل الكرخ بالعيارين فهربوا وكبسوا دورهم ونهبوا سلاحهم وطلبوا من السلطان المعاونة.

وسبب ذلك أن العيارين نهبوا تاجرًا فغضب له أهل سوقه فرد العيارون بعض ما أخذوا ثم كبسوا دار ابن العلواء الواعظ وأخذوا ماله ثم فعلوا ذلك بجماعة كثيرة حتى قام عليهم أهل الكرخ ووقع بينهم بسبب ذلك قتال وحروب يطول شرحها.

وفيها توفي أبو بكر بن محمد بن إبراهيم الأردستاني كان إمامًا زاهدًا فاضلًا معدودًا من كبار المشايخ وله كرامات وأحوال.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربع أذرع وعشر أصابع.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا وإصبعان.

السنة الرابعة عشرة من ولاية الظاهر لإعزاز دين الله على مصر وهي سنة خمس وعشرين وأربعمائة.

فيها هبت بنصيبين ريح سوداء قلعت معظم شجرها وكان بين البساتين قصر عظيم فرمته من أصله.

وفيها زلزلت الرملة زلزلة هدمت ثلث مدينة الرملة ونزل البحر مقدار ثلاثة فراسخ فنزل الناس يصيدون السمك فرجع عليهم فغرق من لم يحسن السباحة.

وفيها توفي أحمد بن محمد بن عبد الرحمن أبو العباس القاضي الأبيوردي ولد سنة سبع وخمسين وثلاثمائة وتولى القضاء بالجانبين ببغداد وسمع الحديث ورواه وكان عالمًا ورعًا مفتنًا يصوم الدهر ويفطر على الخبز والملح وكان فقيرًا ويظهر الثروة ومات في جمادى الأولى ودفن بباب حرب.

وفيها توفي أحمد بن محمد ابن أحمد بن غالب الحافظ أبو بكر الخوارزمي ولد سنة ست وثلاثين وثلاثمائة ورحل إلى البلاد وسمع الكثير وحدث وكان إمامًا في اللغة والفقه والحديث ومات في يوم الأربعاء غرة شهر رجب.

وفيها توفي عبد الوهاب بن عبد العزيز بن الحارث أبو الفرج التميمي الفقيه الحنبلي الواعظ ولد سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة وسمع الحديث ورواه وكان فقيهًا محدثًا واعظًا وكانت وفاته في شهر ربيع الأول ببغداد ودفن عند قبر الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه.

وفيها توفي محمد بن عبد الله أبو عبد الله بن باكويه الشيرازي أحد مشايخ الصوفية كان أوحد زمانه وله كرامات وإشارات ولقي خلقًا من المشايخ وحكى عنهم وسمع الحديث

الكثير الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي أبو بكر أحمد بن محمد بن أحمد بن غالب البرقاني الحافظ في رجب وله تسع وثمانون سنة وأبو علي الحسن بن أبي بكر أحمد بن إبراهيم بن شاذان البزاز في آخر يوم من السنة وولد في ربيع الأول عام تسعة وثلاثين وثلاثمائة وأبو سعيد عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن بندار بن شبانة الهمذاني وأبو الحسن عبد الله بن عمر المري الدمشقي وأبو الفضل عمر بن أبي سعد إبراهيم بن عبد الرحمن بن محمد بن يحيى الجوبري في صفر وأبو نصر عبد الوهاب بن إسماعيل الهروي الزاهد وأبو بكر محمد بن علي بن إبراهيم بن مصعب الأصبهاني التاجر.

انتهى كلام الذهبي.

وفيها وقع الطاعون بشيراز فكانت الأبواب تسد على الموتى ثم انتقل إلى واسط وبغداد والبصرة والأهواز وغيرها.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربع أذرع وخمس عشرة إصبعًا.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا وإحدى وعشرون إصبعًا.

السنة الخامسة عشرة من ولاية الظاهر وهي سنة ست وعشرين وأربعمائة.

فيها استولى العيارون على بغداد وملكوا الجانبيين أعني الحرامية قال: ولم يبق للخليفة ولا لجلال الدولة معهم حكم.

وكان العيارون في دور الأتراك والحواشي يقيمون نهارًا ويخرجون ليلًا والأتراك والحواشي تقوم معهم في الباطن فكانوا يخرجون ليلًا ويعملون العملات وأفسدوا وفعلوا أفعالًا قبيحة وأظهروا الإفطار في شهر رمضان نهارًا وكان ذلك كله بمواطأة الأتراك.

وفيها ورد كتاب مسعود بن محمود بن سبكتكين على الخليفة أنه افتتح جرجان وطبرستان وغزا الهند وافتتح بلادًا كثيرة.

وفيها توفي أحمد بن كليب الشاعر المغربي.

قال أبو عبد الله محمد بن أبي نصر الحميدي في تاريخه كان أحمد هذا يهوى أسلم بن حمد بن سعيد قاضي قضاة الأندلس وكان أسلم من أحسن أهل زمانه فافتتن به وقال فيه الأشعار الرائقة.

ثم سكت الحميدي ولم يذكر ما قاله في أسلم المذكور من الأشعار.

وفيها توفي الحسن بن أحمد بن إبراهيم بن الحسن بن محمد بن شاذان أبو علي البزاز إمام محدث مشهور من أهل بغداد ولد سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة سمع خلقًا كثيرًا وكان صالحًا ثقة صدوقًا.

وفيها توفي الحسن بن عثمان بن أحمد بن الحسين بن سورة أبو عمر الواعظ البغدادي سمع الحديث وتفقه وكان شيخًا له لسان حلو في الوعظ وكان له شعر على طريق القوم فمنه قوله: دخلت على السلطان في دار عزه بفقر ولم أجلب بخيل ولا رجل فقلت انظروا ما بين فقري وملككم بمقدار ما بين الولاية والعزل أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ثلاث أذرع وعشرون إصبعًا.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا وخمس عشرة إصبعًا.

السنة السادسة عشرة من ولاية الظاهر لإعزاز دين الله على مصر وهي سنة سبع وعشرين وأربعمائة.

وفيها كانت وفاته حسب ما تقدم في ترجمته.

فيها أعني سنة سبع وعشرين أرسل الظاهر قبل موته خمسة آلاف دينار فصلح بها نهر ينتهي إلى الكوفة ويرد إليه ماء الفرات وجاء أهل الكوفة يستأذنون القائم بأمر الله في ذلك فثقل عليه وسأل الفقهاء فقالوا: هذا مال تغلب عليه من فيء المسلمين فصرفه في هذا الوجه فأذن لهم القائم في ذلك.

وفيها لم يحج أحد من العراق وحجوا من الشام ومصر.

وفيها توفي أحمد بن محمد بن إبراهيم أبو إسحاق الثعلبي صاحب التفسير المشهور.

قال الحافظ أبو الفرج بن الجوزي: ليس فيه ما يعاب به إلا ما ضمنه من الأحاديث الواهية التي هي في الضعف متناهية خصوصًا في أوائل السور.

وفيها توفي الحسن بن وهب أبو علي الكاتب المجود كان فاضلًا إمامًا مجودًا وخطه معروف مشهور بالحسن.

وفيها توفي حمزة بن يوسف بن إبراهيم الجرجاني الحافظ هو من ولد هشام بن العاص بن وائل السهمي وكان عالمًا فاضلًا رحل في طلب العلم وسمع الحديث الكثير وقال أنبأنا الحسين بن عمر الضراب أنشدنا شعبان الصيرفي: أشد من فاقة الزمان وقوف حر على هوان فاسترزق الله واستعنه فإنه خير مستعان أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ست أذرع وعشرون إصبعًا.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا وخمس عشرة إصبعًا.

خلافة المستنصر بالله على مصر هو أبو تميم معد الملقب بالمستنصر بالله بن الظاهر لإعزاز دين الله علي بن الحاكم بأمر الله منصور بن العزيز بالله بن المعز لدين الله معد أول خلفاء الفاطميين بمصر ابن المنصور بالله إسماعيل بن القائم بالله محمد بن المهدي عبيد الله العبيدي الفاطمي المغربي الأصل المصري المولد والمنشأ والدار والوفاة وهو الخامس من خلفاء مصر من بني عبيد والثامن من المهدي عبيد الله.

ولي الخلافة بعد موت أبيه الظاهر لإعزاز دين الله في يوم الأحد منتصف شعبان سنة سبع وعشرين وأربعمائة.

وكان عمره يوم ولي الخلافة سبع سنين وسبعة وعشرين يومًا وختن وهو ابن ست سنين.

قال الذهبي رحمه الله: هو معد أبو تميم الملقب بأمير المؤمنين المستنصر بالله بن الظاهر بن الحاكم بأمر الله - وساق بقية نسبه بنحو ما سقناه إلى أن قال -: بقي في الخلافة ستين سنة وأربعة أشهر وهو الذي خطب له بإمرة المؤمنين على منابر العراق في نوبة الأمير أبي الحارث أرسلان المعروف بالبساسير في سنة إحدى وخمسين وأربعمائة.

ولا أعلم أحدًا في الإسلام لا خليفة ولا سلطانًا طالت مدته مثل المستنصر هذا.

وولي وهو ابن سبع سنين.

ولما كان في سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة قطع الخطبة له من المغرب الأمير المعز بن باديس - وقيل: بل قطعها في سنة خمس وثلاثين - وخطب لبني العباس وخرج عن طاعة بني عبيد الباطنية.

وحدث في أيام المستنصر بمصر الغلاء الذي ما عهد بمثله منذ زمان يوسف عليه السلام ودام سبع سنين حتى أكل الناس بعضهم بعضًا حتى قيل: إنه بيع رغيف واحد بخمسين دينارًا - فإنا لله وإنا إليه راجعون - وحتى إن المستنصر هذا بقي يركب وحده وخواصه ليس لهم دواب يركبونها وإذا مشوا سقطوا من الجوع وآل الأمر إلى أن استعار المستنصر بغلة يركبها من صاحب ديوان الإنشاء.

وآخر شيء نزحت أم المستنصر وبناته إلى بغداد خوفًا من أن يمتن جوعًا.

وكان ذلك في سنة ستين وأربعمائة.

ولم يزل هذا الغلاء حتى تحرك الأمير بدر الجمالي والد الأفضل أمير الجيوش من عكا وركب في البحر وجاء إلى مصر وتولى تدبير الأمور وشرع في إصلاح الأمر.

وتوفي المستنصر في ذي الحجة سنة 487 ه.

وفي دولته كان الرفض والسب فاشيًا مجهرًا والسنة والإسلام غريبًا! فسبحان الحليم الخبير الذي يفعل في ملكه ما يريد.

وقام بعده ابنه المستعلي أحمد أقامه أمير الجيوش الأفضل.

واستقامت الأحوال فخرج أخوه نزار من مصر خفية فسار إلى ناصر الدولة أمير الإسكندرية فأعانه ودعا إليه فتمت بين أمير الجيوش وبينهم حروب وأمور إلى أن ظفر بهم.

انتهى كلام الذهبي في أمر المستنصر.

ونشرع الآن في ذكر المستنصر وأمر الغلاء بأوسع مما ذكره الذهبي من أقوال جماعة من المؤرخين وغيرهم.

قال العلامة أبو المظفر في تاريخه: ولم يل أحد من الخلفاء الأمويين ولا العباسيين ولا المصريين مثل هذه المدة يعني مدة إقامة المستنصر في الخلافة ستين سنة قال: وعاش المستنصر سبعًا وستين سنة وخمسة أشهر في الهزاهز والشدائد والوباء والغلاء والجلاء والفتن.

وكان القحط في أيامه سبع سنين مثل سني يوسف الصديق صلوات الله وسلامه عليه من سنة سبع وخمسين إلى سنة أربع وستين وأربعمائة.

أقامت البلاد سبع سنين يطلع النيل فيها وينزل ولا يوجد من يزرع لموت الناس واختلاف الولاة والرعية فاستولى الخراب على كل البلاد ومات أهلها وانقطعت السبل برًا وبحرًا.

وكان معظم الغلاء سنة اثنتين وستين.

وقال أبو يعلى بن القلانسي: في أيامه يعني المستنصر ثارت الفتن في بني حمدان وأكابر القواد وغلت الأسعار واضطربت الأحوال واختلت الأعمال وحصر في قصره وطمع فيه.

ولم يزل على ذلك حتى استدعى أمير الجيوش بدرًا الجمالي من عكا إلى مصر فاستولى على التدبير وقتل جماعة ممن يطلب الفساد فتمهدت الأمور ولم يبق للمستنصر أمر ولا نهي إلا الركوب في العيدين.

ولم يزل كذلك حتى مات بدر الجمالي وقام بعده ولده الأفضل.

ولما مات المستنصر وقام المستعلي مقامه وتقررت الأمور خرج عبد الله ونزار ابنا المستنصر خفية وقصد نزار الإسكندرية إلى ناصر الدولة واليها وجرت بينه وبين الأفضل حروب بسبب ذلك إلى أن ثبت أمر المستعلي.

انتهى كلام أبي يعلى باختصار.

قلت: وأما ما ذكره الذهبي رحمه الله - من الخطبة للمستنصر على منابر بغداد وبالعراق كله وخلع القائم بأمر الله العباسي من الدعوة فكان من قصته أن السلطان طغرلبك اشتغل بحصار تلك النواحي ونازل الموصل ثم توجه إلى نصيبين لفتح الجزيرة وتمهيدها.

وأرسل الأمير أبو الحارث أرسلان المعروف بالبساسيري إلى إبراهيم ينال أخي السلطان طغرلبك لينجده فأخذ البساسيري يعده ويمنيه ويطمعه في الملك حتى أصغى إليه وخالف أخاه طغرلبك.

وساق إبراهيم ينال في طائفة من العسكر إلى الري.

وبلغ السلطان طغرلبك خبر عصيان إبراهيم فانزعج وسار وراءه وترك بعض عسكره في ديار بكر مع زوجته الخاتون ووزيره عميد الملك الكندري فتفرقت العساكر.

وعادت زوجته الخاتون بالعسكر الذي صحبها إلى بغداد.

وأما زوجها السلطان طغرلبك فإنه التقى هو وأخوه إبراهيم ينال وتقاتلا فظفر عليه أخوه إبراهيم ينال وانهزم السلطان طغرلبك إلى همذان فساق أخوه إبراهيم خلفه وحاصره بها.

فعزمت الخاتون على إنجاد زوجها.

واختبطت بغداد وعظم البلاء بها وقامت الفتنة على ساق.

وتم للأمير أبي الحارث أرسلان البساسيري ما دبره من المكر.

وأرجف الناس ببغداد بمجيء البساسيري.

ونفر الوزير عميد الملك وزير طغرلبك والأمير أنوشروان إلى الجانب الغربي من بغداد وقطعا الجسر.

ونهبت الغز دار خاتون.

وأكل القوي الضعيف.

ووقع ببغداد وأعمالها أمور هائلة شنعة.

ثم دخل الأمير أبو الحارث أرسلان البساسيري بغداد في ثامن ذي القعدة بالرايات المستنصرية وعليها ألقاب المستنصر هذا صاحب مصر فمال إلى البساسيري أهل باب الكرخ وفرحوا به لكونهم رافضة والبساسيري وخلفاء مصر أيضًا رافضة فانضموا إلى البساسيري وتشفوا من أهل السنة وشمخت أنوف المنافقين الرافضة وأعلنوا بالأذان ب حي على خير العمل ببغداد.

واجتمع خلق من أهل السنة على الخليفة القائم بأمر الله العباسي وقاتلوا معه وفشت الحرب بين الفريقين في السفن أربعة أيام.

وخطب يوم الجمعة ثالث عشر ذي القعدة ببغداد للمستنصر هذا صاحب الترجمة بجامع المنصور وأذنوا ب حي على خير العمل.

وعقد الجسر وعبرت عساكر البساسيري إلى الجانب الشرقي فخندق الخليفة القائم بأمر الله على نفسه حول داره وحول نهر المعلى فأحرقت الغوغاء نهر المعلى ونهبت ما فيه وقوي البساسيري وتفلل عن الخليفة القائم أكثر الناس.

فاستجار القائم بقريش بن بدران أمير العرب وكان مع البساسيري فأجاره ومن معه وأخرجه إلى مخيمه.

وقبض البساسيري على وزير القائم بأمر الله رئيس الرؤساء أبي القاسم بن المسلمة وقيده وشهره على جمل وعليه طرطور وعباءة وجعل في رقبته قلائد كالمسخرة وطيف به بالشوارع وخلفه من يصفعه ثم سلخ له ثور وألبس جلده وخيط عليه وجعلت قرون الثور في رأسه ثم علق على خشبة وعمل في فيه كلوبان فلم يزل يضطرب حتى مات رحمه الله.

ونصب للقائم الخليفة خيمة صغيرة بالجانب الشرقي في المعسكر ونهبت العامة دار الخلافة فأخذوا منها ما لا يحصى ولا يوصف كثرة.

فلما كان يوم الجمعة رابع ذي الحجة لم تصل الجمعة بجامع الخليفة وخطب بسائر الجوامع للمستنصر المذكور وقطعت الخطبة العباسية بالعراق.

وهذا شيء لم يفرح به أحد من آباء المستنصر.

ثم حمل القائم بأمر الله إلى حديثة عانة فجلس بها وسلم إلى صاحبها مهارش.

وذلك أن البساسيري وقريشًا اختلفا في أمر القائم بأمر الله ثم وقع اتفاقهما بعد أمور على أن يكون عند مهارش إلى أن يتفقا على ما يتفقان عليه في أمره.

ثم جمع أبو الحارث أرسلان البساسيري القضاة والأشراف ببغداد وأخذ عليهم البيعة للمستنصر العبيدي صاحب الترجمة فبايعوا قهرًا على رغم الأنف.

وقال الشيخ عز الدين بن الأثير في تاريخه: إن إبراهيم ينال كان أخوه السلطان طغرلبك قد ولاه الموصل عام أول وإنه في سنة خمسين فارق الموصل ورحل نحو بلاد الجبل فنسب السلطان رحيله إلى العصيان فبعث وراءه رسولا معه الفرجية التي خلعها عليه الخليفة.

ولما فارق الموصل قصدها البساسيري وقريش بن بدران وحاصراها وأخذا البلد ليومه وبقيت القلعة فحاصراها أربعة أشهر حتى أكل أهلها دوابهم ثم سلموها بالأمان فهدمها البساسيري وعفى أثرها.

وسار طغرلبك بجريدة في ألفين إلى الموصل فوجد البساسيري وقريشًا فارقاها فساق وراءهم ففارقه أخوه وطلب همذان فوصلها في رمضان.

قال: وقد قيل إن المصريين كاتبوه وإن البساسيري استماله وأطمعه في السلطنة فسار طغرلبك في أثره يعني أثر أخيه إبراهيم ينال.

قال: وأما البساسيري فوصل إلى بغداد في ثامن ذي القعدة ومعه أربعمائة فارس على غاية الضر والفقر فنزل بمشرعة الروايا ونزل قريش في مائتي فارس عند مشرعة باب البصرة ومالت العامة للبساسيري: أما الشيعة فللمذهب وأما أهل السنة فلما فعل بهم الأتراك.

وكان رئيس الرؤساء لقلة معرفته بالحرب ولما عنده من ضعف البساسيري يرى المبادرة إلى الحرب فاتفق أنه في بعض الأيام التي تحاربوا فيها حضر القاضي الهمذاني عند رئيس الرؤساء ثم استأذن في الحرب وضمن له قتل البساسيري فأذن له من غير أن يعلم عميد العراق وكان رأي عميد العراق المطاولة رجاء أن ينجدهم طغرلبك فخرج الهمذاني بالهاشميين والخدم والعوام إلى الحلبة وأبعدوا والبساسيري يستجرهم.

فلما أبعدوا حمل عليهم فانهزموا وقتل جماعة وهلك آخرون في الزحمة بباب الأزج.

وكان رئيس الرؤساء واقفًا دون الباب فدخل داره وهرب كل من في الحريم ولطم عميد العراق على وجهه كيف استبد رئيس الرؤساء بالأمر ولا معرفة له بالحرب.

فاستدعى الخليفة عميد العراق وأمره بالقتال على سور الحريم فلم يرعهم إلا الزعقات وقد نهب الحريم ودخلوا من باب النوبي فركب الخليفة لابسًا للسواد وعلى كتفه البردة وعلى رأسه اللواء وبيده السيف وحوله زمرة من العباسيين والخدم بالسيوف المسللة فرأى النهب إلى باب الفردوس من داره فرجع إلى ورائه نحو عميد العراق فوجده قد استأمن إلى قريش فعاد وصعد إلى المنظرة.

وصاح رئيس الرؤساء: علم الدين يعني قريشًا أمير المؤمنين يستدنيك فدنا منه فقال: قد أنالك الله منزلة لم ينلها أمثالك وأمير المؤمنين يستذم منك على نفسه وأصحابه بذمام الله وذمام رسوله وذمام العربية فقال: قد أذم الله تعالى له قال: ولي ولمن معه قال نعم وخلع قلنسوته وأعطاها الخليفة وأعطى رئيس الرؤساء بحضرته ذمامًا.

فنزل إليه الخليفة ورئيس الرؤساء وسارا معه.

فأرسل إليه البساسيري يقول: أتخالف ما استقر بيننا - وكانا قد تحالفا ألا ينفرد أحدهما عن الآخر بشيء ويكون العراق بينهما نصفين - فقال قريش: ما عدلت عما استقر بيننا

عدوك ابن المسلمة يعني رئيس الرؤساء فخذه وأنا آخذ الخليفة فرضي البساسيري بذلك.

فبعث رئيس الرؤساء إليه مع منصور بن مزيد فحين رآه البساسيري قال: مرحبًا بمدمر الدولة ومهلك الأمم ومخرب البلاد ومبيد العباد.

فقال له: أيها الأجل العفو عند المقدرة.

فقال: قد قدرت فما عفوت وأنت تاجر صاحب طيلسان ولم تبق على الحريم والأموال والأطفال فكيف أعفو عنك وأنا صاحب سيف وقد أخذت أموالي وعاقبت أصحابي ودرست دوري وسبيتني وأبعدتني!.

واجتمع العوام على ابن المسلمة يعني رئيس الرؤساء وسبوه ولعنوه وهموا به.

فأخذه البساسيري بيده وسيره إلى جانبه خوفًا عليه من العامة.

وحصل في يد البساسيري جميع من كان يطلبه مثل ابن المردرسي وأبي عبد الله الدامغاني قاضي القضاة وهبة الله بن المأمون وأبي علي بن السيرواني وأبي عبد الله بن عبد الملك وكان من التجار الكبار وبينه وبين البساسيري عداوة وكان قد سكن في دار الخلافة خوفًا منه على ماله ونعمته.

وظفر بالسيدة خاتون بنت الأمير داود زوجة الخليفة فأحسن معاملتها ولم يتعرض لها.

وأما قريش فحصل في يده الخليفة وعميد العراق وأبو منصور بن يوسف وولده فحمل الخليفة إلى معسكره راكبًا وعلى كتفه البردة وبيده سيف مسلول وعلى رأسه اللواء.

ولحق الخليفة ذرب عظيم قام منه في اليوم مرارًا وامتنع من الطعام والشراب فسأله قريش وألح عليه حتى أكل وشرب وحمله في هودج وسار به إلى حديثة عانة فنزل بها.

وسار حاشية الخليفة على حامية إلى السلطان طغرلبك مستنفرين له.

ولما وصل الخليفة إلى الأنبار شكا البرد فبعث يطلب من متوليها ما يلبس فأرسل إليه جبة ولحافًا.

وركب البساسيري يوم الأضحى وعلى رأسه الألوية المصرية وعبر إلى المصلى بالجانب الشرقي وأحسن إلى الناس وأجرى الجرايات على الفقهاء ولم يتعصب لمذهب وأفرد لوالدة الخليفة دارًا وراتبًا وكانت قد قاربت التسعين سنة.

ثم في آخر ذي الحجة أخرج رئيس الرؤساء مقيدًا وعلى رأسه طرطور وفي رقبته مخنقة جلود وهو يقرأ: " قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء.

.

.

" الآية.

فبصق أهل الكرخ في وجهه لأنه كان متعصبًا لأهل السنة رحمه الله ثم صلب على صورة ما ذكرناه أولا.

وأما عميد العراق فقتله البساسيري أيضًا وكان شجاعًا شهمًا وهو الذي بنى رباط شيخ الشيوخ.

ثم بعث البساسيري البشائر إلى مصر وكان وزير المستنصر هناك أبا الفرج ابن أخي أبي القاسم المغربي وكان أبو الفرج ممن هرب من البساسيري فذم للمستنصر فعله وخوفه من سوء عاقبته فتركت أجوبته مدة ثم عادت على البساسيري بغير الذي أمله فسار البساسيري إلى البصرة وواسط وخطب بهما أيضًا للمستنصر.

وأما طغرلبك فإنه انتصر في الآخر على أخيه إبراهيم ينال وقتله وكر راجعًا إلى العراق ليس له هم إلا إعادة الخليفة إلى رتبته.

وفي الجملة أن الذي حصل للمستنصر في هذه الواقعة من الخطبة باسمه في العراق وبغداد لم يحصل ذلك لأحد من آبائه وأجداده.

ولولا تخوف المستنصر من البساسيري أو تحريضه على ما هو بصدده لكانت دعوته تتم بالعراق زمانًا طويلا فإنه كان أولا أمد البساسيري بجمل مستكثرة.

فلو دام المستنصر على ذلك لكان البساسيري يفتتح له عدة بلاد.

قال الحسن بن محمد العلوي: " إن الذي وصل إلى البساسيري من المستنصر من مال خمسمائة ألف دينار ومن الثياب ما قيمته مثل ذلك وخمسمائة فرس وعشرة آلاف قوس ومن السيوف ألوف ومن الرماح والنشاب شيء كثير.

يعني قبل هذه الواقعة ولهذا قلنا: لو دام المستنصر على عطائه للبساسيري لكان افتتح له عدة بلاد.

قلت: ولله الحمد على ما فعله المستنصر من التقصير في حق البساسيري وإلا لكانت السنة تذهب بالعراق وتملكها الرافضة بأجمعها كما كان وقع بمصر ولما خطب البساسيري في بغداد باسم المستنصر معد هذا غنته مغنية بقولها: الرمل - مجزوء يا بني العباس صدوا ملك الأمر معد ملككم كان معارًا والعواري تسترد فطرب المستنصر لذلك ووهبها أرضًا بمصر رزقة لها جائزة لإنشادها هذا الشعر وتلك الأرض الآن تعرف بأرض الطبالة بالقرب من بركة الرطلي لكونها غنته بهذه الأبيات وهي تطبل بدف كان في يدها فعرفت بأرض الطبالة وحكرت الأرض المذكورة وبنيت.

وكان ما وقع للمستنصر هذا تمام سعده.

ومن حينئذ أخذ أمره في إدبار من وقوع الغلاء والوباء بالديار المصرية.

وقاسى الناس شدائد واختل أمر مصر - على ما سنذكره إن شاء الله تعالى في وقته من هذه الترجمة - من استيلاء ناصر الدولة بن حمدان على ممالك الديار المصرية وزاد ابن حمدان في عطاء الجند حتى نفدت الخزائن وقلت الارتفاعات.

واتفق ابن حمدان مع الشريف أبي طاهر حيدرة بن الحسن الحسيني وكان قد نفاه بدر الجمالي من دمشق وكان محببًا للناس وتلقبه العامة بأمير المؤمنين وكان لما نفاه بدر

الجمالي من دمشق دخل إلى مصر شاكيًا إلى ابن حمدان من بدر الجمالي - فاتفق ابن حمدان والشريف وحازم وحميد ابنا جراح وهما من أمراء عرب الشام وكان لهما في حبس المستنصر نيف وعشرون سنة فأخرجهما ابن حمدان واتفقوا على الفتك ببدر الجمالي فأعطاهم ابن حمدان أربعين ألف دينار ينفقونها في هذا الوجه.

وتحدث ابن حمدان بأن يرتب الشريف إذا عاد مكان المستنصر في الخلافة لنسبه الصحيح.

وانقسم عسكر مصر قسمين: قسمًا مع ابن حمدان وقسمًا عليه وزادت مطالبة ابن حمدان بالأموال حتى استوعبها وأخرج جميع ما في القصر من ثياب وأثاث وباعها بالثمن البخس وحالف الأتراك سرًا على المستنصر.

وعلم المستنصر بما فعله مضافا لما سمع عنه من أمر الشريف فقلق وأرسل لابن حمدان ويقول بأنك قدمت علينا زائرًا وجئتنا ضيفًا فقابلناك بالإحسان وأكرمناك فقابلتنا بما لا نستحقه منك ونحن عليك صابرون وعنك مغضون.

وقد انتهت بك الحال إلى محالفة العسكر علينا والسعي في إتلافنا وما ذاك مما يهمك ونحب أن تنصرف عنا موفورًا في نفسك ومالك وإلا قابلناك على قبيح أفعالك.

فأغلظ ابن حمدان في الجواب واستهزأ بالرسول.

فبعث المستنصر إلى إلدكز الملقب بأسد الدولة وكان شيخ الأتراك والمقدم عليهم وكان من المخالفين على ابن حمدان فاستحضره واستحلفه وتوثق منه ومن جماعة ممن جرى مجراه وجمع الأتراك الذين معه والمغاربة وكتامة إلى باب القصر.

وعرف ابن حمدان بذلك فبرز بخيمة إلى بركة الحبش وأخرج المستنصر خيمته الحمراء وتسمى خيمة الدم فضربها بين القصرين من القاهرة.

واجتمع الناس على المستنصر وركب وسار إلى حرب ابن حمدان.

والتقوا بمكان يعرف بالباب الجديد فورد أكثر من كان مع ابن حمدان بالأمان إلى المستنصر.

وكان في جملة من ورد الأمير أبو علي ابن الملك أبي طاهر بن بويه ثم قتل المذكور بعد ذلك بمدة.

ووقع القتال فانكسر ابن حمدان وهرب بنفسه إلى الإسكندرية ونهبت دوره وأمواله ودور أصحابه.

ومضى ابن حمدان إلى حي من العرب وتزوج منهم وقوي بهم فصار يشن الغارات على أعمال مصر ويبعث إليه المستنصر في كل وقت جيشًا فيهزمه ابن حمدان.

ولا زال على ذلك حتى جمع ابن حمدان جمعًا كبيرًا ونزل الصالحية فخرج إليه من كان يهواه من المشارقة وامتدت عسكره نحو عشرة فراسخ وحاصر مصر فضعف المستنصر عن مقاومته وانحصر بالقاهرة.

وطال الحصار وغلت الأسعار حتى بلغت الراوية الماء ثلاثة عشر قيراطًا وكل ثلاثة عشر رطلا من الخبز دينارًا وعدمت الأقوات فضج العوام فخاف المستنصر أن يسلموه إليه فراسله وصالحه.

واقترح عليه ابن حمدان إبعاد إلدكز ومن يعاديه من المشارقة وأن ينفرد ابن حمدان بالبلاد وتدبير الأمور والعساكر فرضي المستنصر بذلك كله ورفع الحصار عن مصر وعادت الأمور إلى ما كانت عليه.

فهرب غالب من كان مع المستنصر إلى الشام ووفدوا على صاحبها بدر الجمالي.

وكان بدر الجمالي يكره ابن حمدان والشريف المذكور.

ثم ظفر الجمالي بالشريف المذكور وقتله خنقًا.

على ما سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى.

وصار المستنصر في قصره كالمحجور عليه ولا حكم له.

هذا والغلاء بمصر يتزايد حتى إنه جلا من مصر خلق كثير لما حصل بها من الغلاء الزائد عن الحد والجوع الذي لم يعهد مثله في الدنيا فإنه مات أكثر أهل مصر وأكل بعضهم بعضًا.

وظهروا على بعض الطباخين أنه ذبح عدة من الصبيان والنساء وأكل لحومهم وباعها بعد أن طبخها.

وأكلت الدواب بأسرها فلم يبق لصاحب مصر - أعني المستنصر - سوى ثلاثة أفراس بعد أن كانت عشرة آلاف ما بين فرس وجمل ودابة.

وبيع الكلب بخمسة دنانير والسنور بثلاثة دنانير.

ونزل الوزير أبو المكارم وزير المستنصر على باب القصر عن بغلته وليس معه إلا غلام واحد فجاء ثلاثة وأخذوا البغلة منه ولم يقدر الغلام على منعهم لضعفه من الجوع فذبحوها وأكلوها فأخذوا وصلبوا فأصبح الناس فلم يروا إلا عظامهم أكل الناس في تلك الليلة لحومهم.

ودخل رجل الحمام فقال له الحمامي: من تريد أن يخدمك سعد الدولة أو عز الدولة أو فخر الدولة.

فقال له الرجل: أتهزأ بي! فقال: لا والله انظر إليهم فنظر فإذا أعيان الدولة ورؤساؤها صاروا يخدمون الناس في الحمام لكونهم باعوا جميع موجودهم في الغلاء واحتاجوا إلى الخدمة.

وأعظم من هذا أن المستنصر الخليفة صاحب الترجمة باع جميع موجوده وجميع ما كان في قصره حتى أخرج ثيابًا كانت في القصر من زمن الطائع الخليفة العباسي لما نهب بهاء الدولة دار الخليفة في إحدى وثمانين وثلاثمائة وأشياء أخر أخذت في نوبة البساسيري وكانت هذه الثياب التي لخلفاء بني العباس عند خلفاء مصر يحتفظون بها لبغضهم لبني العباس فكانت هذه الثياب عندهم بمصر بسبب المعيرة لبني العباس.

فلما ضاق الأمر على المستنصر أخرجها وباعها بأبخس ثمن لشدق الحاجة.

وأخرج المستنصر أيضًا طستًا وإبريقًا بلورًا يسع الإبريق رطلين ماء والطست أربعة أرطال وأظنه بالبغدادي فبيعا باثني عشر درهما فلوسًا ثم باع المستنصر من هذا البلور ثمانين ألف قطعة.

وأما ما باع من الجواهر واليواقيت والخسرواني فشيء لا يحصى.

وأحصي من الثياب التي أبيعت في هذا الغلاء من قصر الخليفة ثمانون ألف ثوب وعشرون ألف درع وعشرون ألف سيف محلى وباع المستنصر حتى ثياب جواريه وتخوت المهود وكان الجند يأخذون ذلك بأقل ثمن.

وباع رجل دارًا بالقاهرة كان اشتراها قبل ذلك بتسعمائة دينار بعشرين رطل دقيق.

وبيعت البيضة بدينار والإردب القمح بمائة دينار في الأول ثم عدم وجود القمح أصلا.

وكان السودان يقفون في الأزقة يخطفون النساء بالكلاليب ويشرحون لحومهن ويأكلونها.

واجتازت امرأة بزقاق القناديل بمصر وكانت سمينة فعفقها السودان بالكلاليب وقطعوا من عجزها قطعة وقعدوا يأكلونها وغفلوا عنها فخرجت من الدار واستغاثت فجاء الوالي وكبس الدار فأخرج منها ألوفًا من القتلى وقتل السودان.

واحتاج المستنصر في هذا الغلاء حتى إنه أرسل فأخذ قناديل الفضة والستور من مشهد إبراهيم الخليل عليه السلام.

وخرجت امرأة من القاهرة في هذا الغلاء ومعها مد جوهر فقالت: من يأخذ هذا ويعطيني عوضه دقيقًا أو قمحًا فلم يلتفت إليها أحد فألقته في الطريق وقالت: هذا ما ينفعني وقت حاجتي فلا حاجة لي به بعد اليوم فلم يلتفت إليه أحد وهو مبدد في الطريق فهذا أعجب من الأول.

وقيل: إن سبب ما حصل لمصر من الخلل في أول الأمر الفتنة التي كانت بمصر في أيام المستنصر هذا بين الأتراك والعبيد وهو أن المستنصر كان من عادته في كل سنة أن يركب على النجب مع النساء والحشم إلى جب عميرة وهو موضع نزهة فيخرج إليه بهيئة أنه خارج إلى الحج على سبيل الهزء والمجانة ومعه الخمر في الروايا عوضًا عن الماء ويسقيه الناس كما يفعل بالماء في طريق مكة.

فلما كان في جمادى الآخرة خرج على عادته المذكورة فاتفق أن بعض الأتراك جرد سيفًا في سكرته على بعض عبيد الشراء فاجتمع عليه طائفة من العبيد فقتلوه فاجتمع الأتراك بالمستنصر هذا وقالوا له: إن كان هذا عن رضاك فالسمع والطاعة وإن كان عن غير رضاك فلا ترضى بذلك فأنكر المستنصر ذلك فاجتمع جماعة من الأتراك وقتلوا جماعة من العبيد بعد أن حصل بينهم وبين العبيد قتال شديد على كوم شريك وانهزم العبيد من الأتراك.

وكانت أم المستنصر تعين العبيد بالأموال والسلاح فظفر بعض الأيام أحد الأتراك بذلك فجمع طائفة الأتراك ودخلوا على المستنصر وقاموا عليه وأغلظوا له في القول فحلف لهم أنه لم يكن عنده خبر.

وصار السيف قائمًا بينهم.

ثم دخل المستنصر على والدته وأنكر عليها.

ودامت الفتنة بين الأتراك والعبيد إلى أن سعى وزير الجماعة أبو الفرج بن المغربي - وأبو الفرج هذا هو أول من ولي كتابة الإنشاء بمصر - ولا زال الوزير أبو الفرج هذا يسعى بينهم حتى اصطلحوا صلحًا يسيرًا فاجتمع العبيد وخرجوا إلى شبرى دمنهور.

فكانت هذه الواقعة أول الاختلاف بديار مصر فإنه قتل من الأتراك والعبيد خلائق كثيرة وفسدت الأمور فطمع كل أحد.

وكان سبب كثرة السودان ميل أم المستنصر إليهم فإنها كانت جارية سوداء لأبي سعد التستري اليهودي.

فلما ولي المستنصر الخلافة ومات الوزير صفي الدين الجرجرائي في سنة ست وثلاثين حكمت والدة المستنصر على الدولة واستوزرت سيدها أبا سعد المذكور ووزر لابنها المستنصر الفلاحي فلم يمش له مع أبي سعد حال فاستمال الأتراك وزاد في واجباتهم حتى قتلوا أبا سعد المذكورة فغضبت لذلك أم المستنصر وقتلت أبا منصور الفلاحي وشرعت في شراء العبيد السود وجعلتهم طائفة واستكثرت منهم.

فلما وقع بينهم وبين الأتراك قامت في نصرهم.

وقال الشيخ شمس الدين بن قزأوغلي في المرآة: وكل هذه الأشياء كان ابن حمدان سببها ووافق ذلك انقطاع النيل وضاقت يد أبي هاشم محمد أمير مكة بانقطاع ما كان يأتيه من مصر فأخذ قناديل الكعبة وستورها وصفائح الباب والميزاب وصادر أهل مكة فهربوا.

وكذا فعل أمير المدينة مهنأ وقطعا الخطبة للمستنصر وخطبا لبني العباس الخليفة القائم بأمر الله وبعثا إلى السلطان ألب أرسلان السلجوقي حاكم بغداد بذلك وأنهما أذنا بمكة والمدينة الأذان المعتاد وتركا الأذان ب حي على خير العمل فأرسل ألب أرسلان إلى صاحب مكة أبي هاشم المذكور بثلاثين ألف دينار وإلى صاحب المدينة بعشرين ألف دينار.

وبلغ الخبر بذلك المستنصر فلم يلتفت إليه لشغله بنفسه ورعيته من عظم الغلاء.

وقد كاد الخراب أن يستولي على سائر الإقليم.

ودخل ابن الفضل على القائم بأمر الله العباسي ببغداد وأنشده في معنى الغلاء الذي شمل مصر قصيدة منها: الطويل.

وقد علم المصري أن جنوده سنو يوسف منها وطاعون عمواس أحاطت به حتى استراب بنفسه وأوجس منها خيفة أي إيجاس قلت: وهذا شأن أرباب المناصب إذا عزل أحدهم بآخر أراد هلاكه ولو هلك العالم معه.

وهذا البلاء من تلك الأيام إلى يومنا هذا.

ثم في

سنة ست وستين سار بدر الجمالي أمير الجيوش من عكا إلى مصر

ومعه عبد الله بن المستنصر باستدعاء المستنصر بعد قتل ابن حمدان بمدة.

واسم ابن حمدان الحسن بن الحسين بن حمدان أبو محمد التغلبي الأمير ناصر الدولة ذو المجدين.

سبب قتل ابن حمدان المذكور وسببه أنه كان ابن حمدان اتفق مع إلدكز التركي وكان إلدكز تزوج بابنته فاتفقا اتفاقا كليًا وتحالفا وأمن أحدهما للآخر.

ووصل ناصر الدولة إلى مصر - أعني بعد توجهه إلى الإسكندرية حسب ما ذكرناه - على طمأنينة مرتبًا للمواكب والعساكر فركب إلدكز يوم الجمعة مستهل شهر رمضان في خمسين فارسًا وكان له غلام يقال له: أبو منصور كمشتكين ويلقب حسام الدولة وكان يثق به فقال له إلدكز: أريد أن أطلعك على أمر لم أر له أهلا غيرك قال: وما هو قال: قد علمت ما فعل ابن حمدان بالمسلمين من سفك الدماء والغلاء والجلاء وقد عزمت على قتله فهل فيك موافقة ومشاركة وأريح الإسلام منه فقال نعم ولكن أخاف أن يفلت فتتبرأ مني قال لا.

وقصدوا ابن حمدان قبل أن يلحقه أصحابه واستأذنوا عليه فأذن لهم فدخلوا والفراشون ينفضون البسط ليقعد عليها ابن حمدان وهو يتمشى في صحن الدار ومشى إلدكز معه ثم تأخر عنه وضربه بيافروت كان معه وهو سكين مغربي في خاصرته وضربه كمشتكين فقطع رجليه فصاح: فعلتموها! فحزوا رأسه.

وكان محمود بن ذبيان أمير بني سنبس في خزانة الشراب فدخلوا عليه وقتلوه.

ثم خرجوا إلى دار كان فيها فخر العرب ابن حمدان وقد شرب دواء وعنده الأمير شاور فقتلوهما.

وخرجوا إلى خيمة الأمير تاج المعالي بن حمدان أخي ناصر الدولة وكان على عزم المسير إلى الصعيد فهرب إلى خراب مقابل خيمته فكمن فيه فرآه بعض العبيد فأعطاه معضدة فيها مائة دينار وقال له: اكتم علي فأخذها العبد وجاء إلى إلدكز ونم عليه فدخل وقتله.

وانهزم ابن أخي ابن المدبر في زي المكدين فأخذ وكان قد تزوج بإحدى بنات نزار ابن المستنصر الخليفة فقطع ذكره وجعل في فمه ثم قتل.

وقطع ابن حمدان قطعًا وأنفذ كل قطعة إلى بلد.

وجاءوا إلى القصر إلى الخليفة المستنصر هذا ومعهم الرؤوس وأرسلوا إلى الخليفة وقالوا: قد قتلنا عدوك وعدونا من أخرب البلاد وقتل العباد ونريد من المستنصر الأموال.

فقال المستنصر: أما المال فما ترك ابن حمدان عندي مالا.

وأما ابن حمدان فما كان عدوي وإنما كانت الشحنة بينك وبينه يا إلدكز فهلكت الدنيا بينكما وإني ما اخترت ما فعلت من قتله ولا رضيته وستعلم غب الغدر ونقض العهد.

ووقع بينهما كلام كثير.

وآل الأمر إلى بيع المستنصر قطع مرجان وعروضًا وحمل إلى إلدكز ورفقته مالا من أثمان ذلك وغيره.

ثم علم المستنصر أن أمره يؤول مع إلدكز إلى شر حال فلذلك أرسل أحضر بدرًا الجمالي المقدم ذكره.

ولما حضر بدر الجمالي إلى مصر وجد إلدكز تغلب عليها.

وكان إلدكز قد وصل إلى دمياط وبها ابن المدبر وكان قد هرب منه فقتله وصلبه وعاد إلى مصر واتفق مع بدر الجمالي وتحالفا وتعاهدا.

فلم يكن إلا مدة يسيرة وقبض بدر الجمالي على إلدكز وأهانه وعذبه وطالبه بالمال فلم يظهر سوى اثني عشر ألف دينار وكان له من الأموال والجواهر شيء كثير إلا أنه لم يقر به فقتله بدر الجمالي وقيل: هرب إلى الشام.

وأخذ بدر الجمالي في إصلاح أمور الديار المصرية: انتزع الشرقية من أيدي عرب لواتة وقتل منهم مقتلة عظيمة وأسر أمراءهم وأخذ منهم أموالا جمة وعمر الريف فرخصت الأسعار ورجعت إلى عادتها القديمة.

ثم أخذ الإسكندرية وسلمها إلى القاضي ابن المحيرق.

وأصلح أموال الصعيد واستدعى أكابرهم إليه فجاءه منهم الكثير.

وصلح الحال لهلاك الأضداد ورفعت الفتن وانفرد أمير الجيوش بدر الجمالي بالأمر إلى أن مات في خلافة المستنصر.

وتولى بعده ابنه الأفضل شاهنشاه ابن أمير الجيوش بدر الجمالي المذكور.

ويأتي ذكر ذلك وغيره مما ذكرنا من الغلاء والفناء والحروب في الحوادث المتعلقة بالمستنصر من سنين خلافته على سبيل الاختصار كما هو عادة هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

ودام المستنصر في الخلافة وهو كالمحجوز عليه مع بدر الجمالي ثم من بعده مع ولده الأفضل شاهنشاه إلى أن توفي بالقاهرة في يوم عيد الفطر وهو يوم الخميس سنة سبع وثمانين وأربعمائة.

وبايع الناس ابنه أحمد من بعده ولقب بالمستعلي بالله.

وقام الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالي بتدبير ملكه.

وقد تقدم مدة إقامة المستنصر في الخلافة وكم عاش من السنين في أول ترجمته فيطلب هناك.

ومما رثي به المستنصر قول حظي الدولة أبي المناقب عبد الباقي بن علي التنوخي الشاعر: الطويل.

وليس ردى المستنصر اليوم كالردى ولا أمره أمر يقاس به أمر لقد هاب ملك الموت إتيانه ضحى ففاجأه ليلا ولم يطلع الفجر فأجرى عليه حين مات دموعنا سماء فقال الناس

لا بل هو القطر وقد بكت الخنساء صخرًا وإنه ليبكيه من فرط المصاب به الصخر وقلدها المستعلي الظهر حسب ما عليه قديمًا نص والده الطهر وهي سنة ثمان وعشرين وأربعمائة.

فيها في المحرم خلع الخليفة القائم بأمر الله على الأفضل أبي تمام محمد بن محمد بن علي الزينبي الحنفي العلوي وفوض إليه نقابة الهاشميين والصلاة وأمره باستخلاف أبي منصور محمد على ذلك وأحضر الخليفة القضاة والأعيان وقال لهم: قد عولنا على محمد بن محمد بن علي الزينبي في نقابة أهله من العباسيين رعاية لحقوق سالفة.

فقبل أبو تمام الأرض وخلع عليه السواد والطيلسان ونقب عميد الرؤساء.

وفيها لم يحج أحد من العراق.

وحج الناس من مصر وغيرها.

وفيها توفي أحمد بن محمد بن أحمد بن جعفر بن حمدان الإمام العلامة أبو الحسين الحنفي الفقيه البغدادي المشهور بالقدوري.

قال أبو بكر الخطيب: لم يحدث إلا شيئًا يسيرًا كتبت عنه وكان صدوقًا انتهت إليه بالعراق رياسة أصحاب أبي حنيفة وعظم عندهم قدره وارتفع جاهه وكان حسن العبارة في النظر جريء اللسان مديمًا للتلاوة.

قلت: والفضل ما شهدت به الأعداء ولولا أن شأن هذا الرجل كان قد تجاوز الحد في العلم والزهد ما سلم من لسان الخطيب بل مدحه مع عظم تعصبه على الساعة الحنفية وغيرهم فإن عادته ثلم أعراض العلماء والزهاد بالأقوال الواهية والروايات المنقطعة حتى أشحن تاريخه من هذه القبائح.

وصاحب الترجمة هو مصنف مختصر القدوري في فقه الحنفية وشرح مختصر الكرخي في عدة مجلدات وأملى التجريد في الخلافيات أملاه في سنة خمس وأربعمائة وأبان فيه عن حفظه لما عند الدار قطني من أحاديث الأحكام وعللها وصنف كتاب التقريب الأول في الفقه في خلاف أبي حنيفة وأصحابه في مجلد والتقريب الثاني في عدة مجلدات.

وكانت وفاته في منتصف رجب من السنة.

ومولده سنة اثنتين وستين وثلاثمائة.

وقد روينا جزأه المشهور عن الشيخ رضوان بن محمد العقبي عن أبي الطاهر بن الكويك عن محمد بن البلوي أنا عبد الله بن عبد الواحد بن علاق أنا فاطمة بنت سعد الخير الأنصارية أنا أبو بكر بن أبي طاهر أنا العلامة أبو الحسين القدوري رحمه الله تعالى.

وفيها توفي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا الرئيس أبو علي صاحب الفلسفة والتصانيف الكثيرة.

كان إمام عصره في الحكمة وعلوم الأوائل بل كان إمامًا في سائر العلوم.

وتصانيفه كثيرة في فنون العلوم حتى قيل عنه: إنه ليس في الإسلام من هو في رتبته.

قال أبو عبد الله الذهبي: كان ابن سينا آية في الذكاء وهو رأس الفلاسفة الإسلاميين الذين مشوا خلف العقول وخالفوا الرسول - قلت: لم يكن ابن سينا بهذه المثابة بل كان حنفي المذهب تفقه على الإمام أبي بكر بن أبي عبد الله الزاهد الحنفي - وتاب في مرض موته وتصدق بما كان معه وأعتق مماليكه ورد المظالم على من عرفه وجعل يختم في كل ثلاثة أيام ختمة إلى أن توفي يوم الجمعة في شهر رمضان.

قلت: ومن يمشي خلف العقول ويخالف الرسول لا يقلد الأحكام الشرعية ولا يتقرب بتلاوة القرآن العظيم.

وفيها توفي محمد بن أحمد بن أبي موسى أبو علي الهاشمي البغدادي شيخ الحنابلة وعالمهم وصاحب التصانيف الكثيرة.

مات في شهر ربيع الآخر.

وفيها توفي مهيار بن مرزويه الديلمي أبو الحسن الكاتب الشاعر المشهور كان مجوسيًا فأسلم على يد الشريف الرضي وهو أستاذه في الأدب والنظم والتشيع.

اشتغل حتى مهر في الأدب والكتابة والتشيع حتى صار من كبار الشعراء الروافض.

قال أبو القاسم بن برهان النحوي: كان مجوسيًا فأسلم في سنة أربع وتسعين وثلاثمائة فقلت له: يا أبا الحسن انتقلت بإسلامك من زاوية في جهنم قال: وكيف قلت: لأنك كنت مجوسيًا ثم صرت تتعرض لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمجوسي والرافضي في النار.

انتهى.

قلت: وأما شعر مهيار ففي غاية الجودة.

فمن ذلك قوله: البسيط.

أستنجد الصبر فيكم وهو مغلوب ** وأسأل النوم عنكم وهو مسلوب

وأبتغي عندكم قلبًا سمحت به ** وكيف يرجع شيء وهو مـوهوب

أظلت علينا منك يومًا غمامة ** أضاء لها برق وأبطا رشاشهـــا

فلا غيمها يجلى فييأس طامع ** ولا غيثها يأتي فيروى عطاشـها

وفيها توفي الحسن بن عبد الله بن حمدان ناصر الدولة أبو المطالح التغلبي ويعرف بذي القرنين ووجيه الدولة.

ولي إمرة دمشق للحاكم بأمر الله ثم عزل عنها بلؤلؤ ثم أعيد إليها سنة خمس عشرة وأربعمائة من قبل الظاهر بن الحاكم ومات بها وقيل بمصر.

وكان شاعرًا أديبًا شجاعًا فصيحًا.

ومن شعره: الرمل.

موعدي بالبين ظنا أنني بالبين أشقى ما أرى بين مماتي وفراقي لك فرقا لا تهددني ببين لست منه أتوقى إنما يشقى ببين منك من بعدك يبقى أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربع وثماني عشرة إصبعًا.

مبلغ الزيادة خمس عشرة ذراعًا وتسع أصابع.

فيها توفي عبد الرحمن بن عبد الله بن علي أبو علي العدل ويعرف بابن أبي العجائز ولد سنة أربعين وثلاثمائة بدمشق وبها مات في المحرم وكان ثقة سمع الحديث ورواه روى عنه غير واحد قال: وحدثنا محمد بن سليمان الربعي عن محمد بن تمام الحراني عن محمد بن قدامة قال: أتينا سفيان بن عيينة فحجبنا فجاء خادم لهارون الرشيد يقال له حسين في طلبه فأخرجه فقدنا إليه فقلنا: أما أهل الدنيا فيصلون إليك وأما نحن فلا نصل! فنظر إلينا وقال: لا أفلح صاحب عيال ثم أنشد: البسيط.

اعمل بعلمي ولا تنظر إلى عملي ينفعك علمي ولا يضررك تقصيري ثم قال: بم تشبهون قوله عليه الصلاة والسلام إخبارًا عن ربه تعالى: " ما أشغل عبدي ذكري عن مسألتي إلا أعطيته أفضل ما أعطي السائلين " فقلنا: قل يرحمك الله فقال قول القائل: الكامل - مجزوء.

وفتى خلا من ماله ومن المروءة غير خال أعطاك قبل سؤاله وكفاك مكروه السؤال
وفيها توفي أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد الله العلوي الطلمنكي الحافظ كان إمامًا حافظًا محدثًا.

مات في ذي الحجة وله تسعون سنة.

وفيها توفي الحسن بن علي بن الصقر الإمام الكاتب المقرئ صاحب زيد بن أبي بلال الكوفي كان فاضلًا قرأ القراءات بالروايات وبرع في فنون.

وفيها توفي أبو الوليد يونس بن عبد الله بن محمد بن مغيث المقرئ القرطبي الفقيه المعروف بابن الصفار قاضي الجماعة كان من أوعية العلم كان فقيهًا محدثًا عالمًا زاهدًا.

مات في شهر رجب.

أمر النيل

في هذه السنة: الماء القديم أربع أذرع وخمس أصابع.

مبلغ الزيادة خمس عشرة ذراعًا وعشرون إصبعًا.

السنة الثالثة من خلافة المستنصر وهي سنة ثلاثين وأربعمائة.

فيها سأل جلال الدولة الخليفة القائم بأمر الله أن يلقب ابنه لقبًا فلقبه الملك العزيز وكان مقيمًا بواسط.

قلت: وهذا أول لقب سمعناه من ألقاب ملوك الأتراك وغيرهم من ملوك زماننا.

وفيها استولى بنو سلجوق على خراسان والجبال وهرب منهم السلطان مسعود بن محمود بن سبكتكين إلى غزنة واقتسموا البلاد.

وهذا أول ظهور بني سلجوق الآتي ذكرهم في عدة أماكن.

وأصلهم أتراك من ما وراء النهر فزوج سلجوق ابنته من رجل يعرف بعلي تكين فأفسدوا على محمود بن سبكتكين البلاد بالنهب والغارات فقصدهم محمود بن سبكتكين فقبض على سلجوق المذكور وهرب علي تكين وطغرلبك واسمه محمد بن ميكائيل بن سلجوق وبقي طغرلبك في أربعة آلاف خركاه إلى أن توفي محمود بن سبكتكين واشتغل ابنه مسعود بن محمود بن سبكتكين باللهو.

فصار أمر طغرلبك ينمو إلى مسعودًا وهزمه واستولى على خراسان وولى أخاه داود مرو وسرخس وبلخ وولى ابن عمه الحسن بن موسى هراة وبوشنج وسجستان.

وولى أخاه لأمه إبراهيم ينال دهستان.

وعظم أمر طغرلبك إلى أن كان من أمره ما سنذكره في عدة أماكن إن شاء الله تعالى.

وفيها توفي أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الحافظ أبو نعيم الأصبهاني الصوفي والأحول سبط الزاهد محمد بن يوسف البناء كان أحد الأعلام جمع بين علو الرواية وكثرة الدراية ورحل إليه من الأقطار وألحق الصغار بالكبار وولد سنة ست وثلاثين وثلاثمائة بأصبهان.

واستجاز له أبوه طائفة من شيوخ العصر حتى تفرد في آخر عمره في الدنيا عنهم.

وفيها توفي عبد الملك بن محمد بن عبد الله الشيخ أبو القاسم البغدادي الواعظ.

كان مسند العراق في زمانه سمع الحديث وروى الكثير.

قال أبو بكر الخطيب: كتبنا عنه وكان ثقة ثبتًا صالحًا ولد سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة.

وفيها توفي موسى بن عيس بن أبي حاج الفاسي المقرئ الإمام أبو عمران الفاسي الدار الغفجومي النسب - وغفجوم: قبيلة من زناتة - البربري الفقيه المالكي نزيل القيروان وإليه انتهت رياسة العلم بها.

تفقه على أبي الحسن القابسي وهو أجل أصحابه ودخل الأندلس فتفقه على أبي محمد الأصيلي وسمع وحدث وحج غير مرة وكان من كبار العلماء.

وفيها توفي الفضل بن منصور أبو الرضا البغدادي المعروف بابن الظريف كان شاعرًا أديبًا.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربع أذرع وست أصابع مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا وعشرون إصبعًا.

السنة الرابعة من خلافة المستنصر وهي سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة.

فيها توفي محمد بن علي بن أحمد بن يعقوب بن مروان القاضي أبو العلاء الواسطي أصله من فم الصلح ونشأ بمدينة واسط.

وكان فقيهًا فاضلًا محدثًا سمع الحديث وولي القضاء.

ومات ببغداد في جمادى الآخرة من السنة.

وفيها توفي محمد بن الفضل بن نظيف أبو عبد الله المصري الفراء مسند الديار المصرية في زمانه سمع الكثير وتفرد بأشياء وروى عنه خلائق كثيرة.

ومات في شهر ربيع الآخر وله تسعون سنة.

وفيها شغب الأتراك وخرجوا بالخيم إلى شاطئ دجلة وشكوا من تأخر النفقة ووقوع الاستيلاء على إقطاعاتهم فعرف السلطان هذا فكاتب دبيس ابن علي بن مزيد وأبا الفتح بن ورام وأبا الفوارس بن سعد ثم كتب إلى الأتراك يلومهم.

وحاصل الأمر أن الناس ماجوا وانزعجوا ووقع النهب وغلت الأسعار وزاد الخوف حتى إن الخطيب صلى صلاة الجمعة بجامع براثا وليس وراءه إلا ثلاثة أنفس ونودي في الجمعة المقبلة: من أراد الصلاة بجامع براثا فكل ثلاثة أنفس بدرهم خفارة.

وفيها توفي القاضي أبو العلاء صاعد بن محمد بن أحمد الفقيه الاستوائي الحنفي قاضي نيسابور وفقيهها وعالمها كان إمامًا فقيهًا عالمًا عفيفًا ورعًا كثير العلم كان المعول على فتواه بنيسابور في زمانه.

ومات في هذه السنة.

قاله الذهبي رحمه الله.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي القاضي أبو العلاء صاعد بن محمد بن أحمد الفقيه الاستوائي الحنفي قاضي نيسابور وفقيهها والقاضي أبو العلاء محمد بن علي الواسطي المقرئ وأبو الحسن محمد بن عوف المزني في شهر ربيع الآخر وأبو عبد الله محمد بن الفضل بن نظيف المصري الفراء في شهر ربيع الآخر وله تسعون سنة وأبو المعمر مسدد بن علي الأملوكي خطيب حمص.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمس أذرع وعشر أصابع.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا وعشر أصابع.

السنة الخامسة من خلافة المستنصر وهي سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة.

فيها اتفق جلال الدولة مع قرواش وتحالفا وسكنت الفتنة بينهما.

وفيها توفي القاضي أبو العلاء صاعد المقدم ذكره في السنة الماضية في قول صاحب مرآة الزمان.

وفيها توفي أبو بكر محمد بن عمر بن بكير بن النجار كان إمامًا عالمًا محدثًا.

مات في هذه السنة.

وفيها توفي عبد الباقي بن محمد الحافظ أبو القاسم الطحان كان إمامًا فاضلًا فقيهًا محدثًا.

مات ببغداد في جمادى الأولى من هذه السنة.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي الحافظ أبو العباس جعفر بن محمد بن المعتز المستغفري وأبو القاسم عبد الباقي بن محمد الطحان ببغداد في جمادى الأولى وأبو بكر محمد بن عمر بن بكير النجار.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمس أذرع وعشر أصابع مثل الخالية.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا وعشرون إصبعًا.

السنة السادسة من خلافة المستنصر وهي سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة.

فيها توفي محمد بن جعفر ابن الحسين المعروف بالجهرمي أبو الحسين البغدادي المقرئ كان فاضلًا قارئًا أديبًا شاعرًا محدثًا.

ومن شعره: الكامل يا ويح قلبي من تقلبه أبدًا يحن إلى معذبه قالوا كتمت هواه عن جلد لو كان لي جلد لبحت به وفيها توفي السلطان مسعود ابن السلطان محمود بن سبكتكين أبو سعيد صاحب خراسان وغزنة وغيرهما.

كان ملكًا عادلًا حسن السيرة في الرعية سلك طريق أبيه في الغزو وفتح البلاد إلا أنه كان عنده محبة في اللهو والطرب.

وكان ولي الملك بعد موت أبيه السلطان محمود في ذي الحجة سنة إحدى وعشرين وأربعمائة فكانت مدة حكمه على بلاد الهند وغيرها اثنتي عشرة سنة إلا أشهرًا.

فيها توفى الأمير أنوشتكين الدزبري قسيم الدولة نائب الشام للمستنصر صاحب الترجمة كان خصيصًا عند المستنصر يندبه إلى المهمات وكان شجاعًا مقدامًا عظيم الهيبة حسن السياسة طرد العرب من الشام وأباد المفسدين ومهد أمور الشام حتى أمنت السبل في أيامه.

وقد قدمنا من ذكره نبذة في ترجمة المستنصر في هذا المحل.

ولما مات ولي دمشق بعده الأمير ناصر الدولة الحسن بن الحسين ابن عبد الله بن حمدان.

وفيها توفي الأمير أبو جعفر علاء الدولة بن كاكويه صاحب أصبهان.

ولي بعده منصور وأقام الدعوة والسكة للملك أبي كاليجار في جميع بلاد أبيه.

وفيها توفي سعيد بن العباس الحافظ أبو عثمان القرشي الهروي كان إمامًا فاضلًا محدثًا فقيهًا.

مات في المحرم من هذه السنة.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمس أذرع وعشرون إصبعًا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا وسبع عشرة إصبعًا.

وهي سنة أربع وثلاثين وأربعمائة.

فيها ورد الخبر من تبريز أن زلزلة عظيمة وقعت بها هدمت قلعتها وسورها وكثيرًا من دورها ومساكنها ونجا أميرها بنفسه.

واحصي من مات تحت الهدم فكانوا خمسين ألفًا ولبس الناس بها السواد وجلسوا على المسوح لعظم هذه المصيبة.

ثم زلزلت تدمر أيضًا وبعلبك فمات تحت الهدم معظم أهل تدمر.

وفيها توفي حمزة بن الحسن بن العباس الشريف العلوي أبو يعلى فخر الدولة.

ولي قضاء دمشق عن الظاهر العبيدي وهو الذي أجرى الفوارة بجيرون وبني قيساريه الأشراف وتعرف بالفخرية.

قال الشريف أبو الغنائم عبد الله بن الحسين: أنشدني لقس بن ساعدة في النجوم: الكامل.

علم النجوم على العقول وبال وطلاب شيء لا ينال ضلال ماذا طلابك علم شيء اغلقت من دونه الأبواب والأقفال افهم فما أحد بغامض فطنة يدري متى الأرزاق والآجال إلا الذي من فوق سبع عرشه فلوجهه الإكرام والإفضال وفيها توفي عبيد الله بن هشام بن سوار أبو الحسين من أهل داريا بدمشق كان إمامًا فاضلًا وفيها توفي عبد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن غفير أبو ذر الأنصاري الهروي المالكي الحافظ كان يعرف في بلده بابن السماك سمع الحديث ورحل إلى البلاد وكان إمامًا عالمًا فاضلًا سخيًا صوفيًا.

قال القاضي عياض: ولأبي ذر كتاب كبير مخرج على الصحيحين و كتاب السنة والصفات.

رحمه الله تعالى.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمس أذرع وسبع عشرة إصبعًا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا وست عشرة إصبعًا.

السنة الثامنة من الخلافة المستنصر وهي سنة خمس وثلاثين وأربعمائة.

فيها لم يحج أحد من العراق.

وحج الناس من مصر وغيرها.

وفيها توفي الحسين بن عثمان بن أحمد بن سهل بن أحمد بن عبد العزيز أبي دلف أبو سعد العجلي كان إمامًا محدثًا سافر إلى خراسان ثم عاد إلى بغداد وحدث بها ثم انتقل إلى مكة فتوفي بها في شوال.

وفيها توفي عبيد الله بن أحمد بن عثمان بن الفرج بن الأزهر أبو القاسم الصيرفي المحدث كان صالحًا ثقة مكثرًا في الحديث.

وفيها توفي السلطان أبو طاهر جلال الدولة بن بهاء الدولة فيروز بن عضد الدولة بويه بن ركن الدولة الحسن بن بويه.

ولد سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة.

وكان ملكًا محببًا للرعية حسن السيرة وكان يحب الصالحين.

ولقي في سلطنته من الأتراك شدائد.

ومات ليلة الجمعة خامس شعبان وغسله أبو القاسم بن شاهين الواعظ وأبو محمد عبد القادر بن السماك ودفن بداره في دار المملكة في بيت كان دفن فيه عضد الدولة وبهاء الدولة قبل نقلهما إلى الكوفة ثم نقل بعد سنة إلى مقابر قريش.

وكان عمره لما مات إحدى وخمسين سنة وشهرًا ومدة ولايته على بغداد ست عشرة سنة وأحد عشر شهرًا.

ولما مات كان ابنه الملقب بالملك العزيز بواسط فكتب إليه الخليفة القائم بأمر الله يعزيه فيه.

قلت: وجلال الدولة هذا أحسن بني بويه حالًا إن لم يكن رافضيًا على قاعدتهم النجسة.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمس أذرع واثنتان وعشرون إصبعًا.

مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعًا وست أصابع.

وهي سنة ست وثلاثين وأربعمائة.

فيها دخل أبو كاليجار بغداد ولم يخرج الخليفة القائم بأمر الله إلى لقائه فنزل في دار المملكة وأخرج منها عيال جلال الدولة وضرب الدبادب على بابه في أوقات الصلوات الخمس فروسل بالاقتصار على ثلاثة أوقات كما كانت العادة فلم يلتفت إلى رسول الخليفة واستمرت الدبادب في خمسة أوقات.

وفيها توفي الحسين بن علي بن محمد بن جعفر أبو عبد الله الصيمري العلامة.

ولد سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة وكان أحد الفقهاء الحنفية الأعلام كان جيد النظر حسن العبارة وافر العقل صدوقًا ثقة انتهت إليه رياسة الحنفية ببغداد وولي القضاء بالمدائن وغيرها وكان في ولايته نزهًا عفيفًا دينًا ورعًا.

مات ليلة الأحد حادي عشرين شوال ودفن في داره بدرب الزرادين.

وفيها توفي عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن أبو محمد الأصبهاني ويعرف بابن اللبان كان صائمًا قائمًا صدوقًا ثقة أحد أوعية العلم وله التصانيف الحسان.

وفيها توفي علي بن الحسن بن إبراهيم أبو الحسن الصوفي الوكيل كان دينًا خيرًا سكن مصر وبها كانت وفاته في شعبان.

وفيها توفي محمد بن أحمد بن بكير أبو بكر التنوخي الخياط الدمشقي كان يؤم بمسجد أبي وفيها توفي محمد بن علي بن الطيب أبو الحسين البصري المتكلم سكن بغداد ودرس بها على مذهب المعتزلة وله تصانيف كثيرة: منها المعتمد في أصول الفقه لم يصنف في فنه مثله.

وفيها توفي محسن بن محمد بن العباس الشريف الحسيني كان نقيب الطالبيين بدمشق وولي القضاء بها بعد أخيه لأمه فخر الدولة نيابة عن أبي محمد القاسم بن النعمان قاضي قضاة خليفة مصر.

ومات بدمشق في المحرم.

وفيها توفي علي بن موسى بن محمد بن إبراهيم بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه الشريف أبو طالب العلوي الموسوي المعروف بالشريف المرتضى نقيب الطالبيين ببغداد وهو أخو الشريف الرضي.

قال الحافظ أبو عبد الله الذهبي: وكل منهما رافضي وكان المرتضى أيضًا رأسًا في الاعتزال كثير الإطلاع والجدل.

ثم ذكر كلامًا عن ابن حزم في هذا المعنى أنزه الشريف عن ذكره مراعاة لسلفه الطاهر لا لاعتقاده القبيح في الصحابة.

وكان الشريف المرتضى عالمًا فاضلًا أديبًا شاعرًا.

ومن شعره من جملة قصيدة قوله: الخفيف ضن عني بالنزر إذ أنا يقظا - - ن وأعطى كثيره في المنام والتقينا كما اشتهينا ولا عي - - ب سوى أن ذاك في الأحلام وكانت وفاة الشريف في يوم الأحد الخامس والعشرين من شهر ربيع الأول.

وفيها توفي محمد بن عبد الله بن أحمد أبو الوليد المرسي يعرف بابن منقذ حدث عن سهل بن إبراهيم وغيره وكان عالمًا فاضلًا ورعًا محدثًا صدوقا ثقة.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ثماني أذرع وسبع عشرة إصبعًا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا وعشرون إصبعًا.

السنة العاشرة من خلافة المستنصر معد على هصر وهي سنة سبع وثلاثين وأربعمائة.

فيها مات بواسط نصراني يقال له ابن سهل وأخرجت جنازته نهارًا فثارت العامة بالنصارى وجردوا الميت وأحرقوه ومضوا إلى الدير فنهبوه.

وكان الملك العزيز بن جلال الدولة بن بويه بواسط وعمه الملك أبو كاليجار ببغداد ولم يكن له تلك الهيبة وكانوا قد أحسوا بانقراض دولة بني بويه بظهور طغرلبك السلجوقي صاحب خراسان فلم ينتطح في ذلك شاتان.

وفيها جهز المستنصر صاحب الترجمة جيشًا من مصر إلى حلب فحصروا ابن مرداس فيها واستظهروا عليه فاستنجد بالروم فلم ينجحوه.

وقد تقدم ذكر هذه الواقعة في ترجمة وفيها لم يحج أحد من العراق.

وحج الناس من مصر وغيرها.

وفيها توفي الحسن بن محمد بن أحمد أبو محمد الدمشقي المعروف بابن السكن كان عابدًا زاهدًا.

صام الدهر وله اثنتا عشرة سنة من العمر وعاش سبعًا وثمانين سنة.

وكان لا يشرب الماء في الصيف وأقام سنة وخمسة أشهر لا يشربه.

فقال له طبيب: معدتك تشبه الآبار في الصيف باردة وفي الشتاء حارة.

وفيها توفي محمد بن محمد بن علي ابن الحسن بن علي بن إبراهيم بن علي بن عبد الله بن الحسين الأصغر أبو الحسن العلوي الحسيني البغدادي النسابة شيخ الأشراف.

كان فريدًا في علم الأنساب وله تصانيف كثيرة وله شعر.

وفيها توفي مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار الإمام أبو محمد القيسي القيرواني ثم القرطبي المقرئ شيخ الأندلس في زمانه حج وسمع بمكة وغيرها.

وكان إمامًا عالمًا محدثًا ورعًا صنف الكثير في علوم القرآن.

ومولده بالقيروان سنة خمس وخمسين وثلاثمائة.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم سبع أذرع وسبع أصابع.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا وعشرون إصبعًا.

وهي سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة.

فيها أغارت الترك على ما وراء النهر واستولوا على بخارى وسمرقند وخوارزم فقطع طغرلبك جيحون.

وبعث أخاه إبراهيم إلى العراق فاستولى على حلوان ثم عاد إلى الري.

والتقى طغرلبك فهزمهم وعاد إلى خراسان.

وفيها زلزلت أخلاط وديار بكر زلازل هدمت القلاع والحصون وقتلص خلقًا كثيرًا.

وفيها لم يحج أحد من العراق.

وحج الناس من مصر والشام.

وفيها توفي عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن حيويه الجويني الشافعي والد أبي المعالي الجويني.

وجوين بضم الجيم: بلدة من أعمال نيسابور.

وأصلهم من العرب من بني سنبس.

سمع الحديث وتفقه بمرو على القفال وصنف التصانيف الكثيرة.

ومات بنيسابور.

وفيها توفي محمد بن يحيى بن محمد أبو بكر.

كان أصله من قرية بالعراق يقال لها الزيدية.

كان عالمًا بالقرآن والفرائض وسمع الحديث.

ومات في شهر رمضان.

قال أبو بكر الخطيب: كتبت عنه وكان ثقة.

وفيها توفي الحسن بن محمد بن إبراهيم أبو علي البغدادي المالكي المقرئ العالم المشهور مصنف الروضة.

كان عالمًا بالقراءات وغيرها مفتنًا.

مات في هذه السنة.

الماء القديم ست أذرع وعشر أصابع.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا وتسع عشرة إصبعًا.

السنة الثانية عشرة من خلافة المستنصر

وهي سنة تسع وثلاثين وأربعمائة.

فيها وقع الغلاء والوباء بالموصل والجزيرة وبغداد ووصل كتاب من الموصل أنهم أكلوا الميتة وصفى الجمعة أربعمائة نفس ومات الباقون وكانوا زيادة على ثلاثمائة إنسان وبيعت الرمانة بقيراطين والليمونوفرة بقيراطين أيضًا والخيارة بقيراط.

قاله صاحب مرآة الزمان.

وفيها توفي أحمد ابن أحمد بن محمد أبو عبد الله القصري من قصر ابن هبيرة.

ولد سنة ست وأربعين وثلاثمائة.

وسمع الحديث وكان من أهل العلم والقرآن يختم القرآن في كل يوم مرة وكان معروفًا بالسنة.

ومات في شهر رجب ودفن بباب حرب.

وكان صدوقا صالحًا ثقة.

وفيها توفي أحمد بن عبد العزيز بن الحسن أبو يعلى الطاهري من ولد طاهر ابن الحسين الأمير.

ولد سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة وقرأ الأدب وسمع الحديث.

ومات في شوال.

وكان فصيحًا صدوقًا.

وفيها توفي أحمد بن محمد بن عبد الله بن أحمد أبو الفضل الهاشمي العباسي من ولد هارون وفيها كان الطاعون العظيم بالموصل والجزيرة وبغداد وصلي بالموصل على أربعمائة نفس دفعة واحدة وبلغت الموتى ثلاثمائة ألف إنسان.

وفيها توفي عبد الواحد بن محمد بن يحيى بن أيوب أبو القاسم البغدادي الشاعر المشهور كان يعرف بالمطرز.

مات ببغداد في جمادى الآخرة.

وفيها توفي محمد بن الحسين بن علي بن عبد الرحيم الوزير أبو سعد وزير جلال الدولة بن بويه.

لقي شدائد من المصادرات من الأتراك حتى آل أمره أنه خرج من بغداد مستترًا وأقام بجزيرة ابن عمر حتى مات في ذي القعدة.

وفيها توفي محمد بن علي بن محمد بن إبراهيم أبو الخطاب الشاعر الجبلي أصله من قرية جبل عند النعمانية ببغداد.

كان فصيحًا شاعرًا.

رحل إلى البلاد ثم عاد إلى بغداد وقد كف بصره فمات بها.

وكان رافضيًا خبيثًا.

ومن شعره: المنسرح.

ما حكم الحب فهو ممتثل وما جناه الحبيب محتمل تهوى وتشكو الضنى وكل هوى لا ينحل الجسم فهو منتحل أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم سبع أذرع وثلاث وعشرون إصبعًا.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا وسبع أصابع.

وهي سنة أربعين وأربعمائة.

فيها تمت عمارة سور شيراز ودوره اثنا عشر ألف ذراع وارتفاع حائطه عشرون ذراعًا وله عشرة أبواب.

وفيها ولى المستنصر صاحب الترجمة خليفة مصر القائد طارقًا الصقلبي على دمشق وعزل ناصر الدولة الحسن بن الحسين بن عبد الله بن حمدان وقبض عليه واستقدمه إلى مصر ثم صرف المستنصر طارقًا عن إمرة دمشق في سنة إحدى وأربعين وولى مكانه عدة الدولة المستنصري ثم صرفه أيضًا عنها وبعث به إلى حلب وولى دمشق حيدرة بن الحسين بن مفلح ويعرف بأبي الكرم المؤيد فأقام عليها حيدرة تسع سنين.

وفيها في شعبان ختن الخليفة القائم بأمر الله العباسي ابنه أبا العباس محمدًا ولقبه بذخيرة الدين وذكر اسمه على المنابر.

وفيها لم يحج أحد من العراق.

وحج الناس من مصر وغيرها.

وفيها توفي محمد بن جعفر بن أبي الفرج الوزير أبو الفرج ويلقب ذا السعادات.

وزر لأبي كاليجار بفارس وبغداد.

وكان وزيرًا فاضلا عادلا شاعرًا.

ومات في شهر ربيع الآخر وقيل: في جمادى الأولى.

ومن شعره: وإن فراقكم في كل حال لأوجع من مفارقة الشباب وفيها توفي السلطان أبو كاليجارة واسمه المرزبان بن سلطان الدولة بن بهاء الدولة فيروز بن عضد الدولة بويه بن ركن الدولة الحسن بن بويه بن فناخسرو الديلمي.

ولد بالبصرة سنة تسع وتسعين وثلاثمائة في شوال ومات ليلة الخميس منتصف جمادى الأولى.

وكانت ولايته على العراق أربع سنين وشهرين وأيامًا ومدة ولايته على فارس والأهواز خمسًا وعشرين سنة.

وكان شجاعًا فاتكًا مشغولا بالشرب واللهو.

ولما مات كان ولده أبو نصر ببغداد في دار الملك نيابة عن أبيه فلقبه الخليفة القائم بأمر الله الملك الرحيم وخلع عليه خلعة السلطنة.

وكانت الخلع سبع جباب كاملة والتاج والطوق والسوارين واللواءين كما كان فعل بعضد الدولة.

وفيها توفي الفضل - وقيل: فضل الله - بن أبي الخير محمد بن أحمد أبو سعيد الميهني العارف بالله صاحب الأحوال والكرامات.

مات بقرية ميهنة من خراسان في شهر رمضان وله تسع وسبعون سنة بعد أن سمع الحديث وروى عنه جماعة وتكلم في اعتقاده ابن حزم.

والله أعلم بحاله.

وفيها توفي محمد بن عبد الله بن أحمد بن إبراهيم بن إسحاق بن زياد أبو بكر الأصبهاني التاجر المعروف بابن ريفة.

روى عن الطبراني معجميه الكبير والصغير.

وطال عمره وسار ذكره وتفرد بأشياء.

ذكره أبو زكريا بن منده وقال: الفقيه الأمين.

كان أحد وجوه الناس وافر العقل كامل الفضل أحسن الخط يعرف طرفًا من النحو واللغة.

وفيها توفي محمد بن محمد بن إبراهيم بن غيلان بن عبد الله بن غيلان بن حكيم أبو طالب الهمذاني البغدادي البزاز أخو غيلان المقدم ذكره.

سمع من أبي بكم الشافعي أحد عشر جزءًا معروفة بالغيلانيات وتفرد في الدنيا عنه.

قال أبو بكر الخطيب: كتبنا عنه وكان صدوقًا دينًا صالحًا.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربع أذرع وثلاث وعشرون إصبعًا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا وسبع عشرة إصبعًا.

السنة الرابعة عشرة من خلافة المستنصر وهي سنة إحدى وأربعين وأربعمائة.

فيها كانت فتنة بين أهل السنة والرافضة.

قال القاضي أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي: أهل الكرخ طائفة نشأت على سب الصحابة وليس للخلافة عليها أمر.

قلت: وعدم أمر الخليفة عليهم لميل بني بويه إليهم في الباطن فإنهم أيضًا من كبار الشيعة وهم يوم ذلك سلاطين بغداد غير أنهم كانوا لا يظهرون ذلك خوفًا على الملك.

وفيها هبت ريح سوداء ببغداد أظلمت الدنيا وقلعت رواشن دار الخلافة ودار المملكة ودور الناس واقتلعت من الشجر والنخل شيئًا كثيرًا.

وفيها نزل طغرلبك السلجوقي الري ولم يتحقق موت أبي كاليجار بن بويه ثم فحص عن ذلك حتى تحقق وفاته.

وفيها دخل السلطان مودود بن مسعود بن محمود بن سبكتكين بلاد الهند ووصل إلى الأماكن التي كان وصل إليها جده محمود.

وفيها توفي أحمد بن حمزة بن محمد بن حمزة بن خزيمة أبو إسماعيل الهروي الصوفي.

كان يعرف بعفويه وكان شيخ الصوفية بهراة.

سمع الكثير بالعراق والشام.

ومات بهراة في شهر رجب.

وفيها توفي محمد بن علي بن عبد الله الصوري الحافظ.

ولد بصور سنة ست وسبعين وثلاثمائة وقدم بغداد وسمع الحديث على كبر السن وعني به.

وكان إمامًا صحيح النقل دقيق الخط صائمًا قائمًا لا يفطر إلا في العيدين وأيام التشريق.

وكان حسن المحاضرة.

وله شعر على طريق القوم فمن ذلك من قصيدة: المجتث.

تنال منه فنونًا تحظى بها وتثاب أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمس أذرع سواء.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا وتسع أصابع.

السنة الخامسة عشرة من خلافة المستنصر وهي سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة.

فيها كان من العجائب أنه وقع الصلح بين أهل السنة والرافضة وصارت كلمتهم واحدة.

وسبب ذلك أن أبا محمد النسوي ولي شرطة بغداد وكان فاتكًا فاتفقوا على أنه متى رحل إليهم قتلوه واجتمعوا وتحالفوا وأذن بباب البصرة ب حي على خير العمل وقرئ في الكرخ فضائل الصحابة ومضى أهل السنة والشيعة إلى مقابر قريش فعد ذلك من العجائب فإن الفتنة كانت قائمة والدماء تسكب والملوك والخلفاء يعجزون عن ردهم حتى ولي هذا الشرطة فتصالحوا على هذا الأمر اليسير.

فلله الأمر من قبل ومن بعد.

وفيها توفي علي بن عمر بن محمد بن الحسن أبو الحسن الزاهد المعروف بابن القزويني.

ولد بالحربية ببغداد في المحرم سنة ستين وثلاثمائة وكان إمامًا فاضلا زاهدًا قرأ النحو وسمع الحديث وفيها توفي الأمير قرواش بن المقلد أبو المنيع صاحب الموصل والكوفة والأنبار.

وقرواش بفتح القاف والراء المهملة والواو وبعد الألف شين معجمة ساكنة.

ومعناه باللغة التركية عبد أسود.

وكان قرواش هذا قد خلع عليه الخليفة القادر بالله ولقبه معتمد الدولة.

وكان قد جمع بين أختين فلامه الناس على ذلك فقال لهم: خبروني ما الذي نستعمله مما تبيحه الشريعة! فهذا من ذاك.

وكان الحاكم بأمر الله استماله فخطب له ببلاده ثم رجع عن ذلك.

ولما مات قرواش ولي مكانه ابن أخيه قريش بن بدران بن المقلد المقدم ذكره في ترجمة المستنصر أنه كان مع البساسيري.

ويأتي ذلك أيضًا في محله مختصرًا.

وفيها توفي السلطان مودود بن مسعود بن محمود بن سبكتكين صاحب غزنة وغيرها من بلاد الهند وغيره.

ومات بغزنة وقام مقامه عمه عبد الرشيد بن محمود بن سبكتكين اختاره أهل المملكة فأقاموه.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمس أذرع سواء.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا وست عشرة إصبعًا.

السنة السادسة عشرة من خلافة المستنصر فيها في صفر عادت الفتنة بين أهل السنة والرافضة ببغداد وكتب أهل الكرخ على برج الباب: محمد وعلي خير البشر فمن رضي شكر ومن أبى فقد كفر.

وثارت الفتنة بينهم ولم يقدر على منعهم الخليفة ولا السلطان.

واستنجد الخليفة بعيار من أهل عرب ريحان فأحضر إلى الديوان واستتيب عن الحرام وسلط على أهل الكرخ فقتل منهم جماعة كثيرة.

وفيها أقام ابن المعز بن باديس الصنهاجي ملك الغرب الدعوة بالمغرب للقائم بأمر الله العباسي وأبطل دعوة بني عبيد خلفاء مصر من الغرب.

وكان المعز لدين الله معد خرج من المغرب وقصد الديار المصرية سلمها إلى المعز بن باديس.

فأقام بها سنين إلى أن توفي وملكها ابنه من بعده فأقام مدة سنين يخطب لبني عبيد إلى هذه السنة فأبطل الدعوة لهم وخطب لبني العباس ودعا للقائم بأمر الله وهو ببغداد.

فلم تزل دعوة العباسية بعد ذلك بالمغرب حتى ظهر محمد بن تومرت بالمغرب وتلقب بالمهدي وقام بعده عبد المؤمن بن علي فقطع الدعوة لبني العباس في أيام المقتفي العباسي على ما سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى.

وفيها لم يحج أحد من العراق.

وحج الناس من مصر وغيرها.

وفيها توفي أحمد بن عثمان بن عيسى أبو نصر الجلاب كان محدثًا ثقة وأخرج له أبو بكر الخطيب حديثًا عن ابن عمر: أن النبي صلى الله عليه وسلم قرئت عنده سورة الرحمن فقال: " ما لي أرى الجن أحسن جوابًا لردها منكم ".

قالوا: وما ذاك يا رسول الله قال: " ما أتيت على قول الله تعالى " فبأي آلاء ربكما تكذبان " إلا قالت الجن ولا بشيء من نعمك يا ربنا نكذب ".

وفيها توفي إسماعيل بن علي بن الحسين زنجويه أبو سعد الحافظ الرازي الحنفي كان إمامًا فاضلا.

طاف الدنيا ولقي الشيوخ وأثنى عليه العلماء وكان ورعًا زاهدًا فاضلا إمام أهل زمانه بغير مدافعة أو ما رأي مثل نفسه في كل فن وكان يقال له: شيخ العدلية ومات بالري ودفن بجنب الإمام محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة.

وكان قرأ على ألف وثلاثمائة شيخ وقرأ عليه ثلاثة آلاف.

قال ابن عساكر: سمع نحوًا من أربعة آلاف شيخ ومات وله أربع وتسعون سنة.

وفيها توفي محمد بن محمد بن أحمد أبو الحسن البصروي كان شاعرًا فصيحًا فاضلا ظريفًا صاحب نوادر.

ومن شعره: الوافر ترى الدنيا وزهرتها فتصبو وما يخلو من الشبهات قلب فضول العيش أكثرها هموم وأكثر ما يضرك ما تحب وفيها توفي المفضل بن محمد بن مسعود أبو المحاسن التنوخي المعري الفقيه الحنفي.

تفقه على القدوري وأخذ الأدب عن أبي عيسى الربعي وبرع في فنون وناب في القضاء بدمشق وولي قضاء بعلبك وصنف تاريخ النحاة وأهل اللغة.

ومات بدمشق ولم يخلف بعده مثله.

أمر النيل ني هذه السنة: الماء القديم خمس أذرع سواء.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا واثنتا عشرة إصبعًا.

السنة السابعة عشرة من خلافة المستنصر وهي سنة أربع وأربعين وأربعمائة.

فيها برز محضر من ديوان الخليفة القائم بأمر الله العباسي بالقدح في أنساب خلفاء مصر وأنهم ديصانية خارجون عن الإسلام من جنس المحضر الذي برز في أيام القادر بالله وقد ذكرناه في وقته وأخذ فيه خطوط القضاة والشهود والأشراف وغيرهم.

وفيها كانت في مدينة أرجان والأهواز زلازل عظيمة ارتجت منها الأرض وقلعت الجبال وخربت القلاع وامتدت هذه الزلازل إلى بلاد كثيرة.

وفيها استولى طغرلبك محمد بن ميكائيل السلجوقي على همذان ونواحيها وطمع في قصد العراق.

وفيها توفي الحسن بن علي بن محمد بن علي أبو علي التميمي الواعظ سمع الحديث الكثير وروي عنه مسند الإمام أحمد عن القطيعي.

وفيها توفي سهل بن محمد بن الحسن أبو الحسن الفاسي الصوفي سمع الكثير وحدث بالعراق ودمشق وصور وتوجه إلى مصر فمات بها.

وكان أديبًا شاعرًا على طريق القوم.

فمن ذلك قوله: الطويل إذا كنت في دار يهنيك أهلها ولم تك محبوبًا بها فتحول وأيقن بأن الرزق يأتيك أينما تكون ولو في قعر بيت مقفل وفيها توفي عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمر الإمام أبو عمرو الأموي مولاهم القرطبي المقرئ الحافظ المعروف بابن الصيرفي أولا ثم بأبي عمرو الداني صاحب التصانيف.

كان أحد الأئمة في علم القرآن ورواياته وتفسيره ومعانيه وطرقه وجمع في ذلك كفه تواليف حسانًا مفيدة يطول تعدادها.

قال الحافظ أبو عبد الله الذهبي: وبلغني أن مصنفاته مائة وعشرون مصنفًا.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمس أذرع وأربع عشرة إصبعًا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا وخمس أصابع.

وهي سنة خمس وأربعين وأربعمائة.

فيها وقف طغرلبك السلجوقي على مقالات الأشعري كان طغرلبك حنفيًا فأمر بلعن الأشعري على المنابر وقال: هذا يشعر بأن ليس لله في الأرض كلام.

فعز ذلك على أبي القاسم القشيري وعمل رسالة سماها شكاية أهل السنة ما نالهم من المحنة.

ووقع بعد ذلك أمور حتى دخل القشيري وجماعة من الأشعرية إلى السلطان طغرلبك المذكور وسألوه رفع اللعنة عن الأشعري.

فقال طغرلبك: الأشعري عندي مبتدع يزيد على المعتزلة لأن المعتزلة أثبتوا أن القرآن في المصحف وهذا نفاه.

قال الحافظ أبو الفرج بن الجوزي رحمه الله: لو أن القشيري لم يعمل في هذه رسالة كان أستر للحال لأنه إنما ذكر فيها أنه وقع اللعن على الأشعري وأن السلطان سئل أن يرفع ذلك فلم يجب ثم لم يذكر له حجة ولا دفع للخصم شبهة.

وذكر ابن الجوزي من هذا النوع أشياء كثيرة حتى قال: وذكر مثل هذا نوع تغفل.

انتهى.

وفيها توفي إبراهيم بن عمر بن أحمد أبو إسحاق الفقيه الحنبلي ويعرف بالبرمكي لأن أهله كانوا يسكنون بالبرمكية كان إمامًا عارفًا بمذهبه وله حلقة للفتوى بجامع المنصور وسمع خلقًا كثيرًا وروى عنه الخطيب وغيره وكان صالحًا زاهدًا ورعًا دينًا صدوقًا ثقة.

وفيها توفي أحمد بن عمر بن روح أبو الحسين النهرواني كان فاضلا شاعرًا.

قال: كنت على وما طلبوا سوى قتلي فهان علي ما طلبوا فقلت له: قف ثم قلت بديهًا: أضف إليه: على قلبي الأحبة بالت - - مادي في الجفا غلبوا وبالهجران طيب النو - - م من عيني قد سلبوا وما طلبوا سوى قتلي فهان علي ما طلبوا وفيها توفي مطهر بن محمد بن إبراهيم أبو عبد الله الصوفي الشيرازي أحد أعيان مشايخ الصوفية جاور بمدينة النبي صلى الله عليه وسلم أربعين سنة ورحل إلى بغداد ثم عاد إلى دمشق فمات بها في شهر رجب.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمس أذرع وأربع عشرة إصبعًا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا سواء.

السنة التاسعة عشرة من خلافة المستنصر وهي سنة ست وأربعين وأربعمائة.

فيها استوحش الخليفة القائم بأمر الله من الأمير أبي الحارث أرسلان البساسيري واستوحش البساسيري منه.

وهذا أول الفتنة التي ذكرناها في ترجمة المستنصر هذا من أنه خطب له على منابر بغداد.

وكتب الخليفة القائم بأمر الله إلى طغرلبك السلجوقي في الباطن يستنهضه إلى المسير إلى العراق وكان بنواحي خراسان.

وفيها توفي الحسن بن علي بن إبراهيم أبو علي الأهوازي المقرئ كان إمامًا في القراءات وصنف في علوم القرآن كتبًا كثيرة وانتهت إليه الرياسة بالشام في القراءة وسمع الحديث الكثيرة وكان يكره مذهب الأشعري ويضعفه ومن أجله صنف ابن عساكر كتابه المسمى تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى أبي الحسن الأشعري.

وفيها توفي الحسين بن جعفر بن محمد بن جعفر بن داود أبو عبد الله السلماسي الفقيه الصالح كان مشهورًا بأفعال البر والصدقات ينفق ماله على الفقراء والصالحين وأخذ منه السلطان عشرة آلاف دينار قرضًا ثم أراد ردها فلم يقبلها وقال: إنني رجل يأكل من مالي قوم لو علموا أنني أخذت من مال السلطان لامتنعوا.

وفيها توفي عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الأصبهاني الفقيه المحدث كان زاهدًا عالمًا ورعًا وكنيته أبو محمد ويعرف بابن اللبان.

أثنى على علمه وفضله جماعه من العلماء.

وكانت وفاته في جمادى الآخرة.

الماء القديم خمس أذرع سواء.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا وأربع أصابع.

السنة العشرون من خلافة المستنصر وهي سنة سبع وأربعين وأربعمائة.

فيها دخل طغرلبك السلجوقي بغداد وهرب منها أبو الحارث أرسلان البساسيري إلى الرحبة وكاتب البساسري المستنصر صاحب مصر ومشت الرسل بينهما.

وفيها استولى أبو الحسن علي بن محمد الصليحي على اليمن وانتمى إلى المستنصر صاحب مصر وخطب له باليمن وأزال دعوة بني العباس منها وكان يدعى بها للقائم بأمر الله فصار يدعو للمستنصر هذا صاحب الترجمة.

وفيها توفي الحسين ابن علي بن جعفر بن علكان بن محمد بن دلف أبو عبد الله العجلي القاضي وكان يعرف بابن ماكولا ولي قضاء البصرة وبغداد وكان قاضيًا نزهًا عفيفًا دينًا أديبًا شاعرًا.

وفيها توفي علي بن المحسن بن علي بن محمد بن أبي الفهم أبو القاسم التنوخي القاضي تقلد القضاء في عدة بلاد وسمع الحديث الكثير وصنف الكتب المفيدة ومات في بغداد في المحرم.

وفيها توفي محمد ابن الخليفه القائم بأمر الله العباسي في حياة والده كان قد نشأ نشوءًا حسنًا ورشحه أبوه القائم بأمر الله للخلافة ولقبه ذخيرة الدين.

وكانت وفاته في ذي القعدة وحزن عليه أبوه القائم حزنًا شديدًا وخرج حتى صلى عليه بنفسه فصلى عليه وبينه وبين الناس سرادق وهم يصلون خلفه بصلاته وجلس الوزير رئيس الرؤساء للعزاء ثلاثة أيام ومنع من ضرب الطبول ثلاثة أيام فلما كان اليوم الرابع

حضر عميد الملك وزير السلطان بين يدي القائم بأمر الله وأدى عن السلطان رسالة تتضمن التعزية والسؤال بقيام الوزير والجماعة من مجلس التعزية فقاموا ثم حمل تابوته بعد ذلك إلى الرصافة فدفن هناك.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربع أذرع وست عشرة إصبعًا.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا وأربع أصابع.

السنة الحادية والعشرون من خلافة المستنصر وهي سنة ثمان وأربعين وأربعمائة.

فيها عم الوباء والقحط بغداد والشام ومصر والدنيا وكان الناس يأكلون الميتة.

وبلغت الرمانة والسفرجلة دينارًا وكذا الخيارة واللينوفرة وانقطع ماء النيل بمصر وكان يموت بها في كل يوم عشرة آلاف إنسان.

وباع عطار واحد في يوم واحد ألف قارورة شراب.

ووقع بمصر أن ثلاثة لصوص نقبوا نقبًا فوجدوا عند الصباح موتى: أحدهم على باب النقب والثاني على رأس الدرجة والثالث على الكارة التي سرقها.

وهذا الوباء والغلاء خلاف الغلاء الذي ذكرناه في ترجمة المستنصرة ويأتي ذكر ذلك أيضًا في محله.

غير أنه كان ينذر عن ذاك بأمور استرسلت إلى أن عظم الأمر.

وفيها أقيم الأذان في مشهد موسى بن جعفر ومساجد الكرخ ب الصلاة خير من النوم على رغم أنف الشيعة وأزيل ما كانوا يقولونه في الأذان من حي على خير العمل.

وفيها توفي جعفر بن محمد بن عبد الواحد أبو طالب الجعفري الشريف الطوسي شيخ الصوفية كان محدثًا فاضلا سافر إلى البلاد في طلب الحديث وسمع بالعراقين والشام وخراسان وغيرها.

وفيها توفي علي بن أحمد بن علي أبو الحسن المؤدب.

أصله من قرية ببلاد خوزستان يقال لها فالة بفاء ثم قدم البصرة وسمع الحديث ثم قدم بغداد ومات بها وكان محدثًا شاعرًا أديبًا فصيحًا ثقة.

وفيها توفي هلال بن المحسن بن إبراهيم بن هلال أبو الحسين الكاتب الصابئ صاحب التاريخ - قلت: نقلنا عنه كثيرًا في هذا التاريخ - وكان مولده في سنة تسع وخمسين وثلاثمائة وجده إبراهيم هو صاحب الرسائل المقدم ذكر وفاته وأن الشريف الرضي رثاه وعيب عليه من كونه من الأشراف ورثى صابئًا.

وكان أبو هلال هذا المحسن صابئًا وأسلم هو متأخرًا وكان قبل أن يسلم سمع جماعة من النحاة منهم أبو علي الفارسي وعلي بن عيسى الرماني وغيرهما.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربع أذرع وخمس عشرة إصبعًا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا وثلاث عشرة إصبعًا.

السنة الثانية والعشرون من خلافة المستنصر وهي سنة تسع وأربعين وأربعمائة.

فيها استعفى ابن النسوي من ولاية الشرطة ببغداد لاستيلاء الحرامية واللصوص عليها بحيث إنه أقيم جماعة لحفظ قصر الخليفة والطيار الذي للخليفة من الحريق لأن اللصوص كانوا إذا امتنع عليهم موضع حرقوه.

وفيها كان الطاعون العظيم ببخارى حتى إنه خرج منها في يوم واحد ثمانية عشر ألف إنسان.

وحصر من مات فيه فكان ألف ألف وستمائة ألف وخمسين ألف شخص.

ثم وقع في أذربيجان والأهواز وواسط والبصرة حتى كانوا يجفرون التربة الواحدة ويلقون فيها العشرين والثلاثين.

ثم وقع بسمرقند وبلخ فكان يموت في كل يوم ستة آلاف وأكثر.

وذكر صاحب المرآة في هذا الطاعون أشياء مهولة يطول الشرح في ذكرها منها أن مؤدب أطفال كان عنده تسعمائة صغير فلم يبق منهم واحد.

ومات من عاشر شوال إلى سلخ ذي القعدة بسمرقند خاضه مائتا ألف وستة وثلاثون ألفًا وكان ابتداء هذا الطاعون من تركستان إلى كاشغر وفرغانة انتهى.

وفيها توفي أحمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد بن سليمان بن أحمد بن سليمان بن داود بن المطهر بن زياد بن ربيعة بن الحارث بن أنور بن أسحم بن أرقم بن النعمان بن عدي بن غطفان بن عمرو بن بريح بن جذيمة بن تيم الله بن أسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة أبو العلاء المعري التنوخي اللغوي الأعمى الشاعر المشهور صاحب التصانيف المشهورة.

قال الذهبي: وصاحب الزندقة المأثورة.

وقال أبو المظفر في مرآة الزمان: وتنوخ قبيلة من اليمن.

وتوفي أبو العلاء بمعرة النعمان في يوم الجمعة ثالث عشر شهر ربيع الأول.

ومولده يوم الجمعة لثلاث بقين من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وستين وثلاثمائة.

وأصابه جدري بعد ثلاث سنين من عمره فعمي منه.

وقال الشعر وهو ابن إحدى عشرة سنة.

قلت: وقد اختلف الناس في أبي العلاء المذكور فمن الناس من جعله زنديقًا وهم الأكثر ومن الناس من أول كلامه ودفع عنه.

ومما يستشهد عليه من المقالة الأولى قوله: الوافر عقول تستخف بها سطور ولا يدري الفتى لمن الثبور كتاب محمد وكتاب موسى وإنجيل ابن مريم والزبور وله في غير هذا المعنى أشياء كثيرة وتصانيف مشهورة منها سقط الزند وشرحه بنفسه وسماه ضوء السقط.

وله غير ذلك.

وفيها توفي إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن عابد بن عامر أبو عثمان الواعظ المفسر الصابوني النيسابوري شيخ الإسلام قال أبو عبد الله المالكي: أبو عثمان ممن شهد له أعيان الرجال بالكمال في الحفظ والتفسير وغيرهما.

وقال البيهقي: أنبأنا إمام المسلمين حقًا وشيخ الإسلام صدقًا أبو عثمان الصابوني.

وفيها توفي علي بن هندي القاضي أبو الحسن قاضي حمص.

وله سنة أربعمائة.

كان عالمًا فاضلا نزهًا عفيفًا فصيحًا مات بدمشق.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمس أذرع سواء.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا وثلاث أصابع.

وهي سنة خمسين وأربعمائة.

فيها أقام أبو الحارث أرسلان البساسيري الدعوة للمستنصر ببغداد وخطب له على منابرها.

وقد استوعبنا واقعته مع الخليفة القائم بأمر الله العباسي في أول ترجمة المستنصر هذا فيطلب هناك.

وفيها ولى المستنصر الأمير ناصر الدولة أبا محمد الحسن بن الحسين بن حمدان على دمشق فدام بها إلى أن أمره المستنصر أن يتوخه إلى حلب في سنة اثنتين وخمسين لقتال العرب الذين استولوا عليها فتوجه إليها ودافع العرب بظاهرها فكانت بينهم وقعة هائلة انكسر فيها ناصر الدولة المذكور وعاد جريحًا واستولت العرب على أثقاله وما كان معه.

وفيها توفي داود جغري بك أخو السلطان طغرلبك السلجوقي وداود كان الأكبر.

ولم يقدم بغداد وكان مقيمًا بخراسان بإزاء أولاد محمود بن سبكتكين.

وهو حمو الخليفة القائم بأمر الله.

وكان ملكًا شجاعًا عاقلا جوادًا مدبرًا حكيمًا.

مات ببلخ.

وتوجه ولداه ياقوتي بك وقاورد بك إلى عند أخيهما متملك الأمر بعد أبيهما واسمه ألب أرسلان وقرر عمهما السلطان طغرلبك أمورهما وكان بأصبهان وقد عزم على قصد العراق.

وفيها توفي طاهر بن عبد الله بن طاهر أبو الطيب الطبري القاضي الشافعي.

تفقه بخراسان وبالعراق وولي القضاء بربع الكرخ.

ومولده سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة ومات يوم السبت عشرين أشهر ربيع الأول وقد بلغ مائة سنة وسنتين وهو صحيح العقل ثابت الفهم سليم الأعضاء والحواس.

وفيها توفي عبد الله بن علي بن عياض أبو محمد الصوري كان يلقب بعين الدولة كان جليلا نبيلا ولي القضاء بصور وسمع الكثير وخرج له أبو بكر الخطيب فوائد في أربعة أجزاء وقرأها عليه بصور.

وهو الذي أخذ الخطيب مصنفاته وادعاها لنفسه.

ومات فجأة في الزيب قرية بين عكا وصور في شوال.

وكان صدوقًا ثقة.

وفيها قتل الوزير رئيس الرؤساء علي بن الحسين بن أحمد بن محمد الوزير أبو القاسم كان من بيت رياسة ومكانة استكتبه القائم بأمر الله العباسي ثم استوزره ولقبه رئيس الرؤساء شرف الوزراء.

ومولده في شعبان سنة تسع وتسعين وثلاثمائة.

وكان عالمًا بفنون كثيرة مع سداد رأي ووفور عقل.

قتله أبو الحارث أرسلان البساسيري.

حسب ما ذكرناه في أول ترجمة المستنصر صاحب الترجمة.

وفيها توفي علي بن محمد بن حبيب أبو الحسن الماوردي البصري الإمام الفاضل الفقيه الشافعي صاحب التصانيف الحسان منها التفسير وكتاب الحاوي والأحكام السلطانية وقوانين الوزارة والأمثال.

وولي القضاء ببلدان كثيرة.

وكان محترمًا عند أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمس أذرع وسبع أصابع.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا واثنتا عشرة إصبعًا.

السنة الرابعة والعشرون من خلافة المستنصر

وهي سنة إحدى وخمسين وأربعمائة.

فيها انصرف أبو الأغر دبيس بن مزيد عن بغداد على غضب من البساسيري.

وفيها كان بمكة رخص لم يعهد مثله حتى بلغ البر والتمر مائتي رطل بدينار.

وفيها قتل أبو الحارث أرسلان التركي المعروف بالبساسيري صاحب الدعوة للمستنصر ببغداد كان يلقب بالمظفر.

وكان في مبدأ أمره فقدما على الأتراك خصيصًا عند القائم بأمر الله العباسي لا يقطع القائم أمرًا دونه.

فتجبر وطغى فجفاه القائم واستنصر عليه بالسلطان طغرلبك السلجوقي حتى خرج من بغداد على غضب.

وصار يسعى في زوال الخلافة عن القائم ولا زال يدبر عليه حتى فعل تلك الأمور ودخل بغداد وقاتل الخليفة القائم وقطع خطبته وخطب للمستنصر صاحب الترجمة وقتل الوزير رئيس الرؤساء المقدم ذكره - وقد ذكرنا ذلك كله في أول ترجمة المستنصر هذا - وملك بغداد ودام بها حتى ظفره السلطان طغرلبك السلجوقي وقتله شر قتلة.

وأعاد الخليفة القائم بأمر الله من حديثة عانة إلى بغداد وأعيدت الخطبة باسمه وأبطل طغرلبك اسم المستنصر هذا من بغداد والعراق ومهد أمورها أعني العراق حتى عادت كما كانت عليه وكان قتله في آخر السنة.

وفيها توفي الحسن بن أبي الفضل الإمام أبو علي الشرمقاني - والشرمقان: قرية من قرى نيسابور - كان إمامًا فاضلا حافظًا للقرآن ووجوه القراءات زاهدًا عابدًا ورعًا سليم الصدر.

وكان لا يقبل من أحد ويقنع بورق الخس.

فاتفق أن ابن العلاف خرج يومًا متوجهًا على دجلة فرأى الشرمقاني هذا يأخذ ما يرمي به أصحاب الخس فيأكله فشق عليه ذلك فحكى أمره للوزير رئيس الرؤساء فقال: نبعث له شيئًا فقال: لا يقبل.

فقال الوزير: تحيل فيه.

فقال لغلام له: اذهب إلى مسجد الشرمقاني واعمل لغلقه مفتاحًا من حيث لا يشعر ففعل.

فقال: احمل له في كل يوم ثلاثة أرطال خبز ودجاجة مشوية وقطعة حلوى سكر.

فكان الغلام يرصده فإذا خرج من المسجد فتح الباب وترك ذلك في خلوته وخرج فيقول الشرمقاني: المفتاح معي من أين ذلك! وما هو إلا من الجنة! وسكت ولم يخبر أحدًا خوفًا من أن ينقطع فأخصب جسمه وسمن فقال له ابن العلاف: قد سمنت فإيش تأكل فأنشد الشرمقاني يقول: البسيط.

من أطلعوه على سر فباح به لم يأمنوه على الأسرار ما عاشا وأخذ يوري ولم يصرح بما يقع له فقال: هذا كرامة.

فقال له بعضهم: ينبغي أن تدعو للوزير ففهم وانكسر قلبه وامتنع من أكل ذلك.

وتوفي بعد ذلك بمدة يسيرة.

وفيها توفي سعيد بن محمد بن أحمد الشيخ أبو عثمان النجيرمي النيسابوري العدل.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ثلاث أذرع واثنتا عشرة إصبعًا.

مبلغ الزيادة خمس عشرة ذراعًا وثلاث وعشرون إصبعًا.

السنة الخامسة والعشرون من خلافة المستنصر وهي سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة.

فيها في صفر دخل عطية صاحب بالس إلى الرحبة وحصرها وافتتحها.

فلما دخلها أحسن معاملة أهلها وخطب بها للمستنصر هذا صاحب الترجمة بعد أن كانوا خطبوا فيها بأمر السلطان طغرلبك السلجوقي للقائم بأمر الله العباسي.

وفيها دخل السلطان طغرلبك بغداد وفي خدمته أبو كاليجار من ملوك بني بويه واسمه هزارسب والأمير أبو الأغر بن مزيد والأمير أبو الفتح بن ورام وصدقة بن منصور بن الحسين ونزل بدار الملك ببغداد.

وانقرضت دولة بني وفيها توفي أحمد بن عبد الله بن فضالة أبو الفتح الموازيني الحلبي الشاعر.

كان يعرف بالماهر.

سكن دمشق وبها توفي.

ومن شعره: الكامل.

يا من توقد في الحشا بصدوده نار بغير وصاله لا تنطفي وظننت جسمي أن سيخفى بالضنا عن عاذلي فقد ضنيت وما خفي وفيها توفيت الترنجان زوجة السلطان طغرلبك السلجوقي وأم أنوشروان التي تزوجها خوارزم شاه كانت أم ولد وفيها دين وافر ومعروف ظاهر وصدقات كثيرة وكانت صاحبة رأي وتدبير وحزم وعزم وكان زوجها السلطان طغرلبك سامعًا لها ومطيعًا والأمور مردودة إلى عقلها وكانت تسير بالعساكر وتنجده وتقاتل أعداءه.

وفيها توفيت أم الخليفة القائم بأمر الله العباسي وهي أرمينية أم ولد.

تسمى قطر الندى - وقيل بدر الدجى وقيل علم - وهي التي حبسها البساسيري لما ملك بغداد.

وكانت وفاتها في شهر رجب ببغداد وصلى عليها ابنها الخليفة القائم بأمر الله.

وقد جاوزت التسعين سنة من العمر.

وفيها توفي الحسن بن أبي الفضل الأمير أبو محمد النسوي صاحب شرطة بغداد الذي اصطلح أهل السنة والرافضة خوفًا منه فيما تقدم ذكره.

وكان صارمًا فاتكًا ظالمًا يقتل الناس ويأخذ أموالهم.

وشهد عليه الشهود عند القاضي أبي الطيب فحكم بقتله فصالح بمال فسلم وعزل من الشرطة ثم أعيد فاتفقت أهل السنة والرافضة عليه فقتلوه.

وفيها وقع الطاعون بالحجاز واليمن وخربت قرى كثيرة وصار من يدخلها هلك من ساعته.

وفيها توفي محمد بن عبيد الله بن أحمد أبو الفضل المالكي المعروف بابن عمروس انتهت إليه رياسة المالكية ببغداد في زمانه وكان من القراء المجودين ثقة دينًا أخرج له الخطيب حديثًا عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من عير أخاه بذنب لم يمت حتى يفعله ".

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمس أذرع واثنتان وعشرون إصبعًا.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا وتسع أصابع.

السنة السادسة والعشرون من خلافة المستنصر وهي سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة.

فيها توفي الأمير أحمد بن مروان بن دوستك نصر الدولة الكردي صاحب ميافارقين وديار بكر ملك البلاد بعد أن قتل أخوه أبو سعيد منصور.

وكان نصر الدولة هذا عالي الهمة قوي الحرمة مقبلا على اللذات عادلا في الرعية.

قيل: لم تفته صلاة الصبح مع الجماعة مع انهماكه في اللهو.

وكان له ثلاثمائة وستون جارية يخلو كل ليلة بواحدة على عدد أيام السنة.

وخلف عدة أولاد.

وقد وزر له أبو القاسم الحسين بن علي المغربي صاحب الرسائل وكان أولا وزير صاحب مصر فقدم عليه فوزر له مرتين.

ومات نصر الدولة في شوال بظاهر ميافارقين وله سبع وسبعون سنة.

وكانت سلطنته إحدى وخمسين سنة.

وملك بعده ولده نظام الدين أبو القاسم نصر بن أحمد.

وفيها توفي علي بن رضوان بن علي بن جعفر أبو الحسن المصري صاحب المصنفات.

كان من كبار الفلاسفة في الإسلام وكان له دار بمدينة مصر على قصر الشمعة تعرف بدار ابن رضوان.

وقد تهدمت الآن.

كان إمامًا في الطب والحكمة كثير الرد على أرباب فنه.

وكان فيه سعة خلق عند بحثه وله مصنفات كثيرة.

وفيها توفي علي بن يحيى بن محمد أبو محمد وأبو القاسم السلمي الدمشقي المعروف بالسميساطي واقف خانقاه دمشق وغيرها.

سمع الحديث وكان مقدمًا في علم الهندسة والهيئة وروى عنه أبو بكر الخطيب وغيره.

الماء القديم ثلاث أذرع وأربع عشرة إصبعًا.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا وثماني عشرة إصبعًا.

السنة السابعة والعشرون من خلافة المستنصر وهي سنة أربع وخمسين وأربعمائة.

فيها قبض المستنصر على وزيره أبي الفرج بن المغربي واستوزر أبا الفرج البابلي ثم رد ابن المغربي إلى كتابة الجيش وهي كانت رتبته قبل الوزارة ولم يكن قبله وزير يعزل فيعود إلى قديم تصرفه.

وفيها كانت وقعة بين أبي المكارم مسلم بن قريش بن بدران وبين عمه مقبل ابن بدران.

وكان مقبل قد طلب الأمر لنفسه واجتمع إليه خلق من الأكراد وغيرهم والتقيا على الخابور فانهزم مسلم وملك مقبل الجزيرة.

فبذل مسلم المال وجمع وعاد إلى عمه مقبل فهزمه.

ثم اتفقا واجتمعا واصطلحا على أمر مشى بينهما.

وفيها توفي الحسن بن علي بن محمد بن الحسن أبو محمد الجوهري ثم الشيرازي ثم البغدادي مسند العراق في عصره.

ولد في شعبان سنة ثلاث وستين وثلاثمائة وسمع الكثير وتفرد بأشياء عوال.

وكان يعرف بالمقنعي لأنه كان يتطيلس ويلتف بها تحت حنكه.

ومات في ذي القعدة وكان له شعر.

فمن ذلك قوله: السريع.

يا موت ما أجفاك من زائر تنزل بالمرء على رغمه وتأخذ العذراء من خمرها وتسلب الواحد من أمه وفيها توفي عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن بن بندار أبو الفضل العجلي الرازي المقرئ الإمام الزاهد.

أصله من الري وولد بمكة وكان يتنقل من بلد إلى بلد.

وكان مقرئًا جليل القدر كثير التصانيف حسن السيرة زاهدًا متعبدًا.

وفيها توفي المعز بن باديس بن منصور بن بلكين الحميري الصنهاجي سلطان إفريقية وما والاها من الغرب.

كان الحاكم صاحب مصر قد لقبه شرف الدولة وأرسل إليه خلعة في سنة سبع وأربعمائة وعاش المعز إلى هذا الوقت.

وكان ملكًا رئيسًا جليلا عالي الهمة وهو الذي حسم مادة الخلاف ببلاد الغرب.

وكان مذهب أبي حنيفة ظاهرًا بإفريقية فحمل أهل مملكته بالاشتغال بمذهب مالك وترك ما دونه من المذاهب.

وكان المعز شيخًا جوادًا ممدحًا.

وهو الذي خلع طاعة خلفاء مصر من بني عبيد وأبطل دعوتهم من الغرب وخطب للقائم بأمر الله العباسي فكتب إليه المستنصر هذا يتهدده فما التفت إلى ذلك.

ثم وقع بين عساكره وعساكر وفيها توفي سبكتكين ابن عبد الله التركي أبو منصور ولقب بتمام الدولة.

تولى إمارة دمشق من قبل المستنصر صاحب الترجمة ومات بها في شهر ربيع الأول.

وكان صالحًا عفيفًا سمع الحديث ورواه.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربع أذرع وست أصابع.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا سواء.

السنة الثامنة والعشرون من خلافة المستنصر وهي سنة خمس وخمسين وأربعمائة.

فيها دخل الصليحي إلى مكة واستعمل الجميل مع أهلها وأظهر العدل والإحسان وطابت قلوب الناس له ورخصت الأسعار وكان شابًا أشقر اللحية أزرق العينين وليس كان باليمن أشقر أزرق غيره.

وكان متواضعًا إذا اجتاز بقوم سلم عليهم بيده وكسا البيت الحرام بثياب بيض ورد بني شيبة عن قبيح أفعالهم.

وفيها كانت واقعة بين قاورد بك بن داود وبين فضلويه الشونكاري على فرسخين من شيراز فانهزم فضلويه وغنم قاورد بك أمواله.

وكان فضلويه في عشرين ألفًا من الديلم وغيرهم وكان وفيها ثار أهل همذان على العميد فقتلوه مع سبعمائة رجل من أصحاب السلطان وقتلوا أيضًا شحنة البلد.

وفيها قصد قتلمش الري ومعه خمسون ألفًا من التركمان فدفعه عميد الملك عنها.

وفيها توفي السلطان طغرلبك.

واسمه محمد بن ميكائيل بن سلجوق أبو طالب السلجوقي.

قدم بغداد سنة سبع وأربعين وأربعمائة وخلع عليه الخليفة القائم بأمر الله العباسي وخاطبه بملك المشرق والمغرب.

قلت: وهذا أول ملوك السلجوقية وهو الذي مهد لهم الدولة ورد ملك بني العباس بعد أن كان اضمحل وزالت دعوتهم من العراق وخطب لبني عبيد خلفاء مصر لما استولى أبو الحارث أرسلان البساسيري على بغداد.

وقد تقدم ذكر ذلك.

فما زال طغرلبك هذا حتى رد الخليفة القائم بأمر الله من الحديثة إلى بغداد وأعاد الخطبة باسمه وقتل البساسيري.

وكان شجاعًا مقدامًا حليمًا عصى عليه جماعة فظفر بهم وعفا عنهم.

وهو الذي أزال ملك بني بويه من العراق وغيره.

وكانت وفاته بالري في يوم الجمعة ثامن شهر رمضان من هذه السنة.

وكانت مدة ملكه خمسًا وعشرين سنة وقيل ثلاثون سنة.

ومات وعمره سبعون سنة - وقيل جاوز الثمانين - والأول أشهر.

وطغرلبك بضم الطاء المهملة وكسر الراء المهملة وسكون اللام وفتح الباء ثانية الحروف وسكون الكاف.

وفيها توفي مسلم بن إبراهيم أبو الفضل السلمي البزاز ويعرف بابن الشويطرة كان أديبًا فاضلا.

ومن شعره: البسيط.

ما في زمانك من ترجو مودته ولا صديق إذا خان الزمان وفا فعش فريدًا ولا تركن إلى أحد فقد نصحتك فيما قلته وكفى وفيها توفي منصور بن إسماعيل بن أبي قرة القاضي أبو المظفر الفقيه الهروي الحنفي قاضي هراة وخطيبها ومسندها سمع الكثير وحدث.

وهو أحد أعيان فقهاء الحنفية في زمانه.

كان إمامًا حافظًا مفتنًا.

مات في ذي القعدة عن قريب تسعين سنة.

وفيها كان الطاعون العظيم بمصر وقراها فمات بمصر في عشرة أشهر كل يوم ألف إنسان.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم سبع أذرع وخمس عشرة إصبعًا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا واثنتا عشرة إصبعًا.

السنة التاسعة والعشرون من خلافة المستنصر وهي سنة ست وخمسين وأربعمائة.

فيها وقعت فتنة عظيمة بين عبيد مصر والترك ووصل ناصر الدولة بن حمدان إلى الإسكندرية والتقى مع العبيد بموضع يعرف بالكرم ففتل من العبيد ألف رجل وهرب من بقي.

ثم ترددت الرسل في إصلاح ذات البين فتم.

وقد تقدم شيء من ذلك في ترجمة المستنصر هذا.

وفيها جرت مراسلة بين قاورد بك ابن أخي طغرلبك السلجوقي وبين أخيه ألب أرسلان وسببه أن ألب أرسلان لما ملك الري واستولى على الأموال كان قاورد بك على أصبهان فرجع إلى كرمان وخطب لألب أرسلان المذكور ولنفسه من بعده فلم يحصل له إنصاف من ألب أرسلان فوقع بسبب ذلك ما وقع.

وفيها توفي الحسن بن عبد الله بن أحمد أبو الفتح الحلبي الشاعر المعروف بابن أبي حصينة.

كان فاضلا شجاعًا فصيحًا يخاطب بالأمير.

وفيها توفي عبد الواحد بن علي بن برهان أبو القاسم النحوي.

كان إمامًا فاضلا نحويًا وفيه شراسة خلق ولم يلبس سراويل قط ولا غطى رأسه أبدًا.

ومات ببغداد في جمادى الأولى.

وفيها توفي علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد مولى يزيد بن أبي سفيان بن حرب بن أمية الأموي الفارسي الأصل ثم الأندلسي القرطبي أبو محمد المعروف بابن حزم المحدث صاحب التصانيف المشهورة.

كان ظاهر في المذهب.

وقد تكلم فيه كل أحد ما خلا أهل الحديث فإنهم أثبتوا على حفظه.

كان إمامًا عارفًا بفنون الحديث إلا أنه كان صاحب لسان خبيث ويقع في حق العلماء الأعلام حتى صار مثلا فيقال: نعوذ بالله من سيف الحجاج ولسان ابن حزم.

وكان له شعر جيد.

فمن ذلك قوله: الوافر لئن أصبحت مرتحلا بجسمي فقلبي عندكم أبدًا مقيم ولكن للعيان لطيف معنى له سأل المعاينة الكليم أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمس أذرع واثنتا عشرة إصبعًا.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا وثلاث أصابع.

السنة الثلاثون من خلافة المستنصر وهي سنة سبع وخمسين وأربعمائة.

فيها توفي محمد بن منصور أبو نصر عميد الملك الكندري وزير السلطان طغرلبك السلجوقي.

كان فاضلا مدبرًا حازمًا عاقلا.

وكان طغرلبك في مبدأ أمره قد بعثه ليخطب له امرأة فتزوجها هو فخصاه طغرلبك ثم أقره على خدمته فاستولى عليه إلى أن مات.

ووزر بعد موت طغرلبك لابنه ألب أرسلان وهو الذي قتله.

وولي الوزارة بعده نظام الملك الذي نشر مذهب الإمام الشافعي بالعجم.

وكان عميد الملك المذكور فاضلا أديبًا شاعرًا.

ومن شعره لما تحقق قتله وأجاد إلى الغاية: البسيط.

إن كان بالناس ضيق عن مزاحمتي فالموت قد وسع الدنيا على الناس قضيت والشامت المغرور يتبعني إن المنية كأس كلنا حاسي وفيها توفي عبيد الله بن عمر القاضي أبو زيد الدبوسي الحنفي شيخ الحنفية بما وراء النهر.

كان إمامًا عالمًا فقيهًا نحويًا بارعًا في فنون عفيفًا مشكور السيرة انتهت إليه رياسة مذهب أبي حنيفة في زمانه بما وراء النهر ومات والمعول على فتواه بها.

وفيها توفي عبد الملك بن محمد بن عبد الله بن بشران أبو القاسم الواعظ الفقيه المحدث في شهر ربيع الآخر.

وكان له لسان حلو في الوعظ مع دين وزهد وعفة.

وفيها توفي موسى بن عيسى بن أبي حاج أبو عمران الفقيه المالكي القابسي شيخ المالكية في زمانه.

كان فقيهًا نحويًا إمامًا فاضلا بارعًا في فنون من العلوم.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربع أذرع وأربع عشرة إصبعًا.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا وعشر أصابع.

وهي سنة ثمان وخمسين وأربعمائة.

فيها شرع أهل الكرخ في عمل مأتم الحسين في يوم عاشوراء فثار عليهم أهل السنة.

فقال القائم بأمر الله: هذا شيء قد كان فلا تعاودوه ونهى عنه.

فانكفت الرافضة بغيظهم إلى لعنة الله.

وفيها توفي أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله الحافظ أبو بكر البيهقي مولده سنة أربع وثمانين.

كان أوحد زمانه في الحديث والفقه وله تصانيف كثيرة جمع نصوص الإمام الشافعي - رضي الله عنه - في عشرة مجلدات.

ومات بنيسابور في جمادى الآخرة ونقل تابوته إلى بيهق.

وقد روينا سننه الكبرى عن الشيخ أبي النعيم رضوان العقبي ثنا التقي بن حاتم أنا علي بن عمر الأرموي أنا ابن البخاري أنا منصور بن عبد المنعم الفراوي أنا محمد بن إسماعيل الفارسي أنا أبو بكر البيهقي.

وفيها توفي محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن أحمد بن الفراء أبو يعلى القاضي الحنبلي.

ولد سنة ثمانين وثلاثمائة في المحرم وسمع الكثير وتفقه على جماعة من العلماء وانتهت إليه رياسة الحنابلة في زمانه ومات يوم الاثنين العشرين من شهر رمضان وكانت جنازته مشهورة مشى فيها الأعيان مثل القاضي الدامغاني الحنفي ونقيب الهاشميين أبي

الفوارس طراد وفيها توفي محمد بن الفضل بن نظيف أبو عبد الله المصري الفراء في شهر ربيع الآخر وله تسعون سنة وكان إمامًا عالمًا زاهدًا ورعًا.

وفيها توفي المسدد بن علي أبو المعمر الأملوكي الإمام المحدث البارع خطيب حمص.

كان إمامًا فقيهًا فصيحًا سمع الحديث ورواه.

أمر النيل في هده السنة: الماء القديم ثلاث أذرع وأربع وعشرون إصبعًا.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا وسبع عشرة إصبعًا.

السنة الثانية والثلاثون من خلافة المستنصر وهي سنة تسع وخمسين وأربعمائة.

فيها بعث المستنصر صاحب الترجمة إلى محمود بن الروقلية المتغلب على حلب يطالبه بحمل المال وغزو الروم وصرف ابن خاقان ومن معه من الغز إن كان على طاعته.

فأجاب بأنني التزمت على أخذ حلب من عمي أموالا اقترضتها وأنا مطالب بها وليس في يدي ما أقضيها فضلا عما أصرفه لغيره.

وأما الروم فقد هادنتهم مدة وأعطيتهم ولدي رهينة على مال اقترضته منهم فلا سبيل إلى محاربتهم.

وأما ابن خاقان والغز معه فيدهم فوق يدي.

فلما وصل الجواب إلى المستنصر كتب المستنصر أيضًا إلى بدر الجمالي أمير الجيوش المقيم بدمشق: إن ابن الروقلية خلع الطاعة ومال إلى جهة العراقية.

ثم ندب بدر الجمالي المذكور عطية وهو بالرحبة لقتاله فدخل القاضي ابن عمار المقيم بطرابلس بينهم وأصلح الحال.

وفيها كان بمصر الغلاء والقحط المتواتر الذي خرج عن الحد - وقد تقدم ذكره - ولا زال في زيادة في هذه السنة والتي قبلها إلى أن أخذ أمره في نقص في سنة إحدى وستين وأربعمائة.

وأبيع القمح في هذه السنة بثمانين دينارًا الإردب.

وفيها توفي سعيد بن محمد بن الحسن أبو القاسم إمام جامع صور.

كان فاضلا سمع الحديث ورواه ومن رواياته عن الحسن البصري أنه قال: لا تشتروا مودة ألف رجل بعداوة رجل واحد.

وفيها توفي علي بن الخضر أبو الحسن العثماني الدمشقي الحاسب.

كان له تصانيف في علم الحساب.

ومات بدمشق في شوال.

وفيها كان بالرملة الزلزلة الهائلة التي أخربتها حتى طلع الماء من رؤوس الآبار وهلك من أهلها - كما نقل ابن الأثير - خمسة وعشرون ألفًا.

وقال ابن الصابئ: حدثني علوي كان بالحجاز: أن الزلزلة كانت عندهم في الوقت المذكور وهو يوم الثلاثاء حادي عشر جمادى الأولى فرمت شرفتين من مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وانشقت الأرض فبان فيها كنوز ذهب وفضة وانفجرت فيها عين ماء وأنها أهلكت أيلة ومن فيها وذكر أشياء كثيرة من هذه المقولة.

وأما ابن الأثير فإنه قال: وانشقت صخرة بيت المقدس وعادت بإذن الله وأبعد البحر عن ساحله مسيرة يوم فنزل الناس إلى أرضه يلتقطون السمك فرجع الماء عليهم فأهلكهم.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ست أذرع وعشرون إصبعًا.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا وسبع عشرة إصبعًا.

السنة الثالثة والثلاثون من خلافة المستنصر وهي سنة ستين وأربعمائة.

فيها ولى المستنصر دمشق للأمير بارزطغان قطب الدولة ووصل معه الشريف أبو طاهر حيدرة ونزل بدار العقيقي وانهزم بدر الجمالي أمير الجيوش من دمشق فنهب أهلها خزائنه لأنه كان مسيئًا إليهم ثم ظفر بدر الجمالي بالشريف حيدرة بعد أمور صدرت وسلخه.

وفيها جاء ناصر الدولة بالأتراك إلى باب المستنصر بالقاهرة - وقيل: بالساحل - وزحف المذكورون إلى باب وزيره ابن كدينة: فطالبوه بالمال فقال: وأي مال بقي عندي بعد أخذكم الأموال واقتسامكم الإقطاعات! فقالوا: لا بد أن تكتب إلى المستنصر.

فكتب إليه بما جرى.

فكتب المستنصر الجواب على الرقعة بخطه يقول: السريع.

أصبحت لا أرجو ولا أتقي إلا إلهي وله الفضل جدي نبيي وإمامي أبي وقولي التوحيد والعدل المال مال الله والعبد عبد الله والإعطاء خير من المنع " وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ".

وفيها توفي أحمد بن محمد بن عقيل الشهرزوري الشاعر الفاضل في القدس الشريف.

وكان إمامًا فاضلا أديبًا شاعرًا.

ومن شعره: البسيط.

واحسرتا مات حظي من قلوبكم وللحظوظ كما للناس آجال وفيها توفي الحسن بن أبي طاهر بن الحسن أبو علي الختلي.

كان يسكن دمشق وبها توفي.

ومن رواياته عن الحسن عن الحسن عن الحسن عن الحسن عن النبي.

صلى الله عليه وسلم قال: " إن أحسن الحسن الخلق الحسن " فالحسن الأول ابن حسان التميمي والثاني ابن دينار والثالث البصري والرابع ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما.

وفيها توفيت خديجة بنت محمد بن علي بن عبد الله الواعظة الشاهجانية.

كانت عظيمة مشهورة بالصدق والورع والزهد والدين المتين.

ولدت سنة ست وسبعين وثلاثمائة.

وكانت تسكن قطيعة الربيع.

وصحبت ابن سمعون الواعظ.

ولما ماتت دفنت إلى جانبه.

وفيها توفي عبد الملك بن محمد بن يوسف أبو منصور البغدادي كان إمامًا بارعًا.

لم يكن في زمانه من يخاطب بالشيخ الأجل سواه.

ولد سنة خمس وتسعين وثلاثمائة وكان أوحد زمانه في فعل المعروف والقيام بأمور العلماء وقمع أهل البدع.

وفيها توفي أبو جعفر الطوسي فقيه الإمامية الرافضة وعالمهم.

وهو صاحب التفسير الكبير وهو عشرون مجلدًا وله تصانيف أخر.

مات بمشهد علي - رضي الله عنه - وكان مجاورًا بضريحه.

كان رافضيًا قوي التشيع.

وفيها توفي أحمد بن محمد بن عيسى بن هلال أبو عمر القرطبي المعروف بابن القطان المالكي المغربي شيخ المالكية في زمانه وعالمهم.

مات في هذه السنة وله سبعون سنة.

وفيها توفي أحمد بن الفضل أبو بكر الباطرقاني المقرئ في صفر وله ثمان وثمانون سنة.

كان إمامًا عالمًا بالقراءات رحمه الله.

أمر النيل في هذه السنة: السنة الرابعة والثلاثون من خلافة المستنصر وهي سنة إحدى وستين وأربعمائة.

فيها خرج ناصر الدولة بن حمدان من عند الوزير أبي عبد الله الماشلي وزير المستنصر بمصر فوثب عليه رجل صيرفي وضربه بسكين فأمسك الصيرفي وشنق في الحال وحمل ناصر الدولة بن حمدان إلى داره جريحًا فعولج فبرئ بعد مدة.

وقيل: إن المستنصر ووالدته كانا دسا الصيرفي عليه.

وفي هذه الأيام اضمحل أمر المستنصر بالديار المصرية لتشاغله باللهو والشرب والطرب.

فلما عوفي ابن حمدان اتفق مع مقدمي المشارقة مثل سنان الدولة وسلطان الجيوش وغيرهما فركبوا وحصروا القاهرة.

فاستنجد المستنصر وأمه بأهل مصر وأذكرهم حقوقه عليهم ووعدهم بالإحسان فقاموا معه ونهبوا دور أصحاب ابن حمدان وقاتلوهم.

فخاف ابن حمدان وأصحابه ودخلوا تحت طاعة المستنصر بعد أمور كثيرة صدرت بين الفريقين.

وفيها أبيع القمح بمصر بمائة دينار الإردب ثم عدم وجوده.

وقد ذكرنا ذلك كله في أول ترجمة المستنصر مفصلا.

وفيها توفي عبد الرحيم بن أحمد بن نصر الحافظ أبو زكريا البخاري التميمي سمع الحديث وطاف البلاد في طلب الحديث وسمع بعدة أقطار واتفقوا على صدقه وثقته.

وكانت وفاته في المحرم بمصر.

وفيها توفي محمد بن مكي بن عثمان الحافظ أبو الحسين الأزدي المصري في جمادى الأولى وكان إمامًا فاضلا محدثًا سمع الحديث ورحل البلاد.

وفيها توفي نصر بن عبد العزيز أبو الحسين الشيرازي الفارسي المقرئ كان إمامًا في علم القراءات وله سماع ورواية.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ست أذرع وأربع وعشرون إصبعًا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا وثماني عشرة إصبعًا.

السنة الخامسة والثلاثون من خلافة المستنصر

وهي سنة اثنتين وستين وأربعمائة.

فيها كان معظم الغلاء بالديار المصرية حتى خربت وخرب غالب أعمالها.

وأبطل صاحب مكة وأصاحب المدينة خطبة المستنصر وخطبا للقائم بأمر الله العباسي فلم يلتفت المستنصر لذلك لشغله بنفسه ورعيته من عظم الغلاء.

وفيها وقف الوزير نظام الملك الأوقاف على مدرسته النظامية ببغداد.

وفيها توفي الحسن بن علي بن محمد أبو الجوائز الواسطي الكاتب ولد سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة وسكن بغداد دهرًا طويلا.

وكان شاعرًا ماهرًا.

ومن شعره - رحمه الله تعالى -: واحربا من قولها: خان عهودي ولها وحق من صيرني وقفا عليها ولها ما خطرت بخاطري إلا كستني ولها وفيها توفي الشريف حيدرة بن إبراهيم أبو طاهر بن أبي الجن الشريف العلوي.

كان عالمًا قارئًا محدثا وكان عدوًا لبدر الجمالي فلفا دخل بدر الجمالي دمشق هرب منها حيدرة المذكور إلى عمان البلقاء فغدر به بدر بن حازم وبعث به إلى بدر الجمالي بعد أن أعطاه بدر الجمالي اثني عشر ألف دينار وخلعا كثيرة فقتله بدر الجمالي أقبح قتلة ثم سلخ جلده.

وقيل: سلخه حيًا.

وأظن القاضي شهاب الدين أحمد قاضي دمشق وكاتب مصر في زماننا هذا كان من ذرية ابن أبي الجن هذا.

والله أعلم.

وفيها توفي محمد بن أحمد بن سهل أبو غالب بن بشران النحوي الواسطي الحنفي ويعرف بابن الخالة.

كان إمامًا عالما فاضلا عارفًا بالأدب والنحو واللغة والحديث والفقه وكان شيخ العراق ورحلته.

وابن بشران جده لأمه.

ومات بواسط.

ومن شعره: المتقارب.

يقول الحبيب غداة الوداع كأن قد رحلنا فما تصنع فقلت أواصل سفح الدموع وأهجر نومي فما أهجع وله أيضًا: البسيط.

لما رأيت سلوى غير متجه وأن عزم اصطباري عاد مفلولا دخلت بالرغم مني تحت طاعتكم ليقضي الله أمرًا كان مفعولا وفيها توفي هزارسب بن تنكر بن عياض أبو كاليجار تاج الملوك الكردي.

كان قدم على السلطان ألب أرسلان السلجوقي بأصبهان ثم عاد إلى خوزستان ونزل بموضع يعرف بخرندة.

وكان قد تجبر وتكبر وتسلط وتفرعن وتزوج بأخت السلطان ألب أرسلان فلحقه مرض الذرب حتى مات منه.

وفيها توفي محمد بن عتاب الإمام الفقيه أبو عبد الله القرطبي المالكي مفتي قرطبة وعالمها انتهت إليه رياسة مذهبه في زمانه ببلاد قرطبة.

الماء القديم أربع أذرع وعشر أصابع.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا سواء.

السنة السادسة والثلاثون من خلافة المستنصر وهذه سنة ثلاث وستين وأربعمائة.

فيها كانت الواقعة العظيمة بين السلطان ألب أرسلان بن طغرلبك السلجوقي وبين ملك الروم وانتصر المسلمون ولله الحمد.

ثم سار ألب أرسلان إلى ديار بكر وافتتح بها عدة حصون ثم نزل على الفرات ولم يخرج إليه محمود صاحب حلب فغاظه ذلك فقدم حلب فسار إليها ووصلها وأخربت عساكره حلب ونهبوها ووصلت عساكره إلى القريتين من أعمال حمص ثم شفع فيه الخليفة القائم بأمر الله فقبل ألب أرسلان الشفاعة واصطلحا.

وفيها ملكت الفرنج جزيرة صقلية.

وسببه أنه كان بها وال فبعث إليه المستنصر صاحب مصر يطلب منه المال وكان عاجزًا عما طلب منه فبعث إلى الفرنج وفتح لهم باب البلد فدخلوا وقتلوا وملكوا الجزيرة.

وفيها ظهر أتسز بن أوق مقدم الأتراك وفتح الرملة وبيت المقدس وضايق دمشق وأخرب الشام.

وفيها توفي أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي أبو بكر الخطيب البغدادي.

ولد سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة بدرزيجان قرية من قرى العراق تم انتقل إلى بغداد ورحل وسمع الحديث وصنف الكتب الكثيرة.

ويروى عن أبي الحسين بن الطيوري أنه قال: أكثر كتب الخطيب مستفادة من كتب الصوري يعني أخذها برمتها.

منها: تاريخ بغداد الذي تكلم فيه في غالب علماء الإسلام بالألفاظ القبيحة بالروايات الواهية الأسانيد المنقطعة حتى امتحن في دنياه بأمور قبيحة - نسأل الله السلامة وحسن العاقبة - ورمي بعظائم.

وأمر صاحب دمشق بقتله لولا أنه استجار بالشريف ابن أبي الحسن فأجاره.

وقصته مع الصبي الذي عشقه مشهورة.

ومن أراد شيئًا من ذلك فلينظر في تاريخ الإمام الحافظ الحجة أبي الفرج بن الجوزي المسمى ب المنتظم وأيضًا ينظر في تاريخ العلامة شمس الدين يوسف بن قز أوغلي أعني مرآة الزمان وما وقع له من الأمور والمحن.

وما ربك بظلام للعبيد.

أضربت عن ذكر ذلك كله لكونه متخلقًا بأخلاق الفقهاء وأيضًا من حملة الحديث الشريف.

غير أنني أذكر من شعره ما تغزل به في محبوبه المذكور.

فمن ذلك قوله من قصيدة أولها: البسيط.

تغيب الناس عن عيني سوى قمر حسبي من الناس طرًا ذلك القمر وكفه على هذه الكيفية.

وفيها توفي أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون أبو الوليد المخزومي الأندلسي القرطبي الشاعر المشهور المعروف بابن زيدون حامل لواء الشعراء في عصره.

كانت وفاته في شهر رجب بمدينة إشبيلية.

ومن شعره: السريع.

أيتها النفس إليه اذهبي فما لقلبي عنه من مذهب مفضض الثغر له نقطة من عنبر في خده المذهب أنساني التوبة من حبه طلوعه شمسًا من المغرب وله القصيدة التي سارت بها الركبان الموسومة بالزيدونية التي أولها: البسيط.

بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا شوقًا إليكم ولا جفت مآقينا وفيها توفي محمد بن علي بن محمد بن حباب أبو عبد الله الصوري الشاعر المشهور.

كان فاضلا فصيحًا.

مات بطرابلس.

ومن شعره أول قصيدة: مجزوء الكامل.

صب جفاه حبيبه فحلا له تعذيبه وفيها توفي محمد بن وشاح بن عبد الله أبو علي.

ولد سنة تسع وسبعين وثلاثمائة.

وكان فاضلا كاتبًا شاعرًا فصيحًا مترسلا.

رحمه الله.

أمر النيل في هذه السنة: السنة السابعة والثلاثون من خلافة المستنصر وهي سنة أربع وستين وأربعمائة.

فيها بعث الخليفة بأمر الله الشريف أبا طالب الحسن بن محمد أخا طراد الزينبي إلى أبي هاشم محمد أمير مكة بمال وخلع وقال له: غير الأذان وأبطل حي على خير العمل.

فناظره أبو هاشم المذكور مناطرة طويلة وقال له: هذا أذان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب.

فقال له أخو الشريف: ما صح عنه وإنما عبد الله بن عمر بن الخطاب روي عنه أنه أذن به في بعض أسفاره وما أنت وابن عمر فأسقطه من الأذان.

وفيها توفي عبد الله بن محمد بن عثمان القاضي أبو طالب أمير الدولة الحاكم على طرابلس الشام والمتوفي عليها.

وكان كريمًا كثير الصدقة عظيم المراعاة للعلويين.

مات في نصف شهر رجب.

وفيها توفي عيسون بن علي الشيخ أبو بكر الصقلي الزاهد المشهور.

كان كثير العبادة والزهد والورع.

صنف كتابًا سماه دليل القاصدين في اثني عشر مجلدًا.

وفيها توفي محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن عبد الصمد ابن الخليفة المهتدي بالله أبو وفيها توفي المعتضد بالله عباد بن محمد بن إسماعيل بن عباد الملك الجليل صاحب إشبيلية من بلاد الغرب في قول الذهبي.

كان من أجل ملوك المغرب وأعظمهم وكان محبًا للعلماء والشعراء وعنده فضيلة ومشاركة.

وكان ابن زيدون الشاعر - المقدم ذكره - عنده في صورة وزير.

رحمه الله تعالى.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربع أذرع وعشر أصابع.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا وعشر أصابع.

السنة الثامنة والثلاثون من خلافة المستنصر وهي سنة خمس وستين وأربعمائة.

فيها قتل الحسن بن الحسين بن حمدان الأمير أبو محمد ناصر الدولة التغلبي ذو المجدين المقدم ذكره في أول ترجمة المستنصر هذا.

وقع له أمور آل أمره بعدها إلى أن تزوج ببنت إلدكز واتفق معه.

واتفق لهما أمور كثيرة مع المستنصر صاحب الترجمة.

ولما اتفقا قوي أمر ناصر الدولة هذا ودخل إلى مصر واستولى عليها ولقب نفسه بسلطان الجيوش وأمن إلدكز وناصر الدولة هذا كل منهما إلى الآخر.

ووقع لهما أمور إلى أن دخل ناصر الدولة مصر ثالث مرة فغدر إلدكز به وقتله حسب ما ذكرناه مفضلا في ترجمة المستنصر.

ثم خرج إلدكز بمن معه إلى محمود بن ذبيان أمير بني سنبس فقتلوه وكان عنده الأمير شاور فقتلوه أيضًا وخرجوا إلى خيمة تاج المعالي بن حمدان أخي ناصر الدولة فقتلوه بعد أن هرب منهم.

ثم قطع ابن حمدان المذكور قطعًا وأنفذ كل قطعة إلى بلد.

قلت: وهذا ناصر الدولة آخر من بقي من أولاد بني حمدان ملوك حلب وغيرها.

وفيها توفي عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة بن محمد أبو القاسم القشيري النيسابوري.

ولد سنة ست وسبعين وثلاثمائة في شهر ربيع الأول وربي يتيمًا فقرأ واشتغل بالأدب والعربية.

وكان أولا من أبناء الدنيا فجذبه أبو علي الدقاق فصار من الصوفية.

وتفقه على بكر بن محمد الطوسي وأخذ الكلام عن ابن فورك وصنف التفسير الكبير والرسالة.

وكان يعظ ويتكلم بكلام الصوفية.

ومات بنيسابور.

ومن شعره: السريع.

إن نابك الدهر بمكروه فقل بتهوين تخاويفه فعن قريب ينجلي غمه وتنقضي كل تصاريفه وقد روينا رسالته عن حافظ العصر قاضي القضاة شهاب الدين أحمد بن علي ابن حجر أنا أبو الحسن بن أبي المجد شفاهًا أنا أبو محمد القاسم بن مظفر بن عساكر إجازة إن لم يكن سماعًا أنا محمد بن علي بن محمود العسقلاني سماعًا أنا أم المؤيد زينب بنت عبد الرحمن الشعرية سماعًا أنا أبو الفتوح عبد الوهاب بن شاه الكرماني أنا المؤلف إحمع الله.

وفيها توفي السلطان ألب أرسلان عضد الدولة أبو شجاع محمد الملقب بالملك العادل ابن جغري بك داود بن ميكائيل بن سلجوق السلجوقي التركي ثاني ملوك بني سلجوق كان اسمه بالعربي محمدًا وبالتركي ألب أرسلان.

وأصل هؤلاء السلجوقية من الأتراك فيما وراء النهر في موضع بينه وبين بخارى مسافة عشرين فرسخًا وكانوا لا يدخلون تحت طاعة سلطان حتى صار من أمرهم ما صار.

وهو ابن أخي السلطان طغرلبك محمد وبعده تولى السلطنة.

وألب أرسلان هذا هو أول من أسلم من أخوته وأول من لقب بالسلطان من بني سلجوق وذكر على منابر بغداد.

وكانت سلطنته بعد عمه طغرلبك في سنة سبع وخمسين وأربعمائة.

ونازعه أخوه قاورد بك فلم يتم له أمر.

وكان ملكًا مطاعًا شجاعًا.

مات وهو أجل ملوك بني سلجوق وأعدلهم في الرعية.

وهو الذي أنشأ وزيره نظام الملك.

وتولى السلطنة من بعده ولده ملكشاه.

ومات ألب أرسلان وعمره أربعون سنة قتيلا وكان سبب موته أنه سار في سنة خمس وستين وأربعمائة في مائتي ألف فارس إلى نحو بلاد الروم ثم عاد إلى ديار بكر ثم إلى جهة حلب وقصد شمس الملك تكين.

فلفا دخل إليه أتاه أعوانه بوالي قلعة من قلاع شمس الملك واسم الوالي يوسف الخوارزمي وقربوه إلى سرير السلطان ألب أرسلان فأمر ألب أرسلان أن يضرب له أربعة أوتاد وتشد أطرافه الأربعة إليها.

فقال يوسف المذكور للسلطان: يا مخنث مثلي يقتل هذه القتلة! فغضب السلطان وأخذ القوس والنشاب وقال: خلوه فرماه فأخطأه ولم يكن يخطئ له سهم قبل ذلك فأسرع يوسف المذكور وهجم على السلطان على السرير فنهض السلطان ونزل فعثر وخر على وجهه فوصل يوسف إليه وبرك عليه وضربه بسكين في خاصرته وقتل يوسف في الحال وحمل السلطان فمات بعد أيام يسيرة - وقيل في يومه - وكان ذلك في جمادى الآخرة من السنة.

وألب أرسلان بفتح الهمزة وسكون اللام وبعدها باء موحدة وبقية الاسم معروف.

وفيها توفي قاورد بك بن داود بن ميكائيل السلجوقي أخو السلطان ألب أرسلان المقدم ذكره.

ولما مات أخوه ألب أرسلان نازع ابن أخيه ملكشاه وقاتله فظفر به ملكشاه بعد حروب وأسره وأمر بقتله فخنقه رجل أرمني بوتر قوس وتولى سعد الدولة كوهرائين على قتله وكان ذلك في شعبان بهمذان.

وأمر قاورد بك المذكور من العجائب فإنه كان يتمنى موت ألب أرسلان ويتصور أنه يملك الدنيا بعده فكان هلاكه مقرونًا بهلاكه.

قلت: وكذلك كان أمر قتلمش مع أخيه طغرلبك عم ألب أرسلان وقاورد بك فإنه كان ينظر في النجوم ويتحقق أنه وكان هلاكه أيضًا مقرونًا بهلاكه.

وفيها توفي محمد بن أحمد بن المسلمة الحافظ أبو جعفر.

كان إمامًا حافظًا محدثًا عالمًا.

مات ببغداد في جمادى الأولى من السنة.

وفيها توفي علي بن الحسن بن علي بن الفضل الرئيس أبو منصور الكاتب المعروف بصردر الشاعر المشهور.

كان أحد نجباء الشعراء في عصره جمع بين جودة السبك وحسن المعنى.

ومن شعره: البسيط.

أكلف القلب أن يهوى وألزمه صبرًا وذلك جمع بين أضداد وأكتم الركب أوطاري وأسأله حاجات نفسي لقد أتعبت روادي وله أيضًا: الكامل.

لم أبك أن رحل الشباب وإنما أبكي لأن يتقارب الميعاد شعر الفتى أوراقه فإذا ذوى جفت على آثاره الأعواد وله أيضًا في جارية سوداء: السريع.

علقتها سوداء مصقولة سواد قلبي صفة فيها ما انكسف البدر على تمه ونوره إلا ليحكيها أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ثلاث أذرع وسبع عشرة إصبعًا.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا وسبع أصابع.

السنة التاسعة والثلاثون من خلافة المستنصر وهي سنة ست وستين وأربعمائة.

فيها خرج عساكر غزنة وتعرضوا لبلاد السلطان ملكشاه السلجوقي: فخرج إليهم إلياس بن ألب أرسلان أخو ملكشاه فقاتلهم واستأمن إليه سبعمائة منهم وانهزم من بقي إلى غزنة وأوغل خلفهم إلياس.

وكان سلطان غزنة يوم ذاك إبراهيم بن مسعود بن سبكتكين.

ثم عاد إلياس من الوقعة وقد كفى ملكشاه أمر الغزنوية.

ولما وصل إلياس إلى بلخ مات بعدها بثلاثة أيام وسر أخوه ملكشاه بموته فإنه كان منحرفًا على ملكشاه.

فقال له وزيره نظام الملك: لا تظهر الشماتة واقعد في العزاء ففعل وأظهر الحزن عليه.

وفيها بنى حسان بن مسمار الكلبي قلعة صرخد وكتب على بابها: أمر بعمارة هذا الحصن المبارك الأمير الأجل مقدم العرب عز الذين فخر الدولة عدو أمير المؤمنين يعني المستنصر صاحب مصر وذكر عليها اسمه ونسبه.

وفيها كما قال ابن الصابئ: ورد إلى مكة إنسان عجمي يعرف بسلار من جهة جلال الدولة ملكشاه ودخل وهو على بغلة بمركب ذهب وعلى رأسه عمامة سوداء وبين يديه الطبول والبومات ومعه للبيت كسوة ديباج أصفر وعليها اسم محمود بن سبكتكين وهي من استعماله وكانت مودعة بنيسابور من عهد محمود بن سبكتكين عند إنسان يعرف بأبي القاسم الدهقان فأخذها الوزير نظام الملك منه وأنفذها مع المذكور.

وفيها توفي أحمد بن محمد بن عقيل أبو العباس الشهرزوري.

كان محدثًا وسمع الكثير وكان فاضلا فقيهًا شاعرًا.

مات ببيت المقدس في ذي القعدة.

ومن شعره من قصيدة طويلة قوله: البسيط.

سألت طيفك عن تلفيق إفكهم فقال معتذرًا لا كان ما قالوا سعى الوشاة بقطع الود بينكما وللمودات بين الناس آجال وفيها توفي عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان أبو محمد الخفاجي الحلبي الشاعر المشهور.

كان فصيحًا فاضلا.

أخذ الأدب عن أبي العلاء المعري وغيره وسمع الحديث وبرع فيه.

ومات بقلعة أعزاز من أعمال حلب.

ومن شعره قوله: الرمل.

أترى طيفكم لما سرى أخذ النوم وأعطى السهرا ومنها: سل فروع البان عن قلبي فقد وهم البارق فيما ذكرا قال في الربع وما أحسبه فارق الأظعان حتى انفطرا وفيها توفي عبد العزيز بن أحمد بن محمد بن علي بن سليمان أبو محمد الكتاني الصوفي الحافظ الدمشقي أحد الرحالين في طلب العلم.

كان من المكثرين في الحديث كتابة وسماعًا مع الصدق والأمانة.

وفيها توفي محمد بن إبراهيم بن علي الحافظ أبو بكر العطار الأصبهاني.

كان عظيم الشأن ببلده عارفًا بالرجال والمتون وكان إمامًا ثقة.

وفيها توفي محمد بن عبيد الله بن أحمد بن محمد بن أبي الرعد الفقيه الحنفي قاضي عكبرا.

كان إمامًا فقيهًا صادقًا ثقة.

مات بعكبرا يوم الجمعة ثالث شهر ربيع الآخر.

وفيها توفيت الماوردية البصرية.

كانت زاهدة عابدة صالحة تجتمع إليها النساء فتعظهن وتؤدبهن قاربت الثمانين سنة أقامت منها خمسين سنة لا تفطر النهار ولا تنام الليل ولا تأكل خبزًا ولا رطبًا ولا تمرًا وإنما يطحن لها الباقلاء فتتقوت به.

وماتت بالبصرة فلم يبق بالبلد إلا من شهد جنازتها.

الماء القديم خمس أذرع وعشرون إصبعًا.

ولما كان ليلة النوروز نقص أصابع ثم زاد حتى أوفى.

ونودي عليه في سابع عشرين توت: إصبع من سبع عشرة ذراعًا.

وانتهت زيادته في هذه السنة إلى ست عشرة ذراعًا وثلاث أصابع أعني أنه زاد بعد الوفاء إصبعين لا غير.

السنة الأربعون من خلافة المستنصر وهي سنة سبع وستين وأربعمائة.

فيها أعيدت الخطبة بمكة للمستنصر صاحب الترجمة.

وفيها توفي الخليفة أمير المؤمنين القائم بأمر الله عبد الله ابن الخليفة القادر بالله أحمد ابن الأمير إسحاق ابن الخليفة جعفر المقتدر ابن الخليفة المعتضد بالله أحمد ابن الأمير طلحة الموفق ابن الخليفة المتوكل على الله جعفر ابن الخليفة المعتصم بالله محمد ابن الخليفة الرشيد بالله هارون ابن الخليفة المهدي بالله مجمد ابن الخليفة أبي جعفر المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس أمير المؤمنين أبو جعفر الهاشمي العباسي البغدادي.

وأمه أم ولد رومية تسمى قطر الندى.

ماتت في خلافته حسب ما ذكرناه في هذا الكتاب في محله.

ومولده في سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة.

وبويع بالخلافة بعد موت أبيه وعمره إحدى وثلاثون سنة في ذي الحجة سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة.

وكان جميلا مليح الوجه أبيض اللون مشربًا بحمرة أبيض الرأس واللحية متدينًا ورعًا زاهدًا عالمًا في وجهه أثر صفار من قيام الليل وكان يسرد الصوم وكان قليل الجماع ولهذا قل نسله.

وكان سبب تركه الجماع أنه جامع ليلة وبين يديه شمعة فصارت صورته على الحائط صورة شنيعة فقام عنها وقال: لا عدت إلى مثلها.

وكانت وفاته في يوم الخميس ثالث عشر شعبان من هذه السنة وله خمس وسبعون سنة وثمانية أشهر وأربعة وعشرون يومًا وقيل غير ذلك.

وأقام في الخلافة أربعًا وأربعين سنة.

قلت: ومن الغرائب أن القائم هذا كان معاصرًا للمستنصر العبيدي صاحب الترجمة وهو خليفة مصر وكلاهما مكث في الخلافة ما لم يمكثه غيره من آبائه وأجداده من طول المدة فالقائم هذا كانت مدته أربعًا وأربعين سنة والمستنصر ستين سنة فما أوقع للقائم لم يقع لأحد من العباسيين وما وقع للمستنصر لم يقع لأحد من الفاطميين.

وبويع بالخلافة بعد القائم حفيده عبد الله بن محمد الذخيرة بن القائم المذكور.

ومولده بعد وفاة أبيه الذخيرة بستة أشهر وتولى تربيته جده القائم ولقب بالمقتدي بأمر الله.

وفيها توفي عبد الرحمن بن محمد بن المظفر بن محمد بن داود أبو الحسن بن أبي طلحة الداودي الحافظ.

ولد سنة أربع وسبعين وثلاثمائة وسمع الحديث وقرأ الفقه ودرس وأفتى ووعظ كان في الاجتماع للناس نور فمضى النور وأدلهم الظلام فسد الناس والزمان جميعًا فعلى الناس والزمان السلام وفيها توفي أبو الحسن علي بن الحسن بن علي بن أبي الطيب الباخرزي.

كان إمامًا فاضلا شاعرًا صنف دمية القصر في شعراء أهل العصر.

والعماد الكاتب حذا حذوه.

وكان الباخرزي فريد عصره وديوان شعره مشهور بأيدي الناس.

ومن شعره قوله: الطويل.

زكاة رؤوس الناس في عيد فطرهم بقول رسول الله صاع من البر ورأسك أغلى قيمة فتصدقي بفيك علينا فهو صاع من الدر وفيها توفي علي بن الحسين بن أحمد بن الحسين أبو الحسن الثعلبي ويعرف بابن صصرى.

ذكره الحافظ ابن عساكر وأثنى عليه.

حدث عن تمام بن محمد وغيره وكان ثقة.

وأصل بني صصرى من قرية بالموصل.

ومات بدمشق.

وفيها توفيت كوهر خاتون عمة السلطان ملكشاه السلجوقي أخت السلطان ألب أرسلان.

كانت دينة عفيفة صادرها نظام الملك لما مات أخوها ألب أرسلان وأخذ منها أموالا عظيمة.

فخرجت إلى الري لتمضي إلى المباركية تستنجدهم على قتال الوزير نظام الملك فأشار نظام الملك على ملكشاه بقتلها فقتلها.

فلما وصل خبر قتلها إلى بغداد ذم الناس نظام الملك وقالوا: ما كفاه بناء هذه المدرسة النظامية وغصبه لأراضي الناس وأخذ أنقاضهم حتى دخل في الدماء من قتله هذه المرأة! وأيضًا أنه أشار على ملكشاه بقتل عمه قاورد بك المقدم ذكره ثم أشار على ملكشاه بكحل أولاد عمه.

وهجا نظام الملك جماعة من أهل العراق فلما بلغ نظام الملك قال: ما أقام هذه الشناعة علي إلا فخر الدولة بن جهير.

وفيها توفي محمود بن نصر بن صالح بن مرداس صاحب حلب ويعرف بابن الروقلية.

كان عمه عطية قد أخذ حلب منه فتجهز محمود هذا وأتاه وحصره حتى استعادها منه.

ومات بها في ليلة الخميس ثالث عشر شعبان وهي الليلة التي مات فيها الخليفة القائم بأمر الله العباسي.

وسبب موته أنه عشق جارية لزوجته وكانت تمنعه منها فماتت الجارية فحزن عليها حتى مات بعد يومين.

ولما مات وقع بين العسكر الخلاف.

وكان محمود هذا قد أوصى إلى ولده أبي المعالي شبل وأسكنه القلعة والخزائن عنده وأسكن ولده نصرًا البلد وكان يكره نصرًا ويحب شبلا والعساكر تحب نصرًا فلا زالوا حتى ملك نصر وخلع شبل.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ثلاث أذرع وتسع عشرة إصبعًا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا وسبع أصابع.

وهي سنة ثمان وستين وأربعمائة.

فيها خرج مؤيد الملك بن نظام الملك الوزير من بغداد يريد والده وكان أبوه قد مرض وخرج معه أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد البيضاوي الشاهد رسولا من الديوان إلى السلطان إبراهيم بن مسعود بن محمود بن سبكتكين صاحب غزنة يخبره بوفاة الخليفة القائم بأمر الله وإقامة ولده المقتدي بعده في الخلافة.

وفيها لبس بدر الجمالي أمير الجيوش من المستنصر خلعة الوزارة بمصر وكانت منزلته قبل ذلك أجل من الوزارة ولكن لبسها حتى لا يترتب أحد في الوزارة فينازعه في الأمر.

وفيها أيضًا قبض بدر الجمالي على قاضي الإسكندرية ابن المحيرق وعلى جماعة من فقهائها وأعيانها وأخذ منهم أموالا عظيمة.

وفيها استولى أتسز التركماني على دمشق وخطب بها للمقتدي العباسي وكتب إلى المقتدي يذكر له تسليمها إليه وغلو الأسعار بها وموت أهلها وأن الكارة الطعام بلغت في دمشق نيفًا وثمانين دينارًا مغربية وبقيت على ذلك أربع سنين.

والكارتان ونصف غرارة بالشافي.

فتكون الغرارة بمائتي دينار.

وهذا شيء لم يعهد مثله في سالف الأعصار.

قلت: ولا بعده.

وقد تقدم ذكر هذا الغلاء بمصر والشام في ترجمة المستنصر هذا.

وفيها توفي أحمد بن علي بن محمد القاضي أبو الحسين جلال الدولة الشريف العلوي كان ولي قضاء دمشق للمستنصر وهو آخر قضاة المصريين الرافضة وهو الذي أجار الخطيب البغدادي لما أمر أمير دمشق بقتله.

قال يومًا وعنده أبو الفتيان بن حيوس: وددت أني في الشجاعة مثل جدي علي وفي السخاء مثل حاتم.

فقال له أبو الفتيان بن حيوس: وفي الصدق مثل أبي ذر الغفاري.

فخجل الشريف فإنه كان يتزيد في كلامه.

وفيها توفي إسماعيل بن علي أبو محمد العين زربي الشاعر الفصيح.

كان يسكن دمشق وبها مات.

ومن شعره: وحقكم لا زرتكم في دجنة من الليل تخفيني كأني سارق ولا زرت إلا والسيوف شواهر علي وأطراف الرماح لواحق وله أيضًا: الطويل.

ألا يا حمام الأيك عيشك آهل وغصنك ميال وإلفك حاضر أتبكي وما امتدت إليك يد النوى ببين ولم يذعر جناحك ذاعر قلت: وهذا يشبه قول القائل في أحد معانيه: الخفيف نسب الناس للحمامة حزنًا وأراها في الحزن ليست هنالك وفيها توفي مسعود بن عبد العزيز بن المحسن بن الحسن بن عبد الرزاق أبو جعفر البياضي الشاعر البغدادي.

كان أديبًا فاضلا شاعرًا.

مات ببغداد في ذي القعدة.

ومن شعره: الخفيف.

ليس لي صاحب معين سوى اللي - - ل إذا طال بالصدود عليا أنا أشكوهم الحبيب إليه وهو يشكو بعد الصباح إليا أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربع أذرع وإصبعان.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا وأربع عشرة إصبعًا.

وأوفى يوم نصف توت.

السنة الثانية والأربعون من خلافة المستنصر وهي سنة تسع وستين وأربعمائة.

فيها في صفر غلب على المدينة النبوية محيط العلوي وأعاد خطبة المستنصر هذا بها وطرد عنها أميرها الحسين بن مهنأ فقصد الحسين ملكشاه السلجوقي.

وفيها توفي - والصحيح في التي قبلها - علي بن أحمد بن محمد بن علي أبو الحسن الواحدي النيسابوري.

كان من أولاد التجار من ساوه وكان أوحد عصره في التفسير.

كان إمامًا عالمًا بارعًا محدثًا صنف التفاسير الثلاثة: البسيط والوجيز والوسيط.

والغزالي أخذ هذه الأسماء برفتها وسمى بها تصانيفه.

وصنف الواحدي أيضًا أسباب النزول في مجلد وشرح الأسماء الحسنى وكتبًا كثيرة غير ذلك.

وكان له أخ اسمه عبد الرحمن قد تفقه وحدث أيضًا.

وفيها توفي إسفهدوست بن محمد بن الحسن أبو منصور الديلمي الشاعر.

كان أولا يهجو الصحابة - رضي الله عنهم - والناس ثم تاب وحسنت توبته.

وقال في ذلك قصيدة طنانة أولها: الكامل.

لاح الهدى فجلا عن الأبصار كالليل يجلوه ضياء نهار ورأت سبيل الرشد عيني بعدما غطى عليها الجهل بالأستار ومنها: وعدلت عما كنت معتقدًا له في الصحب صحب نبيك المختار السيد الصديق والعدل الرضى عمر وعثمان شهيد الدار وهي طويلة جدًا.

وفيها توفي طاهر بن أحمد بن باب شاذ أبو الحسن النحوي المصري صاحب المقدمة المشهورة.

كان عالمًا فاضلا وله تصانيف في النحو.

سمع الحديث ورواه وقرئ عليه الأدب وفيها توفي عبد الرحمن بن محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده - واسم منده إبراهيم بن الوليد - الحافظ أبو القاسم ابن الحافظ أبي عبد الله العبدي الأصبهاني.

كان كبير الشأن جليل القدر حسن الخط واسع الرواية.

ولد سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة وهو أكبر أخوته - رحمه الله - ومات في شوال.

وقال الذهبي: مات في سبعين وأربعمائة.

وفيها كان الطاعون العظيم بالشام ومات خلائق لا تحصر.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ثلاث أذرع وسبع أصابع.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا وثلاث عشرة إصبعًا.

وأوفى بأواخر توت.

السنة الثالثة والأربعون من خلافة المستنصر وهي سنة سبعين وأربعمائة

فيها ورد كتاب ارتق بك على الخليفة المقتدي العباسي بأخذه بلاد القرامطة.

وفيها توفيت بنت الوزير نظام الملك وزوجة الوزير عميد الدولة وجلس الوزير وولده للعزاء.

ونظام الملك وزير السلطان ملكشاه وعميد الدولة وزير الخليفة المقتدي بالله وكان عميد وفيها توفي أحمد بن عبد الملك بن علي الحافظ أبو صالح النيسابوري المؤذن.

ولد سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة وسمع الحديث الكثير وصنف الأبواب والشيوخ وكان يؤذن ويعظ وكان شيخ الصوفية في وقته علمًا وعملًا وصدقًا وثقة وأمانة.

وفيها توفي عبد الخالق بن عيسى بن أحمد بن محمد بن عيسى بن أحمد أبو جعفر بن أبي موسى الشريف الهاشمي إمام الحنابلة وعالمهم في زمانه.

ولد سنة إحدى عشرة وأربعمائة.

وكان عالمًا ورعًا فاضلًا تفقه على القاضي أبي يعلى.

وكان يشهد ثم ترك الشهادة.

وكان صدوقًا ثقة زاهدًا عابدًا مصنفًا.

مات بنيسابور في شهر رمضان.

وفيها توفي أحمد بن محمد ابن أحمد بن عبد الله بن النفور الحافظ أبو الحسن البزاز.

مات ببغداد في شهر رجب وله تسعون سنة.

وكان إمامًا محدثًا فاضلًا بارعًا.

وفيها توفي الحسين بن محمد ابن أحمد بن طلاب أبو نصر خطيب دمشق في صفر بها وله إحدى وتسعون سنة.

وكان إمامًا بارعًا محدثًا فصيحًا خطيبًا.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربع أذرع واثنتان وعشرون إصبعًا.

وفتح الخليج في سابع عشر مسرى والماء على اثنتي عشرة إصبعًا من ست عشرة ذراعًا.

وأوفى في رابع أيام النسيء وبلغ سبع عشرة ذراعًا السنة الرابعة والأربعون من خلافة المستنصر وهي سنة إحدى وسبعين وأربعمائة.

فيها توفي إبراهيم بن علي بن الحسين أبو إسحاق شيخ الصوفية بالشام.

سمع الحديث وكان صاحب رياضات ومجاهدات.

أقام بصور أربعين سنة ومات بدمشق.

وفيها توفي الحسن بن أحمد بن عبد الله أبو علي بن البناء الحنبلي.

ولد سنة سبع وتسعين وثلاثمائة.

وبرع في الفقه وغيره وصنف في كل فن.

وكان يقول: صنفت خمسين ومائة مصنف.

وكانت وفاته في شهر رجب هذه السنة.

وفيها توفي الحسين بن أحمد بن عقيل بن محمد أبو علي بن ريش الدمشقي.

مات بدمشق في جمادى الآخرة.

وكان ثقة صدوقًا فاضلًا أديبًا.

وفيها توفي سعد بن علي بن محمد بن علي بن الحسين الحافظ أبو القاسم الزنجاني الصوفي.

ولد سنة ثمانين وثلاثمائة وطاف البلاد وسمع الكثير.

وانقطع في آخر عمره بمكة وصار شيخ الحرم.

وفيها توفي عبد القاهر بن عبد الرحمن أبو بكر الجرجاني النحوي شيخ العربية في زمانه.

كان إمامًا بارعًا مفتنًا.

انتهت إليه رياسة النحاة في زمانه.

الماء القديم خمس أذرع وسبع وعشرون إصبعًا.

وفتح الخليج في سابع عشرين مسرى والماء على ثماني عشرة إصبعًا من ست عشرة ذراعًا.

وكان الوفاء في ثالث توت بعد ما توقف ولم يزد إلى عاشر مسرى.

وكان مبلغ الزيادة في هذه السنة سبع عشرة ذراعًا وعشرين إصبعًا ونقص في خامس بابة.

السنة الخامسة والأربعون من خلافة المستنصر وهي سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة.

فيها توفي منصور بن بهرام الأمير نظام الملك صاحب ميافارقين من ديار بكر وملك بعده ابنه ناصر الدولة.

وفيها توفي هياج بن عبيد بن الحسين أبو محمد الحطيني الزاهد - وحطين: قرية غربي طبرية.

ويقال: إن قبر شعيب عليه السلام بها وبنته صفوراء زوجة موسى عليه السلام أيضًا بها.

وحطين بكسر الحاء المهملة وفتحها -.

وكان هياج المذكور إمامًا زاهدًا.

سمع الحديث وبرع وجاور بمكة وصار فقيه الحرم ومفتي مكة.

وكان يصوم يومًا ويفطر يومًا ويأكل في كل ثلاثة أيام مرة ويعتمر في كل يوم ثلاث مرات على قدميه.

وأقام بالحرم أربعين سنة لم يحدث فيه وكان يخرج إلى الحل ويقضي حاجته.

وكان يزور النبي صلى الله عليه وسلم في كل سنة ماشيًا وكان يزور عبد الله بن عباس في كل سنة مرة بالطائف ويأكل أكلة بالطائف وأخرى بمكة وما كان يدخر شيئًا ولم يكن له غير ثوب واحد.

وفيه قال بعضهم: الوافر أقول لمكة ابتهجي وتيهي على الدنيا بهياج الفقيه إمام طلق الدنيا ثلاثًا فلا طمع لها من بعد فيه وكان سبب موته أن بعض الرافضة شكا إلى صاحب مكة محمد بن أبي هاشم قال: إن أهل السنة يستطيلون علينا بهياج وكان صاحب مكة المذكور رافضيًا خبيثًا فأخذه وضربه ضربًا عظيمًا على كبر سنه فبقي أيامًا ومات وقد نيف على الثمانين سنة ودفن إلى جانب الفضيل بن عياض رحمة الله عليهما.

ولما مات قال بعض العلماء: لو ظفرت النصارى بهياج لما فعلوا فيه ما فعله به صاحب مكة هذا الخبيث!.

قلت: وهم الآن على هذا المذهب سوى أن الله تعالى قمعهم بالدولة التركية ونصر أهل السنة عليهم وجعلهم رعايا ليس لهم بمكة الآن غير مجرد الاسم.

وفيها توفي الحسن بن عبد الرحمن أبو علي الفقيه المكي الشافعي في ذي القعدة وكان من الفضلاء.

وفيها توفي أبو عبد الله يحيى بن أبي مسعود عبد العزيز بن محمد الفارسي بهراة في شوال وكان إمامًا فقيهًا نحويًا محدثًا.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم لم يتحرر فإنه زاد في بؤونة خمس أذرع ثم نقص ثلاث أذرع ولم يزد إلى ثاني عشرين أبيب.

وفتح الخليج في عشرين مسرى والماء على تسع عشرة إصبعًا من ست عشرة ذراعًا.

وكثرت زيادته في توت وانتهى إلى خمس عشرة ذراعًا وثماني عشرة إصبعًا ثم نقص في ثاني بابة.

السنة السادسة والأربعون من خلافة المستنصر وهي سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة.

فيها وصل السلطان ملكشاه السلجوقي إلى الري لقتال ابن عمه سلطان شاه بن قاورد بك فخرج إليه سلطان شاه مستأمنًا وقبل الأرض بين يديه.

فقام السلطان ملكشاه له وأجلسه بجانبه وتحالفا وزوجه ابنته وعاد السلطان ملكشاه إلى أصبهان.

وفيها ملك جلال الملك أبو الحسن بن عمار قاضي طرابلس وصاحبها حصن جبلة.

وكان ابن عمار هذا قاضي طرابلس وصاحبها غلب على تلك البلاد سنين وعجز بدر الجمالي أمير الجيوش عن مقاومته.

وفيها عزل المقتدي بالله العباسي وزيره عميد الدولة واستوزر أبا شجاع محمد بن الحسين الروذراوري وكان صالحًا عفيفًا دينًا.

فهجاه الموصلي فقال: الكامل ما استبدلوا ابن جهير في ديوانهم بأبي شجاع لرفعة وجلال لكن رأوه أشح أهل زمانه فاستوزروه لحفظ بيت المال وفيها توفي محمد بن الحسين بن عبد الله بن أحمد بن يوسف بن الشبلي أبو علي الشاعر البغدادي كان شاعرًا مجيدًا ومات في المحرم.

ومن شعره: الكامل لا تظهرن لعاذل أو عاذر حاليك في السراء والضراء فلرحمة المتوجعين مرارة في القلب مثل شماتة الأعداء وفيها توفي محمد بن سلطان بن محمد بن حيوس الأمير الشاعر.

كان أحد شعراء الشاميين وفحولهم المجيدين وكان له ديوان شعر.

ومات بدمشق في شعبان وقد جاوز الثمانين سنة.

وأنشد له ابن عساكر قصيدة أولها: الكامل أسكان نعمان الأراك تيقنوا بأنكم في ربع قلبي سكان قال ابن خلكان: كان أبوه قاضيًا باليمن سني المذهب ثم ذكر عنه فضيلة وأشياء أخر تدل على أنه كان رافضيًا خبيثًا إلى أن قال: ثم إنه صار يحج بالناس على طريق السراة والطائف خمس عشرة سنة.

انتهى كلام ابن خلكان.

قلت: وتغلب على اليمن حتى ملكه وجعل كرسي ملكه بصنعاء وبنى عدة قصور وطالت أيامه ودخل سنة خمس وخمسين وأربعمائة إلى مكة واستعمل الجميل مع أهلها ورخصت الأسعار وأحبه الناس لتواضع كان فيه.

ودخل معه مكة زوجته الحرة التي كان خطب لها على منابر اليمن وأقام بمكة شهرًا ثم رحل.

وكان يركب فرسًا بألف دينار وعلى رأسه العصائب.

وإذا ركبت زوجته الحرة ركبت في مائتي جارية بالحلي والجواهر وبين يديها الجنائب بالسروج الذهب.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربع أذرع وإحدى وعشرون إصبعًا.

وفتح الخليج في خامس توت والماء على خمس عشرة إصبعًا من ست عشرة ذراعًا.

وكان الوفاء في خامس عشرين توت.

وكان مبلغ الزيادة في هذه السنة ست عشرة ذراعًا وخمس عشرة إصبعًا.

ونقص في ثالث بابة.

السنة السابعة والأربعون من خلافة المستنصر فيها توفي داود ولد السلطان ملكشاه السلجوقي في يوم الخميس حادي عشرين في الحجة بأصبهان وحزن عليه والده ملكشاه حزنًا جاوز الحد وفعل في مصابه مالم يسمع بمثله ورام قتل نفسه دفعات وخواصه تمنعه من ذلك ولم يمكن من أخذه وغسله لقلة صبره على فراقه حتى تغير وكادت رائحته تظهر فحينئذ مكن منه.

وامتنع عن الطعام والشراب.

واجتمع الأتراك والتركمان في دار المملكة وجزوا شعورهم واقتدى بهم نساء الحواشي والحشم والأتباع والخدم وجرت نواصي الخيول وقلبت السروج وأقيمت الخيول مسودات وكذا النساء المذكورات وأقام أهل البلد المأتم في منازلهم وأسواقهم.

وبقيت الحال على هذا سبعة أيام حتى كلمه أرباب الدولة في منع ذلك وأرسل إليه الخليفة يحثه على الجلوس بالديوان.

وفيها سار تتش صاحب دمشق فافتتح أنطرطوس وغيرها.

وفيها أخذ شرف الدولة صاحب الموصل حران من بني وثاب النميريين وصالحه صاحب الرهاء وخطب له بها.

وفيها تملك الأمير سديد الملك أبو الحسن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني حصن شيزر وانتزعه من الفرنج بعد أن نازلها وتسلمها بالأمان وبمال للأسقف.

فلم تزل شيزر بيده وبيد أولاده إلى أن هدمتها الزلزلة وقتلت أكثر من كان بها فعند ذلك أخذها السلطان الملك العادل نور الدين محمود الشهيد وأصلحها وجددها.

وأما سديد الملك فلم يحي بعد أن تملكها إلا نحو السنة ومات.

وكان شجاعًا فارسًا شاعرًا.

وملكها بعده ابنه أبو المرهف نصر.

وفيها توفي سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث الإمام أبو الوليد التجيبي القرطبي الباجي صاحب التصانيف.

أصله بطليوسي وانتقل آباؤه إلى باجة وهي مدينة قريبة من إشبيلية.

وولد في ذي القعدة سنة ثلاث وأربعمائة.

ورحل البلاد وحج وسافر إلى الشام وبغداد وسمع بهما الكثير.

قال القاضي عياض: وولي قضاء مواضع من الأندلس وذكر مصنفاته وأثنى على علمه وفضله.

وفيها توفي نور الدولة دبيس بن علي بن مزيد أبو الأغر صاحب الحلة.

عاش ثمانين سنة كان فيها أميرًا نيفًا وستين سنة وكان الطبول تضرب على بابه في أوقات الصلوات وكان جوادًا ممدحًا كان محط رحال الرافضة - أخزاهم الله - وملك بعده ابنه أبو كامل بهاء الدولة منصور.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمس أذرع وثماني عشرة إصبعًا.

وفتح الخليج في خامس عشرين مسرى والماء على ثماني عشرة إصبعًا من ست عشرة ذراعًا.

وكان الوفاء أول أيام النسيء.

وبلغ ثماني عشرة ذراعًا وثلاث عشرة إصبعًا.

ونقص في ثالث بابه.

السنة الثامنة والأربعون من خلافة المستنصر وهي سنة خمس وسبعين وأربعمائة.

فيها شفع أرتق بك إلى تاج الدولة تتش صاحب الشام في مسمار الكلبي فأفرج عنه وسار الأمير أرتق بك إلى القدس.

وفيها فتح ابن قتلمش حصن أنطرطوس من الروم وبعث إلى ابن عمار قاضي طرابلس وصاحبها يطلب منه قاضيًا وخطيبًا.

وفيها سار مسلم بن قريش صاحب حلب إلى دمشق وحصر بها صاحبها تتش ثم عاد عنها ولم يظفر بطائل.

وفيها توفي ابن ماكولا علي بن هبة الله بن علي بن جعفر بن علكان بن محمد ابن دلف ابن الأمير أبي دلف القاسم بن عيسى بن إدريس بن معقل العجلي.

وعجل: بطن من بكر بن وائل من أمة ربيعة أخي مضر ابني نزار بن معد بن عدنان.

قال شيرويه في طبقاته: وكان يعرف بالوزير سعد الملك بن ماكولا وولد بعكبرا في سنة إحدى وعشرين وأربعمائة في شعبان وكنيته أبو نصر.

قال صاحب مرآة الزمان: الأمير الحافظ أبو نصر العجلي.

قال أبو عبد الله الحميدي: ما راجعت أبا نصر ابن ماكولا في شيء إلا وأجابني حفظًا كأنه يقرأ من كتاب.

قلت وهو الذي صنف عن أوهام الخطيب كتابًا سماه مستمر الأوهام.

ومات في هذه السنة.

وقيل سنة تسع وسبعين وقيل سنة سبع وثمانين.

ومن شعره - رحمه الله -: الطويل ولما توافينا تباكت قلوبنا فمسك دمع يوم ذاك كساكبه فيا كبدي الحرى البسي ثوب حسرة فراق الذي تهوينه قد كساك به وفيها توفي محمد بن أحمد بن عيسى الإمام أبو بكر السمسار.

مات في شوال.

كان إمامًا فاضلًا بارعًا سمع الحديث وبرع في فنون.

وفيها وقع الطاعون ببغداد ثم بمصر وما والاهما فمات فيه خلق كثير.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ثماني عشرة ذراعًا.

ثم زاد حنى كان مبلغ الزيادة في هذه السنة خمس عشرة ذراعًا وعشر أصابع.

ثم نقص في خامس بابه.

وهي سنة ست وسبعين وأربعمائة.

فيها عزل المقتدي بالله العباسي عميد الدولة عن الوزارة.

وفيها سلم ابن صقيل قلعة بعلبك إلى تاج الدولة تتش صاحب الشام وكان مقيمًا فيها من قبل المستنصر العبيدي صاحب الترجمة وكان ذلك في صفر.

وفيها عزم تتش صاحب دمشق على مصاهرة أمير الجيوش بدر الجمالي وزير مصر وصاحب عقدها وحلها فأشار ابن عمار قاضي طرابلس وصاحبها على تتش بألا يفعل فثنى عزمه عن ذلك.

وفيها توفي سلطان شاه بن قارود بك بن داود بن ميكائيل السلجوقي صاحب كرمان وابن عم السلطان ملكشاه فقدمت أمه على ملكشاه بهدايا وأموال فأكرمها وأقر ولدها الآخر مكانه.

وفيها تغيرت نية السلطان ملكشاه على وزيره نظام الملك ثم أصلح نظام الملك أمره معه.

وفيها توفي إبراهيم بن علي بن يوسف أبو إسحاق الفيروزابادي الشيرازي الشافعي.

ولد سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة وتفقه بفارس على أبي عبد الله البيضاوي وببغداد على أبي الطيب الطبري.

وسمع الحديث وكان إمامًا فقيهًا عالمًا زاهدًا.

ولما قدم خراسان في الرسالة تلقاه الناس وخرجوا إليه من نيسابور فحمل إمام الحرمين أبو المعالي الجويني غاشيته ومشى بين يديه كالخدم وقال: أنا أفتخر بهذا.

قال أبو المظفر في المرآة: وما عيب عليه شيء إلا دخوله النظامية وذكره الدروس بها لأن حاله في الزهد والورع خلاف ذلك.

ثم ساق له أشعارًا كثيرة.

منها في غريق في الماء: الطويل غريق كأن الموت رق لأخذه فلان له في صورة الماء جانبه أبى الله أن أنساه دهري فإنه توفاه في الماء الذي أنا شاربه وله: الوافر سألت الناس عن خل وفي فقالوا ما إلى هذا سبيل تمسك إن ظفرت بود حر فإن الحر في الدنيا قليل وكانت وفاته ببغداد من الجانب الشرقي.

وفيها توفي محمد بن أحمد بن محمد بن إسماعيل أبو طاهر بن أبي الصقر الأنباري كان محدثًا فاضلًا ثقة صدوقًا صاحب صيام وقيام.

وله شعر.

وأنشد لابن الرومي: الكامل يا دهر صافيت اللئام مواليًا أبدًا وعاديت الأكارم عامدًا فغدرت كالميزان ترفع ناقصًا أبدًا وتخفض لا محالة زائدًا أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمس أذرع وسبع عشرة إصبعًا.

وفتح الخليج في ثاني النسيء.

وكان الوفاء في ثامن توت.

وكان مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا وتسع أصابع.

ونقص في تاسع بابة.

السنة الخمسون من خلافة المستنصر وهي سنة سبع وسبعين وأربعمائة.

فيها بني أمير الجيوش بدر الجمالي جامع العطارين بالإسكندرية.

وسببه أن الأوحد ولد بدر الجمالي عصى عليه وتحصن بالإسكندرية.

فسار إليه أبوه بدر الجمالي حتى نزل على الإسكندرية وحاصرها شهرًا حتى طلب أهلها الأمان وفتحوا له الباب فدخلها وأخذ ابنه أسيرًا ثم بنى هذا الجامع.

وفيها توفي عبد السيدبن محمد بن عبد الواحد أبو نصر بن الصباغ الفقيه الشافعي.

ولد سنة أربعمائة وتفقه وبرع حتى صار فقيه العراق وكان يقدم على أبي إسحاق الشيرازي في معرفة مذهبه.

وصنف الكتب في الفقه منها: الشامل والكامل وتذكرة العالم و الطريق السالم.

وولي تدريس النظامية قبل أبي إسحاق عشرين يومًا.

ومات جمادى الأولى.

وفيها توفي مسلم بن قريش بن بدران الأمير أبو البركات شرف الدولة أمير بني عقيل صاحب الموصل والجزيرة وحلب.

وزوجه السلطان ألب أرسلان السلجوقي أخته.

وكان شجاعًا جوادًا ذا همة وعزم احتاج إليه الخلفاء والملوك والوزراء وخطب له على المنابر من بغداد إلى العواصم والشام.

وأقام حاكمًا على البلاد نيفًا وعشرين سنة.

ولما مدحه ابن حيوس بقصيدته التي أولها: الكامل ما أدرك الطلبات مثل مصمم إن أقدمت أعداؤه لم يحجم فأعطاه الموصل جائزة له فأقامت في حكمه ستة أشهر.

وقتل مسلم هذا في وقعة كانت بينه وبين سليمان بن قتلمش في هذه السنة.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمس أذرع وأربع عشرة إصبعًا.

وفتح الخليج في رابع عشرين مسرى والماء على اثنتي عشرة إصبعًا من ست عشرة ذراعًا.

وكان الوفاء آخر أيام النسيء.

ووقف مدة ثم نقص في العشرين من توت بعد ما بلغ سبع عشرة ذراعًا وثلاث عشرة إصبعًا.

السنة الحادية والخمسون من خلافة المستنصر وهي سنة ثمان وسبعين وأربعمائة.

فيها وقع طاعون عظيم بالعراق ثم عم الدنيا فكان الرجل قاعدًا في شغله فتثور به الصفراء فتصرعه فيموت من وقته.

ثم هبت ريح سوداء ببغداد أظلمت الدنيا ولاحت نيران في أطراف السماء وأصوات هائلة فأهلكت خلقًا كثيرًا من الناس والبهائم.

فكان أهل الدرب يموتون فيسد الحرب عليهم.

قاله صاحب مرآة الزمان - رحمه الله -.

وفيها اتفق جماعة بمصر مع ولده أمير الجيوش بدر الجمالي على قتل والده وينفرد الولد بالملك ففطن به أبوه فقتل الجماعة وعفى أثر ولده ويقال: إنه دفنه حيًا وقيل: غرقه وقيل: جوعه حتى مات.

وكان بدر الجمالي أرمني الجنس فاتكًا جبارًا قتل خلقا كثيرًا من العلماء وغيرهم وأقام الأذان ب حي على خير العمل وكبر على الجنائز خمسًا وكتب سب الصحابة على الحيطان.

قلت: وبالجملة إنه كان من مساوئ الدنيا جزاه الله.

وغالب من كان بمصر في تلك الأيام كان رافضيًا خبيثًا بسبب ولاة مصر بني عبيد إلا من ثبته الله تعالى على السنة.

وفيها توفي أحمد بن الحسن بن محمد بن إبراهيم أبو بكر سبط ابن فورك وختن أبي القاسم القشيري على ابنته وكان يعظ في النظامية وكان قبيح السيرة.

وفيها توفي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف أبو المعالي الجويني الفقيه الشافعي المعروف بإمام الحرمين.

وجوين: قرية من قرى نيسابور.

ولد سنة سبع عشرة وأربعمائة.

وتفقه على والده فأقعد مكانه وله دون العشرين من العمر فأقام الحرس وسمع بالبلاد وحج وجاور ثم عاد إلى نيسابور ودرس بها ثلاثين سنة وإليه المنبر والمحراب ويجلس للوعظ وتخرج به جماعة وصنف نهاية المطلب في رواية المذهب.

وصنف في الكلام الكتب الكثيرة: الإرشاد وغيره.

قال صاحب مرآة الزمان: وقال محمد بن علي تلميذ أبي المعالي الجويني: دخلت عليه في مرضه الذي مات فيه وأسنانه تتناثر من فيه ويسقط منها الدود لا يستطاع شم فيه فقال: هذه عقوبة اشتغالي بالكلام فاحذروه! وكانت وفاته ليلة الأربعاء الخامس والعشرين من شهر ربيع الأول عن تسع وخمسين سنة.

وفيها توفي محمد بن أحمد بن عبد الله بن أحمد بن الوليد أبو علي المتكلم المعتزلي شيخ المعتزلة والفلاسفة والداعية إلى مذهبهم.

وهو من أهل الكرخ وكان يدرس هذه العلوم فاضطره أهل السنة إلى أنه لزم بيته خمسين سنة لا يتجاسر أن يظهر.

ومات في ذي الحجة.

وفيها توفي محمد بن علي بن محمد بن الحسن بن عبد الملك بن عبد الوهاب بن حمويه الإمام أبو عبد الله الدامغاني القاصي الحنفي.

ولد بالدامغان في شهر ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة وتفقه ببلده ثم قدم بغداد وتفقه أيضًا بالصيمري والقدوري وسمع منهما الحديث وبرع في الفقه وخص بالفضل الوافر والتواضع الزائد وارتفع وشيوخه أحياء وانتهت إليه رياسة المذهب في زمانه.

وكان فصيح العبارة مليح الإشارة غزير العلم سهل الأخلاق معظمًا عند الخلفاء والملوك.

ولي قضاء القضاة ببغداد سنة سبع وأربعين وصار رأس علماء عصره في كل مذهب.

وحسنت سيرته في القضاء حتى أقام فيه ثلاثين سنة.

ومات ليلة السبت الرابع والعشرين من شهر رجب.

وكانت جنازته عظيمة نزع العلماء طيالستهم ومشوا فيها.

وكثر أسف الناس عليه.

رحمه الله تعالى.

وفيها توفي منصور بن دبيس بن علي بن مزيد الأمير الرافضي أبو كامل بهاء الدولة صاحب الحلة.

مات فيها في شهر رجب وكانت ولايته ست سنين.

وقام بعده ولده سيف الدولة صدقة.

قلت: والجميع رافضة كل واحد أنجس من الآخر عاملهم الله بما يستحقونه.

وفيها توفي هبة الله بن عبد الله بن أحمد أبو الحسن السيبي البغدادي.

سمع الحديث وتفقه وكان أديبًا شاعرًا فصيحًا.

مات في المحرم.

ومن شعره: المتقارب رجوت الثمانين من خالقي لما جاء فيها عن المصطفى فبلغنيها وشكرًا له وزاد ثلاثًا بها أردفا وها أنا منتظر وعده لينجزه فهو أهل الوفا وفيها توفي يحيى بن محمد بن طباطبا الشريف أبو المعمر بقية شيوخ الطالبيين.

كان هو وأخوه من نسابيهم وكان فاضلًا شاعرًا فقيهًا في مذهب الشيعة.

ومات في شهر رمضان.

وهو آخر من بقي من أولاد طباطبا بالعراق ولم يعقب.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمس أذرع وسبع عشرة إصبعًا.

مبلغ الزيادة يأتي ذكره لأن النيل لم يزد في هذه السنة إلى أول مسرى إلا ثلثي ذراع فقط ثم زاد في ثاني عشرين مسرى أذرعًا حتى صار في يوم النوروز على ثلاث عشرة ذراعًا وست عشرة إصبعًا.

ثم نقص إصبعين ثم ثمانيًا ثم زاد في خامس توت ست أصابع وخرج الناس إلى الجبل واستسقوا فزاد حتى بلغ ثلاث عشرة ذراعًا وتسع عشرة إصبعًا ثم نقص سبع أصابع - وقيل: ثمانيًا - ثم زاد في عيد الصليب حتى صار على أربع عشرة ذراعًا وخمس عشرة إصبعًا.

ونقص تسع أصابع ثم زاد في أول بابة حتى بلغ خمس عشرة ذراعًا وخمس أصابع.

وكان ذلك منتهى زيادته في هذه السنة.

السنة الثانية والخمسون من خلافة المستنصر وهي سنة تسع وسبعين وأربعمائة.

فيها صاد السلطان ملكشاه أربعة آلاف غزال - وقيل: عشرة آلاف وبنى بقرونها منارة سماها وفيها توفي ختلغ بن كنتكين الأمير أبو منصور أمير الكوفة والحاج.

ذمه محمد بن هلال الصابئ وذم سيرته في تاريخه إلا أنه كان شجاعًا وله وقائع مع العرب في البرية.

وكان محافظًا على الصلوات في الجماعة ويختم القرآن في كل يوم ويختص بالعلماء والقراء وله آثار جميلة بطريق الحجاز والمشاهد والمساجد.

ومكث في إمارة الحاج اثنتي عشرة سنة.

وفيها قتل سليمان بن قتلمش هو ابن عمة السلطان ملكشاه السلجوقي.

كان أميرًا شجاعًا فتح عدة بلاد وآخر ما فتحه إنطاكية وكان قد حاصر حلب ورجع.

وقتل مسلم بن قريش في حربه فجاءه تاج المدلة تتش والأمير أرتق بك من دمشق والتقوا معه واقتتلوا فجاء سليمان هذا سهم في وجهه فوقع عن فرسه ميتًا فدفن إلى جانب مسلم بن قريش الذي قتل في محاربته قبل ذلك بأيام.

وفيها توفي علي بن فضال بن علي أبو الحسن المغربي القيرواني.

كان فاضلًا أديبًا له نظم ونثر.

ومات بغزنة في شهر ربيع الأول.

ومن شعره قوله: السريع إن تلقك الغربة في معشر قد أجمعوا فيك على بغضهم فدارهم ما دمت في دارهم وأرضهم ما دمت في أرضهم وفيها توفي علي بن المقلد بن نصر بن منقذ بن محمد بن مالك الأمير أبو الحسن الكناني.

كان بينه وبين ابن عمار قاضي طرابلس وصاحبها مودة وكان شجاعًا فاضلًا نحويًا لغويًا شاعرًا وكان صاحب شيزر وبها توفي.

وتولى شيزر بعده ابنه نصر بن علي.

وكان له ديوان شعر مشهور.

ومن شعره: البسيط إذا ذكرت أياديك التي سلفت وسوء فعلي وزلاتي ومجترمي أكاد أقتل نفسي ثم يمنعني علمي بأنك مجبول على الكرم وفيها توفي أبو سعيد أحمد بن محمد بن دوست النيسابوري الفقيه المحدث الصوفي شيخ الشيوخ ببغداد.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ست أذرع وتسع عشرة إصبعًا.

وزاد في نصف بشنس ثم نقص نصف ذراع ثم زاد في أوانه حتى أوفى في ثالث أيام النسيء.

وكان مبلغ الزيادة في هذه السنة سبع عشرة ذراعًا وخمس عشرة إصبعًا.

السنة الثالثة والخمسون من خلافة المستنصر وهي سنة ثمانين وأربعمائة.

فيها بعث تتش أخو السلطان ملكشاه يقول لأخيه: قد استولى المصريون على الساحل وضايقوا دمشق وأسأل السلطان أن يأمر آق سنقر وبوزان أن ينجداني.

فكتب ملكشاه إليهما أن ينجداه.

وكان الأمير بوزان بالرهاء وآق سنقر بحلب.

وسبب ذلك أن أمير الجيوش بدرًا الجمالي لما قوي أمره بمصر وصار هو المتحدث عن المستنصر صاحب الترجمة بهذه البلاد واسترجع كثيرًا مما كان ذهب من ممالكهم جهز جيشًا إلى الساحل.

فعظم ذلك على تتش صاحب دمشق.

وفيها بنى تاج الملك أبو الغنائم ببغداد المدرسة التاجية بباب أبرز وضاهى بها النظامية.

قلت: ومن باب أبرز هذا أصل بني البارزي كتاب سر زماننا هذا.

كان جدهم مسلم يسكن في بغداد بباب أبرز المذكور ثم خرج من بغداد في جفلة التتار إلى حلب فسمي الأبرزي ثم خفف فسمي البارزي.

ويأتي ذكر جماعة منهم في هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

وفيها توفي شافع بن صالح بن حاتم أبو محمد الفقيه الحنبلي.

كان إمامًا عالمًا تفقه على أبي يعلى ومات في صفر ودفن بباب حرب وكان صالحًا زاهدًا ثقة.

وفيها توفي محمد بن هلال بن المحسن بن إبراهيم الصابئ أبو الحسن الملقب بغرس النعمة صاحب التاريخ المسمى ب عيون التواريخ ذيله على تاريخ أبيه وأبوه ذيله على تاريخ ثابت بن سنان.

وثابت ذيل على تاريخ محمد بن جرير الطبري.

وكان تاريخ الطبري انتهى إلى سنة اثنتين أو ثلاث وثلاثمائة.

وتاريخ ثابت انتهى إلى سنة ستين وثلاثمائة.

وتاريخ هلال انتهى إلى سنة ثمان وأربعين وأربعمائة.

وتاريخ غرس النعمة هذا انتهى إلى سنة تسع وسبعين وأربعمائة.

وكان غرس النعمة هذا فاضلًا أديبًا مترسلًا وله صدقة ومعروف محترمًا عند الخلفاء والملوك والوزراء.

وجد أبيه إبراهيم الصابئ هو صاحب الرسائل في أيام عضد الدولة بن بويه.

وقد تقدم ذكره في محله من هذا الكتاب.

وفيها توفي أمير الملثمين بمراكش وغيرها من بلاد المغرب الأمير أبو بكر بن عمر.

أصله من ولد تاشفين.

كان أميرًا جليلًا مجاهدًا في سبيل الله تعالى.

ركب في بعض غزواته في خمسمائة ألف مقاتل من رجال الديوان والمطوعة وكان يخطب في بلاده للدولة العباسية وكان يصفي بالناس الصلوات الخمس ويقيم الحدود ويلبس الصوف وينصف المظلوم ويعدل في الرعية وكان بين رعيته كواحد منهم.

رحمه الله تعالى.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ست أذرع وخمس أصابع وكان الوفاء في آخر أيام النسيء.

وكان مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا وسبع أصابع.

ونقص في رابع بابة.

وهي سنة إحدى وثمانين وأربعمائة.

فيها توفي أحمد بن محمد بن الحسن بن الخضر الحافظ أبو طاهر الجواليقي والد أبي منصور موهوب.

كان شيخًا صالحًا متعبدًا من أهل البيولات القديمة ببغداد وكان جده صاحب دنيا واسعة.

ومات هو فجأة في شهر رجب.

وفيها توفي عبد الله بن محمد بن علي بن محمد بن مت بن أحمد بن علي بن جعفر بن منصور بن مت الحافظ شيخ الإسلام أبو إسماعيل الأنصاري الهروي.

هو من ولد أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه.

سمع الكثير وروى عنه جماعة.

وكان إمامًا حافظًا بارعًا في اللغة إمام وقته.

قال المؤتمن: وكان يدخل على الأمراء والجبابرة فما كان يبالي بهم.

ومات في ذي الحجة وقد جاوز أربعًا وثمانين سنة.

وفيها توفي محمد بن أحمد بن الحسن بن ماجة أبو بكر الأبهري الأصبهاني الإمام العالم المشهور.

مات بأصبهان عن خمس وتسعين سنة وقد انتهت إليه ورياسة العلم بها.

وفيها توفي عثمان بن محمد بن عبيد الله أبو عمرو المحمي مات في صفر وكان إمامًا عالمًا مفتنًا.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمس أذرع وسبع عشرة إصبعًا.

مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعًا وأربع أصابع.

السنة الخامسة والخمسون من خلافة المستنصر

وهي سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة

فيها جهز بدر الجمالي أمير الجيوش عسكرًا من مصر مع نصير الدولة الجيوشي فنزل على صور وبها القاضي عين الدولة بن أبي عقيل فسلمها إليه لما لم يكن له به طاقة.

وفتح نصير الدولة صيداء وعكا.

وكان لتتش بهذه البلاد ذخائر وأموال فأخذها نصير الدولة المذكور ثم نزل على بعلبك وجاءه ابن ملاعب وخطب للمستنصر صاحب الترجمة أعني أنه دخل تحت طاعة المصريين.

وبعث تتش إلى آق سنقر وبوزان وقال لهما: هذه البلاد كان لي فيها ذخائر وقد أخذت وطلب منهما النجدة فبعثا له عسكرًا.

وفيها توفي طاهر بن بركات بن إبراهيم الحافظ أبو الفضل القرشي الخشوعي.

كان عظيم الشأن من أكابر شيوخ دمشق.

قال ابن عساكر: سألت ولده إبراهيم بن طاهر: لم سميتم الخشوعيين فقال: لأن جدنا الأعلى كان يؤم الناس فمات بالمحراب.

انتهى.

وكانت وفاة طاهر هذا بظاهر دمشق.

وكان ثقة صدوقًا عالمًا.

وفيها توفي عاصم بن الحسن بن محمد بن علي بن عاصم أبو الحسين.

وفيها توفي علي بن أبي يعلى بن زيد الشيخ أبو القاسم الدبوسي من أهل دبوسية وهي بلدة بين بخارى وسمرقند.

كان إمامًا عالمًا.

أقدمه الوزير نظام الملك إلى بغداد للتدريس في مدرسته النظامية.

وكان عارفًا بالفقه والجدل والمناظرة.

ومات ببغداد في شعبان.

وفيها توفي أحمد بن محمد بن صاعد رئيس نيسابور وعالمها وقاضيها أبو نصر النيسابوري الحنفي.

كان إمام وقته ووحيد دهره علمًا وزهدًا وفضلًا ورياسة وعفة.

انتهت إليه رياسة السادة الحنفية في زمانه.

وفيها توفي الشيخ الإمام أبو حامد أحمد بن محمد السرخسي الشجاعي البلخي الفقيه العالم المشهور.

كان إمامًا عالمًا فاضلًا سمع الحديث الكثير وتفقه وبرع في فنون.

وفيها توفي إبراهيم بن سعيد الحافظ أبو إسحاق النعماني مولاهم الحبال.

كان إمامًا فاضلًا حافظًا سمع الكثير ورحل البلاد وحدث وسمع منه خلائق ثم سكن مصر وبها كانت وفاته ومات وله تسعون سنة.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمس أذرع وثماني عشرة إصبعًا.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا وتسع أصابع.

وهي سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة.

فيها نزل تتش على حصن بعلبك وبها ابن ملاعب ومع تتش آق سنقر وبوزان فقاتلوه مدة وقالوا له: أنت توجهت إلى مصر وخطبت للمستنصر.

فلما أخافوه طلب الأمان فأعطوه فنزل من القلعة وتوجه إلى مصر وملك تتش بعلبك.

وأقام ابن ملاعب بمصر مدة وأحسن إليه المستنصر صاحب الترجمة ثم عاد إلى الشام ودبر الحيلة على حصن فامية حتى ملكه.

وفيها توفي الشيخ الإمام علي بن محمد القيرواني.

كان فقيهًا عالمًا شاعرًا.

ومن شعره - وأجاد إلى الغاية -: الكامل ما في زمانك ماجد لو قد تأملت المشاهد فاشهد بصدق مقالتي أو لا فكذبني بواحد قلت: لله دره! لقد عبر عن زماننا هذا كأنه قد رآه.

وفيها توفي محمد بن محمد بن جهير الوزير أبو نصر فخر الدولة.

أصله من الموصل وبها ولد وقدم ميافارقين.

وكتب للخليفة القائم بأمر الله العباسي يسأله أن يستوزره فأجابه ثم نقم عليه ونفاه إلى الحفة ثم أعاده.

ولما تولى المقتدي الخلافة وزر له ثم عزل ونفي فمض إلى السلطان ملكشاه وانتمى إليه وفتح له ديار بكر وأتحفه بالأموال.

ثم تغير عليه السلطان فاستأذن في الإقامة بالموصل فأذن له فتوجه إليه فلم يقم به إلا اليسير ومرض ومات ودفن بالموصل.

وكان سخيًا كريمًا شجاعًا مدبرًا عارفًا.

وفيها توفي الشيخ المسند أبو الحسين عاصم بن الحسن العاصمي الكرخي.

كان إمامًا محدثًا سمع الكثير وروى عنه خلق كثير وكان أديبًا شاعرًا ثقة.

وفيها توفي الحافظ أبو نصر عبد العزيز بن محمد بن علي الترياقي.

مات بمدينة هراة وله أربع وتسعون سنة.

وكان عالمًا محدثًا فقيهًا فاضلًا.

وفيها توفي الشيخ الإمام العارف بالله أبو بكر محمد بن إسماعيل التفليسي الصوفي النيسابوري.

مات في شوال بنيسابور وكان إمامًا محدثًا فقيهًا صوفيًا معدودًا من أعيان الصوفية.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمس أذرع وست وعشرون إصبعًا.

مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعًا سواء.

السنة السابعة والخمسون من خلافة المستنصر وهي سنة أربع وثمانين وأربعمائة.

فيها في صفر كتب الوزير أبو شجاع إلى الخليفة يعرفه باستطالة أهل الذمة على المسلمين وأن الواجب تمييزهم عنهم فأمره الخليفة أن يفعل مايراه.

فألزمهم الوزير لبس الغيار والزنانير وتعليق الدراهم الرصاص في أعناقهم مكتوب على المراهم ذمي وتجعل هذه الدراهم أيضًا في أعناق نسائهم في الحمامات ليعرفن بها وأن يلبسن الخفاف فردًا أسود وفردًا أحمر وجلجلًا في أرجلهن.

فذلوا وانقمعوا بذلك.

وأسلم حينئذ أبو سعد بن الموصلايا كاتب الإنشاء للخليفة وابن أخته أبو نصر هبة الله.

وفيها في جمادى الأولى قدم أبو حامد الطوسي الغزالي إلى بغداد مدرسًا بالنظامية ومعه توقيع نظام الملك.

وفيها وقع بالشام زلزلة عظيمة وواقع ذلك تشرين الأول وخرج الناس من دورهم هاربين وانهدم معظم إنطاكية ووقع من سورها نحو من تسعين برجًا.

وفيها نزل آق سنقر على فامية فأخذها من ابن ملاعب.

وفيها في شهر رمضان خرج توقيع الخليفة المقتدي بالله العباسي بعزل الوزير أبي شجاع من الوزار وكان له أسباب منها أن نظام الملك وزير السلطان ملكشاه السلجوقي كان يسعى عليه لابنه.

فلما أتاه الخبر بعزله قام من الديوان ولم يتأثر وأنشد: الوافر تولاها وليس له عدو وفارقها وليس له صديق وفيها حاصر تتش أخو السلطان ملكشاه طرابلس ومعه آق سنقر وبوزان وبها قاضيها وهو صاحبها واسمه جلال الملك بن عمار ونصب عليها المجانيق.

فاحتج عليهم ابن عمار بأن معه منشور السلطان ملكشاه بإقراره على طرابلس فلم يقبل منه تتش ذلك وتوقف آق سنقر عن قتاله.

فقال له تتش: أنت تبع لي فكيف تخالفني فقال: أنا تبع لك إلا في عصيان السلطان.

فغضب تاج الدولة تتش ورجع إلى دمشق ومضى آق سنقر إلى حلب ومضى بوزان إلى الرهاء أعني كل واحد إلى بلده.

وفيها ملك يوسف بن تاشفين الأندلس ونفي ابن عباد عنها.

وفيها توفي محمد بن أحمد بن علي بن حامد أبو نصر المروزي.

كان إمامًا في القراءات وصنف فيها التصانيف وانتهت إليه الرياسة فيها.

وكانت وفاته في ذي القعدة.

وفيها توفي محمد بن علي بن محمد أبو عبد الله التنوخي الحلبي ويعرف بابن العظيمي.

كان إمامًا شاعرًا فصيحًا بليغًا.

ومن شعره قوله: البسيط يلقى العدا بجنان ليس يرعبه خوض الحمام ومتن ليس ينقصم فالبيض تكسر والأوداج دامية والخيل تعرم والأبطال تلتطم والنقع غيم ووقع المرهفات به لمع البوارق والغيث الملث دم الماء القديم أربع أذرع وعشرون إصبعًا.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا واثنتان وعشرون إصبعًا.

السنة الثامنة والخمسون من خلافة المستنصر وهي سنة خمس وثمانين وأربعمائة.

فيها ورد الأمير تاج الدولة تتش على السلطان ملكشاه شاكيًا من آق سنقر فلم يلتفت السلطان إليه فترك ابنه عند السلطان وعاد إلى دمشق.

وفيها في يوم الاثنين منتصف شهر ربيع الأول وقت الظهر وهو السادس من نيسان اقترن زحل والمريخ في برج السرطان وذكر أهل صناعة النجوم أن هذا القرآن لم يحدث مثله في هذا البرج منذ بعث النبي صلى الله عليه وسلم إلى هذه السنة.

قال صاحب مرآة الزمان: وكان تأثير هذا القرآن هلاك ملكشاه السلجوقي سيد الملوك ومقتل نظام الملك سيد الوزراء.

انتهى.

وفيها في شهر رمضان توجه السلطان ملكشاه من أصبهان إلى بغداد بنية غير مرضية في حق الخليفة المقتدي بالله وعزم على تغييره وكان معه وزيره نظام الملك فقتل في شهر رمضان في الطريق على ما سيأتي ذكره إن شاء الله.

ووصل ملكشاه إلى بغداد في ثامن عشر شهر رمضان.

فأول ما وصل بعث يقول للخليفة: لا بد أن تترك لي بغداد وتذهب إلى أي بلد شئت.

فانزعج الخليفة وبعث إليه يقول: أمهلني شهرًا فقال: ولا ساعة.

فأرسل الخليفة إلى تاج الملك أبي الغنائم وكان السلطان ملكشاه استوزره بعد قتل نظام الملك فقال: سله بأن يؤخرنا عشرة أيام.

فدخل تاج الملك على السلطان وقال له: لو أن بعض العوام أراد أن ينتقل من دار إلى دار لم يقدر على النقلة في أقل من عشرة أيام فكيف بالخليفة! فأمر السلطان له بالمهلة عشرة أيام.

ثم اشتغل بنفسه من مرض حصل له ومات منه بعد أيام.

ذكر وفاته: هو السلطان جلال الدولة أبو الفتح ملكشاه بن ألب أرسلان محمد بن داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقمان التركي السلجوقي.

تسلطن بعد موت أبيه بوصية منه إليه في سنة خمس وستين وأربعمائة وجعل وزيره نظام الملك وزيرًا له ومتكلمًا في الدولة وفرق البلاد على أولاده! وجعل مرجعهم إلى ملكشاه هذا.

فلما تسلطن ملكشاه خرج عليه عمه قاورد بك صاحب كرمان فواقعه فأخذه ملكشاه أسيرًا.

فلفا مثل بين يدي ملكشاه قال: أمراؤك كاتبوني وأظهر مكاتبات.

فأخذها ملكشاه وأعطاها للوزير نظام الملك فأخذها نظام الملك وألقاها في منقل نار كان بين يدي ملكشاه فاحترقت.

فسكنت قلوب الأمراء وبذلوا الطاعة وثبت ملكه بهذه الفعلة.

ثم خنق عمه قاورد بك المذكور بوتر وتم له الأمر.

وملك من الأقاليم ما لم يملكه أحد من السلاطين فكان في مملكته جميع بلاد ما وراء النهر وبلاد الهياطلة وباب الأبواب وبلاد الروم والجزيرة والشام حتى إنه ملك من مدينة كاشغر وهي أقصى مدينة للترك إلى بيت المقدس طولًا ومن القسطنطينية إلى بلاد الخزر وبحر الهند عرضًا.

وكان من أحسن الملوك سيرة ولذلك كان يلقب بالسلطان العادل.

وكان منصورًا في حروبه مغرى بالعمائر حفر الأنهار وعمر الأسوار والقناطر وعمر جامع السلطان ببغداد ولم يتمه وأبطل المكوس في جميع بلاده وصنع بطريق مكة مصانع الماء غرم عليها أموالًا كثيرة.

وكان مغرى بالصيد حتى إنه صاد مرة في حلقة واحدة عشرة آلاف صيد وقد تقدم ذكر ذلك.

وكانت وفاته في شوال.

قيل: إنه سم في خلال تخلل به.

ولم يشهد وفاته أحد من رجال الدولة ولا عمل له عزاء.

وحمل في تابوت إلى أصبهان فدفن بها.

وقام في السلطنة بعده أكبر أولاده بركياروق ولقب بركن الدولة.

وخالفه عمه ووقع له معه وقائع.

وفيها توفي الوزير نظام الملك وزير السلطان ملكشاه السلجوقي المقدم ذكره.

واسمه الحسن بن إسحاق بن العباس الوزير أبو علي الطوسي.

كان من أولاد الدهاقين بناحية بيهق وكان فقيرًا مشغولًا بسماع الحديث ثم بعد حين اتصل بداود بن ميكائيل السلجوقي فأخذه بيده وسلمه إلى ولده ألب أرسلان وقال له: يا محمد هذا حسن الطوسي اتخذه والدًا ولا تخالفه.

فلما وصل الملك إلى ألب أرسلان استوزره فدبر ملكه عشر سنين.

ومات ألب أرسلان فازدحم أولاده على الملك فقام بأمر ملكشاه حتى تم أمره وتسلطن.

ولما دخل نظام الملك على الخليفة المقتدي أمره بالجلوس وقال له: يا حسن رضي الله عنك لرضا أمير المؤمنين عنك.

وكان نظام الملك عالي الهمة وافر العقل عارفًا بتدبير الأمور محبًا للعلماء والصلحاء على ظلم وجور كان عنده على عادة الوزراء.

ولما خرج من أصبهان بعد مخدومه ملكشاه قاصدًا بغداد نزل قرية من قرى نهاوند مكان الوقعة التي كانت في زمان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فقال: هذا موضع مبارك قتل فيه جماعة من الصحابة طوبى لمن كان منهم.

وكان جالسًا والأمراء بين يديه وكان صائمًا فإنه كان يوم الخميس فقدم الأكل فأكل الناس ثم ركب محفته إلى خيمة النساء وكان به مرض النقرس فاعترضه صبي ديلمي في زفي الصوفية وبيده قصة فدعا له وسأله أن يناوله إياها من يده إلى يده فقال: هات فمد يده ليأخذها فضربه بسكين في فؤاده فحمل إلى مضربه ومات فهرب الديلمي فعثر بطنب خيمة فقطع قطعا.

وكانت وزارة نظام الملك لبني سلجوق أربعًا وثلاثين سنة - وقيل أربعين سنة - وكان عمره ستًا وسبعين سنة.

ومن شعره: البسيط بعد الثمانين ليس قوه لهفي على قوة الصبوه وفيها توفي مالك بن أحمد الإمام أبو عبد الله البانياسي ثم البغدادي المعروف بالفراء في جمادى الآخرة شهيدًا في الحريق.

وكان معدودًا من العلماء الفضلاء.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ست أذرع وست أصابع.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا وإحدى عشرة إصبعًا.

وأوفى في سابع توت ونقص فيه أيضًا.

السنة التاسعة والخمسون من خلافة المستنصر وهي سنة ست وثمانين وأربعمائة.

فيها خطب تاج الدولة تتش السلجوقي لنفسه بعد موت أخيه ملكشاه وأرسل إلى الخليفة بأن يخطب له ويوعده فما التفت إليه في الجواب غير أنه أرسل يقول له: إنما تصلح للخطبة إذا خلصت الدنيا بحكمك والخزائن التي بأصبهان معك وتكون صاحب الشرق وخراسان ولم يبق من أولاد أخيك ملكشاه من يخالفك وأما في هذا الحال فلا سبيل إلى ما التمسته.

فلما وقف تتش على ذلك سار إلى الموصل وبها إبراهيم بن قريش فخرج إليه في بني عقيل والتقوا معه فقتل إبراهيم وقتل عليه أعيان بني عقيل.

وكان علي بن مسلم بن قريش عند بركياروق بن وفيها فتح عسكر مصر صور وحمل صاحبها إلى مصر ومعه أصحابه.

فضرب بدر الجمالي رقاب الجميع وقطع على أهل صور ستين ألف دينار عقوبة لهم.

وفيها بطل مسير الحاج من العراق خوفًا عليهم وسار حجاج دمشق ولم يوصلوا إلى أمير مكة ما يرضيه.

فلما رحلوا خرج ونهبهم وعاد من سلم منهم على أقبح حال وتخطفهم العرب في الطريق.

وفيها توفي عبد القادر بن عبد الكريم بن الحسين أبو البركات.

كان شيخًا صالحًا خطب بدمشق لبني العباس وللمصريين وأنشد لبعضهم: الطويل يعد رفيع القوم من كان عاقلًا وإن لم يكن في قومه بحسيب فإن حل أرضًا عاش فيها بعقله

ما عاقل في بلدة بغريب وفيها توفي علي بن أحمد بن يوسف بن جعفر بن عرفة الحافظ الفقيه الهكاري.

كان ينعت بشيخ الإسلام - والهكارية: جبال فوق الموصل فيها قرى وبنى - وكنيته أبو الحسن.

كان إمامًا عالمًا فقيهًا سمع الحديث ورواه وبنى أربطة وقدم بغداد.

وكان صالحًا متعبدًا شيخ بلاده في التصوف وكان من أهل السنة والجماعة.

أمر النيل في هذه السنة: السنة الستون من خلافة المستنصر وهي سنة سبع وثمانين وأربعمائة.

وهي التي مات فيها المستنصر معد صاحب الترجمة حسب ما تقدم ذكره.

وفيها أيضًا توفي الخليفة المقتدي بالله العباسي وبدر الجمالي أمير الجيوش بمصر وآق سنقر صاحب حلب قتيلًا وبوزان بالشام وأمير مكة.

وتسمى هذه السنة سنة موت الخلفاء والأمراء فعدة الناس هذا كله من القرآن المقدم ذكره في سنة خمس وثمانين وأربعمائة.

ويأتي كل واحد من هؤلاء على حدته في هذه السنة.

وفيها كانت زلزلة عظيمة ببغداد بين العشاءين في المحرم.

وفيها حدث فتن وحروب وغلاء بسائر الأقاليم.

وفيها توفي الخليفة أمير المؤمنين أبو القاسم المقتدي بالله عبد الله ابن الأمير ذخيرة اللين أبي العباس محمد ابن الخليفة القائم بأمر الله عبد الله ابن الخليفة القادر بأمر الله أحمد ابن الأمير إسحاق ابن الخليفة جعفر المقتدر ابن الخليفة المعتضد بالله أحمد ابن الأمير طلحة الموفق ابن الخليفة المتوكل على الله جعفر ابن الخليفة المعتصم بالله محمد ابن الخليفة الرشيد بالله هارون ابن الخليفة المهدي بالله محمد ابن الخليفة أبي جعفر المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس العباسي الهاشمي.

بويع بالخلافة بعد موت جده القائم بأمر الله في ثالث عشر شعبان سنة سبع وستين وأربعمائة وهو ابن تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر.

وكان توفي أبوه الذخيرة محمد والمقتدي هذا حمل في بطن أمه وكان اسم أمه أرجوان - وقيل قرة العين - وكانت أرمينية فولدته بعد موت أبيه بستة أشهر.

وكان المقتدي من رجال بني العباس له همة عالية وشجاعة وافرة وظهرت في أيامه خيرات وخطب له في الشرق بأسره وما وراء النهر والهند وغزنة والصين والجزيرة والشام واليمن وعمرت في أيامه بغداد واسترجع المسلمون الرهاء وإنطاكية.

ومات فجاة في ليلة السبت خامس عشر المحرم وكان عمره ثمانيًا وثلاثين سنة وثمانية أشهر ويومين.

وتخلف بعده ابنه أبو العباس أحمد.

وكانت خلافة المقتدي تسع عشرة سنة وثمانية أشهر.

وفيها توفي الشريف أمير مكة محمد بن أبي هاشم.

كان ظالمًا جبارًا فاتكًا سفاكًا للدماء مسرفًا رافضيًا سبابًا خبيثًا متلونًا تارة مع الخلفاء العباسيين وتارة مع المصريين وكان يقتل الحجاج ويأخذ أموالهم.

وهلك بمكة وقد ناهز السبعين.

وفرح المسلمون وأهل مكة بموته وقام بعده ابنه هاشم.

وفيها توفي الحسن بن أسد أبو نصر الفارقي الشاعر المشهور.

كان فصيحًا فاضلا عارفًا باللغة والأدب وهو الذي سلم ميافارقين إلى منصور بن مروان.

فلما دخلها تتش السلجوقي اختفى ثم ظهر لما عاد تتش ووقف بين يديه وأنشده قصيدة منها: البسيط.

واستحلبت حلب جفني فانهملا وبشرتني بحر القتل حران فقال تتش: من هذا فقيل له: هذا الفارقي فأمر بضرب عنقه من وقته.

فكان قوله: وبشرتني بحر القتل حران فألا عليه.

ومن شعره: المنسرح كم ساءني الدهر ثم سر فلم يدم لنفسي هذا ولا فرحا ألقاه بالصبر ثم يعركني تحت رحا من صروفه فرحا وفيها توفي الأمير آق سنقر بن عبد الله قسيم الدولة التركي.

كان شجاعًا عادلا منصفًا وكان الملوك السلجوقية يحترمونه ولم يكن له ولد غير زنكي.

وآق سنقر هذا هو جد الملك العادل نور الدين محمود المعروف بالشهيد.

ولما قتل آق سنقر انضم على ولده زنكي مماليك أبيه وفيها توفي أمير الجيوش بدر الجمالي الأرمني وزير مصر للمستنصر بل صاحب أمرها وعقدها وحلها.

كان أولا ولي الشام والسواحل للمستنصر ثم خالفه مدة وأقام بعكا إلى أن استدعاه المستنصر المذكور إلى مصر بعد أن اختل أمرها من الغلاء والفتن وفوض إليه أمور مصر والشام وجميع ممالكه فاستقامت الأمور بتدبيره وسكنت الفتن وصار الأمر كله له وليس للخليفة المستنصر معه سوى الاسم لا غير.

ومات قبل المستنصر بأشهر.

ولما مات بدر الجمالي أقام المستنصر ابنه أبا القاسم شاهنشاه ولقبه الأفضل فأحسن الأفضل السيرة في الرعية لكنه عظم في الدولة أضعاف مكانة أبيه.

وخلف بدر الجمالي أموالا كثيرة يضرب بها المثل.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ست أذرع وإصبعان.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا وإحدى وعشرون إصبعًا.

خلافة المستعلي بالله على مصر المستعلي بالله خليفة مصر اسمه أحمد وكنيته أبو القاسم ابن المستنصر بالله معد ابن الظاهر بالله علي ابن الحاكم بأمر الله منصور بن العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله معد بن المنصور إسماعيل بن القائم محمد بن المهدي عبيد الله السادس من خلفاء مصر الفاطميين بني عبيد والتاسع ممن ولي من أجداده الخلافة بالمغرب.

بويع بالخلافة بعد موت أبيه المستنصر معد في يوم عيد الغدير يوم ثامن عشر ذي الحجة سنة سبع وثمانين ومولده بالقاهرة في المحرم سنة سبع وستين وأربعمائة.

ولما ولي الخلافة كانت سنه يوم ذاك نيفت على عشرين سنة.

وقال ابن خلكان: مولده لعشر ليال بقين من المحرم وذكر السنة.

وكان القائم بأمره الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالي فإن المستنصر كان قد أجلس بعده ابنه أبا منصور نزارًا أكبر أولاده وجعل إليه ولاية العهد بالخلافة.

فلما مرض المستنصر أراد أخذ البيعة له فتقاعد الأفضل شاهنشاه ودافع المستنصر من يوم إلى يوم حتى مات المستنصر وكان ذلك كراهة من الأفضل في نزار ولد المستنصر.

وسببه أن نزارًا خرج ذات يوم في حياة أبيه المستنصر فإذا الأفضل راكب وقد دخل من أحد أبواب القصر فصاح به نزار المذكور: انزل يا أرمني يا نجس!.

فحقدها عليه الأفضل وصار كل منهما يكره الآخر.

فاجتمع الأفضل بعد موت المستنصر بالأمراء والخواص وخوفهم من نزار وأشار عليهم بولاية أخيه الصغير أبي القاسم أحمد فرضوا بذلك ما خلا محمود بن مصال اللكي فإن نزارًا كان وعده بالوزارة والتقدمة على الجيوش مكان الأفضل.

فلما علم ابن مصال الحال أعلم نزارًا بذلك وبادر الأفضل بإخراج أبي القاسم أحمد هذا وبايعه ونعته بالمستعلي بالله وذلك بكرة يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي الحجة وأجلسه على سرير الخلافة وجلس الأفضل شاهنشاه على دكة الوزارة وحضر قاضي القضاة المؤيد بنصر الأنام علي بن نافع بن الكحال والشهود معه وأخذوا البيعة على مقدمي الدولة ورؤسائها وأعيانها.

ثم مضى الأفضل إلى إسماعيل وعبد الله ابني المستنصر وهما بالمسجد بالقصر والموكلون عليهما فقال لهما: إن البيعة تمت لمولانا المستعلي بالله وهو يقرئكما السلام ويقول لكما: تبايعان أم لا فقالا: السمع والطاعة إن الله اختاره علينا وقاما وبايعاه.

فكتب الأفضل بذلك سجلا قرأه الشريف سناء الملك محمد بن محمد الحسيني الكاتب بديوان الإنشاء على الأمراء.

وأما أمر نزار فإنه بادر وخرج من وقته وأخذ معه أخاه عبد الله الذي بايع وابن مصال اللكي وتوجهوا إلى الإسكندرية وكان الوالي بها ناصر الدولة أفتكين التركي أحد مماليك أمير الجيوش بدر الجمالي أعني والد الأفضل هذا فعرفوه الحال ووعده نزار بالوزارة

فطمع أفتكين في ذلك وبايع نزارًا المذكور وبايع أيضًا جميع أهل الإسكندرية ولقب المصطفى لدين الله.

ثم وقع لنزار هذا أمور وحروب مع الأفضل نذكر منها نبذة من أقوال جماعة من المؤرخين.

قال العلامة شمس الدين يوسف بن قز أوغلي في تاريخه مرآة الزمان - بعد ما ساق نسبه بنحو ما ذكرناه وأقل - قال: وكان المتصرف في دولته الأفضل ابن أمير الجيوش يعني عن المستعلي.

قال: وكان هرب أخوه نزار بن المستنصر إلى الإسكندرية وبها أفتكين مولى أبيه.

قلت: وهذا بخلاف ما ذكره غيره من أن أفتكين كان مولى لبدر الجمالي والد الأفضل شاهنشاه.

قال: وزعم نزار أن أباه عهد إليه فقام له بالأمر أفتكين ولقبه ناصر الدولة.

وأخذ له البيعة على أهل البلد وساعده ابن عمار قاضي الإسكندرية.

فتوجه الأفضل إلى الإسكندرية وضايقها فخرج إليه أفتكين فهزمه وعاد الأفضل إلى القاهرة يعني مهزومًا فحشد وعاد إليها ونازلها وافتتحها عنوة وقتل أعيان أهلها واعتقل أفتكين وابن عمار.

فكتب ابن عمار إلى الأفضل ورقة من الحبس يقول فيها: البسيط هل أنت منقذ شلوي من يدي زمن أضحى يقد أديمي قد منتهس دعوتك الدعوة الأولى وبي رمق وهذه دعوة والدهر مفترسي فلم تصل إليه الورقة حتى قتل.

فلما وقف عليها قال: والله لو وقفت عليها قبل ذلك ما قتلته.

وكان ابن عمار المذكور من حسنات الدهر.

وقدم الأفضل بأفتكين ونزار إلى القاهرة وكان أفتكين يلعن المستعلي والأفضل ابن أمير الجيوش على المنابر فقتله المستعلي بيده وبنى على أخيه نزار حائطًا فهو تحته إلى الآن.

وكان للمستعلي وقال غيره: ولما استهلت سنة ثمان وثمانين خرج الأفضل بعساكر مصر إلى الإسكندرية وهناك نزار وأفتكين فكانت بينهم حرب شديدة بظاهر الإسكندرية انكسر فيها الأفضل بمن معه ورجع إلى القاهرة منهزمًا فخرج نزار ونهب أكثر البلاد بالوجه البحري.

وأخذ الأفضل في التجهز لقتال نزار ودس إلى جماعة ممن كان مع نزار من العربان واستمالهم عنه ثم خرج بالعساكر ثانيًا إلى نحو الإسكندرية فكانت بينهم أيضًا وقعة بظاهر الإسكندرية انكسر فيها نزار بمن معه إلى داخل الإسكندرية فحاصرهم الأفضل حصارًا شديدًا إلى ذي القعدة.

فلما رأى ذلك ابن مصال جمع ماله وفر إلى الغرب.

وكان سبب فرار ابن مصال أنه رأى في منامه أنه راكب فرسًا وسار والأفضل ماش في ركابه فقال له المعبر: الماشي على الأرض أملك لها فلما سمع ذلك فر.

ولما فر ابن مصال ضعفت قوى نزار وأفتكين وخافا وطلبا من الأفضل الأمان فأمنهما ودخل البلدة ثم قبض على نزار وأفتكين وبعث بهما إلى مصر وكان ذلك آخر العهد بنزار.

وكان مولد نزار في يوم الخميس العاشر من شهر ربيع الأول سنة سبع وثلاثين وأربعمائة.

وقيل: إن الأفضل بنى لنزار حائطين وجعله بينهما إلى أن مات.

وأما أفتكين نائب الإسكندرية فإنه قتله بعد ذلك.

ولم يزل الأفضل يؤمن ابن مصال حتى حضر إليه بالقاهرة ولزم داره حتى رضي عنه الأفضل.

انتهى ذكر نزار وكيفية قتله.

وقال الحافظ أبو عبد الله الذهبي: وفي أيامه وهنت دولتهم يعني المستعلي صاحب الترجمة.

قال: وانقطعت دعوتهم من أكثر مدن الشام واستولى عليها الأتراك والفرنج على إنطاكية وحصروها ثمانية أشهر وأخذوها في سادس عشر رجب سنة إحدى وتسعين وأربعمائة وأخذوا المعرة سنة اثنتين وتسعين ثم أخذوا القدس فيها أيضًا في شعبان واستولى الملاعين على كثير من مدن الساحل.

ولم يكن للمستعلي مع الأفضل ابن أمير الجيوش حكم.

وفي أيامه هرب أخوه نزار إلى الإسكندرية فأخذ له البيعة على أهل الثغر أفتكين وساعده قاضي الثغر ابن عمار وأقاموا على ذلك سنة.

فجاء الأفضل سنة ثمان وثمانين وحاصر الثغر وخرج إليه أفتكين فهزمه ثم نازلها ثانيًا وافتتحها عنوة وقتل جماعة وأتى القاهرة بنزار وأفتكين فذبح أفتكين صبرًا وبنى المستعلي على أخيه حائطًا فهو تحته إلى الآن: انتهى كلام الذهبي قلت: ومن حينئذ نذكه كيفية أخذ الفرنج للسواحل في أيام المستعلي هذا وهو كالشرح لمقالة الذهبي وغيره: كان أول حركة الفرنج لأخذ السواحل وخروجهم إليها في سنة تسعين وأربعمائة فساروا إليها فأول ما أخذوا نيقية وهو أول بلد فتحوه وأخذوه من المسلمين.

ثم فتحوا حصون الدروب شيئًا بعد شيء ووصلوا إلى البارة وجبل السماق وفامية وكفر طاب ونواحيها.

وفي سنة إحدى وتسعين وأربعمائة ساروا إلى إنطاكية ولم ينازلوها وجاءوا إلى المعرة فنصبوا عليها السلالم فنزلوا إليها فقتلوا من أهلها مائة ألف إنسان قاله أبو المظفر سبط ابن الجوزي قال: وسبوا مثلها.

ثم دخلوا كفر طاب وفعلوا مثل ذلك وعادوا إلى إنطاكية وكان بها الأمير شعبان وقيل شقبان وقيل في اسمه غير ذلك - وكان على الفرنج صنجيل فحاصرها مدة فنافق رجل

من إنطاكية يقال له فيروز وفتح لهم في الليل شباكًا فدخلوا منه ووضعوا السيف وهرب شعبان وترك أهله وأمواله وأولاده بها.

فلما بعد عن البلد ندم على ذلك فنزل عن فرسه فحثى للتراب على رأسه وبكى ولطم وتفرق عنه أصحابه وبقي وحده فمر به رجل أرمني حطاب فعرفه فقتله وحمل رأسه إلى صنجيل ملك الفرنج.

وقال أبو يعلى بن القلانسي: في جمادى الأولى ورد الخبر بأن قومًا من أهل إنطاكية عملوا عليها وواطؤوا الفرنج على تسليمها إليهم لإساءة تقدمت من حاكم البلد في حقهم ومصادرته لهم ووجدوا الفرصة في برج من الأبراج التي للبلد مما يلي الجبل فبادرهم إياه وأصعدوا منه في السحر وصاحوا فانهزم ياغي سيان وخرج في خلق عظيم فلم يسلم منهم شخص فسقط الأمير عن فرسه عند معرة مصرين فحمله بعض أصحابه وأركبه فلم يثبت على ظهر الفرس وسقط ثانيًا فمات.

وأما إنطاكية فقتل منها وسبي من الرجال والنساء والأطفال مالا يدركه وكان أخذ المعرة في ذي الحجة بعد أخذ إنطاكية.

ولما وقع ذلك اجتمع ملوك الإسلام بالشام وهم رضوان صاحب حلب وأخوه دقماق وطغتكين وصاحب الموصل وسكمان بن أرتق صاحب ماردين وأرسلان شاه صاحب سنجار - ولم ينهض الأفضل بإخراج عساكر مصر.

وما أدري ما كان السبب في عدم إخراجه مع قدرته على المال والرجال - فاجتمع الجميع ونازلوا إنطاكية وضيقوا على الفرنج حتى أكلوا ورق الشجر.

وكان صنجيل مقدم الفرنج عنده دهاء ومكر فرتب مع راهب حيلة وقال: اذهب فادفن هذه الحربة في مكان كذا ثم قل للفرنج بعد ذلك: رأيت المسيح في منامي وهو يقول: في المكان الفلاني حربة مدفونة فاطلبوها فإن وجدتموها فالظفر لكم وهي حربتي فصوموا ثلاثة أيام وصلوا وتصدقوا ثم قام وهم معه إلى المكان ففتشوه فظهرت الحربة فصاحوا وصاموا وتصدقوا وخرجوا إلى المسلمين وقاتلوهم حتى دفعوهم عن البلد فثبت جماعة من المسلمين فقتلوا عن آخرهم رحمهم الله تعالى.

والعجب أن الفرنج لما خرجوا إلى المسلمين كانوا في غاية الضعف من الجوع وعدم القوت حتى إنهم أكلوا الميتة وكانت عساكر الإسلام في غاية القوة والكثرة فكسروا المسلمين وفرقوا جموعهم وانكسر أصحاب الجرد السوابق ووقع السيف في المجاهدين والمطوعين.

فكتب دقماق ورضوان والأمراء إلى الخليفة أعني المستظهر العباسي يستنصرونه فأخرج الخليفة أبا نصر بن الموصلايا إلى السلطان وأما أخذ بيت المقدس فكان في يوم الجمعة ثالث عشرين شعبان سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة وهو أن الفرنج ساروا من إنطاكية ومقدم الفرنج كندهري في ألف ألف منهم خمسمائة ألف مقاتل فارس والباقون رخالة وفعلة وأرباب آلات من مجانيق وغيرها وجعلوا طريقهم على الساحل.

وكان بالقدس افتخار الدولة من قبل المستعلي خليفة مصر صاحب الترجمة فأقاموا يقاتلون أربعين يومًا وعملوا برجين مطفين على السور أحدهما بباب صهيون والآخر بباب العمود وباب الأسباط وهو برج الزاوية - ومنه فتحها السلطان صلاح الدين بن أيوب على ما يأتي ذكره إن شاء الله تعالى - فأحرق المسلمون البرج الذي كان بباب صهيون وقتلوا من فيه.

وأما الآخر فزحفوا به حتى ألصقوه بالسور وحكموا به على البلد وكشفوا من كان عليه من المسلمين ثم رموا بالمجانيق والسهام رمية رجل واحد فانهزم المسلمون فنزلوا إلى البلد وهرب الناس إلى الصخرة والأقصى واجتمعوا بها فهجموا عليهم وقتلوا في الحرم مائة ألف وسبوا مثلهم وقتلوا الشيوخ والعجائز وسبوا النساء وأخذوا من الصخرة والأقصى سبعين قنديلا منها عشرون ذهبًا في كل قنديل ألف مثقال ومنها خمسون فضة في كل قنديل ثلاثة آلاف وستمائة درهم بالشامي وأخذوا تنورًا من فضة زنته أربعون رطلا بالشامي وأخذوا من الأموال ما لا يحصى.

وكان بيت المقدس منه افتتحه عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - في سنة ست عشرة من الهجرة لم يزل بأيدي المسلمين إلى هذه السنة.

هذا كله وعسكر مصر لم يحضر غير أن الأفضل شاهنشاه ابن أمير الجيوش بدر الجمالي صاحب أمر مصر لما بلغه أن الفرنج ضايقوا بيت المقدس خرج في عشرين ألفًا من عساكر مصر وجد في السير فوصل إلى القدس يوم ثاني فتحه ولم يعلم بذلك.

فقصده الفرنج وقاتلوه فلم يثبت لهم ودخل عسقلان بعد أن قتل من أصحابه عدد كثير فأحرق الفرنج ما حول عسقلان وقطعوا أشجارها ثم عادوا إلى القدس.

ثم عاد الأفضل إلى مصر بعد أمور وقعت له مع الفرنج.

واستمر بيت المقدس مع الفرنج فلا قوة إلا بالله.

وقال ابن القلانسي: إن أخذ المعرة كان في هذه السنة أيضًا لأنه كان قبل أخذ بيت المقدس.

قال: وزحف الفرنج في محرم هذه السنة إلى سور المعرة من الناحية الشرقية والشمالية وأسندوا البرج إلى سورها فكان أعلى منه.

ولم يزل الحرب عليها إلى وقت المغرب من اليوم الرابع عشر من المحرم وصعدوا السور وانكشف أهل البلد بعد أن ترددت إليهم رسل الفرنج وأعطوهم الأمان على نفوسهم وأموالهم وألا يدخلوا إليهم بل يبعثوا إليهم شحنة فمنع من ذلك الخلف بين أهلها فملكت الفرنج البلد بعد المغرب بعد أن قتل من الفريقين خلق كثير ثم أعطوهم الأمان.

فلما ملكوها غدروا بهم وفعلوا تلك الأفعال القبيحة وأقاموا عليها إلى أن رحلوا عنها في آخر شهر رجب إلى القدس.

وانجفل الناس بين أيديهم فجاءوا إلى الرملة فأخذوها عند إدراك الغلة ثم انتهوا إلى القدس.

وذكر في أمر القدس نحوًا مما قلناه غير أنه زاد فقال: ولما بلغهم يعني الفرنج خروج الأفضل من مصر جدوا في القتال ونزلوا من السور وقتلوا خلقًا كثيرًا وجمعوا اليهود في الكنيسة وأحرقوها عليهم وهدموا المشاهد وقبر الخليل - عليه السلام - وتسلموا محراب داود بالأمان.

ووصل الأفضل بالعساكر وقد فات الأمر فنزل عسقلان في يوم رابع عشر شهر رمضان ينتظر الأسطول في البحر والعرب فنهض إليه مقدم الفرنج في خلق عظيم فانهزم العسكر المصري إلى ناحية عسقلان ودخل الأفضل عسقلان ولعبت سيوف الفرنج في

العسكر والرجال والمطوعة وأهل البلد وكانوا زهاء عن عشرة آلاف نفس ومضى الأفضل.

وقرر الفرنج على أهل البلد عشرين ألف دينار تحمل إليهم وشرعوا في جبايتها من أهل البلد فاختلف المقدمون فرحلوا ولم يقبضوا من المال شيئًا.

ثم قال: وحكي أنه قتل من أهل عسقلان من شهودها وتجارها وأحداثها سوى أجنادها ألفان وسبعمائة نفس.

ولما تمت هذه الحادثة خرج المستنفرون من دمشق مع قاضيها زين الدين أبي سعد الهروي فوصلوا بغداد وحضروا في الديوان وقطعوا شعورهم واستغاثوا وبكوا وقام القاضي في الديوان وأورد كلامًا أبكى الحاضرين وندب من الديوان من يمضي إلى العسكر السلطاني ويعرفهم بهذه المصيبة فوقع التقاعد لأمر يريده الله.

فقال القاضي الهروي - وقيل: هي لأبي المظفر الأبيوردي - القصيدة التي أولها: الطويل.

مزجنا دماء بالدموع السواجم فلم يبق منا عرضة للمراجم ومنها: وكيف تنام العين ملء جفونها على هفوات أيقظت كل نائم وإخوانكم بالشام يضحي مقيلهم ظهور المذاكي أو بطون القشاعم ومنها: وكاد لهن المستجن بطيبة ينادي بأعلى الصوت يا آل هاشم أرى أمتي لا يسرعون إلى العدا رماحهم والدين واهي الدعائم ومنها: وليتهم إذ لم يذودوا حميمة عن الدين ضنوا غيرة بالمحارم وإذ زهدوا في الأجر إذ حمي الوغى فهلا أتوه ركبة في الغنائم وقال آخر: الوافر أحل الكفر بالإسلام ضيمًا يطول عليه للدين النحيب وكم من مسلم أمسى سليبًا ومسلمة لها حرم سليب وكم من مسجد جعلوه ديرًا على محرابه نصب الصليب دم الخنزير فيه لهم خلوق وتحريق المصاطف فيه طيب أمور لو تأملهن طفل لطفل في عوارضه المشيب أتسبى المسلمات بكل ثغر وعيش المسلمين إذًا يطيب أما لله والإسلام حق يدافع عنه شبان وشيب فقل لذوي البصائر حيث كانوا أجيبوا الله ويحكم أجيبوا وقال الناس في هذا المعنى عدة مراث.

والمقصود أن القاضي ورفقته عادوا من بغداد إلى الشام بغير نجدة.

ولا قوة إلا بالله.

ثم إن الأفضل ابن أمير الجيوش جهز من مصر جيشًا كثيفًا وعليه سعد الدولة القواسي في سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة فخرج سعد الدولة المذكور من مصر بعسكره فالتقى مع الفرنج بعسقلان ووقف سعد الدولة في القلب فقاتل قتالا شديدًا فكبا به فرسه فقتل.

وثبت المسلمون بعد قتله وحملوا على الفرنج فهزموهم إلى قيسارية.

فيقال: إنهم قتلوا من الفرنج ثلاثمائة ألف ولم تقتل من المسلمين سوى مقدم عسكرهم سعد الدولة القواسي المذكور ونفر يسير.

قاله صاحب مرآة الزمان.

وقال الذهبي في تاريخه: هذه مجازفة عظيمة يعني كونه قال قتل ثلاثمائة ألف من الفرنج.

انتهى.

قلت: ومن يومئذ بدأت الفرنج في أخذ السواحل حتى استولوا على الساحل الشامي بأجمعه إلى أن استولت الدولة الأيوبية والتركية واسترجعوها شيئًا بعد شيء حسب ما يأتي ذكره إن شاء الله في هذا الكتاب.

ومات المستعلي صاحب الترجمة في يوم الثلاثاء تاسع صفر سنة خمس وتسعين وأربعمائة وقيل: في ثالث عشر صفر والأول أشهر.

ومات وله سبع وعشرون سنة وكانت خلافته سبع سنين وشهرين وأيامًا.

وتولى الخلافة بعده ابنه الآمر بأحكام الله منصور.

وكان المتصرف في دولته وزيره الأفضل سيف الإسلام شاهنشاه ابن أمير الجيوش بدر الجمالي.

فانتظمت أحوال مصر بتدبيره واشتغل بها عن السواحل الشامية حتى استولت الفرنج على غالبها وندم على ذلك حين لا ينفع الندم.

وكان المستعلي حسن الطريقة في الرعية جميل السيرة في كافة الأجناد ملازمًا لقصره كعادة أبيه مكتفيًا بالأفضل فيما يريده إلا أنه كان مع تقاعده عن الجهاد وتهاونه في أخذ البلاد متغاليًا في الرفض والتشيع كان يقع منه الأمور الشنيعة في مأتم عاشوراء ويبالغ في النوح والمأتم ويأمر الناس بلبس المسوح وغلق الحوانيت واللطم والبكاء زيادة عما كان يفعله آباؤه مع أن الجميع رافضة ولكن التقاوت نوع آخر.

وأما الذي كان يفعله آباؤه وأجداده من النوح في يوم عاشوراء والحزن وترتيبه فإذا كان يوم العاشر من المحرم احتجب الخليفة عن الناس فإذا علا النهار ركب قاضي القضاة والشهود وقد غيروا زيهم ولبسوا قماش الحزن ثم صاروا إلى المشهد الحسيني بالقاهرة - وكان قبل ذلك يعمل المأتم بالجامع الأزهر - فإذا جلسوا فيه بمن معهم من الأمراء والأعيان وقراء الحضرة والمتصدرين في الجوامع جاء الوزير فجلس صدرًا والقاضي وداعي الدعاة من جانبيه والقراء يقرؤون نوبة بنوبة ثم ينشد قوم من الشعراء غير شعراء الخليفة أشعارًا يرثون بها الحسن والحسين وأهل البيت وتصيح الناس بالضجيج والبكاء والعويل - فإن كان الوزير رافضيًا على مذهب القوم تغالوا في ذلك وأمعنوا وإن كان الوزير سنيًا اقتصروا - ولا يزالون كذلك حتى تمضي ثلاث ساعات فيستدعون إلى القصر عند الخليفة بنقباء الرسائل فيركب الوزير وهو بمنديل صغير إلى داره ويدخل قاضي القضاة والداعي ومن معهما إلى باب الذهب أحد أبواب القصر فيجدون الدهاليز قد فرشت مساطبها بالحصر والبسط وينصب في الأماكن الخالية الدكك لتلحق بالمساطب وتفرش ويجدون صاحب الباب جالسًا هناك فيجلس القاضي والداعي إلى جانبه والناس على اختلاف طبقاتهم فيقرأ القراء وينشد المنشدون أيضًا.

ثم يفرش وسط القاعة بالحصر المقلوبة ليس على وجوهها وإنما تخالف مفارشها ثم تفرش عليها سماط الحزن مقدار ألف زبدية من العدس والملوحات والمخللات والأجبان والألبان الساذجة والأعسال النحل والفطير والخبز المغير لونه بالقصد لأجل الحزن.

فإذا قرب الظهر وقف صاحب الباب وصاحب المائدة يعني الحاجب والمشد وأدخل الناس للأكل من السماط فيدخل القاضي والداعي ويجلس صاحب الباب ببابه ومن الناس من لا يدخل من شدة الحزن فلا يلزم أحد بالدخول.

فإذا فرغ القوم انفصلوا إلى مكانهم ركبانًا بذلك الزي الذي ظهروا فيه من قماش الحزن.

وطاف النواح بالقاهرة في ذلك اليوم وأغلق البياعون حوانيتهم إلى بعد العصر والنوح قائم بجميع شوارع القاهرة وأزقتها.

فإذا فات العصر يفتح الناس دكاكينهم ويتصرفون في بيعهم وشرائهم فكان ذلك دأب الخلفاء الفاطميين من أولهم المعز لدين الله معد إلى آخرهم العاضد عبد الله.

انتهى ترجمة المستعلي.

ويأتي بعض أخباره أيضًا في السنين المتعلقة به على سبيل الاختصار كما هو عادة هذا الكتاب.

السنة الأولى من خلافة المستعلي أحمد

وهي سنة ثمان وثمانين وأربعمائة.

فيها اصطلح أهل السنة والرافضة ببغداد وعملوا الدعوات ودخل بعضهم إلى بعض.

وفيها قتل تاج الدولة تتش بن ألب أرسلان محمد بن داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقماق أبو سعيد السلجوقي أخو السلطان ملكشاه.

كان أولا في المشرق فاستنجده أتسز الخوارزمي صاحب الشام فقدم دمشق وقتل أتسز المذكور واستولى على الشام وامتدت أيامه.

وهو الذي قتل آق سنقر وبوزان ثم خالف على ابن أخيه بركياروق بن ملكشاه ووقع بينهما أمور آخرها في هذه السنة كانت بينهما وقعة هائلة على الري.

وكان لما قتل آق وبوزان أخذ جماعة من أمرائهما فقتلتهم بين يديه وكان بكجور من أكابر الأمراء فقتل أولاده بين يديه صبرًا وهرب بكجور إلى بركياروق.

فلما انتصر على الري جاء بكجور إلى السلطان بركياروق وهو يبكي فقال: قد قتل عمك أولادي وأنا قاتله بأولادي فقال: افعل.

وكان تتش قد وقف بالقلب مقابل ابن أخيه السلطان بركياروق فقصده الأمير بكجور المذكور وطعنه فألقاه عن فرسه فنزل سنقرجه - وكان أيضًا صاحب ثأر - فحز رأسه وقيل رماه مملوك بوزان بسهم في ظهره فوقع منه وانهزم أصحابه وطيف برأسه.

وأسر وزيره فخر الملك علي بن نظام الملك فعفا عنه السلطان بركياروق وفخر الملك وزير تتش وهما ابنا نظام الملك.

ثم وقع أيضًا لأولاد تاج الدولة تتش هذا أمور وفتن بعد موت أبيهم وهم رضوان وأخوته على ما يأتي ذكره إن شاء الله تعالى.

وفيها توفي عبد السلام بن محمد بن يوسف بن بندار أبو يوسف القزويني شيخ المعتزلة.

كان إمامًا في فنون فسر القرآن في سبعمائة مجلد - وقيل في أربعمائة وقيل ثلاثمائة - وكان الكتاب وقفًا في مشهد أبي حنيفة رضي الله عنه.

وكان رحل إلى مصر وأقام بها أربعين سنة.

وكان محترمًا في الدول ظريفًا حسن العشرة صاحب نادرة.

قيل: إنه دخل على نظام الملك الوزير وكان عنده أبو محمد التميمي ورجل آخر أشعري فقال له القزويني: أيها الصدر قد اجتمع عندك رؤوس أهل النار.

قال نظام الملك وكيف ذلك قال: أنا معتزلي وهذا مشبه يعني التميمي وذلك أشعري وبعضنا يكفر بعضًا فضحك النظام.

وقيل: إنه اجتمع مع ابن البراج متكلم الشيعة فقال له ابن البراج: ما تقول في الشيخين فقال: سفلتين ساقطين.

قال: من تعني قال: أنا وأنت.

وكانت وفاة القزويني هذا في ذي القعدة وقد بلغ سنًّا وتسعين سنة ودفن بمقابر الخيزران عند أبي حنيفة رضي الله عنه.

وفيها توفي محمد بن فتوح بن عبد الله بن حميد أبو عبد الله بن أبي نصر الخميلي الأندلسي.

كان من جزيرة ميورقة.

ولد قبيل الأربعمائة وسمع الكثير ورحل إلى الأقطار ثم استوطن بغداد.

وكان مختصًا بصحبة ابن حزم الظاهري وحمل عنه أكثر كتبه.

قال ابن ماكولا: صديقنا أبو عبد الله الخميمي من أهل العلم والفضل ورد بغداد وسمع أصحاب الدارقطني وابن شاهين وفيها توفي منصور بن نصر الدولة بن مروان صاحب ميافارقين وكان استولى على الجزيرة فمات بها فحمل إلى آمد فدفن بقية بنتها له زوجته ست الناس بنت عميد الأمة.

وأول ولاية بني مروان لديار بكر في سنة ثمانين وثلاثمائة واستولى الوزير ابن جهير على بلادهم سنة تسع وسبعين وأربعمائة ومات منصور في هذه السنة.

فكانت ولايتهم نيفًا ومائة سنة.

وأعيان ملوكهم أولهم باد الكردي وبعده مروان وهو جدهم ثم بعده ولده أحمد ثم بعده ولده نظام الدين ثم ولداه سعيد ومنصور هذا.

وفيها توفي محمد بن عباد بن محمد بن إسماعيل بن قريش السلطان المعتمد على الله أبو القاسم ابن السلطان المعتضد بالله أبي عمرو ابن الفقيه قاضي إشبيلية ثم سلطانها الظافر ابن المؤيد بالله أبي العباس بن أبي الوليد اللخمي من ولد النعمان بن المنذر صاحب الحيرة.

كان المعتمد هذا صاحب إشبيلية وقرطبة.

وأصلهم من بلد العريش التي كانت في أول رمل مصر.

وكان المعتمد عالمًا ذكيًا شاعرًا عادلا في الرعية كان من محاسن الدنيا.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمس أذرع وست أصابع.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا واثنتا عشرة إصبعًا.

وهي سنة تسع وثمانين وأربعمائة.

فيها حكم المنجمون بأن يكون طوفان مثل طوفان نوح عليه السلام.

فسأل الخليفة ابن عيسون المنخم فقال: أخطأ المنجمون طوفان نوح قد اجتمع في برج الحوت الطوالع السبعة والآن قد اجتمع فيه ستة زحل لم يجتمع معها ولكني أقول: إن بقعة من البقاع يجتمع بها عالم من بلاد كثيرة فيغرقون.

فقيل: ما ثم أكبر من بغداد ويجتمع فيها ما لا يجتمع في غيرها وربما كانت هي فقال ابن عيسون: لا أدري غير ما قلت.

فأمر الخليفة بإحكام المسنيات وسد الفروج وكان الناس يتوقعون الغرق فوصل الخبر بأن الحاج نزلوا في واد عند نخلة فأتاهم سيل عظيم وأخذ الجميع بالجمال والرجال وما نجا منهم إلا من تعلق برؤوس الجبال.

فخلع الخليفة على ابن عيسون وأجرى له الجراية وأمن الناس.

وفيها ورد كتاب المستعلي صاحب مصر وكتاب وزيره الأفضل أمير الجيوش إلى رضوان بن تتش السلجوقي بالدخول في الطاعة.

فأجاب وخطب للمستعلي صاحب الترجمة.

وفيها خرج العسكر المصري إلى الساحل ونزل على صور وفتحوها عنوة وأخذوا منها أموالا عظيمة وكان بها رجل يعرف بالكتيلة فأسر وحمل إلى مصر.

وفيها سار الأفضل أمير الجيوش المذكور من مصر بالعساكر إلى القدس وكان به سكمان بن أرتق وأخوه إيلغازي فحصر البلد ونصب عليها المجانيق وقاتلهم أربعين يومًا وأرسل أهل القدس فواطؤوه على فتح الباب وطلبوا منه الأمان فأمنهم وفتحوا له الباب وخرج سكمان من باب آخر ومضى إلى الرها ومضى أخوه إيلغازي إلى بغداد.

وهما أول ملوك الارتقية ظهورًا.

وفيها تواترت الأخبار بخروج ملك الروم من بلاد الروم بقصد البلاد الشامية.

وفيها قتل رضوان ابن تاج الدولة تتش السلجوقي وقتل ولده ونهبت داره.

وكان ظالمًا فاتكًا.

كان استوزر أبا الفضل بن الموصلي مشير الدين.

وفيها توفي عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله أبو حكيم الخيري - وخير: إحدى بلاد فارس - وهو جد أبي الفضل بن ناصر لأبيه.

تفقه على أبي إسحاق الشيرازي وبرع في الفرائض وله فيها مصنف.

وكان فقيهًا صالحًا حسن الطريقة.

وفيها توفي عبد الرزاق بن عبد الله بن المحسن أبو غانم التنوخي المعري.

كان فاضلا شاعرًا.

ومن شعره في كوز فقاع: الوافر ومحبوس بلا ذنب جناه له سجن بباب من رصاص يضيق بابه خوفًا عليه ويوثق بعد ذلك بالعفاص إذا أطلقته خرج ارتقاصا وقبل فاك من فرح الخلاص وفيها توفي منصور بن محمد بن عبد الجبار الشيخ أبو المظفر السمعاني جد أبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور صاحب الذيل.

وكان أبو المظفر هذا من أهل مرو وتفقه على مذهب أبي حنيفة حتى برع ثم ورد بغداد وانتقل لمذهب الشافعي لمعنى من المعاني ورجع إلى بلده فلم يقبلوه وقام عليه العوائم فخرج إلى طوس ثم قصد نيسابور.

وصنف التفسير والبرهان والاصطلام والقواطع في أصول الفقه وغير ذلك.

ومات في شهر ربيع الأول بمرو.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربع أذرع وسبع عشرة إصبعًا.

مبلغ الزيادة ثلاث عشرة ذراعًا وسبع عشرة إصبعًا.

السنة الثالثة من خلافة المستعلي أحمد وهي سنة تسعين وأربعمائة.

فيها أخذت الفرنج نيقية وهي أول بلد أخذوه ثم أفتحوا حصون الدورب شيئًا بعد شيء كما ذكرناه مفصلا في أول ترجمة المستعلي هذا.

وفيها توفي المعمر بن محمد بن المعمر بن أحمد بن محمد أبو الغنائم الحسيني الطاهر ذو المناقب نقيب الطالبيين.

مات بالكرخ فحمل إلى مقابر قريش فدفن بها.

وكان من كبار الشيعة.

وولي النقابة بعده ولده أبو الفتوح حيدرة ولقب بالرضي ذي الفخرين.

وفيها توفي نصر بن إبراهيم بن نصر بن إبراهيم أبو الفتح الفقيه القدسي الشافعي.

أصله من نابلس وأقام بالقدس مدة ودرس بها.

وكان فقيهًا عابدًا زاهدًا ورعًا.

مات في المحرم من هذه السنة.

وفيها توفي يحيى بن أحمد السيبي.

مات في شهر ربيع الآخر وعاش مائة وثلاثًا وخمسين سنة وثلاثة أشهر وأيامًا وكان صحيح الحواس يقرأ عليه القرآن ويسمع الحديث ورحل الناس إليه.

وكان ثقة صالحًا صدوقًا.

وفيها قتل الملك أرسلان أرغون ابن السلطان ألب أرسلان محمد بن داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقماق السلجوقي بمرو كان قد حكم على خراسان.

وسبب قتله أنه كان مؤذيًا لغلمانه جبارًا عليهم فوثب عليه رجل منهم فقتله بسكين.

وكان قد ملك مرو ونيسابور وبلخ وترمذ وأساء السيرة وخرب أسوار مدن خراسان وصادر وزيره عماد الملك ابن نظام الملك وأخذ منه ثلاثمائة ألف دينار ثم قتله.

أمر النيل في هذه السنة: السنة الرابعة من خلافة المستعلي أحمد وهي سنة إحدى وتسعين وأربعمائة.

فيها تواترت الشكايات من الفرنج وكتب السلطان بركياروق السلجوقي إلى العساكر يأمرهم بالخروج مع عميد الدولة للجهاد وتجهز سيف الدولة صدقة وبعث مقدماته إلى الأنبار.

ثم وردت الأخبار إلى بغداد بأن الفرنج ملكوا إنطاكية وساروا إلى معرة النعمان في ألف ألف إنسان فقتلوا وسبوا حسب ما ذكرنا في أول ترجمة المستعلي هذا.

وفيها عزل السلطان بركياروق وزيره مؤيد الملك بن نظام الملك عن وزارته واستوزر أخاه فخر الملك.

وكان مؤئد الملك في غاية من العقل والفضل وحسنه التدبير وفخر الملك بعكس ذلك كفه.

فلحق مؤيد الملك بأخي بركياروق محمد بن ملكشاه وأطمعه في الملك.

وكان عزل مؤيد الملك بإشارة مجد الملك القمي المستوفي.

وفيها خرج محمد بن ملكشاه المذكور على أخيه بركياروق.

وكان لملكشاه عدة أولاد منهم بركياروق السلطان بعده وأمه زبيدة ومحمود وأمه خاتون ومحمد شاه هذا الذي خرج وسنجر ومحمد وسنجر هما أخوان لأب وأم.

وكان محمد هذا رباه أخوه بركياروق وأقطعه كنجة وأعمالها ورتب معه شخصًا كالأتابك واسمه أيضًا محمد فوثب عليه محمد شاه وقتله لكونه كان يحجز عليه ولا يبت أمرًا حتى يراجع بركياروق.

ووافق ذلك مجيء مؤيد الملك بن نظام الملك إليه فجرت له مع أخيه بركياروق حروب ووقائع.

وفيها توفي طراد بن محمد بن علي أبو الفوارس الزينبي العباسي الهاشمي.

هو من ولد زينب بنت سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس.

ولد سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة وسمع الكثير وزحل الناس إليه من الأقطار وأملى بجامع المنصور وحج سنة تسع وثمانين وأربعمائة وأملى بمكة والمدينة وولي نقابة العباسيين بالبصرة وكانت له رياسة وجلالة.

ومات في شوال وقد جاوز تسعين سنة.

وفيها توفي نصر بن علي بن المقلد بن نصر بن منقذ أبو المرهف الكناني عز الدولة.

ملك شيزر بعد أبيه وقام بتربية أخوته أحسن قيام.

وفيه يقول أبوه علي بن المقلد من قصيدة: الطويل جزى الله نصرًا خير ما جزيت به رجال قضوا فرض العلا وتنفلوا ومنها: سألقاك يوم الحشر أبيض واضحًا وأشكر عند الله ما كنت تفعل إلى الله أشكو من فراقك لوعة توقد في الأحشاء ثم ترحل ومن شعر نصر هذا: الخفيف كنت أستعمل البياض من الأم - - شاط عجبًا بلمتي وشبابي فاتخذت السواد في حالة الشي - - ب سلوا عن الصبا بالتصابي وفيها توفي الحافظ أبو العباس أحمد بن بشرويه الأصبهاني الإمام المحدث.

مات وله ست وتسعون سنة.

وكان إمامًا حافظًا سمع الحديث وروى عنه غير واحد وكان من أئمة المحدثين.

رحمه الله تعالى.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربع أذرع وثماني عشرة إصبعًا.

مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعًا وست عشرة إصبعًا.

السنة الخامسة من خلافة المستعلي أحمد وهي سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة.

فيها استولى الفرنج على بيت المقدس في يوم الجمعة ثالث عشر شعبان حسب ما ذكرناه في وفيها توفي السلطان إبراهيم بن مسعود بن محمود بن سبكتكين صاحب عزنة وغيرها من بلاد الهند.

كان ملكًا عادلا منصفًا منقادًا إلى الخير كثير الصدقات كان لا يبني لنفسه مكانًا حتى يبني لله مسجدًا أو مدرسة.

قال الفقيه أبو الحسن الطبري: أرسلني إليه بركياروق في رسالة فرأيت في مملكته ما لا يتأتى وصفه.

ومات في شهر رجب وقد جاوز السبعين.

وأقام ملكًا نيفًا وأربعين سنة.

وفيها توفي الشيخ عبد الباقي بن يوسف بن علي بن صالح أبو تراب المراغي الفقيه الشافعي.

كان إمامًا فقيهًا زاهدًا مدرسًا.

مات في ذي القعدة عن اثنتين وتسعين سنة وقد انتهت إليه رياسة العلم بنيسابور.

وفيها توفي علي بن الحسن بن الحسين بن محمد القاضي أبو الحسن الموصلي الأصل المصري الفقيه الشافعي المعروف بالخلعي.

ولد بمصر في أول سنة خمس وأربعمائة وسمع الحديث الكثير ورواه وكان مسند الديار المصرية في وقته.

ومات في ذي الحجة.

وفيها توفي الحافظ أبو القاسم مكي بن عبد السلام الرميلي ببيت المقدس شهيدًا حين أخذته الفرنج في شعبان واستشهد به عالم لا يحصى.

وكان إمامًا محدثًا حافظًا.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ست أذرع واثنتان وعشرون إصبعًا.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا وأربع عشرة إصبعًا.

السنة السادسة من خلافة المستعلي أحمد وهي سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة.

فيها عادت الخطبة ببغداد باسم بركياروق بعد الخليفة وكان بطل اسمه وخطب لأخيه محمد شاه وهذا بعد أن وقع بينهما حروب إلى أن ملك بركياروق وأخرج أعوان محمد شاه من بغداد.

وفيها توفي عبد الله بن أحمد بن علي بن صابر أبو القاسم السلمي الدمشقي ويعرف بابن سيده.

ولد سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة ومات في شهر ربيع الآخر بدمشق.

وأنشد: الوافر صبرًا لحكمك أيها الدهر لك أن تجور ومتى الصبر آليت لا أشكوك مجتهدًا حتى يردك من له الأمر وفيها توفي محمد بن سلطان بن محمد بن حيوس أبو الفتيان الأمير الشاعر.

ولد سنة إحدى وأربعمائة وهو من بيت الفضل والعلم والرياسة.

ومات في شهر رجب وقد لكم أن تجوروا معرضين وتغضبوا وعادتكم أن تزهدوا حين تغضبوا جنيتم علينا واعتذرنا إليكم ولولا الهوى لم يسأل الصفح مذنب وفيها توفي الوزير محمد بن محمد بن محمد بن جهير الصاحب شرف الدين عميد الدولة.

كان حسن التدبير كافيًا في المهام شجاعًا جوادًا عظيمًا في الدول.

وزر للخليفة القائم ثم من بعده للمقتفي فعزله بأبي شجاع ثم أعاده المستظهر فدبر أموره ثماني سنين وأحد عشر شهرًا وأربعة أيام.

وكان له ترسل بديع وتوقيعات وجيزة وأشعار رقيقة.

ومدحه شعراء عصره وفيه يقول أبو منصور علي بن الحسن المعروف بصردر الشاعر قصيدته العينية المشهورة التي أولها: الكامل قد بان عذرك والخليط مودع وهوى النفوس مع الهوادج يرفع وفيها توفي يحيى بن عيسى بن جزلة أبو علي المتطبب صاحب المنهاج في الطب.

كان نصرانيًا يقرأ على أبي علي بن الوليد المعتزلي فلم يزل يدعوه إلى الإسلام حتى أسلم وحسن إسلامه.

واستخدمه أبو الحسن قاضي القضاة في كتب السجلات.

وكان يطب أهل محلته بغير عوض ويعود الفقراء ويحسن إليهم.

ووقف كتبه على مشهد أبي حنيفة - رضي الله عنه.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم عشر أذرع وست عشرة إصبعًا.

مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعًا وخمس عشرة إصبعًا.

السنة السابعة من خلافة المستعلي أحمد وهي سنة أربع وتسعين وأربعمائة.

فيها قتل السلطان بركياروق خلقًا من الباطنية وكانوا ثلاثمائة ونيفًا وكتب إلى الخليفة بالقبض على من اتهم أنه منهم.

وفيها التقى بركياروق مع أخيه محمد شاه وكان مع محمد شاه خمسة عشر ألفًا ومع بركياروق خمسة وعشرون ألفًا فاقتتلوا قتالا شديدًا قتل من الفريقين عدة كبيرة فانهزم محمد شاه وهرب وزيره مؤيد الملك بن نظام الملك فتبعه غلمان بركياروق وأخذوه وجاءوا به إلى بركياروق فقام وضرب عنقه بيده.

ومضى محمد شاه واستجار بأخيه سنجر شاه فأرسل سنجر شاه إلى بركياروق يسأله فيه فقال بركياروق: لا بد أن يطأ بساطي.

ثم وقع أمور وانتصر سنجر شاه لأخيه محمد شاه ولا زال حتى دخل محمد بغداد وخطب له بها وتوخه بركياروق إلى واسط.

وفيها توفي محمد بن منصور أبو سعد شرف الملك المستوفي الخوارزمي.

كان جليل القدر فاضلا نبيلا متعصبًا لأصحاب أبي حنيفة - رضي الله عند - وهو الذي بنى على أبي حنيفة القبة والمدرسة الكبيرة بباب الطاق - وقد قدمنا ذكره في وفاة أبي حنيفة في هذا الكتاب - وبنى أيضًا مدرسة بمرو ووقف فيها كتبًا نفيسة وبنى الرباطات في المفاوز وعمل خيرات كثيرة.

ثم انقطع في آخر عمره.

وبذل لملكشاه مائة ألف دينار حتى أعفاه من الخدمة.

ومات بأصبهان في جمادى الآخرة.

وفيها قتل أبو المحاسن وزير بركياروق.

كان قد نقم على أبي سعد فركب بعد ذلك وسار على باب أصبهان فوثب عليه غلام أبي سعيد الحداد فقتله وأخذ بثأر أستاذه.

فأمر بركياروق بسلخ الغلام فسلخ وعلق.

وفيها توفي الشيخ أبو الحسن علي بن أحمد بن الأخرم المديني المؤذن.

كان إمامًا محدثًا فاضلا.

مات في المحرم وله تسع وثمانون سنة.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ست أذرع وثماني عشرة إصبعًا.

مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعًا وسبع أصابع.

السنة التي حكم في أولها المستعلي أحمد ثم الآمر ولده.

فيها جلس الخليفة المستظهر بالله أحمد العباسي لمحمد شاه وسنجر شاه ابني ملكشاه جلوسًا عامًا ودخلا عليه وقبلا الأرض له فأدناهما وأفاض عليهما الخلع وتوجهما وطوقهما وسورهما وقرأ الخليفة: " واعتصموا بحبل الله جميعًا.

.

.

" الآية.

ثم خرجا إلى قتال أخيهما بركياروق فوقع بينهما وقائع وحروب أسفرت عن نصرة بركياروق وانهزام محمد شاه.

وفيها قبض بركياروق على الكيا الهراسي الفقيه الشافعي لأنه بلغه عنه أنه باطني شيعي فكتب الخليفة إليه ببراءة ساحته حسن عقيدته ودينه فأطلقه.

وفيها كانت وفاة صاحب الترجمة المستعلي بالله أحمد كما تقدم ذكره في ترجمته.

وفيها توفي حسين بن ملاعب جناح الدولة صاحب حمص.

كان أميرًا مجاهدًا شجاعًا يباشر الحروب بنفسه.

دخل جامع حمص يوم الجمعة فصفى الجمعة فوثب عليه ثلاثة من الباطنية فقتلوه.

وكان سبب قتله أنه كان عند رضوان بن تتش ملك حلب منجم باطني وهو أول من أظهر مذهب الباطنية بالشام فندب لقتل جناح الدولة هذا أولئك النفر.

ثم قتل المنجم بحلب بعد ذلك بأربعة عشر يومًا.

وفيها توفي الشيخ أبو العلاء صاعد بن سيار الكناني الهروي الفقيه العالم المشهور.

كان إمامًا فقيهًا مفتيًا مدرسًا صالحًا ثقة.

الماء القديم سبع أذرع وثماني أصابع.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا وثلاث عشرة إصبعًا.

خلافة الآمر بأحكام الله على مصر الآمر اسمه منصور وكنيته أبو علي ولقبه الآمر بأحكام الله بن المستعلي بالله أبي القاسم أحمد بن المستنصر بالله أبي تميم معد بن الظاهر بالله علي بن الحاكم بأمر الله منصور بن العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله معد بن المنصور إسماعيل بن القائم بأمر الله محمد بن المهدي عبيد الله العبيدي الفاطمي السابع من خلفاء مصر من بني عبيد والعاشر منهم ممن ملك بالمغرب.

قال الحافظ أبو عبد الله شمس الذين محمد الذهبي في تاريخ الإسلام: كان رافضيًا كآبائه فاسقًا ظالمًا جبارًا متظاهرًا بالمنكر واللهو ذا كبر وجبروت وكان مدبر سلطانه الأفضل شاهنشاه ابن أمير الجيوش.

ولي الآمر وهو صبي فلما كبر قتل الأفضل وأقام في الوزارة المأمون أبا عبد الله محمد بن مختار بن فاتك البطائحي فظلم وأساء السيرة إلى أن قبض عليه الأمر سنة تسع عشرة وخمسمائة وصادره ثم قتله في سنة اثنتين وعشرين وصلبه وقتل معه خمسة من أخوته.

وفي أيام الآمر أخذ الفرنج عكا سنة سبع وتسعين وأربعمائة وأخذوا طرابلس في سنة اثنتين وخمسمائة فقتلوا وسبوا وجاءتها نجمة المصريين بعد فوات المصلحة وأخذوا عرقة وبانياس.

وتسلموا في سنة إحدى عشرة وخمسمائة تبنين وتسلموا صور سنة ثماني عشرة وأخذوا بيروت بالسيف في سنة ثلاث وخمسمائة وأخذوا صيداء سنة أربع وخمسمائة.

ثم قصد الملك برديل الإفرنجي مصر ليأخذها ودخل الفرما وأحرق جامعها ومساجدها فأهلكه الله قبل أن يصل إلى العريش.

فشق أصحابه بطنه وصبروه ورموا حشوته هناك فهي ترجم إلى اليوم بالسبخة ودفنوه بقمامة.

وهو الذي أخذ بيت المقدس وعكا وعدة حصون من السواحل.

وهذا كله بتخلف هذا المشؤوم الطلعة.

وفي أيامه ظهر ابن تومرت بالغرب.

وولد الآمر في أول سنة تسعين وأربعمائة واستخلف وله خمس سنين وبقي في الملك تسعًا وعشرين سنة وتسعة أشهر إلى أن خرج من القاهرة يومًا في ذي القعدة وعدى على الجسر إلى الجزيرة فكمن له قوم بالسلاح.

فلما عبر نزلوا عليه بأسيافهم وكان في طائفة يسيرة فردوه إلى القصر وهو مثخن بالجراح فهلك من غير عقب.

وهو العاشر من أولاد المهدي عبيد الله الخارج بسجلماسة.

وبايعوا بالآمر ابن عمه الحافظ أبا الميمون عبد المجيد بن محمد بن المستنصر بالله.

وكان الآمر ربعة شديد الأدمة جاحظ العينين حسن الخط جيد العقل والمعرفة.

وقد ابتهج بقتله لفسقه وسفكه للدماء وكثرة مصادرته واستحسانه الفواحش.

وعاش خمسًا وثلاثين سنة.

وبنى وزيره المأمون بالقاهرة الجامع الأقمر.

انتهى كلام الذهبي برمته.

ونذكر إن شاء الله قتله وأحواله بأوسع مما قاله الذهبي من أقوال جماعة من المؤرخين أيضًا.

وقال العلامة أبو المظفر من مرآة الزمان: لما كان يوم الثلاثاء ثالث ذي القعدة خرج من القاهرة يعني الآمر وأتى الجزيرة وعبر بعض الجسر فوثب عليه قوم فلعبوا عليه بالسيوف - وقيل: كانوا غلمان الأفضل - فحمل في مركب إلى القصر فمات في ليلته وعمره أربع وثلاثون سنة - وزاد غيره فقال: وتسعة أشهر وعشرون يومًا - وكانت أيامه أربعًا وعشرين سنة وشهرًا.

قلت: وهم صاحب مرآة الزمان في قوله: وكانت مدته أربعًا وعشرين سنة وشهرًا.

والصواب ما قاله الذهبي فإنه وافق في ذلك جمهور المؤرخين.

ولعل الوهم يكون من الناسخ.

وما آفة الأخبار إلا رواتها.

قال أعني صاحب مرآة الزمان: ومولده سنة تسعين وأربعمائة.

قلت: وزاد غيره وقال: في يوم الثلاثاء ثالث عشر المحرم.

قال: وكانت سيرته قد ساءت بالظلم والعسف والمصادرة.

قال: ولما قتل الآمر وثب غلام له أرمني فاستولى على القاهرة وفرق الأموال في العساكر وأراد أن يتآمر على الناس فخالفه جماعة ومضوا إلى أحمد بن الأفضل يعني الوزير فعاهدوه وجاءوا به إلى القاهرة فخرج الغلام الأرمني فقتلوه وولوا أبا الميمون عبد المجيد بن محمد بن المستنصر وولي الخلافة ولقبوه بالحافظ ووزر له أبو علي أحمد بن الأفضل بن أمير الجيوش وسماه أمير الجيوش.

فأحسن إلى الناس وأعاد إليهم ما صادرهم به الآمر وأسقطه فأحبه الناس فحسده مقدمو الدولة فاغتالوه.

وقيل: إن الآمر لم يخلف ولدًا وترك امرأة حاملا فماج أهل مصر وقالوا: لا يموت أحد من أهل هذا البيت إلا ويخلف ولدًا ذكرًا منصوصة عليه الإمامة وكان قد نص على الحمل قبل موته فوضعت الحامل بنتًا فعدلوا إلى الحافظ وانقطع النسل من الآمر وأولاده.

وهذا مذهب طائفة من شيعة المصريين فإن الإمامة عندهم من المستنصر إلى نزار.

وكان نقش خاتم الآمر هذا الآمر بأحكام الله أمير المؤمنين.

وابتهج الناس بقتله.

انتهى كلام صاحب مرآة الزمان أيضًا برمته.

قلت: ونذكر إن شاء الله قتلة الآمر هذا بأوسع من هذا في آخر ترجمته بعد أن نذكر أقوال المؤرخين في أمره.

وقال قاضي القضاة شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان - رحمه الله -: وكان الآمر سيئ الرأي جائر السيرة مستهترًا متظاهرًا باللهو واللعب.

وفي أيامه أخذت الفرنج مدينة عكا - ثم ذكر ابن خلكان نحوًا مما ذكره الذهبي من أخذ الفرنج للبلاد الشامية.

إلى أن قال: - خرج من القاهرة يعني الآمر صبيحة يوم الثلاثاء ثالث عشر ذي القعدة سنة أربع وعشرين وخمسمائة ونزل إلى مصر وعدى على الجسر إلى الجزيرة التي قبالة مصر يعني الروضة فكمن له قوم بالأسلحة وتواعدوا على قتله في السكة التي يمر فيها إلى فرن هناك.

فلما مر بها وثبوا عليه ولعبوا عليه بالسيوف وكان قد جاوز الجسر وحده في عدة قليلة من غلمانه وبطانته وخاصته وشيعته فحمل في زورق في النيل ولم يمت وأدخل القاهرة وهو حي وجيء به إلى القصر فمات من ليلته ولم يعقب.

وكان قبيح السيرة ظلم الناس وأخذ أموالهم وسفك الدماء وارتكب المحظورات واستحسن القبائح وابتهج الناس بقتله.

انتهى كلام ابن خلكان.

وقيل: إن الآمر كان فيه هوج عند طلوعه المنبر في خطبته في الجمع والأعياد فاستحيا وزيره المأمون بن البطائحي أن يشافهه بما يقع له من الهوج وأراد أن يفهمها له من غير مشافهة فقال له: يا مولانا قد مضى من الشهر أيام ولم يبق إلا الركوب إلى الجمعة الأولى قلت: وقد تقدم في ترجمة المعز لدين الله ترتيب خروج الخلفاء الفاطميين إلى صلاة الجمعة.

ويصلوا بالناس ثلاث جمع والجمعة الأولى من كل شهر يصلي بالناس الخطيب وتسمى تلك الجمعة جمعة الراحة - أعني يستريح فيها الخليفة - ونستطرد في هذه الترجمة أيضًا لذكر شيء من ذلك مما لم نذكره في قال الوزير: يا مولانا وبعد غد جمعة الراحة فإن حسن في الرأي أن يخرج مولانا بحاشيته خاصة من باب النوبة إلى القصر النافعي فما فيه سوى عجائز وقرائب وألزام ويجلس مولانا على القبة التي على المحراب قبالة الخطيب ليشاهد نائبه في الخطابة كيف يخطب فإنه رجل شريف فصيح اللسان حافظ القرآن.

فأجابه الخليفة الآمر إلى ذلك.

ولما حضر الجامع وجاس في القبة وفتح الروشن وقام الخطيب فخطب فهو في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في الخطبة الثانية وإذا بالهوى قد فتح الطاق فرفع الخطيب رأسه فوقع وجهه في وجه الخليفة فعرفه فأرتج عليه وارتاع ولم يدر ما يقول حتى فتح عليه فقال: معاشر المسلمين نفعكم الله وإياي بما سمعتم وعن الضلال عصمكم.

قال الله تعالى في كتابة العزيز: " ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزمًا ".

إن الله يأمر بالعدل والإحسان.

.

.

".

إلى آخر الآية وصفى بالناس.

فلما انفصل المجلس تكلم الآمر مع وزيره المذكور بما وقع للخطيب.

فانفتح الكلام للوزير وتكلم فيما كان بصدده فرجع الآمر عن الخطابة واستناب وزيره المذكورة فصار الوزير يخطب بجامع القاهرة وجامع ابن طولون وجامع مصر.

وقال ابن أبي المنصور في تاريخه: إن ابتداء خطبة الوزير المأمون كانت في شهر رمضان سنة خمس وثمانين وترك الآمر الخطابة مع ما كان له في ذلك من الرغبة الزائدة حتى إنه كان اقترح أشياء أخرى في خروجه إلى الجامع زيادة على ما كانت آباؤه تفعله غير أنه كان يخطب في الأعياد بعد ما استناب وزيره المأمون ابن البطائحي في خطبة الجمع.

فكان الآمر إذا خرج في خطبة العيد خرج إلى المصلى ويخرجون قبله على العادة السابقة المذكورة في ترجمة المعز بالفرش والآلات وعلق بالمحاريب الشروب المذهبة وفرش فيه ثلاث سجادات متراكبة وبأعلاها السجادة اللطيفة التي كانت عندهم معظمة وهي قطعة من حصير ذكر أنها كانت من حصير لجعفر الصادق - رضي الله عنه - يصلي عليها وكانت مما أخذه الحاكم بأمر الله عند فتح دار جعفر الصادق.

ثم تغلق الأبواب الثلاثة التي بجنب القبة التي في صدرها المحراب.

- قلت: والذي ذكرناه في ترجمة المعز لدين الله كانت صلاته بالجامع الأزهر والآمر هذا كانت صلاته في الجمعة بالجامع الحاكمي وفي العيد بالمصلى.

.

ونذكر أيضًا هيئة خروج الآمر إلى الجامع بنحو ما ذكرناه هناك وزيادة أخرى لم نذكرها فبهذا المقتضى يكون للإعادة نتيجة - قال: ثم تفرش أرض القبة المذكورة جميعًا بالحصر المحاريب المبطنة ثم تعلق الستور بالمحراب وجانبي المنبر ويفرش درجه وينصب اللواءان ويعلقان عليه ويقف متولي ذلك والقاضي تحت المنبر ويطلق البخور ويتقدم الوزير بألا يفتح الباب أحد وهو الباب الذي يدخل الخليفة منه ويقف عليه ويقعد الداعي

في الدهليز ويقرأ المقرئون بين يديه ويدخل الأمراء والأشراف والشهود والشيوخ ولا يدخل غيرهم إلا بضمان من الداعي.

فإذا استحقت الصلاة أقبل الخليفة في زيه الذي ذكرناه في ترجمة المعز لدين الله وقضيب الملك بيده وجميع أخوته وبنو عمه في ركابه.

فعند ذلك يتلقاه المقرئون ويرجع من كان حوله من بني عمه وأخوته وأستاذوه.

ويخرج من باب الملك إلى أن يصل إلى باب العيد فتنشر المظلة عليه - وقد ذكرنا أيضًا زي المظلة في ترجمة المعز - ويترتب الموكب في دعة لا يتقدم أحد ولا يتأخر عن مكانه وكذلك وراء الموكب العماريات - هم عوض المحفات - والزرافات والفيلة والأسود عليها الأسرة مزينة بالأسلحة.

ولا يدخل من باب المصلى أحد راكبًا إلا الوزير خاصة ثم يدخل الباب الثاني فيترجل الوزير ويتسلم شكيمة فرس الخليفة حتى ينزل الخليفة ويمشي إلى المحراب والقاضي والداعي عن يمينه ويساره يوصلان التكبير لجماعة المؤذنين.

وكاتب الدست وجماعة الكتاب يصلون تحت عقد المنبر لا يمكن غيرهم أن يكون معهم.

ويكثر في الأولى سبعًا وفي الثانية خمسًا على سنة القوم ثم يطلع الوزير ثم يسلم الدعو القاضي فيستدعي من جرت عادته بطلوع المنبر وكل لا يتعدى مكانه.

ثم ينزل الخليفة بعد الخطبة ويعود في أحسن زي على هيئة خروجه من رحبة باب العيد حتى يأكل الناس السماط.

وقد ذكرنا كيفية السماط وزي لبس الخليفة والمظلة وصفة ركوبه وطلوعه إلى المنبر ونزوله في ترجمة المعز لدين الله أول خلفائهم فينظر هناك من هذا الكتاب.

قلت: وكان الأمر يتناهى في العظمة ويتقاعد عن الجهاد.

وما قاله الذهبي في ترجمته فبحق فإنه مع تلك المساوي التي ذكرت عنه كان فيه تهاون في أمر الغزو والجهاد حتى استولت الفرنج على غالب السواحل وحصونها في أيامه وإن كان وقع لأبيه المستعلي أيضًا ذلك وأخذ القدس في أيامه فإنه اهتم لقتال الفرنج وأرسل الأفضل بن بدر الجمالي أمير الجيوش بالعساكر فوصلوا بعد فوات المصلحة بيوم.

فكان له في الجملة مندوحة بخلاف الآمر هذا فإنه لم ينهض لقتال الفرنج البتة وإن كان أرسل مع الأسطول عسكرًا فهو كلا شيء.

وسنبين ذلك عند استيلاء الفرنج على طرابلس وغيرها على سبيل الاختصار في هذا المحل فنقول: أول ما وقع في أيامه من طمع الفرنج في البلاد فإنهم خرجوا في أول سنة سبع وتسعين وأربعمائة من الرهاء وانقسموا قسمين قسم قصد حران وقسم قصد الرقة.

فالذي توخه إلى الرقة خرج لهم سكمان بن أرتق صاحب ماردين وكان سالم بن بدر العقيلي في بني عقيل وقد نزلوا على رأس العين فخرج بهم سكمان المذكور والتقوا مع الفرنج واقتتلوا قتالا شديدًا أسر فيه سالم بن بدر المذكور ثم كانت الدائرة على الفرنج فانهزموا وقتل منهم خلق كثير.

والقسم الآخر من الفرنج الذي قصد حران والبلاد الشامية لم ينهض لقتالهم وصالحهم ابن عمار قاضي طرابلس وصاحبها وهادنهم على أن يكون لصنجيل ملك الفرنج ظاهر البلد وألا يقطع الميرة عنها وأن يكون داخل البلد لابن عمار.

وهلك في أثناء ذلك صنجيل المذكور ملك الروم.

ولم ينهض أحد من المصريين لقتال المذكورين.

فعلمت الفرنج ضعف من بمصر.

ثم بعد ذلك في سنة اثنتين وخمسمائة قصد الفرنج طرابلس وأخذوها بعد أن اجتمع عليها ملوك الفرنج مع بلترام بن صنجيل المقدم ذكره في ستين مركبًا في البحر مشحونة بالمقاتلة وطنكري الفرنجي صاحب إنطاكية وبغدوين الفرنجي صاحب القدس بمن معهم جاءوا من البر وشرعوا في قتالها وضايقوها من أول شعبان إلى حادي عشر ذي الحجة وأسندوا أبراجهم إلى سور البلد.

فلما رأى أهل طرابلس ذلك أيقنوا بالهلاك مع تأخر أسطول مصر عنهم.

ثم حضر أسطول مصر من البحر.

وصار كلما سار نحو البلد رده الفرنج إلى نحو مصر.

قلت: ومن هذا يظهر عدم اكتراث أهل مصر بالفرنج من كل وجه.

الأول: من تقاعدهم عن المسير في هذه المدة الطويلة.

والثاني: لضعف العسكر الذي أرسلوه مع أسطول مصر ولو كان لعسكر الأسطول قوة لدفع الفرنج من البحر عن البلد على حسب الحال.

والثالث: لم لا خرج الوزير الأفضل بن أمير الجيوش بالعساكر المصرية كما كان فعل والده بدر الجمالي في أوائل الأمر.

هذا مع قوتهم من العساكر والأموال والأسلحة.

فلله الأمر من قبل ومن بعد.

ولله در السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب فيما فعله في أمر الجهاد وفتح البلاد كما يأتي ذلك كله إن شاء ثم إن الفرنج لما علموا بحال أهل طرابلس وتحققوا أمرهم حملوا حملة رجل واحد في يوم الاثنين حادي عشر ذي الحجة وهجموا على طرابلس فأخذوها ونهبوها وأسروا رجالها وسبوا نساءهم وأخذوا أموالها وذخائرها وكان فيها ما لا يحصى ولا يحصر واقتسموها بينهم.

وطمعوا في الغنائم فساروا إلى جبلة وبها فخر الملك بن عمار الذي كان صاحب طرابلس وقاضيها وتسلموها منه بالأمان في ثاني عشر ذي الحجة في يوم واحد وخرج منها ابن عمار سالمًا.

ثم وصل بعد ذلك الأسطول المصري بالعساكر فوجدوا البلاد قد أخذت فعادوا كما هم إلى مصر.

وسار ابن عمار إلى شيزر فأكرمه صاحبها سلطان بن علي بن منقذ واحترمه وعرض عليه المقام عنده فأبى وتوجه إلى الأمير طغتكين صاحب دمشق فأكرمه طغتكين وأنزله وأقطعه الزبداني وأعماله.

ثم وقع بين بغدوين صاحب القدس وبين طغتكين المذكور أمور حتى وقر الاتفاق بينهما على أن يكون السواد وجبل عوف مثلثة الثلث للفرنج والباقي للمسلمين.

ثم انقضى ذلك في سنة خمس وخمسمائة.

وقصد بغدوين الفرنجي المذكور صور فكتب واليها وأهلها إلى طغتكين يسألونه أنهم يسلمونها إليه قبل مجيء الفرنج لأنهم يئسوا من نصرة مصر فأبى وبعث إليهم الفرسان والرجالة وجاءهم هو من جبل عاملة ثم عاد.

ثم سار إليهم بغدوين في الخامس والعشرين من جمادى الأولى سنة خمس وخمسمائة فقطع أشجارها وقاتلها أيامًا وهو يعود خاسرًا.

وخرج طغتكين وخيم ببانياس وجهز الخيالة والرجالة إلى صور نجدة فلم يقدروا على الدخول إليها من الفرنج.

ثم رحلت الفرنج عنها ونزلوا على الحبيس وهو حصن عظيم وحاصروه حتى فتحوه عنوة وقتلوا كل من كان فيه ثم عاد بغدوين إلى صور وشرع في عمل الأبراج وأخذ في قتالها والزحف في كل يوم.

فلما بلغ ذلك طغتكين زحف عليهم ليشغلهم فخندق عليهم وهجم الشتاء فلم يبال الفرنج به لأنهم كانوا في أرض رملة والميرة تصل إليهم من صيدا في المراكب.

ثم ركب طغتكين البحر وسار إلى نحو صيداء وقتل جماعة من الفرنج وغرق مراكبهم وأوصل مكاتبته إلى أهل صور فقوى قلوبهم.

ثم عمل الفرنج برجين عظيمين طول الكبير منهما زيادة على خمسين ذراعًا وطول الصغير زيادة على أربعين ذراعًا وزحفوا بهما أول شهر رمضان وخرج أهل صور بالنفط والقطران ورموا النار فهبت الريح فاحترق البرج الصغير بعد المحاربة العظيمة ونهب منه زرديات وطوارق وغير ذلك ولعبت النار في البرج الكبير أيضًا فأطفأها الفرنج.

ثم إن الفرنج طموا الخندق وواتروا الزحف طول شهر رمضان وأشرف أهل البلد على الهلاك.

فتحيل واحد من المسلمين له خبرة بالحرب فعمل كباشًا من أخشاب تدفع البرج الذي يلصقونه بالسور.

ثم تحيل في حريق البرج الكبير حتى أحرقه وخرج المسلمون فأخذوا منه آلات وسلاحًا.

فحينئذ يئس الفرنج من أخذها ورحلوا عنها بعد ما أحرقوا جميع ما كان لهم من المراكب على الساحل والأخشاب والعمائر والعلوفات وغيرها.

وجاءهم طغتكين فما سلموا إليه البلدة فقال طغتكين: أنا ما فعلت الذي فعلته إلا لله تعالى لا لرغبة في حصن ولا مال ومتى دهمكم عدوكم جئتكم بنفسي وبرجالي ثم رحل عنهم - فلله عزه من ملك - كل ذلك ولم تأت نجدة المصريين.

ودام الأمر بين أهل صور والفرنج تارة بالقتال وتارة بالمهادنة إلى أن طال على أهل صور الأمر ويئسوا من نصرة مصر فسلموها للفرنج بالأمان في سنة ثماني عشرة وخمسمائة.

قلت: وما أبقى أهل صور - رحمهم الله تعالى - ممكنًا في قتالهم مع الفرنج وثباتهم في هذه السنين الطويلة مع عدم المنجد لهم من مصر.

وقيل في أخذ صور وجه آخر.

قال ابن القلانسي: وفي سنة تسع عشرة وخمسمائة ملك الفرنج صور بالأمان.

وسببه خروج سيف الدولة مسعود منها وكان قد حمل إلى مصر وأقام الوالي الذي بها في البلد.

قلت: وهذه زيادة في النكاية للمسلمين من صاحب مصر فإن سيف الدولة المذكور كان قائمًا بمصالح المسلمين وفعل ما فعل مع الفرنج من قتالهم وحفظ سور المدينة هذه المدة الطويلة فأخذوه منها غصبًا وخلوا البلد مع من لا قبل له بمحاربة الفرنج.

فكان حال المصريين في أول الأمر أنهم تقاعدوا عن نصرة المسلمين والآن بأخذهم سيف الدولة من صور صاروا نجدة للفرنج.

وهذا ما فعله إلا الآمر هذا صاحب الترجمة بنفسه بعد أن قبض على الأفضل ابن أمير الجيوش وقتله وقتل غيره أيضًا معه.

ونعود إلى كلام ابن القلانسي قال: وعرف الفرنج يعني بخروج سيف الدولة فتأهبوا للنزول عليها وعرف الوالي أنه لا قبل له بهم لقلة النجدة والميرة بها فكتب إلى صاحب مصر يخبره.

فكتب إليه: قد رددنا أمرها إلى ظهير الدين - أظنه يعني بظهير الدين طغتكين المقدم ذكره أمير دمشق - قال: ليتولى حمايتها والذب عنها وبعث منشورًا له بها.

ونزل الفرنج عليها وضايقوها بالحصار والقتاله حتى خفت الأقوات وجاء طغتكين فنزل ببانياس وتواترت المكاتبات إلى مصر باستدعاء المؤن فتمادت الأيام إلى أن أشرف أهلها على الهلاك.

ولم يكن للأتابك طغتكين قدرة على دفع الفرنج ويئس من مصر فراسل أهلها الفرنج وطلبوا الأمان على نفوسهم وأهاليهم وأموالهم ومن أراد الخروج خرج ومن أراد الإقامة أقام.

وجاء الأتابك بعسكره فوقف بازاء الفرنج وركبت الفرنج ووقفوا بازائه وصاروا صفين وخرج أهل البلد يمرون بين الصفين ولم يعرض لهم أحد وحملوا ما أطاقوه ومن ضعف منهم أقام.

فمضى بعضهم إلى دمشق وبعضهم إلى غزة وتفرقوا في البلاد وعاد الأتابك إلى دمشق.

ودخل الفرنج صور وملكوها سنين إلى حين فتحت ثانيًا حسب ما سيأتي ذكره في ترجمة السلطان الذي يتولى فتحها.

قلت: وهذا الذي ذكرناه هو كالشرح لكلام الذهبي وغيره من المؤرخين فيما ذكروه عن الأمر هذا.

ونعود إلى ترجمة الآمر.

وكان للآمر نظم ونظر في الأدب.

ومما نسب إليه من الشعر قوله: السريع أصبحت لا أرجو ولا أتقي إلا إلهي وله الفضل جدي نبي وإمامي أبي ومذهبي التوحيد والعدل وقد نسب هذا الشعر لغيره من الفاطميين أيضًا وكان الآمر يحفظ القرآن انفرد بذلك دون جميع خلفاء مصر من الفاطميين وكان ضعيف الخط.

وأما ما وعدنا به من ذكر قتله فنقول: كان الآمر صاحب الترجمة مطلوبًا من جماعة من أعوان عمه نزار المقتول بيد أبيه بعد واقعة الإسكندرية المقدم ذكرها لأن الآمر وأباه المستعلي غصبًا الخلافة وأن النص كان على نزار.

وقد ذكرنا ذلك كله في أول ترجمة المستعلي.

فاتصل بالآمر أن جماعة من النزارية حصلوا بالقاهرة ومصر يريدون قتله فاحترز الآمر على نفسه وتحيل في قبضهم فلم يقدر له ذلك لما أراده الله.

وفشا أمر النزارية وكانوا عشرة فخافوا أن يقع.

عليهم الآمر فيقتلهم قبل قتله فاجتمعوا في بيت وقال بعضهم لبعض: قد فشا أمرنا ولا نأمن أن يظفر بنا فيقتلنا ومن المصلحة والرأي أن نقتل وأحدًا منا ونلقي رأسه بين القصرين وحلانا عندهم فإن عرفوه فلا مقام لنا عندهم وإن لم يعرفوه ثم لنا ما نريد لأن القوم في غفلة.

فقالوا للذي أشار عليهم: ما يتسع لنا قتل واحد منا ينقص عددنا وما يتم بذلك أمرنا فقال الرجل: أليس هذا من مصلحتنا ومصلحة من تلزمنا طاعته فقالوا نعم.

فقال: وما دللتكم إلا على نفسي وشرع في قتل نفسه بيده بسكين في جوفه فمات من وقته.

فأخذوا رأسه فرموه في الليل بين القصرين وأصبحوا متفرقين ينظرون ما يجري في البلد بسبب الرأس.

فلما وجد الرأس اجتمع عليه الناس وأبصروه فلم يقل أحد منهم أنا أعرفه.

فحمل إلى الوالي فأحضره الوالي عرفاء الأسواق وأرباب المعايش فلم يعرف فأحضر أيضًا أصحاب الأرباع والحارات فلم يعرف ففرح التسعة بذلك ووثقوا بالمقام بالقاهرة لقضاء مرادهم.

واتفق للخليفة الآمر أن يمضي إلى الروضة - حسب ما ذكر في أول ترجمته - وأنه يجوز على الجسر الذي من مصر إلى جزيرة الروضة للمقام بها أيامًا للفرجة.

وكان من شأن الخلفاء أنهم يشيعون الركوب في أرباب خدمتهم حيثما قصدوا حتى لا يتفرقوا عنه وأيضًا لا يتخفف أحد عن الركوب فعلم النزارية التسعة بركوبه فجاءوا إلى الجزيرة ووجدوا قبالة الطالع من الجسر فرنًا فدخلوا فيه قبل مجيء الخليفة الآمر ودفعوا إلى الفران دراهم وافرة ليعمل لهم بها فطيرًا بسمن وعسل ففرح الفران بها وعمل لهم الفطير فما هو بأكثر مما أكلوه ولم يتموا أكلهم إذ طلع الخليفة الآمر من آخر الجسر وقد تفلل عنه الركابية ومن يصونه لحرج الجواز على الجسر لضيقه فلما قابلوه وثبوا عليه وثبة رجل واحد وضربوه بالسكاكين حتى إن واحدًا منهم ركب وراءه وضربه عدة ضربات وأدركهم الناس فقتل التسعة.

وحمل الآمر في عشاري إلى قصر اللؤلؤة وكان ذلك في أيام النيل ففاضت نفس الآمر قبل وصوله إلى اللؤلؤة.

وقد تقدم عمر الآمر ومدة خلافته في أول ترجمته فلا حاجة لذكر ذلك ثانيًا.

وقيل: إن بعض منجميه كان عرفه أنه يموت مقتولا بالسكاكين فكان الآمر كثيرًا ما يلهج بقوله: الآمر مسكين المقتول بالسكين.

السنة الأولى من خلافة الآمر منصور

وهي سنة ست وتسعين وأربعمائة.

فيها أعيدت الخطبة ببغداد إلى السلطان بركياروق السلجوقي بعد أن التقى مع أخيه محمد شاه وهزمه بركياروق.

فتوجه محمد شاه إلى أرمينية وأخلاط ثم عاد إلى تبريز في جمادى الآخرة ومضى بركياروق إلى زنجان.

ووقع بينهما في الآخر الاتفاق على شيء فعلوه.

وفيها استوزر الخليفة المستظهر بالله العباسي زعيم الرؤساء أبا القاسم علي بن محمد بن محمد بن جهير على كره منه عزل وزيره سديد الملك أبا الفضل بن عبد الرزاق.

فكانت ولايته عشرة أشهر.

وفيها توفي أردشير بن منصور أبو الحسين العبادي الواعظ الأستاذ كان أصله من أهل مرو وكان يخاطب بالأمير قطب الدين.

قدم بغداد وجلس في النظامية وحضر أبو حامد الغزالي مجلس وعظه وكان يحضر مجلسه من الرجال والنساء ثلاثون ألفًا.

وكان صمته أكثر من نطقه وإذا تكلم هابته الناس وبوعظه حلق أكثر الصبيان رؤوسهم ولزموا المساجد وبددوا الخمور وكسروا الملاهي.

ولما قدم بغداد ووعظ بها وكان البرهان الغزنوي يعظ بها قبله فانكسر سوقه.

فقال الدهان الشاعر المشهور في ذلك: السريع لله قطب الذين من عالم منفرد بالعلم والباس قد ظهرت حجته للورى قام بها البرهان للناس ومات قطب الدين في غرة جمادى الآخرة.

رحمه الله.

وفيها توفي الشيخ أبو المعالي الزاهد الصالح البغدادي.

كان مقيمًا بمسجد باب الطاق ببغداد فحضر مجلس ابن أبي عمامة فوقع كلامه في قلبه فتزهد وكان لا ينام إلا جالسًا ولا يلبس إلا ثوبًا وفيها توفي الشيخ أبو طاهر أحمد بن علي بن عبيد الله بن عمر بن سوار المقرئ المجود.

كان إمامًا عارفًا بالقراءات وسمع الحديث واشتغل في القراءات سنين.

وفيها توفي الشيخ أبو داود سليمان بن نجاح المؤيدي المقرئ الإمام.

مات في شهر رمضان وله ثلاث وثمانون سنة وقد انتهت إليه رياسة القراء في زمانه.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم سبع أذرع وثماني أصابع.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا لإصبع واحدة.

السنة الثانية من خلافة الآمر منصور وهي سنة سبع وتسعين وأربعمائة.

فيها وقع الصلح بين الأخوة أولاد السلطان ملكشاه السلجوقي وهم السلطان بركياروق ومحمد شاه وسنجر شاه على أن يكون اسم السلطنة لبركياروق وضرب النوبة عني الطبلخانات في أوقات الصلوات الخمس على بابه وأن يكون لمحمد شاه أرمينية وأذربيجان وديار بكر والجزيره والموصل وأن يكون لسنجر شاه خراسان على حاله أولا وأن يكون لبركياروق الجبل وهمذان وأصبهان والري وبغداد وأعمالها والخطبة ببغداد وأن محمد شاه وسنجرشاه يخطبان لنفسيهما.

وفيها نزل الأمير سكمان بن أرتق صاحب ماردين وجكرمش صاحب الموصل على رأس العين عازمين على لقاء الفرنج وكان خرج ريمند وطنكري صاحب إنطاكية بعساكر الفرنج إلى الرهاء فالتقوا فنصر الله المسلمين وقتلوا منهم عشرة آلاف وانهزم ريمند وطنكري في نفر يسير من الفرنج.

وفيها نزل بغدوين صاحب القدس الفرنجي على عكا في البر والبحر في نيف وتسعين مركبًا فحصروها من جميع الجهات وكان واليها زهر الدولة الجيوشي فقاتل حتى عجز فطلب الأمان له وللمسلمين فلم يعطوه لما علموا الفرنج من أهل مصر أنهم لم ينجدوه ثم أخذوها بالسيف في شهر رمضان.

وقد قدمنا ذكر ذلك في ترجمة الآمر هذا بأكثر من هذا القول.

وفيها حاصر صنجيل الفرنجي طرابلس وبنى عليها حصنًا فخرج القاضي ابن عمار صاحب طرابلس بعسكره في ذي الحجة وهدم الحصن وقتل من فيه من الفرنج ونهبه وكان فيه شيء كثير.

وفيها توفي أحمد بن الحسين بن حيدرة الأديب أبو الحسين ويعرف بابن خراسان الطرابلسي الشاعر المشهور.

وكان شاعرًا مجيدًا هجا فخر الملك ابن عمار قاضي طرابلس وصاحبها وأخاه فأمر به قاضي طرابلس المذكور فضرب حتى مات.

ومن شعره من قصيدة: الطويل وفيها توفي إسماعيل بن علي بن الحسن بن علي الشيخ أبو علي الجاجرمي الأصم النيسابوري.

ولد سنة ست وأربعمائة ورحل في طلب العلم وطاف البلاد وعاد إلى نيسابور فمات بها في المحرم.

وكان فقيهًا واعظًا زاهدًا ورعًا صدوقًا ثقة حسن الطريقة.

وفيها توفي دقماق بن تتش الأمير أبو نصر شمس الملوك السلجوقي صاحب دمشق.

وسماه الذهبي وصاحب مرآة الزمان دقاقًا بلا ميم.

ولعل الذي قلناه هو الصواب فإننا لم نسمع باسم قبل ذلك يقال له دقاق وأيضًا فإن جد السلجوقيين الأعلى اسمه دقماق وهذا من أكبر الأدلة على أن اسمه دقماق.

ولي دمشق بعد قتل أبيه تاج الدولة تتش بن ألب أرسلان وقام بأمر الأتابك ظهير الدين طغتكين وتزوج طغتكين والدته.

فأقام في مملكة دمشق حتى مات.

وملك دمشق بعده ابنه تتش وهو حدث السن وأوصى أن يكون طغتكين أيضًا القائم بدولته فوقع ذلك وقام طغتكين بالأمر أحسن قيام.

وفيها توفي العلاء بن الحسن بن وهب بن الموصلايا أبو سعد الكاتب الفاضل.

كتب في الإنشاء للخلفاء خمسًا وستين سنة.

وكان نصرانيًا فأسلم في سنة أربع وثمانين وأربعمائة على يد الخليفة المقتدي بالله العباسي.

ومات فجاءة.

وكان طاهر الفسان كريم الأخلاق شاعرًا مجيدًا مترسلا.

ومن شعره: الوافر ودعاني فقد دعاني إلى الحك - - م غريم الغرامة آلت عندي فعساه يرق إذ ملك الر - - ق بنقد من وصله أو بوعد أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمس أذرع واثنتا عشرة إصبعًا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا وثلاث عشرة إصبعًا.

السنة الثالثة من خلافة الآمر منصور وهي سنة ثمان وتسعين وأربعمائة.

فيها هلك صنجيل عظيم الفرنج وصاحب إنطاكية.

وفيها بعث ضياء الذين محمد وزير ميافارقين إلى قلج أرسلان بن سليمان بن قتلمش وهو بملطية يستدعيه إلى ميافارقين فتوجه إليه قلج أرسلان وملك ميافارقين.

وكان مبدأ قلج أرسلان هذا أنه خدم ملكشاه السلجوقي فأرسله على جيش لغزو الروم فسار وافتتح ملطية وقيسارية وأقصرى وقونية وسيواس وجميع ممالك الروم فأقره ملكشاه بها فأقام بها وعد من الملوك إلى أن قدم ميافارقين واستولى عليها وولاها لمملوك والده خمرتاش السليماني.

واستوزر قلج أرسلان ضياء الدين المذكور وأخذه معه وولاه أبلستين.

ثم وقع بين قلج أرسلان هذا وبين جاولي مملوك السلطان محمد شاه بن ملكشاه وتقاتلا فانكسر قلج أرسلان.

فلما رأى الهزيمة عليه ألقى نفسه في الخابور فغرق فأخرج وحمل تابوته إلى ميافارقين ودفن بها.

وفيها بعث يوسف بن تاشفين صاحب المغرب إلى الخليفة المستظهر بالله العباسي يخبره أنه خطب له على منابر ممالكه وأرسل يطلب منه الخلع والتقليد فبعث إليه بما طلب.

وفيها توفي السلطان ركن الدولة بركياروق ابن السلطان ملكشاه ابن السلطان ألب أرسلان بن داود بن سلجوق بن دقماق السلجوقي أبو المظفر.

مات في شهر ربيع الأول وهو ابن أربع وعشرين سنة.

وكانت سلطنته اثنتي عشرة سنة.

وعهد لولده ملكشاه وأوصى به الأمير آيازة فتوجه آياز بالصبي إلى بغداد ونزل به دار المملكة وعمره أربع سنين وعشرة أيام وأجلسه على تخت الملك مكان أبيه بركياروق وخطب له ببغداد في جمادى الأولى.

فلم يتم أمر الصبي وملك عمه محمد شاه الذي كان ينازع أخاه بركياروق وقتل آياز المذكور.

وبركياروق: بفتح الباء الموحدة وسكون الراء والكاف وفتح الياء المثناة من تحتها وبعد الألف راء مضمومة وبعد الراء واو وقاف.

وفيها توفي محمد بن علي بن الحسن بن أبي الصقر أبو الحسن الواسطي.

تفقه على أبي إسحاق الشيرازي وسمع الحديث الكثير.

وكان أديبًا عالمًا.

ومن شعره لما كبر سنه وصار لا يستطيع القيام لأصحابه: الوافر علة سفيت ثمانين عامًا منعتني للأصدقاء القياما فإذا عمروا تمهد عذري عندهم بالذي ذكرت وقاما وفيها توفي الحافظ أبو علي الحسين بن محمد الغساني الجياني عن إحدى وتسعين سنة.

كان إمامًا حافظًا سمع الكثير وحدث وكتب وصنف.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم سبع أذرع وخمس أصابع.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا واثنتا عشرة إصبعًا.

السنة الرابعة من خلافة الآمر منصور وهي سنة تسع وتسعين وأربعمائة.

فيها ظهر رجل من نواحي نهاوند وادعى النبوة وكان ممخرقًا بالسحر والنجوم فتبعه خلق كثير وحملوا إليه أموالهم.

وكان يعطي جميع ما عنده لمن يقصده وسمى أصحابه بأسماء الصحابة الخلفاء رضوان الله عليهم.

وكان خرج أيضًا في هذه السنة بنهاوند رجل من ولد ألب أرسلان السلجوقي يطلب الملك فخرج إليهما العساكر وأخذوا الرجل المدعي النبوة والذي طلب الملك معًا وقتلا.

وفيها كان بين الفرنج وبين طغتكين واقعة عظيمة على سواد طبرية.

وفيها ملكت الإسماعيلية حصن فامية وقتلوا خلف بن ملاعب صاحب الحصن بأمر أبي طاهر الصائغ العجمي المقيم بحلب.

وهذا الصائغ هو الذي أظهر مذهب الباطنية الرافضة وقتلته الفرنج وأراح الله المسلمين منه.

وفيها توفي عمر بن المبارك بن عمر أبو الفوارس البغدادي.

ولد سنة ثلاث عشرة وأربعمائة وبرع في علم القرآن وقرأ الناس عليه سنين كثيرة وسمع الحديث الكثير وكان من الصالحين.

وفيها توفي مهارش البدوي بن مجلي الأمير أبو الحارث صاحب الحديثة الذي خدم الخليفة القائم بأمر الله فيما تقدم ذكره لما حصل عنده بالحديثة.

وكان مهارش هذا كثير الصلاة والصوم والصدقة صالحًا محبًا لأهل العلم.

وعاش نيفًا وثمانين سنة.

رحمه الله.

وفيها توفي الشيخ الإمام المقرئ أبو البركات محمد بن عبد الله بن يحيى بن الوكيل المقرئ المحدث مات وله ثلاث وتسعون سنة.

وكان عالمًا بفنون كثيرة عارفًا بعلوم القرآن.

وفيها توفي الشيخ الإمام أبو البقاء المعمر بن محمد بن علي الكوفي الحبال ومات وله ست أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ثماني أذرع سواء.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا واثنتا عشرة إصبعًا.

السنة الخامسة من خلافة الآمر منصور وهي سنة خمسمائة.

فيها ولى الخليفة المستظهر بالله أبا جعفر عبد الله الدامغاني أخا قاضي القضاة حجبة الباب فرمى الطيلسان وتزيا بزي الحجبة فشق ذلك على أخيه.

وفيها بعث السلطان محمد شاه برأس أحمد بن عبد الملك بن عطاش مقدم الباطنية ورأس ولده.

وكان ابن عطاش هذا في قلعة عظيمة بأصبهان.

وفيها توفي جعفر بن أحمد بن الحسين بن أحمد الشيخ أبو محمد السراج القارئ البغدادي.

ولد سنة ست عشرة وأربعمائة.

وقرأ بالروايات وأقرأ سنين وسافر إلى مصر والشام وسمع الحديث وصنف المصنفات الحسان منها كتاب مصارع العشاق وغيره.

وكان فاضلا شاعرًا لطيفًا.

نظم كتاب التنبيه وغيره.

ولم يمرض في عمره سوى مرض الموت.

ومن شعره: السريع يا ساكني الدير حلولا به يطربهم فيه النواقيس وفيها قتل السلطان محمد شاه بن ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي وزيره سعد الملك سعد بن محمد أبا المحاسن واستوزر عوضه أبا نصر أحمد بن نظام الملك.

وكان سبب قتله أنه بلغه أنه دبر عليه هو وجماعة وكاتب أخاه سنجر شاه فقبض عليه وصلبه وأصحابه.

وفيها قتل أيضًا الوزير فخر الملك علي بن الوزير نظام الملك حسن وكنيته أبو المظفر.

كان استوزره بركياروق ثم توجه إلى نيسابور فوزر إلى سنجر شاه.

وثب عليه شخص في زي الصوفية من الباطنية وناوله قصة ثم ضربه بسكين فقتله.

قلت: وهكذا أيضًا وقع لأبيه نظام الملك.

حسب ما ذكرناه في محله.

فأخذ الباطني وفصل على قبر فخر الملك عضوًا عضوًا.

وفيها توفي محمد بن إبراهيم أبو عبد الله الأسدي.

ولد بمكة سنة إحدى وأربعين وأربعمائة وسافر البلاد ولقي العلماء.

وكان إمامًا فاضلا شاعرًا.

ومن شعره: الخفيف قلت ثقلت إذ أتيت مرارًا قال ثقلت كاهلي بالأيادي قلت طولت قال لا بل تط - - ولت وأبرمت قال حبل ودادي ورأيت هذين البيتين في شرح البديعية لابن حجة في القول بالموجب ونسبهما لابن حجاج.

والله أعلم.

وفيها توفي الحافظ أبو الفتح أحمد بن محمد بن أحمد الحداد الإمام العالم المحدث.

مات في ذي وفيها توفي الشيخ الإمام أبو غالب محمد بن الحسن الكرخي الباقلاني العالم المشهور.

مات وله ثمانون سنة.

وفيها توفي أبو الكرم المبارك بن فاخر النحوي البغدادي.

كان إمامًا عالمًا بالنحو واللغة والعربية وله مصنفات حسان.

وتوفي ببغداد.

وفيها توفي سلطان المسلمين بالمغرب يوسف بن تاشفين اللمتوني صاحب المغرب كان من عظماء ملوك الغرب.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ثماني أذرع وتسع أصابع.

مبلغ الزيادة تسع عشرة ذراعًا وإصبع واحدة.

السنة السادسة من خلافة الآمر منصور وهي سنة إحدى وخمسمائة.

فيها ظهرت ببغداد صبية عمياء تتكلم عن أسرار الناس فكانت تسأل عن نقوش الخواتم وما عليها وألوان الفصوص إلى غير ذلك.

وفيها حاصر بغدوين الفرنجي صاحب القدس صيداء وضايقها.

حسب ما ذكرناه في أول وفيها توفي الحسين بن أحمد بن النقار الشيخ أبو طاهر.

ولد بالكوفة ونشأ ببغداد.

وكان أديبًا شاعرًا فاضلا.

ومن شعره: السريع وزائر زار على غفلة وقد أماط الصبح ثوب الظلام راح وقد سهلت الراح من أخلاقه ما كان صعب المرام وفيها قتل صدقة بن منصور بن دبيس بن مزيد الأمير أبو الحسن سيف الدولة صاحب الحلة.

كان كريمًا عفيفًا عن الفواحش وكانت داره ببغداد حرمًا للخائفين.

لم يتزوج غير امرأة واحدة في عمره ولا تسرى قط.

قتل في واقعة كانت بينه وبين عسكر السلطان محمد شاه.

قلت: وكانت سيرته مشكورة وخصاله محمودة وإن لم يسلم من مذهب أهل الحلة فإن أباه كان من كبار الرافضة.

وفيها توفي عبد الواحد بن إسماعيل بن أحمد بن محمد الشيخ الإمام أبو المحاسن الروياني الطبري فخر الإسلام.

ولد في ذي الحجة سنة خمس عشرة وأربعمائة وتفقه ببخارى مدة وبرع في مذهب الشافعي - رضي الله عنه - وله مصنفات في مذهبه منها كتاب بحر المذهب وهو أطول كتب الشافعية وكتاب مناصيص الشافعي وكتاب الكافي وصنف في الأصول والخلاف.

وكان قاضي طبرستان فقتله الملاحدة في يوم الجمعة حادي عشر المحرم - ورويان: بلدة بنواحي وفيها توفي يحيى بن علي بن محمد بن الحسن بن بسطام أبو زكرياء الشيباني التبريزي الخطيب اللغوي.

كان إمامًا في علم اللسان.

رحل إلى الشام وقرأ اللغة على أبي العلاء المعري وسمع الحديث وحدث وأقرأ اللغة.

ومات في جمادى الآخرة وله إحدى وثمانون سنة.

وفيها توفي الملك تميم بن المعز بن باديس صاحب إفريقية وما والاها من بلاد المغرب.

امتدت أيامه وكان من أجل ملوك المغرب أقام هو وأبوه المعز نحوًا من مائة سنة وأكثر ومات وله تسع وسبعون سنة.

والصحيح أنه مات في القابلة.

حسب ما يأتي ذكره.

وقد أثبت الذهبي وفاته في هذه السنة.

وفيها توفي الشيخ المسلك أبو محمد عبد الرحمن بن محمد الدوني الصوفي أحد كبار مشايخ الصوفية في شهر رجب.

وكان له قدم في علم التصوف.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم سبع أذرع وخمس أصابع.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا وثماني عشرة إصبعًا.

السنة السابعة من خلافة الآمر منصور وهي سنة اثنتين وخمسمائة.

فيها توفي إسماعيل بن إبراهيم بن العباس بن الحسن الشريف أبو الفضل الحسيني الدمشقي المعروف بابن أبي الجن.

كان فقيهًا فاضلا ثقة.

ولي قضاء دمشق مدة وبها توفي.

وفيها توفي ملك المغرب تميم بن المعز بن باديس أبو يحيى صاحب إفريقية وينتهي نسبه إلى يعرب بن قحطان قاله السمعاني.

ولد سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة وعاش ثمانين سنة وأقام في الإمرة ستًا وأربعين سنة وخفف مائة ولد لصلبه قاله صاحب مرآة الزمان قال: لأنه كان مغرى بالجواري مع اهتمامه بالملك وقيل: إنه مات وله خمسون ولدًا.

وكان مقامه بالمهدية.

وكان عظيم القدر شاعرًا جوادًا ممدحًا.

وله ديوان شعر.

ومن شعره: الكامل ما بان عذري فيه حتى عذرا ومشى الدجى في خده فتحيرا همت تقبله عقارب صدغه فأسل ناظره عليها خنجرا والله لولا أن يقال تغنى وصبًا وإن كان التصابي أجدرا لأعدت تفاح الخدود بنفسجًا لثمًا وكافور الترائب عنبرا وله أيضًا: الطويل أما والذي لا يعلم السر غيره ومن هو بالسر المكتم أعلم لئن كان كتمان المصائب مؤلمًا لإعلامها عندي أشد وآلم وفيها توفي الحسن العلوي أبو هاشم رئيس همذان.

كان جوادًا ممدحًا ممولا شجاعًا صاحب صدقات وصلوات.

صادره السلطان محمد شاه السلجوقي على تسعمائة ألف دينار أداها في نيف وعشرين يومًا ولم يبع فيها عقارًا.

وفيها توفي الشيخ أبو القاسم علي بن الحسين الربعي البغداي الفقيه المحدث.

مات في شهر رجب.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ست أذرع وثماني عشرة إصبعًا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا وست عشرة إصبعًا.

السنة الثامنة من خلافة الآمر منصور وهي سنة ثلاث وخمسمائة.

فيها كاتب السلطان محمد شاه السلجوقي الأمير سكمان بن أرتق صاحب أرمينية وأخلاط وميافارقين والأمير شرف الذين مودودًا صاحب الموصل ونجم الدين إيلغازي صاحب ماردين بالاجتماع على جهاد الفرنج فاجتمعوا وبدؤوا بالرهاء.

وبلغ الفرنج فاجتمع طنكري صاحب إنطاكية وابن صنجيل صاحب طرابلس وبغدوين صاحب القدس وتحالفوا هم أيضًا على قتال المسلمين وساروا فكانت وقعة عظيمة نصر الله المسلمين فيها وغنموا منهم شيئًا كثيرًا.

وفيها توفي عمر بن عبد الكريم بن سعدويه الحافظ أبو الفتيان الدهستاني.

كان إمامًا حافظًا محدثًا رحل البلاد وسمع الكثير وروى عنه أبو بكر الخطيب وغيره واتفقوا على صدقه وثقته ودينه.

ومات في شهر ربيع الأول.

وفيها توفي وجيه بن عبد الله بن نصر الأديب الفاضل أبو المقدام التنوخي.

كان شاعرًا فصيحًا.

ولما أخربت الفرنج المعرة أنشد في المعنى لمحمود بن علي: الخفيف هذه صاح بلدة قد قضى الل - - ه عليها كما ترى بالخراب وقف العيس وقفة وابك من كا - - ن بها من شيوخها والشباب واعتبر إن دخلت يومًا إليها فهي كانت منازل الأحباب وفيها توفي الشيخ الإمام أبو سعيد محمد بن محمد بن محمد الأصبهاني المعروف بالمطرز.

مات في شوال.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ست أذرع وثماني عشرة إصبعًا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا وخمس أصابع.

وهي سنة أربع وخمسمائة.

فيها بنى الخليفة المستظهر بالله العباسي على الخاتون بنت ملكشاه السلجوقي أخت السلطان محمد شاه.

وفيها أيضًا جهز السلطان محمد شاه المذكور العساكر إلى الشام لقتال الفرنج وندب جماعة من الملوك معهم منهم شرف الذين مودود صاحب الموصل وقطب الدين سكمان بن أرتق صاحب ديار بكر فاجتمعوا ونزلوا على تل باشر ينتظرون البرسقي صاحب همذان فوصل إليهم وهو مريض فاختلفت آراؤهم لأمور وقعت ورجع كل واحد إلى بلاده.

وفيها توفي الأمير قطب الدين سكمان بن أرتق - المقدم ذكره - صاحب ديار بكر.

عاد من الرهاء مريضًا في محفة حتى وصل ميافارقين فمات بها.

وحمل تابوته من ميافارقين إلى أخلاط فدفن به.

وكان ملكًا عادلا مجاهدًا.

وأبوه أرتق مات بالقدس.

ونجم الدين إيلغازي بن أرتق أخو سكمان المذكور هو الذي ولي بعده.

توجه إيلغازي المذكور إلى السلطان محمد شاه السلجوقي فولاه شحنكية العراق سصارى أرمن عوضًا عن أخيه سكمان ثم أخذ منه ماردين في سنة ثمان وخمسمائة وميافارقين في سنة اثنتي عشرة وخمسمائة ثم أخذ منه حلب أيضًا.

ولسكمان هذا وقائع مع الفرنج كثيرة ومواقف.

رحمه الله.

وفيها توفي علي بن محمد بن علي الشيخ الإمام العلامة الفقيه العالم المشهور بالكيا الهراسي الشافعي العجمي.

لقبه عماد الذين.

كان من أهل طبرستان وخرج إلى نيسابور وتفقه على أبي المعالي الخويني وقدم بغداد ودرس بالنظامية ووعظ وذكر مذهب الأشعري فرجم وثارت الفتن واتهم بمذهب الباطنية.

فأراد السلطان قتله فمنعه الخليفة المستظهر بالله وشهد له بالبراءة.

وكانت وفاته في يوم الخميس غرة المحرم ودفن عند الشيخ أبي إسحاق الشيرازي وحضر لدفنه الشيخ أبو طالب الزينبي وقاضي القضاة أبو الحسن الدامغاني - وكانا مقدمي طائفة الساعة الحنفية - فوقف أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه فقال الدامغاني متمثلا بهذا البيت: الوافر وما تغني النوادب والبواكي وقد أصبحت مثل حديث أمس وأنشد الزينبي أيضًا متمثلا بهذا البيت: الكامل عقم النساء فما يلدن شبيهه إن النساء بمثله عقم ولما مات رثاه أبو إسحاق إبراهيم بن عثمان الغزي الشاعر المشهور ارتجالا بقصيدة أولها: البسيط هي الحوادث لا تبقي ولا تذر ما للبرية من محتومها وزر والكيا: بكسر الكاف وفتح الياء المثناة من تحتها وبعدها ألف.

والهراسي معروف.

والكيا بلغة الأعجام: الكبير القدر.

وفيها توفي أبو يعلى حمزة بن محمد الزينبي أخو الإمام العالم طراد.

مات في شهر رجب وله سبع وتسعون سنة.

وفيها توفي الشيخ الإمام المقرئ أبو الحسين يحيى بن علي بن الفرج الخشاب بمصر.

كان عالم مصر ومقرئها.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ست أذرع وثلاث أصابع.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا وأربع أصابع.

السنة العاشرة من خلافة الآمر منصور وهي سنة خمس وخمسمائة.

فيها عزل السلطان محمد شاه بن ملكشاه السلجوقي وزيره أحمد بن نظام الملك وكانت وزارته أربع سنين وأحد عشر شهرًا.

وفيها توفي الشيخ الإمام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الألوسي الفقيه الشافعي.

كان إمام عصره.

تفقه على أبي المعالي الجويني حتى برع في عدة علوم كثيرة ودرس وأفتى وصنف التصانيف المفيدة في الأصول والفروع ودرس بالنظامية ثم ترك ذلك كله ولبس الخام الغليظ ولازم الصوم وحج وعاد ثم قدم إلى القدس وأخذ في تصنيف كتابه الإحياء وتممه بدمشق.

وله من المصنفات البسيط والوسيط والوجيز وله غير ذلك.

وذكره ابن السمعاني في النيل فقال: ومن شعره: الكامل حلت عقارب صدغه في خده قمرًا يجل بها عن التشبيه ولقد عهدناه يحل ببرجها ومن العجائب كيف حلت فيه وفيها توفي محمود بن علي بن المهنأ بن أبي المكارم الفضل بن عبد القاهر أبو سلامة المعري القائل في حق المعرة لما استولى عليها الفرنج الأبيات التي مرت في ترجمة وجيه بن عبد الله في سنة ثلاث وخمسمائة التي أولها: الخفيف هذه صاح بلدة قد قضى الل - - ه عليها كما ترى بالخراب وجد والد محمود هذا الفضل بن عبد القاهر هو القائل: البسيط ليلي وليلى نفى نومي اختلافهما بالطول والطول يا طوبى لو اعتدلا يجود بالطول ليلى كلما بخلت بالطول ليلى وإن جادت به بخلا وفيها توفي مقاتل بن عطية بن مقاتل الأمير شبل الدولة أبو الهيجاء البكري من ولد أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

قال العماد الكاتب: كان شبل الدولة من أولاد العرب وقع بينه وبين أخوته خشونة ففارقهم وسار إلى خراسان وغزنة ومدح أعيانها واختص بنظام الملك الوزير.

انتهى كلام العماد.

قلت وهو الذي رثى نظام الملك بقوله: البسيط كان الوزير نظام الملك لؤلؤة نفيسة صاغها الرحمن من شرف أضحت ولا تعرف الأيام قيمتها فردها غيرة منه إلى الصدف أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم سبع أذرع وثلاث أصابع.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا وأربع أصابع.

السنة الحادية عشرة من خلافة الآمر منصور وهي سنة ست وخمسمائة.

فيها توفي محمد بن موسى بن عبد الله اللامشي التركي الإمام الفقيه الحنفي مصنف أصول الفقه على مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه.

كان إمامًا عالمًا فقيهًا مفتنًا.

ولي قضاء بيت المقدس مدة.

وكانت وفاته بدمشق في يوم الجمعة ثالث عشر جمادى الآخرة.

وسماه الذهبي وفيها توفي قاضي القضاة أبو العلاء صاعد بن منصور النيسابوري الواعظ.

كان إمامًا فقيهًا عالمًا واعظًا كان له لسان حلو في الوعظ.

وفيها توفي الشيخ أبو سعد المعمر بن علي بن المعمر بن أبي عمامة الحنبلي الفقيه الواعظ كان فقيه بغداد وواعظها.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ثماني أذرع وخمس عشرة إصبعًا.

مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعًا وإصبعان.

السنة الثانية عشرة من خلافة الآمر منصور وهي سنة سبع وخمسمائة.

فيها توفي إسماعيل بن أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو علي البيهقي ولد أبي بكر أحمد صاحب التصانيف.

رحل البلاد ولقي الشيوخ وسكن خوارزم ودرس بها ثم عاد إلى بيهق فتوفي بها.

وكان إمامًا فاضلًا صدوقًا ثقة.

وفيها توفي الأمير رضوان ابن الأمير تاج الدولة تتش بن ألب أرسلان بن داود ابن ميكائيل بن سلجوق بن دقماق السلجوقي المنعوت بفخر الملك صاحب حلب.

ملكها بعد قتل أبيه تتش في سنة ثمان وثمانين وأربعمائة.

وكان غير مشكور السيرة.

قتل أخويه أبا طالب وبهرام وقتل خواص أبيه.

وهو أول من بنى بحلب دار الدعوة.

وكان ظالمًا بخيلًا شحيحًا قبيح السيرة ليس في قلبه رأفة ولا شفقة على المسلمين.

وكانت الفرنج تغاور وتسبي وتأخذ من باب حلب ولا يخرج إليهم.

ومرض أمراضًا مزمنة ورأى العبر في نفسه حتى مات في ثامن عشر جمادى الآخرة وملك بعده ابنه ألب أرسلان وعمره ست عشرة سنة وقام بكفالته لؤلؤ الخادم.

وفيها توفي محمد بن أحمد بن الحسين أبو بكر الشاشي الفقيه الشافعي.

ولد سنة سبع وعشرين وأربعمائة وكان يعرف بالمستظهري تفقه بجماعة وقرأ على ابن الصباغ كتاب الشامل ودرس بالنظامية.

ومات في شوال ودفن عند أبي إسحاق الشيرازي.

وكان كثيرًا ما ينشد: الوافر تعلم يا فتي والعود رطب وطينك لين والطبع قابل فحسبك يا فتى شرفًا وفخرًا سكوت الحاضرين وأنت قائل وفيها توفي محمد بن أحمد بن محمد الإمام العلامة أبو المظفر الأبيوردي وهو من ولد معاوية بن محمد بن عثمان بن عتبة بن عنبسة بن أبي سفيان صخر بن حرب.

كان عالمًا بالأنساب وفنون اللغة والآداب وسمع الحديث ورواه وصنف لأبيورد تاريخًا وصنف المختلف والمؤتلف في أنساب العرب.

وكان له الشعر الرائق.

وكان فيه كبر وتيه بحيث إنه كان إذا صلى يقول: اللهم ملكني مشارق الأرض ومغاربها.

وكتب قصة للخليفة وعلى رأسها الخادم المعاوي يريد بذلك نسبه إلى معاوية.

فأمر الخليفة بكشط الميم ورد القصة فبقيت الخادم العاوي وكانت وفاته بأصبهان.

ومن شعره وأجاد إلى الغاية: الطويل تنكر لي دهري ولم يدر أنني أعز وأحداث الزمان تهون وظل يريني الخطب كيف اعتداؤه وبت أريه الصبر كيف يكون وفيها توفي الأمير موعود صاحب الموصل.

كان قدم الشام لمساعدة الأتابك ظهير الدين طغتكين وكسر الفرنج.

وكان مودود هذا يدخل كل جمعة فيصلي بجامع دمشق ويتبرك بمصحف عثمان رضي الله عنه.

فدخل على عادته ومعه الأتابك طغتكين يمشي في خدمته والغلمان حوله بالسيوف مسللة فلما صار في صحن الجامع وثب عليه رجل لا يؤبه له وقرب من مودود هذا كأنه يدعو له وضربه بخنجر أسفل سرته ضربتين أحداهما نفذت إلى خاصرته والأخرى إلى فخذه والسيوف تأخذه من كل ناحية وقطع رأسه ليعرف شخصه فما عرف.

ومات مودود من يومه وكان صائمًا فلم يفطر وقال: والله ما ألقى الله إلا صائمًا.

وكان من خيار الملوك دينًا وشجاعة وخيرًا.

ولما بلغ السلطان محمدًا شاه السلجوقي موته أقطع الموصل والجزيرة لآق سنقر البرسقي وأمره بتقديم عماد الدين زنكي والرجوع إلى إشارته.

وزنكي هذا هو والد الملك العادل نور الدين محمود المعروف بالشهيد المنشئ لدولة بني أيوب.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ثماني أذرع وخمس عشرة إصبعًا.

مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعًا وإصبعان.

السنة الثالثة عشرة من خلافة الآمر منصور

وهي سنة ثمان وخمسمائة

فيها واطأ لؤلؤ خادم رضوان على قتل ابن أستاذه ألب أرسلان ففتكوا به في قلعة حلب.

وفيها نزل الأمير نجم الدين إيلغازي بن أرتق على حمص وفيها خير خان بن قراجا وكان عادة نجم الدين إذا شرب الخمر وتمكن منه أقام أيامًا مخمورًا لا يفيق لتدبيره ولا يستأمر في أمور.

وعرف منه خير خان هذه العادة فتركه حتى سكر فهجم عليه برجاله وهو في خيمته فقبض عليه وحمله إلى قلعة حمص وسجنه بها أيامًا حتى أرسل إليه طغتكين يوبخه ويلومه فأطلقه.

وفيها هلك بغدوين الفرنجي صاحب القدس من جرح أصابه في وقعة طبرية وأراح الله المسلمين منه ومصيره إلى سقر.

وفيها قتل الأمير أحمد يل الروادي صاحب مراغة قتله باطني ضربه بسكين في دار السلطان محمد شاه ببغداد.

وكان شجاعًا جوادًا وكان يركب في خمسة آلاف فارس.

وكان إقطاعه أربعمائة ألف دينار في السنة.

وفيها توفي علي بن محمد بن محمد بن محمد بن جهير الصاحب أبو القاسم الوزير ابن الوزير وزر لجماعة من الخلفاء غير مرة.

ومات في سابع عشرين شهر ربيع الأول.

وكان وزيرًا عاقلًا حليمًا سديد الرأي حسن التدبير والثبات من بيت رياسة ووزارة.

وفيها توفي الشريف الحسيب النسيب أبو القاسم علي بن إبراهيم الحسيني خطيب دمشق في شهر ربيع الآخر.

وكان فاضلًا فصيحًا خطيبًا.

فيها توفي الحافظ الفقيه أبو عبد لله أحمد بن محمد بن عبد الله الخولاني القرطبي كان عالم بلاده ومفتيها.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم سبع أذرع وأربع عشرة إصبعًا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وعشر أصابع.

السنة الرابعة عشرة من خلافة الآمر منصور فيها صالح الأفضل أمير الجيوش مدبر مملكة الآمر صاحب الترجمة بردويل الفرنجي صاحب القدس.

وكان بردويل قد أخذ قافلة عظيمة من المسلمين بالسبخة المعروفة الآن بسبخة بردويل.

فرأى الأفضل مهادنته لعجزه عنه وأمر الناس بذلك وساروا إلى الشام وغيره.

وفيها توفي علي بن جعفر بن القطاع أبو القاسم السعدي الصقلي من أولاد كبار علماء صقلية وقدم مصر ومدح الأفضل أمير الجيوش.

وكان شاعرًا بارعًا.

ومن شعره: الطويل ألا فليوطن نفسه كل عاشق على سبعة محفوفة بغرام رقيب رواش كاشح ومفند ملح ودمع واكف وسقام وفيها توفي محمد بن علي - وقيل محمد بن محمد - بن صالح الشيخ الأديب أبو يعلى العباسي المعروف بابن الهبارية الشاعر البغدادي.

كان فيه إقدام بالهجو على أرباب المناصب.

وقدم أصبهان وبها السلطان ملكشاه السلجوقي ووزيره نظام الملك حسن الطوسي فدخل على النظام المذكور ومعه رقعتان رقعة فيها هجوه والأخرى فيها مدحه فأعطاه التي فيها الهجو يظن أنها التي فيها المدح.

وكان الهجو: الكامل لا غرو أن ملك ابن إس - - حاق وساعده القدر وصفا لدولته وخ - - ص أبا المحاسن بالكدر - وأبو المحاسن الذي أشار إليه كان صهر نظام الملك وكان بينهما عداوة - فكتب نظام الملك: يصرف لهذا القواد رسمه مضاعفًا.

ثم هجاه بعد ذلك فأهدر دمه.

قال العماد الكاتب: كان ابن الهبارية من شعراء نظام الملك غلب على شعره الهجاء والهزل والسخف وسلك في قالب ابن حجاج وفاقه في الخلاعة والمجون.

ومن شعره أيضًا: الكامل وإذا البيادق في الدسوت تفرزنت فالرأي أن يتبيدق الفرزان وإذا النفوس مع الدنو تباعدت فالحزم أن تتباعد الأبدان خذ جملة البلوى ودع تفصيلها ما في البرية كلها إنسان قلت: وابن الهبارية هذا هو صاحب لا الصادح والباغم.

وفيها توفي الحافظ البارع أبو شجاع شيرويه بن شهردار بن شيرويه الديلمي الهمذاني بهمذان.

كان إمامًا حافظًا سمع الكثير ورحل البلاد وحدث وكار من أوعية العلم.

وفيها توفي - في قول الذهبي - الأمير يحيى بن تميم بن المعز بن باديس صاحب بلاد المغرب.

وقد تقدم ذكر أبيه وجده في هذا الكتاب.

كان ملك بعد أبيه تميم في سنة اثنتين وخمسمائة إلى أن مات في هذه السنة رحمه الله.

أمر النيل في هذه السنة: السنة الخامسة عشرة من خلافة الآمر منصور وهي سنة عشر وخمسمائة.

فيها قتل الأمير لؤلؤ الذي كان قتل ابن أستاذه ألب أرسلان.

والصحيح أنه قتل في الآتية.

وفيها حج بالناس أمير الجيوش الجيوشي الحبشي المستظهري العباسي ودخل مكة وعلى رأسه الأعلام وخلفه الكوسات والبوقات والسيوف في ركابه وقصد بذلك إذلال أمير مكة والسودان فوقع له بمكة أمور ولم يقاومه أحد.

وفيها توفي محمد بن علي بن ميمون الحافظ أبو الغنائم بن النرسي الكوفي محدث مشهور ويعرف بأبي لأنه كان جيد القراءة وسمع الحديث الكثير وساق البلاد وختم به علم الحديث بالكوفة.

قال محمد بن ناصر: ما رأيت مثل أبي الغنائم في ثقته وحفظه ما كان أحد يقدر أن يدخل في حديثه ما ليس منه.

وعاش ستًا وثمانين سنة.

وفيها توفي محفوظ بن أحمد بن الحسن أبو الخطاب الكلواذاني الفقيه الحنبلي.

تفقه على القاضي أبي يعلى وسمع الحديث وأفتى ودرس وصنف الهداية وغيرها وشهد عند قاضي القضاة أبي عبد الله الدامغاني الحنفي.

وكان فاضلًا شاعرًا.

وله قصيدة من جنس العقيدة أولها: دع عنك تذكار الخليط المنجد والشوق نحو الآنسات الخرد والنوح في أطلال سعدى إنما تذكار سعدى شغل من لم يسعد وله أيضًا من غير هذه القصيدة: الوافر لئن جار الزمان علي حتى رماني منه في ضنك وضيق فإني قد خبرت له صروفًا عرفت بها عدوي من صديقي ومات وله ثمان وسبعون سنة.

وفيها توفي المسند المعمر أبو بكر عبد الغفار بن محمد الشيروبي مسند نيسابور في ذي الحجة وله ست وتسعون سنة ورحل إليه الناس من الأقطار.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم سبع أذرع وتسع عشرة إصبعًا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا وست أصابع.

السنة السادسة عشرة من خلافة الآمر منصور وهي سنة إحدى عشرة وخمسمائة.

فيها زلزلت بغداد يوم عرفة زلزلة عظيمة ارتجت لها الدنيا فكانت الحيطان تذهب وتجيء ووقع الدور على أهلها فمات تحتها خلق كثير.

ثم كان عقبها موت السلطان محمد شاه السلجوقي ثم موت الخليفة المستظهر العباسي في السنة الآتية وحارب دبيس بن مزيد الخليفة المسترشد بالله وغلت الأسعار حتى بلغ الكر القمح أو الدقيق ثلاثمائة دينار وفقد أصلًا ومات الناس جوعًا وأكلوا الكلاب والسنانير.

ثم جاء سيل عظيم فأخرب سنجار.

قال ذلك صاحب مرآة الزمان.

وفيها نزل آق سنقر البرسقي على حلب وبها يارقتاش الخادم بعد لؤلؤ فحاصرها فلم يظفر منه بطائل وعاد إلى الموصل.

وفيها توفي محمد بن سعيد بن إبراهيم بن نبهان أبو علي الكاتب سبط هلال ابن المحسن الصابئ المقدم ذكره مات في شوال ودفن بداره بالكرخ.

وكان فاضلًا فصيحًا شاعرًا إلا أنه كان شيعيًا رافضيًا.

ومن شعره: السريع لي أجل قدره خالقي نعم ورزق أتوفاه حتى إذا استوفيت منه الذي قدر لي لم أتعداه وفيها توفي السلطان محمد شاه ابن السلطان ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقماق أبو شجاع غياث الدين السلجوقي.

كان ملكًا عادلًا مهيبًا شجاعًا كريمًا.

خرج في السنة الماضية إلى أصبهان فمرض بها مرضًا طال به إلى أن مات في حادي عشر ذي الحجة وعمره سبع وثلاثون سنة ومدة ملكه بعد وفاة أخيه بركياروق اثنتا عشرة سنة.

وخلف خمسة أولاد: مسعودًا ومحمودًا وطغرل وسليمان وسلجوق.

وولي السلطنة من بعده ولده محمود.

وفيها توفي يمن بن عبد الله الخادم أبو الخير الحبشي خادم المستظهر العباسي.

كان مهيبًا جوادًا حسن التدبير ذا رأي وفطنة مات بأصبهان.

وفيها توفي المحدث الفاضل أبو طاهر عبد الرحمن بن أحمد بن عبد القادر بن يوسف راوي سنن الدار قطني.

كان من كبار المحدثين.

وفيها توفي الشيخ الإمام الفقيه الواعظ الحافظ أبو زكرياء يحيى بن عبد الوهاب بن منده بأصبهان.

سمع الكثير ورحل البلاد وبرع في فنون وحدث وروى عنه غير واحد.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم سبع أذرع واثنتا عشرة إصبعًا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا وتسع عشرة إصبعًا.

السنة السابعة عشرة من خلافة الآمر منصور فيها في يوم الجمعة ثالث عشرين المحرم خطب ببغداد لمحمود بن محمد شاه السلجوقي بعد موت أبيه على المنابر.

وفيها توفي الخليفة أمير المؤمنين المستظهر بالله أبو العباس أحمد ابن الخليفة المقتدي بالله أبي القاسم عبد الله ابن الأمير محمد الذخيرة ابن الخليفة القائم بأمر الله أبي جعفر عبد الله ابن الخليفة القادر بالله أحمد ابن الأمير إسحاق ابن الخليفة المقتدر بالله جعفر ابن الخليفة المعتضد بالله أبي العباس أحمد ابن الأمير الموفق طلحة ابن الخليفة المتوكل على الله جعفر ابن الخليفة المعتصم بالله محمد ابن الخليفة الرشيد بالله هارون بن الخليفة المهدي بالله محمد ابن الخليفة أبي جعفر المنصور بن محمد بن علي ابن عبد الله بن عباس العباسي الهاشمي البغدادي.

وأمه أم ولد تركية تسمى الطن.

بويع بالخلافة بعد موت أبيه المقتدي بالله في ثامن عشر المحرم سنة تسع وثمانين وأربعمائة وعمره سبع عشرة سنة وشهران.

وكان ميمون الطلعة حميد الأيام.

قال ابن الأثير: كان لين الجانب كريم الأخلاق يسارع في أعمال البر وكانت أيامه أيام سرور للرعية فكأنها من حسنها أعياد.

وكان حسن الخط جيد التوقيعات لا يقاربه فيها أحد تدل على فضل غزير وعلم واسع.

ومات بعلة التراقي وهي دمل يطلع في الحلق.

ومن شعره: البسيط أذاب حر الهوى في القلب ما جمدا يوم مدت إلى رسم الوداع يدا
وكانت خلافته خمسًا وعشرين سنة وأيامًا.

ولم تصف له الخلافة بل كانت أيامه مضطربة كثيرة الحروب.

وتولى الخلافة من بعده ابنه المسترشد.

وفيها خرجت والدة السلطان محمود بن محمد شاه من أصبهان إلى السلطان سنجر شاه فلقيها ببلخ فأكرمها.

فقالت له: أدرك ابن أخيك وإلا تلف فإن الأموال قد تمزقت والبلاد قد أشرفت على الأخذ وهو صبي وحوله من يلعب بالملك.

فقال لها: سمعًا وطاعة.

وكان وزير محمود ومدبر مملكته أبو القاسم وكان سيئ التدبير ظالمًا وكان يخاف من مجيء سنجر شاه المذكور إلى البلادة فأنفق ما في خزائن محمد شاه في أربعة أشهر وباع الجواهر والأثاث وأنفقه في العساكر فلم يفده ذلك على ما سيأتي ذكره.

وفيها توفي بكر بن محمد بن علي بن الفضل بن الحسن بن أحمد بن إبراهيم الإمام الفقيه الحافظ المحدث أبو الفضل الأنصاري الزرنجري - وزرنجر: قرية على خمسة فراسخ من بخارى - سمع الحديث الكثير من جماعة كثيرة وتفرد بالرواية عن جماعة منهم لم يحدث عنهم غيره.

وكان بارعًا في الفقه يضرب به المثل ويقولون: هو أبو حنيفة الصغير.

وكان إذا طلب منه أحد من المتفقهة الدرس ألقى عليه من أي موضع أراد من غير مطالعة ولا نظر في كتاب وكان إذا أشكل على الفقهاء شيء رجعوا إلى قوله ونقله.

وفيها توفي الحسين بن محمد بن علي بن الحسن الإمام العلامة أبو طالب الزينبي الحنفي فريد عصره.

ولد سنة عشرين وأربعمائة وقرأ القرآن وسمع الحديث وبرع في الفقه وأفتى ودرس.

انتهت إليه رياسة السادة الحنفية في زمانه ببغداد ولقب بنور الهدى.

وترسل إلى ملوك الأطراف من قبل الخليفة وولي نقابة الطالبيين والعباسيين.

وكان شريف النفس والحسب كثير العلم جليل القدر.

ومات يوم الاثنين حادي عشر صفر وصلى عليه ابنه القاسم وحمل إلى قبة أبي حنيفة فدفن داخل القبة وله اثنتان وتسعون سنة.

وكان سمع من غيلان وغيره وانفرد ببغداد بروايته صحيح البخاري عن كريمة بنت أحمد.

وفيها توفي محمد بن عتيق بن محمد التميمي القيرواني.

قدم الشام مجتازًا إلى العراق.

وكان يقرئ علم الكلام بالنظامية وكان يحفظ كتاب سيبويه.

وسمع يومًا قائلًا ينشد أبيات أبي العلاء المعري: الطويل ضحكنا وكان الضحك منا سفاهة وحق لسكان البسيطة أن يبكوا وتحطمنا الأيام حتى كأننا زجاج ولكن لا يعاد لنا سبك فقال مجيبا: الطويل كذبت وبيت الله حلفة صادق سيسبكنا بعد النوى من له الملك وفيها توفي أبو الفضل بن الخازن الشاعر المشهور.

كان دينًا فاضلًا شاعرًا.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم سبع أذرع سواء.

مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعًا وأربع أصابع.

السنة الثامنة عشرة من خلافة الآمر منصور وهي سنة ثلاث عشرة وخمسمائة.

فيها قدم السلطان سنجر شاه السلجوقي الري وملكها واصطلح مع ابن أخيه محمود بن محمد شاه بعد حروب وزوجه ابنته وأقره على ملكه.

وفيها وقعت المباينة بين الآمر خليفة مصر أعني صاحب الترجمة وبين مدبر مملكته الأفضل ابن أمير الجيوش واحتجب الآمر عنه وتعلل بمرض.

واجتهد الأفضل أن يغتاله بالسم فلم يقدر ودس إليه السم مرارًا فلم يصل إليه.

وكان للآمر قهرمانة كاتبة فاضلة تعرف أنواع العلوم: الطب والنجوم والموسيقى حتى كانت تعمل التحويلات وتحكم على الحوادث فاحترزت على الآمرة ولم تزل تدبر على الأفضل ابن أمير الجيوش حتى قتل حسب ما يأتي ذكره.

قال ابن القلانسي: وفيها ظهرت صور الأنبياء عليهم السلام: الخليل وولديه إسحاق ويعقوب صلوات الله عليهم وهم مجتمعون في مغارة بأرض بيت المقدس وكأنهم أحياء لم يبل لهم جسد ولا رم لهم عظم وعليهم قناديل من ذهب وفضة معلقة فسدوا باب المغارة وأبقوا على حالهم.

وفيها توفي علي بن محمد بن علي بن محمد بن الحسن بن عبد الملك بن حمويه قاضي القضاة أبو الحسن الدامغاني الحنفي.

ولد في رجب سنة تسع وأربعين وأربعمائة وقلد القضاء وهو ابن ست عشرة سنة بعد موت أبيه وولي القضاء لأربعة خلفاء.

وهذا لم يقع لغيره إلا للقاضي شريح.

وأما القاضي أبو طاهر محمد بن أحمد الكوفي فذاك ولي لخمسة خلفاء.

قلت: الشيء بالشيء يذكر وهذا قاضي قضاة زماننا جلال الدين عبد الرحمن بن عمر البلقيني ولي القضاء لستة سلاطين: الناصر فرج والمنصور عبد العزيز ابني الظاهر برقوق والخليفة المستعين بالله العباسي والمؤيد شيخ وابنه المظفر أحمد والظاهر ططر.

ووقع مثل هذا كثير في آخر الزمان والمقصود غير ذلك.

وكان الدامغاني إمامًا عالمًا عفيفًا دينًا معظمًا عند الخلفاء والملوك.

وناب عن الوزارة وانفرد بأخذ البيعة للخليفة المسترشد.

وكان ذا مروءة وصدقات وإحسان ومعرفة بصناعتي القضاء والشروط.

ومات ليلة رابع عشر المحرم ودفن في مشهد أبي حنيفة - رضي الله عنه - وعاش ثلاثًا وستين سنة وأشهرًا.

ولي القضاء منها تسعًا وعشرين سنة وخمسة أيام.

وسمع الحديث من القاضي أبي يعلى الفراء والخطيب وغيرهما وكان صدوقًا ثقة.

وفيها توفي الإمام العلامة أبو الوفاء علي بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي الحنبلي شيخ الحنابلة في عصره.

كان إمامًا عالمًا صالحًا مفتنًا ومات ببغداد وله اثنتان وثمانون سنة.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ست أذرع واثنتان وعشرون إصبعًا.

مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعًا وسبع أصابع.

السنة التاسعة عشرة من خلافة الآمر منصور وهي سنة أربع عشرة وخمسمائة.

فيها خطب ببغداد لسنجر شاه السلجوقي ولابن أخيه محمود بن محمد شاه جميعًا في المحرم ولقب سنجر شاه بالسلطان عضد الدولة ومحمود بجلال الدولة.

وفيها توفي الحسين بن علي بن محمد الإمام العلامة مؤيد الدين الطغرائي الكاتب وزير السلطان محمود بن محمد شاه السلجوقي المقدم ذكره والطغرائي هذا جد محمد بن الحسين وزير الظاهر غازي ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب.

وكان السلطان محمود نسب خروج أخيه مسعود عليه إلى الطغرائي فقتله.

وقال الذهبي: وزير السلطان مسعود قتل في المصاف بين مسعود وأخيه محمود.

وكان أفصح الفصحاء وأفضل الفضلاء وأمثل العلماء وهو صاحب لامية العجم وديوانه مشهور بأيدي الناس.

ومن شعره يمدح الوزير نظام الملك على قافيتين: مجزوء الكامل يا أيها المولى الذي اص - - طنع الورى شرقًا وغربا والقصيدة كلها على هذا المنوال.

ومن شعره أيضًا: السريع قوموا إلى لذاتكم يا نيام ونبهوا العود وصفوا المدام هذا هلال الفطر قد جاءنا بمنجل يحصد شهر الصيام وفيها توفي الحافظ أبو منصور محمود بن إسماعيل الأشقر الأصبهاني عالم أصبهان ومحدثها مات في ذي القعدة.

وفيها توفي الشيخ الإمام المقرئ أبو الحسن عبد العزيز بن عبد الملك بن شفيع الأندلسي المري المقرئ المجود.

كان رأسًا في علوم القرآن وأفاد وأقرأ سنين.

وفيها توفي الشيخ أبو الحسن علي بن الحسن بن الموازيني العالم المحدث المشهور.

الماء القديم تسع أذرع واثنتا عشرة إصبعًا.

مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعًا لإصبع واحدة.

السنة العشرون من خلافة الآمر منصور وهي سنة خمس عشرة وخمسمائة.

فيها كتب الخليفة المسترشد بالله العباسي والسلطان محمود بن محمد شاه السلجوقي إلى إيلغازي يأمرانه بإبعاد دبيس بن صدقة وفسخ الكتاب الذي عقده له على ابنته.

وفيها توفي عبد الرزاق بن عبد الله بن علي بن إسحاق الطوسي ابن أخي نظام الملك.

كان فاضلًا تفقه على أبي المعالي الجويني وأفتى وناظر ووزر للسلطان سنجر شاه السلجوقي.

ومات بنيسابور.

وفها توفي محمد بن محمد بن عبد العزيز أبو علي بن المهتدي الخطيب.

كان فاضلًا شهد عند القاضي أبي عبد الله الدامغاني الحنفي وكان ظريفًا صالحًا دينًا.

ومات في شوال ودفن بباب حرب من بغداد.

وفيها قتل الأفضل شاهنشاه أمير الجيوش أبو القاسم بن أمير الجيوش بدر الجمالي الأرمني وزير مصر ومدبر ممالكها.

ولي مملكة مصر بعد موت أبيه بدر الجمالي في أيام المستعلي إلى أن مات المستعلي فأقام الأفضل هذا ولده مكانه في الخلافة ولقبه بالآمر أعني صاحب الترجمة ودبر لدولته وحجر عليه.

وكان الخليفة المستنصر جد الآمر هذا وولده المستعلي والد الآمر كلاهما أيضًا تحت حجر بدر الجمالي والد الأفضل هذا.

فلما ملك الأفضل سار على سيرة أبيه مع الخلفاء من الحجر والتضييق عليهم.

وزاد الأفضل هذا في حق الآمر صاحب الترجمة حتى إنه منعه من شهواته وأراد قتله بالسم.

فحمله ذلك على قتله واتفق الآمر مع جماعة وكان الأفضل يسكن بمصر فلما ركب في غير موكب وثبوا عليه وقتلوه في سلخ شهر رمضان بعد أمور وقعت.

وخفف الأفضل من الأموال والنقود والقماش والمواشي ما يستحيا من ذكره كثرة.

وقد ذكرنا ذلك في كتاب الوزراء وهو محل الإطناب في الوزراء وليس لذكره هنا محل.

والمقصود في هذا الكتاب تراجم ملوك مصر لا غير وما عدا ذلك يكون على سبيل الاستطراد.

قال ابن الأثير: كانت ولايته يعني الأفضل ثمانيًا وعشرين سنة وكان حسن السيرة عادلًا.

ثم أخذ في تعداد أمواله.

وفيها توفي الإمام الحافظ المحدث أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي المعروف بابن الفراء.

كان إمامًا حافظًا رحل إلى البلاد وسمع الكثير وحدث وألف وصنف.

وكان يقال له محيي السنة.

ومات في شوال.

وفيها توفي الحافظ أبو محمد عبد الله بن أحمد بن عمر السمرقندي الإمام الحافظ المشهور.

سمع الكثير وروى عنه غير واحد وكان صدوقًا ثقة دينًا.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم سبع أذرع وأربع أصابع.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا وعشر أصابع وقيل: خمس أصابع.

السنة الحادية والعشرون من خلافة الآمر منصور وهي سنة ست عشرة وخمسمائة.

فيها كانت وقعة عظيمة بين الأمير إيلغازي بن أرتق صاحب ماردين وبين الكفار على تفليس فعاد مريضًا فمات بعد أيام.

ذكر وفاته - هو نجم الدين إيلغازي بن أرتق صاحب ماردين وديار بكر وحلب وهو ثالث من ظهر أمره من ملوك بني أرتق الأعيان.

وكان ملكًا شجاعًا جوادًا له غزوات ومواقف مشهورة مع الفرنج.

وكانت وفاته في هذه السنة عند عوده من تفليس بميافارقين في شهر رمضان.

وذكر الذهبي وفاته في الخالية والأصح ما قلناه فإنه عاد إلى ميافارقين مريضًا فنزل بظاهرها ومعه زوجته الخاتون بنت الأمير ظهير الدين طغتكين صاحب دمشق فمات يوم الخميس سابع عشر شهر رمضان في قرية تعرف بالفحول فحمل تابوته إلى ميافارقين.

وكان عنده ابنه شمس الدولة سليمان فاستولى على ميافارقين واستولى ابنه الآخر حسام الدين تمرتاش على ماردين.

وفيها توفي عبد الله بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن سليمان أبو محمد والد أبي اليسر شاكر التنوخي المعري.

ولد بالمعرة وقرأ الأدب وقال الشعر.

ومن شعره: الكامل يا من تنكب قوسه وسهامه وله من اللحظ السقيم سيوف يغنيك عن حمل السلاح إلى العدا أجفانك المرضى وهن حتوف وفيها توفي عبد الله بن يحيى بن البهلول الأندلسي.

كان أصله من مدينة سرقسطة من الغرب وكان فاضلًا أديبًا شاعرًا.

ومن شعره قوله: الطويل ولست بمن يبغي على الشعر رشوة أبى ذاك لي جد كريم ووالد وإني من قوم قديمًا ومحدثًا تباع عليهم بالألوف القصائد وفيها توفي الحسين بن مسعود بن محمد الشيخ الإمام العلامة أبو محمد البغوي الشافعي المعروف بابن الفراء الفقيه المحدث المفسر.

وقد تقدم ذكر وفاته في الماضية.

والصحيح أنه مات في هذه السنة.

وهو مصنف شرح السنة ومعالم التنزيل والمصابيح وكتاب التهذيب في الفقه والجمع بين الصحيحين.

وكان أبوه يعمل الفراء ويبيعها.

ومات بمرو الروذ في شوال.

وفيها توفي عبد الرحمن بن أبي بكر عتيق بن خلف أبو القاسم الصقلي المقرئ المجود المعروف بابن الفخام مصنف التجريد في القراءات السبع.

كان من كبار شيوخ القراء سكن الإسكندرية وقصده الناس من النواحي لعلو إسناده وإتقانه.

وفيها توفي القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الشيخ العلامة الأديب اللغوي النحوي أبو محمد البصري الحراي الحريري مصنف المقامات.

كان يسكن بني حرام أحد محال البصرة مما يلي الشط.

مولده ومرباه بقرية المشان من أعمال البصرة في حدود سنة ست وأربعين وأربعمائة وكان أحد أئمة عصره في الأدب والبلاغة والفصاحة وله مصنفات كثيرة منها كتاب المقامات الذي لا نظير له في معناه وقد سلك فيه منوال بديع الزمان صاحب المقامات الذي عملها قبل الحريري وقد تقدم ذكره في هذا الكتاب في محله.

وفي مقامات الحريري هذا يقول إمام الدنيا محمود الزمخشري: السريع أقسم بالله وآياته ومعشر الحج وميقاته إن الحريري حري بأن نكتب بالتبر مقاماته لا تخطون إلى خطء ولا خطأ من بعدما الشيب في فوديك قد وخطا وأي عذر لمن شابت ذوائبه إذا سعى في ميادين الصبا وخطا وقد أرخ الذهبي وفاته في السنة الماضية.

والله أعلم.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ست أذرع وست وعشرون إصبعًا.

مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعًا وثلاث أصابع.

السنة الثانية والعشرون من خلافة الآمر منصور وهي سنة سبع عشرة وخمسمائة.

فيها قبض السلطان محمود السلجوقي على وزيره عثمان بن نظام الملك وبعث الخليفة بعزل أخيه أحمد عن وزارته.

فبلغ أحمد فانقطع عن الديوان.

وفيها سار الأمير نور الدولة بلك ابن بهرام بن أرتق إلى غزو مدينة الرهاء في شهر رجب.

وفيها توفي الأمير الحاجب فيروز شحنة دمشق.

وكان أميرًا صالحًا دينًا وله آثار جميلة بدمشق وغيرها.

وفيها توفي أحمد بن محمد بن علي أبو عبد الله بن الخياط التغلبي الدمشقي الكاتب الشاعر المجيد طاف البلاد ومدح الأكابر والملوك قيل: إنه دخل حلب في حداثة سنه فقصد دار أبي الفتيان بن حيوس الشاعر وقد أسن قال: فدخلت عليه فقال: من أين أنت فقلت: من دمشق.

فقال: ما صناعتك قلت: الشعر.

قال: فأنشدني من شعرك.

فأنشدته قولي: الكامل لم يبق عندي ما يباع بحبة وكفاك شاهد منظري عن مخبري إلا صبابة ماء وجه صنتها من أن تباع وأين أين المشتري قال: نعيت إلي نفسي.

قلت: ولم قال: لأن الشام لا تخلو من شاعر مجيد ولا يجتمع فيها شاعران وأنت موازني في هذه الصناعة.

ثم أعطاني دنانير وكسوة.

ومن شعره أيضًا قوله في جواب كتاب: البسيط وافى كتابك أسنى ما يعود به وفد المسرة مني إذ يوافيني فظلت أطويه من شوق وأنشره والشوق ينشرني فيه ويطويني وفيها قتل الوزير عثمان بن نظام الملك.

كان استوزره السلطان محمود بن محمد شاه السلجوقي فبعث عمه سنجر شاه السلجوقي يطلبه.

فقال أبو نصر المستوفي: متى بعثت به حيًا إلى عمك سنجر شاه لم تأمنه اقتله وابعث إليه برأسه.

فبعث عنبرًا الخادم إليه ليقتله.

فعرف عثمان وقال: أمهلني حتى أصلي ركعتين فقام وصلى وقال لعنبر: أرني سيفك ما أراه إياه سيفي أمضى منه فلا تقتلني إلا به وناوله إياه فقتله به.

فلما كان بعد قليل بعث السلطان محمود إلى أبي نصر المستوفي من فعل به كذلك وذبحه ذبح الشاة.

قلت: الجزاء من جنس العمل.

وفيها توفي عبد المنعم بن حفاظ بن أحمد بن خلف المحدث أبو البركات الأنصاري الدمشقي ويعرف بابن البقلي.

كان جوادًا فاضلًا سمع الكثيرة واستوزره خير خان بن قراجا صاحب حمص ثم بلغه أنه كاتب طغتكين صاحب دمشق فقبض عليه وكحله فرجع إلى دمشق أعمى فأقام بها حتى مات.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ثماني أذرع وعشر أصابع.

مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعًا وعشر أصابع.

السنة الثالثة والعشرون من خلافة الآمر منصور وهي سنة ثماني عشرة وخمسمائة.

فيها عزم دبيس على قصد بغداد وكان دبيس قد ألتجأ إلى طغرل بن محمد شاه السلجوقي.

فتأهب الخليفة المسترشد بالله للقائهما وجمع الجيوش من كل جانب ثم ترك دبيس المجيء في هذه السنة لأمر ما.

وفيها كاتب أهل حلب آق سنقر صاحب الموصل: فسار إلى حلب فسلمها إليه أهلها وهرب منها الأمير سكمان بن أرتق فساق آق سنقر البرسقي خلفه فلحقه بمنبج فقتله.

وفيها استولت الفرنج على صور بالأمان بعد أمور وحروب ذكرناها في أول ترجمة الآمر هذا.

وفيها توفي عبد الله بن محمد بن علي بن محمد القاضي أبو جعفر الدامغاني الحنفي شهد عند أبيه ثم ولي قضاء الكرخ من قبل أخيه ثم ترك ذلك ورمى الطيلسان وولي حجبة باب النوبي للخليفة وعظم على أخيه.

وكان فاضلًا كريم الأخلاق حسن العشرة خليقًا بالرياسة.

وفيها توفي محمد بن نصر بن منصور أبو سعد القاضي الهروي.

كان في بداءة أمره فقيرًا حتى اتصل بالخليفة وصار سفيرًا بينه وبين الملوك.

واستشهد هو وولده بهمذان وكانت له اليد الباسطة في النظم والنثر.

ومن شعره: الوافر أودعكم وأودعكم جناني وأنثر دمعتي نثر الجمان وإني لا أريد لكم فراقًا ولكن هكذا حكم الزمان وفيها توفي الفقيه أبو الفتح سلطان بن إبراهيم المقدسي الشافعي بمصر قاله الذهبي.

كان فقيهًا أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم سبع أذرع وأربع وعشرون إصبعًا.

مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعًا وأربع عشرة إصبعًا.

السنة الرابعة والعشرون من خلافة الآمر منصور

وهي سنة تسع عشرة وخمسمائة.

فيها جسر دبيس بن صدقة طغرل بن محمد شاه السلجوقي على قصد بغداد وأن يطلب السلطنة لنفسه فسارة واستعد له الخليفة المسترشد ووقع له معهما حروب آلت إلى أن دبيسًا توجه بعد هزيمته إلى سنجر شاه السلجوقي مستجيرًا به فأجاره ثم قبض عليه.

وفيها قبض الآمر صاحب الترجمة على وزيره المأمون أبي عبد الله بن البطائحي وعلى أخيه أحمد المؤتمن واستولى على أموالهما وذخائرهما ثم قتلهما وكانا قد دبرا في القبض عليه.

والمأمون هذا هو باني جامع الأقمر بالقاهرة.

وكان الأمر استوزره بعد قتل الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش.

وفيها توفي أحمد بن محمد بن الفضل أبو الفضل الكاتب الأديب الفاضل الشاعر المشهور وفيها قتل الأمير آق سنقر البرسقي صاحب الموصل.

كان أميرًا شجاعًا جوادًا عادلًا في الرعية وكان الخلفاء والملوك يحترمونه وكان قد احترز من الباطنية بالرجال والسلاح والجاندارية.

فدخل يوم الجمعة لجامع الموصل فجاء إلى المقصورة وفيها جماعة من الصوفية لهم عادة يصفون فيها فاستراب بهم ودخل في الصلاة وتأخر عنه أصحابه فوثب عليه ثلاثة في زي الصوفية فضربوه بالسكاكين فلم تعمل في جسده للدرع الذي كان عليه فصاحوا: رأسه وجهه فضربوه حتى قتلوه وقتل الثلاثة.

وحزن الناس عليه وأقاموا ابنه مسعودًا مقامه.

وفيها توفي الأمير سليمان بن إيلغازي بن أرتق صاحب ميافارقين.

كان عادلًا شجاعًا جوادًا مات في شهر رمضان ودفن عند أبيه.

وجاء أخوه تمرتاش من ماردين فملك ميافارقين وأحسن إلى أهلها.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم تسع أذرع وثلاث أصابع.

مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعًا وأربع عشرة إصبعًا.

السنة الخامسة والعشرون من خلافة الآمر منصور وهي سنة عشرين وخمسمائة.

فيها توفي أحمد بن محمد بن محمد الشيخ أبو الفتوح الغزالي الطوسي أخو أبي حامد الغزالي المقدم ذكره.

كان متصوفًا متزهدًا في أول عمره ثم وعظ وكان مفوهًا.

قال ابن الجوزي: ولما وعظ قبله العوام.

وجلس في دار السلطان محمود فأعطاه ألف دينار فلفا خرج وفرس الوزير في الدهليز بمركب ذهب وقلائد وطوق ذهب فركبه ومضى.

وبلغ الوزير فقال: لا يتبعه أحد ولا يعاد الفرس.

وفيها توفي عبد الله بن القاسم بن المظفر بن علي القاضي أبو محمد المرتضى الشهرزوري والد قاضي القضاة كمال الدين.

كان أحد الفضلاء الشهرزوريين والعلماء المذكورين وكان له النظم والنثر.

ومن شعره: الطويل وبانوا فكم دمع من الأسر أطلقوا نجيعًا وكم قلب أعادوا إلى الأسر فلا تنكروا خلعي عذاري تأسفًا عليهم فقد أوضحت عندكم عذري وفيها توفي محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان بن أيوب الشيخ الإمام الفقيه الصوفي المالكي أبو بكر الطرطوشني الأندلسي العالم المشهور نزيل الإسكندرية - وطرطوشة آخر بلاد المسلمين من الأندلس وقد عادت الآن للفرنج - وكان يعرف بابن أبي رندقة.

حج ودخل العراق وسمع الكثير وكان عالمًا زاهدًا ورعًا دينًا متواضعًا متقشفًا متقللًا من الدنيا راضيًا باليسير.

وقال ابن خلكان: إنه دخل على الأفضل بن أمير الجيوش بمصر فبسط تحته مئزره وكان إلى جانب الأفضل نصراني فوعظ الأفضل حتى أبكاه ثم أنشد: السريع يا ذا الذي طاعته قربة وحقه مفترض واجب إن الذي شرفت من أجله يزعم هذا أنه كاذب وأشار إلى النصراني.

فأقام الأفضل النصراني من موضعه وأبعده.

وقد صنف الشيخ أبو بكر كتاب أسراج الملوك للمأمون الذي ولي وزارة مصر بعد الأفضل وقد تقدم ذكره في الماضية وله تصانيف أخرى وفضله مشهور لا يحتاج إلى بيان.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ثماني أذرع وثلاث أصابع.

مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعًا وإصبع واحدة.

السنة السادسة والعشرون من خلافة الآمر منصور وهي سنة إحدى وعشرين وخمسمائة.

فيها قتل الباطنية وزير السلطان سنجر شاه السلجوقي.

وكان قد أفنى منهم اثني عشر ألفًا.

فبعثوا إليه سائسًا يخدم في إصطبله مئة إلى أن وجد الفرصة فدخل الوزير يومًا يفتقد خيله وفيها قتل الأمير مسعود بن آق سنقر البرسقي بالرحبة وكان عزمه أخذ دمشق فعوجل.

وكان ولي بعد موت أبيه آق سنقر في الخالية فلم تطل مدته.

وفيها توفي أحمد بن أحمد بن عبد الواحد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن المتوكل على الله الإمام المحدث أبو السعادات.

سمع الحديث الكثير ورحل البلاد.

مات مترديًا من سطحه في شهر رمضان ببغداد.

وكان صحيح السماع ثقة.

وفيها توفي هبة الله بن علي بن إبراهيم أبو المعالي الشيرازي.

كان من أعيان الفضلاء وله شعر جيد.

وفيها توفي العبد الصالح الزاهد أبو الحسن علي بن المبارك بن الفاعوس زاهد بغداد.

كان كبير القدر أحد أعيان الصوفية وله أحوال وكرامات.

مات ببغداد وكان له مشهد عظيم.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ثماني أذرع وسبع عشرة إصبعًا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا وأصابع لم تحرر.

السنة السابعة والعشرون من خلافة الآمر منصور وهي سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة.

فيها توفي الحسن بن علي بن صدقة الوزير أبو علي جلال الدين وزير الخليفة المسترشد بالله العباسي.

كان فاضلا دينًا رئيسًا عاقلا حسن السيرة محمود الطريقة محبوبًا للخاصة والعامة جوادًا ممدحًا مات ببغداد وحزن عليه الخليفة.

وتطاول بعد موته للوزارة جماعة منهم عز الدولة بن المطلب وابن الأنباري وأحمد ابن نظام الملك وغيرهم فلم يستوزر الخليفة أحدًا منهم واستناب نقيب النقباء علي بن طراد الزينبي الحنفي.

وفيها توفي الحسين بن علي بن أبي القاسم الفقيه العلامة أبو علي اللامشي السمرقندي الحنفي.

كان إمامًا مفتنًا يضرب به المثل في النظر وسمع الحديث ورواه وكان صالحًا دينًا على طريق السلف مطرحًا للكلفة.

ومات بسمرقند.

وفيها توفي الأمير ظهير الدين أبو المنصور طغتكين بن عبد الله الأتابك صاحب الشام مملوك تاج الدولة تتش بن ألب أرسلان السلجوقي.

كان طغتكين مقدمًا عند أستاذه تتش المذكور وزوجه أم ابنه دقماق ونصق عليه في أتابكية ابنه دقماق المذكور.

فقام بتدبير ملكه أحسن قيام وغزا الفرنج غير مرة وله في الجهاد اليد البيضاء.

وقد ذكرنا بعض وقائعه في أزل ترجمة الآمر هذا مع الفرنج على سبيل الاختصار نعرف من ذلك همته وشجاعته.

وكان عادلا في الرعية.

ولما احتضر أوصى بالملك إلى ولده تاج الملوك بوري فسار في الناس أيضًا أحسن وفيها توفي عبد الله بن طاهر بن محمد بن كاكو أبو محمد الواعظ.

ولد بصور ونشأ بالشام.

قال أنشدني أبو إسحاق الشيرازي لنفسه: البسيط لما أتاني كتاب منك مبتسمًا عن كل معنى ولفظ غير محدود حكت معانيه في أثناء أسطره أفعالك البيض في أحوالي السود أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم سبع أذرع وثماني أصابع.

مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعًا وثلاث عشرة إصبعًا.

السنة الثامنة والعشرون من خلافة الآمر منصور وهي سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة.

فيها ضمن زنكي بن آق سنقر للسلطان مائة ألف دينار على ألا يعزله عن الموصل وضمن الخليفة للسلطان أيضًا مثل ذلك ولا يولى دبيسًا ولاية - وكان الخليفة يكره دبيسًا - فقبل السلطان ذلك.

وفيها توفي طاهر بن سعد الصاحب الوزير أبو علي المزدقاني.

كان شجاعًا جوادًا بنى المسجد على الشرف شمالي دمشق ويسمى مسجد الوزير وكان قد عاداه وجيه الدولة بن الصوفي فانتمى إلى الإسماعيلية خوفًا منه فقتل هناك.

وفيها توفي هبة الله بن أحمد بن محمد الحافظ المحدث أبو محمد الأنصاري المعروف بابن الأكفاني.

سمع الكثير ولقي الشيوخ وسمع جده لأمه أبا الحسن بن صصري وغيره.

وفيها توفي الحافظ أبو الفضل جعفر بن عبد الواحد الثقفي الفقيه العالم المشهور مات وله تسع وثمانون سنة.

وفيها توفي أبو الحسن عبيد الله بن محمد ابن الإمام أبي بكر البيهقي ببغداد في جمادى الأولى وكان فاضلا فقيهًا سمع الحديث.

وفيها توفي الفقيه المحدث أبو الحجاج يوسف بن عبد العزيز الميورقي الأصل ثم الإسكندري وبها توفي.

كان إمامًا فقيهًا عالمًا بارعًا مفتنًا في كثير من العلوم.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم سبع أذرع وست وعشرون إصبعًا.

مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعًا وخمس أصابع.

السنة التاسعة والعشرون من خلافة الآمر منصور وهي السنة التي قتل فيها الآمر صاحب الترجمة حسب ما ذكرناه مفصلا في ترجمته أولا.

وفيها أعني سنة أربع وعشرين استوزر بوري بن طغتكين صاحب دمشق المفرج بن الصوفي.

وفيها وصل زنكي بن آق سنقر إلى حلب من الموصل وقد أظهر أنه على عزم الجهاد وراسل بوري يلتمس منه المعونة على محاربة الفرنج.

فأرسل إليه بوري من استحلفه الإيمان المغلظة واستوثق منه لنفسه ولصاحب حمص وحماة.

وفيها ظهرت بالعراق عقارب طيارة لها أجنحة وهي ذات شوكتين فقتلت من الأطفال خلقًا كثيرًا.

قاله صاحب مرآة الزمان والعهدة عليه فيما نقلناه عنه.

وفيها توفي إبراهيم بن عثمان بن محمد أبو إسحاق العري الكلبي الشاعر.

مولده بغزة.

كان أحد فضلاء الدهر رحل إلى البلاد وامتدح جماعة من الرؤساء.

ومن شعره وأجاد إلى الغاية: الكامل قالوا هجرت الشعر قلت ضرورة باب البواعث والدواعي مغلق خلت البلاد فلا كريم يرتجى منه النوال ولا مليح يعشق ومن العجائب أنه لا يشترى ويخان فيه مع الكساد ويسرق وفيها توفي الحسين بن محمد بن عبد الوهاب الإمام البارع أبو عبد الله النحوي وهو أخو أبي الكرم بن فاخر النحوي لأمه.

قرأ بالروايات وسمع الحديث الكثير واشتغل باللغة والأدب وقال الشعر الرائق.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم سبع أذرع وأربع أصابع.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا وأربع أصابع.

خلافة الحافظ لدين الله على مصر الحافظ لدين الله أبو الميمون عبد المجيد ابن الأمير أبي القاسم محمد ابن الخليفة المستنصر بالله معد ابن الظاهر بالله علي ابن الحاكم بأمر الله منصور ابن العزيز بالله نزار ابن المعز لدين الله معد ابن المنصور إسماعيل ابن القائم محمد ابن المهدي عبيد الله العبيدي الفاطمي المصري الثامن من خلفاء مصر من بني عبيد والحادي عشر منهم ممن ولي من آبائه بالمغرب وهم ثلاثة: المهدي والقائم والمنصور.

وأول من ولي من آبائه بالقاهرة المعز لدين الله فلهذا قلنا: هو الثامن من خلفاء مصر والحادي عشر منهم ممن ولي بالمغرب.

وولي الحافظ الخلافة بمصر بعد قتل ابن عمه الآمر أبي علي منصور على ما يأتي بيانه من أقوال كثيرة.

ولم يكن من خلفاء مصر من أبوه غير خليفة سواه والعاضد الآتي ذكره.

ولقبوه الحافظ لدين الله ووزر له أبو علي أحمد بن الأفضل ولقب أمير الجيوش فأحسن إلى الناس وعاملهم بالخير وأعاد لهم مصادراتهم.

وكان قبل ولاية الحافظ هذا اضطرب أمر الديار المصرية لأن الآمر قتل ولم يخلف ولدًا ذكرًا وترك امرأة حاملا فماج أهل مصر وقالوا: لا يموت أحد من أهل هذا البيت إلا ويخلف ولدًا ذكرًا منصوصًا عليه الإمامة.

وكان الآمر قد نص على الحمل قبل موته فوضعت الحامل بنتًا فعدلوا إلى الحافظ هذا وانقطع النسل من الآمر وأولاده.

وهذا مذهب طائفة من الشيعة المصريين فإن الإمامة عندهم من المستنصر إلى نزار الذي قتل بعد واقعة الإسكندرية.

وقال صاحب مرآة الزمان: ولما استمر الحافظ في خلافة مصر ضعف أمره مع وزيره أبي علي أحمد بن الأفضل أمير الجيوش وقوي شوكة الوزير المذكور وخطب للمنتظر المهدي وأسقط من الأذان حي على خير العمل ودعا الوزير المذكور لنفسه على المنابر بناصر إمام الحق هادي العصاة إلى اتباع الحق مولى الأمم ومالك فضيلتي السيف والقلم.

فلم يزل كذلك حتى قتل الوزير المذكور على ما يأتي ذكره.

وقال ابن خلكان: وهذا الحافظ كان كثير المرض بعلة القولنج فعمل له شيرماه الديلمي وقيل موسى النصراني طبل القولنج الذي كان في خزائنهم.

ولما ملك السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب مصر كسر في أيامه وقصته مشهورة.

وأخبرني حفيد شيرماه المذكور أن جده ركب هذا الطبل من المعادن السبعة والكواكب السبعة في إشرافها وكل واحد منها في وقته.

وكان من خاصته إذا ضربه أحد خرج الريح من مخرجه.

ولهذه الخاصية كان ينفع من القولنج.

انتهى كلام ابن خلكان.

قلت: ونذكر سبب كسر هذا الطبل في ترجمة السلطان صلاح الدين عند استقلاله بمملكة مصر.

ولما عظم أمر الحافظ بعد قتل الوزير المقدم ذكره جدد له ألقاب لم يسبق إليها وخطب له بها على المنابرة وكان الخطيب يقول: أصلح من شيدت به الذين بعد دثوره وأعززت به الإسلام بأن جعلته سببًا لظهوره مولانا وسيدنا إمام العصر والزمان أبا الميمون عبد المجيد الحافظ لدين الله صفى الله عليه وسلم وعلى آبائه الطاهرين حجج الله على العالمين.

ولما قتل الوزير أبو علي أحمد المذكور - على ما يأتي ذكره - وزر للحافظ جماعة فأساؤوا التدبير منهم أبو الفتح يانس أمير الجيوش ومات فوزر له ابنه الحسن ثم وزر له بهرام ثم تولى الحافظ الأمر بنفسه إلى أن مات.

وكان أمره مع الوزير أبي علي أحمد بن الأفضل أنه لما قتل الخليفة الآمر كان الحافظ هذا محبوسًا فأخرجوه وأشغلوا الوقت به إلى أن يولد حمل الآمر فإن كان صبيًا يلي الخلافة ويخلع الحافظ.

وتولى أحمد المذكور الوزارة وجعلوا الأمور إليه وليس للحافظ إلا مجرد الاسم في الخلافة.

وكان الوزير المذكور شهمًا شجاعًا عالي الهمة كأبيه الأفضل وجده بدر الجمالي السابق ذكرهما فاستولى على الديار المصرية.

وولدت الحامل بنتًا فاستمر الحافظ في الخلافة تحت الحجر وصار الأمر كله للوزير فضيق على الحافظ وحجر عليه ومنعه من الظهور وأودعه في خزانة لا يدخل إليه أحد إلا بأمر الأكمل أعني الوزير المذكور فإنه كان لقب بالأكمل في أيام وزارته.

وطلع الوزير إلى القصر وأخذ جميع ما فيه وقال: هذا كله مال أبي وجدي ثم أهمل خلفاء بني عبيد والدعاء لهم فإنه كان سنيًا كأبيه وأظهر التمسك بالإمام المنتظر في آخر الزمان فجعل الدعاء في الخطبة له وغير قواعد الرافضة.

فأبغضه الأمراء والدعاة لأن غالبهم كان رافضيًا بل الجميع.

ثم أمر الوزير الخطباء بأن يدعوا له بألقاب اختصها لنفسه.

فلما كرهه الشيعة المصريون صمموا على قتله.

فخرج في العشرين من المحرم إلى لعب الكرة فكمن له جماعة وحمل عليه مملوك إفرنجي للحافظ فطعنه وقتله وقطعوا رأسه وأخرجوا الحافظ وبايعوه ثانيًا ونهبت دار الوزير المذكور.

وركب الحافظ إلى دار الخلافة واستولى على الخزائن واستوزر مملوكه أبا الفتح يانس الحافظي.

ولقب أمير الجيوش أيضًا وهو صاحب حارة اليانسية فظهر هو أيضًا شيطانًا ماكرًا بعيد الغور حتى خاف منه أستاذه الحافظ فتحيل عليه بكل ممكن وعجز حتى واطأه فراشه بأن جعل له في الطهارة ماء مسمومًا فاستنجى به فعمل عليه سفله ودود فكان يعالج بأن يلصق عليه اللحم الطري فيتعلق به الدود إلى أن مات.

وقال صاحب كتاب المقلتين في أخبار الدولتين: كان الآمر قد اصطفى مملوكين يقال لأحدهما هزبر الملوك واسمه برغوارد والآخر برغش وينعت بالعادل.

وهو صاحب المسجد قبالة الروضة من بر مصر.

وكان الآمر يؤثر هذا الأصغر لرشاقته.

فلما قتل الأمر وما ثم من يدبر الأمر اعتمدا على الأمير أبي الميمون عبد المجيد وكان أكبر الجماعة سنًا فتحيلا بأن قالا: إن الخليفة المنتقل يعنون الآمر كان قبل وفاته بأسبوع أشار إلى شيء من ذلك وإنه كان يقول عن نفسه: المسكين المقتول بالسكين وأنه قال:

إن الجهة الفلانية حامل منه وإنه رأى رؤيا تدل على أنها ستلد ولدًا ذكرًا وهو الخليفة من بعده وإن كفالته للأمير عبد المجيد أبي الميمون.

فجلس عبد المجيد المذكور كفيلا ونعت بالحافظ لدين الله وأن يكون هزبر الملوك وزيرًا وأن يكون الأمير الأجل السعيد يانس متولي الباب وإسفهسالار.

وكان أصله من غلمان الأفضل بن أمير الجيوش يعني من مماليكه وكان من أعيان الأمراء بمصر وقرئ بهذا التقرير سجل بالإيوان والحافظ في الشباك جالس قرأه قاضي القضاة على منبر نصب له أمام الشباك بحضور أرباب الدولة.

واستمر الحافظ وانفش ورم الحبلى ووزر له هذا المذكور وأميران بعده وهما: بهرام الأرمني ورضوان بن ولخشي.

قلت: ولم يذكر هذا المؤرخ أمر أحمد الوزير ولا ما وقع له مع الحافظ وهو أجدر بأخبار الفاطميين من غيره.

ولعله حذف ذلك لكونه كان في أول الأمر والله أعلم.

قال: استمر الحافظ خليفة من سنة أربع وعشرين وخمسمائة إلى جمادى الآخرة سنة أربع وأربعين وخمسمائة.

وكان له من الأولاد عدة: سليمان وهو أكبرهم وأحبهم إليه وحسن وكان عاقًا له ويوسف وجبريل هؤلاء قبل خلافته.

وولد له في خلافته أبو منصور إسماعيل وخلف بعد موته.

ولما ولى العهد لسليمان أكبر أولاده في حياته جعله يسد مكان الوزير ويستريح من مقاساة الوزراء الذين يحيفون عليه ويضايقوته في أمره ونهيه.

فمات سليمان بعد ولايته العهد بشهرين فحزن عليه شهورًا.

وترشح حسن ثانيه في العمر لولاية العهد فلم يستصلحه أبوه الحافظ لذلك ولا أجابه إليه.

فعظم ذلك على حسن المذكور ودعا لنفسه وكاتب الأمراء وعول على اعتقال أبيه ليستبد هو بالأمر وأطمع الناس فيما يواصلهم به إذا تم له الأمر فامتدت إليه الأعناق وكاتب الأمراء وكاتبوه.

ثم عاودتهم عقولهم بأن هذا لا يتم مع وجود الخليفة.

وكاتبوا أباه بخلاف ذلك.

فسير أبوه تلك الكتب إليه قال: لا تعتقد أن معك أحدًا.

فأوقع بعدة من الأمراء وأخذ ما في آدرهم.

أبوه الحافظ إضعافه وصرفه عن جرأته بغير فتك ففسد أمره وافتقر إلى أبيه.

وكان حسن المذكور سير بهرام الأرمني المقدم ذكره حاشدًا له ليصل إليه بالأرمن وكان هذا بهرام أميرهم وكبيرهم.

فلما لجأ حسن إلى أبيه الحافظ احتفظ به أبوه وحرص عليه.

فلما علم من بقي من الأمراء وهم على تخوف منه اجتمعوا على طلبه من أبيه ليقتلوه ويأمنوا أمره فوقفوا بين القصرين في عشرة آلاف.

فراسلهم الخليفة.

الحافظ بلين الكلام وتقبيح مرادهم من قتل ولده وأنه قد أزال عنهم أمره وأن ضمانه عليه في ألا يتصرف أبدًا ووعدهم بالزيادة في الأرزاق والإقطاعات.

فلم يقبلوا شيئًا من ذلك بوجه وقالوا: إما نحن وإما هو وإن لم نتحقق الراحة الأبدية منه وإلا فلا حاجة لنا بك أيضًا ونخلع طاعتك.

وأحضروا الأحطاب والنيران لتحريق القصر وبالغوا في الإقدام عليه.

فلم يجد الخليفة عليهم لأنهم أنصاره وجنده الذين يستطيل بهم على غيرهم.

فألجأته الضرورة أنه استبصرهم ثلاثة أيام ليتروى فيما يعمل في حق ولده فرأى أنه لا ينفك من هذه المنازلة العظيمة التي لم ير مثلها إلا أن يقتله مستورًا ويحسم مادته ويأمن مباينة عسكره وأنه لا يأمن هو على نفسه وأنه لا بد من التصرف بهم وفيهم وأنهم لا ينفكون من المقام ببين القصرين على هذا الأمر إلا بعد إنجازه.

وكان لخاصته طبيبان يهوديان يقال لأحدهما أبو منصور وللآخر ابن قرقة.

وكان ابن قرقة خبيرًا بالاستعمالات ذكيًا.

فحضر إليه أبو منصور قبل ابن قرقة ففاوضه الخليفة في عمل السقية القاتلة لولده فتحرج من ذلك وأنكر معرفته وحلف برأس الخليفة وبالتوراة أنه لا يعرف شيئًا من هذا فتركه.

ثم حضر ابن قرقة ففاوضه في السقية فقال: الساعة ولا يتقطع الجسد بل تفيض النفس لا غير فأحضرها في يومه وألزم الخليفة ولده حسنًا على شربها فشربها ومات وقيل للقوم سرًا: قد كان ما أردتم فامضوا إلى دوركم.

فلم يثقوا بذلك بل قالوا: يشاهد منا من نثق به.

فأحضروا أميرًا معروفًا بالجرأة يقال له المعظم جلال الدين محمد جلب راغب فدخل المذكور إلى المكان الذي فيه القتيل فوجده مسجى وعليه ملاءة فكشف عن وجهه وأخرج من وسطه بارشينًا فغرزه بها في مواضع خطرة من جسده حتى تحقق موته وعاد إلى القوم فأخبرهم فوثقوا منه وتفرقوا.

ولما نساهم الحافظ أمر ابنه قبض على ابن قرقة صاحب السقية فرماه في خزانة البنود وأمر بارتجاع جميع أملاكه وموجوده إلى الديوان.

وكانت داره بالزقاق الذي كان يسكنه فروخ شاه بن أيوب تطل على الخليج قبالة الغزالة وما فيه من الدور والحمام وهذا الدرب يعرف بدرب ابن قرقة قريب باب الخوخة.

ثم أنعم الخليفة على رفيقه أبي منصور وجعله رئيس اليهود وحصلت له نعمة ضخمة.

قال: وكان الحافظ في كل ستة أشهر يجرد عسكرًا إلى عسقلان بما يتحققه من عزمات الفرنج في القلة والكثرة مع من هو فيها مقيم من المركزية والكنانية وغيرهم فكان القلة من الفرسان من ثلاثمائة إلى أربعمائة يعني الذين يسيرهم في التجريدة والكثرة من أربعمائة إلى ستمائة ويقدم على كل مائة فارس أميرًا ويسلم للأمير الخريطة وهذا اسم لحمل أوراق العرض من الديوان ليتفق مع والي عسقلان على عرضهم.

ثم يستم إليه مبلغًا من المال ينفقه فيمن فاتته النفقة.

وكانت النفقة للأمراء مائة دينار وللأجناد ثلاثين دينارًا.

فاتفق أن والي عسقلان أرسل كتابًا يعرف الخليفة أن عند الفرنج حركة فجرد الخليفة في تلك المرة العدة الكبيرة وفيهم جلال الدين جلب راغب الأمير الذي كشف صحة موت حسن ابن الخليفة بسقية السم فسير إليه الخليفة مائة دينار وهي علامة التجريد والاهتمام فتجهز المذكور للسفر في جملة الناس وفي نفسه تلك الجناية التي قدمها عند الخليفة في ولده حتى قتله.

فلما كان السفر جلس الخليفة ليخدموه بالوداع ويدعو لهم بالنصر والسلامة فدخلوا إليه ومثلوا بين يديه لذلك وانصرفوا إلا جلال الدين جلب راغب المذكور.

فقال الخليفة: قولوا للأمير: ما وقوفك دون أصحابك! ألك حاجة فقال: يأمرني مولانا بالكلام.

فقال له: قل.

قال: يا مولانا ليس على وجه الأرض خليفة ابن بنت رسول الله غيرك.

وقد كان الشيطان استنزلني فأذنبت ذنبًا عظيمًا عفو مولانا أوسع منه.

فقال له: قل ما تريد غير هذا فإنا غير مؤاخذيك به.

فقال: يا مولانا قد توهمت بل تحققت أني ماض في حالة السخط منك وقد آليت على نفسي أن أبذلها في الجهاد فلعلي أموت شهيدًا فيضيع ذلك سخط مولانا علي.

فقال له الخليفة: أنت غني عن هذا الكلام وقد قلنا لك: إنا ما وأخذناك فأي شيء تقصد.

قال: لا يسيرني مولانا تبعًا لغيري فقد سرت مرارًا كثيرة مقدمًا وأخشى أن يظن هذا التأخير للذنب الذي أنا معترف به.

قال: لا بل مقدمًا وصاحب الخريطة.

وأمر بنقل الحال عن المقدم الذي كان تقرر للتقدمة والخريطة.

فسر جلال الدين جلب راغب بذلك.

ثم أعطاه الخليفة أيضًا مائتي دينار وقال له: اتسع بهذه.

قال: وكان الأغلب على أخلاق الحافظ الحلم.

ومرض الخليفة مرضته التي توفي فيها فحمل إلى اللؤلؤة خارج القصر فأثخن في المرض فمات بها.

وظهر من وصيته أن ولده أبا منصور إسماعيل وهو أصغر أولاده هو الخليفة من بعده مع وجود ولدين كاملين هما أبو الحجاج يوسف وهو أبو الخليفة العاضد الآتي ذكره وأبو الأمانة جبريل.

فعقدت عليه الخلافة من بعده ونعت بالظافر بأمر الله وأن يستوزر له الأمير نجم الدين بن مصال.

انتهى كلام صاحب المقلتين.

وقال ابن القلانسي: وفي سنة أربع وأربعين وخمسمائة ورد الخبر من مصر بوفاة الحافظ بأمر الله وولي الوزارة أمير الجيوش أبو الفتح بن مصال المغربي فأحسن السيرة وأجمل السياسة فاستقامت الأحوال.

ثم حدث بعد ذلك من اضطراب الأمور والخلف بين السودان والعساكر وكانت ولاية الحافظ على مصر تسع عشرة سنة وسبعة أشهر وتولى الخلافة بعده أصغر أولاده حسب ما ذكرناه عن كلام صاحب المقلتين.

السنة الأولى من خلافة الحافظ عبد المجيد وهي سنة خمس وعشرين وخمسمائة.

فيها توفي حماد بن مسلم الرحبي الشيخ الإمام الصالح المسلك أستاذ الشيخ عبد القادر في التصوف وشيخه.

سمع الحديث.

وكان على طريق التصوف يشير إلى المعرفة والمكاشفة وعلوم الباطن.

وكان يعطي كل من تصيبه حمى لوزة وزبيبة فيأكلهما فيبرأ وصار الناس يترددون إليه وينذرون إليه النفور فيقبل الأموال ويفرقها على أصحابه ثم كره أخذ النفور حتى مات في شهر رمضان ببغداد ودفن بالشونيزية.

وكان من الأبدال الصالحين.

ويعرف بحماد الدباس.

رحمة الله عليه.

وفيها توفي السلطان محمود ابن السلطان محمد شاه ابن السلطان ملكشاه ابن السلطان ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقماق عضد الدولة السلجوقي.

كان ملكًا شجاعًا.

وكان قد عزم على إفساد الأمور على الخليفة المسترشد العباسي فعاجله الموت بهمذان في يوم الخميس خامس عشر شوال وعمره ثمان وعشرون سنة ومدة مملكته أربع عشرة سنة.

وكان قد عهد إلى ابنه داود وهو صغير في حجر زوج أمه أحمد يلي صاحب أذربيجان.

فجدد أبو القاسم وزير محمود على الأمراء العهود وكتب إلى أحمد يلي بذلك.

وكان مسعود أخو محمود المتوفي ببلاد أرمينية فتحرك لطلب السلطنة فكتب إلى الخليفة ولم يكتب لعضه سنجر شاه السلجوقي فمشى سنجر شاه وولي السلطنة لابن أخيه طغرل أعني لعم الصبي داود ورتب لداود ما يكفيه إلى أن يكبر.

ووقع بعد ذلك أمور.

وفيها توفي محمد بن أحمد بن إبراهيم بن أحمد أبو عبد الله الرازي ثم المصري المعدل الشاهد ويعرف بابن الخطاب مسند الديار المصرية وشيخ الإسكندرية مات في سادس جمادى الأولى وله إحدى وتسعون سنة.

وفيها توفي هبة الله بن محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن العباس بن الحصين أبو القاسم الشيباني الهمذاني الكاتب البغدادي مسند العراق.

ولد سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة وسمع الكثير وحدث وروى عنه غير واحد.

وفيها قتل الوزير أبو علي أحمد بن الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالي الأرمني ثم المصري وزير الحافظ العبيدي.

قال الحافظ أبو عبد الله الذهبي: صاحب مصر وسلطانها الملك الأكمل أبو علي وابن صاحبها ووزيرها يعني الأفضل.

قلت: والحق ما نعته به الذهبي فإن أحمد هذا ووالده وجده هم كانوا أصحاب مصر والخلفاء معهم كانوا تحت الحجر والضيق.

وتصديق.

ذلك ما خلفه الأفضل شاهنشاه أبو صاحب الترجمة من الأموال والمواشي وغير ذلك.

وإنما كان يطلق عليهم بالوزراء إلا لكون العادة كانت جرت بأن الملك للخليفة لا وهم بلا مدافعة انهم كانوا أعظم من سلاطين زماننا هذا.

ولما قتل أبوه الأفضل في سنة خمس عشرة وخمسمائة في خلافة الآمر وأخذ الآمر أمواله سجن ابنه أحمد هذا إلى أن مات.

فلما مات الآمر أخرج من السجن وجعل أمر مصر إليه ووزر واستولى على الديار المصرية.

وحجر على الحافظ الخليفة ومنعه من الظهور حسب ما ذكرناه في ترجمة الحافظ من أمر قتلته وكيف قتل فلا يحتاج للتكرار هنا.

وبموته صفا الوقت للحافظ واستولى على الملك وسكن القصر على عادة الخلفاء إلى أن مات.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم سبع أذرع وإصبعان.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا وثماني عشرة إصبعًا.

السنة الثانية من خلافة الحافظ عبد المجيد

فيها توفي أحمد بن حامد بن محمد أبو نصر المستوفي المعروف بالعزيز عم العماد الكاتب.

قبض عليه الأنساباذي وزير طغرل وسلمه إلى بهروز الخادم فحمله إلى تكريت فقتل بها.

وكان من رؤساء الأعاجم ولد بأصبهان وهو من بيت كتابة وفضل.

وفيها توفي الملك تاج الملوك بوري بن ظهير الدين طغتكين صاحب دمشق.

ولي أمر دمشق بعد موت أبيه الأتابك طغتكين في سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة.

وكان حليمًا شجاعًا شهمًا.

قتل أبا علي المزدقاني وجماعة كثيرة من الإسماعيلية.

قال ابن عساكر: بعث إليه الإسماعيلية برجلين فضرباه بالسكاكين وهو قد خرج من الحمام فأثر فيه بعض الأثر وأقام ينتقض عليه الجرح تارة ويندمل تارة إلى أن مات في شهر رجب بعد سنين.

ولما احتضر أوصى إلى ولده شمس الملوك إسماعيل فولي بعده.

وكانت ولاية بوري على دمشق ثلاث سنين وشهورًا.

وفيها توفي عبد الكريم بن حمزة بن الخضر المحدث الفاضل ابن محمد السلمي الدمشقي سمع الكثير وتوفي بدمشق.

وأنشد لأبي القاسم العجلي قوله: البسيط الضيف مرتحل والمال عارية وإنما الناس في الدنيا أحاديث فلا تغرنك الدنيا وزهرتها فإنها بعد أيام مواريث واعمل لنفسك خيرًا تلق نائله فالخير والشر بعد الموت مبثوث وفيها توفي علي بن عبد الله بن نصر بن عبيد الله بن سهل الإمام أبو الحسن ابن الزاغوني شيخ الحنابلة ببغداد.

سمع الكثير بنفسه ونسخ بخطه.

وولد سنة خمس وخمسين وأربعمائة.

وكان إمامًا فقيهًا متبحرًا في الأصول والفروع متقنًا واعظًا شاعرًا.

وفيها توفي أحمد بن عبيد الله بن كادش الإمام المحدث أبو العز العكبري مات في جمادى الأولى وله تسعون سنة.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربع أذرع وسبع أصابع.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا وعشر أصابع.

السنة الثالثة من خلافة الحافظ عبد المجيد وهي سنة سبع وعشرين وخمسمائة.

فيها خطب لمسعود بن محمد شاه بن ملكشاه السلجوقي ببغداد ومن بعده لابن أخيه داود وخلع عليهما وعلى آق سنقر الأحمد يلي.

وفيها أخذ شمس الملوك بن تاج الملوك بوري بن الأتابك طغتكين صاحب دمشق بانياس من يد الفرنج.

وفيها توفي أحمد بن عمار أبو عبد الله الحسيني العالم الفاضل الفصيح الكوفي.

قدم بغداد ومدح الوزير ابن صدقة.

ومن شعره: السريع وشادن في الشرب قد أشربت وجنته ما مج راووقه ما شبهت يومًا أباريقه بريقه إلا أبى ريقه قلت: وهذا يشبه قول القائل مواليًا ولم أثر من السابق لهذا المعنى: قم اسقني ما تبقى في أباريق أما ترى الصبح قد لاحت أباريق مع شادن قد روق سقاريق يسقي المدام وإن عزت سقا ريق وقريب من هذا لشخص كان بخدمتي يسمى بدر الدين حسن الزركشي رحمه الله: أفدي مهفهف وقد روق دواريق بالسقم داوى لقلبي من دوا ريق ذا ساحر اللحظ قد صفت نماريق مزج المدام بخضرا من نماريق وفيها توفي محمد بن أحمد بن محمد بن صاعد القاضي أبو سعيد النيسابوري.

ولد بنيسابور وقدم بغداد وكان رئيس نيسابور وقاضيها وله دنيا واسعة ومنزلة تامة عند الخاص والعام.

ومات في ذي الحجة بنيسابور.

وكان فقيهًا نبيلا ثقة.

.

وفيها توفي محمد بن الحسين بن علي بن إبراهيم الإمام المحدث الفرضي أبو بكر المزرفي سمع وفيها توفي أبو خازم محمد ابن القاضي أبي يعلى بن الفراء الحنبلي الفقيه الصالح.

مات في صفر وهو من بيت علم وفضل.

وفيها توفي الفقيه العلامة أسعد بن أبي نصر الميهني شيخ الشافعية في عصره وعالمهم مات في هذه السنة في قول الذهبي.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمس أذرع وخمس وعشرون إصبعًا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا وخمس عشرة إصبعًا.

السنة الرابعة من خلافة الحافظ عبد المجيد وهي سنة ثمان وعشرين وخمسمائة.

فيها عاد طغرل إلى همذان ومالت العسكر إليه وانحل أمر أخيه مسعود.

طغرل كلاهما ولد محمد شاه بن ملكشاه السلجوقي.

وفيها خرج شمس الملوك صاحب دمشق يتصيد وانفرد من عسكره فوثب عليه أحد مماليك جده طغتكين يعرف بإيلبا.

وضربه بالسيف ضربة هائلة فانقلب السيف من يده فرمى بنفسه إلى الأرض وضربه أخرى فوقعت في عنق الفرس وحال بينهما الفرس فانهزم إيلبا.

وعاد شمس الملوك إلى دمشق سالمًا ورتب الغلمان في طلب إيلبا حتى ظفروا به.

فلما جاءوا به إليه قال: ما الذي حملك على قتلي قال: لم أفعله إلا تقربًا إلى الله لظلمك الناس.

ثم قرره فأقر على جماعة فجمع شمس الملوك الجميع وقتلهم صبرًا بين يديه.

ولم يكفه قتلهم حتى اتهم أخاه سونج فجعله في بيت وسد عليه الباب حتى مات.

ثم بعد ذلك بالغ في سفك الدماء والظلم والأفعال القبيحة إلى أن أخذه الله حسب ما يأتي ذكره.

وفيها أيضًا وقع الخلف بين ولدي الخليفة صاحب الترجمة وهما أبو علي الحسن المقتول بالسم المقدم ذكره في ترجمة أبيه وهو كان ولي العهد بعد سليمان وبين أخيه أبي تراب حيدرة وكان ذلك بحضرة والدهم الحافظ بمصر.

وانقسم العسكر فرقتين أحدهما على مذهب السنة والثاني على مذهب الرافضة ووقع بينهم القتال فكان النصر لولي العهد وأباد الحسن من تبع أخاه من السودان والأمراء بالقتل.

وبعد هذا كان ركوب الأمراء بين القصرين على الحافظ لطلب حسن هذا حتى قتله أبوه الحافظ بالسم الذي صنعه ابن قرقة اليهودي وقد تبين ذكر ذلك كله مفصلا في ترجمة الحافظ.

وفيها توفي أحمد بن إبراهيم الشيخ الإمام أبو الوفاء الفثروزأباذي - وفيروزاباذ: أحد بلاد فارس - وقد تقدم الكلام على أن كل اسم بلد فيها باذ فهو بالتفخيم - كان إمامًا محدثًا سمع الكثير وخدم مشايخ الصوفية وكان حافظًا لسيرهم وأشعارهم وكان يسقى الغناء ويقود لعبد الوهاب الأنماطي: إني لأدعو لك وقت السماع.

وكان الأنماطي يتعجب ويقول: أليس هذا يعتقد أن ذلك وقت إجابة! وكانت وفاته في صفر وحضر جنازته خلق كثير وكان صالحًا دينًا.

وفيها توفي عبد الله بن محمد بن أبي بكر الشاشي كان فقيهًا مفتيًا مناظرًا ظريف الشمائل حسن العبارة ويعظ وينشئ الكلام المطابق المجانس.

ومن شعره: الدوبيت الدمع دمًا يسيل من أجفاني إن عشت مع الفراق ما أجفاني سجني شجني وحالتي سجاني والعادل بالملام قد سجاني والذكر لهم يزيد في أشجاني والنوح

مع الحمام قد أشجاني ضاقت ببعاد منيتي أعطاني والبين به الهموم قد أعطاني وفيها توفي علي بن محمد الأديب أبو الحسن العنبري ويقال له: ابن دواس القناء.

كان شاعرًا فصيحًا.

أصله من البصرة وسكن واسطًا وبها مات.

ومن شعره من أول قصيدة: البسيط هل أنت منجزة بالوصل ميعادي أم أنت مشمتة بالهجر حسادي وفيها توفى محمد بن عبد الله بن تومرت الأمير أبو عبد الله المنعوت بالمهدي الهرغي صاحب دعوة عبد المؤمن بن علي.

كان ابن تومرت هذا ينسب إلى الحسن بن علي بن أبي طالب - رضي الله عنهما - وأصله من جبل السوس من أقصى بلاد المغرب ونشأ هناك ثم رحل في شبيبته إلى العراق وغيره وسمع الحديث وتنسك وهجر لذات الدنيا ثم عاد إلى المغرب وانتهى إلى بجاية فكسر بها آلات اللهو وأهرق الخمور.

ثم خرج منها إلى قرية يقال لها ملالة فرأى بها عبد المؤمن بن علي فتفرس فيه النجابة وسأله عن نسبه حتى عرفه عبد المؤمن.

فقال له: أنت بغيتي.

وقال ابن تومرت هذا لأصحابه: هذا الذي بشر به النبي صلى الله عليه وسلم فقال: " إن الله تعالى ينصر هذا الدين برجل من قيس سليم " واستبشر به ابن تومرت هذا.

ثم وقع له مع ملوك المغرب وقائع وأمور يطول شرحها حتى ملك عدة بلاد.

وكان ابتداء أمره في سنة اثنتي عشرة وخمسمائة - وقيل: سنة أربع عشرة وخمسمائة - ومولده في يوم عاشوراء سنة خمس وثمانين وأربعمائة.

ومات في هذه السنة وقال ابن خلكان: في سنة أربع وعشرين.

والله أعلم.

ومن شعره: المتقارب أخذت بأعضاءهم إذ نأوا وخلفك القوم إذ ودعوا فكم أنت تنهى ولا تنتهي وتسمع وعظًا ولا تسمع فيا حجر الشحذ حتى متى تسن الحديد ولا تقطع تجرد من الدنيا فإنك إنما سقطت على الدنيا وأنت مجرد وكان يتمثل أيضًا بقول المتنبي: الوافر إذا غامرت في شرف مروم فلا تقنع بما دون النجوم فطعم الموت في أمر حقير كطعم الموت في أمر عظيم أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم سبع أذرع وخمس عشرة إصبعًا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا وثلاث وعشرون إصبعًا.

السنة الخامسة من خلافة الحافظ وهي سنة تسع وعشرين وخمسمائة.

فيها توفي شمس الملوك إسماعيل بن تاج الملوك بوري ابن الأتابك ظهير الدين طغتكين صاحب دمشق.

كانت ساءت سيرته وصادر الناس وأخذ أموالهم وسفك الدماء وظهر منه شح زائد وقتل مماليك أبيه وجده.

وقد ذكرنا من أخباره في السنة الماضية تبيين ذلك.

وزاد ظلمه حتى كتب أهل دمشق إلى زنكي بن آق سنقر بالمسير إليهم.

فقيل: إنه مات قبل وصول زنكي وفيها توفي دبيس بن صدقة بن منصور بن دبيس بن علي بن مزيد الأمير أبو الأغر الأسدي.

أصله من بني أسد - وقيل: من بني خفاجة - وأول من ظهر من بيته جده الأكبر مزيد في أيام بني بويه ومات مزيد فقام علي ولده مقامه وكان عائنًا ما وقعت عينه على شيء إلا هلك.

ثم قام بعده ابنه دبيس ثم منصور فجرى من منصور في الخليفة القائم بأمر الله ما جرى.

ثم مات منصور وخلف ابنه صدقة فخدم ملكشاه السلجوقي ثم خالف ابنه بركياروق فقتله بركياروق.

وقام بعده ابنه دبيس صاحب الترجمة وكان شر أهل بيته يرتكب الكبائر ويفعل العظائم ولقي منه الخليفة والمسلمون شرورًا كثيرة وأبطل الحج وأباح الفروج في شهر رمضان.

وكانت أيامه سبعًا وستين سنة إلى أن قتله السلطان مسعود السلجوقي صبرًا في ذي الحجة.

وكان دبيس المذكور كثيرًا ما ينشد: الكامل إن الليالي للأنام مناهل تطوى وتبسط بينها الأعمار فقصارهن مع الهموم طويلة وطوالهن مع السرور قصار وكان قتله بالمراغة.

وفيها توفي الخليفة أمير المؤمنين المسترشد بالله أبو منصور الفضل ابن الخليفة المستظهر بالله أحمد ابن الخليفة المقتدي بالله عبد الله ابن الأمير محمد الذخيرة ابن الخليفة القائم بأمر الله العباسي الهاشمي البغدادي.

بويع بالخلافة بعد موت أبيه في شهر ربيع الآخر سنة اثنتي عشرة وخمسمائة.

ومولده في حدود سنة خمس وثمانين وأربعمائة.

وأمه أم ولد تسمى لبابة.

وكان شهمًا شجاعًا ذا همة ومعرفة وعقل وكان مشتغلا بالعبادة سالكًا في الخلافة سيرة القادر.

قرأ القرآن وسمع الحديث وقال الشعر ومن شعره: الطويل أنا الأشقر الموعود بي في الملاحم ومن يملك الدنيا بغير مزاحم ومات قتيلا.

وكان سبب ذلك أنه خرج لقتال مسعود بن محمد شاه بن ملكشاه السلجوقي فخالف عليه عسكره فانكسر وأسر.

فراسل سنجر شاه عم مسعود يلوم مسعودًا فرجع مسعود عن قتاله وضرب له السرادق فنزل المسترشد هذا فيه.

ثم وصل رسول سنجر شاه إلى الخليفة ومعه سبعة عشر نفرًا من الباطنية فركب مسعود لتلقي رسول عمه سنجر شاه ومعه العسكر فسبقت الباطنية في زي الغلمان ودخلوا على الخليفة وضربوه بالسكاكين حتى قتلوه وقتلوا من كان عنده وعادت العساكر فأحدقت بالسرادق وخرج الباطنية والسكاكين بأيديهم فيها الدم فمالت العساكر عليهم فقتلوهم وأحرقوهم.

وغطي الخليفة بسندسة خضراء لفوه فيها ودفن على حاله بباب مراغة.

وكان قتله في سابع عشر ذي القعدة وعمره خمس وأربعون سنة وخلافته سبع عشرة سنة وثمانية أشهر وأيام.

وبويع بالخلافة بعده ابنه أبو جعفر أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمس أذرع وأربع وعشرون إصبعًا.

مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعًا وثلاث أصابع.

السنة السادسة من خلافة الحافظ عبد المجيد وهي سنة ثلاثين وخمسمائة.

فيها خلع الخليفة الراشد بالله أبو جعفر منصور بن المسترشد المقدم ذكره لأمور وقعت بينه وبين السلطان سنجر شاه وابن أخيه السلطان مسعود وقطع خطبته.

وكاتب الخليفة زنكي بن آق سنقر وأطمعه في الملك وقال: يكون السلطان ألب أرسلان بن محمود بن محمد شاه بن ملكشاه وأنت تكون أتابكه فكان هذا أول سبب الفتنة وخرج الخليفة من بغداد ووقع له أمور آلت إلى خلعه.

قال صدقة الحداد الحنبلي في تاريخه: إن الوزير أبا القاسم بن طراد صدر محضرًا على الراشد فيه أنواع من الكبائر ارتكبها من الفسق والفجور ونكاح أمهات أولاد أبيه وأخذ أموال الناس وسفك الدماء وأنه فعل أشياء لا يجوز أن يكون معها إمامًا.

فتوقف الشهود فهددهم ابن طراد وقال: علمتم صحة هذا فما المانع من إقامة الشهادة! فشهدوا.

وكان السلطان مسعود قد جمع القضاة والشهود والأعيان وأخرج لهم نسخة يمين كانت بينه وبين الراشد أخذها عليه بخطه: متى حشدت أو حاذيت وجذبت سيفًا في وجه مسعود فقد خلعت نفسي من هذا الأمر وفيها خطوط القضاة والشهود بذلك.

فحكم القضاة حينئذ بخلعه فخلع في يوم الاثنين ثامن عشر ذي القعدة.

وولوا المقتفي محمد ابن المستظهر أخ المسترشد عم الراشد هذا وحبس الراشد إلى أن مات حسب ما يأتي ذكره إن شاء الله في محله.

وفيها توفي القاسم بن عبد الله بن القاسم القاضي شمس الدين الشهرزوري أخو القاضي كمال الذين الشهرزوري ولي قضاء الموصل وكان يعظ وله قبول حسن وللناس فيه اعتقاد.

وفيها توفي يوسف بن فيروز حاجب شمس الملوك إسماعيل.

كان مماليك طغتكين حقدوا عليه لأنه هو الذي أشار على شمس الملوك بقتل إيلبا الذي ضرب شمس الملوك بالسيف حسب ما ذكرناه فاتفقوا على قتله فالتقاه بزواش الأتابكي عند المسجد الجديد فضربه بالسيف على وجهه فقتله في جمادى الآخرة.

وفيها توفي الإمام العلامة أبو الحسن علي بن أحمد بن منصور بن قيس الغساني المالكي النحوي.

كان إمامًا فقيهًا عالمًا نحويًا حلق ودرس سنين وأقرأ النحو وقصده الناس وانتفع به خلق كثير.

أمر النيل في هذه السنة: السنة السابعة من خلافة الحافظ وهي سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة.

فيها أرسل السلطان مسعود طالب الخليفة المقتفي لأمر الله العباسي وحواشيه بمائة ألف دينار.

فبعث إليه المقتفي يقول: ما رأيت أعجب من أمرك! أنت تعلم أن أخي المسترشد سار من بغداد إليك بأمواله فوصل الكل إليك ورجع أصحابه بعد قتله عراة وولي ابن أخي الراشد ففعل ما فعل ثم رحل وأبقى أمواله وخزائنه في الدار فأخذت الجميع.

وأما الناس فإني عاهدت الله أني لا آخذ لأحد شيئًا وقد أخذت أنت أيضًا الجوالي والتركات فمن أي وجه أقيم لك هذا المال!.

وفيها تتبع المقتفي القوم الذين أفتوا بفسق الراشد وكتبوا المحضر وعاقب من استحق العقوبة وعزل من يستحق العزل ونكب الوزير شرف الدين علي بن طراد.

وقال المقتفي: إذا فعلوا هذا مع غيري فهم يفعلونه معي واستصفى أموال الزينبي واستوزر عوضه سديد الدولة بن الأنباري وكان كاتب الإنشاء.

وفيها توفي مرشد بن علي بن المقلد بن نصر بن منقذ الأمير أبو سلامة صاحب شيزر.

كان عارفًا بفنون العلوم والآداب صالحًا كثير العبادة والتلاوة.

وكان أخوه نصر ولاه شيزر فتركها وقال: لا أدخل في الدنيا وولاها أخاه سلطان بن علي.

وسافر البلاد وكان له يد طولى في العربية والمكاتبة والشعر.

كان كثير الصوم شديد البأس والنجدة في الحرب حسن الخط كتب بخطه سبعين ختمة وكان له شعر.

وفيها توفي بدران بن صدقة بن منصور وهو من بني مزيد ولقبه شمس الدولة.

ولما فعل أخوه دبيس ما فعل بالعراق وتغيرت أحواله خرج إلى مصر فأكرمه صاحبها الحافظ صاحب الترجمة.

وكان أديبًا فاضلا مات في هذه السنة.

وفيها توفي إسماعيل بن أبي القاسم بن أبي بكر النيسابوري الإمام القارئ مات في شهر رمضان.

وكان رأسًا في علم القرآن وغيره.

وفيها توفي الحافظ أبو جعفر محمد بن أبي علي الهمذاني الحافظ المحدث المشهورة سمع الكثير وكتب وصنف وحدث وروى عنه غير واحد.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ست أذرع سواء.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا وست عشرة إصبعًا.

السنة الثامنة من خلافة الحافظ عبد المجيد فيها توفي أحمد بن محمد بن أحمد الشيخ أبو بكر الدينوري الحنبلي.

تفقه على أبي الخطاب الكلوذائي وبرع في الفقه والمناظرة.

ومات في جمادى الأولى ودفن قريبًا من الإمام أحمد بن محمد بن حنبل.

رضي الله عنه.

وفيها توفي الوزير أنوشروان بن خالد بن محمد أبو نصر القاشاني القيني وقين: قرية من قرى قاشان وزر للمسترشد الخليفة وللسلطان مسعود السلجوقي.

وكان مهيبًا عاقلا فاضلا.

وهو كان السبب في عمل الحريري المقامات التي أنشأها.

حكي أن الحريري كان جالسًا بمسجد ببني حرام وهي محلة من محال البصرة إذ دخل شيخ ذو طمرين عليه أهبة السفر رث الثياب.

فاستنطقه الحريري فإذا هو فصيح اللهجة حسن العبارة.

فسأله من أين الشيخ فقال: من سروج.

قال: فما كنيته قال: أبو زيد.

فعمل الحريري المقامة الحرامية بعد قيامه من ذلك المجلس.

هكذا قال صاحب مرآة الزمان.

قلت: ولعل الحريري كان سمع به قبل ذلك وما اجتمع به فإن الذهبي قال عن أبي زيد السروجي: إنه رجل مكد لحوح فصيح العبارة يسمى المطهر ابن سلار.

وكان الوزير أنوشروان كريمًا جوادًا ذا همة عالية وإقدام.

ومات في شهر رمضان.

رحمه الله.

وفيها توفي المسند بدر بن عبد الله أبو النجم سمع الحديث الكثير ومات في شهر رمضان عن ثمانين سنة ببغداد.

وكان سليم الباطن.

طلب منه أصحاب الحديث إجازة فقال: كم تستجيزون! ما بقي عندي إجازة.

وفيها توفي الأمير البقش السلاحي.

كان أميرًا كبيرًا ناب عن السلطان في ممالك ثم توهم السلطان منه وقبض عليه وحبسه بقلعة تكريت ثم أمر بقتله فغرق نفسه في دجلة فأخرج من الماء وقطع رأسه وحمل إلى السلطان.

وفيها توفي الحسين بن تلمش بن يزدمر أبو الفوارس التركي الصوفي البغدادي.

كان شاعرًا.

ومن شعره: الخفيف أتمنى أني أكون مريضًا علها أن تعود في العواد فتراها عيني فيذهب عني ما أقاسيه من جوى في فؤادي وفيها توفي محمد بن عبد الملك بن محمد الشيخ أبو الحسن الكرجي.

كان محدثًا فقيهًا شاعرًا شافعي المذهب وصنف في مذهبه.

وكان كريمًا جوادًا.

ومن شعره: الوافر تناءت داره عني ولكن خيال جماله في القلب ساكن إذا امتلأ الفؤاد به فماذا يضر إذا خلت منه المساكن وفيها توفي الخليفة الراشد بالله أبو جعفر منصور ابن الخليفة المسترشد بالله أبي منصور الفضل ابن الخليفة المستظهر بالله أحمد ابن الخليفة المقتدي بأمر الله عبد الله ابن الأمير ذخيرة الدين محمد ابن الخليفة القائم بأمر الله عبد الله العباسي الهاشمي.

بويع بالخلافة بعد قتل أبيه المسترشد في ذي القعدة سنة تسع وعشرين وخمسمائة.

ومولده في سنة اثنتين وخمسمائة.

وخرج بعد خلافته بمدة إلى الموصل لقتال مسعود وغيره فخذله أصحابه فقبض السلطان مسعود عليه وخلعه من الخلافة حسب ما ذكرناه في سنة ثلاثين وخمسمائة وحبسه إلى أن قتله في هذه السنة.

وأمه أم ولد حبشية يقال لها أم السادة.

ويقال: إن الراشد هذا ولد مسدودًا فأحضر أبوه المسترشد الأطباء فأشاروا أن يفتح له مخرج بآلة من ذهب ففعل به ذلك فنفع.

وحكي عن الراشد هذا أيضًا أن والده أعطى له عدة جوار وعمره أقل من تسع سنين وأمرهن أن يلاعبنه وكانت فيهن جارية حبشية فحملت من الراشد فلما ظهر الحمل وبلغ

المسترشد أنكره لصغر سن ولده الراشد وسألها فقالت: والله ما تقدم إلى غيره وإنه احتلم.

فسأل باقي الجواري فقلن كذلك.

ووضعت الجارية صبيًا وسمي أمير الجيش.

وقيل لأبيه: إن صبيان تهامة يحتلمون لتسع وكذلك نساؤهم.

وكانت قتلة الراشد هذا في شهر رمضان من هذه السنة بظاهر أصبهان.

وقال الذهبي: إن قتلته كانت في الجالية.

والله أعلم.

أمر النيل في هذه السنة: السنة التاسعة من خلافة الحافظ عبد المجيد وهي سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة.

فيها كانت زلزلة عظيمة أهلكت مائتي ألف وثلاثين ألف إنسان قاله صاحب مرآة الزمان.

وقال ابن القلانسي: إنها كانت بالدنيا كلها وإنما كانت بحلب أعظم جاءت ثمانين مرة ورمت أسوار البلد وأبراج القلعة وهرب أهل البلد إلى ظاهرها.

وفيها توفي إسماعيل بن محمد بن أحمد الشيخ الأديب أبو طاهر الرناني.

كان شاعرًا فصيحًا مترسلا.

وفيها توفي علي بن أفلح الرئيس أبو القاسم الكاتب البغدادي.

كان عالمًا فاضلا كاتبًا شاعرًا.

تقدم عند الخليفة المسترشد حتى إنه لقبه جمال الملك وأعطاه الذهب ورتب له الرواتب.

ثم بلغه عنه أنه كاتب دبيسًا فأراد القبض عليه فهرب إلى تكريت واستجار ببهروز الخادم فشفع فيه فعفا عنه الخليفة.

ومن شعره: البسيط دع الهوى لأناس يعرفون به قد مارسوا الحب حتى لان أصعبه بلوت نفسك فيما لست تخبره والشيء صعب على من لا يجربه وفيها توفي الأمير محمود بن تاج الملوك بوري بن الأتابك ظهير الدين طغتكين الملك شهاب الدين صاحب دمشق.

ولي دمشق مكان أبيه - قلت: ولعله ولي بعد أخيه شمس الملوك إسماعيل.

والله أعلم - ولما ولي إمرة دمشق ساءت سيرته فاستوحش منه جماعة من أمرائه واتفقوا على قتله مع يوسف الخادم والبقش الأرمني.

وكانا ينامان حول سريره وساعدهما عنبر الفراش الخركاوي على ذلك.

فلما كان ليلة الجمعة ثالث عشرين شوال ذبحوه على فراشه وخرجوا هاربين فظفروا بهم وأخذوا يوسف وعنبرًا فصلبا وهرب البقش.

وكتب الأمراء إلى أخي محمود هذا وهو محمد بن بوري بن طغتكين وكان ببعلبك وكان صبيًا لم يبلغ الحلم فجاء مسرعًا ودخل دمشق فملكوه ولقبوه جمال الدين.

وانتهى الخبر إلى خاتون صفوة الملك والدة محمود المقتول فراسلت الأمير عماد الدين زنكي بن آق سنقر تعرفه الحال وتطلب منه أخذ الثأرة فجاء إلى دمشق وملكها بالأمان ثم غدر بهم وأمر بقتلهم وصلبهم.

قلت: وعماد الدين زنكي هذا هو والد السلطان نور الدين محمود بن زنكي المعروف بالشهيد.

وفيها توفي الشيخ الإمام المقرئ أبو العباس أحمد بن عبد الملك بن أبي جمرة.

كان عالمًا فاضلا سمع الحديث وروى عنه غير واحد وهو آخر من روى بالإجازة عن أبي عمرو الداني.

الماء القديم خمس أذرع وأربع عشرة إصبعًا.

مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعًا وخمس أصابع.

السنة العاشرة من خلافة الحافظ وهي سنة أربع وثلاثين وخمسمائة.

فيها قتل الأمير جوهر خادم السلطان سنجر شاه بن ملكشاه السلجوقي.

كان خادما حبشيًا حاكمًا في الدول.

قتله باطني جاءه في صورة امرأة فاستغاث به فوقف له جوهر لأخذ ظلامته فرمى الإزار ووثب عليه وقتله فقتلته خدم جوهر في الوقت.

وعز على سنجر شاه قتله وحزن عليه.

وفيها توفي يحيى بن علي بن عبد العزيز القاضي الزكي أبو الفضل قاضي دمشق وهو جد ابن عساكر لأمه.

تفقه على أبي بكر الشاشي ببغداد وتفقه بدمشق على القاضي المروزي ومات بدمشق في هذه السنة.

وقال الذهبي: في الآتية وكان إمامًا فاضلا عالمًا.

رحمه الله.

وفيها توفي الأمير جمال الدين محمد ابن الأمير تاج الملوك بوري ابن الأتابك ظهير الدين طغتكين صاحب دمشق.

كان ملك دمشق بعد قتل أخيه محمود فلم تطل مدته وحضر الأمير زنكي بن آق سنقر وأخذ دمشق منه واستولى عليها حسب ما ذكرناه.

ومات في شعبان ولم أدر أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ست أذرع وثماني عشرة إصبعًا.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا وسبع عشرة إصبعًا وشرقت البلاد.

السنة الحادية عشرة من خلافة الحافظ وهي سنة خمس وثلاثين وخمسمائة.

فيها نقل الخليفة المقتفي لآمر الله العباسي المظفر بن محمد بن جهير من الأستادارية إلى الوزر.

قلت: وهذا أول ما سمعنا بوظيفة الأستادارية في الدول.

وفيها توفي محمد بن عبد الباقي الشيخ الإمام أبو بكر الأنصاري.

هو من ولد كعب بن مالك أحد الثلاثة الذين خلفوا.

كان إمامًا عالمًا.

وكان إذا سئل عن مولده يقول: أقبلوا على شأنكم لا ينبغي لأحد أن يخبر عن مولده إن كان صغيرًا يستحقرونه وإن كان كبيرًا يستهرمونه.

وكان ينشد: الكامل لي مدة لا بد أبلغها فإذا انقضت وتصرمت مت لو عاندتني الأسد ضارية ما ضر بي ما لم يجى الوقت وفيها توفي الشيخ الإمام حافظ عصره أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل الطلحي الأصبهاني التيمي.

ولد سنة تسع وخمسين وأربعمائة وسافر البلاد وسمع الكثير وبرع في فنون وكان إمامًا في التفسير والحديث والفقه واللغة وهو أحد الحفاظ المتقنين.

ومات بأصبهان في يوم عيد النحر.

وفيها توفي الشيخ الإمام الفقيه المحدث أبو الحسن رزين بن معاوية العبدري السرقسطي مات بمكة في المحرم.

وفيها توفي القدوة الصالح الواعظ أبو يعقوب يوسف بن أيوب الهمذاني الواعظ المفسر.

كان إمامًا فاضلا وله لسان حلو في الوعظ وللناس فيه محبة وعليه القبول.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ست أذرع سواء.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا واثنتا عشرة إصبعًا.

السنة الثانية عشرة من خلافة الحافظ عبد المجيد وهي سنة ست وثلاثين وخمسمائة.

فيها توفي شيخ الإسلام الحسام عمر بن عبد العزيز بن مازة إمام الحنفية ببخارى وصدر الإسلام.

كان علامة عصره وكانت له الحرمة العظيمة والنعمة الجليلة والتصانيف المشهورة وكان الملوك يصدرون عن رأيه.

ولما عزم سنجر شاه بن ملكشاه على لقاء الخطا أخرجه معه وفي صحبته من الفقهاء والخطباء والوعاظ والمطوعة ما يزيد على عشرة آلاف نفر فقتلوا في المصاف عن آخرهم وأسر الحسام هذا وأعيان الفقهاء.

فلما فرغ المصاف أحضرهم ملك الخطا وقال: ما الذي دعاكم إلى قتال من لم يقاتلكم والإضرار بمن لم يضركم وضرب أعناق الجميع.

وانهزم سنجر شاه في ست أنفس وأسرت زوجته وأولاده وأمه وهتك حريمه وقتل عامة أمرائه.

قال صاحب مرآة الزمان: وقتل مع سنجر شاه اثنا عشر ألف صاحب عمامة كلهم رؤساء وكان يومًا عظيمًا لم ير مثله في جاهلية ولا إسلام وكانت قتلة ابن مازة المذكور في صفر.

وفيها توفي الشيخ الإمام أبو سعد أحمد بن محمد بن الشيخ علي بن محمود الزوزني الصوفي.

كان إمامًا عالمًا فاضلا رأسًا في علم التصوف.

مات ببغداد في شعبان.

وفيها توفي الشيخ العارف بالله أبو العباس أحمد ابن محمد بن موسى الصنهاجي الأندلسي المالكي العالم الصوفي.

كان ممن جمع بين علمي الشريعة والحقيقة.

وفيها توفي الحافظ أبو القاسم إسماعيل بن أحمد بن عمر بن أبي الأشعث السمرقندي مات ببغداد في ذي القعدة.

وكان حافظًا مفتنًا سمع الكثير وسافر البلاد وكتب وحصل وحدث روى عنه غير واحد.

وفيها توفي شرف الإسلام عبد الوهاب ابن الشيخ أبي الفرج عبد الواحد بن محمد الشيرازي الفقيه الحنبلي الواعظ.

كان رأسًا في الوعظ مشاركًا في فنون كثيرة.

ومات بدمشق.

وفيها توفي الحافظ أبو عبد الله محمد بن علي المازري المالكي الحافظ المحدث المشهور مات في شهر ربيع الأول وله ثلاث وثمانون سنة.

وكان إمامًا حافظًا متقنًا عارفًا بعلوم الحديث وسمع الكثير وسافر البلاد وكتب الكثير.

وفيها توفي إمام جامع دمشق أبو محمد هبة الله بن أحمد بن عبد الله بن علي بن طاوس.

كان رجلا فقيهًا صالحًا ورعًا حسن القراءة أم سنين بجامع دمشق ومات بها.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي أبو سعد أحمد بن محمد ابن الشيخ علي بن محمود الزوزني الصوفي ببغداد في شعبان.

وأبو العباس أحمد بن محمد بن موسى ابن عطاء الله بن العريف الصنهاجي الأندلسي العارف.

والحافظ أبو القاسم إسماعيل بن أحمد بن عمر بن أبي الأشعث السمرقندي ببغداد في ذي القعدة.

والفقيه أبو محمد عبد الجبار بن محمد بن أحمد الخواري البيهقي في شعبان.

وأبو الحكم عبد السلام بن عبد الرحمن بن أبي الرجال وقد تغير.

وشرف الإسلام عبد الوهاب ابن الشيخ أبي الفرج عبد الواحد بن محمد الشيرازي الحنبلي الواعظ بدمشق.

وأبو حفص عمر بن العزيز بن مازة شيخ الحنفية بما وراء النهر قتل صبرًا في صفر.

وأبو عبد الله محمد بن علي المازري المالكي الحافظ في شهر ربيع الأول وله ثلاث وثمانون سنة.

وأبو الكرم نصر الله بن محمد بن محمد بن مخلد بن الجلخت بواسط في ذي الحجة.

وإمام جامع دمشق أبو محمد هبة الله بن أحمد بن عبد الله بن علي بن طاوس.

وأبو محمد يحيى بن علي بن الطراح المديني في رمضان.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربع أذرع وخمس أصابع.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا وإحدى عشرة إصبعًا.

السنة الثالثة عشرة من خلافة الحافظ

وهي سنة سبع وثلاثين وخمسمائة.

فيها ملك الأمير زنكي بن آق سنقر التركي والد بني زنكي قلعة الحديثة التي على الفرات ونقل من كان بها من آل مهارش إلى الموصل ورتب فيها نوابه.

وفيها توفي الحسن بن محمد بن علي بن أبي الضوء الشريف أبو محمد الحسيني البغدادي نقيب مشهد موسى بن جعفر ببغداد.

كان إمامًا فاضلا فصيحًا شاعرًا إلا أنه كان على مذهب القوم متغاليًا في التشيع فشان سؤدده بذلك.

ومن شعره قوله في المرثية التي عملها في الشريف النقيب طاهر وأظنها من جملة أبيات: الخفيف قرباني إن لم يكن لكما عق - - ر إلى جنب قبره فاعقراني وانضحا من دمي عليه فقد كا - - ن عمي من نداه لو تعلمان قلت: لله دره! لقد أحسن وأبدع فيما قال.

وقد ساق ابن خلكان هذه الأبيات في ترجمة خالد الكاتب وساق له حكاية ظريفة وذكر الأبيات في ضمنها فلتنظر هناك.

وفيها توفي السلطان داود ابن السلطان محمود شاه ابن السلطان محمد شاه ابن السلطان ملكشاه ابن السلطان ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق ابن دقماق السلجوقي صاحب أذربيجان وغيرها الذي كسره السلطان مسعود وجرى له معه وقائع وحروب - تقدم ذكر بعضها - حتى استولى على تلك النواحي.

وكان سبب موته أنه ركب يومًا في سوق تبريز فوثب عليه قوم من الباطنية فقتلوه غيلة وقتلوا معه جماعة من خواصه ودفن بتبريز.

وكان ملكًا شجاعًا جوادًا عادلا في الرعية يباشر الحروب بنفسه.

وفيها توفي العلامة قاضي القضاة عبد المجيد بن إسماعيل بن محمد أبو سعيد الهروي الحنفي قاضي بلاد الروم.

كان إمامًا فقيهًا متبحرًا مصنفًا وله مصنفات كثيرة في الأصول والفروع وخطب ورسائل وأذب وأفتى ودرس سنين عديدة.

ومات بمدينة قيسارية في شهر رجب من السنة المذكورة.

ومن شعره: الكامل وإذا متت إلى الكريم خديعة فرأيته فيما تروم يسارع فاعلم بأنك لم تخادع جاهلا إن الكريم بفعله يتخادع وفيها توفي القان ملك الخطا والترك الملك كورخان وهو على كفره.

وأظنه هو الذي كسر سنجر شاه السلجوقي المقدم ذكره وقتل تلك الأمم.

والله أعلم.

وفيها توفي القاضي المنتخب أبو المعالي محمد بن يحيى بن علي القرشي قاضي قضاة دمشق وعالمها مات بها في شهر ربيع الأول وله تسع وتسعون سنة.

وفيها توفي صاحب المغرب أمير المسلمين أبو الحسن علي بن يوسف بن تاشفين المعروف بالملثم قاله الذهبي في تاريخ الإسلام.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي أبو عبد الله الحسين بن علي سبط أبي منصور الخياط.

وأبو الفتح عبد الله بن محمد بن محمد البيضاوي في جمادى الأولى.

وأبو طالب علي بن عبد الرحمن بن أبي عقيل الصوري بدمشق.

وكور خان سلطان الخطا وهو على كفره.

والخطيب أبو الفضل محمد بن عبد الله بن المهتدي بالله.

وأبو الفتح مفلح بن أحمد الرومي الوراق ببغداد.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ثلاث أذرع وست عشرة إصبعًا.

مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعًا سواء.

السنة الرابعة عشرة من خلافة الحافظ وهي سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة.

فيها توفي نقيب النقباء علي بن طراد بن محمد بن علي أبو القاسم الزينبي.

كان معظمًا في الدول.

ولاه الخليفة المستظهر بالله نقابة النقباء ولقبوه بالرضي ذي الفخرين.

وكان من بيت الرياسة والنقابة والفضل.

قلت: وكان ولي الوزارة فنقم عليه الخليفة المقتفي بالله وصادره بما فعله مع الخليفة الراشد من كتابة المحضر المقدم ذكره في سنة ثلاثين وخمسمائة.

وكان الزينبي هذا إمامًا فاضلا فقيهًا بارعًا في مذهب الإمام أبي حنيفة وكان جوادًا ممدحًا.

مدحه الحيص بيص بقصيدته التي أولها: الكامل وفيها توفي الشيخ الإمام العالم العلامة فريد عصره ووحيد دهره وإمام وقته أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الزمخشري.

الخوارزمي النحوي اللغوي الحنفي المتكلم المفسر صاحب الكشاف في التفسير والمفضل في النحو.

وكان يقال له جار الله لأنه جاور بمكة المشرفة زمانًا وقرأ بها على ابن وهاس الذي يقول فيه: الطويل ولولا ابن وهاس وسابق فضله رعيت هشيمًا واستقيت مصردا وزمخشر: قرية من قرى خوارزم ومولده بها في رجب سنة سبع وستين وأربعمائة.

وقدم بغداد وسمع الحديث وتفقه وبرع في فنون وصار إمام عصره في عدة علوم.

ومن شعره يرثي شيخه أبا مضر منصورًا: الطويل وقائلة ما هذه الدرر التي تساقط من عينيك سمطين فقلت لها الدر الذي كان قد حشا أبو مضر أذني تساقط من عيني أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمس أذرع سواء.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا وتسع أصابع.

السنة الخامسة عشرة من خلافة الحافظ فيها افتتح زنكي بن آق سنقر الرهاء من يد الفرنج مع أمور وحروب وردم سورها وكتب إلى النصارى أمانًا وأحسن للرعية وحفر بها أساسًا عميقا.

وأول صخرة ظهرت في هذا الأساس وجدوا مكتوبًا عليها سطرين بالسريانية فجاء شيخ يهودي فحلهما إلى العربية وهما: السريع أصبحت خلوًا من بني الأصفر أختال بالأعلام والمنبر فظهر الرحب على أنني لولا ابن سنقر لم أظهر وفيها توفي هبة الله بن الحسن الشيخ أبو القاسم المعروف بالبديع الأسطرلابي.

كان فريد وقته في عمل الأسطرلابات وآلات الفلك والطلسمات وكان مع ذلك أديبًا فاضلا.

ومن شعره وقد أرسل لبعض الرؤساء هدية: الكامل أهدي لمجلسك الشريف وإنما أهدي له ما حزت من نعمائه كالبحر يمطره السحاب وما له من عليه لأنه من مائه وفيها توفي صاحب المغرب وأمير المسلمين تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين المصمودي المغربي.

وتمكن بعده عبد المؤمن بن علي بعد أمور وقعت له مع تاشفين هذا وبعده.

وفيها توفي الشيخ الإمام أبوا لحسن شريح بن محمد بن شريح الرعيني المالكي الفقيه خطيب وفيها توفي المسند المعمر أبو الحسن علي بن هبة الله بن عبد السلام الكاتب الفقيه مسند الأندلس سمع الكثير ورحل البلاد وتفرد بأشياء عوال.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي أبو البدر إبراهيم بن محمد بن منصور الكرخي في شهر ربيع الأول.

وتاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين المصمودي أمير المسلمين وتمكن بعده عبد المؤمن وأبو منصور سعيد بن محمد بن الرزاز شيخ الشافعية ببغداد.

وأبو الحسن شريح بن محمد بن شريح الرعيبي خطيب إشبيلية.

ومسند الأندلس أبو الحسن علي بن هبة الله بن عبد السلام الكاتب.

وأبو البركات عمر بن إبراهيم بن محمد الزيدي العلوي النحوي الكوفي.

وفاطمة بنت محمد بن أبي سعد محمد البغدادي بأصبهان ولها أربع وتسعون سنة.

وأبو المعالي محمد بن إسماعيل الفارسي النيسابوري.

وأبو منصور محمد بن عبد الملك بن الحسن بن إبراهيم بن خيرون المقرئ في رجب.

وأبو المكارم المبارك بن علي.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ست أذرع وأربع عشرة إصبعًا.

مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعًا وأربع أصابع.

السنة السادسة عشرة من خلافة الحافظ عبد المجيد فيها توفي بهروز الخادم أبو الحسن مجاهد الدين خادم السلطان مسعود السلجوقي.

كان خادمًا أبيض ويلقب مجاهد الدين.

ولي إمرة العراق نيفًا وثلاثين سنة وله به مآثر.

منها أخذ كنيسة وبناها رباطًا على شاطئ دجلة وأوقف عليها أوقافًا وبها دفن.

وبهروز بكسر الباء الموحدة ثانية الحروف وهاء ساكنة وراء مهملة مضمومة وواو وزاي ساكنة ومعناه باللغة العجمية يوم جيد على التقديم والتأخير على عادة اللغة العجمية والتركية.

وفيها توفي موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر الجواليقي الشيخ أبو منصور إمام المقتفي العباسي.

سمع الحديث ببغداد وقرأ الأدب فأكثر وانتهى إليه علم اللغة ودرس النحو والعربية بالنظامية بعد أبي زكريا التبريزي.

فلما ولي المقتفي الخلافة اختصه وجعله إمامه فكان غزير العلم طويل الصمت متواضعًا مليح الخط.

مات في المحرم.

وفيها توفي الشيخ أبو بكرن تقي بتاء مثناة من فوق ثالثة الحروف الأندلسي القرطبي الفقيه الشاعر كان فاضلا شاعرًا فصيحًا.

ومن شعره: الطويل ومشمولة في الكأس تحسب أنها سماء عقيتي زينت بكواكب بنت كعبة الفذات في حرم الصبا فحج إليها اللهو من كل جانب الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي الحافظ أبو سعد أحمد بن محمد بن أبي سعد البغدادي ثم الأصبهاني في شهر ربيع الأول.

وأبو بكر عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن النيسابوري في جمادى الأولى.

وأبو منصور موهوب بن أحمد بن محمد الجواليقي النحوي اللغوي إمام المقتفي في المحرم.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربع أذرع وأربع عشرة إصبعًا.

مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعًا سواء.

السنة السابعة عشرة من خلافة الحافظ عبد المجيد وهي سنة إحدى وأربعين وخمسمائة.

فيها بنى حسام الدين بن أرتق جسر القرمان بأرض ميافارقين.

وفيها توفي الأمير جاولي صاحب أذربيجان.

كان شجاعًا شهمًا يخافه السلطان مسعود وغيره.

وسبب موته أنه افتصد وركب للصيد فعن له أرنب فرماه بسهم فانفجر فصاده فضعف ولم يقدر الطبيب على حبس الدم فمات.

وفيها توفي الملك أبو المظفر عماد الدين زنكي بن الأتابك آق سنقر.

كان أبوه يكنى بقسيم الدولة.

وكان أعني آق سنقر من خواص السلطان ملكشاه السلجوقي وولاه حلب وحمص وغيرهما.

ولما مات ملك بعده ابنه زنكي جميع هذه البلاد وزاد مملكته حتى ملك الشام من محمد بن بوري بن طغتكين بعد حروب.

ثم استولى زنكي هذا على الشام جميعه وأقام على ذلك سنين إلى أن توجه إلى قلعة جعبر فقاتل صاحبها شهاب الدين سالم بن مالك العقيلي ونصب عليها المجانيق حتى لم يبق إلا أخذها.

فلما كان ليلة الثلاثاء سابع عشر شهر ربيع الآخر اتفق ثلاثة من خدامه على قتله فذبحوه على فراشه وهربوا إلى القلعة وعرفوا من بها.

وكان مع زنكي أولاده الثلاثة: سيف الدين غازي ونور الدين محمود المعروف بالشهيد وقطب الدين مودود.

فملك بعده ابنه نور الدين محمود الشهيد وسار غازي إلى الموصل.

قلت: وبنو زنكي هؤلاء هم أوسط الدول فإن أول من ملك مع الخلفاء وتلقب بالسلطان والألقاب العظيمة بنو بويه ثم أنشأ بنو بويه بني سلجوق.

وأنشأ بنو سلجوق بني أرتق وآق سنقر جد بني زنكي هؤلاء.

ثم أنشأ بنو زنكي أعني الملك العادل نور الدين محمود الشهيد بني أيوب سلاطين مصر وغيرها.

ثم أنشأ بنو أيوب المماليك ودولة الترك.

وأول ملوكهم الملك المعز أيبك التركماني.

فانظر إلى أمر الدنيا وكيف كل طائفة نعمة طائفة ونشوءها إلى يومنا هذا.

انتهى.

وفيها توفي الأمير عباس شحنة مدينة الري.

كان أميرًا شجاعًا مقدامًا جوادًا يباشر الحروب بنفسه.

وفيها توفي عبد الرحيم بن المحسن بن عبد الباقي الشيخ أبو محمد التنوخي.

كان شاعرًا فصيحًا مات بميافارقين.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي أبو البركات إسماعيل بن أبي سعد أحمد بن محمد بن دوست الصوفي شيخ الشيوخ في جمادى الآخرة.

وأبو جعفر حسن بن علي البخاري الصوفي بهراة.

وعماد الدين زنكي الأتابك ابن قسيم الدولة آق سنقر قتله غلام له وهو محاصر قلعة جعبر.

وأبو الفتح محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن علي النيسابوري الخشاب آخر من حدث بأصبهان عن القشيري.

وأبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد بن السلال الوراق.

وأبو بكر وجيه بن طاهر الشحامي العدل في جمادى الآخرة.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ست أذرع وإصبعان.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا وعشرون إصبعًا.

السنة الثامنة عشرة من خلافة الحافظ وهي سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة.

فيها افتتح نور الدين محمود المعروف بالشهيد صاحب الشام حصن أرتاح وغيرها من يد وفيها استولى عبد المؤمن بن علي على مدينة مراكش من المغرب بالسيف وقتل من بها من المقاتلة ولم يتعرض للرعية وأحضر اليهود والنصارى وقال: إن الإمام المهدي أمرني ألا أقر الناس إلا على ملة واحدة وهي الإسلام وأنتم تزعمون أن بعد الخمسمائة عام يظهر من يعضد شريعتكم وقد انقضت المدة وأنا مخيركم بين ثلاث إما أن تسلموا وإما أن تلحقوا بدار الحرب وإما أن أضرب رقابكم.

فأسلم منهم طائفة ولحق بدار الحرب أخرى.

وأخرب عبد المؤمن الكنائس والبيع وردها مساجد وأبطل الجزية وفعل ذلك في جميع ولاياته.

وفيها قتل الوزير رضوان بن ولخشي أمير الجيوش وزير الحافظ صاحب الترجمة ومدبر ممالكه بديار مصر وغيرها.

كان استوزره الحافظ صاحب مصر المذكور.

فلما ولي الوزر استولى على مصر وحجر على الخليفة الحافظ وسلك في ذلك طريق الأفضل بن أمير الجيوش بدر الجمالي.

وزاد أمره حتى دس عليه الحافظ السودان فوثبوا عليه وقتلوه.

وفيها توفي الأستاذ هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة أبو السعادات العلوي النحوي ويعرف بابن الشجري.

انتهى إليه في زمانه علم النحو والعربية ببغداد وسمع الحديث وطال عمره وأقرأ وحدث.

الماء القديم خمس أذرع وثلاث أصابع.

مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعًا وثلاث عشرة إصبعًا.

السنة التاسعة عشرة من خلافة الحافظ عبد المجيد وهي سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة.

فيها أزال السلطان نور الدين محمود بن زنكي صاحب دمشق من حلب الأذان بحي على خير العمل وسب الصحابة بها وقال: من عاد إليه قتلته فلم يعد أحد.

رحمه الله تعالى.

وفيها ظهر بمصر رجل من ولد نزار ابن الخليفة المستنصر العبيدي يطلب الخلافة فاجتمع عليه خلق حتى جهز إليه الخليفة الحافظ صاحب الترجمة العساكر فالتقوا بالصعيد وقتل من الفريقين جماعة.

ثم انهزم النزاري الذي خرج وقتل ولده.

وفيها أغار نور الدين محمود صاحب دمشق المعروف بالشهيد المقدم ذكره على بلاد الفرنج وفتح عدة حصون - تقبل الله منه - وأسر وقتل وغنم.

وفيها حج بالناس من العراق الأمير قايماز.

وفيها توفي قاضي القضاة أبو القاسم علي بن الحسين بن محمد بن علي الزينبي البغدادي الحنفي.

ولد في نصف شهر ربيع الأول سنة سبع وأربعين وأربعمائة وسمع الحديث وتفقه وبرع في مذهبه.

ولاه الخليفة المسترشد قضاء القضاة وطالت مدته وحسنت سيرته وناب في الوزارة في بعض الأحيان.

وفيها توفي الفقيه أبو الحجاج يوسف بن دوباس الفندلاوي شيخ المالكية بدمشق استشهد بظاهر دمشق في حرب الفرنج ومحاصرتهم دمشق.

وكان إمامًا عالمًا دينًا بارعًا في فنون.

وفيها توفي الأستاذ أبو الدر ياقوت الرومي الكاتب مولى أبي المعالي أحمد بن علي بن البخاري التاجر بدمشق.

قلت: وتسمى بهذا الاسم جماعة كثيرة لهم ذكر فمنهم من يذكر هنا ومنهم من لا يذكر على حسب الاتفاق وهم ياقوت هذا المذكور.

وياقوت بن عبد الله الصقلبي أبو الحسن المعروف بالجمالي مولى الخليفة المسترشد بالله الفضل العباسي ووفاته سنة ثلاث وستين وخمسمائة.

وياقوت بن عبد الله أبو سعيد مولى أبي عبد الله عيسى بن هبة الله بن النقاش ووفاته سنة أربع وسبعين وخمسمائة.

وياقوت بن عبد الله الموصلي الكاتب أمين الدين المعروف بالملكي نسبته إلى أستاذه السلطان ملكشاه السلجوقي انتشر خطه في الآفاق توفي بالموصل سنة ثماني عشرة وستمائة.

وياقوت بن عبد الله الحموي الرومي شهاب الدين أبو الدر.

كان من خدام بعض التجار ببغداد يعرف بعسكر الحموي وهو صاحب التصانيف توفي سنة ست وعشرين وستمائة.

وياقوت بن عبد الله مهذب الدين الرومي مولى أبي منصور الجيلي التاجر إن غاض دمعك والأحباب قد بانوا فكل ما تدعي زور وبهتان توفي سنة اثنتين وعشرين وستمائة.

وياقوت بن عبد الله المستعصمي الرومي جمال الدين أبو المجد صاحب الخط البديع مولى الخليفة المستعصم بالله العباسي توفي سنة ثمان وتسعين وستمائة.

وياقوت الشيخي افتخار الدين الحبشي مقدم المماليك في دولة الأشراف شعبان بن حسين توفي سنة سبع وسبعين وسبعمائة.

وياقوت بن عبد الله الحبشي المعزي المسعودي المحدث الفاضل توفي سنة أربع وخمسين وستمائة.

وياقوت بن عبد الله الأرغون شاوي الحبشي مقدم المماليك للأشراف برسباي توفي سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة.

قلت: وهؤلاء الأعيان.

وأما غير الأعيان فكثير.

وقد استطردنا ذكرهم هنا جملة لئلا يلتبس أحد منهم على من ينظر في ترجمة أحدهم في محله.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم سبع أذرع وثماني أصابع.

مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعًا وثلاث عشرة إصبعًا.

السنة العشرون من خلافة الحافظ عبد المجيد مات في جمادى الآخرة حسب ما تقدم ذكره.

فيها واقع السلطان الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي بن آق سنقر المعروف بالشهيد صاحب دمشق الفرنج وكسرهم الكسرة المشهورة وقتل منهم ألفًا وخمسمائة وأسر مثلهم وعاد إلى حلب بالغنائم العظيمة والأسارى وبعث بعضها إلى أخيه مودود.

وفيها يقول ابن القيسراني الشاعر: السريع وكم له من وقعة يومها عند ملوك الشرك مشهود حتى إذا عادوا إلى مثلها قالت لهم هيبته عودوا مناقب لم تك موجودة إلا ونور الدين موجود وكيف لا نثني على عيشنا ال - - محمود والسلطان محمود وفيها افتتح نور الدين محمود أيضًا حصن فامية وكان على حماة وحمص منه ضرر عظيم.

وفيها توفي القاضي الإمام الأديب العلامة ناصح الدين أبو بكر أحمد بن محمد بن الحسين الأرجاني قاضي تستر.

قال ابن خلكان: والأرجاني: بفتح الهمزة وتشديد الراء والفتح والجيم وبعد الألف نون هذه نسبة إلى أرجان وهي من كور الأهواز من بلاد خوزستان.

انتهى.

وقال صاحب المرآة: كان إمام عصره فقيهًا أديبًا شاعرًا صاحب النظم الرائق.

وديوان شعره مشهور بأيدي الناس سمع الحديث وتفقه.

وكان بليغًا مفوهًا.

وهو القائل: الكامل قلت: ومن شعره - والبيت الثاني يقرأ معكوسًا: الوافر أحب المرء ظاهره جميل لصاحبه وباطنه سليم مودته تدوم لكل هول وهل كل مودته تدوم وفيها توفي الحافظ الناقد الحجة عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض بن محمد بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي أبو الفضل المعروف بالقاضي عياض أحد عظماء المالكية.

ولد بسبتة في منتصف شعبان سنة ست وتسعين وأربعمائة.

وأصله من الأندلس ثم انتقل أخير أجداده إلى مدينة فاس ثم من فاس إلى سبتة.

كان إمامًا حافظًا محدثًا فقيهًا متبحرًا صنف التصانيف المفيدة وانتشر اسمه في الآفاق وبعد صيته.

ومن مصنفاته كتاب الشفا في شرف المصطفى.

وكتاب ترتيب المدارك وتقريب المسالك في ذكر فقهاء مذهب مالك وكتاب العقيدة وكتاب شرح حديث أم زرع وكتاب جامع التاريخ وهو كتاب جليل وشيء كثير غير ذلك.

ومات بمراكش في جمادى الآخرة.

ومن شعره رحمه الله: السريع أنظر إلى الزرع وخاماته تحكي وقد هبت عليها الرياح كتيبة خضراء مهزومة شقائق النعمان فيها جراح وفيها توفي الملك غازي بن زنكي بن آق سنقر التركي أخو السلطان نور الدين محمود الشهيد الأتابك سيف الدين صاحب الموصل وهو أكبر أولاد زنكي.

مات في سلخ جمادى الآخرة وله أربع وخمسون سنة وأقام في الملك ثلاث سنين وشهورًا.

وكان شجاعًا جوادًا.

وهو أول من حمل السنجق على رأسه في الأتابكية ولم يحمله أحد قبله لأجل ملوك السلجوقية.

وفيها توفي الأمير معين الدين أنر مملوك الأتابك طغتكين.

كان مدبر دولة أولاد أستاذه الأتابك طغتكين وكان جليل القدر عالي الهمة.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي القاضي أبو بكر أحمد بن محمد بن الحسين الأرجاني الشاعر بتستر.

ومعين الدين أنر الطغتكي مدبر دولة أولاد أستاذه.

والحافظ لدين الله عبد المجيد بن محمد بن المستنصر العبيدي.

والقاضي عياض بن موسى بن عياض أبو الفضل اليحصبي السبتي بمراكش في جمادى الآخرة.

وصاحب الموصل سيف الدين غازي ابن الأتابك.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ست أذرع وأربع وعشرون إصبعًا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا وثماني عشرة إصبعًا.

الظافر بالله أبو منصور إسماعيل بن الحافظ لدين الله أبي الميمون عبد المجيد ابن الأمير محمد ابن الخليفة المستنصر معد بن الظاهر علي بن الحاكم منصور بن العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله معد التاسع من خلفاء مصر من بني عبيد والثاني عشر منهم ممن ولي من أجداده خلفاء المغرب.

بويع بالخلافة بعد موت أبيه الحافظ في جمادى الآخرة سنة أربع وأربعين وخمسمائة وهو ابن سبع عشرة سنة وأشهر لأن مولده في يوم الأحد منتصف شهر ربيع الآخر سنة سبع وعشرين وخمسمائة.

وأمه أم ولد تدعى ست الوفاء وقيل: ست المنى.

قال العلامة شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قز أوغلي سبط ابن الجوزي في تاريخه مرآة الزمان - بعد أن سماه يوسف والصواب ما قلناه أنه إسماعيل - قال: وكانت أيامه مضطربة لحداثة سنه واشتغاله باللهو وكان عباس الصنهاجي لما قتل ابن سلار وزر له واستولى عليه.

وكان له ولد اسمه نصر فأطمع نفسه في الأمر وأراد قتل أبيه ودس إليه سمًا ليقتله.

فعلم أبوه واحترز وأراد أن يقبض عليه فما قدر ومنعه مؤيد الدولة أسامة بن منقذ وقبح عليه ذلك وقال: إن فعلت هذا لم يبق لك أحد ويفر الناس عنك.

فشرع أبوه يلاطفه يعني الوزير عباس يلاطف ابنه نصرًا وقال له: عوض ما تقتلني اقتل الظافر.

وكان نصر ينادم الظافر ويعاشره وكان الظافر يثق به وينزل في الليل إلى داره متخفيًا.

فنزل ليلة إلى داره وكانت بالسيوفيين داخل القاهرة ومعه خادم له فشربا ونام الظافر فقام نصر فقتله ورمى به في بئر.

فلما أصبح عباس يعني الوزير أبا نصر المذكور جاء إلى باب القصر يطلب الظافر فقال له خادم القصر: ابنك يعرف أين هو ومن قتله.

فقال عباس: ما لابني فيه علم.

وأحضر أخوي الظافر وابن أخيه فقتلهم صبرًا بين يديه وأحضر أعيان الدولة وقال: إن الظافر ركب البارحة في مركب فانقلبت به فغرق.

ثم أخرج عيسى ولد الظافر.

فتفرقوا عن عباس وابنه وثار الجند والعبيد وأهل القاهرة وطلبوا بثأر الظافر من عباس وابنه نصر.

فأخذ عباس وابنه نصر ما قدرا عليه من المال والجواهر وهربا إلى الشام.

فبلغ الفرنج فخرجوا إليهما وقتلوا عباسًا وأسروا ابنه نصرًا وقتل نصر في السنة الآتية انتهى.

وقال القاضي شمس الذين أحمد بن خلكان: بويع يوم مات أبوه بوصية أبيه وكان أصغر أولاد أبيه سنًا.

كان كثير اللهو واللعب والتفرد بالجواري واستماع المغاني.

وكان يأنس بنصر بن عباس.

فاستدعاه إلى دار أبيه ليلًا سرًا بحيث لا يعلم به أحد وتلك الدار في المدرسة الحنفية السيوفية الآن فقتله بها وأخفى أمره.

قال: وقصته مشهورة وذلك في نصف المحرم سنة تسع وأربعين وخمسمائة.

وكان من أحسن الناس صورة.

والجامع الظافري الذي بالقاهرة داخل باب زويلة منسوب إليه وهو الذي عمره وأوقف عليه شيئًا كثيرًا.

انتهى كلام ابن خلكان.

قلت: والجامع الظافري هو المعروف الآن بجامع الفاكهانيين على الشارع الأعظم بالقرب من حارة الديلم.

وقال ابن القلانسي: إن الظافر إنما قتله أخواه يوسف وجبريل وابن عمهما صالح بن الحسن.

قلت: وهذا القول يؤيده قول ما نقله أبو المظفر من أن عباسًا قتل أخوي الظافر وابن عمه صبرًا أعني لما بلغه قتلهم للظافر قتلهم به غير أن جمهور المؤرخين اتفقوا على أن قاتل الظافر نصر بن عباس المقدم ذكره.

قال: وكان الظافر قد ركن إليهم يعني أخويه وابن عمه وأنس بهم في وقت مسراته فاتفقوا عليه واغتالوه وذلك في يوم الخميس سلخ صفر.

وحضر العادل عباس الوزير وابنه ناصر الدين وجماعة من الأمراء والمقدمين للسلام على الرسم.

فقيل لهم: إن أمير المؤمنين ملتاث الجسم.

فطلبوا الدخول إليه فمنعوا فألحوا في الدخول بسبب العيادة فلم يمكنوا.

فهجموا ودخلوا القصر وانكشف أمره فقتلوا الثلاثة وأقاموا ولده عيسى وهو ابن ثلاث سنين ولقبوه بالفائز بنصر الله وبايعوه وعباس الوزير إليه تدبير الأمور.

ثم ورد الخبر بأن طلائع بن رزيك فارس المسلمين قد امتعض من ذلك وجمع وحشد وقصد القاهرة وكان من أكابر الأمراء.

وعلم عباس أنه لا طاقة له به فجمع أمراءه وأسبابه وأهله وخرج من القاهرة.

فلما قرب من عسقلان وغزة خرج عليه جماعة من خيالة الفرنج فاغتر بكثرة من معه فلما حمل عليهم قتل أكثر أصحابه وانهزموا فانهزم هو وابنه الصغير وأسر ابنه الكبير الذي قتل ابن سلار مع ولمه وحرمه وماله وكراعه وصار الجميع للفرنج ومن هرب مات من الجوع والعطش.

ووصل طلائع بن رزيك إلى القاهرة فوضع السيف فيمن بقي من أصحاب عباس وجلس في منصب الوزارة.

انتهى كلام ابن القلانسي.

وما نقله غالبه مخالف لغيره من المؤرخين.

والله أعلم.

وقيل غير ذلك: إن خدام القصر كتبوا إلى طلائع بن رزيك وهو والي قوص وأسوان والصعيد يخبرونه بقتل الظافر ويستنجدونه على عباس وابنه نصر.

وكتب إليه فيمن كتب القاضي الجليس أبو المعالي عبد العزيز بن الحباب قصيدته الدالية التي أولها: الطويل دمعي عن نظم القريض غوادي وشف فؤادي شجوه المتمادي وأرق عيني والعيون هواجع هموم أقضت مضجعي ووسادي بمصرع أبناء الوصي وعترة الن - - بي وآل الذاريات وصاد فأين بنو رزيك عنهم ونصرهم وما لهم من منعة وذياد أولئك أنصار الهدى وبنو الردى وسم العدا من حاضرين وباد تدارك من الإيمان قبل دثوره حشاشة نفس آذنت بنفاد وقد كاد أن يطفي تألق نوره على الحق عاد من بقية عاد فلو عاينت عيناك بالقصر يومهم ومصرعهم لم تكتحل برقاد وهي طويلة كلها على هذا المنوال في معنى النجدة.

وقد نقلتها من خط عقد لا يقرأ إلا بجهد.

فلفا بلغ ذلك طلائع بن رزيك جمع ودخل القاهرة في تاسع شهر ربيع الأول وجلس في دست الوزارة وتلقب بالملك الصالح وهو صاحب الجامع خارج بابي زويلة وأخرج جسد الظافر من البئر التي كان رمي فيها بعد قتله وجعله في تابوت ومشى بين يديه حافيًا مكشوف الرأس وفعل الناس كذلك وكثر الضجيج والبكاء والعويل في ذلك اليوم.

وقال بعضهم وأوضح الأمر وقوله: إن الظافر كان قد أحب نصر بن عباس حبًا شديدًا وبقي لا يفارقه ليلًا ولا نهارًا.

فقدم مؤيد الدولة أسامة بن منقذ من الشام فقال لعباس الوزير يومًا: كيف تصبر على ما أسمع من قبيح القول! قال عباس: وما يقولون قال يقولون: إن الظافر بنى على ابنك نصر.

فغضب عباس من ذلك وأمر ابنه نصرًا فدعا الظافر لبيته فوثب عليه وقتله.

وساق نحوًا مما سقناه من قول أبي المظفر وابن خلكان.

وانتهى كلامه.

وقال صاحب كتاب المقلتين في أخبار الدولتين: ولما تم أمر الظافر ركب بزي الخلافة وعاد إلى وخبر ابني الأنصاري أنهما كانا من جملة الكتاب وتوصلا إلى الحافظ فاستخدمهما في ديوان الجيش قصدًا لتمييزهما وهما غير قانعين بذلك لما يعلمانه من إقبال الحافظ عليهما فوثبا على الساعة من رؤساء الدولة مثل الأجل الموفق أبي الحجاج يوسف كاتب دست الخليفة ومشورته ومن يليه مثل القاضي المرتضى المحنك والخطيري البواب فتجرا على المذكورين وغيرهم من الأمراء مع قلة دربة.

فتتبع القوم عوراتهم والخليفة الحافظ لا يزداد فيهما إلا رغبة.

ووقع لهما أمور.

قبيحة والقوم يبلغون الخليفة خبرهم شيئًا بعد شيء وهو لا يلتفت إلى قولهم.

ولا زال ابنا الأنصاري حتى صار الأكبر شريك الأجل الموفق في ديوان المكاتبات ولكن خصص الموفق بالإنشاء جميعه.

ولما تولى ابن الأنصاري نصف الديوان نعت بالقاضي الأجل سناء الملك بعد أن وصاه الخليفة الحافظ أن يقنع مع الموفق بالرتبة ويدع المباشرة ويخدم الموفق.

وصبر الأجل الموفق على ذلك مراعاة لخاطر الخليفة.

وأما ابن الأنصاري الصغير فإنه تجند فتأمر في يوم وخلع عليه بالطوق وما يلزم الأمرية وصار أمير طوائف الأجناد.

فقال الناس: هو الأمير الطاري ابن الأنصاري.

وبينما هم في ذلك مرض الخليفة الحافظ ومات وآلت الخلافة لولده الظافر هذا.

فنرجع لما كنا عليه من أمر الظافر مع ولدي الأنصاري المذكورين.

فركب الخليفة الظافر بعد العشاء الآخرة في الشمع بالقصر ووقف على باب الملك بالإيوان المجاور للشباك وأحضر ابني الأنصاري واستدعى متولي الستر وهو صاحب العذاب وأحضرت آلات العقوبة فضرب الأكبر بحضوره بالسياط إلى أن قارب الهلاك وثنى بأخيه كذلك وأمر بإخراجهما وقطع أيديهما وسل ألسنتهما من قفيهما وصلبا على بابي زويلة الأول والثاني زمانًا.

وأقام الظافر ابن مصال المغربي وزيرًا مدة شهرين.

فخرج عليه ابن سلار وكان واليًا على البحيرة والإسكندرية ولم يرض بوزارة ابن مصال المذكور وتابعة عباس وكان واليًا على الغربية وهو ولد زوجته.

فلما بلغ الوزير ابن مصال ذلك خرج إلى الصعيد لكونه لم يطق لقاء ابن سلار ومن معه على غير موافقة من الخليفة الظافر.

ودخل ابن سلار إلى القاهرة وزيرًا فما طابت به نفس الخليفة الظافر بالله فباشر الأمور مباشرة بجد.

وأقام الظافر خليفة إلى أوائل سنة تسع وأربعين وخمسمائة ولم يصف بين الخليفة والوزير عيش قط وجرت بينهما أمور وثبت عند ابن سلار كراهة الخليفة فيه فاحترز على نفسه منه وأقام كذلك أربع سنين وبعض الخامسة حتى قتله نصر بن عباس اغتيالًا في داره.

وذكر أن ذلك بموافقة الخليفة الظافر على ذلك لأن هذا نصرًا كان قد اختلط بالخليفة اختلاطًا دائمًا أدى إلى حسد أكثر أهل الدولة له على ذلك.

وخشي عباس على نفسه من ولده نصر المذكور لما تم منه في حق ابن سلار فرمى بينه وبين الخليفة بموهمات قبيحة حتى قتل نصر الخليفة أيضًا.

ودفنه في داره التي بالسيوفيين وقتل أستاذين معه.

ولما عدم الخليفة استخلف ولده وهو أبو القاسم عيسى ونعت بالفائز بنصر الله وكان عمره يومئذ خمس سنين.

أخرجه الوزير عباس من عند جدته أم أبيه الخليفة يوم قتل عميه يوسف وجبريل ابني الحافظ - وهما مظلومان - بتهمة أنهما قتلا أخاهما الخليفة الظافر حسدًا على الرتبة لينالاها بعده.

وليس الأمر كذلك بل عباس الوزير وولده نصر قتلاه.

فرآهما الخليفة هذا الصغير مقتولين فتفزع واضطرب وغشي عليه ولازمه ذلك وكثر به.

قلت: وقول هذا عندي في قتل الخليفة الظافر أثبت الأقاويل.

وبكلامه أيضًا يعرف جميع ما ذكرناه في أمره من أقوال المؤزخين فإنه ساق أمره على جليته من غير إدخال شيء معه وأما تفصيل أمر عباس الوزير وابنه نصر فإن عباسًا كان رجلًا من بني تميم ملوك الغرب ودخل عباس القاهرة فاجتمع بالخليفة فأكرمه وأنعم عليه بأشياء ثم خلع عليه بالوزارة على العادة ولقبه فباشر عباس الوزارة وخدم الأمور وأكرم الأمراء وأحسن إلى الأجناد لينسيهم العادل ابن سلار.

واستمر ابنه نصر على مخالطة الخليفة الظافر حتى اشتغل الظافر عن كل أحد بابن عباس المذكور وأبوه عباس يكره خلطته بالخليفة.

وانتهى الخليفة معه إلى أن يخرج من قصره لزيارة ابن عباس بداره التي بالسيوفيين بحيث لا يعلم عباس بذلك.

فلما علم استوحش من الخليفة لجرأة ابنه وتوهم أنه ربما يحمله الخليفة على قتله.

فقال عباس لابنه سرًا: قد أكثرت من ملازمة الخليفة حتى تحدث الناس في حقك معه بما أزعج باطني وربما يتناقل الناس ذلك ويصل إلى أعدائنا منه ما لا يزول ففهم ابنه نصر عنه وأخذته حدة الشباب فقال نصر لأبيه: أيرضيك قتله.

فقال أزل التهمة عنك كيف شئت.

فخرج الخليفة ليلة إلى نصر بن عباس على عادته فقتله بالجماعة الذين قتل بهم الوزير ابن سلار وقتل أيضًا أستاذين كانا مع الخليفة الظافر وطمرهم في بئر هناك.

وأصبح عباس فبايع عيسى بن الظافر ولقبه الفائز على ما يأتي ذكره في أول ترجمة الفائز.

ولما تم لعباس ما قصه من قتل الخليفة ولولية ولده الخلافة كثرت الأقاويل ووقع الناس على الخبر الصحيح بالحدس فاستوحش الناس قتل هؤلاء الأئمة.

وكان طلائع بن رزيك واليًا على الأشمونين والبهنسا فتحرك حاشدًا على عباس ولبس السواد وحمل شعور النساء حرم الخليفة على الرماح.

فتخلخل أمر عباس وتفرق الناس عنه وصار الناس تسمعه المكروه في الطرقات من كل فج حتى إنه رمي من طاق ببعض الشوارع وهو جائز بهاون نحاس وفي يوم آخر بقدر مملوءة ماء حارًا فقال العباس: ما بقي بعد هذا شيء.

فصار يدبر كيف يخرج وأين يسلك.

فأشار عليه بعض أصحابه بتحريق القاهرة قبل خروجه منها فلم يفعل وقال: يكفي ما جرى.

فلما قرب طلائع بن رزيك إلى القاهرة خرج عباس وابنه ومعهما كل ما يملكانه طالبًا للشرق.

فحال الفرنج بينه وبين طريقه فقاتل حتى قتل وأسر ولده نصر وفاز الفرنج بما كان معه وذلك في شهر ربيع الأول سنة تسع وأربعين وخمسمائة.

وأما ولده نصر فنذكر أمره وقتله في أول ترجمة الفائز بأوسع من هذا إن شاء الله تعالى.

وكانت قتلة الخليفة الظافر هذا في سلخ المحرم سنة تسع وأربعين وخمسمائة على قول من رجح ذلك وله اثنتان وعشرون سنة وكانت خلافته أربع سنين وسبعة أشهر وسبعة أيام.

وتولى الخلافة بعده ولده الفائز عيسى.

ونذكر إن شاء الله أمر قتله أيضًا في ترجمة الفائز بأوسع من هذا هناك.

السنة الأولى من خلافة الظافر بالله أبي منصور إسماعيل على مصر

وهي سنة خمس وأربعين وخمسمائة.

فيها مطرت اليمن مطرًا دمًا وبقي أثره في الأرض وفي ثياب الناس.

وفيها في المحرم نزل الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي صاحب الشام على دمشق وحاصرها فراسله صاحبها مجير الدين وخرج إليه هو والرئيس ابن الصوفي وبذلا له الطاعة وأن يخطب له مجير الدين بعد الخليفة والسلطان وأن ينقش اسمه على الدينار والدرهم فرضي نور الدين وخلع عليه ورحل عنه.

وعاد وافتتح قلعة أعزاز.

وفيها أختلف وزير مصر ابن مصال المغربي والعادل ابن سلار وجمعا العساكر واقتتلا فقتل الوزير ابن مصال واستقل ابن سلار بالوزر والملك , وقد ذكرنا نحو ذلك في ترجمة الظافر هذا.

وفيها توفي أبو المفاخر الحسن بن ذي النون الواعظ بن أبي القاسم.

كان فاضلًا صالحًا إمامًا فقيهًا حنفي المذهب كان يعيد الدرس خمسين مرة.

ومن شعره: البسيط مات الكرام ومروا وانقضوا ومضوا ومات بعدهم تلك الكرامات وخلفوني في قوم ذوي سفه لو أبصروا طيف ضيف في الكرى ماتوا وفيها توفي الأمير أبو الحسن علي بن دبيس صاحب الحلة.

كان شجاعًا جوادًا إلا أنه كان على عادة أهل الحلة رافضيًا خبيثًا.

وفيها توفي قتيلًا الوزير علي بن سلار وزير الظافر صاحب الترجمة بديار مصر.

كان يلقب بالملك العادل.

وتولى الوزر بعده عباس أبو نصر الذي قتل الظافر حسب ما ذكرنا ذلك كله وفيها ملكت الفرنج عسقلان بالأمان بعد أن قتل من الفريقين خلق كثير وكان قد تماى القتال بينهم في كل سنة إلى أن سلموها.

وأخذ الفرنج جميع ما كان فيها من الذخائر وغيرها.

وفيها توفي أحمد بن منير بن أحمد الأديب أبو الحسين الطرابلسي الشاعر المشهور المعروف بالرفاء.

ولد سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة بطرابلس.

وكان بارعًا في اللغة والعربية والأدب إلا أنه خبيث اللسان كثير الفحش.

حبسه الملك تاج الملوك بوري صاحب دمشق وعزم على قطع لسانه فاستوهبه منه الحاجب يوسف بن فيروز فوهبه له فنفاه.

وكان هجا خلائق كثيرة وكان بينه وبين ابن القيسراني مهاجاة وكان رافضيًا.

وكانت وفاته بحلب في جمادى الآخرة.

ومن شعره: الطويل جنى وتجنى والفؤاد يطيعه فلا ذاق من يجنى عليه كما يجني فإن لم يكن عندي كعيني ومسمعي فلا نظرت عيني ولا سمعت أذني وفيها توفي الأمير تمرتاش بن نجم الدين إيلغازي الأرتقي صاحب ماردين وديار بكر.

كان شجاعًا جوادًا عادلًا محبًا للعلماء والفضلاء يبحث معهم في فنون العلوم.

وكان لا يرى القتل ولا الحبس.

ومات في ذي القعدة وكانت مدته نيفًا وثلاثين سنة.

وقام بعده ابنه.

وفيها توفي حيدرة بن الصوفي الذي كان أقامه مجير الدين صاحب دمشق مقام أخيه ثم وقع منه سعي بالفساد فاستدعاه مجير الدين إلى القلعة على حين غفلة فضرب عنقه لسوء سيرته وقبح أفعاله.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي أبو بكر محمد بن أبي حامد بن عبد العزيز بن علي الدينوري البيع ببغداد.

والمبارك بن أحمد بن بركة الكنمي الحبار.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ست أذرع وأربع وعشرون إصبعًا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا وثلاث عشرة إصبعًا.

السنة الثانية من خلافة الظافر وهي سنة ست وأربعين وخمسمائة.

فيها دخل السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه السلجوقي إلى بغداد وخرج الوزير ابن هبيرة وأرباب الدولة إلى لقائه فأكرمهم.

وفيها عاد الملك العادل نور الدين محمود إلى حصار دمشق ووقع له مع مجير الدين صاحب دمشق أمور حتى استنجد مجير الدين بالفرنج فرحل عنها نور الدين ثم نازلها وتراسلا على يد الفقيه برهان الدين البلخي وأسد الدين شيركوه الكردي وأخيه نجم الدين أيوب ثم تحالف نور الدين مع مجير الدين على أمر ورحل عنه.

وفيها توفي الأمير علي بن مرشد ابن علي بن المقلد بن نصر بن منقذ عز الدين.

ولد بشيزر.

وكان فاضلًا أديبًا حسن الخط مات بعسقلان شهيدًا.

وكان أكبر أخوته وبعده أسامة.

ومن شعره: الكامل قد قلت للمنثور إن الورد قد وافى على الأزهار وهو أمير فافتر ثغر الأقحوان مسرة لقدومه وتلون المنثور وفيها توفي الفامي الحافظ أبو نصر عبد الرحمن بن عبد الجبار الهروي العجمي.

كان إمامًا عالمًا فاضلًا رحل وسمع الحديث وتفقه وبرع في علوم شتى.

مات في هذه السنة في قول الذهبي.

وفيها توفي الأمير نوشتكين بن عبد الله الرضواني السلجوقي ببغداد.

كان أميرًا معظمًا في الدول وله مواقف ووقائع.

وفيها توفي القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي الأندلسي المالكي.

كان إمام وقته مفتنًا في علوم كثيرة وولي القضاء مدة طويلة وكان مشكور السيرة عدلًا في حكمه.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي أبو نصر عبد الرحمن بن عبد الجبار الهروي الفامي الحافظ.

والقاضي أبو بكر محمد بن عبد الله الأندلسي.

والأمير نوشتكين الرضواني ببغداد.

وأبو الوليد يوسف بن عبد العزيز بن الدباغ اللخمي الأندلسي.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ست أذرع وإصبعان.

مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعًا وأربع أصابع.

السنة الثالثة من خلافة الظافر أبي منصور على مصر وهي سنة سبع وأربعين وخمسمائة.

فيها توفي محمد بن نصر أبو عبد الله العكاوي ويقال له ابن صغير القيسراني الشاعر المشهور.

ولد بعكا ونشأ بقيسارية الساحل ثم انتقل إلى حلب وإلى دمشق.

فبلغ تاج الملوك بوري بن طغتكين أنه هجاه فتنكر له فهرب إلى حلب ومدح نور الدين محمود بن زنكي صاحبها.

وله ديوان شعر مشهور ومات بدمشق.

ومن شعره في مغن وأجاد إلى الغاية: البسيط والله لو أنصف الفتيان أنفسهم أعطوك ما ادخروا منها وما صانوا وفيها توفي السلطان مسعود ابن السلطان محمد شاه ابن السلطان ملكشاه ابن السلطان ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقماق السلجوقي.

كان ملكًا جليلًا شجاعًا طالت أيامه.

قال أبو المظفر: لم ير أحد ما رأى من الملوك والسلاطين حتى مرض على همذان بأمراض حارة وعسرت مداواته.

ومات في سلخ جمادى الآخرة.

وأقيم بعده في الملك ابن أخيه ملكشاه بن محمود بن محمد شاه بن ملكشاه فأقام ملكشاه المذكور خمسة أشهر ثم وقع له أمور وخلع.

قلت: يكون ملكشاه هذا ثاني ملك من بني سلجوق سمي بملكشاه وفيها توفي الشيخ الإمام الواعظ المظفر بن أردشير أبو منصور العبادي الواعظ.

سمع الحديث الكثير وقدم بغداد ووعظ بجامع القصر والنظامية وحصل له قبول زائد.

وكان فصيحًا بليغًا.

وترسل بين الخليفة والملوك وعظم أمره.

وفيها توفي القاضي أبو الفضل محمد بن عمر بن يوسف الأرموي الشافعي.

كان إمامًا عالمًا فقيهًا مفتنًا في عدة فنون وولي القضاء زمانًا وحمدت سيرته.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي أبو عبد الله محمد ابن الحسن بن محمد بن سعيد الداني المقرئ ابن غلام الفرس.

وأبو الفضل محمد بن عمر بن يوسف الأرموي القاضي الشافعي.

وأبو نصر محمد بن منصور ابن عبد الرحيم النيسابوري الحرضي في شوال وله أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ست أذرع وسبع أصابع.

مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعًا وأربع أصابع.

السنة الرابعة من خلافة الظافر أبي منصور على مصر وهي سنة ثمان وأربعين وخمسمائة.

فيها انحل أمر بني سلجوق باستيلاء الترك على السلطان سنجر شاه السلجوقي.

وسببه أنه لما التقى مع خاقان ملك الترك وخوارزم شاه قبل تاريخه وانهزم منهم تلك الهزيمة القبيحة التي قتل فيها خلائق من العلماء والفقهاء وغيرهم وعاد خاقان إلى بلاده ثم صالح سنجر شاه خوارزم شاه وبقي في قلب سنجر شاه ما جرى عليه.

فلما حسن أمره تجهز للقاء الترك ثانيًا بعد أمور صدرت بينهم والتقى معهم فانكسر ثانيًا واستولوا عليه وجعلوه في قفص حديد فبقي فيه مدة وهو يخدم نفسه وليس معه أحد.

واقتص الله منه للخليفة المسترشد وابنه الراشد ما كان فعله معهما حسب ما تقدم ذكره.

وامتحن بأشياء إلى أن مات على ما يأتي ذكره إن شاء الله.

وفيها توفي القاضي محفوظ بن أبي محمد الحسن بن صصرى أبو البركات ويعرف بالقاضي الكبير.

كان إمامًا عالمًا مشهورًا بالخير والعفاف.

ومات بدمشق في ذي الحجة وقد بلغ ثمانين سنة.

وفيها توفي الشيخ الزاهد المسلك أبو العباس أحمد بن أبي غالب بن الطلاية الصوفي العارف في شهر رمضان.

وفيها توفي الحافظ أبو الفرج عبد الخالق بن أحمد بن عبد القادر اليوسفي.

كان إمامًا حافظًا محدثًا سمع الكثير ورحل وكتب وصنف.

ومات في المحرم وله أربع وثمانون سنة.

وفيها توفي الأفضل أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني الإمام العالم المتكلم.

كان إمام عصره في علم الكلام عالمًا بفنون كثيرة من العلوم وبه تخرج جماعة كثيرة من العلماء.

وفيها توفي شيخ الصوفية في زمانه أبو الفتح محمد بن عبد الرحمن بن محمد المروزي الكشميهني.

كان إمامًا مسلكًا عارفًا بطريق القوم إمام عصره في علم التصوف وغيره وللناس فيه محبة واعتقاد حسن.

وفيها توفي الشيخ الإمام أب وسعد محيي الدين محمد بن يحيى النيسابوري الشافعي تلميذ أبي أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمس أذرع وخمس عشرة إصبعًا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا وست أصابع.

خلافة الفائز بنصر الله على مصر هو أبو القاسم عيسى ابن الخليفة الظافر بأمر الله أبي منصور إسماعيل ابن الخليفة الحافظ أبي الميمون عبد المجيد بن محمد - ومحمد هذا ليس بخليفة - ابن الخليفة المستنصر بالله معد ابن الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله علي ابن الخليفة الحاكم بأمر الله منصور ابن الخليفة العزيز بالله نزار ابن الخليفة المعز لدين الله معد أول خلفاء مصر ابن الخليفة المنصور إسماعيل ابن الخليفة القائم بأمر الله محمد ابن الخليفة المهدي عبيد الله العبيدي الفاطمي المغربي الأصل المصري العاشر من خلفاء مصر من بني عبيد والثالث عشر من أصلهم المهدي أحد خلفاء بني عبيد بالمغرب.

وأم الفائز هذا أم ولد يقال لها زين الكمال.

قال أبو المظفر بن قز أوغلي في تاريخه مرآة الزمان: مولده في المحرم سنة أربع وأربعين وخمسمائة وتوفي وهو ابن إحدى عشرة سنة وشهور.

وزاد ابن خلكان بأن قال: لتسع بقين من المحرم.

قال: وكانت أيامه ست سنين وستة أشهر وسبعة عشر يومًا.

وبين وفاته ووفاة المقتفي يعني خليفة بغداد العباسي.

أربعة أشهر وأيام.

قلت: وقوله وبين وفاته ووفاة المقتفي أربعة أشهر وأيام لا يعرف بذلك من السابق منهما بالوفاة.

وأنا أقول: أما السابق فهو الخليفة المقتفي الآتي ذكره إن شاء الله فإن وفاة المقتفي في شهر ربيع الأول ووفاة الفائز هذا صاحب الترجمة في شهر رجب.

قال صاحب المرآة: وقام بعده أبو محمد عبد الله بن يوسف بن الحافظ.

ولم يكن أبوه خليفة وأمه يعني عبد الله أم ولد تدعى ست المنى ولقب بالعاضد.

انتهى كلام صاحب المرآة.

وقال صاحب كتاب المقلتين في أخبار الدولتين: ولما أصبح الوزير عباس يعني صبيحة قتل الخليفة الظافر بأمر الله ركب إلى القصر ودخل إلى مقطع الوزارة من غير استدعاء فأطال جلوسه ولم يجلس الخليفة له فاستدعى عباس زمام القصر وقال له: إن كان لمولانا ما يشغله عنا في هذا اليوم عدنا إليه في الغد.

فمضى الأستاذ وهو حائر فيما يعمل وقد فقد الخليفة.

فدخل إلى أخوي الخليفة يوسف وجبريل وهما رجلان أحدهما مكتهل فأخبرهما بالقصة وما كان عندهما من خروج أخيهما البارحة إلى دار نصر بن عباس خبر ولا اطلعا عليه إلا في تلك الساعة فما شكا في قتل أخيهما الخليفة الظافر وقالا للزمام: إن اعتذرت اليوم هل يتم لك هذا مع الزمان فقال الزمام: ما تأمراني به قالا: تصدقه وتحققه.

وكان للخليفة ولد عمره خمس سنين اسمه عيسى.

فعاد الزمام إلى عباس وقال له: ثم سر أقوله إليك بحضور الأمراء والأستاذين.

فقال عباس: ما ثم إلا الجهر.

قال: إن الخليفة خرج البارحة لزيارة ولدك نصر فلم يعد بغير العادة.

فقال عباس: تكذب يا عبد السوء! إنما أنت مبايع أخويه يوسف وجبريل اللذين حسداه على الخلافة فاغتالاه واتفقتم على هذا القول.

فقال الزمام: معاذ الله! قال عباس: فأين هما.

فخرجا إليه ومعهما ابن أخ لهما اسمه صالح بن حسن الذي قتل والده الخليفة الحافظ بالسم.

وقد تقدم ذكر قتله في ترجمة أبيه الحافظ عبد المجيد.

قال: فلما حضروا قال لهم عباس الوزير: أين الخليفة فقالوا: حيث يعلم ابنك ناصر الدين.

قال لا.

قالوا: بلى! وهذا بهتان منك لأن بيعة أخينا في أعناقنا وهؤلاء الأمراء الحاضرون يعلمون ذلك وإنا في طاعته بوصية والدنا وأقاما الحجة عليه.

فكذبهما وأمر غلمانه بقتل الثلاثة في دارهم.

ثم قال للزمام: أين ابن مولانا قال حاضر.

فقال عباس: قدامي إلى مكانه.

فدخل الوزير عباس بنفسه إليه وكان عند جدته لأمه فحمله على كتفه وأخرجه للناس قبل رفع المقتولين وبايع له بالخلافة ولقبه بالفائز بنصر الله.

فرأى الصبي القتلى فتفزع واضطرب ودام مدة خلافته لا يطيب له عيش من تلك الرجفة.

وثم أمر الفائز في الخلافة ووزر له عباس المذكور إلى أن وقع له مع طلائع بن رزيك ما سنذكره من أقوال جماعة من المؤرخين.

وقد ذكرنا منه أيضًا نبذة فيما مضى ولكن اختلاف النقود فيها فوائد.

وقال الحافظ أبو عبد الله الذهبي في تاريخ الإسلام - بعد أن ساق نسب الفائز هذا حتى قال -: بويع بالقاهرة حين قتل والده الظافر وله خمس سنين وقيل: بل سنتان فحمله الوزير عباس على كتفه ووقف في صحن الدار به مظهرًا الحزن والكآبة وأمر أن يدخل الأمراء فدخلوا فقال لهم: هذا ولد مولاكم وقد قتل عماه مولاكم وقد قتلتهما كما ترون به وأشار إلى القتلى والواجب إخلاص الطاعة لهذا الولد الطفل.

فقالوا كلهم: سمعنا وأطعنا وضخوا ضجة واحدة بذلك.

ففزع الطفل يعني الفائز ومال على كتف عباس من الفزع.

وسموه الفائز ثم سيروه إلى أمه وقد اختل عقله من تلك الضجة فيما قيل فصار يتحرك في بعض الأوقات ويصرع - قلت: على كل قول كان الفائز قد اختل عقله -.

قاله: ولم يبق على يد عباس الوزير يد ودانت له الممالك.

وأما أهل القصر فإنهم اطلعوا على باطن القصة فأخفوا في إعمال الحيلة في قتل عباس وابنه فكاتبوا طلائع بن رزيك الأرمني والي منية بني خصيب.

ثم ساق الذهبي قصة طلائع مع الوزير عباس.

وقال ابن الأثير: اتفق أن أسامة بن منقذ قدم مصر فاتصل بعباس الوزير وحسن له قتل زوج أمه العادل بن سلار فقتله وولاه الظافر الوزارة من بعده فاستبد بالأمر وتم له ذلك.

وعلم الأمراء والأجناد أن ذلك من فعل ابن منقذ فعزموا على قتله.

فخلا بعباس وقال له: كيف تصبر على ما أسمع من قبيح قول الناس إن الظافر يفعل بابنك نصر - وكان من أجمل الناس وكان ملازمًا للظافر - فانزعج لذلك وقال: كيف الحيلة قال: اقتله فيذهب عنك العار.

فاتفق مع ابنه على قتله.

وقيل: إن الظافر أقطع نصر بن عباس قرية قليوب كلها فدخل وقال: أقطعني مولانا قليوب.

فقال ابن منقذ: ما هي في مهرك بكثير.

فجرى ما ذكرناه وهربوا وقصدوا الشام على ناحية أيلة في شهر ربيع الأول سنة تسع وأربعين.

وملك الصالح طلائع بن رزيك ديار مصر من غير قتال وأتى إلى دار عباس المعروفة بدار الوزير المأمون بن البطائحي التي هي اليوم المدرسة السيوفية الحنفية فاستحضر الخادم الصغير الذي كان مع الظافر لما نزل سرًا وسأله عن الموضع الذي دفن فيه فعرفه به.

فقلع البلاطة التي كانت على الظافر ومن معه من المقتولين وحملوا وقطعت عليهم الشعور وناحوا عليهم بمصر ومشى الأمراء قدام الجنازة إلى تربة آبائه.

فتكفل الصالح طلائع بن رزيك بالصغير يعني الفائز هذا ودبر أحواله.

وأما عباس ومن معه فإن أخت الظافر كاتبت الفرنج الذين بعسقلان الذين استولوا عليها من مديدة يسيرة وشرطت لهم مالًا جزيلًا إذا خرجوا عليه وأخفوه فخرجوا عليه فواقعهم فقتل عباس وأخذت الفرنج أمواله وهرب ابن منقذ في طائفة إلى الشام وأرسلت الفرنج نصر بن عباس إلى مصر في قفص حديد.

فلما وصل تسلم رسولهم المال وذلك في شهر ربيع الأول سنة خمسين وخمسمائة ثم خلعت أخت الظافر يد نصر وضرب ضربًا مهلكًا وقرض جسمه بالمقاريض ثم صلب على باب زويلة حيًا ثم مات وبقي مصلوبًا إلى يوم عاشوراء سنة إحدى وخمسين ثم أنزل وأحرقت عظامه.

وقيل: إن الصالح طلائع بن رزيك بعث إلى الفرنج بطلب نصر بن عباس وبذل إليهم أموالًا.

فلما وصل سلمه الملك الصالح إلى نساء الظافر فأقمن يضربنه بالقباقيب والزرابيل أيامًا وقطعن لحمه وأطعمنه إياه إلى أن مات ثم صلب.

وتكفل الصالح طلائع بن رزيك أمر الصبي أعني الفائز وساس الأمور وتلقب بالملك الصالح وسار في الناس أحسن سيرة وفخم أمره وكان طلائع أديبًا كاتبًا.

ولما ولي الوزر وتلقب بالملك الصالح خلع عليه مثل الأفضل بن أمير الجيوش بدر الجمالي من الطيلسان المقور وأنشئ له السجل فتناهى فيه كتاب الإنشاء.

فمما قيل فيه: واختصك أمير المؤمنين بطيلسان غدًا للسيف توأمًا ليكون كل ما أسند إليك من أمور الدولة معلمًا.

ولم يسمع بذلك إلا ما أكرم به الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين أمير الجيوش أبا النجم بحرًا وولده أبا القاسم شاهنشاه وأنت أيها السيد الأجل الملك الصالح.

وأين سعيهما من سعيك ورعيهما الذمام من رعيك لأنك كشفت الغمة وانتصرت للأئمة وبيضت غياهب الظلمة وشفيت قلوب الأمة.

وأشياء غير ذلك.

وعظم أمر الصالح طلائع إلى أن وقع له ما سنذكره.

كل ذلك والفائز ليس له من الخلافة إلا مجرد الاسم فقط وذلك لصغر سنه.

ولما استفحل أمر الصالح طلائع أخذ في جمع المال فإنه كان شرهًا حريصًا على التحصيل.

وكان مائلًا إلى مذهب الإمامية أعني أنه كان متغاليًا في الرفض فمال على المستخدمين في الأموال وأخذ يعمل على الأمراء المقدمين في الدولة مثل ناصر الدولة ياقوت وكان صاحب الباب وناب عن الحافظ في مرضة مرضها مدة ثلاثة أشهر وطلب أن يوزره فأبى ياقوت المذكور.

ومثل الأوحد بن تميم فإنه كان من أعيان الأمراء.

ولما سمع بقصة عباس من قتله الظافر وكان واليًا على دمياط وتنيس تحرك لطلب دم الظافر وقصد القاهرة فسبقه طلائع بن رزيك بيوم واحد فخاب قصده فرده طلائع بن رزيك إلى ولايته وأضاف إليه الدقهلية والمرتاحية.

وبقي تاج الملوك قايماز بالقاهرة وهو من كبار الأمراء وابن غالب لاحق به فحمل الأجناد عليهما يطلبونهما فخرجا في جماعتهما فتكاثر عليهما الأجناد فقتلا ونهبت دورهما بأطماع الصالح طلائع بن رزيك في ذلك.

ثم إن طلائع ما اتسع له قرب الأوحد بن تميم بدمياط فقلده أسيوط وإخميم.

وكان ناصر الدولة بقوص من وزارة عباس وكان ابن رزيك لما استدعي لأخذ الثأر وهو بالاشمونين لم يجسر على الحركة إلا بعد مكاتبة ناصر الدولة بذلك واستدعاه ابن رزيك ليكون الأمر له.

فكاتبه ناصر الدولة بإزهاده في ذلك وأنه سئل به وتركه في أيام الحافظ عن قدرة واعتقد أنه لا يفلح لأنه لم يتحقق ما كان من عباس.

فعند ذلك خلت القاهرة لطلائع بن رزيك من مماثل.

وأظهر مذهب الإمامية وباع الولايات للأمراء وجعل لها أسعارًا ومدتها ستة أشهر فتضرر الناس من تردد الولاة عليهم في كل ستة أشهر.

وضايق القصر طمعًا في صغر سن الخليفة فتعب الناس معه.

وجعل له مجلسًا في أكثر الليالي يحضره أهل الأدب ونظم هو شعرًا ودونه وصار الناس يهرعون إلى نقل شعره وربما أصلحه له شاعر كان يصحبه يقال له ابن الزبير.

ومما نسب إليه من الشعر قوله: الكامل كم ذا يرينا الدهر من أحداثه عبرًا وفينا الصد والإعراض ننسى الممات وليس نجري ذكره فينا فتذكرنا به الأمراض وله من قصيدة: الوافر مشيبك قد رمى صبغ الشباب وحل الباز في وكر الغراب فكيف بقاء عمرك وهو كنز وقد أنفقت منه بلا حساب فلما ثقلت وطأته على القصر وكان الخليفة الفائز في

تدبير عمته شرعت في قتل طلائع بن رزيك المذكور وفرقت في ذلك ما لا يقرب من خمسين ألف دينار.

فعلم ابن رزيك بذلك فأوقع بها وقتلها بالأستاذين والصقالبة سرًا والخليفة في واد آخر من الاضطراب.

ثم نقل ابن رزيك كفالة الفائز إلى عمته الصغرى وطيب قلبها وراسلها.

فما حماه ذلك منها بل رتبت قتله.

وسعى لها في ذلك أصحاب أختها المقتولة فرتبت قومًا من السودان الأقوياء في باب السرداب في الدهليز المظلم الذي يدخل منه إلى القاعة وقوم آخر في خزانة هناك وفيهم واحد من الأجناد يقال له ابن الراعي.

فدخل يوم خمسة من شهر رمضان سنة ست وخمسين وخمسمائة فلما انفصل من السلام على الخليفة وكان صاحب الباب في ذلك اليويم أميرًا يقال له ابن قوام الدولة وكان إماميًا فيقال: إنه أخلى الدهليز من الناس حتى لم يبق فيه أحد وإنه استوقفه أستاذ يقال له عنبر الربعي بحديث طويل.

وتقدم طلائع بن رزيك ومعه ولده رزيك فأرادت الجماعة المخبأة أن تخرج فوجدوا الباب مغلقًا وخافوا من خلعه التشغيب فخرجت عليه الجماعة الأخرى فضربوا رزيك بن الصالح طلائع ضربة أوقعت عضده الأيمن وجرح أبوه الصالح طلائع بن رزيك من ابن الراعي المذكور.

وقيل: إن طلائع كان متخومًا فاستفرغ بالدم فأكب على وجهه وأخذ منديله من على رأسه فعاد إليه رجل يقال له ابن الزبد فألبسه المنديل وخرج به محمولًا على الدابة لا يفيق.

فقيل: إنه كان يقول إذا أفاق: رحمك الله يا عباس يعني بذلك عباسًا الوزير الذي قتل الخليفة الظافر.

وكان الفائز قد مات وتولى الخلافة العاضد وهو أيضًا تحت حجر طلائع المذكور.

فمات طلائع سحرًا.

وكان طلائع قد ولى شاور قوص وندم على ولايته فأراد استعادته من الطريق فسبقه شاور حتى حصل بها وطلب منه كل شهر أربعمائة دينار وقال: لا بد لقوص من وال وأنا ذلك والله لا أدخل القاهرة ومتى صرفني دخلت النوبة.

ولما مات الصالح طلائع بن رزيك وطاب ولده رزيك طلبت عمة الفائز رزيك وأحضرت له الذي ضربه في عضده الأيمن وأحضرت أيضًا سيف الدين حسين ابن أخي طلائع وحلفت لهما أنها لم تدر بما جرى على أبيه الصالح وأن فاعل ذلك أصحاب أختها المقتولة وخلعت على رزيك بالوزارة عوضًا عن أبيه طلائع بن رزيك وفسحت له في أخذ من ارتاب به في قتل أبيه.

فأخذ ابن قوام الدولة فقتله وولده والأستاذ الذي شغله.

وأقام رزيك المذكور في الوزارة سنة وكسرًا فما رأى الناس أحسن من أيامه وسامح الناس بما عليهم من الأموال البواقي الثابتة في الدواوين ولم يسبق إلى ذلك.

ودام في الوزارة حتى قيل: اصرف شاور من قوص يتم الأمر لك.

فأشار عليه سيف الدين حسين بإبقائه فقال رزيك: ما لي طمع فيما آخذه منه ولكن أريده يطأ بساطي.

فقيل له: ما يدخل أبدًا فما قبل.

وخلع على أمير يقال له ابن الرفعة بولاية قوص عوضًا عن شاور فخرج شاور من قوص في جماعة قليلة إلى الواحات.

وأما رزيك الوزير فإنه رأى منامًا أخبر به ابن عمه سيف الدين حسين فقال له حسين: إن بمصر رجلا يقال له ابن الإيتاخي حاذقًا في التعبير فأحضره رزيك وقال له: رأيت كأن القمر قد أحاط به حنش وكأنني رواس في حانوت.

فغالطه المعبر في التفسير وظهر ذلك لسيف الدين حسين فأمسك إلى أن خرج المعبر فقال له: ما أعجبني كلامك والله لا بد أن تصدقني ولا بأس عليك.

فقال: يا مولاي القمر عندنا هو الوزير كما أن الشمس خليفة والحنش المستدير عليه هو جيش مصحف وكونه رواسًا اقلبها تجدها شاور مصحفًا أيضًا.

فقال له حسين: اكتم هذا عن الناس.

واهتم حسين في أمره ووطأ له التوجه إلى مدينة النبي عليه السلام وكان أحسن إلى المقيمين بها وحمل إليها مالا وأودعه عند من يثق به.

وصار أمر شاور يزداد ويقوى حتى قرب من القاهرة وصاح الصائح في بني رزيك وكانوا أكثر من ثلاثة آلاف فارس.

فأول من نجا بنفسه حسين.

فلما بلغ رزيك توجه حسين انقطع قلبه وأخذ أمواله على البغال وخرج في خاصته إلى إطفيح فأخذه مقدم إطفيح بعد أمور وكل من معه وأتى بهم إلى شاور في الحديد فاعتقله شاور وأخاه جلال الإسلام فطلب رزيك من بعض غلمان أبيه مبردًا فبرد قيده فعلم أخوه جلال الإسلام فأعلم شاور بذلك فقتل شاور رزيك وأبقى على أخيه جلال الإسلام لهذه النصيحة.

واستمر شاور في الوزر أشهرًا حتى وقع له مع الضرغام أحد أمراء بني رزيك ما وقع واستنجد عليه بتوجهه إلى دمشق إلى نور الدين محمود بن زنكي فأرسل معه نور الدين أسد الدين شيركوه بن شافي.

وشاور هو صاحب القصة مع أسد الدين شيركوه وابن أخيه السلطان صلاح الدين.

يأتي ذكر ذلك في ترجمة العاضد مفصلا إن شاء الله.

وكانت وفاة الفائز صاحب الترجمة في شهر رجب سنة خمس وخمسين وهو ابن عشر سنين أو نحوها.

وبايعوا العاضد لدين الله أبا محمد عبد الله بن يوسف ابن الحافظ عبد المجيد بن محمد بن المستنصر ابن عم الفائز هذا.

وأجلسه الملك الصالح طلائع بن رزيك على سرير الخلافة.

وأزوجه ابنته.

ثم بعد ذلك استعمل طلائع شاور على بلاد الصعيد.

وهو شاور البدري الذي استولى على ديار مصر في خلافة العاضد آخر خلفاء بني عبيد على ما سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى.

وكلاهما ليس له في الخلافة إلا مجرد الاسم فقط.

وهي سنة تسع وأربعين وخمسمائة.

فيها حنقت الترك على سنجر شاه السلجوقي وتركوه في قيد من حديد في خيمة ووكل به جماعة وأجروا عليه ما لا يجرى على الكفرة وكاد يموت خوفًا وصار يبكي ليلا ونهارًا على نفسه ويتمنى الموت.

وفيها ملك نور الدين محمود بن زنكي بن آق سنقر المعروف بالشهيد دمشق من الأمير مجير الدين.

وساعده في ذلك بعض أهل دمشق على مجير الدين المذكور لزيادة ظلمه ومصادراته الناس فلما تحرك نور الدين لطلب دمشق وافقه أهلها لما في نفوسهم من مجير الدين.

وفيها توفي المظفر بن علي بن محمد بن محمد بن جهير الوزير أبو نصر ابن الوزير فخر الدولة وجده كان أيضًا وزيرًا.

وهو من بيت وزارة وفضل وزر للمقتفي سبع سنين وعزل عن الوزارء في سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة وكان الخليفة المقتفي نقله من الاستادارية إلى الوزر.

وكانت وفاته في ذي الحجة.

وكان فاضلا نبيلا سمع الحديث وحج وتصدق.

وفيها توفي محمد بن أحمد بن إبراهيم العلامة أبو بكر البغدادي الحنفي.

كان فقيهًا عالمًا نحويًا.

مات في ذي القعدة.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي الظافر بالله إسماعيل ابن الحافظ العبيدي اغتاله عباس في المحرم وله اثنتان وعشرون سنة وأجلس مكانه ولده الفائز طفلا.

وأبو البركات عبد الله بن محمد بن الفضل الفراوي مات جوعًا في ذي القعدة في كائنة الغز.

وأبو منصور عبد الخالق بن زاهر بن طاهر الشحامي هلك في شوال بنيسابور.

وأبو سعد محمد بن جامع الصيرفي خياط الصوف توفي في شهر ربيع الآخر.

وأبو العشائر محمد بن فارس القيسي بدمشق في ذي الحجة.

والحافظ أبو المعمر المبارك بن أحمد الأنصاري الأزجي في رمضان.

والوزير أبو نصر المظفر بن علي ابن الوزير فخر الدولة بن جهير وزر للمقتفي سبع سنين ومات في ذي الحجة.

وأبو المحاسن نصر بن المظفر البرمكي بهمذان.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ست أذرع وسبع أصابع.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا وعشرون إصبعًا.

السنة الثانية من خلافة الفائز بنصر الله

وهي سنة خمسين وخمسمائة.

فيها دخلت الترك نيسابور بعد أن كان بينهم وبين أهلها قتال عظيم ونهبوا وسبوا وقتلوا بها نحوًا من ثلاثين ألف نسمة منهم محمد بن يحيى شيخ الشافعية وكان الملك سنجر شاه السلجوقي معهم في الأسر وعليه اسم السلطنة وهو مقيد معتقل على أقبح وجه يخدم نفسه ويجلس وحده في أضيق مكان.

وفيها توفي محمد بن ناصر بن محمد بن علي بن عمر السلامي الدار الفارسي الأصل.

سمع الحديث ورحل إلى البلاد وكان حافظا متقنًا عالمًا بالأسانيد والمتون ضابطًا ثقة من أهل السنة.

ومات في شعبان.

وأنشد لغيره: البسيط دع المقادير تجري في أعنتها واصبر فليس لها صبر على حال ما بين رقدة عين وانتباهتها يقلب الدهر من حال إلى حال وفيها توفي هبة الله بن علي أبو محمد بن عرام كان فاضلا شاعرًا.

ومن شعره في ذم إنسان: مخلع البسيط جميع أقواله دعاوي وكل أفعاله مساوي ما زال في فئه غريبًا ليس له في الورى مساوي وفيها توفي محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن إبراهيم أبو بكر القيسي المغربي المالكي مات بفاس في ذي القعدة.

وكان فقيهًا أديبًا مترسلا شاعرًا.

ومن شعره: الخفيف ورسول يأتي بوعد حبيب وحبيب يأتي بلا ميعاد قلت: وقد تغالى الناس في رسول الحبيب وقالوا فيه أحسن الأقوال.

فمن ذلك قول بهاء الدين زهير من أول قصيدته: الطويل رسول الرضا أهلا وسهلا ومرحبا حديثك ما أحلاه عندي وأطيبا وأحسن ما سمعت في هذا المعنى قول صفي الدين الحلي: مجزوء الكامل من كنت أنت رسوله كان الجواب قبوله هو طلعة الشمس الذي جاء الصباح دليله وفي المعنى للسراج الوراق: الكامل إن كانت العشاق من أشواقهم جعلوا النسيم إلى الحبيب رسولا فأنا الذي أتلو لهم: يا ليتني كنت اتخذت مع الرسول سبيلا ومما يقارب هذا المعنى ما أنشدني الحافظ شهاب الدين بن حجر لنفسه إجازة إن لم يكن سماعًا: الطويل أتى من أحبابي رسول فقال لي ترفق وهن واخضع تفز برضانا فكم عاشق قاسى الهوان بحبنا فصار عزيزًا حين ذاق هوانا الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي أبو العباس أحمد ابن معد التجيبي الأقليشي.

وأبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن العصائدي النيسابوري.

وأبو القاسم سعيد بن أحمد بن الحسن ابن عبد الله بن أحمد بن البناء في ذي الحجة.

وأبو الفتح محمد بن علي بن هبة الله بن عبد السلام الكاتب.

والحافظ أبو الفضل محمد بن ناصر بن محمد بن علي السلامي في شعبان وله ثلاث وثمانون سنة.

وأبو الكرم المبارك بن الحسن الشهرزوري المقرئ في ذي الحجة.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمس أذرع وتسع عشرة إصبعًا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا وسبع عشرة إصبعًا.

السنة الثالثة من خلافة الفائز بنصر الله وهي سنة إحدى وخمسين وخمسمائة.

فيها خلع الخليفة المقتفي بالله على سليمان شاه بن محمد شاه بن ملكشاه السلجوقي بعد عمه سنجر شاه خلعة السلطنة: التاج والطوق والسوار والمركب الذهب واستحلفه الخليفة أن يكون العراق للخليفة ولا يكون لسليمان شاه المذكور إلا ما يفتحه بسيفه من غير العراق وخطب له على منابر العراق بالسلطنة وتم أمره إلى ما سيأتي ذكره.

وفيها خلص السلطان سنجر شاه من أسر الترك بحيلة وهرب إلى قلعة ترمذ بعد أن أقام عندهم أربع سنين في الذل والهوان حتى ضرب بحاله عندهم الأمثال.

وفيها توفي عبد القاهر بن عبد الله بن الحسين أبو الفرج المعروف بالوأواء الشاعر المشهور.

كان أصله من بزاعة ونشأ بحلب وبزاعة بضم الباء الموحدة وفتح الزاي وبعد الألف عين مهملة مفتوحة وهاء وهي قرية من أعمال حلب وتأدب بحلب وبرع في الأدب وقول الشعر وشرح ديوان المتنبي.

ومما ينسب إليه من الخمريات - وقيل هما لغيره - قوله: الوافر مجرة جدول وسماء آس وأنجم نرجس وشموس ورد ورعد مثلث وسحاب كأس وبرق مدامة وضباب ند قلت: ويعجبني في هذا المعنى قول يزيد بن معاوية: الكامل ومدامة حمراء في قارورة زرقاء تحملها يد بيضاء فالراح شمس والحباب كواكب والكف قطب والإناء سماء وما أظرف قول ديك الجن عبد السلام بن رغبان: الوافر عجبت لعاصريها كيف ماتوا وقد صنعوا لنا

ماء الحياة ومما قيل في هذا المعنى - دوبيت -: يا ساقي خصني بما تهواه لا تمزج أقداحي رعاك الله دعها صرفًا فإنني أمزجها إذ أشربها بذكر من أهواه وفيها توفي علي بن الحسين الشيخ الإمام الواعظ أبو الحسن الغزنوي الملقب بالبرهان.

قدم بغداد وسمع الحديث ووعظ وكان فصيحًا مفوهًا.

كان السلطان مسعود السلجوقي يزوره.

ولما أقام ببغداد أمرت الخاتون زوجة الخليفة المستظهر أن يبنى له رباط ووقفت عليه قرية اشترتها من الخليفة المسترشد.

وانتفع الناس بجاهه وماله.

وكان له أدب ونظم.

فمن شعره قوله: السريع كم حسرة لي في الحشا من ولد إذا نشا وكم أردت رشده فما نشا كما نشا وله في غير هذا المعنى وأجاد: السريع يحسدني قومي على صنعتي لأنني في صنعتي فارس سهرت في ليلي واستنعسوا هل يستوي الساهر والناعس وفيها توفي السلطان مسعود بن محمد ملك الروم.

وتولى ممالك الروم بعده ابنه قليج أرسلان بن وفيها توفي الشيخ أبو العز بن أبي الدنيا القرشي الصوفي البصري.

كان أبوه محتسب البصرة وكان شاعرًا مجيدًا أعني أباه.

ومن شعره: الرجز ما بال قلبي زائدًا غرامه ودمع عيني هاطلا غمامه وذلك الجمر الذي خلفتم على الحشا لا ينطفي ضرامه الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي أبو القاسم إسماعيل بن علي النيسابوري ثم الأصبهاني الحمامي الصوفي في صفر وقد شارف المائة.

وأبو القاسم الحسين بن الحسن بن البن الأسدي بدمشق في ربيع الآخر.

وأبو الحسن علي بن أحمد بن محمويه اليزدي الشافعي المصري.

وأبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سلامة الكرخي في شوال.

والشيخ أبو البيان نبا بن محمد بن محفوظ القرشي ابن الحوراني الدمشقي اللغوي الشافعي الزاهد القدوة.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ست أذرع وتسع عشرة إصبعًا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا وثماني أصابع.

السنة الرابعة من خلافة الفائز بنصر الله وهي سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة.

فيها جمع الملك محمد شاه بن محمود شاه بن محمد شاه بن ملك شاه السلجوقي التركمان والأكراد وسار حتى قارب بغداد وبعث إلى الخليفة المقتفي يطلب منه الخطبة والسلطنة فقيل له: السلطان هو سنجر شاه بن ملكشاه عم أبيك وأنتم مختلفون.

فلم يلتفت محمد شاه حتى قدم بغداد وحصرها ووقع له بها أمور وطال الأمر بينهم إلى أن رحل منها إلى جهة همذان.

وفيها كانت زلازل عظيمة بالشام وحلب وحماة وشيزر وغالب بلاد الشام والشرق وهلك خلق كثير حكي أن معلمًا كان بحماة في كتاب فقام من المكتب يقضي حاجة ثم عاد وقد رقع المكتب على الصبيان فماتوا بأسرهم.

والعجب أنه لم يأت أحد يسأل عن صبي منهم بل جميع آبائهم ماتوا أيضًا تحت الهدم في دورهم.

ووقعت أبراج قلعة حلب وغيرها وهلك جميع من كان في شيزر إلا امرأة واحدة وخادمًا.

وساخت قلعة فامية وانشق تل حران نصفين وظهر فيه بيوت وعمائر قديمة.

وانشق في اللاذقية موضع ظهر فيه صنم قائم في الماء وخربت صيداء وبيروت وطرابلس وعكا وصور وجميع قلاع الفرنج.

وعمل شعراء ذلك العصر في هذه الزلزلة أشعارًا كثيرة.

وفيها ملك الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي بن آق سنقر المعروف بالشهيد حصن شيزر وزال ملك بني منقذ عنها بعد أن ملكوها سنين كثيرة.

وفيها توفي أحمد بن عمر الشيخ الإمام العلامة أبو الليث السمرقندي الحنفي.

كان إمامًا فقيهًا حسن الهيئة كثير الصمت غزير العلم واسع الحفظ.

حج وعاد إلى بغداد وصنف التصانيف المفيدة النافعة وتفقه به جماعة كبيرة.

ولما خرج من بغداد خرج الناس لوداعه فلما ودعهم أنشد: مخلع البسيط يا عالم الغيب والشهاده إن بتوحيدك الشهاده أسأل في غربتي وكربي منك وفاة على الشهاده وخرج في قافلة فلما ساروا قطع قوم الطريق على القافلة المذكورة وقتلوا منهم جماعة كبيرة من العلماء فيهم صاحب الترجمة فقتل الجميع شهداء.

وفيها توفي أحمد بن المبارك بن محمد بن عبد الله.

ولد سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة.

كان أديبًا شاعرًا فاضلا.

ومن شعره: دوبيت ساروا وأقام في فؤادي الكمد لم ينق كما لقيت منهم أحد شوق وجوى ونار وجد تقد ما لي جلد ضعفت ما لي جلد وفيها توفي السلطان سنجر شاه ابن السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقماق السلطان أبو الحارث - وقيل: اسمه أحمد.

وسمي بسنجر لأنه ولد بسنجار في شهر رجب سنة تسع وسبعين وأربعمائة حين توجه أبوه إلى غزو الروم - ونشأ ببلاد الخوز وسكن خراسان واستوطن مدينة مرو.

وكان دخل بغداد مع أخيه محمد شاه على الخليفة المستظهر.

قال سنجر شاه: فلما وقفنا بين يدي الخليفة المذكور ظن أني أنا السلطان فافتتح كلامه معي فخدمت وقلت: يا مولانا أمير المؤمنين السلطان هو أخي وأشرت إلى أخي محمد شاه ففوض إليه السلطنة وجعلني ولي عهده.

قلت: ولما مات محمد شاه خوطب سنجر شاه هذا بالسلطنة وكان قبلها في ملك ضخم نحوًا من عشرين سنة وخطب له على عامة منابر الإسلام وأسره الترك أربع سنين حسب ما ذكرناه في وقته.

ثم خلص وكاد ملكه أن يرجع إليه فأدركته المنية فمات في يوم الاثنين رابع عشر شهر ربيع الأول.

ودفن بمرو في قبة بناها بها.

وكان روى الحديث وعنده فضيلة.

وأصابه صمم في آخر عمره.

واستقر الملك بعده لابن أخيه أبي القاسم محمود بن محمد شاه بن ملكشاه السلجوقي.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي السلطان معز الدين أبو الحارث سنجر بن ملكشاه السلجوقي في شهر ربيع الأول وبقي في الملك نحوًا من خمسين سنة.

وأبو صابر عبد الصبور بن عبد السلام الهروي.

وأبو عمرو عثمان بن علي البيكندي الزاهد ببخارى.

وأبو حفص عمر بن عبد الله الحربي المقرئ.

وأبو بكر محمد بن عبيد بن نصر بن الزاغوني.

وشيخ الشافعية أبو الحسن محمد بن المبارك بن الخل.

وأبو القاسم نصر بن نصر العكبري الواعظ في ذي الحجة.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ست أذرع وإحدى وعشرون إصبعًا.

مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعًا وإحدى عشرة إصبعًا.

السنة الخامسة من خلافة الفائز بنصر الله وهي سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة.

فيها اتفق السلطان محمد شاه السلجوقي مع أخيه ملكشاه وأمده بعساكر فسار إلى خوزستان وفتحها.

وفيها توفي عبد الأول بن عيسى بن شعيب بن إبراهيم أبو الوقت الهروي المنشأ السجزي الأصل.

ومولده في سنة ثمان وخمسين وأربعمائة.

وحمله أبوه من هراة إلى بوشنج على عنقه فسمع صحيح البخاري وقدم بغداد وطال عمره وحدث وسمع منه خلائق وألحق الصغار بالكبار.

وكان كثير التعبد والتهجد.

ومات ببغداد ودفن بالشونيزية عن نيف وتسعين سنة.

وفيها توفي يحيى بن سلامة بن الحسين بن محمد الشيخ أبو الفضل الحصكفي.

ولد بطنزة مدينة صغيرة بديار بكر ونشأ بحصن كيفا وانتقل إلى ميافارقين.

وكان إمامًا في كل فن وله أدب وترسل وشعر.

ومن شعره: البسيط والله ولو كانت الدنيا بأجمعها تبقي علينا ويأتي رزقها رغدا ما كان من حق حر أن يذل لها فكيف وهي متاع يضمحل غدا قلت: وهذا الشعر تكلم به الحصكفي المذكور عن خاطري.

وكثيرًا ما كنت ألهج بهذا المعنى نثرًا قبل أن أقف على هذين البيتين فطابقا ما كان يخطر ببالي فلله دره.

ومن شعره أيضًا قوله: البسيط على ذوي الحب آيات مترجمة تبين من أجله عن كل مشتبه عرف يلوح وآثار تلوح وأس - - رار تبوح وأحشاء تنوح به الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي أبو الوقت عبد الأول بن عيسى السجزي الصوفي في ذي القعدة وله ست وتسعون سنة.

وأبو مسعود عبد الجليل بن محمد كوتاه الحافظ بأصبهان في شعبان.

وعلي بن عساكر بن سرور المقدسي الكيال بدمشق في شوال عن ست وتسعين سنة.

والعلامة أبو حفص عمر بن أحمد بن منصور النيسابوري الصفار أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم سبع أذرع سواء.

مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعًا وعشر أصابع.

السنة السادسة من خلافة الفائز بنصر الله وهي سنة أربع وخمسين وخمسمائة.

فيها غرقت بغداد وصارت تلالا لا يعرف أحد موضع داره.

وفيها توفي عبد الواحد بن حميد بن مفرج الدمشقي.

كان أديبًا شاعرًا فصيحًا.

ومن شعره قوله من أول قصيدة: الرمل ظالمي في الحب أضحى حكمي كيف لا يأثم في سفك دمي كم كتمت الحب عن عاذلتي حذر البين فلم ينكتم وفيها توفي السلطان محمد شاه بن محمود شاه ابن محمد شاه بن ملكشاه بن ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن دقماق بن سلجوق أبو نصر السلجوقي.

قد تقدم نبذة كبيرة من ذكره في الحوادث.

ولما حاصر بغداد كان مريضًا وبلغه موت عمه سنجر شاه فزاد به المرض إلى أن مات على باب همذان في ذي الحجة.

واختلف الأمراء بعد موته فمنهم من مال إلى أخيه ملكشاه ومنهم من مال إلى سليمان شاه ومنهم من مال إلى أرسلان شاه ثم اتفقوا على سليمان شاه.

وكان محبوسًا بالموصل فجهزه زين الدين صاحب الموصل بإشارة الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي المعروف بالشهيد فأجلسوه على سرير الملك بهمذان.

وكان قصدهم أن يأكلوا به البلاد لأنه كان مشغولا باللهو إلا أنه كان فاضلا جوادًا مشفقًا أمينًا.

وأما محمد شاه صاحب الترجمة فإنه كان شابًا وعنده شجاعة وإقدام وكرم.

وفيها توفي محمد بن أبي عقامة أبو عبد الله قاضي زبيد.

كان حاكمًا على اليمن ولما تغلب ابن مهدي على اليمن قتله وقتل ولده وكانا فاضلين.

ومن شعر محمد هذا من أول قصيدة قوله: البسيط للوجد عنكم روايات وأخبار وللعلا نحوكم حاج وأوطار وحيث كنتم فثغر الروض مبتسم وأين سرتم فدمع العين مدرار لله قوم إذا حلوا بمنزلة حل الندى ويسير الجود إن ساروا تشتاقكم كل أرض تنزلون بها كأنكم لبقاع الأرض أمطار الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي أبو القاسم أحمد بن المبارك بن عبد الباقي الذهبي القطان.

وأبو جعفر أحمد بن محمد بن عبد العزيز العباسي المكي النقيب في شعبان.

وأبو زيد جعفر بن زيد بن جامع الحموي صاحب الرسالة.

وأبو علي الحسن بن جعفر ابن عبد الصمد بن المتوكل.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم سبع أذرع وثماني عشرة إصبعًا.

مبلغ الزيادة خمس عشرة ذراعًا وإصبع واحدة.

السنة السابعة من خلافة الفائز بنصر الله وهي سنة خمس وخمسين وخمسمائة.

على أن الفائز مات فيها في شهر رجب وحكم في باقيها العاضد بالله عبد الله.

فيها في يوم الجمعة سلخ صفر أرجف ببغداد بموت الخليفة المقتفي بالله العباسي فلما كان ثاني شهر ربيع الأول تحقق الناس موته ودعي الناس إلى بيعة ولي العهد المستنجد بالله أبي المظفر يوسف بن محمد المقتفي وتم ذلك وبويع بالخلافة.

وفيها توفي الحسن بن علي بن عبد الله بن أبي جرادة أبو علي ثقة الملك الحلبي الحنفي.

نشأ بحلب ثم سافر إلى مصر فتقدم عند وزيرها الملك الصالح طلائع بن رزيك وكان طلائع المذكور يحترمه لفضله وبيته.

ومات بمصر في هذه السنة - وقيل: في سنة إحدى وخمسين يا صاحبي أطيلا في مؤانستي وذكراني بخلاني وعشاقي وحدثاني حديث الخيف إن به روحًا لروحي وتسهيلا لآماقي وفيها توفي حمزة بن أسد بن علي بن محمد أبو يعلى التميمي العميد الدمشقي ويعرف بابن القلانسي.

كان فاضلا أديبًا مترسلا جمع تاريخ دمشق وسماه النيل وذكر في أوله طرفًا من أخبار المصريين وبعض حوادث السنين.

وقد نقلنا عنه نبذة في هذا الكتاب.

وكانت وفاته بدمشق في يوم الجمعة سابع شهر ربيع الأول ودفن يوم السبت بقاسيون.

ومن شعره: الكامل إياك تقنط عند كل شديدة فشدائد الأيام سوف تهون وانظر أوائل كل أمر حادث أبدًا فما هو كائن سيكون وفيها توفي الأمير قايماز الأرجواني أمير الحاج.

حج غير مرة بالناس.

وكان شجاعًا عادلا رفيقًا بالحاج محسنًا إليهم.

دخل ميدان دار الخلافة يلعب بالكرة فسقط من الفرس فمات فحزن الخليفة عليه والناس ثم أمر الخليفة أمراء الدولة أن يمشوا في جنازته.

وكان حج بالناس مدة سنين.

وفيها توفي الخليفة المقتفي بالله أمير المؤمنين أبو عبد الله محمد ابن الخليفة المستظهر بالله أحمد ابن المقتدي بالله عبد الله ابن الأمير محمد ابن الخليفة القائم بأمر الله عبد الله ابن القادر بالله أحمد ابن الأمير إسحاق ابن الخليفة المقتدر بالله جعفر ابن المعتضد بالله أحمد ابن الأمير الموفق طلحة ابن الخليفة المتوكل على الله جعفر ابن المعتصم محمد بن الرشيد هارون بن المهدي محمد بن أبي جعفر المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس الهاشمي العباسي البغدادي.

بويع بالخلافة بعد قتل ابن أخيه الراشد بالله في شهر رمضان سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة.

ومولده في سنة تسع وثمانين وأربعمائة.

وأمه أم ولد تدعى بغية النفوس - وقيل: نسيم - ومات في يوم الأحد ثاني شهر ربيع الأول ودفن بداره بعد أن صلي عليه بالمسجد.

وكانت خلافته أربعًا وعشرين سنة وثلاثة أشهر وواحدًا وعشرين يومًا.

وولي الخلافة من بعده ابنه المستنجد يوسف.

وكان إمامًا عالمًا أديبًا شجاعًا حليمًا دمث الأخلاق كامل السودد خليقًا بالخلافة قليل المثل في الأئمة.

رحمه الله تعالى.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي العميد أبو يعلى حمزة بن أسد التميمي ابن القلانسي رئيس دمشق في عشر التسعين.

وأبو يعلى حمزة بن علي بن هبة الله بن الحبوبي الثعلبي البزاز في جمادى الأولى.

وصاحب غزنة خسرو شاه بن مسعود السبكتكيني.

والفائز عيسى بن الظافر بن الحافظ العبيدي أقاموه في الخلافة بمصر وله خمس سنين أو دونها وكان يصرع فمات في رجب وبايعوا العاضد.

وتوفي المقتفي لأمر الله أمير المؤمنين محمد ابن المستظهر بالله ابن المقتدي في شهر ربيع الأول وله ست وستون سنة وكانت دولته خمسًا وعشرين سنة وأمه حبشية.

وأبو المظفر محمد بن أحمد بن التريكي الهاشمي.

وأبو الفتوح محمد بن محمد بن علي الطائي الهمذاني.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمس أذرع وعشر أصابع.

مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعًا وعشر أصابع.

خلافة العاضد بالله على مصر الخليفة أبو محمد عبد الله العاضد بالله ابن الأمير يوسف ابن الخليفة الحافظ بالله عبد المجيد ابن الأمير محمد ابن الخليفة المستنصر بالله معد ابن الظاهر بالله علي بن الحاكم بأمر الله منصور بن العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله معد بن المنصور إسماعيل ابن القائم بالله محمد بن المهدي عبيد الله الفاطمي العبيدي المغربي الأصل المصري الحادي عشر من خلفاء بني عبيد بمصر والرابع عشر بالثلاثة الذين ولوا بالمغرب: المهدي والقائم والمنصور.

ولد سنة أربع وأربعين وخمسمائة وقيل سنة أربعين.

وقال قاضي القضاة شمس الدين أحمد بن خلكان - رحمه الله -: ولد يوم الثلاثاء لعشر بقين من المحرم سنة سبع وأربعين وخمسمائة وبويع في رجب بعد موت ابن عمه الفائز بنصر الله سنة خمس وخمسين وخمسمائة وهو ابن إحدى عشرة سنة وشهور.

وكان أبوه يوسف أحد الأخوين اللذين قتلهما عباس الوزير بعد قتل الظافر.

انتهى.

وقال أبو المظفر بن قز أوغلي في تاريخه: وتوفي يعني العاضد يوم عاشوراء وعمره ثلاث وعشرون سنة فكانت أيامه إحدى عشرة سنة.

واختلفوا في سبب وفاته على أقوال.

أحدها أنه تفكر قي أموره فرآها في إدبار فأصابه ذرب عظيم فمات منه.

والثاني أنه لما خطب لبني العباس بلغه فاغتم ومات وقيل: إن أهله أخذوا عنه ذلك وقالوا: إن سلم فهو يعلم وإن مات فلا ينبغي أن ننغض عليه هذه الأيام التي بقيت من عمره.

والثالث أنه لما أيقن بزوال دولته كان في يده خاتم له فص مسموم فمصه فمات منه.

وجلس صلاح الدين في عزائه ومشى في جنازته وتولى غسله وتكفينه ودفنه عند أهله.

واستولى السلطان صلاح الدين على ما في القصر من الأموال والذخائر والتحف والجواهر والعبيد والخدم والخيل والمتاع وغيره.

وكان في القصر من الجواهر النفيسة ما لم يكن عند خليفة ولا ملك مما كان قد جمع في طول السنين.

فمنه: القضيب الزمرد وطوله قبضة ونصف والجبل الياقوت الأحمر والمرة اليتيمية مثل بيض الحمام والياقوتة الحمراء وتسمى الحافر وزنتها أربعة عشر مثقالا.

ومن الكتب المنتخبة بالخطوط النفيسة مائة ألف مجلد.

ووجد عمامة القائم وطيلسانه كان البساسيري بعث بهما إلى المستنصر يعني لما استولى البساسيري على بغداد وأسر الخليفة القائم العباسي وخطب ببغداد للمستنصر من بني عبيد ثم بعث بعمامة القائم وطيلسانه فأخذوهما خلفاء مصر فاحتفظوا عليهما نوعًا من النكاية في بني العباس فهذا شرح قول أبي المظفر من عمامة القائم والطيلسان.

قال: ووجدوا أموالا لا تعد ولا تحصى.

وأفرد صلاح الدين أهل العاضد ناحية عن القصر وأجرى عليهم جميع ما يحتاجون إليه وسلمهم إلى الخادم قراقوش فعزل الرجال عن النساء واحتاط عليهم.

ومما وجد في خزانة العاضد طبل القولنج الذي صنع للظافر وكان من ضربه خرج منه ريح واستراح من القولنج - قلت: قد تقدم الكلام قبل ذلك على هذا الطبل في محله -.

قال: فوقع الطبل إلى بعض الأكراد فلم يدر ما هو فكسره لأنه ضرب عليه فخرج منه ريح فحنق وضربه وكسره.

قال: وفرق صلاح الدين الأموال التي أخذها من القصر في العساكر وباع بعض الجواري والعبيد وأعطى للقاضي الفاضل من الكتب ما أراد وبعث إلى نور الدين بعمامة القائم وطيلسانه وهدايا وتحف وطيب ومائة ألف دينار.

وكان نور الدين بحلب فلما حضرت بين يديه قال: والله ما كان لي حاجة إلى هذا ما وصل إلينا عشر معشار ما أنفقناه على العساكر التي جهزناها إلى مصر وما قصدنا بفتحها إلا فتح الساحل و قلع الكفار منه.

وانقضت أيام الخلفاء المصريين بوفاة العاضد وعدتهم أربعة عشر على عدد بني أمية إلا أن أيامهم طالت فملكوا مائتين وثماني سنين وبنو أمية ملكوا نيفًا وتسعين سنة.

قال: وأول المصريين عبيد الله الملقب بالمهدي.

قلت: ليس هو كما قال: إن عبيد الله أول خلفاء المصريين وإنما أولهم المعز لدين الله معد.

نعم إن كان قصد بأن يكون أولهم ممن دعي له على المنابر بالمغرب وأطلق عليه اسم الخليفة فيكون وأما أنه ملك مصر فلا.

ويأتي بيان ذلك.

وقد تقدم أيضًا في ترجمة المعز وغيره.

قال أبو المظفر: قال ابن عبد البر: هو عبيد الله بن محمد بن ميمون بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق - عليه السلام -.

والثاني ابنه أبو القاسم محمد ويلقب بالقائم بأمر الله والثالث ابنه إسماعيل ويلقب بالمنصور والرابع ابنه معد ويلقب بالمعز لدين الله.

- قلت: وهذا المعز هو الذي تقدم ذكره أنه أول من ولي مصر من بني عبيد وبنى له جوهر القائد القاهرة وهو أول خليفة سكن مصر من بني عبيد ولهذا كنا نقول في تراجمهم الأول من خلفاء مصر والرابع ممن ولي من آبائه بالمغرب وعلى هذا سلكنا في تراجمهم -.

قال: والخامس ابنه نزار ويلقب بالعزيز بالله والسادس ابنه منصور ويلقب بالحاكم بأمر الله والسابع ابنه علي ويلقب بالظاهر لدين الله والثامن ابنه معد ويلقب بالمستنصر بالله وقد ولي ستين سنة والتاسع أبو القاسم أحمد ويلقب بالمستعلي والعاشر ابنه منصور ويلقب بالآمر بأحكام الله وانقطع نسله وولي ابن عمه أبو الميمون عبد المجيد بن أبي القاسم بن المستنصر ويلقب بالحافظ لدين الله وهو الحادي عشر والثاني عشر ولده إسماعيل ويلقب بالظافر والثالث عشر أبو القاسم عيسى ويلقب بالفائز بنصر الله والرابع عشر عبد الله بن يوسف بن الحافظ ويلقب بالعاضد.

انتهى كلام صاحب مرآة الزمان وغيره.

قلت: فائدة جليلة لم يل الخلافة أحد من الفاطميين بعد أخيه وهذا لم يقع لغيرهم.

وأما عدد خلفاء بني أمية فهم كما قال: أربعة عشر لكنه ما عدهم فنقول: هم معاوية بن أبي سفيان ثم ابنه يزيد بن معاوية ثم ابنه معاوية بن يزيد ثم مروان بن الحكم ثم ابنه عبد الملك بن مروان ثم ابنه الوليد ابن عبد الملك ثم أخوه سليمان بن عبد الملك ثم ابن عمه عمر بن عبد العزيز بن مروان ثم يزيد بن عبد الملك ثم أخوه هشام بن عبد الملك ثم الوليد الفاسق ابن يزيد بن عبد الملك ثم ابن عمه يزيد بن الوليد بن عبد الملك المعروف بالناقص ثم أخوه إبراهيم ثم مروان بن محمد بن مروان بن الحكم المعروف بالحمار وهو آخرهم قتل بسيف بني العباس.

وقد خرجنا عن المقصود ولنعد إلى ترجمة العاضد وما يتعلق به.

قلت: وكان وزير العاضد شاور.

وشاور هذا هو الذي وقع له مع الأمير أسد الدين شيركوه الآتي ذكره ما وقع.

يأتي ذلك كله في ترجمة ابن أخيه السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب مفصلا لكن نذكر هنا من أحوال شاور المذكور نبذة كبيرة ليكون الناظر بعد ذلك فيما يأتي على بصيرة بترجمة شاور المذكور.

وكان شاور قد وزر للعاضد بعد قتل رزيك ابن الملك الصالح طلائع بن رزيك.

وكان دخوله إلى القاهرة من قوص في سنة ثمان وخمسين وخمسمائة لما ملكها رزيك ودخل معه خلق كثير ونزل بدار سعيد السعداء ودخل معه أولاده طيئ وشجاع.

فلما وزر زاد الأجناد على ما كان لهم عشر مرات.

وكان يجلس والأبواب مغلقة عليه خيفة من حواشي رزيك.

وكان رزيك أنشأ أمراء يقال لهم البرقية ويقال لكبيرهم ضرغام.

فولى شاور ضرغامًا المذكور الباب وكان فارسًا شجاعًا جمع على شاور حتى أخرجه من القاهرة وقتل ولده الأكبر المسمى بطيئ وبقي ابنه شجاع المنعوت بالكامل.

فسار شاور إلى الشام واستنجد بالملك العادل نور الدين محمود بن زنكي بن آق سنقر المعروف بالشهيد فأرسل معه الملك العادل أحد أمرائه وهو الأمير أسد الدين شيركوه بن شادي.

يأتي ذكر ذلك كله في آخر هذه الترجمة وأيضًا في ترجمة السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بأوسع من هذا بعد أن نذكر أقوال جماعة من المؤرخين قال الحافظ أبو عبد الله الذهبي في تاريخ الإسلام - بعد ما ساق نسبته إلى أن قال -: العبيدي الرافضي الذي زعم هو وبيته أنهم فاطميون وهو آخر خلفاء مصر.

ولد سنة ست وأربعين وخمسمائة في أولها.

فلما هلك الفائز ابن عمه واستولى الملك الصالح طلائع بن رزيك الديار المصرية بايع العاضد وأقامه صورة وكان كالمحجور عليه لا يتصرف في كل ما يريد ومع هذا كان رافضيًا سبابًا خبيثًا.

قال ابن خلكان: كان إذا رأى سنيًا استحل دمه.

وسار وزيره الملك الصالح طلائع بن رزيك بسيرة مذمومة واحتكر الغلات فغلت الأسعار وقتل أمراء الدولة خيفة منهم وأضعف أحوال دولتهم فقتل ذوي الرأي والبأس وصادر أولي الثروة.

وفي أيام العاضد ورد حسين بن نزار بن المستنصر العبيدي من المغرب وقد جمع وحشدت فلما قارب مصر غدر به أصحابه وقبضوا عليه وأتوا به إلى العاضد فذبحه صبرًا في سنة سبع وخمسين.

ثم قتل العاضد طلائع بن رزيك ووزر له شاور فكان سبب خراب دياره ودخل أسد الدين إلى ديار مصر وقتل شاور ومات أسد الدين شيركوه وقام في الأمر ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب وتمكن وقال القاضي جمال الدين بن واصل: حكى لي الأمير حسام الدين بن أبي علي قال: كان جدي في خدمة صلاح الدين فحكى أنه لما وقعت هذه الواقعة يعني وقعة السودان بالقاهرة التي زالت دولتهم فيها وزالت آل عبيد من مصر يأتي ذكر هذه الواقعة في آخر ترجمة العاضد إن شاء الله تعالى قال: وشرع صلاح الدين يطلب من العاضد أشياء من الخيل والرقيق والأموال ليتقوى بذلك.

قال: فسيرني يومًا إلى العاضد أطلب منه فرسًا ولم يبق عنده إلا فرس واحد فأتيته وهو راكب في البستان المعروف بالكافوري الذي يلي القصر فقلت: السلطان صلاح الدين يسلم عليك ويطلب منك فرسًا فقال: ما عندي إلا الفرس الذي أنا راكبه ونزل عنه وشق خفيه ورمى بهما وسلم إلي الفرس فأتيت به صلاح الدين ولزم العاضد بيته.

واشتغل صلاح الدين بالأمر وبقي العاضد معه صورة إلى أن خلعه وخطب في حياته لأمير المؤمنين المستضيء بأمر الله العباسي وأزال الله تلك الدولة المخذولة.

انتهى.

وقال الشيخ شهاب الدين أبو شامة: اجتمعت بالأمير أبي الفتوح بن العاضد وهو مسجون مقيد في سنة ثمان وعشرين وستمائة فحكى لي أن أباه في مرضه استدعى صلاح الدين فحضر فأحضرونا يعني أولاده ونحن صغار فأوصاه بنا فالتزم إكرامنا واحترامنا.

ثم قال أبو شامة: وهم أربعة عشر خليفة وعدهم نحوًا مما ذكرناه إلى أن قال: ويدعون الشرف ونسبتهم إلى مجوسي أو يهودي حتى اشتهر لهم ذلك بين العوائم فصاروا يقولون الدولة الفاطمية والدولة العلوية وإنما هي الدولة اليهودية والمجوسية الملحمة الباطنية.

قال: وقد ذكر ذلك جماعة من العلماء الأكابر وأنهم لم يكونوا لذلك أهلا ولا نسبهم صحيحًا بل المعروف أنهم بنو عبيد وكان والد عبيد هذا من نسل القداح الملحد المجوسي.

قال: وقيل إن والد عبيد هذا كان يهوديًا من أهل سلمية وكان جوادًا.

وعبيد كان اسمه سعيدًا فلما دخل المغرب تسمى بعبيد الله وادعى نسبًا ليس بصحيح قال ذلك جماعة من علماء الأنساب.

ثم ترقت به الحال إلى أن ملك المغرب وبنى المهدية وتلقب بالمهدي وكان زنديقًا خبيثًا عدوًا للإسلام من أول دولتهم إلى آخرها وذلك من ذي الحجة سنة تسع وتسعين ومائتين إلى سنة سبع وستين وخمسمائة.

وقد بين نسبهم جماعة مثل القاضي أبي بكر الباقلاني فإنه كشف في أول كتابه المسمى بكشف أسرار الباطنية عن بطلان نسب هؤلاء إلى علي - رضي الله عنه - وكذلك القاضي عبد الجبار بن أحمد استقصى الكلام في أصولهم.

انتهى.

قلت.

وقد ذكرنا نوعًا من ذلك في عدة تراجم من هذا الكتاب من بني عبيد المذكورين وفي المحضر المكتتب من جهة الخليفة القائم بأمر الله العباسي وغيره.

وقال بعضهم: كانت وفاة العاضد في يوم عاشوراء بعد إقامة الخطبة بيوميات قليلة في أول جمعة من المحرم لأمير المؤمنين المستضيء بالله والعاضد آخر خلفاء مصر فلما كانت الجمعة الثانية خطب بالقاهرة أيضًا للمستضيء بسائر الجوامع ورجعت الدعوة العباسية بعد أن كانت قد قطعت بها أعني الديار المصرية وأعمالها أكثر من مائتي سنة.

وتسلم السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب قصر الخلافة واستولى على ما كان به من الأموال والذخائر وكانت عظيمة الوصف وقبض على أولاد العاضد وحبسهم في مكان واحد بالقصر وأجرى عليهم ما يمونهم وعفى آثارهم وقمع مواليهم وسائر نسائهم.

قال: وكانت هذه الفعلة من أشرف أفعاله فلنعم ما فعل فإن هؤلاء كانوا باطنيين زنادقة دعوا إلى مذهب التناسخ واعتقاد حلول الجزء الإلهي في أشباحهم.

وقد قال الحاكم لداعيه: كم في جريدتك قال ستة عشر ألفًا يعتقدون أنك الإله.

وقال قائلهم - وأظنه في الحاكم بأمر الله -: الكامل ما شئت لا ما شاءت الأقدار فاحكم فأنت الواحد القهار قال: فلعن الله المداح والممدوح فليس هذا في القبح إلا كقول فرعون: أنا ربكم الأعلى.

وقال الحافظ شمس الدين الذهبي: وقال بعض شعرائهم في المهدي - وهو غاية في الكفر -: مخلع البسيط حل برقادة المسيح حل بها آدم ونوح حل بها الله في علاه وما سوى الله فهو ريح قال: وهذا أعظم كفرًا من النصارى لأن النصارى يزعمون أن الجزء الإلهي حل بناسوت عيسى فقط وهؤلاء يعتقدون حلوله في جسد آدم ونوح والأنبياء وجميع الأمة.

هذا اعتقادهم.

لعنهم الله!.

وقال القاضي شمس الدين بن خلكان - رحمه الله -: سمعت جماعة من المصريين يقولون: هؤلاء القوم في أوائل دولتهم قالوا لبعض العلماء: أكتب لنا ألقابًا في ورقة تصلح للخلفاء حتى إذا تولى واحد لقبوه ببعض تلك الألقاب.

فكتب لهم ألقابًا كثيرة وآخر ما كتب في الورقة العاضد فاتفق أن آخر من ولي منهم تلقب بالعاضد.

وهذا من عجيب الاتفاق.

وأخبرني أحد علماء المصريين أيضًا: أن العاضد المذكور في آخر دولته رأى في منامه أنه بمدينة مصر وقد خرجت إليه عقرب من مسجد هو معروف بها فلدغته.

فلما استيقظ ارتاع لذلك فطلب بعض معبري الرؤيا وقص عليه المنام فقال: ينالك مكروه من شخص هو مقيم بالمسجد.

فطلب والي مصر وقال له: اكشف عمن هو مقيم بالمسجد الفلاني - وكان العاضد قد رأى ذلك المسجد - فإذا رأيت أحدًا أحضره إلي.

فمضى الوالي إلى المسجد فوجد به رجلا صوفيًا فأخذه ودخل به إلى العاضد.

فلما رآه سأله من أين هو ومتى قدم البلاد وفي أي شيء قدم وهو يجاوبه عن كل سؤال.

فلما ظهر منه ضعف الحال والصدق والعجز عن إيصال المكروه إليه أعطاه شيئًا وقال له: يا شيخ ادع لنا وخلى سبيله وخرج من عنده وعاد إلى المسجد.

فلما استولى السلطان صلاح الدين على الديار المصرية وعزم على قبض العاضد وأشياعه واستفتى الفقهاء وأفتوه بجواز ذلك لما كان عليه من انحلال العقيدة وفساد الاعتقاد وكثرة الوقوع في الصحابة والاشتهار بذلك فكان أكثرهم مبالغة في الفتيا الصوفي المقيم بالمسجد وهو الشيخ نجم الدين الخبوشاني.

انتهى كلام ابن خلكان.

ولما استولى السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب على مصر كتب إلى الوزير ببغداد على يد شمس الدين محمد بن المحسن بن الحسين بن أبي المضاء البعلبكي الذي خطب أول شيء بمصر لبني العباس بإشارة السلطان صلاح الدين وكان الكتاب من إنشاء القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني وكان مما فيه: وقد توالت الفتوح غربًا ويمنًا وشامًا وصارت البلاد بل الدنيا والشهر بل الدهر حرمًا حرامًا وأضحى الدين واحدًا بعد ما كان أديانًا والخلافة إذا ذكر بها أهل الخلاف لم يخروا عليها صفًا وعميانًا والبدعة خاشعة والجمعة جامعة والمذلة في شيع الضلال شائعة وذلك بأنهم اتخذوا عباد الله من دونه أولياء وسموا أعداء الله أصفياء وتقطعوا أمرهم بينهم شيعًا وفرقوا أمر الأمة وكان مجتمعًا وكذبوا بالنار فعجلت لهم نار الحتوف ونثرت أقلام الظبا حروف رؤوسهم نثر الأقلام للحروف ومزقوا كل ممزق وأخذ منهم كل مخنق وقطع دابرهم ووعظ ائبهم غابرهم ورغمت أنوفهم ومنابرهم وحقت عليهم الكلمة تشريدًا وقتلا وتمت كلمات ربك صدقًا وعدلا.

وليس السيف عمن سواهم من كفار الفرنج بصائم ولا النيل عن السير إليهم بنائم.

ولا خفاء عن المجلس الصاحبي أن من شد عقد خلافة وحل عقد خلاف وقام بدولة وقعد بأخرى قد عجز عنها الأخلاف والأسلاف فإنه مفتقر إلى أن يشكر ما نصح ويقلد ما فتح ويبتغ ما اقترح ويقدم حقه ولا يطرح ويقرب مكانه وإن نزح وتأتيه التشريفات الشريفة.

- ثم قال بعد كلام آخر -: وقد أنهض لإيصال ملطفاته وتنجيز تشريفاته خطيب الخطباء بمصر وهو الذي اختاره بمصر لصعود المنبر وقام بالأمر قيام من بر.

واستفتح بلبس السواد الأعظم الذي جمع الله عليه السواد الأعظم.

ثم كتب السلطان صلاح الدين إلى الملك العادل نور الدين يطلب منه أباه وأقاربه ويأتي ذلك كله في ترجمة صلاح الدين مفصلا إن شاء الله تعالى.

وقد ذكرنا أقوال جماعة من العلماء والمؤرخين في أحوال العاضد وتوليته ووفاته ونسبه.

والآن نذكر

الأسباب التي كانت سببًا لذهاب ملك العاضد وزوال دولة الفاطميين

بني عبيد من ديار مصر وابتداء ملك بني أيوب على سبيل الاختصار مجملا.

وقد ذكرنا ذلك كله في التراجم والحوادث على عادة سياق هذا الكتاب من أوله إلى آخره غير أن الذي نذكره هنا متعلق بالوزراء وكيفية انفصال الدولة فأول الأمر قتل العاضد وزيره الملك الصالح طلائع بن رزيك وكنيته أبو الغارات الأرمني الأصل.

أقام وزيرًا بمصر سبع سنين وقد ذكرنا ابتداء أمره في آخر ترجمة الظافر وأول ترجمة الفائز وكان الفائز معه كالمحجور عليه.

ولما مات الفائز أقام العاضد هذا في الخلافة وتولى تدبير ملكه على عادته وولى شاور بن مجير السعدي الصعيد.

ثم ثقل طلائع هذا على العاضد فدبر في قتله.

فلما كان عاشر شهر رجب سنة ست وخمسين وخمسمائة حضر الصالح طلائع إلى قصر الخلافة فوثب عليه باطني فضربه بسكين في رأسه ثم في ترقوته فحمل إلى داره وقتل الباطني.

ومات الملك الصالح طلائع بن رزيك من الغد فحزن الناس عليه لحسن سيرته وأقيم المأتم عليه بالقصر وبالقاهرة ومصر.

وكان جوادًا ممدحًا فاضلا شاعرًا كثير الصدقات حسن الآثار بنى جامعًا خارج بابي زويلة يعرف بجامع الصالح وآخر بالقرافة وتربة إلى جانبه وهو مدفون بها.

وقام بعده في الوزر ابنه رزيك بن طلائع بن رزيك ولقب بمجد الإسلام.

وفرح العاضد بقتل طلائع المذكور إلى الغاية وكان في ذلك عكسه على ما يأتي: وهو أن رزيك لما وزر مكان والده طلائع سار على سيرة أبيه فلم يحسن ذلك ببال العاضد فأحب ذهابه أيضًا ليستبد بالأمور من غير وزيرة فدس إلى شاور فتحرك شاور بن مجير السعدي من بلاد الصعيد وجمع أوباش الصعيد من العبيد والأوغاد وقدم إلى القاهرة تحرابًا لرزيك.

فخرج إليه رزيك بن طلائع وقاتله والعاضد في الباطن مع شاور فانهزم رزيك.

ودخل شاور إلى القاهرة وملكها وأخرب دور الوزارة ودور بني رزيك واختفى الوزير رزيك المذكور إلى أن ظفر به شاور وقتله.

يأتي بعض ذكر ذلك في الحوادث كل واحد على حدته.

وتولى شاور الوزارة فعامل العاضد بأفعال قبيحة وأساء السيرة في الرعية وأخذ أمر مصر في وزارته في إدبار.

ولما كثر ظلمه خرج عليه أبو الأشبال ضرغام بن عامر من الصعيد - وقيل من مصر - وحشد.

فخرج إليه شاور بدسته فهزمه ضرغام وقتل ولده الأكبر طيئ وخذل أهل القاهرة شاور لبغضهم له.

فهرب شاور إلى الشام ودخل إلى السلطان الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي المعروف بالشهيد فالتقاه نور الدين وأكرمه.

فطلب شاور منه النجمة والعساكر وأطمعه في الديار المصرية وقال له: أكون نائبك بها وأقنع بما تعين لي من الضياع والباقي لك.

فأجابه نور الدين لذلك وجهز له العساكر مع الأمير أسد الدين شيركوه بن شادي الكردي أحد أمراء نور الدين.

وخرجوا من دمشق في العشرين من جمادى سنة سبع وخمسين وخمسمائة وكان مع أسد الدين شيركوه ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب في خدمته.

فلما وصلوا إلى القاهرة خرج إليهم أبو الأشبال ضرغام بن عامر بن سوار فحاربهم أيامًا ووقع بينهم حروب وأمور يطول شرحها إلى أن التقوا على باب القاهرة فحمل ضرغام بنفسه في أوائل الناس فطعن وقتل واستقام أمر شاور.

فكانت وزارة ضرغام تسعة أشهر.

واستولى شاور ثانيًا على القاهرة.

وكان خبيثًا سفاكًا للدماء.

ولما ثبت أمره ظهر منه إمارات الغدر بأسد الدين شيركوه.

فأشار صلاح الدين يوسف بن أيوب على عمه أسد الدين شيركوه بالتأخر إلى بلبيس.

وكان أسد الدين لا يقطع أمرًا دون صلاح الدين ففعل ذلك وخرج إلى بلبيس وبعث أسد الدين يطلب من شاور رزق الجند أعني النفقة فاعتذر وتعلل عليه.

فكتب أسد الدين إلى نور الدين يخبره بما جرى ودس شاور إلى الفرنج رسلا يدعوهم إلى مصر ويبذل لهم الأموال فاجتمع الفرنج من الساحل وساروا من الداروم متفقين مع شاور على أسد الدين شيركوه.

فتهيأ أسد الدين لحربهم وحاربهم فقوي الفرنج عليه وحاصروه بمدينة بلبيس نحو شهرين حتى صالحهم أسد الدين على مال.

وكان حصارهم له من أول شهر رمضان إلى ذي القعدة.

ووقع بينهم حروب وأمور حتى بلغهم أن نور الدين الشهيد قصد بلادهم من الشام فعند ذلك رجعت الفرنج وصالحوا أسد الدين شيركوه فعاد أسد الدين إلى الشام وهو في غاية من القهر.

وأقام شاور بالقاهرة على عادته يظلم ويقتل ويصادر الناس ولم يبق للعاضد معه أمر ولا نهي.

وأقام أسد الدين بدمشق في خدمة نور الدين إلى سنة اثنتين وستين فعاد بعساكر الشام إلى مصر ثانيًا.

وسببه أن العاضد لما غلب عليه شاور كتب إلى نور الدين يستنجده على شاور وأنه قد استبد بالأمر وظلم وسفك الدم.

وكان في قلب نور الدين من شاور حرازة لكونه غدر بأسد الدين شيركوه واستنجد عليه بالفرنج.

فخرج أسد الدين بعساكر الشام من دمشق في منتصف شهر ربيع الأول من سنة اثنتين وستين المذكورة وسار أسد الدين ومعه ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب حتى نزل بر الجيزة غربي مصر على بحر النيل.

وكان شاور قد أعطى الفرنج الأموال وأقطعهم الإقطاعات وأنزلهم دور القاهرة وبنى لهم أسواقًا تخصهم.

وكان مقدم الفرنج الملك مري وابن نيرزان.

فأقام أسد الدين على الجيزة شهرين وعمى إلى بر مصر والقاهرة في خامس عشرين جمادى الآخرة وخرج إليه شاور والفرنج.

ورتب شاور عساكره فجعل الفرنج على الميمنة مع ابن نيرزان وعسكر مصر في الميسرة وأقام الملك مري الفرنجي في القلب في عسكره من الفرنج.

ورتب أسد الدين عساكره فجعل صلاح الدين في الميمنة وفي الميسرة الأكراد وأسد الدين في القلب فحمل الملك مري على القلب فتعتعه وكانت أثقال المسلمين خلفه فاشتغل الفرنج بالنهب وحمل صلاح الدين على شاور فكسره وفرق جمعه.

وعاد أسد الدين إلى ابن أخيه صلاح الدين وحملا على الفرنج فانهزموا فقتلا منهم ألوفًا وأسرا مائة وسبعين فارسًا.

وطلبوا القاهرة فلو ساق أسد الدين خلفهم في الحال فأقام صلاح الدين بها وسار أسد الدين إلى الصعيد فاستولى عليه وأقام يجمع أمواله.

وخرج شاور والفرنج من القاهرة فحصروا الإسكندرية أربعة أشهر وأهلها يقاتلون مع صلاح الدين ويقوونه بالمال.

وبلغ أسد الدين فجمع عرب البلاد وسار إلى الإسكندرية فعاد شاور إلى القاهرة وراسل أسد الدين حتى تم الصلح بينهم وأعطى شاور أسد الدين إقطاعًا بمصر وعجل له مالا.

فعاد أسد الدين إلى الشام ومعه صلاح الدين.

واعتذر أسد الدين إلى الملك العادل نور الدين محمود بكثرة الفرنج والمال.

ورأى صلاح الدين لأهل الإسكندرية ما فعلوا فلما ملك مصر بعد ذلك أحسن إليهم.

ثم إن الفرنج طلبوا من شاور أن يكون لهم شحنة بالقاهرة ويكون أبوابها بأيدي فرسانهم وتحمل إليهم في كل سنة مائة ألف دينار ومن سكن منهم بالقاهرة يبقى على حاله ويعود بعض ملوكهم إلى الساحل فأجابهم شاور إلى ما طلبوا منه.

كل ذلك تقرر بين شاور والفرنج والعاضد لا يعلم بشيء منه.

وسار بعض الفرنج إلى الساحل.

وكان الملك العادل نور الدين محمود يخاف على مصر من غلبة الفرنج عليها فسار بعساكره من دمشق وفتح المنيطرة وقلاعًا كثيرة فخاف من كان بمصر من الفرنج.

وبينما هم في ذلك عاد الفرنج من الساحل إلى نحو مصر في سنة أربع وستين وطمعوا في أخذها.

وكان خروجهم من عسقلان والساحل إلى نحو مصر في أوائل السنة وساروا حتى نزلوا بلبيس وأغاروا على الريف وأسروا وقتلوا.

هذا وقد تلاشى أمر الديار المصرية من الظلم ولم يبق للعاضد من الخلافة سوى الاسم والخطبة لا غير.

فلما بلغ شاور فعل الفرنج بالأرياف أخرج من كان بمصر من الفرنج بعد أن أساء في حقهم قبل ذلك وقتل منهم جماعة كبيرة وهرب الباقون.

ثم أمر شاور أهل مصر بأن ينتقلوا إلى القاهرة ففعلوا وأحرق شاور مصر.

وسار الفرنج من بلبيس حتى نزلوا على القاهرة في سابع صفر وضايقوها وضربوها بالمجانيق.

فلم يجد شاور بدًا أن كاتب الملك العادل نور الدين محمودًا بأمر العاضد.

وكان الفرنج لما وصلوا إلى مصر في المرتين الأوليين اطلعوا على عوراتها وطمعوا فيها وعلم نور الدين بذلك فأسرع بتجهيز العساكر خوفًا على مصر.

ثم جاءته كتب شاور والعاضدة فقال نور الدين لأسد الدين شيركوه: خذ العساكر وتوجه إليها وقال لصلاح الدين: أخرج مع عمك أسد الدين فامتنع وقال: يا مولاي يكفي ما لقينا من الشدائد في تلك المرة.

فقال نور الدين: لا بد من خروجك فما أمكنه مخالفة مخدومه نور الدين المذكور فخرج مع عمه وساروا إلى مصر.

وبلغ الفرنج ذلك فرجعوا عن مصر إلى الساحل.

وقيل: إن شاور أعطاهم مائة ألف دينار.

وجاء أسد الدين بمن معه من العساكر ونزل على باب القاهرة.

فاستدعاه العاضد إلى القصر وخلع عليه في الإيوان خلعة الوزارة ولقبه بالمنصور وشر أهل مصر بذلك.

وقيل: إنه لم يستدعه وإنما بعث إليه بالخلع والأموال والإقامات وكذلك إلى الأمراء الذين كانوا معه.

وأقام أسد الدين مكانه وأرباب الدولة يترددون إلى خدمته في كل يوم ولم يقدر شاور على منعهم لكثرة العساكر ولكون العاضد مائلا إلى أسد الدين المذكور.

فكاتب شاور أيضًا الفرنج واستدعاهم وقال لهم: يكون مجيئكم إلى دمياط في البحر والبر.

فبلغ ذلك أعيان الدولة بمصر فاجتمعوا عند الملك المنصور أسد الدين شيركوه وقالوا له: شاور فساد العباد والبلاد وقد كاتب الفرنج وهو يكون سبب هلاك الإسلام.

ثم إن شاور خاف لما تأخر وصول الفرنج فعمل في عمل دعوة لأسد الدين المذكور ولأمرائه ويقبض عليهم.

فنهاه ابنه الكامل وقال له: والله لئن لم تنته عن هذا الأمر لأعرفن أسد الدين.

فقال له أبوه شاور: والله لئن لم نفعل هذا لنقتلن كفنا.

فقال له ابنه الكامل: لأن نقتل والبلاد بيد المسلمين خير من أن نقتل والبلاد بيد الفرنج.

وكان شاور قد شرط لأسد الدين شيركوه ثلث أموال البلاد فأرسل أسد الدين يطلب منه المال فجعل شاور يتعلل ويماطل وينتظر وصول الفرنج فابتدره أسد الدين وقتله.

واختلفوا في قتله على أقوال أحدها أن الأمراء اتفقوا على قتله لما علموا مكاتبته للفرنج وأن أسد الدين تمارض وكان شاور يخرج إليه في كل يوم والطبل والبوق يضربان بين يديه على عادة وزراء مصر.

- قلت: وعلى هذا القول يكون قول من قال: إن العاضد خلع على أسد الدين شيركوه بالوزارة ولقبه بالمنصور في أول قدومه إلى مصر ليس بالقوي ولعل ذلك يكون بعد قتل شاور على ما سيأتي ذكره.

- فجاء شاور ليعود أسد الدين فقبض عليه وقتله.

والثاني أن صلاح الدين وجرديك اتفقا على قتله وأخبرا أسد الدين فنهاهما وقال: لا تفعلا فنحن في بلاده ومعه عسكر عظيم فأمسكا عن ذلك إلى أن اتفق أن أسد الدين ركب إلى زيارة الإمام الشافعي - رضي الله عنه - وأقام عنده فجاء شاور على عادته إلى أسد الدين فالتقاه صلاح الدين وجرديك وقالا: هو في الزيارة انزل فامتنع فجذباه فوقع إلى الأرض فقتلاه.

والثالث أنهما لما جذباه لم يمكنهما قتله بغير أمر أسد الدين فسحبه الغلمان إلى الخيمة وانهزم أصحابه عنه إلى القاهرة ليجيشوا عليهم.

وعلم أسد الدين فعاد مسرعًا وجاء رسول من العاضد برقعة يطلب من أسد الدين رأس شاور وتتابعت الرسل.

وكان أسد الدين قد بعث إلى شاور مع الفقيه عيسى يقول: لك في رقبتي أيمان وأنا خائف عليك من الذي عندي فلا تجىء.

فلم يلتفت وجاء على العادة فوقع ما ذكرناه.

ولما تكاثرت الرسل من العاضد دخل جرديك إلى الخيمة وجزر رأسه وبعث أسد الدين برأسه إلى العاضد فسر به.

ثم طلب العاضد ولد شاور الملك الكامل وقتله في الدهليز وقتل أخاه واستوزر أسد الدين شيركوه وذلك في شهر ربيع الأول.

وهذا الذي أشرنا إليه من أن ولاية أسد الدين للوزر كانت بعد قتل شاور.

ولما قتل شاور وابنه الكامل بعث العاضد منشورًا بالوزارة لأسد الدين بخط القاضي الفاضل وعليه خط العاضد بما صورته: هذا عهد لم يعهد إلى وزير بمثله فتقفد ما أراك الله أهلا بحمله وخذ كتاب أمير المؤمنين بقوة واسحب ذيل الافتخار بخدمتك بيت النبوة والزم حق الإمامة تجد إلى الفوز سبيلا.

" ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ".

ثم أرسل العاضد نسخة الأيمان إلى أسد الدين وحلف كل واحد منهما لصاحبه على الوفاء والطاعة والصفاء.

فتصرف أسد الدين شهرين ومات.

ولما احتضر أوصى إلى ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب فولي صلاح الدين الوزارة ولقب بالملك الناصر على ما يأتي ذكر ذلك كله في ترجمتهما بأوضح من ذلك.

ولما وزر صلاح الدين اختلف عليه جماعة من الأمراء عقيب وفاة أسد الدين.

وبلغ الملك العادل نور الدين اتفاق الأمراء عليه بمصر فقال له توران شاه بن أيوب الذي لقب بعد ذلك بالملك المعظم وكان أسن من صلاح الدين: يا مولانا أريد أن أسير إلى أخي يعني إلى صلاح الدين فقال له نور الدين: إن كنت تسير إلى مصر وترى يوسف أخاك بعين أنه كان يقف في خدمتك وأنت قاعد فلا تسر فإنك تفسد العباد والبلاد فتحوجني إلى عقوبتك بما تستحقه وإن كنت تسير إليه وترى أنه قائم مقامي وتخدمه كما تخدمني أفسر إليه وأشد أزره وساعده على ما هو بصدده وإلا فلا تذهب إليه.

فقال: يا مولانا سوف يبلغك ما أفعل من الخدمة والطاعة.

وسار إلى مصر فتلقاه صلاح الدين من بلبيس وخدمه وقدم له المال والخيل والتحف وأقام عنده على أحسن حال وفعل ما ضمن لنور الدين من خدمة أخيه صلاح الدين وقوي أمر صلاح الدين به واستقام أمره.

كل ذلك والخطبة باسم العاضد في هذه السنين إلى سنة سبع وستين وخمسمائة على ما يأتي ذكره في ترجمة السلطان صلاح الدين.

ولما تم أمر صلاح الدين بمصر خاف العاضد عاقبة أمره.

وكان للعاضد خادم يقال له مؤتمن الخلافة وكان مقدم السودان والخدم والمشار إليه بالقصر.

فأمره العاضد بقتال الترك والغز.

واتفق العسكر المصري مع الخادم وثاروا على الترك فقتلوا منهم جماعة.

فركب صلاح الدين وشمس الدولة ودخلا إلى باب القصر وتقاتلا مع مؤتمن الخلافة وأبلى شمس الدولة بلاء حسنًا وقتل الخادم مؤتمن الخلافة وجماعة كبيرة من السودان بعد حروب وقتال عظيم.

فأرسل العاضد إلى صلاح الدين يتعتب عليه ويقول له: فأين أيماناتكم! هذا الخادم جاهل فعل ما فعل بغير أمرنا فقال صلاح الدين: نحن على الأيمان والعهود ما نتغير وما قتلنا إلا من قصد قتلنا.

وقول العاضد: أين الأيمان والعهود يعني بذلك أنه لما مات أسد الدين شيركوه وأوصى لابن أخيه صلاح الدين المذكور اختلف جماعة من أمراء نور الدين الذين كانوا قدموا مع أسد الدين على صلاح الدين ورام كل واحد منهم الأمر لنفسه استصغارًا بصلاح الدين وهم: عين الدين الياروقي رأس الأتراك وسيف الدين المشطوب ملك الأكراد وشهاب الدين محمود صاحب حارم وهو خال صلاح الدين وجماعة أخر فبادر العاضد واستدعى صلاح الدين وخلع عليه في الإيوان خلعة الوزارة وكتب عهده ولقبه الملك الناصر.

وقيل: الذي لقبه بالملك الناصر إنما هو الخليفة المستضيء العباسي بعد ذلك.

ولما ولي الوزارة شرع الفقيه عيسى في تفريق البعض عن بعض وأصلح الأمور لصلاح الدين على ما يأتي في ترجمة صلاح الدين بعد ذلك.

وبذل صلاح الدين الأموال وأحسن لجميع العسكر الشامي والمصري فأحبوه وأطاعوه وأقام نائبًا عن نور الدين يدعى لنور الدين على منابر مصر بعد الخنيفة العاضد ولصلاح الدين بعدهما.

واستمر صلاح الدين على ذلك والخطبة للعاضد وقد ضعف أمره وقوي أمر صلاح الدين حتى كانت أول سنة سبع وستين وخمسمائة فكتب إليه الملك العادل نور الدين محمود يأمره بقطع الخطبة لبني عبيد وأن يخطب بمصر لبني العباس.

فخاف صلاح الدين من أهل مصر ألا يجيبوه ولم يسعه مخالفة أمر نور الدين وقال: ربما وقعت فتنة لا تتدارك فكتب الجواب إلى نور الدين يخبره بذلك فلم يسمع منه نور الدين وخشن عليه في القول وألزمه إلزامًا لا محيد عنه.

ومرض العاضد فجمع صلاح الدين الأمراء والأعيان واستشارهم في أمر نور الدين بقطع الخطبة للعاضد والدعاء لبني العباس فمنهم من أجاب ومنهم من امتنع وقالوا: هذا باب فتنة وما يفوت ذلك والجميع أمراء نور الدين فعاودوا نور الدين فلم يلتفت وأرسل إلى صلاح الدين يستحثه في ذلك فأقامها والعاضد مريض.

واختلفوا في الخطيب فقيل: إنه رجل من الأعاجم يسمى الأمير العالم وقيل: هو رجل من أهل بعلبك يقال له محمد بن المحسن بن أبي المضاء البعلبكي المقدم ذكره الذي توجه في الرسلية من قبل صلاح الدين إلى بغداد وقيل: إنه كان رجلا شريفًا عجميًا ورد من العراق أيام الوزير الملك الصالح طلائع بن رزيك.

قلت: فأشبه أمر الفاطميين في هذا الأمر أمر العباسيين لما انتقلت الدعوة منهم إلى الفاطميين بني عبيد فإنه أول من خطب للمعز معد أول خلفاء مصر من بني الخطيب عمر بن عبد السميع العباسي الخطيب بجامع عمرو وجامع أحمد ابن طولون وهذا من باب المكافأة والمجازاة أعني أن الذي خطب لبني عبيد كان عباسيًا والذي خطب لبني العباس الآن علوي.

انتهى أمر الفاطميين.

وأقيمت الخطبة لبني العباس في أول المحرم والعاضد مريض فأخفى عنه أهله ذلك وقيل: بلغه فأرسل إلى صلاح الدين يستدعيه ليوصيه فخاف أن يكون خديعه فلم يتوجه إليه.

ومات العاضد في يوم عاشوراء سنة سبع وستين وخمسمائة وانقضت دولة الفاطميين من مصر بموته.

وندم صلاح الدين على قطع خطبته وقال: ليتني صبرت حتى يموت.

ثم كتب صلاح الدين يخبر الملك العادل نور الدين بإقامة الدعوة العباسية بمصر.

فكتب نور الدين كتابًا إلى بغداد من إنشاء العماد الكاتب الأصبهاني وفيه: الخفيف قد خطبنا للمستضيء بمصر نائب المصطفى إمام العصر ولدينا تضاعفت نعم الل - - ه وجلت عن كل عد وحصر واستنارت عزائم الملك العا - - دل نور الدين الهمام الأغر هو فتح بكر ودون البرايا خضنا الله بافتراع البكر وهي أطول من ذلك.

وصفا الوقت لصلاح الدين وسمي السلطان وصار يخطب باسمه على منابر مصر بعد الخليفة العباسي والملك العادل نور الدين محمود.

وكان ابتداء مرض العاضد من أواخر ذي الحجة سنة ست وستين وخمسمائة.

فلما كان رابع المحرم سنة سبع وستين جلس العاضد في قصره بعد الإرجاف بأنه أثخن في مرضه فشوهد وهو على ما حقق الإرجاف من ضعف القوى وتخاذل الأعضاء وظهور الحمى.

وقيل: إن الحمى فشت بأعضائه وأمسك طبيبه المعروف بابن السديد عن الحضور إليه وامتنع من مداواته وخذله مساعدة عليه للزمان وميلا مع الأيام.

ثم خطب في سابع المحرم باسم الخليفة المستضيء بالله العباسي وصرح باسمه ولقبه وكنيته بمصر حسب ما تقدم ذكره.

فمات العاضد بعد ذلك بثلاثة أيام في يوم الاثنين يوم عاشوراء.

وكان لموته بمصر يوم عظيم إلى الغاية وعظم مصابه على المصريين إلى الغاية ووجدوا عيه وجدًا عظيمًا لا سيما الرافضة فإن نفوسهم كادت تزهق حزنًا لانقضاء دولة الرافضة من ديار مصر وأعمالها.

وقد تقدم التعريف بأحوال العاضد في أول ترجمته من عدة أقوال فلا حاجة لتكرار ذلك في هذا المحل.

السنة الأولى من خلافة العاضد وهي سنة ست وخمسين وخمسمائة

فيها توفي محمود بن نعمة الشيخ أبو الثناء الشيرازي الشاعر المشهور.

كان أديبًا فاضلا جاء الشتاء وعندي من حوائجه سبع إذا القطر عن حاجاتنا حبسا كيس وكن وكانون وكأس طلا مع الكباب وكسى ناعم وكسا فقال الشيرازي: الطويل يقولون كافات الشتاء كثيرة وما هي إلا فرد كاف بلا مرا إذا صح كاف الكيس فالكل حاصل لديك وكل الصيد يوجد في الفرا ولغيره في المعنى: الوافر وكافات الشتاء تعد سبعًا وما لي

طاقة بلقاء سبع إذا ظفرت بكاف الكيس كفي ظفرت بمفرد يأتي بجمع وأما ما يشبه قول ابن سكرة فكثير.

من ذلك ما قاله ابن قزل: البسيط عجل إلي فعندي سبعة كملت وليس فيها من اللذات إعواز طار وطبل وطنبور وطاس طلا وطفلة وطباهيج وطناز قلت: لم يحك وفاته الشنب.

وأكثر الصفدي في المعنى فقال: البسيط إن قدر الله لي بالعمر واجتمعت سبع فما أنا في اللذات مغبون ثمانية إن يسمح الدهر لي بها فما لي عليه بعد ذلك مطلوب مقام ومشروب ومزج ومأكل وملهى ومشموم ومال ومحبوب وللسراج الوراق في هذا المعنى أيضًا - وهو عندي أقربهم لقول ابن سكرة -: البسيط عندي فديتك لذات ثمانية أنفي بها الحزن إن وافى وإن وردا راح وروح وريحان وريق رشا ورفرف ورياض ناعم وردا ولغيره في المعنى: البسيط إذا بلغت من الدنيا ولذتها سبعًا فإني في اللذات سلطان خمر وخود وخاتون وخاتمها وخضرة وخلاعات وخلان وقد خرجنا عن المقصود في الاستطراد في معنى هذين البيتين.

ولنعد لما نحن بصدده.

وفيها كانت مقتلة وزير العاضد الملك الصالح طلائع بن رزيك الأرمني أبي الغارات أقام وزيرًا سبع سنين.

وقد تقدم ذكر طلائع هذا في ترجمة جماعة من خلفاء مصر: الحافظ والفائز والعاضد وكيف كان قدومه إلى مصر وكيف قتل.

وكان ملكًا جوادًا ممدحًا شاعرًا بليغًا.

ومن شعره من جملة أبيات وكان قد خرج من الحمام فقال: الخفيف نحن في غفلة ونوم وللمو - - ت عيون يقظانة لا تنام فقتل بعد قوله بثلاثة أيام.

ومن شعره أيضًا إلى صديق له بالشام: البسيط أحباب قلبي إن شط المزار بكم فأنتم في صميم القلب سكان وإن رجعتم إلى الأوطان إن لكم صدورنا عوض الأوطان أوطان جاورتم غيرنا لما نأت بكم دار وأنتم لنا بالود جيران فكيف ننساكم يومًا لبعدكم عنا وأشخصكم للعين إنسان وفيها توفي القاضي الأعز أبو البركات بن أبي جرادة أخو القاضي ثقة الملك الحسن بن علي بن أبي جرادة.

كان أبو البركات هذا أمينًا على خزانة الملك العادل نور الدين الشهيد وكان فاضلا بليغًا.

كتب إلى أخيه بمصر قصيدة منها: الطويل أحباب قلبي والذين أودهم وأشتاقهم في كل صبح وغيهب الذين ذكر الذهبي وفاتهم في الإشارة قال: وفيها توفي أبو حكيم إبراهيم بن دينار النهرواني الحنبلي الزاهد.

والملك الصالح طلائع بن رزيك الأرمني الرافضي.

وأبو الفتح عبد الوهاب بن محمد بن الحسين بن الصابوني الخفاف.

وأبو محمد محمد بن أحمد بن عبد الكريم التميمي بن المادح.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمس أذرع وأربع عشرة إصبعًا.

مبلغ الزيادة ثماني عشر ذراعًا وسبع عشرة إصبعًا.

السنة الثانية من خلافة العاضد وهي سنة سبع وخمسين وخمسمائة.

فيها توفي الحسين بن علي بن القاسم بن المظفر قاضي القضاة أبو علي الشهرزوري قاضي الموصل.

كان عظيم الشأن عالمًا فاضلا عفيفًا رحمه الله.

وفيها توفي الشيخ الصالح الزاهد عدي بن مسافر بن إسماعيل بن موسى بن مروان بن الحسن بن مروان بن الحكم بن مروان القدوة شرف الدين أبو الفضائل الأموي الهكاري استوطن ليلش من جبل الهكارية إلى أن مات بها في سنة ثمان وقيل سنة سبع وخمسين وخمسمائة ودفن بزاويته وقبره بها ظاهر يزار وكان فقيهًا عالمًا عابدًا فصيحًا متواضعًا حسن الأخلاق مع كثرة الهيبة والوقار وهو أحد كبار مشايخ الطريقة وأحد العلماء الأعلام فيها.

سلك في المجاهدة طريقًا صعبًا بعيدًا.

وكان القطب محيي الدين عبد القادر ينوه بذكره ويثني عليه كثيرًا وشهد له بالسلطنة يعني على الأولياء وقال: لو كانت النبوة تنال بالمجاهدة لنالها الشيخ عدي بن مسافر.

وكان في أول أمره في الجبالا والصحارى مجردًا يأخذ نفسه بأنواع المجاهدات مدة سنين وكانت الحيات والسباع تألفه ثم عاد وسكن بزاويته.

وتلمذ له خلق كثير من الأولياء وتخرج بصحبته غير واحد من ذوي الأحوال.

وكان له كلام على لسان أهل الطريقة في توحيد البارئ عظيم.

ومناقبه كثيرة يضيق هذا المحل عن استيعابها رحمه الله.

الذين ذكرهم الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي أبو يعلى حمزة بن أحمد بن فارس بن كروس السلمي الدمشقي.

والشيخ عدي بن مسافر الهكاري الزاهد العارف يوم عاشوراء.

وأبو المظفر هبة الله بن أحمد الشبلي القصار في سلخ العام.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربع أذرع وعشر أصابع.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا وأربع أصابع.

السنة الثالثة من خلافة العاضد وهي سنة ثمان وخمسين وخمسمائة.

فيها سار الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي المعروف بالشهيد إلى قتال قليج أرسلان ابن السلطان مسعود صاحب بلاد الروم ووقع له معه أمور وحروب.

وفيها ظهر شاور بن مجير السعدي وجمع جمعًا كثيرًا وقتل وزير العاضد صاحب الترجمة رزيك بن طلائع بن رزيك وتولى الوزارة عوضه.

وفيها توفي عبد المؤمن بن علي أبو محمد القيسي الكومي الذي قام بأمره محمد بن تومرت المعروف بالمهدي.

قال ابن خلكان: رأيت في بعض تواريخ الغرب أن ابن تومرت كان قد ظفر بكتاب يقال له الجفر وفيه ما يكون على يده.

فأقام ابن تومرت مدة يتطلبه حتى وجده وصحبه وهو إذ ذاك غلام وكان يتفرس فيه النجابة وينشد إذا أبصره: البسيط تكاملت فيك أوصاف خصصت بها فكلنا بك مسرور ومغتبط السن ضاحكة والكف مانحة والنفس واسعة والوجه منبسط وكان يقول ابن تومرت لأصحابه: صاحبكم هذا غلاب الدول.

ولم يصح عنه أنه استخلفه بل راعى أصحابه في تقديمه إشارته فتم له الأمر.

وأول ما أخذ من البلاد وهران ثم تلمسان ثم فاس ثم مراكش بعد أن حاصرها أحد عشر شهرًا وذلك في سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة واستوثق له الأمر وامتد ملكه إلى الغرب الأقصى والأدنى وبلاد إفريقية وتسمى أمير المؤمنين.

وقصدته الشعراء وامتدحته.

ذكر العماد الكاتب الأصبهاني في كتاب الخريدة أن الفقيه أبا عبد الله محمد بن أبي العباس لما أنشده: البسيط أشار إليه بأن يقتصر على هذا البيت وأمر له بألف دينار.

وكانت وفاة عبد المؤمن المذكور في العشر الأخير من جمادى الآخرة وكانت مدة ولايته ثلاثًا وثلاثين سنة وأشهرًا.

والكومي المنسوب إليها هي كومية قبيلة صغيرة نازلة بساحل البحر من أعمال تلمسان.

وفيها توفي محمد بن عبد الكريم أبو عبد الله سديد الدولة ابن الأنباري كاتب الإنشاء بديوان الخليفة.

أقام كاتبًا به نيفًا وخمسين سنة وناب في الوزارة.

وكان بينه وبين الحريري صاحب المقامات مكاتبات ومراسلات.

وفيها توفي يحيى بن سعيد النصراني البغدادي أوحد زمانه في الطب والأدب له ستون مقامة ضاهى بها مقامات الحريري وله شعر جيد.

من ذلك في الشيب: الخفيف نفرت هند من طلائع شيبي واعترتها سآمة من وجوم هكذا عادة الشياطين ينفر - - ن إذا ما بدت رجوم النجوم الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي الزاهد أبو العباس أحمد بن محمد بن قدامة.

وأبو منصور شهردار بن شيرويه الديلمي بهمذان.

وصاحب الغرب عبد المؤمن بن علي بن علوي القيسي التلمساني في جمادى الآخرة بمدينة سلا.

والصاحب جمال الدين محمد بن علي الأصبهاني الملقب بالجواد وزير الموصل.

الماء القديم خمس أذرع وثلاث عشرة إصبعًا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا وثماني أصابع.

السنة الرابعة من خلافة العاضد وهي سنة تسع وخمسين وخمسمائة.

فيها توفي الحسن بن محمد بن الحسن الشيخ أبو المعالي الوركاني الفقيه الشافعي - ووركان: بلد بنواحي قاشان - كان إمامًا في فنون العلوم عاش نيفًا وثمانين سنة.

وفيها توفي محمد بن علي بن أبي المنصور الوزير أبو جعفر جمال الدين الأصبهاني وزير الأتابك زنكي وسيف الدين غازي وقطب الدين مودود وكان هو الحاكم على الدولة.

وكان بينه وبين زين الدين كوجك مصافاة وعهود ومواثيق.

وكانت الموصل في أيامه ملجأ لكل ملهوف.

ولم يكن في زمانه من يضاهيه ولا يقاربه في الجواد والنوال وكان كثير الصلات والصدقات بنى مسجد الخيف بمنى وغرم عليه أموالا عظيمة وجمد الحجر إلى جانب الكعبة وزخرف البيت بالذهب وبنى أبواب الحرم وشيدها ورفع أعتابها صيانة للحرم وبنى المسجد الذي على عرفة والدرج الذي فيها وأجرى الماء إلى عرفات وعمل البرك والمصانع وبنى على مدينة النبي صلى الله عليه وسلم سورًا وكانت الأعراب تنهبها وكان الخطيب يقول على المنبر: اللهم صن من صان حرم حريم نبيك محمد صلى الله عليه وسلم.

وكانت صدقاته تسير إلى المشرق والمغرب رحمه الله تعالى.

وفيها توفي أبو الفرج عبد الله بن أسعد بن علي بن عيسى الموصلي المعروف بابن الدهان وبالحمصي أيضًا الفقيه الشافعي المنعوت بالمهذب الشاعر المشهور.

كان فصيحًا فقيهًا فاضلا أديبًا شاعرًا غلب عليه الشعر واشتهر به وله ديوان صغير وكله جيد ورحل البلاد ومدح بمصر الوزير الصالح طلائع بن رزيك وغيره.

ومن شعره في غلام لسبته نحلة في شفته: الرمل بأبي من لسبته نحلة آلمت أكرم شيء وأجل أثرت لسبتها في شفة ما براها الله إلا للقبل حسبت أن بفيه بيتها إذ رأت ريقته مثل العسل ومن شعره أيضًا: الكامل قالوا سلا صدقوا عن الس - - لوان ليس عن الحبيب قالوا فلم ترك الزيا - - رة قلت من خوف الرقيب قالوا فكيف يعيش مع هذا فقلت من العجيب الذين ذكر الذهبي أوفاتهم في هذه السنة قال: فيها توفي أبو سعد عبد الوهاب بن الحسن الكرماني آخر من روى عن ابن خلف وغيره.

والسيد أبو الحسن علي بن حمزة العلوي الموسوي بهراة وكان مسندها وله إحدى وتسعون سنة.

وأبو الخير محمد بن أحمد بن محمد الباغبان.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ثماني أذرع وثماني أصابع.

مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعًا وعشر أصابع.

وزاد بعد طلوع السماك بعدة أيام.

السنة الخامسة من خلافة العاضد وهي سنة ستين وخمسمائة.

فيها فتح الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي الشهيد بانياس عنوة وكان معه أخوه نصرة الدين فأصابه سهم فأذهب إحدى عينيه فقال له أخوه نور الدين: لو كشف عما أعد لك من الأجر لتمنيت ذهاب الأخرى فحمد الله على ذلك.

وفيها فوض الملك العادل شحنكية دمشق إلى صلاح الدين يوسف بن أيوب فأظهر صلاح الدين السياسة وهذب الأمور وذلك في حياة والده وعمه أسد الدين شيركوه.

وفيها توفي أمير أميران نصرة الدين بن زنكي بن آق سنقر التركي أخو الملك العادل نور الدين المقدم ذكره في ذهاب عينه في فتح بانياس.

وكان أميرًا شجاعًا مقدامًا عزيزًا على أخيه نور الدين محمود وعظم مصابه عليه رحمه الله.

وفيها توفي حسان بن تميم بن نصر الشيخ أبو الندى الدمشقي المحدث سمع الحديث وحج ومات في شهر رجب ودفن بمقبرة باب الفراديس.

وفيها توفي الشيخ المعتقد محمد بن إبراهيم الكيزاني أبو عبد الله الواعظ المصري.

قيل إنه كان يقول: إن أفعال العباد قديمة.

ولما مات دفن عند قبر الإمام الشافعي بالقرافة الصغرى واستمر هناك إلى أن نبشه الشيخ نجم الدين الخبوشاني في أيام السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وأخرجه فدفن بمكان آخر في القرافة.

وقبره معروف يقصد للزيارة.

قيل إن الخبوشاني لما أراد نبشه قال: لا يتفق مجاورة زنديق إلى صديق ثم نبشه.

قال صاحب المرآة وغيره: كان يعني الكيزاني زاهدًا عابدًا قنوعًا من الدنيا باليسير.

وله شعر جيد وديوانه مشهور.

ومن شعره: مجزوء الرمل اصرفوا عني طبيبي ودعوني وحبيبي عللوا قلبي بذكرا - - ه فقد زاد لهيبي طاب هتكي في هواه بين واش ورقيب ليس من لام وإن أط - - نب فيه بمصيب جسدي راض بسقمي وجفوني بنحيبي ومن شعره أيضًا قوله من أبيات: الكامل يا من يتيه على الزمان بحسنه اعطف على الصب المشوق التائه أضحى يخاف على احتراق فؤاده أسفًا لأنك منه في سودائه قلت: وللكيزاني كلام في علم الطريق ولسان حلو في الوعظ وكان للناس فيه محبة ولكلامه تأثير في القلوب ولا يلتفت لقول الخبوشاني فيه لأنهما أهل عصر واحد وتهور الخبوشاني معروف كما سيأتي ذكره في وفاته إن شاء الله تعالى.

وفيها توفي محمد بن عبد الله بن عباس الشيخ أبو عبد الله الحراني كان شهد عند القاضي أبي الحسن الدامغاني الحنفي وعاش حتى لم يبق من شهوده غيره.

وسمع الحديث وصنف كتابًا سماه روض الأدباء.

قال الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي في تاريخه: زرته يومًا وأطلت الجلوس عنده فقلت له: ثقلت عليك.

فأنشدني - رحمه الله -: الوافر لئن سميت إبرامًا وثقلا زيارات رفعت بهن قدري فما أبرمت إلا حبل ودي ولا ثقلت إلا ظهر شكري وفيها توفي يحيى بن محمد بن هبيرة بن سعيد بن حسن الشيباني - قد رفع نسبه صاحب مرآة الزمان إلى عدنان - هو الوزير عون الدين أبو المظفر بن هبيرة.

ولد سنة تسع وتسعين وأربعمائة بقرية الدور من أعمال العراق وقرأ بالروايات وسمع الحديث الكثير وقرأ النحو واللغة والعروض وتفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه وصنف الكتب الحسان.

وكان قبل وزارته فقيرًا فلما أضر الفقر بحاله تعرض للخدمة فجعله الخليفة المقتفي مشرفًا في المخزن ثم صار صاحب الديوان ثم استوزره فسار في الوزارة أجمل سيرة.

وكان دينًا جوادًا كريمًا.

دخل عليه الحيص بيص الشاعر مرة فقال له ابن هبيرة: قد نظمت بيتين تقدر أن تعززهما بثالث قال: وما هما قال: البسيط زار الخيال بخيلا مثل مرسله ما شاقني منه إلا الضم والقبل ما زارني قط إلا كي يوافقني على الرقاد فينفيه ويرتحل فقال الحيص بيص من غير روية: وما درى أن نومي حيلة نصبت لوصله حين أعيا اليقظة الحيل فأعجبه وأجازه.

وكانت وفاة ابن هبيرة في جمادى الأولى فجأة وله إحدى وستون سنة.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي أبو العباس أحمد ابن عبد الله ابن أحمد بن هشام بن الحطيئة الفاسي الناسخ المقرئ بمصر.

وأبو الندى حسان بن تميم الزيات.

والوزير أبو المظفر سعيد بن سهل الفلكي في شوال.

وأبو الحسن علي بن أحمد اللباد بأصبهان.

وعلي بن أحمد بن مقاتل السوسي الشاغوري.

وأبو القاسم عمر بن محمد بن البزري الشافعي فقيه الجزيرة.

وأبو عبد الله محمد بن عبد الله بن العباس الحراني العدل ببغداد.

والقاضي أبو يعلى الصغير شيخ الحنابلة محمد بن أبي خازم ابن القاضي أبي يعلى بن الفراء.

والشريف أبو طالب محمد بن محمد بن محمد بن أبي زيد العلوي البصري النقيب.

والوزير عون الدين يحيى بن محمد بن هبيرة الشيباني في جمادى الأولى فجأة وله إحدى وستون سنة.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمس أذرع وخمس عشرة إصبعًا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا وثماني عشرة إصبعًا.

السنة السادسة من خلافة العاضد وهي سنة إحدى وستين وخمسمائة.

فيها هرب عز الدين محمد بن الوزير عون الدين بن هبيرة من دار الخلافة وكان صودر بعد وفيها توفي عبد العزيز بن الحسين بن الحباب أبو المعالي القاضي الجليس السعدي كان يجالس خلفاء مصر من بني عبيد فسمي الجليس.

وكان أديبًا مترسلا شاعرًا.

ومن شعره وأبدع: الطويل ومن عجب أن الصوارم في الوغى تحيض بأيدي القوم وهي ذكور وأعجب من ذا أنها في أكفهم تأجج نارًا والأكف بحور وفيها توفي شيخ الإسلام تاج العارفين محيي الدين أبو محمد عبد القادر بن أبي صالح موسى بن عبد الله بن يحيى الزاهد بن محمد بن داود بن موسى بن عبد الله بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن أبي محمد المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي العلوي الجيلي الحنبلي السيد الشريف الصالح المشهور المعروف بسبط أبي عبد الله الصومعي الزاهد.

وكان يعرف بجيلان.

وأمه أم الخير أمة الجبار فاطمة بنت أبي عبد الله الصومعي.

مولده بجيلان في سنة إحدى وسبعين وأربعمائة.

كان شيخ العراق صاحب حال ومقال عالمًا عاملا قطب الوجود إمام أهل الطريقة قدوة المشايخ في زمانه بلا مدافعة.

ومناقبه وشهرته أشهر من أن تذكر.

كان ممن جمع بين العلم والعمل أفتى ودرس ووعظ سنين ونظم ونثر وكان محققًا صاحب لسان في التحقيق وبيان في الطريق.

وهو أحد المشايخ الذين طن ذكرهم في الشرق وفيها توفي محمد بن حيدر بن عبد الله الشيخ أبو طاهر البغدادي الأديب الشاعر المعروف بابن شعبان.

ومن شعره من أول قصيدة: الطويل خليلي هذا آخر العهد منكما ومني فهل من موعد نستجده وفيها توفي محمد بن يحيى بن محمد بن هبيرة أبو عبد الله عز الدين ابن الوزير عون الدين.

كان فاضلا كبير الشأن عظيم القدر.

ناب عن أبيه في الوزارة مدة ثم قبض عليه بعد موت أبيه وصودر وحبس ثم هرب من محبسه خوفًا على نفسه فلم يستتر أمره وأخذ وقتل خنقًا.

وكان من بيت علم وفضل ورياسة.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي أبو طاهر إبراهيم ابن الحسن بن الحصين الشافعي بدمشق.

وأبو عبد الله الحسن بن العباس الرستمي الشافعي في صفر وله ثلاث وتسعون سنة.

وأبو محمد عبد الله بن رفاعة بن غدير السعدي الفرضي في ذي القعدة وله أربع وتسعون سنة.

والحافظ أبو محمد عبد الله ابن محمد الأشيري - وأشير: بين حمص وبعلبك - وأبو طالب عبد الرحمن بن الحسن بن العجمي بحلب.

والقدوة الشيخ عبد القادر الجيلي شيخ العراق وله تسعون سنة.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ست أذرع وإحدى عشرة إصبعًا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا وثلاث وعشرون إصبعًا.

السنة السابعة من خلافة العاضد وهي سنة اثنتين وستين وخمسمائة.

فيها تزوج الخليفة المستنجد بالله بابنة عمه أبي نصر بن المستظهر ودخل بها في شهر رجب ليلة الدعوة التي كان يعملها في كل سنة للصوفية وغيرهم وغنى المغني: الطويل يقول رجال الحي تطمع أن ترى محاسن ليلى مت بداء المطامع وكيف ترى ليلى بعين ترى بها سواها وما طفرتها بالمدامع وتلتذ منها بالحديث وقد جرى حديث سواها في خروق المسامع وكان مع الصوفية رجل من أهل أصبهان فقام قائمًا وجعل يقول للمغني: أي خواجا كفت وهو يكرر ذلك والمغني يعيد الأبيات حتى وقع الرجل ميتًا فصار ذلك الفرح مأتمًا وبكى الخليفة والصوفية ولا زالوا يتراقصون حوله إلى الصباح فحملوه إلى الشونيزية فدفنوه بها وكان له مشهد عظيم.

وفيها عاد الأمير أسد الدين شيركوه بعساكر دمشق إلى مصر وهي المرة الثانية.

وقد تقدم ذلك كفه في ترجمة العاضد.

وفيها احترقت اللبادون وباب الساعات بدمشق حريقًا عظيمًا صار تاريخًا.

وسببه أن بعض الطباخين أوقد نارًا عظيمة تحت قدر هريسة ونام فاحترقت دكانه ولعبت النار في اللبادين وغيرها إلى أن عظم الأمر.

وفيها توفي أحمد بن علي بن الزبير القاضي الرشيد.

كان أصله من أسوان وسكن مصر وكان من شعراء شاور بن مجير السعدي وله فيه مدائح إلا أنه لم ينج من شر شاور اتهمه بمكاتبة أسد الدين شيركوه فقتله.

وكان فاضلا شاعرًا وله التصانيف المفيدة من ذلك كتاب جنات الجنان ورياض الأذهان ذيل به على اليتيمة.

ومن شعره: الطويل تواطا على ظلمي الأنام بأسرهم وأظلم من لاقيت أهلي وجيراني لكل امرئ شيطان جن يكيده بسوء ولي الورى ألف شيطان وفيها توفي يحيى بن عبد الله بن القاسم القاضي تاج الدين الشهرزوري.

كان إمامًا فاضلا شاعرًا فصيحًا مات بالموصل.

ومن شعره يوازن قصيدة مهيار التي يقول فيها: المتقارب وعطل كؤوسك إلا الكبار تجد للصغار أناسًا صغارًا وفيها توفي محمد بن الحسن بن محمد بن علي العلامة أبو المعالي بن حمدون الكاتب الملقب كافي الكفاة بهاء الدين البغدادي.

كان فاضلا ذا معرفة تامة بالأدب والكتابة من بيت مشهور بالرياسة والفضل هو وأبوه وأخواه أبو نصر وأبو المظفر.

وأبو المعالي هذا هو مصنف كتاب التذكرة وهو من أحسن التصانيف يشتمل على التاريخ والأدب والأشعار وقفت عليه وهو في غاية الحسن.

وكان ابن حمدون المذكور صاحب ديوان الخليفة المستنجد العباسي وروي عن المستنجد قول أبي حفص الشطرنجي في جارية حولاء وهو: الطويل حمدت إلهي إذ بليت بحبها وبي حول يغني عن النظر الشزر نظرت إليها والرقيب يخالني نظرت إليه فاسترحت من العذر وقال ابن خلكان: إنه توفي ببغداد في يوم الأربعاء من شهر رجب سنة خمس وسبعين وخمسمائة بخلاف ما ذكرناه من قول أبي المظفر.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: فيها توفي أبو البركات الخضر ابن شبل بن الحسين بن عبد الواحد خطيب دمشق.

والحافظ أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني تاج الإسلام محدث خراسان في شهر ربيع الأول وله ست وخمسون سنة.

وأبو عروبة عبد الهادي بن محمد بن عبد الله بن عمر بن مأمون السجستاني الزاهد.

وجمال الأئمة بن الماسح أبو القاسم علي بن الحسن الكلابي الدمشقي في ذي الحجة.

وأبو الحسن علي بن مهدي بن الهلال الغبيب.

والعلامة أبو شجاع عمر بن محمد البسطامي ثم البلخي.

وأبو عاصم قيس بن محمد السويقي المؤذن.

وأبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن ثابت المصري الكيزاني الواعظ في المحرم.

وأبو المعالي محمد بن محمد بن محمد في شهر ربيع الآخر.

والمبارك بن المبارك بن صدقة السمسار.

وأبو طالب المبارك بن خضير الصيرفي.

وأبو الفرج مسعود بن الحسن الثقفي في رجب وله مائة سنة.

وأبو القاسم هبة الله بن الحسن الدقاق في المحرم.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربع أذرع وأربع وعشرون إصبعًا.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا وثلاث وعشرون إصبعًا.

السنة الثامنة من خلافة العاضد وهي سنة ثلاث وستين وخمسمائة.

فيها أبيع الورد ببغداد مائة رطل بقيراط وحبة.

وفيها زاد ظلم أبي جعفر بن البلدي وزير الخليفة واستغاث أهل بغداد منه.

وفيها توفي ظافر بن القاسم الأديب أبو منصور الجذامي الإسكندري المعروف بالحداد الشاعر وفيها توفي ظافر بن القاسم الأديب أبو منصور الجذامي الإسكندري المعروف بالحداد الشاعر المشهور.

كان فصيحًا فاضلا بليغًا.

وشعره في غاية الحسن.

وهو صاحب القصيدة الذالية التي أولها: الكامل لو كان بالصبر الجميل ملاذه ما سح وابل دمعه ورذاذه ما زال جيش الحب يغزو قلبه حتى وهي وتقطعت أفلاذه لم يبق فيه من الغرام بقية إلا رسيس يحتويه جذاذه من كان يرغب في السلامة فليكن أبدًا من الحمق المراض عياذه لا تخدعنك بالفتور فإنه نظر يضر بقلبك استلذاذه يا أيها الرشأ الذي من طرفه سهم إلى حب القلوب نفاذه در يلوح بفيك من نظامه خمر يجول عليه من نباذه وقناة ذاك القد كيف تقومت وسنان ذاك اللحظ ما فولاذه رفقًا بجسمك لا يذوب فإنني أخشى بأن يجفو عليه لاذه هاروت يعجز عن مواقع سحره وهو الإمام فمن ترى أستاذه مالي أتيت الحدث من أبوابه جهدي فدام نفاره ولواذه إياك من طمع المنى فعزيزه كذليله وغنيه شحاذه ومنها: دالية ابن دريد استهوى بها قومًا غداة نبت به بغداذه دانوا لزخرف قوله فتفرقت طمعًا بهم صرعاه أو جذاذه ويحكى أن ابن ظفر أمير الإسكندرية أحضره مرة ليبرد له خاتمًا قد ضاق في خنصره فقال ظافر المذكور: السريع قصر عن أوصافك العالم فاعترف الناثر والناظم من يكن البحر له راحة يضيق عن خنصره الخاتم وكانت وفاته في هذه السنة.

وقال ابن خلكان: في سنة تسع وعشرين وخمسمائة.

وفيها توفي عبد الكريم بن محمد بن منصور بن محمد بن عبد الجبار الإمام الحافظ أبو سعيد بن السمعاني التميمي مولده بمرو.

وكان إمامًا فاضلا محدثًا فقيهًا.

ذيل على تاريخ أبي بكر الخطيب ورحل إلى دمشق.

قال ابن عساكر ثم عاد من دمشق إلى بغداد فسمع تاريخ الخطيب وذيله وعاد إلى خراسان وعبر النهر وحدث ببلخ وهراة.

وصنف كتابًا سماه فرط الغرام إلى ساكني الشام وأرسل به إلى دمشق وهو بخطه في ثمانية أجزاء تشتمل على أخبار وحكايات.

ومات بمرو في شهر ربيع الأول.

وفيها توفي الأمير زين الدين علي بن بكتكين بن مظفر الدين كوكبوري المعروف كوجك التركي.

كان حاكمًا على الموصل وغيرها وكان حسن السيرة عادلا في الرعية.

وكان أولا بخيلا مسيكًا ثم إنه جاد في آخر عمره وبنى المدارس والقناطر والجسور.

وحكي أن بعض الجند جاءه بذنب فرس وقال له: مات فرسي فأعطاه عوضه وأخذ ذلك الذنب آخر وجاءه به وقال له: مات فرسي فأعطاه عوضه ولا زال يتداول الذنب اثنا عشر رجلا وهو يعلم أنه الأول ويعطيهم الخيل.

فلما أعجزوه أنشد: الكامل ليس الغبي بسيد في قومه لكن سيد قومه المتغابي فعلموا أنه علم فتركوه.

ولما كبر سنه سلم البلاد إلى قطب الدين مودود وقال له: إنك لا تنتفع بي فقد كبرت وضعفت قوتي وخانني سمعي وبصري.

وكان الأتابك زنكي قد أعطاه إربل فمضى إليها وأقام بها حتى مات في ذي الحجة.

وكانت أيامه على الموصل إحدى وعشرين سنة ونصف.

وملك بعده ابنه زين الذين يوسف بن علي بن مظفر الدين كوكبوري.

وفيها توفي محمد بن عبد الحميد أبو الفتح علاء الدين الرازي السمرقندي صاحب التعليقة والمعترض والمختلف على مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة رضي الله عنه.

وكان إمامًا بارعًا مفتنًا كان من فرسان الكلام قدم بغداد وناظر وبرع وفاق أهلها.

وكان شحيحًا بكلامه فكانوا يورثون عليه أسئلة وهو عالم بأجوبتها فيكاد ينقطع ولا يذكرها لشحه ولئلا تستفاد منه وعلم ذلك منه علماء عصره.

وقيل: إنه تنسك وترك المناظرة مع شهادة أهل عصره من العلماء له بالسبق والفضيلة.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي أبو المعالي أحمد ابن عبد الغني الباجسرائي.

والقاضي الرشيد أبو الحسين أحمد بن علي بن الزبير الأسواني الكاتب بمصر.

وأبو المظفر أحمد بن محمد بن علي الكاغدي في رجب ببغداد.

وأبو بكر أحمد بن المقرب الكرخي في ذي الحجة.

وأبو المناقب حيدرة بن عمر بن إبراهيم العلوي الزيدي في ذي الحجة بالكوفة.

وأبو طاهر الخضر بن الفضل الصفار ويعرف بزحل في جمادى الأولى وله إجازة عالية.

وأبو الفضل شاكر بن علي الأسواري.

وأبو محمد عبد الله بن علي الطامذي المقرئ بأصبهان في شعبان.

والشيخ العلامة أبو النجيب عبد القاهر بن عبد الله السهروري عن ثلاث وسبعين سنة.

وأبو الحسن علي بن عبد الرحمن الألوسي بن تاج القراء.

وعمرو بن سمان البغدادي.

وأبو الحسن محمد بن إسحاق بن محمد بن الصابئ.

والشريف الخطيب أبو الفتوح ناصر بن الحسن الحسيني المقرئ بمصر.

وأبو بكر محمد بن علي بن عبد الله بن ياسر الجياني الأندلسي.

ونفيسة بنت محمد بن علي البزازة.

والصائن هبة الله بن الحسن بن هبة الله بن عساكر في شعبان وله خمس وسبعون سنة.

وأبو المظفر هبة الله بن عبد الله بن أحمد بن السمرقندي.

وأبو الغنائم هبة الله بن محفوظ بن صصرى.

ومدرس النظامية أبو الحسن يوسف بن عبد الله بن بندار الدمشقي.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمس أذرع وأربع عشرة إصبعًا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا وثلاث وعشرون إصبعًا.

السنة التاسعة من خلافة العاضد

وهي سنة أربع وستين وخمسمائة.

فيها ملك السلطان الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي الشهيد قلعة جعبر من صاحبها ابن مالك العقيلي.

وفيها قدم أسد الدين شيركوه إلى الديار المصرية ومعه ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب لقتال الفرنج.

وهذه قدمته إلى مصر الثالثة التي ملك فيها مصر حسب ما تقدم ذكره في ترجمة العاضد: من قتله لشاور وتوليته الوزر للعاضد ووفاته بديار مصر وتولية صلاح الدين يوسف بعده.

وفيها توفي حميد بن مالك بن مغيث بن نصر بن منقذ الأمير أبو الغنائم الكناني.

مولده بشيزر ثم انتقل منها وسكن دمشق ثم رحل إلى حلب ومات بها في شعبان.

وكان أديبًا فاضلا شاعرًا.

وفيها توفي عبد الخالق بن أسد بن ثابت الإمام أبو محمد الدمشقي الحنفي.

كان فقيهًا مفتنًا عارفًا بالحديث وفنون العلوم ودرس بالصادرية بدمشق ومات بها.

ومن شعره: الكامل قال العوافل ما اسم من أضنى فؤادك قلت أحمد قالوا أتحمده وقد أضنى فؤادك قلت أحمد الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي الأمير مجير الدين آبق بن محمد بن بوري بن طغتكين الذي أخذ منه نور الدين دمشق ثم صار أميرًا ببغداد.

والملك أبو شجاع شاور بن مجير بن نزار السعدي وزير العاضد قتله جرديك النوري.

والملك المنصور أسد الدين شيركوه بن شادي فجأة بعد شاور بشهرين.

وأبو محمد عبد الخالق بن أسد الحنفي الحافظ في المحرم.

وأبو الحسن علي بن محمد بن علي البلنسي المقرئ في رجب وله أربع وتسعون سنة.

وقاضي القضاة زكي الدين علي بن المنتخب محمد بن يحيى القرشي الدمشقي في شوال غريبًا ببغداد وله سبع وخمسون سنة.

وأبو الفتح محمد بن عبد الباقي بن البطي الحاجب مسند العراق في جمادى الأولى وله سبع وثمانون سنة.

والحافظ أبو أحمد معمر بن عبد الواحد القرشي بن الفاخر الأصبهاني في ذي القعدة بطريق الحجاز وله سبعون سنة.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ست أذرع وثماني أصابع.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا واثنتا عشرة إصبعًا.

السنة العاشرة من خلافة العاضد وقد وزر له الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ولم يكن له مع صلاح الدين إلا مجرد الاسم فقط.

وهي سنة خمس وستين وخمسمائة.

فيها نزل الفرنج على دمياط يوم الجمعة في ثالث صفر وجدوا في القتال وأقاموا عليها ثلاثة وخمسين يومًا يحاصرونها ليلا ونهارًا.

ونذكر هذه الواقعة بأوسع من هذا في أول ترجمة صلاح الدين إن شاء الله.

وفيها توفي حماد بن منصور البزاعي الحلبي ويعرف بالخراط.

كان أديبًا شاعرًا فصيحًا.

ومن شعره في كريم: الخفيف ما نوال الغمام وقت ربيع كنوال الأمير وقت سخاء فنوال الأمير بدرة مال ونوال الغمام قطرة ماء قلت: ومن الغاية في هذا المعنى قول الشيخ

علاء الدين علي الوداعي: البسيط من زار بابك لم تبرح جوارحه تروي أحاديث ما أوليت من منن فالعين عن قرة والكف عن صلة والقلب عن جابر والسمع عن حسن وفيها توفي محمد بن إبراهيم بن هانئ أبو القاسم المغربي.

كان من شعراء الخلفاء الفاطميين.

ومن شعره من أول قصيدة مدح بها بعض خلفاء مصر: الرمل امسحوا عن ناظري كحل السهاد وانفضوا عن مضجعي شوك القتاد أو خذوا مني الذي أبقيتم ما أحدث الجسم مسلوب الفؤاد وفيها توفي مودود بن زنكي بن آق سنقر الملك قطب الدين صاحب الموصل وأخو السلطان الملك العادل نور الدين محمود الشهيد.

ولما احتضر مودود هذا أوصى بالملك لولده عماد الدين زنكي وكان أكبرهم وأعزهم عليه.

وكان الحاكم على الموصل فخر الدين عبد المسيح وكان يكره عماد الدين زنكي هذا وكان عماد الدين قد أقام عند عمه نور الدين محمود بحلب مدة وتزوج بابنته فلا زال فخر الدين المذكور بقطب الدين مودود حتى جعل العهد من بعده لولده سيف الدين غازي وعزل عماد الدين زنكي فعز ذلك على نور الدين وقصد الموصل وقال: أنا أحق بتدبير ملك أولاد أخي.

الذين ذكرهم الذهبي في هذه السنة قال: وفيها توفي أبو بكر عبد الله ابن محمد بن النقور البزاز في شعبان عن إحدى وثمانين سنة.

وأبو المكارم عبد الواحد بن محمد بن المسلم بن الحسن بن هلال الأزدي العدل في جمادى الآخرة.

وأبو القاسم محمود بن عبد الكريم الأصبهاني التاجر.

وصاحب الموصل قطب الدين مودود ابن أتابك زنكي.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمس أذرع وثماني عشرة إصبعًا.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا وأربع عشرة إصبعًا.

وتحكم وزيره الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب.

وهي سنة ست وستين وخمسمائة.

فيها سار الملك العادل نور الدين محمود من دمشق إلى الموصل وسلمها لابن أخيه عماد الدين زنكي بعد أمور وقعت بينه وبين فخر الدين عبد المسيح المقدم ذكره في الماضية.

وفيها بنى الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب مدرسة للشافعية وكان موضعها حبس المعونة وبنى بها أيضًا مدرسة للمالكية تعرف بدار الغزل وولى صدر الدين عبد الملك بن درباس الكردي القضاء بالقاهرة.

وفيها في جمادى الآخرة خرج صلاح الدين يوسف بن أيوب بعساكر العاضد إلى الشام فأغار على غزة وعسقلان والرملة ومضى إلى أيلة وكان بها قلعة فيها جماعة من الفرنج والتقاه الأسطول في البحر فافتتحها وقتل من فيها وشحنها بالرجال والعدد وكان على درب الحجاز منهم خطر عظيم.

ثم عاد صلاح الدين إلى مصر في جمادى الآخرة.

وفيها في شعبان اشترى تقي الدين عمر بن شاهنشاه منازل العز بمصر وعملها مدرسة للشافعية.

وفيها توفي الخليفة المستنجد بالله أمير المؤمنين أبو المظفر يوسف ابن المقتفي لأمر الله محمد ابن المستظهر بالله أحمد ابن المقتدي بأمر الله عبد الله الهاشمي العباسي البغدادي.

استخلف يوم مات أبوه في شهر ربيع الآخر سنة خمس وخمسين وخمسمائة.

ومولده في سنة ثماني عشرة وخمسمائة.

وأمه أم ولد تسمى طاوس كرجية أدركت خلافته.

وكان المستنجد أسمر طويل اللحية معتدل القامة شجاعًا مهيبًا عادلا في الرعية ذكيًا فصيحًا فطنًا أزال المظالم والمكوس.

وكانت وفاته في يوم السبت ثامن شهر ربيع الآخر ودفن بداره.

وكانت خلافته إحدى عشرة سنة وشهرًا.

أمر النيل ني هذه السنة: الماء القديم سبع أذرع سواء.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا وإحدى وعشرون إصبعًا.

ولاية أسد الدين شيركوه على مصر وقد اختلف المؤرخون في أمر ولايته على مصر فمنهم من عده من الأمراء ومنهم من ذكره من الوزراء.

ولهذا أخرنا ترجمته إلى هذه السنة ولم نسلك فيها طريق أمراء مصر.

وقد ذكرنا من تردده إلى مصر وقتله لشاور وتوليته الوزارة من قبل العاضد نبذة كبيرة في ترجمة العاضد المذكور.

ونذكر ترجمته الآن على هيئة تراجم أمراء مصر ففي مساق هذه الترجمة وفي سياق تلك الترجمة جمع بين القولين وللناظر فيهما الاختيار فمن شاء يجعله وزيرًا ومن شاء يجعله أميرًا.

هو الملك المنصور أسد الدين شيركوه بن شادي بن مروان عم السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب.

يأتي بقية نسبه وما قيل في أصله في ترجمة ابن أخيه صلاح الدين المذكور من أقوال كثيرة.

وقد تقدم من حديثه نبذة كبيرة.

ونسوق ذلك كله على سبيل الاختصار فنقول: كان شاور قد توجه إلى الشام يستنجد نور الدين في سنة تسع وخمسين وخمسمائة فنجده بأسد الدين شيركوه هذا بالعساكر

ووصلوا إلى مصر في الثاني من جمادى الآخرة من سنة تسع وخمسين وغدر بهم شاور ولم يف بما وعدهم به فعادوا إلى دمشق وعرفوا نور الدين بذلك.

ثم إن شاور ألجأته الضرورة لطلبهم ثانيًا خوفًا من الفرنج فعاد أسد الدين ثانيًا إلى مصر في شهر ربيع الأول سنة اثنتين وستين وسلك طريق وادي الغزلان وخرج عند وادي إطفيح فكالت بينه وبينهم وقعة هائلة.

وتوجه صلاح الدين إلى الإسكندرية واحتمى بها وحاصره شاور لأنه كان قد وقع بينهم وبينه أيضًا واصطلح عليهم مع الفرنج.

ثم رجع أسد الدين من الصعيد نجمة لابن أخيه صلاح الدين وأخذه وسار إلى بلبيس حتى وقع الصلح بينه وبين المصريين وعاد إلى الشام.

فحنق نور الدين لذلك ولم يمكنه الكلام لاشتغاله بفتح السواحل ودام ذلك إلى أن وصل الفرنج إلى مصر وملكوها في سنة أربع وستين وقتلوا أهلها.

أرسل العاضد يطلب النجدة من نور الدين فنجدهم بأسد الدين شيركوه وهي ثالث مرة فمضى إليهم أسد الدين وطرد الفرنج عنهم وملك مصر في شهر ربيع الأول من سنة أربع وستين وخمسمائة.

وعزم شاور على قتل أسد الدين وقتل أصحابه أكابر أمراء نور الدين معه ففطن أسد الدين لذلك فاحترز على نفسه.

وعلم ذلك صلاح الدين يوسف بن أيوب أيضًا فاتفق صلاح الدين يوسف مع الأمير جرديك النوري على مسك شاور وقتله واتفق ركوب أسد الدين إلى زيارة قبر الإمام الشافعي - رضي الله عنه - وكان شاور يركب في كل يوم إلى أسد الدين فلما توجه إليه في هذا اليوم المذكور قيل له: إنه توجه إلى الزيارة.

فطلب العود فلم يمكنه صلاح الدين وقال: انزل الساعة يحضر عمي.

فامتنع فجذبه هو وجرديك فأنزلوه عن فرسه وقبضوا عليه وقتلوه بعد حضور أسد الدين.

وقد تقدم ذكر ذلك كله مفصلا في ترجمة العاضد.

وخلع العاضد على الأمير أسد الدين شيركوه المذكور بالوزارة ولقبه بالملك المنصور.

فلم تطل مدته ومات بعد شهرين فجأة في يوم السبت ثاني عشر جمادى الآخرة - وقيل: يوم الأحد ثالث عشرينه - سنة أربع وستين وخمسمائة ودفن بالقاهرة ثم نقل إلى المدينة.

وقال ابن شداد: كان أسد الدين شيركوه كثير الأكل كثير المواظبة على أكل اللحوم الغليظة فتواتر عليه التخم والخوانيق وهو ينجو منها بعد مقاساة شدة عظيمة ثم اعترضه بعد ذلك مرض شديد واعتراه خانوق فقتله في التاريخ المقدم ذكره.

قلت: ولما مات تولى ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب الوزارة من بعده.

وكان أسد الدين أميرًا عاقلا شجاعًا مدبرًا عارفًا فطنًا وقورًا.

كان هو وأخوه أيوب من أكابر أمراء نور الدين محمود الشهيد وهو الذي أنشأهم حتى صار منهم ما صار.

رحمهم الله تعالى.

سلطنة صلاح الدين على مصر هو السلطان الملك الناصر أبو المظفر صلاح الدين يوسف ابن الأمير نجم الدين أيوب بن شادي بن مروان ويقال: إن مروان من أولاد خلفاء بني أمية.

وقال ابن القادسي: كان شادي مملوك بهروز الخادم.

قال صاحب مرآة الزمان: " وهذا من غلطات ابن القادسي ما كان شادي مملوكًا قط ولا جرى على أحد من بني أيوب رق وإنما شادي خدم بهروز الخادم فاستنابه بقلعة تكريت ".

انتهى.

قلت: كان بداية أمر بني أيوب أن نجم الدين أيوب والد صلاح الدين هذا وأخاه أسد الدين شيركوه - ونجم الدين هو الأكبر - كان أصلهم من دوين: بلدةٍ صغيرة في العجم وقيل: هو من الأكراد الروادية وهو الأصح.

فقدم نجم الدين أيوب وأخوه أسد الدين - شيركوه إلى العراق وخدما مجاهد الدين بهروز الخادم شحنة بغداد فرأى بهروز من نجم الدين رأيًا وعقلًا فولاه دزدارًا بتكريت وكانت تكريت لبهروز أعطاها له السلطان مسعود بن غياث الدين محمد ابن ملكشاه - المقدم ذكره - السلجوقي.

وبهروز كان يلقب مجاهد الدين.

وكان خادمًا روميًا أبيض ولاه السلطان مسعود شحنة العراق.

وبهروز " بكسر الباء الموحدة وسكون الهاء وضم الراء وسكون الواو وبعدها زاي " وهو لفظ عجمي معناه: يوم جيد.

فأقام نجم الدين بتكريت ومعه أخوه أسد الدين إلى أن انهزم الأتابك زنكي بن آق سنقر من الخليفة المسترشد في سنة ست وعشرين وخمسمائة ووصل إلى تكريت وبه نجم الدين أيوب فأقام له المعابر فعبر زنكي بن آق سنقر " دجلة " من هناك وبالغ نجم الدين في إكرامه فرأى له زنكي ذلك.

وأقام نجم الدين بعد ذلك بتكريت إلى أن خرج منها بغير إذن بهروز.

وسببه أن نجم الدين كان يرمي يومًا بالنشاب فوقعت نشابة في مملوك بهروز فقتلته من غير قصد فاستحى نجم الدين من بهروز فخرج هو وأخوه إلى الموصل.

وقيل غير ذلك: إن بهروز أخرجهما لمعنى من المعاني وقيل في ولما خرجا من تكريت قصدًا الأتابك بن آق سنقر - المقدم ذكره - وهو والد الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي المعروف بالشهيد فأحسن إليهما زنكي وأقطعهما إقطاعات كثيرة وصارا من جملة أجناده إلى أن فتح زنكي مدينة بعلبك وولى نجم الدين أيوب دزدارًا بقلعتها والدزدار بضم

الدال المهملة وسكون الزاي وفتح الدال المهملة وبعدها ألف وراء مهملة ومعناها بالعجمي: ماسك القلعة.

ودام نجم الدين ببعلبك إلى أن قتل زنكي على قلعة جمبر.

وتوجه صاحب دمشق " يومئذ مجير الدين " وحصر نجم الدين المذكور في بعلبك وضايقه فكتب نجم الدين إلى نور الدين الشهيد بن زنكي وسيف الدين غازي يطلب.

منهما نجدة فاشتغلا عنه بملك جديد واشتد الحصار على بعلبك فخاف نجم الدين من فتحها عنوة وتسليم أهلها فصالح مجير الدين صاحب دمشق على مال وانتقل هو وأخوه أسد الدين شيركوه إلى دمشق وصارا من كبار أمرائها.

ولا زال بها أسد الدين شيركوه حتى اتصل بخدمة الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي وصار من أكابر دولته.

فرأى منه محمود نجابة وشجاعة فأعطاه حمص والرحبة وجعله مقدم عساكره.

فلما صرف نور الدين همته لأخذ دمشق أمر أسد الدين أن يكاتب أخاه نجم الدين أيوب على المساعدة على فتحها فكتب أسد الدين إلى أخيه وقال له: هذا يجب عليك فإن مجير الدين قد أعطى الفرنج بانياس وربما سلم إليهم دمشق بعد ذلك فأجابه نجم الدين.

وطلبا من نور الدين إقطاعًا وأملاكًا فأعطاهما وحلف لهما ووفى بيمينه.

وأما مجير الدين المذكور صاحب دمشق فكان اسمه آبق بن محمد بن بوري بن الأتابك ظهير الدين طغتكين.

وطغتكين مولى تتش بن ألب أرسلان أخي ملكشاه السلجوقي.

ولما ملك نور الدين محمود دمشق وفى لهما بما وعدهما وصارا من أكابر أمرائه خصوصًا نجم الدين فإن جميع الأمراء كانوا إذا دخلوا على نور الدين لا يقعد أحد حتى يأمره نور الدين بالقعود إلا نجم الدين هذا فإنه كان إذا دخل قعد من غير إذن.

وداما عند نور الدين في أعلى المنازل إلى أن وقع من أمر شاور وزير مصر ما وقع - وقد حكيناه في ترجمة العاضد العبيدي - ودخول أسد الدين شيركوه إلى الديار المصرية ثلاث مرات ومعه ابن أخيه صلاح الدين يوسف هذا حتى ملك أسد الدين الديار المصرية في الثالثة وقتل شاور وولي أسد الدين وزارة مصر ولقب بالمنصور ومات بعد شهرين فولى العاضد الخليفة صلاح الدين هذا الوزارة ولقبه الملك الناصر وذلك في العشر الأخير من جمادى الآخرة سنة أربع وستين وخمسمائة.

واستولى على الديار المصرية ومهد أمورها.

وصار يدعى للعاضد ثم من بعده للملك العادل نور الدين محمود ثم من بعدهما لصلاح الدين هذا.

ونذكر ولايته إن شاء الله بأوسع من هذا من كلام ابن خلكان بعد أن نذكر نبذة من أموره.

واستمر صلاح الدين بمصر وأرسل يطلب أباه نجم الدين أيوب من الملك العادل نور الدين محمود الشهيد فأرسله إليه معظمًا مبجلًا وكان وصوله أعني نجم الدين إلى

القاهرة في شهر رجب سنة خمس وستين وخمسمائة فلما قرب نجم الدين إلى الديار المصرية خرج ابنه السلطان صلاح الدين بجميع أمراء مصر إلى ملاقاته وترجل صلاح الدين وجميع الأمراء ومشوا في ركابه ثم قال له ابنه صلاح الدين: هذا الأمر لك يعني الوزارة وهي السلطنة الآن وتدبير ملك مصر ونحن بين يديك فقال له نجم الدين: يا بني ما اختارك الله لهذا الأمر إلا وأنت أهل له.

وأبى نجم الدين عن قبول السلطنة غير أنه حكمه ابنه صلاح الدين في الخزائن فكان يطلق منها ما يختار من غير مراجعة صلاح الدين.

وكانت الفرنج تولت على دمياط في ثالث صفر من السنة المذكورة وجدوا في قتالها وأقاموا عليها نحو الشهرين يحاصرونها بالمجانيق ويزحفون عليها ليلًا ونهارًا وصلاح الدين يوجه إليها العساكر مع خاله شهاب الدين وابن أخيه تقي الدين وطلب من العاضد مالًا فبعث إليه شيئًا كثيرًا حتى قال صلاح الدين: ما رأيت أكرم من العاضد! جهز إلي في حصار الفرنج لدمياط ألف ألف دينار سوى الثياب وغيرها.

ولما سمع نور الدين بما وقع لدمياط أخذ في غزو الفرنج بالغارات عليهم.

ثم وقع فيهم الوباء والفناء فرحلوا عن دمياط بعد أن مات منهم خلق كثير.

كل ذلك في حياة العاضد في أوائل أمر صلاح الدين.

ثم أخذ السلطان صلاح الدين في إصلاح أحوال مصر وعمارة البلادة وبينا هو في ذلك ورد عليه كتاب الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي من دمشق فأمره فيه بقطع خطبة العاضد وإقامتها لبني العباس خلفاء بغداد فخاف صلاح الدين من أهل مصر إلا يجيبوه إلى ذلك وربما وقعت فتنة فعاد الجواب لنور الدين يخبره بذلك فلم يسمع له نور الدين وأرسل إليه وخشن له في القول وألزمه بذلك إلزامًا كليًا إلى أن وقع ذلك وقطعت خطبة العاضد في أول المحرم سنة سبع وستين وخمسمائة.

وكان العاضد مريضًا فأخفى عنه أهله ذلك حتى مات يوم عاشوراء فندم صلاح الدين على قطع خطبته وقال: ليتني صبرت حتى مات.

وقد ذكرنا ذلك كله مفصلًا في ترجمة العاضد السابقة لهذه الترجمة.

ومن هنا نذكر - إن شاء الله تعالى - أقوال المؤرخين في أحوال السلطان صلاح الدين هذا وغزواته وأموره كل مؤرخ على حدته.

ومن يوم مات العاضد عظم أمر صلاح الدين واستولى على خزائن مصر واستبد بأمورها من غير منازع.

غير أنه كان من تحت أوامر الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي المعروف بالشهيد صاحب دمشق على ما سنبينه في هذا المحل.

وكان يدعو له الخطيب بمصر وأعمالها وكان مولد صلاح الدين بتكريت في سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة ونشأ في حجر أبيه نجم الدين أيوب في الدولة النورية وترقى فيها وكان ولاه نور الدين قبل خروجه مع عمه أسد الدين شيركوه الثالثة إلى ديار مصر شحنجية دمشق فرجع عنها غضبًا على ما سنذكره إن شاء الله.

قال العلامة أبو المظفر شمس الدين يوسف بن قزأوغلي في تاريخه مرآة الزمان: " كان السلطان صلاح الدين شجاعًا شهمًا مجاهدًا في سبيل الله وكان مغرمًا بالإنفاق في سبيل الله وحسب ما أطلقه ووهبه مدة مقامه على عكا مرابطًا للفرنج من شهر رجب سنة خمس وثمانين إلى يوم انفصاله عنها في شعبان سنة ثمان وثمانين فكان اثني عشر ألف رأس من الخيل العراب والأكاديش الجياد للحاضرين معه للجهاد غير ما أطلقه من الأموال.

قال العماد الكاتب: لم يكن له فرس يركب إلا وهو موهوب ولا جاءه قود إلا وهو مطلوب وما كان يلبس إلا ما يحل لبسه كالكتان والقطن والصوف وكانت مجالسه منزهة عن الهزء والهزل ومحافله حافلة بأهل العلم والفضل ويؤثر سماع الحديث.

وكان من جالسه لا يعلم أنه جالس سلطانًا لتواضعه.

قال: ورأى معي يومًا دواة محلاة بفضة فأنكر علي وقال: ما هذا! فلم أكتب بها عنده بعدها.

وكان محافظًا على الصلوات في أوقاتها لا يصلي إلا في جماعة وكان لا وذكره القاضي ابن شداد في السيرة فقال: كان حسن العقيدة كثير الذكر لله تعالى وإذا جاء وقت صلاة وهو راكب نزل فصلى وما قطعها إلا في مرضه الذي مات فيه ثلاثة أيام اختلط فإنه فيها.

وكان قد قرأ عقيدة القطب النيسابوري وعلمها أولاده الصغار لترسخ في أذهانهم وكان يأخذها عليهم.

وأما الزكاة فإنه مات ولم تجب عليه قط.

وأما صدقة النوافل فاستنفدت أمواله كفها فيها.

وكان يحب سماع القرآن واجتاز يومًا على صبي صغير بين يدي أبيه وهو يقرأ القرآن فاستحسن قراءته فوقف عليه وعلى أبيه مزرعة.

وكان شديد الحياء خاشع الطرف رقيق القلب سريع الدمعة شديد الرغبة في سماع الحديث.

وإذا بلغه عن شيخ رواية عالية وكان ممن يحضر عنده استحضره وسمع عليه وأسمع أولاده ومماليكه ويأمرهم بالقعود عند سماع الحديث إجلالًا له وإن لم يكن ممن يحضر عنده ولا يطرق أبواب الملوك سعى إليه.

وكان مبغضًا لكتب الفلاسفة وأرباب المنطق ومن يعاند الشريعة.

ولما بلغه عن السهرودي ما بلغه أمر ولده الملك الظاهر بقتله.

وكان محبًا للعدل يجلس في كل يوم اثنين وخميس أفي مجلس عام يحضره القضاة والفقهاء ويصل إليه الكبير والصغير والشيخ والعجوز وما استغاث إليه أحد إلا أجابه وكشف ظلامته واستغاث إليه ابن زهير الدمشقي على تقي الدين عمر " ابن أخيه " وقال: ما يحضر معي مجلس الشرع فأمر تقي الدين بالحضور معه.

وادعى رجل على السلطان صلاح الدين المذكور بأن سنقر الخلاطي مملوكه ومات على ملكه.

قال ابن شداد: فأخبرته فأحضر الرجل وقد خرج عن طراحته وساواه في الجلوس فادعى الرجل فرفع السلطان رأسه إلى جماعة الأمراء والشيوخ الأخيار وهم وقوف على رأسه فقال: أتعرفون سنقر الخلاطي قالوا: نشهد أنه ملوكك وأنه مات على ملكك.

ولم يكن للرجل المدعي بينة فأسقط في يده.

فقلت: يا مولانا رجل غريب وقد جاء من خلاط في طمع ونفدت نفقته وما يحسن أن يرجع خائبًا فقال: يا قاضي هذا إنما يكون على غير هذا الوجه ووهب له نفقة وخلعة وبغلة وأحسن إليه.

قال: وفتح آمد ووهبها لابن قرا أرسلان.

واجتمع عنده وفود بالقدس ولم يكن عنده مال فباع ضيعة وفرق ثمنها فيهم.

قال ابن شداد: وسألت باليان بن بارزان يوم انعقاد الصلح عن عدة الفرنج الذين كانوا على عكا وهو جالس بين يدي السلطان فقال للترجمان: قل له كانوا من خمسمائة ألف إلى ستمائة ألف قتل منهم أكثر من مائة ألف وغرق معظمهم.

قال: وكان يوم المصاف يدور على الأطلاب ويقول: وهل أنا إلا واحد منكم وكان في الشتاء يعطي العساكر دستورًا وهو نازل على برج عكا ويقيم طول الشتاء في نفر يسير.

وكان على الرملة فجاءه كتاب بوفاة تقي الدين " ابن أخيه " فقال وقد خنقته العبرة: مات تقي الدين اكتموا خبره مخافة العدو.

قال: ولقد واجهه الجناح على يافا بذلك الكلام القبيح فما قال له كلمة واستدعاه فأيقن بالهلاك وارتقب الناس أن يضرب رقبته فأطعمه فاكهة قدمت من دمشق وسقاه ماء وثلجًا.

قال: وكان للمسلمين لصوص يدخلون خيام الفرنج بالليل وشرقونهم فسرقوا ليلة صبيًا رضيعًا فباتت أمه تبكي طول الليل فقال لها الفرنج: إن سلطانهم رحيم القلب فاذهبي إليه فجاءته وهو على تل الخروبة راكب فعفرت وجهها وبكت فسأل عنها فأخبر بقصتها فرق لها ودمعت عيناه وتقدم إلى مقدم اللصوص بإحضار الطفل ولم يزل واقفًا حتى أحضروه فلما رأته بكت وشهقت وأخذته وأرضعته ساعة وضمته إليها وأشارت إلى ناحية الفرنج فأمر أن تحمل على فرس وتلحق بالفرنج ففعلوا.

قال ابن شداد: وكان حسن العشرة طيب الخلق حافظًا لأنساب العرب عارفًا بخيولهم طاهر اللسان والقلم فما شتم أحدًا قط ولا كتب بيده ما فيه أذى مسلم.

وما حضر بين يديه يتيم إلا وترحم على من خلفه وجبر قلبه وأعطاه ما يكفيه فإن كان له كافل " سلمه إليه " وإلا كفله.

وسرق يومًا من خزائنه ألفًا دينار وجعل في الكيس فلوس فما قال شيئًا.

انتهى كلام ابن شداد قال أبو المظفر: وحكى لي المبارز سنقر الحلبي - رحمه الله تعالى - قال: كان الحجاب يزدحمون على طراحته فجاء سنقر الخلاطي ومعه قصص فقدم إليه قصة وكان السلطان مد يده اليمنى على الأرض ليستريح فداسها سنقر الخلاطي ولم يعلم وقال له: علم عليها فلم يجبه فكرر عليه القول فقال له: يا طواشي أعلم بيدي أم برجلي فنظر سنقر فرأى يد السلطان تحت رجله فخجل وتعجب الحاضرون من هذا الحلم ثم قال السلطان: هات القصة فعلم عليها ".

وقال القاضي شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان - رحمه الله - في تاريخه: لا وصلاح الدين كان واسطة العقد وشهرته أكبر من أن يحتاج إلى التنبيه عليه.

اتفق أهل التاريخ على أن أباه وأهله من دوين " بضم الدال المهملة وكسر الواو وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها نون " وهي يلحق في آخر عمل أذربيجان من جهة أران وبلاد الكرج وأنهم أكراد روادية " بفتح الراء والواو وبعد الألف دال مهملة مكسورة ثم ياء مثناة من تحتها مشددة ثم هاء ".

والروادية: بطن من الهذبانية لفتح الهاء والذال المعجمة والباء الموحدة وبعد الألف نون مكسورة ثم ياء مثناة مشددة من تحتها وبعدها هاء وهي قبيلة كبيرة من الأكراد.

وقال لي رجل عارف بما يقول وهو من أهل دوين: إن على باب دوين قرية يقال لها: أجدانقان " بفتح الهمزة وسكون الجيم وفتح الدال المهملة وبعد الألف نون مفتوحة ثم قاف وبعد الألف الثانية نون أخرى " وجميع أهلها أكراد روادية ومولد أيوب والد صلاح الدين بها وشادي أخذ ولديه " منها ": أسد الدين شيركوه ونجم الدين أيوب وخرج بهما إلى بغداد ومن هناك إلى تكريت.

ومات شادي بها وعلى قبره قبة داخل البلد.

ولقد تتبعت نسبهم كثيرًا فلم أجد أحدًا ذكر بعد شادي أبا آخر حتى إني وقفت على كتب كثيرة بأوقاف وأملاك باسم شيركوه وأيوب فلم أر فيها سوى شيركوه بن شادي أو أيوب بن شادي لا غير.

وقال لي بعض أعوانهم: هو شادي بن مروان وقد ذكرته في ترجمة أيوب وشيركوه.

قال: ورأيت مدرجًا رتبه الحسن بن غريب بن عمران الحرشي يتضمن أن أيوب بن شادي بن مروان بن أبي علي بن عنترة بن الحسن بن علي بن أحمد بن أبي علي بن عبد العزيز بن هدبة بن الحصين بن الحارث بن سنان بن عمرو بن مرة بن عوف بن أسامة بن بيهس بن الحارث صاحب الحمالة ابن عوف بن أبي حارثة بن مرة بن نشبة بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان ابن سعد بن قيس بن عيلان بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ثم رفع هذا النسب إلى أن انتهى إلى آدم عليه السلام.

ثم ذكر بعد ذلك أن علي بن أحمد بن أحمد بن أبي علي يقال إنه ممدوح المتنبي ويعرف بالخراساني.

وفيه يقول من جملة قصيدة: شرق الجو بالغبار إذا سا - - ر علي بن أحمد القمقام

وأما الحارث بن عوف بن أبي حارثة صاحب الحمالة فهو الذي حمل الدماء بين عبس وذبيان وشاركه في الحمالة خارجة بن سنان أخو هرم بن سنان.

وفيهما قال زهير بن أبي سلمى المزني قصائد كثيرة منها قوله: وهل ينبت الخطي إلا وشيجه وتغرس إلا في منابتها النخل هذا آخر ما ذكره في المدرج وكان قد قدمه إلى الملك المعظم شرف الدين عيسى بن الملك العادل صاحب دمشق وسمعه عليه هو وولده الملك الناصر صلاح الدين أبو المفاخر داود بن الملك المعظم وكتب لهما بسماعهما عليه في آخر رجب سنة تسع عشرة وستمائة.

والله أعلم انتهى ما ذكرته من المدرج.

ثم قال: وأقول: " ذكر المؤرخون أن أسد الدين شيركوه لما مات استقرت الأمور بعده لصلاح الدين يوسف بن أيوب وتمهدت القواعد ومشى الحال على أحسن الأوضاع وبذل الأموال وملك قلوب الرجال وشكر نعمة الله تعالى عليه فتاب عن الخمر وأعرض عن أسباب اللهو وتقمص بقميص الجد والاجتهاد ولا زال على قدم الخير وما يقر به إلى الله تعالى إلى أن مات ".

قال: " وقال شيخنا ابن شداد - رحمه الله -: قال صلاح الدين - رحمه الله -: لما يسر الله تعالى بملك الديار المصرية علمت أن الله أراد فتح الساحل لأنه أوقع ذلك في نفسي ".

قال: ومن حين استقام له الأمر ما زال صلاح الدين يشن الغارات على الفرنج إلى أن ملك الكرك والشوبك وبلادهما وغشي الناس من سحائب الإفضال والإنعام أما لم يؤرخ عن غير تلك الأيام.

وهذا كله وهو وزير متابع للقوم ولكنه يقول بمذهب أهل السنة " غارس في البلاد أهل الفقه والعلم والتصوف والدين والناس يهرعون إليه من كل صوب ويفدون عليه من كل جانب وهو لا يخيب قاصدًا ولا يعدم وافدًا " إلى سنة خمس وستين وخمسمائة.

فلما عرف نور الدين استقرار أمر صلاح الدين بمصر أخذ حمص من نواب أسد الدين شيركوه وذلك في رجب سنة أربع وستين.

ولما علم الفرنج ما جرى من المسلمين وعساكرهم وما تم للسلطان من استقامة الأمر له بالبلاد المصرية علموا أنه يملك بلادهم ويخرب ديارهم ويقطع آثارهم فاجتمع الفرنج والروم جميعًا وقصدوا الديار المصرية ونزلوا دمياط ومعهم آلات الحصار وما يحتاج إليه ".

قلت: وهذه الواقعة التي ذكرناها في أول هذه الترجمة غير أننا نذكرها أيضًا من قول ابن خلكان لزيادات تأتي فيها.

قال: " ولما سمع فرنج الشام ذلك اشتد أمرهم فسرقوا حصن عكا من المسلمين وأسروا صاحبها وكان مملوكًا لنور الدين محمود يقال له: " خطلخ العلم دار " وذلك في شهر ربيع الآخر سنة خمس وستين.

ولما رأى نور الدين ظهور الفرنج ونزولهم على دمياط قصد شغل قلوبهم فنزل على الكرك فحاصرها في شعبان من السنة المذكورة فقصده فرنج الساحل فرحل عنها وقصد لقاءهم فلم يقووا له.

ثم بلغه وفاة مجد الدين بن الداية وكانت وفاته بحلب في أشهر رمضان سنة خمس وستين فاشتغل قلبه فإنه صاحب أمره.

وعاد يطلب الشام فبلغه أمر الزلازل بحلب التي أخربت البلاد وكانت في ثاني عشر شوال فسار يطلب حلب فبلغه موت أخيه قطب الدين مولود بالموصل وبلغه خبر موته وهو بتل باشر فسار من ليلته طالبًا لبلاد الموصل.

ودام صلاح الدين في قتال الفرنج بدمياط إلى أن رحلوا عنها خائبين ".

قال ابن خلكان: والذي ذكره شيخنا عز الدين بن الأثير: أما كيفية ولاية صلاح الدين فإن جماعة من الأمراء النورية الذين كانوا بمصر طلبوا التقدم على العساكر وولاية الوزارة " يعني بعد موت أسد الدين شيركوه ": منهم الأمير عين الدولة الياروقي وقطب الدين خسرو بن تليل وهو ابن أخي أبي الهيجاء الهدباني الذي كان صاحب إربل.

قلت: وهو صاحب المدرسة القطبية بالقاهرة ومنهم سيف الدين علي بن أحمد الهكاري وجده كان صاحب القلاع الهكارية.

قلت: هو المعروف بالمشطوب - ولوالده أحمد ترجمة في تاريخنا " المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي " قال: ومنهم شهاب الدين محمود الحارمي وهو خال صلاح الدين وكل واحد من هؤلاء قد لحظها لنفسه أو قد جمع ليغالب عليها فأرسل العاضد صاحب مصر إلى صلاح الدين يأمره بالحضور إلى قصره ليخلع عليه خلعة الوزارة ويوليه الأمر بعد عمه.

وكان الذي حمل العاضد على تولية صلاح الدين ضعف صلاح الدين فإنه ظن أنه إذا ولى صلاح الدين وليس له عسكر ولا رجال كان في ولايته مستضعفًا يحكم عليه ولا يقدر على المخالفة وأنه يضع على العساكر الشافي من يستميلهم " إليه " فإذا صار معه البعض أخرج الباقين وتعود البلاد إليه وعنده من العساكر الشامية من يحميها من الفرنج ونور الدين.

والقصة مشهورة " أردت عمرًا وأراد الله خارجة ".

فامتنع صلاح الدين وضعفت نفسه عن هذا المقام فألزمه العاضد وأخذ كارهًا إن الله ليعجب من قوم يقادون إلى الجنة بالسلاسل.

فلما حضر في القصر خلع عليه خلعة الوزارة: الجبة والعمامة وغيرهما ولقب بالملك الناصر وعاد إلى دار عمه أسد الدين شيركوه وأقام بها ولم يلتفت إليه أحد من أولئك الأمراء الذين يريدون الأمر لأنفسهم ولا خدموه.

وكان الفقيه ضياء الدين عيسى الهكاري معه فسعى مع سيف الدين علي بن أحمد حتى أماله إليه وقال له: إن هذا الأمر لا يصل إليك مع وجود عين الدولة والحارمي وابن تليل فمال إلى صلاح الدين.

ثم قصد شهاب الدين الحارمي وقال له: إن هذا صلاح الدين هو ابن أختك وملكه لك وقد استقام له الأمر فلا تكن أول من يسعى في إخراجه عنه أولًا يصل إليك ولم يزل به حتى أحضره أيضًا عنه وحلفه له.

ثم عدل إلى قطب الدين وقال له: إن صلاح الدين قد أطاعه الناس ولم يبق غيرك وغير الياروقي وعلى كل حال فيجمع بينك وبين صلاح الدين أن أصله من الأكراد ووعده وزاد في إقطاعه فأطاع صلاح الدين.

ثم عدل إلى عين الدولة الياروقي وكان أكبر الجماعة وأكثرهم جمعًا فاجتمع به فلم ينفع فيه رقاه ولا نفذ فيه سحره وقال: " أنا لا أخدم يوسف أبدًا " وعاد إلى نور الدين محمود ومعه غيره.

فأنكر عليهم نور الدين فراقه وقد فات الأمر ليقضي الله أمرًا كان مفعولًا.

وثبتت قدم صلاح الدين ورسخ ملكه وهو نائب عن الملك العادل نور الدين والخطبة لنور الدين في البلاد كلها ولا يتصرفون إلا عن أمره.

وكان نور الدين يكاتب صلاح الدين بالأمير الأسفهسالار ويكتب علامته في الكتب تعظيمًا أن يكتب اسمه وكان لا يفرده بمكاتبة بل يكتب: " الأمير الأسفهسالار صلاح الدين وكافة الأمراء بالديار المصرية يفعلون كذا وكذا ".

واستمال صلاح الدين قلوب الناس وبذل الأموال مما كان أسد الدين قد جمعه فمال الناس إليه وأحبوه وقويت نفسه على القيام بهذا الأمر والثبات فيه وضعف أمر العاضد وكان العاضد كالباحث عن حتفه بظلفه ".

قال ابن الأثير في تاريخه الكبير: قد اعتبرت التواريخ ورأيت كثيرًا من التواريخ الإسلامية فرأيت كثيرًا ممن يبتدئ الملك تنتقل الدولة عن صلبه إلى بعض أهله وأقاربه: منهم في أول الإسلام معاوية بن أبي سفيان أول من ملك من أهل بيته فانتقل الملك عن أعقابه إلى بني مروان من بني عمه.

ثم من بعده السفاح أول من ملك من ملوك بني العباس انتقل الملك عن أعقابه إلى أخيه أبي جعفر المنصور.

ثم السامانية أول من ملك منهم نصر بن أحمد فانتقل الملك عنه إلى أخيه إسماعيل بن أحمد وأعقابه.

ثم يعقوب ابن الليث الضفار أول من ملك من أهل بيته فانتقل الملك عنه إلى أخيه عمرو وأعقابه.

ثم عماد الدولة بن بويه أول من ملك من أهل بيته ثم انتقل الملك عنه إلى أخويه: ركن الدولة ومعز الدولة.

ثم السلجوقية أول من ملك منهم طغرلبك.

ثم انتقل الملك إلى أولاد أخيه داود.

ثم هذا شيركوه كما ذكرنا انتقل الملك عنه إلى ولد أخيه نجم الدين أيوب.

ولولا خوف الإطالة لذكرنا أكثر من هذا.

والذي أظنه السبب في ذلك أن الذي يكون أول دولة يكثر القتل فيأخذ الملك وقلوب من كان فيه متعلقة به فلهذا يحرم الله تعالى أعقابه ويفعل ذلك لأجلهم عقوبة له انتهى.

قلت: وما ذكره ابن الأثير من انتقال الملك من عقب من يلي الملك أولا إلى أقاربه هو بعكس ما وقع لخلفاء مصر بني عبيد فإنه لم يل الخلافة منهم أحد بعد أخيه من أولهم المعز إلى آخرهم العاضد.

قلت: ونادرة أخرى وقعت لخليفة زماننا هذا فإنه خامس أخ ولي الخلافة بعد إخوته وهو أمير المؤمنين المستنجد بالله يوسف وهم خمسة إخوة من أولاد المتوكل كل منهم ولي الخلافة: وأولهم المستعين بالله العباسي الذي تسلطن بعد خلع الملك الناصر فرج بن برقوق سليمان ثم من بعده القائم حمزة ثم يوسف هذا خليفة زماننا.

وأكثر من ولي من بني أمية أربعة من أولاد عبد الملك بن مروان: وهم الوليد وسليمان ويزيد وهشام قيل: إن عبد الملك رأى في نومه أنه بال في محراب النبي صلى الله عليه وسلم أربع بولات فأوله المعبرون بأنه يلي الخلافة من ولده لصلبه أربعة فكان كذلك.

وأما ثلاثة الإخوة: فالأمين محمد والمأمون عبد الله والمعتصم محمد أولاد الرشيد هارون.

ثم وقع ذلك أيضًا لبني العباس في أولاد المتوكل جعفر ولي من أولاده ثلاثة: المنتصر والمعتز والمعتمد.

ثم وقع ذلك أيضًا للمعتضد ولي من أولاده ثلاثة: وهم المكتفي علي والمقتدر جعفر والقاهر محمد.

ثم وقع ذلك للمقتدر جعفرة ولي من أولاده ثلاثة: الراضي والمتقي والمطيع.

ونادرة أخرى قيل: إن المستنجد بن المقتفي رأى في حياة والده في منامه كأن ملكًا نزل من السماء فكتب في كفه أربع خاءات معجمات فعبروه أنه يلي الخلافة سنة خمس وخمسين وخمسمائة فكان كذلك.

وقد خرجنا عن المقصود ونعود إلى ذكر صلاح الدين.

ثم ذكر ابن الأثير شيئًا عن أحوال صلاح الدين إلى أن قال: وتوفي العاضد وجلس صلاح الدين للعزاء واستولى على قصره وجميع ما فيه فكان قد رتب فيه قبل وفاة العاضد بهاء الدين قراقوش وهو خصي يحفظه فحفظ ما فيه حتى تسلمه صلاح الدين ونقل صلاح الدين أهله إلى مكان منفرد ووكل بهم من يحفظهم وجعل أولاده وعمومته وأبناءه في إيوان بالقصر وأخرج من كان فيه من العبيد والإماء فأعتق البعض ووهب البعض وأخلى القصر من سكانه وأهله.

فسبحان من لا يزول ملكه قال: ولما استولى صلاح الدين على القصر وأمواله وذخائره اختار منه ما أراد ووهب أهله وأمراءه وباع منه كثيرًا وكان فيه من الجواهر النفيسة ما لم يكن عند ملك من الملوك.

قال ابن الأثير: ولما وصل الخبر إلى الإمام المستضيئ بأمر الله أبي محمد الحسن بن الإمام المستنجد وهو والد الإمام الناصر لدين الله بما تجدد من أمر مصر وعود الخطبة والسكة بها باسمه بعد انقطاعها بمصر هذه المدة الطويلة عمل أبو الفتح محمد سبط ابن التعاويذي قصيدة طنانة مدح بها المستضيئ وذكر هذا الفتوح المتجدد له وفتوح بلاد اليمن وهلاك الخارجي بها الذي سمى نفسه المهدي.

نذكر في آخر ترجمته أمر القصيدة التي نظمها ابن التعاويذي من كلام ابن خلكان وغيرها إن شاء الله تعالى.

وكان صلاح الدين قد أرسل له من ذخائر مصر وأسلاب المصريين شيئًا كثيرًا.

ثم ذكر ابن الأثير فصلًا في سنة سبع وستين وخمسمائة يتضمن حصول الوحشة بين نور الدين الشهيد وبين صلاح الدين باطنًا فقال: " في هذه السنة جرت أمور أوجبت تأثر نور الدين من صلاح الدين ولم يظهر ذلك.

وكان سببه أن صلاح الدين سار عن مصر في صفر منها إلى بلاد الفرنج ونازل حصن الشوبك وبينه وبين الكرك يوم وحصره وضيق على من به من الفرنج وأدام القتال فطلبوا الأمان واستمهلوه عشرة أيام فأجابهم إلى ذلك.

فلما سمع نور الدين ما فعله صلاح الدين سار من دمشق قاصدًا بلاد الفرنج ليدخل إليها من جهة أخرى فقيل لصلاح الدين: إن دخل نور الدين إلى بلاد الفرنج وهم على هذه الحال - أنت من جانب ونور الدين من جانب - ملكها ومتى زال ملك الفرنج عن الطريق لم يبق لك بديار مصر مقام مع نور الدين ومتى جاء نور الدين إليك وأنت هاهنا فلا بذلك من الاجتماع به وحينئذٍ يكون هو المتحكم فيك إن شاء تركك وإن شاء عزلك ولا تقدر على الامتناع عليه وحينئذ المصلحة الرجوع إلى مصر.

فرحل عن الشوبك عائدًا إلى مصر " ولم يأخذه من الفرنج ".

وكتب إلى نور الدين يعتذر باختلال الديار المصرية لأمور بلغته عن بعض شيعة العلوي وأنهم عازمون على الوثوب بها وأنه يخاف عليها من البعد عنها أن يقوم أهلها على من تخلف بها.

فلم يقبل نور الدين هذا الاعتذار منه وتغير عليه وعزم على الدخول إلى مصر وإخراجه عنها.

وظهر ذلك لصلاح الدين فجمع أهله وفيهم أبوه نجم الدين أيوب وخاله شهاب الدين الحارمي وسائر الأمراء وأعلمهم بما بلغه من عزم نور الدين وحركته إليه فاستشارهم فلم يجبه أحد منهم بكلمة فقام تقي الدين عمر ابن أخيه وقال: إذا جاء قاتلناه ومنعناه عن البلاد ووافقه غيره من أهله فشتمهم نجم الدين أيوب وأنكر ذلك واستعظمه وقال لصلاح الدين: أنا أبوك وهذا شهاب الدين خالك ونحن أكثر محبة لك من جميع من ترى والله لو رأيت أنا وخالك نور الدين لم يمكنا إلا أن نقبل الأرض بين يديه ولو أمرنا أن نضرب عنقك لفعلنا فإذا كنا نحن هكذا فما ظنك بغيرنا! وكل من ترى من الأمراء لو رأى نور الدين وحده لم يتجاسروا من الثبات على سروجهم.

ثم قال: وهذه البلاد له ونحن مماليكه ونوابه فيها فإن أراد غير ذلك سمعنا وأطعنا والرأي أن تكتب إليه وتقول: بلغني أنك تريد الحركة لأجل البلاد فأي حاجة إلى هذا! يرسل المولى نجابًا يضع في رقبتي منديلًا ويأخذني إليك فما هاهنا من يمتنع عليك وقام الأمراء وتفرقوا.

فلما خلا نجم الدين أيوب بابنه صلاح الدين قال له: يا بني بأي عقل قلت هذا! أما علمت أن نور الدين متى سمع عزمنا على منعه ومحاربته جعلنا أهم الوجوه عنده وحينئذ لا نقوى به وإذا بلغه طاعتنا له تركنا واشتغل بغيرنا والأقدار تعمل عملها والله لو أراد نور الدين قصبة من قصب السكر لقاتلته أنا عليها حتى أمنعه أو أقتل.

ففعل صلاح الدين ما أشار به والده عليه فترك نور الدين قصده واشتغل بغيره فكان الأمر كما ظنه أيوب.

وتوفي نور الدين ولم يقصده.

وملك صلاح الدين البلاد وكان هذا من أصوب الآراء وأحسنها.

انتهى كلام ابن الأثير باختصار.

قال ابن شداد: ولم يزل صلاح الدين في نشر الإحسان وإفاضة النعم على الناس إلى سنة ثمان وستين وخمسمائة فعند ذلك خرج بالعسكر يريد بلاد الكرك والشوبك وإنما بدأ بها لأنها كانت أقرب إليه وكانت على الطريق تمنع من يقصد الديار المصرية وكان لا يمكن أن تعبر قافلة حتى يخرج هو بنفسه يعبرها فأراد توسيع الطريق وتسهيلها فحاصرها في هذه السنة وجرى بينه وبين الفرنج وقعات وعاد إلى مصر ولم يظفر منها بشيء.

ولما عاد بلغه خبر وفاة والده نجم الدين قبل وصوله إليه.

قال: ولما كانت سنة تسع وستين رأى قوة عسكره وكثرة دمعه وكان بلغه أن باليمن إنسانًا استولى عليها وملك حصونها وكان يسمى عبد النبي بن مهدي فأرسل أخاه توران شاه فقتله وأخذ البلاد منه.

ثم مات الملك العادل نور الدين محمود صاحب دمشق في سنة تسع وستين وخمسمائة على ما سيأتي ذكره في الوفيات.

ثم بلغ صلاح الدين أن إنسانًا يقال له الكنز " جمع بأسوان خلقًا كثيرًا من السودان وزعم أنه يعيد الدولة العبيدية المصرية.

وكان أهل مصر يؤثرون عودهم وانضافوا إليه فسير صلاح الدين إليه جيشًا كثيفًا وجعل مقدمه أخاه الملك العادل فساروا والتقوا به وكسروه في السابع من صفر سنة سبعين وخمسمائة.

ثم بعد ذلك استقرت له قواعد الملك.

وكان نور الدين محمود قد خلف ولده الملك الصالح إسماعيل وكان بدمشق عند وفاة أبيه.

وكان بحلب شمس الدين علي بن الداية وكان ابن الداية حدث نفسه بأمور فسار الملك الصالح من دمشق إلى حلب فوصل إلى ظاهرها في المحرم سنة سبعين ومعه سابق الدين فخرج بدر الدين حسن بن الداية فقبض على سابق الدين.

ولما دخل الملك الصالح قلعة حلب قبض على شمس الدين علي بن الداية وعلى أخيه بدر الدين حسن المذكور وأودع الثلاثة السجن.

وفي ذلك اليوم قتل أبو الفضل بن الخشاب لفتنة جرت بحلب وقيل: بل قتل قبل القبض على أولاد الداية بيوم لأنهم تولوا تدبير ذلك.

ثم إن صلاح الدين بعد وفاة نور الدين علم أن ولده الملك الصالح صبي لا يستقل بالأمر ولا ينهض بأعباء الملك واختلفت الأحوال بالشام.

وكاتب شمس الدين محمد بن عبد الملك بن المقدم صلاح الدين فتجهز صلاح الدين من مصر في جيش كثيف وترك بالقاهرة من يحفظها وقصد دمشق مظهرًا أنه يتولى مصالح الملك الصالح فدخلها بالتسليم في يوم الثلاثاء سلخ شهر ربيع الآخر سنة سبعين

وخمسمائة وتسلم قلعتها واجتمع الناس إليه وفرحوا به وانفق في ذلك اليوم مالًا جزيلًا وأظهر السرور بالدمشقيين وصعد القلعة ثم سار إلى حلب ونازل حمص وأخذ مدينتها في أول جمادى الأولى ولم يشتغل بقلعتها وتوجه إلى حلب ونازلها في يوم الجمعة سلخ جمادى الأولى من السنة وهي الوقعة الأولى.

ثم إن سيف الدين غازي بن قطب الدين مودود بن زنكي صاحب الموصل لما أحس بما جرى علم أن الرجل قد استفحل أمره وعظم شأنه فخاف إن غفل عنه استحوذ على البلاد واستقرت قدمه في الملك وتعدى الأمر إليه فأرسل عسكرًا وافرًا وجيشًا عظيمًا وقدم عليه أخاه عز الدين مسعود بن قطب الدين مودود وساروا يريدون لقاء صلاح الدين نجمة لابن عمه الملك الصالح ابن نور الدين ليردوا صلاح الدين عن البلاد.

فلما علم صلاح الدين ذلك رحل من حلب في مستهل رجب من السنة عائدًا إلى حماة ثم رجع إلى حمص وأخذ قلعتها.

ووصل عز الدين مسعود إلى حلب وأخذ معه عسكر ابن عمه الملك الصالح إسماعيل بن نور الدين محمود وهو صاحب حلب يومئذ وخرجوا في جمع عظيم وما علم صلاح الدين بخروجهم حتى وافاهم على قرون حماة فراسلهم وراسلوه واجتهد صلاح الدين على أن يصالحوه فلم يصالحوه فرأى أن ضرب المصاف معهم ربما نالوا به غرضهم والقضاء يجري إلى أموره وهم لا يشعرون فتلاقوا فقضى الله تعالى أنهم انكسروا بين يديه وأسر جماعة منهم فمن عليهم وأطلقهم وذلك في تاسع عشر شهر رمضان من السنة عند قرون حماة.

ثم سار صلاح الدين عقيب كسرتهم ونزل على حلب وهي الدفعة الثانية فصالحوه على المعرة وكفر طاب وبارين.

ولما جرت هذه الواقعة كان سيف الدين غازي محاصرًا أخاه عماد الدين زنكي صاحب سنجار وعزم على أخذها منه لأنه كان قد انتمى إلى صلاح الدين وكان قد قارب أخذها.

فلما بلغه خبر هذه الواقعة وأن عسكره انكسر من صلاح الدين على قرون حماة خاف أن يبلغ أخاه عماد الدين الخبر فيشتد أمره ويقوى جأشه فراسله وصالحه.

ثم سار غازي من وقته إلى نصيبين واهتم بجمع العساكر والإنفاق فيها وسار إلى الفرات وعبر البيرة وخيم على الجانب الشامي وراسل ابن عمه الملك الصالح ابن الملك العادل نور الدين صاحب حلب حتى تستقر له قاعدة يصل إليها.

ثم إنه وصل إلى حلب وخرج ابن عمه الملك الصالح صاحب حلب إلى لقائه وأقام غازي على حلب مدة وصعد قلعتها جريدة ثم نزل وسار إلى تل السلطان وهي منزلة بين حلب وحماة ومعه جمع كبير.

وأرسل صلاح الدين إلى مصر وطلب عسكرها فوصل إليه منها جمع كبير فسار بهم صلاح الدين حتى نزل قرون حماة ثانيًا.

وتصافوا بكرة يوم الخميس العاشر من شوال سنة إحدى وسبعين وخمسمائة وجرى قتال عظيم وانكسرت ميسرة صلاح الدين من مظفر الدين بن زين الدين صاحب إربل فإنه كان على ميمنة سيف الدين غازي فحمل صلاح الدين بنفسه على عسكر سيف الدين غازي حملة شديدة فانكسر القوم وأسر منهم جماعة من كبار الأمراء فمن عليهم صلاح الدين وأطلقهم.

وعاد سيف الذين غازي إلى حلب فأخذ منها خزائنه وسار حتى عبر الفرات وترك ابن عمه الملك الصالح صاحب حلب بها وعاد إلى بلاده.

ومنع صلاح الدين من تتبع القوم ونزل في بقية اليوم في خيامهم فإنهم تركوا أثقالهم وانهزموا وفرق صلاح الدين الأطلاب ووهب الخزائن وأعطى خيمة سيف الدين غازي لابن أخيه عز الدين فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب أخي تقي الدين عمر صاحب حماة وكان فرخشاه صاحب بعلبك.

ثم سار صلاح الدين إلى منبج فتسلمها ثم سار إلى قلعة عزاز وحاصرها في رابع في القعدة سنة إحدى وسبعين وخمسمائة.

وبينما صلاح الدين بها وثب عليه جماعة من الإسماعيلية " أعني الفداوية " فنخاه الله منهم وظفر بهم.

وأقام عليها حتى أخذها في رابع عشر ذي الحجة من السنة.

ثم سار فنزل على حلب في سادس عشر ذي الحجة وأقام عليها مدة.

ثم رحل عنها بعد أن أخرجوا له ابنةً صغيرةً لنور الدين محمود فسألته عزاز فوهبها لها.

ثم عاد صلاح الدين إلى مصر ليتفقد أحوالها وكان مسيره إليها في شهر ربيع الأول سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة وكان أخوه شمس الدولة توران شاه بن أيوب قد وصل إليه من اليمن فاستخلفه بدمشق.

ثم بعد ذلك تأهب صلاح الدين للغزاة وخرج يطلب الساحل حتى وافى الفرنج على الرملة وذلك في أوائل جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة وكانت الكسرة على المسلمين في ذلك الوقت ولما انهزموا لم يكن لهم حصن قريب يأوون إليه فطلبوا جهة الديار المصرية وضلوا في الطريق وتبددوا وأسر منهم جماعة: منهم الفقيه عيسى الهكاري.

وكان ذلك وهنًا عظيمًا جبره الله ووصل صلاح الدين إلى مصر ولم شعثه وشعث أصحابه من أثر كسرة الرملة ثم بلغه تخبط الشام فعاد إليه واهتم بالغزاة فوصله رسول صاحب الروم يلتمس الصلح ويتضرر من الأرمن فعزم على قصد بلاد ابن لاون يعني بلاد سيس الفاصلة بين حلب والروم من جهة الساحل لينصر قليج أرسلان عليه فتوجه صلاح الدين إليه واستدعى عسكر حلب لأنه كان في الصلح متى استدعاه حضر إليه يعني صلح صلاح الدين مع الملك الصالح صاحب حلب.

ثم دخل صلاح الدين بلاد ابن لاون وأخذ في طريقه حصنًا وأخربه ورغبوا إليه في الصلح فصالحهم ورجع عنهم.

ثم سأله قليج أرسلان في صلح الشرقيين بأسرهم يعني سيف الدين غازي وإخوته فأجاب إلى ذلك صلاح الدين وحلف في عاشر جمادى الأولى سنة ست وسبعين وخمسمائة ودخل في الصلح قليج أرسلان والمواصلة.

ثم عاد صلاح الدين بعد تمام الصلح إلى دمشق ثم منها إلى مصر.

فورد عليه الخبر بموت الملك الصالح ابن الملك العادل نور الدين محمود الشهيد بعد أن استحلف أمراء حلب وأجنادها قبل موته لابن عمه عز الدين مسعود صاحب الموصل وهو ابن عم قطب الدين مودود.

ولما بلغ عز الدين مسعودًا خبر موت ابن عمه الملك الصالح المذكور وأنه أوصى له بحلب بالحر إلى التوجه إليها خوفًا أن يسبقه صلاح الدين إليها فأخذها.

وكان أول قادم إليها مظفر الدين بن زين الدين صاحب إربل وكان إذ ذاك صاحب حران وهو مضاف إلى الموصل ووصلها مظفر الدين المذكور في ثالث شعبان من سنة سبع وسبعين.

وفي العشرين منه وصلها عز الدين مسعود وطلع إلى القلعة واستولى على ما فيها من الحواصل وتزوج بأم الملك الصالح في الخامس من شوال من السنة.

قال: وحاصل الأمر أن عز الدين مسعودًا قايض أخاه عماد الدين زنكي صاحب سنجار عن حلب بسنجار وخرج عز الدين من حلب ودخلها عماد الدين زنكي فلما بلغ صلاح الدين ذلك توجه إليه وحاصره فلم يقدر عماد الدين على حفظ حلب وكان نزول صلاح الدين على حلب في السادس والعشرين من المحرم سنة سبع وسبعين وخمسمائة.

فتحدث عماد الدين زنكي مع الأمير حسام الدين طمان بن غازي في السر بما يفعله فأشار عليه أن يطلب من صلاح الدين بلادًا وينزل له عن حلب بشرط أن يكون له جميع ما في القلعة من الأموال فقال له عماد الدين: وهذا كان في نفسي.

ثم اجتمع حسام الدين طمان بن غازي مع صلاح الدين في السر على تقرير القاعدة لذلك فأجابه صلاح الدين إلى ما طلب ووقع له بسنجار وخابور ونصيبين وسروج ووقع لطمان المذكور بالرقة لسفارته بينهما وحلف صلاح الدين على ذلك في سابع عشر صفر من السنة وكان صلاح الدين قد نزل قبل تاريخه على سنجار وأخذها في ثامن شهر رمضان من سنة ثمان وسبعين وأعطاها لابن أخيه تقي الدين عمر فلما جرى الصلح على هذا أخذها من عمر وأعطاها لعماد الدين المذكور.

وتسلم صلاح الدين قلعة حلب وصعد إليها في يوم الاثنين السابع والعشرين من صفر سنة تسع وسبعين وخمسمائة وأقام بها حتى رتب أمورها ثم رحل عنها في الثاني والعشرين من شهر ربيع الأخر من السنة وجعل فيها ولده الملك الظاهر وكان صبيًا وولى القلعة لسيف الدين يازكوج الأسدي وجعله يرتب مصالح ولده.

ثم سار صلاح الدين إلى دمشق وتوجه من دمشق لقصد محاصرة الكرك في الثالث من رجب من السنة وسير إلى أخيه الملك العادل وهو بمصر يستدعيه ليجتمع به على الكرك فسار إليه الملك العادل أبو بكر بجمع عظيم وجيش كبير واجتمع به على الكرك في رابع شعبان فلما بلغ الفرنج نزوله على الكرك حشدوا خلقًا عظيمًا وجاؤوا إلى الكرك ليكونوا من خارج قبالة عسكر المسلمين فخاف صلاح الدين على الديار المصرية فسير إليها ابن أخيه تقي الدين عمر ثم رحل صلاح الدين عن الكرك في سادس عشر شعبان من السنة واستصحب أخاه الملك العادل معه ودخل دمشق في الرابع والعشرين من شعبان من السنة وأعطى أخاه العادل حلب فتوجه إليها العادل ودخلها يوم الجمعة الثاني والعشرين من شهر رمضان من السنة.

وخرج الملك الظاهر ويازكوج من حلب ودخلا دمشق يوم الاثنين الثامن والعشرين من شوال من السنة.

وكان

الملك الظاهر أحب أولاد أبيه إليه

لما فيه من الخلال الحميدة ولم يأخذ منه حلب إلا لمصلحة رآها أبوه صلاح الدين في ذلك الوقت.

وقيل: إن الملك العادل أعطاه على أخذ حلب ثلاثمائة ألف دينار يستعين بها على الجهاد.

ثم إن صلاح الدين رأى أن عود الملك العادل إلى مصر وعود الملك الظاهر إلى حلب أصلح.

قيل: إن علم الدين سليمان بن جندر كان هو السبب لذلك فإنه قال لصلاح الدين وكانت بينهما مؤانسة قبل أن يتملك البلاد وقد سايره يومًا وكان من أمراء حلب والملك العادل لا ينصفه وقدم عليه غيره وكان صلاح الدين قد مرض على حصار الموصل! وحمل إلى حران وأشفى على الهلاك ولما عوفي ورجع إلى الشام واجتمعا في المسير قال له - وكان صلاح الدين قد أوصى لكل واحد من أولاده بشيء من البلاد -: بأي رأي كنت تظن أن وصيتك تنفذ! كأنك كنت خارجًا إلى الصيد ثم تعود فلا يخالفونك! أما تستحي أن يكون الطائر أهدى منك إلى المصلحة قال صلاح الدين: وكيف ذلك وهو يضحك قال: إذا أراد الطائر أن يعمل عشًا لفراخه قصد أعالي الشجر ليحمي فراخه وأنت سلمت الحصون إلى أهلك وجعلت أولادك على الأرض هذه حلب - وهي أم البلاد - بيد أخيك وحماة بيد ابن أخيك تقي الدين عمر وحمص بيد ابن عمك أسد الدين وابنك الأفضل مع تقي الدين بمصر يخرجه متى شاء وابنك الآخر مع أخيك في خيمة يفعل به ما أراد فقال له صلاح الدين: صدقت فأكتم هذا الأمر ثم أخذ حلب من أخيه العادل وأعادها إلى ابنه الملك الظاهر وأعطى العادل بعد ذلك حران والرها وميافارقين ليخرجه من الشام.

وفرق الشام على أولاده فكان ما كان.

وزوج السلطان صلاح الدين ولده الملك الظاهر بغازية خاتون ابنة أخيه الملك العادل المذكور.

ثم كانت

وقعة حطين

المباركة على المسلمين وكانت في يوم السبت رابع عشر شهر ربيع الأخر سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة في وسط نهار الجمعة.

وكان صلاح الدين كثيرًا ما يقصد لقاء العدو في يوم الجمعة عند الصلاة تبركًا بدعاء المسلمين والخطباء على المنابر فسار في ذلك الوقت واجتمع له من العساكر الإسلامية عدد يفوت الحصر وكان قد بلغه أن العدو اجتمع في عدة كثيرة بمرج صفورية بأرض عكا عندما بلغهم اجتماع العساكر الإسلامية فسار صلاح الدين ونزل على طبرية على سطح الجبل ينتظر قصد الفرنج فلما بلغهم نزوله في الموضع المذكور لم يتحركوا ولا خرجوا من منزلتهم وكان نزولهم في الموضع المذكور يوم الأربعاء الحادي والعشرين من شهر ربيع الآخر فلما رآهم لا يتحركون نزل جريدة على طبرية وترك الأطلاب على حالها قبالة العدو ونزل طبرية وهاجمها وأخذها في ساعة واحدة وانتهب الناس ما فيها وأخذوا في القتل والسبي والحريق وبقيت القلعة ممتنعة بمن فيها.

ولما بلغ العدو ما جرى في طبرية قلقوا لذلك ورحلوا نحوها فبلغ السلطان صلاح الدين ذلك فترك على طبرية من يحاصرها ولحق بالعسكر والتقى بالعدو على سطح جبل طبرية الغربي منها وذلك في يوم الخميس الثاني والعشرين من شهر ربيع الآخر فحال الليل بين العسكرين فناما على المصاف إلى بكرة يوم الجمعة الثالث والعشرين منه فركب العسكران وتصادما والتحم القتال واشتد الأمر ودام القتال حتى لم يبق إلا الظفر فحال الليل بينهم وناما على المصاف وتحقق المسلمون أن من ورائهم الأردن ومن بين أيديهم بلاد العدو وأنهم لا ينجيهم إلا القتال والجهاد.

وأصبحوا من الغد فحملت أطلاب المسلمين من جميع الجوانب وحمل القلب وصاحوا صيحة رجل واحد: الله أكبر وألقى الله الرعب في قلوب الكافرين وكان حقًا عليه نصر المؤمنين.

ولما أحس الملك القومص بالخذلان هرب في أوائل الأمر و قصد جهة صور فتبعه جماعة من المسلمين فنجا منهم وأحاط المسلمون بالكافرين من كل جانب وأطلقوا عليهم السهام وحملوا عليهم بالسيوف وسقوهم كأس الحمام وانهزمت طائفة منهم فتبعهم المسلمون يقتلونهم واعتصمت طائفة منهم بتل يقال له: تل حطين وهي قرية عندها قبر النبي شعيب عليه السلام فضايقهم المسلمون وأشعلوا حولهم النيران واشتد بهم العطش فاستسلموا للأسر خوفًا من القتل فأسر مقدموهم وقتل الباقون وكان ممن أسر من مقدميهم الملك جفري وأخوه الملك والبرنس أرناط صاحب الكرك والشوبك وابن الهنفري وابن صاحب طبرية أو مقدم الديوية قال ابن شداد: لقد حكى لي من أثق به أنه رأى بحوران شخصًا واحدًا ومعه نيف وثلاثون أسيرًا ربطهم بطنب خيمة لما وقع عليهم من الخذلان.

ثم إن الملك القومص الذي هرب في أول الوقعة وصل إلى طرابلس وأصابه ذات الجنب فهلك.

وأما مقدم الأسبتار والذيوية فإنه قتلهما السلطان صلاح الدين وقتل من بقي من أصحابهما حيًا وأما البرنس أرناط فإن السلطان كان نذر أنه إن ظفر به قتله وذلك أنه كان عبر إليه بالشوبك قوم من الديار المصرية في حال الصلح فغدر بهم وقتلهم فناشدوه الصلح الذي بينه وبين السلطان فقال ما يتضمن الاستخفاف بالنبي صلى الله عليه وسلم وبلغ ذلك السلطان فحملته حمية دينه على أن أهدر دمه.

ولما فتح الله عليه بالنصر جلس بالدهليز يعني الخيمة فإنها لم تكن نصبت بعد لشغل السلطان بالجهاد وعرضت عليه الأسارى وصار الناس يتقربون إليه بما في أيديهم منهم وهو فرح بما فتح الله عليه وأشخص الملك جفري وأخاه والبرنس أرناط وناول السلطان الملك جفري شربة من جلاب وثلج فشرب منها وكان على أشد حال من العطش ثم ناولها للبرنس ثم قال السلطان للترجمان: قل للملك أنت الذي سقيته وإلا أنا فما سقيته فإنه كان من جميل عادة العرب وكريم أخلاقهم أن الأسير إذا أكل أو شرب من مال من أسره أمن فلذا قال السلطان لترجمان: أنت الذي سقيته.

ثم أمر السلطان بمسيرهم إلى موضع عينه لهم فأكلوا شيئًا ثم عادوا بهم ولم يبق عند السلطان سوى بعض الخدم فاستحضرهم وأقعد الملك في دهليز الخيمة فطلب البرنس أرناط وأوقفه بين يديه وقال له: ها أنا أنتصر لمحمد منك.

ثم عرض عليه الإسلام فلم يفعل فسل النيمجاة فضربه بها فحل كتفه وتمم قتله من حضر وأخرجت جثته فرميت على باب الخيمة فلما رآها الملك جفري لم يشك أنه يلحقه

به فاستحضره السلطان وطيب قلبه وقال له: لم تجر عادة الملوك أن يقتلوا الملوك إلا أن هذا تجاوز الحد وتجرأ على الأنبياء صلوات الله عليهم ثم أمره بالانصراف.

وبات الناس تلك الليلة على أتم سرور.

وفي هذه الواقعة يقول العماد الكاتب قصيدة طنانة منها: حططت على حطين قدر ملوكهم ولم تبق من أجناس كفرهم جنسا بطون ذئاب الأرض صارت قبورهم ولم ترض أرض أن تكون لهم رمسا وقد طاب ربانا على طبرية فيا طيبها ريا ويا حسنها مرسى وقال ابن الساعاتي قصيدة أخرى عظيمة في هذا الفتح أولها: جلت عزماتك الفتح المبينا فقد قرت عيون المؤمنينا ثم رحل السلطان بعد أن تسلم طبرية ونزل على عكا في يوم الأربعاء سلخ شهر ربيع الآخر وقاتلها بكرة يوم الخميس مستهل جمادى الأولى سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة وأخذها واستنقذ من كان فيها من أسارى المسلمين وكانوا أكثر من أربعة آلاف أسير واستولى على ما كان فيها من الأموال والذخائر والبضائع لأنها كانت مظنة التجار وتفرقت العساكر في بلاد الساحل يأخذون الحصون والقلاع.

ثم سار السلطان من عكا ونزل على تبنين يوم الأحد حادي عشر جمادى الأولى وهي قلعة منيعة فحاصرها حتى أخذها في يوم الأحد ثامن عشر جمادى الأولى المذكور عنوة.

ثم رحل عنها إلى صيدا فنزل عليها وتسلمها في غد يوم نزوله عليها.

ثم رحل عنها وأتى بيروت فنازلها يوم الخميس الثاني والعشرين من جمادى الأولى حتى أخذها في يوم الخميس تاسع عشرين جمادى الأولى.

ولما فرغ باله من هذا رأى قصد عسقلان ولم ير الاشتغال بصور بعد أن نزل عليها ثم رأى أن العسكر تفرق في الساحل وكانوا قد ضرسوا من القتال وكان قد اجتمع بصور من بقي من الفرنج فرأى أن فصلى عسقلان أولى لأنها أيسر من صور فأتى عسقلان ونزل عليها يوم الأحد سادس عشر جمادى الآخرة.

وأقام عليها إلى أن تسلم أصحابه مدينة غزة وبيت جبريل والنطرون من غير قتال وكان بين فتح عسقلان وأخذ الفرنج لها ثانيًا من المسلمين خمس وثلاثون ولما تسلم السلطان عسقلان والبلاد المحيطة بالقدس شمر عن ساق الجد والاجتهاد في قصد القدس المبارك واجتمع عليه العساكر التي كانت متفرقة في الساحل فسار بهم نحو القدس معتمدًا على الله تعالى مفوضًا أمره إليه منتهزًا الفرصة في فتح باب الخير الذي حث على انتهازه بقوله صلى الله عليه وسلم: من فتح له باب خير فلينتهزه فإنه لا يعلم متى يغلق دونه ".

وكان نزول السلطان على القدس في يوم الأحد الخامس عشر من شهر رجب سنة ثلاث وثمانين المذكورة ونزل بالجانب الغربي وكان مشحونًا بالمقاتلة من الخيالة والرجالة حتى إنه حزر أهل الخبرة فمن كان مع السلطان من كان فيه من المقاتلة فكانوا يزيدون على ستين ألفًا خارجًا عن النساء والصبيان ثم انتقل السلطان لمصلحة رآها إلى الجانب الشمالي في يوم الجمعة العشرين من رجب ونصب عليها المجانيق وضايق البلد بالزحف والقتال حتى أخذ النقب في السور مما يلي وادي جهم ولما رأى العدو ما نزل بهم من الأمر الذي لا مدفع لهم عنه وظهرت لهم أمارات فتح المدينة وظهور المسلمين عليهم وكان قد اشتد روعهم لما جرى على أبطالهم ما جرى فاستكانوا إلى طلب الأمان وسلموا المدينة في يوم الجمعة السابع والعشرين من رجب وليلته كانت ليلة المعراج المنصوص عليها في القرآن الكريم.

فانظر إلى هذا الاتفاق العظيم كيف يسر الله تعالى عوده إلى المسلمين في مثل زمان الإسراء بنبيهم صلى الله عليه وسلم.

قال: وكان فتحًا عظيمًا شهده من العلماء خلق ومن أرباب الحرب والزهد عالم كثير وارتفعت الأصوات بالضجيج بالدعاء والتهليل والتكبير وصفيت فيه الجمعة يوم فتحه ونكس الصليب الذي كان على قبة الصخرة وكان الصليب شكلًا عظيمًا ونصر الله الإسلام.

وكان الفرنج قد استولوا على القدس - بعد فتحه الأول في زمن عمر - في يوم الجمعة الثالث والعشرين من شعبان سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة وقيل: في ثاني شعبان وقيل يوم الجمعة السادس والعشرين من شهر رمضان من السنة أعني سنة اثنتين وتسعين وذلك كان في خلافة المستعلي أبي القاسم أحد خلفاء مصر من بني عبيد وكان من وزارة بدر الجمالي بديار مصر.

وقد حكينا طرفا من فلك في ترجمة المستعلي في هذا الكتاب.

قلت: وعلى هذا الحساب يكون القدس أقام بيد الفرنج نيفًا وتسعين سنة من يوم أخفوه في خلافة المستعلي إلى أن فتحه السلطان صلاح الدين في هذه المرة ثانيًا.

ولله الحمد.

قال ابن شداد: وكانت قاعدة الصلح أنهم قطعوا على أنفسهم عن كل رجل عشرين دينارًا وعن كل امرأة خمسة دنانير صورية وعن كل صغير ذكر أو أنثى دينارًا واحدًا فمن أحضر قطيعته نجا بنفسه وإلا أخذ أسيرًا وأفرج عمن كان بالقدس من أسارى المسلمين وكانوا خلقًا عظيمًا.

وأقام السلطان بالقدس يجمع الأموال ويفرقها على الأمراء والرجال ثم رسم بإيصال من قام بقطيعته من الفرنج إلى مأمنه وهي مدينة صور فلم يرحل السلطان من القدس ومعه من المال الذي جبي شيء وكان يقارب مائتي ألف دينار أو عشرين ألفًا.

ولما فتح القدس حسن عنده فتح صور وعلم أنه متى أخره عسر عليه فتحه فسار نحوها حتى أتى عكا فنزل عليها ونظر في أمورها ثم رحل عنها متوجهًا إلى صور في يوم الجمعة خامس شهر رمضان من سنة ثلاث وثمانين المذكورة فنزل قريبًا منها وأرسل لإحضار آلات القتال حتى تكاملت عنده نزل عليها في ثاني عشر الشهر المذكور وقاتل أهلها قتالًا شديدًا وضايقها واستدعى أسطول مصر وكان السلطان يضايقها في البر والبحر ثم سير من حاصر هونين فسلمت في الثالث والعشرين من شوال من السنة وخرج أسطول صور في الليل فكبس أسطول المسلمين في البحر وأخذوا المقدم والرئيس وخمس قطع للمسلمين وقتلوا خلقًا كثيرًا من الرجال وذلك في السابع والعشرين من الشهر المذكور وعظم ذلك على السلطان وضاق صدره وكان الشتاء قد هجم وتراكمت الأمطار وامتنع الناس من القتال لكثرة الأمطار فجمع السلطان الأمراء واستشارهم فيما يفعل فأشاروا عليه بالرحيل لتستريح الرجال فرحل عنها في يوم الأحد ثاني في القعدة وتفرقت العساكر وأعطى كل طائفة منها دستورًا فسار كل قوم إلى بلادهم وأقام هو في جماعة من خواصه بمدينة عكا إلى أن دخلت سنة أربع وثمانين وخمسمائة.

فرحل ونزل على كوكب في أول المحرم ولم يبق معه من العسكر إلا القليل وكان كوكب حصنًا حصينًا فيه الرجال و الأقوات فعلم السلطان أنه لا يؤخذ إلا بقتال شديد.

فرحل إلى دمشق فدخلها في سادس عشرين شهر ربيع الأول من السنة وأقام بدمشق خمسة أيام.

وبلغه أن الفرنج قصدوا جبلة واغتالوها فخرج مسرعًا وقد سير يستدعي العساكر من جميع البلاد وسار يطلب جبلة فلما علم الفرنج بخروجه كفوا عن ذلك.

وكان السلطان بلغه وصول عماد الدين صاحب سنجار ومظفر الدين بن زين الدين صاحب إربل وعسكر الموصل إلى حلب قاصدين خدمته والغزاة معه فسار السلطان نحو حصن الأكراد حتى اجتمع بالمذكورين وتقوى بهم للغاية لما.

انتهى كلام ابن شداد.

وقال القاضي شمس الدين بن خلكان: " وفي يوم الجمعة رابع جمادى الأولى دخل السلطان يعني صلاح الدين بلاد العدو على تعبئة حسنة ورتب الأطلاب وسارت الميمنة أولًا ومقدمها عماد الدين زنكي والقلب في الوسط والميسرة في الأخير ومقدم الميسرة مظفر الدين بن زين الدين صاحب أربل فوصل إلى أنطرسوس يوم الأحد سادس جمادى الأولى فوقف قبالتها ينظر إليها فإن قصده كان جبلة فاستهان أمرها وعزم على قتالها فسير من رد الميمنة وأمرها بالنزول إلى جانب البحر والميسرة على الجانب الآخر ونزل هو موضعه والعساكر محدقة بها من البحر إلى البحرة وهي مدينة راكبة على البحر ولها برجان فركبوا وقاربوا البلد وزحفوا عليها واشتد القتال فما استتم نصب الخيام حتى صعد المسلمون سورها وأخفوها بالسيف وغنم المسلمون جميع ما فيها وأحرق البلد وأقام عليها إلى رابع عشر جمادى الأولى وسلم أحد البرجين إلى مظفر الدين فما زال يحاربه حتى أخربه.

وحضر إلى السلطان ولده الملك الظاهر بعساكر حلب لأنه كان طلبه فجاء بعساكر عظيمة.

ثم سار السلطان يريد جبلة فوصلها في ثاني عشر جمادى الأولى وما استتم نزول العسكر عليها حتى أخذت البلد وكان فيه مسلمون مقيمون وقاض يحكم بينهم وقوتلت القلعة قتالًا شديدًا ثم سلمت بالأمان في يوم السبت تاسع عشر جمادى الأولى من السنة.

ثم سار السلطان عنها إلى اللاذقية فنزل عليها يوم الخميس الرابع والعشرين من جمادى الأولى ولها قلعتان يعني اللاذقية متصلتان على تل مشرف على البلد واشتد القتال إلى آخر النهار فأخذ البلد دون القلعتين وغنم المسلمون منه غنيمة عظيمة لأنه كان بلد التجار ثم جدوا في أمر القلعتين بالنقوب حتى بلغ طول النقب ستين ذراعًا وعرضه أربع أذرع.

فلما رأى أهل القلعتين الغلبة لاذوا بطلب الأمان وذلك في عشية يوم الجمعة الخامس والعشرين من الشهر والتمسوا الصلح على سلامة أنفسهم وذراريهم ونسائهم وأموالهم ما خلا الغلال والذخائر والسلاح وآلات الحرب فأجاب السلطان إلى ذلك ورفع العلم الإسلامي عليها في يوم السبت وأقام عليها إلى يوم الأحد السابع والعشرين من الشهر.

ثم رحل عنها ونزل صهيون وقاتلهم أشذ قتال حتى أخذ البلد يوم ثاني عشر جمادى الآخرة ثم قدموا إلى القلعة وصدقوا القتال فلما عاينوا الهلاك طلبوا الأمان فأجابهم إليه بحيث يؤخذ من الرجل عشرة دنانير ومن المرأة خمسة دنانير ومن كل صغير ديناران الذكر والأنثى سواء.

وأقام السلطان صلاح الدين بهذه الجهات حتى أخذ عمة قلاع منها بلاطنس وغيرها من الحصون المتعلقة بصهيون.

ثم رحل عنها وأتى بكاس وهي قلعة حصينة على العاصي ولها نهر يخرج من تحتها وكان النزول عليها في يوم الثلاثاء سادس عشر جمادى الآخرة وقاتلوها قتالًا شديدًا إلى يوم الجمعة تاسع الشهر ففتحها عنوة فقتل أكثر من بها وأسر الباقون وغنم المسلمون جميع ما كان فيها ولها قلعة تسمى الشغر وهي في غاية المنعة يعبر إليها بجسر وليس عليها طريق فسلطت المجانيق عليها من جميع الجوانب فرأوا أن لا ناصر لهم فطلبوا الأمان في يوم الثلاثاء ثالث عشر الشهر.

ثم سار السلطان إلى برزيه وهي أيضًا من الحصون المنيعة في غاية القوة يضرب بها المثل ويحيط بها أودية من جميع جوانبها وعلوها خمسمائة ونيف وسبعون ذراعًا وكان نزوله عليها يوم السبت الرابع والعشرين من الشهر فقاتلوها حتى أخذوها عنوة في يوم الثلاثاء السابع والعشرين منه.

ثم سار السلطان إلى دربساك فنزل عليها يوم الجمعة ثامن رجب وهي قلعة منيعة فقاتلها قتالًا شديدًا حتى أخذها وترقى العلم الإسلامي عليها يوم الجمعة الثاني والعشرين من رجب وأعطاها للأمير علم الدين سليمان بن جندر.

وسار عنها بكرة يوم السبت الثالث والعشرين من رجب ونزل على بغراس وهي قلعة حصينة بالقرب من أنطاكية وقاتلها قتالًا شديدًا حتى صعد العلم الإسلامي عليها في ثاني شعبان فراسله أهل أنطاكية في طلب الصلح فصالحهم لشدة ضجر العسكرة فكان الصلح بينهم على أن يطلقوا كل أسير عندهم لا غير والصلح إلى سبعة أشهر فإن جاءهم من ينصرهم وإلا سلموا البلد.

ثم رحل السلطان فسأله ولده الملك الظاهر صاحب حلب أن يجتاز به فأجابه إلى ذلك فوصل إلى حلب في حادي عشر شعبان وأقام بالقلعة ثلاثة أيام وولده يقوم بالضيافة حق القيام.

ثم سار من حلب فاعترضه تقي الدين عمر ابن أخيه وأصعده إلى قلعة حماة وصنع له طعامًا وأحضر له سماعًا من جنس ما يعمل الصوفية وبات فيها ليلة واحدة وأعطاه السلطان جبلة واللاذقية.

ثم سار السلطان على طريق بعلبك ودخل دمشق قبل شهر رمضان بأيام يسيرة.

ثم سار في أوائل شهر رمضان يريد صفد فنزل عليها ولم يزل القتال عمالًا في كل يوم حتى تسلمها بالأمان في رابع عشر شوال.

وفي شهر رمضان المذكور سلمت الكرك سلمها نواب صاحبها وخلصوا صاحبها بذلك فإنه كان في الأسر من نوبة حطين.

ثم نزل السلطان بالغور وأقام بقية الشهر فأعطى الجماعة دستورًا.

وسار السلطان مع أخيه العادل يريد زيارة القدس ووداع أخيه العادل المذكور لأن العادل المذكور كان متوجهًا إلى مصر فدخل السلطان القدس في ثامن ذي الحجة وصلى به العيد.

وتوجه في حادي عشر ذي الحجة إلى عسقلان لينظر في أمورها فتوجه إليها وأخذها من أخيه وعوضه عنها الكرك.

ثم مر على بلاد الساحل يتفقد أحوالها.

ثم سار فدخل عكا وأقام بها معظم المحرم من سنة خمس وثمانين وخمسمائة يصلح أحوالها ورتب فيها الأمير بهاء ودخل السلطان دمشق في مستهل صفر من السنة وأقام بها إلى شهر ربيع الأول من السنة.

ثم خرج إلى شقيف أرنون وهو موضع حصين فخيم في مرج عيون بالقرب من الشقيف في سابع عشرين شهر ربيع الأول فأقام أيامًا على قتاله والعسكر تتواصل إليه فلما تحقق صاحب الشقيف أنه لا طاقة له به نزل إليه بنفسه فلم يشعر به إلا وهو قائم على باب خيمته فأذن له في الدخول وأكرمه السلطان واحترمه وكان من أكبر الفرنج قدرًا وكان يعرف بالعربية وعنده اطلاع على بعض التواريخ والأحاديث وكان حسن التأتي لما حضر بين يدي السلطان وأكل معه الطعام ثم خلا به وذكر أنه مملوكه وتحت طاعته وأنه يسلم إليه المكان من غير تعب واشترط عليه أن يعطى موضعًا يسكنه بدمشق فإنه بعد ذلك لا يقدر على مساكنة الفرنج وإقطاعًا بدمشق يقوم به وبأهله وشروطًا غير ذلك فأجابه إلى ذلك.

وفي أثناء شهر ربيع الأول وصل إلى السلطان الخبر بتسليم الشوبك وكان قد أقام عليه جمعًا يحاصرونه مدة كاملة إلى أن نفد زاد من كان فيه فسلموه بالأمان.

ثم ظهر للسلطان بعد ذلك أن جميع ما قاله صاحب شقيف كان خديعة فرسم عليه.

ثم بلغه أن الفرنج قصدوا عكا ونزلوا عليها في ثالث عشر شهر رجب من سنة خمس وثمانين المذكورة.

وفي ذلك اليوم سير السلطان صاحب الشقيف إلى دمشق بعد الإهانة الشديدة.

ثم سار السلطان وأتى عكا ودخلها بغتة ليقوي قلوب من بها واستدعى العساكر من كل ناحية وكان العدو مقدار ألفي فارس وثلاثين ألف راجل.

وتكاثر الفرنج واستفحل أمرهم وأحاطوا بعكا ومنعوا من يدخل إليها ويخرج وذلك في يوم الخميس سلخ رجب فضاق صدر السلطان لذلك ثم اجتهد في فتح الطريق إليها لتستمر السابلة بالميرة والنجدة وشاور الأمراء فاتفقوا على مضايقة العدو لفتح الطريق ففعلوا ذلك وانفتح الطريق وسلكه المسلمون ودخل السلطان عكا فأشرف على أمورها ثم جرى بين الفريقين مناوشات في عدة أيام وتأخر الناس إلى تل العياضية وهو مشرف على عكا.

وفي هذه المنزلة توفي الأمير حسام الدين طمان المقدم ذكره وذلك في نصف شعبان من سنة خمس وثمانين وخمسمائة وكان من الشجعان ".

قال ابن خلكان: قال شيخنا ابن شداد: وسمعت السلطان ينشد - وقد قيل له إن الوخم قد عظم بعكا وان الموت قد فشا بين الطائفتين -: اقتلاني ومالكًا واقتلا مالكًا معي - قلت: وهذا الشعر له سبب ذكرناه في ترجمة الأشتر النخعي اسمه مالك في أوائل هذا الكتاب فإنه ملك مصر وكان الأشتر من أصحاب علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - والحكاية مطولة تنظر في ترجمة مالك أعني الأشتر النخعي من هذا الكتاب.

قال ابن شداد: ثم إن الفرنج جاءهم الإمداد من البحر واستظهروا على الجماعة الإسلامية بعكا وكان فيهم الأمير سيف الدين علي بن أحمد الهكاري المعروف بالمشطوب والأمير بهاء الدين قراقوش الخادم الصلاحي وضايقوهم أشد مضايقة إلى أن غلبوا عن حفظ البلد.

فلما كان يوم الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة أسنة سبع وثمانين وخمسمائة خرج من عكا رجل عوام في البحر ومعه كتب إلى السلطان من المسلمين يذكرون حالهم وما هم فيه وأنهم تيقنوا الهلاك ومتى أخذوا البلد عنوة ضربت رقابهم وأنهم صالحوا على أن يسلموا البلد وجميع ما فيه من الآلات والأسلحة والمراكب ومائتي ألف دينار وخمسمائة أسير مجاهيل ومائة أسير معينين من جماعتهم وصليب الصلبوت على أن يخرجوا بأنفسهم سالمين وما معهم من الأموال والأقمشة المختصة بهم وفراريهم ونسائهم وضمنوا للمركيس - لأنه كان الواسطة في هذا الأمر - أربعة آلاف دينار.

فلما وقف السلطان على الكتب المشار إليها أنكر ذلك إنكارًا عظيمًا وعظم عليه هذا الأمر وجمع أهل الرأي من أكابر دولته وشاورهم فيما يصنع واضطربت آراؤه وتقسم فكره وتشوش حاله وعزم أن تكتب في تلك الليلة كتب مع الرجل العوام الني قدم عليه بهذا الخبر ينكر المصالحة على هذا الوجه وبينما هو يتردد في هذا فلم يشعر إلا وقد ارتفعت أعلام العدو وصلبانه وناره على سور البلد وذلك في يوم الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة وصاح الفرنج صيحة واحدة وعظمت المصيبة على المسلمين واشتد حزنهم ووقع من الصياح والعويل والبكاء ما لا يذكر.

ثم خرجت الفرنج بعد أن ملكوا عكا قاصدين عسقلان

ليأخذوها أيضًا من المسلمين وساروا على الساحل والسلطان وعساكره قبالتهم إلى أن وصلوا إلى أرسوف فكان بينهما قتال عظيم ونال المسلمين وهن شديد.

ثم ساروا على تلك الهيئة تتمة عشر منازل من سيرهم من عكا فأتى السلطان الرملة فأتاه من أخبر بأن القوم على عزم عمارة يافا وتقويتها بالرجال والعدد والآلات فأحضر السلطان أرباب مشورته وشاورهم في أمر عسقلان وهل الصواب خرابها أو بقاؤها فاتفقت آراؤهم أن يبقى الملك العادل في قبالة العدو ويتوجه السلطان بنفسه ويخربها خوفًا من أن يصل العدو إليها ويستولي عليها وهي عامرة ويأخذ بها القدس وينقطع بها طريق مصر وامتنع العسكر من الدخول وخافوا مما جرى على المسلمين بعكا.

فلا قوة إلا بالله.

ورأوا أن حفظ القدس أولى فتعين خرابها من عدة جهات وكان هذا الاجتماع يوم الثلاثاء سابع عشر شعبان من سنة سبع وثمانين وخمسمائة فسار إليها السلطان في سحر يوم الأربعاء ثامن عشر شعبان المذكور.

قال ابن شداد: وتحدث معي في معنى خرابها يعني عسقلان بعد أن تحدث مع ولده الملك الأفضل أيضًا في أمرها ثم قال السلطان: لأن أفقد ولدي جميعهم أحب إلي من أن أهم منها حجرًا واحدًا ولكن إذا قضى الله تعالى ذلك وكان فيه مصلحة للمسلمين فما الحيلة في ذلك! فلما اتفق الرأي على خرابها أوقع الله ذلك في نفسه وأن المصلحة فيه لعجز المسلمين عن حفظها.

وشرع في إخرابها في سحر يوم الخميس التاسع عشر من شعبان من السنة المذكورة وقدم السور على الناس وجعل لكل أمير وطائفة من العسكر بدنة معلومة وبرجًا معلومًا

يخربه ودخل الناس البلد ووقع فيهم الضجيج والبكاء لفرقة بلدهم وأوطانهم وكان بلدًا خفيفًا على القلب محكم الأسوار عظيم البناء مرغوبًا في سكنه فلحق الناس على خرابه حزن عظيم.

وشرع أهل البلد في بيع ما لا يقدرون على حمله فباعوا ما يساوي عشرة دراهم بدرهم واحد حتى باعوا اثني عشر طير دجاج بدرهم واختبط أهل البلد وخرجوا بأولادهم وأهليهم إلى الخيم وتشتتوا فذهب منهم قوم إلى مصر وقوم إلى الشام وجرت عليهم أمور عظيمة.

واجتهد السلطان وأولاده في خراب البلد كي لا يسمع العدو فيسرع إليه فلا يمكن إخرابه وكانت الناس على أصعب حال واشتد تعب الناس مما قاسوه في خرابها.

وفي تلك الليلة وصل من جانب الملك العادل من حلب من أخبر أن الفرنج تحدثوا معه في الصلح وطلبوا جميع البلاد الساحلية فرأى السلطان أن ذلك مصلحة لما علم من نفوس الناس والعساكر من الضجر من القتال وكثرة ما عليه من الديون فكتب السلطان إلى أخيه الملك العادل يأذن له في ذلك وفوض الأمر إلى رأيه وأصبح السلطان يوم الجمعة وهو مصر على الخراب ويستعجل الناس عليه ويحثهم على العجلة فيه وأباحهم ما في الهري الذي كان مدخرًا للميرة خوفًا من أن يهجم العدو والعجز عن نقله.

ثم أمر السلطان بإحراق البلد فأضرمت النيران في بيوته ولم يزل الخراب يعمل في البلد إلى سلخ شعبان المذكور ثم أصبح السلطان يوم الاثنين مستهل شهر رمضان أمر ولده الملك الأفضل أن يباشر خراب البلد بنفسه وخواصه.

قال ابن شداد ولقد رأيته يحمل الخشب بنفسه يعني الملك الأفضل.

وفي يوم الأربعاء ثالث شهر رمضان أتى السلطان الرملة وأشرف عليها وأمر أيضًا بإحراقها وإخراب قلعتها يعني الرملة فأحرقت قلعتها خوفًا أيضًا من الفرنج.

وفي يوم السبت ثالث عشر رمضان تأخر السلطان والعسكر إلى جهة الجبل ليتمكن الناس من تسيير دوابهم لإحضار ما يحتاجون إليه.

ثم شرع السلطان أيضًا في خراب قلعة النطرون وكانت قلعة منيعة فشرع الناس في ذلك.

ثم ذكر ابن شداد فصلًا طويلًا يتضمن الصلح بين الأنكلتير ملك الفرنج وبين السلطان صلاح الدين المذكور إلى أن قال: وحاصل الأمر أنه تم الصلح بينهم وكانت الأيمان يوم الأربعاء الثاني والعشرين من شعبان سنة ثمان وثمانين وخمسمائة ونادى المنادي بانتظام الصلح وأن البلاد الإسلامية والنصرانية واحدة في الأمن والمسالمة فمن شاء من كل طائفة أن يتردد إلى بلاد الطائفة الأخرى من غير خوف ولا محذور فليفعل.

وكان يومًا مشهودًا نال الطائفتين فيه من السرور ما لا يعلمه إلا الله تعالى وقد علم الله تعالى أن الصلح لم يكن عن مرضاة السلطان لكنه رأى المصلحة في الصلح لسآمة العسكر من القتال ومظاهرتهم للمخالفة.

وكان مصلحة في علم الله تعالى فإنه اتفقت وفاته بعد الصلح فلو اتفق ذلك في أثناء وقعاته كان الإسلام على خطر.

ثم إن السلطان أعطى العساكر الوافدة عليه من البلاد البعيدة برسم الغزاة والنجمة دستورًا فساروا عنه.

وعزم السلطان على الحج لما فرغ باله من هذه الجهة وأمن الناس وتردد المسلمون إلى بلاد الفرنج وجاؤوا هم أيضًا إلى بلاد المسلمين وحملت البضائع والمتاجر إلى البلادة وتوجه السلطان إلى القدس ليتفقد أحواله وتوجه أخوه الملك العادل إلى الكرك وابنه الملك الظاهر إلى حلب وابنه الملك الأفضل إلى دمشق.

ثم تأهب السلطان إلى المسير إلى الديار المصرية ولم يزل كذلك إلى أن صح عنده سير مركب الانكلتير ملك الفرنج إلى بلاده في مستهل شوال فعند ذلك قوي عزمه على أن يدخل الساحل جريدة يتفقد أحواله وأحوال القلاح البحرية إلى بانياس.

ثم يدخل دمشق فيقيم بها قليلًا ثم يعود إلى القدس ومنه إلى الديار المصرية.

قال ابن شداد: وأمرني بالمقام بالقدس إلى حين عوده إليه لعمارة بيمارستان أنشأه به وتكميل المدرسة التي أنشأها به وسار ضاحي نهار الخميس السادس من شوال سنة ثمان وثمانين وخمسمائة.

فلما فرغ السلطان من افتقاد أحوال القلاع وإزاحة خللها دخل دمشق بكرة يوم الأربعاء سادس عشر شوال وفيها أولاده: الملك الأفضل والملك الظاهر والملك الظافر مظفر الذين الخضر المعروف بالمشمر وأولاده الصغار وكان السلطان يحب البلد يعني دمشق ويؤثر الإقامة به على سائر البلاد وجلس للناس في بكرة يوم الخميس السابع والعشرين منه وحضروا عنده وبلوا أشواقهم منه وأنشده الشعراء ولم يتخفف عنه أحد من الخاص والعام وأقام ينشر جناح عدله بدمشق إلى أن كان يوم الاثنين مستهل ذي القعدة عمل الملك الأفضل دعوة للملك الظاهر أخيه لأنه لما وصل إلى دمشق وبلغه حركة السلطان أقام بها ليتملى بالنظر إليه ثانيًا.

ولما عمل الأفضل الدعوة! أظهر فيها من الهمم العالية ما يليق بهمته وكان أراد بذلك مجازاته لما خدمه به حين وصوله إلى بلده وحضر الدعوة المذكورة أرباب الدنيا والآخرة وسأل الأفضل والده السلطان في الحضور فحضر جبرًا لقلبه وكان يومًا مشهودًا على ما بلغني.

قال: ولما أصلح الملك العادل الكرك سار قاصدًا الديار الفراتية وأحب أن يدخل دمشق فوصل إليها وخرج السلطان إلى لقائه.

وأقام يتصيد حول غباغب إلى الكسوة حتى لقي أخاه الملك العادل وسارا جميعًا يتصيدان ثم عادا إلى دمشق فكان دخولهما دمشق آخر نهار يوم الأحد حادي عشرين ذي القعدة سنة ثمانٍ وثمانين وخمسمائة.

وأقام السلطان بدمشق يتصيد هو وأخوه الملك العادل وأولاده ويتفرجون في أراضي دمشق وكأنه وجد راحة مما كان فيه من ملازمة التعب والنصب وسهر الليل فكان ذلك كالوداع لأولاده ونسي عزمه إلى مصر وعرضت له أمور أخر وعزمات غير ما تقدم.

قال ابن شداد: ووصلني كتابه إلى القدس يستدعيني لخدمته فخرجت من القدس في يوم الجمعة الثالث والعشرين من المحرم سنة تسع وثمانين وخمسمائة وكان الوصول إلى دمشق يوم الثلاثاء ثاني عشر صفر من السنة.

وركب السلطان ليتلقى الحاج في يوم الجمعة خامس عشر صفر وكان ذلك آخر ركوبه.

ولما كانت ليلة السبت وجد كسلًا عظيمًا وما انتصف الليل حتى غشيته حمى صفراوية وكانت في باطنه أكثر مما في ظاهره.

وأصبح يوم السبت متكسلًا عليه أثر الحمى.

ولم يظهر ذلك للناس لكن حضرت عنده أنا والقاضي الفاضل فدخل ولده الملك الأفضل وطال جلوسنا عنده وأخذ يشكو قلقه بالليل وطاب له الحديث إلى وقت الظهر ثم انصرفنا وقلوبنا عنده فتقدم إلينا بالحضور على الطعام في خدمة ولده الأفضل ولم يكن للقاضي الفاضل في ذلك عادة فانصرف - ودخلت إلى الإيوان القبلي وقد مد السماط وابنه الملك الأفضل قد جلس موضعه فانصرفت وما كانت لي قوة للجلوس استيحاشًا له.

وبكى في ذلك اليوم جماعة تفاؤلًا بجلوس ولده الأفضل موضعه.

ثم أخذ المرض يتزايد به من حينئذ ونحن نلازم التردد له طرفي النهار وكان مرضه في رأسه.

وكان من أمارات انتهاء العمر غيبة طبيبه الذي كان قد عرف مزاجه سفرًا وحضرًا ورأى الأطباء فصده فقصدوه في الرابع فاشتد مرضه وقلت رطوبات بدنه وكان يغلب على مزاجه اليبس فلم يزل المرض يتزايد به حتى انتهى إلى غاية الضعف.

واشتد مرضه في السادس والسابع والثامن ولم يزل يتزايد ويغيب فإنه ولما كان التاسع حدثت له غشية وامتنع من تناول المشروب واشتد الخوف في البلد وخاف الناس ونقلوا أقمشتهم من الأسواق وعلا الناس من الكآبة والحزن ما لا يمكن حكايته.

ولما كان اليوم العاشر من مرضه أيس منه الأطباء.

ثم شرع ولده الملك الأفضل في تحليف الناس له.

ثم إنه توفي - إلى رحمة الله تعالى - بعد صلاة الصبح من يوم الأربعاء السابع والعشرين من صفر سنة تسع وثمانين وخمسمائة.

وكان يوم موته يومًا لم يصب الإسلام والمسلمون بمثله بعد فقد الخلفاء الراشدين - رضى الله عنهم - وغشي القلعة والملك والدنيا وحشة لا يعلمها إلا الله تعالى.

وبالله لقد كنت أسمع من الناس أنهم يتمنون فداء من يعز عليهم بنفوسهم وكنت أتوهم أن هذا على ضرب من التجوز والترخص إلى ذلك اليوم فإني علمت من نفسي ومن غيري أنه لو قبل الفداء لفدي بالأنفس.

ثم جلس ولده الملك الأفضل للعزاء وغسله أبو القاسم ضياء الدين عبد الملك بن زيد الدولعي خطيب دمشق وأخرج تابوت السلطان - رحمه الله تعالى - بعد صلاة الظهر مسبحي بثوب فوط فارتفعت الأصوات عند مشاهدته وعظم الضجيج وأخذ الناس في البكاء والعويل وصلوا عليه أرسالًا ثم أعيد إلى داره التي في البستان وهي التي كان متمرضًا بها ودفن في الصفة الغربية منها.

وكان نزوله في حفرته قريبًا من صلاة العصر.

ثم أطال ابن شداد القول في هذا المعنى إلى أن أنشد في آخر السيرة بيت أبي تمام الطائي وهو قوله: ثم انقضت تلك السنون وأهلها فكأنها وكأنهم أحلام ولقد كان - رحمه الله تعالى - من محاسن الدنيا وغرائبها.

ثم ذكر ابن شداد أنه مات ولم يخلف في خزائنه من الذهب والفضة إلا سبعة وأربعين درهمًا ناصرية وجرمًا واحدًا ذهبًا صوريًا ولم يخلف ملكًا ولا دارًا ولا عقارًا ولا بستانًا ولا قرية ولا مزرعة.

وفي ساعة موته كتب القاضي الفاضل إلى ولده الملك الظاهر صاحب حلب بطاقة مضمونها: " لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ".

" إن زلزلة الساعة شيء عظيم ".

كتبت إلى مولانا السلطان الملك الظاهر أحسن الله عزاءه وجبر مصابه وجعل فيه الخلف في الساعة المذكورة وقد زلزل المسلمون زلزالًا شديدًا وقد حفرت الدموع المحاجر وبلغت القلوب الحناجر وقد وذعت أباك ومخدومي وداعًا لا تلاقي بعده وقد قبلت وجهه عني وعنك وأسلمته إلى الله تعالى مغلوب الحيلة ضعيف القوة راضيًا عن الله ولا حول ولا قوة إلا بالله وبالباب من الجنود المجندة والأسلحة المغمدة ما لا يدفع البلاء ولا ملك يرد القضاء وتدمع العين ويخشع القلب ولا نقول إلا ما يرضي الرب وإنا عليك يا يوسف لمحزونون.

وأما الوصايا فما يحتاج إليها والآراء فقد شغلني المصاب عنها وأما لائح الأمر فإنه إن وقع اتفاق فما عدمتم إلا شخصه الكريم وإن كان غير ذلك فالمصائب المستقبلة أهونها موته وهو الهول العظيم والسلام.

انتهى كلام القاضي الفاضل بما كتبه للملك الظاهر.

قال ابن خلكان: واستمر السلطان صلاح الدين مدفونًا بقلعة دمشق إلى أن بنيت له قبة شمالي الكلاسة التي هي شمالي جامع دمشق ولها بابان أحدهما إلى الكلاسة والآخر في زقاق غير نافذ وهو مجاور المدرسة العزيزية.

ثم نقل من مدفنه بالقلعة إلى هذه القبة في يوم عاشوراء في يوم الخميس من سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة.

ثم إن ولده الملك العزيز عثمان لما ملك دمشق من أخيه الملك الأفضل بنى إلى جانب هذه القبة المدرسة العزيزية.

قلت: في أيامه بنى الخصي بهاء الدين قراقوش قلعة الجبل ثم قلعة المقدس ثم سور القاهرة وذرع السور المذكور سبعة وعشرون ألف ذراع وثلاثمائة ذراع.

قال ابن خلكان: " وكان السلطان صلاح الدين لما ملك الديار المصرية لم يكن بها شيء من المدارس فإن الدولة المصرية كان مذهبها مذهب الإمامية فلم يكونوا يقولون بهذه الأشياء فعمر السلطان صلاح الدين بالقرافة الصغرى المدرسة المجاورة للإمام الشافعي - رضي الله عنه - وبنى مدرسة مجاورة للمشهد المنسوب للحسين بن علي - رضي الله عنهما - بالقاهرة.

وجعل دار سعيد السعداء خادم الخلفاء المصريين خانقاه ووقف عليها وقفا هائلًا وكذلك وقف على كل مدرسة عمرها وقفًا جيدًا وجعل دار عباس الوزير العبيدي مدرسة للحنفية وأوقف عليها وقفًا جيدًا أيضًا وهي بالقاهرة وبنى المدرسة التي بمصر المعروفة بابن زين التجار للشافعية ووقف عليها وقفًا جيدًا وبنى بالقصر داخل القاهرة بيمارستانًا وأوقف له وقفًا جيدًا وله بالقدس مدرسة وخانقاه.

قال ابن خلكان: ولقد فكرت في نفسي في أمور هذا الرجل وقلت: إنه سعيد في الدنيا والآخرة فإنه فعل في الدنيا هذه الأفعال المشهورة من الفتوحات الكثيرة وغيرها ورتب هذه الأوقاف العظيمة وليس شيء منسوبًا إليه في الظاهر فإن المدرسة التي بالقرافة ما يسمونها الناس إلا بالشافعي والمجاورة للمشهد لا يقولون إلا المشهد والخانقاه لا يقولون إلا سعيد السعداء والمدرسة الحنفية لا يقولون إلا السيوفية والتي بمصر لا يقولون إلا مدرسة زين التجار والتي بمصر أيضًا مدرسة المالكية وهذه صدقة السر على الحقيقة.

والعجب أن له بدمشق في جانب البيمارستان النوري مدرسة أيضًا ويقال لها الصلاحية وهي منسوبة إليه وليس لها وقف.

قال: وكان مع هذه المملكة المتسعة والسلطنة العظيمة كثير التواضع واللطف قريبًا من الناس رحيم القلب كثير الاحتمال والمداراة وكان يحب العلماء وأهل الخير ويقربهم ويحسن إليهم وكان يميل إلى الفضائل ويستحسن الأشعار الجيدة ويرفدها في مجالسه حتى قيل: إنه كان كثيرًا ما ينشد قول أبي المنصور محمد بن الحسين بن أحمد بن الحسين بن إسحاق الحميري وهو قوله: وزارني طيف من أهوى على حدر من الوشاة وداعي الصبح قد هتفا فكدت أوقظ من حولي به فرحًا وكاد يهتك ستر الحب بي شغفا ثم انتبهت وآمالي تخيل لي نيل المنى فاستحالت غبطتي أسفا وقيل: إنه كان يعجبه قول نشو الملك أبي الحسن علي بن مفرج المعروف بابن المنجم المغربي الأصل المصري الدار والوفاة وهو في خضاب الشيب وأجاد: ولكنه مات الشباب فسودت على الرسم من حزن عليه منازله قالوا: فكان إذا قال: مات الشباب يمسك كريمته وينظر إليها ويقول: إي والله مات الشباب.

وذكر العماد الكاتب الأصبهاني في كتابه الخريدة أن السلطان صلاح الدين في أول ملكه كتب إلى بعض أصحابه بدمشق: أيها الغائبون عنا وإن كن - - تم لقلبي بذكركم جيرانا إنني مذ فقدتكم لأراكم بعيون الضمير عندي عيانا قال ابن خلكان: وأما القصيدتان اللتان ذكرت أن سبط بن التعاويذي أنفذهما إليه من بغداد وأن إحداهما وازن بها قصيدة صردر الشاعر وقد ذكرت منها أبياتًا في ترجمة الكندري وأولها: # أكذا يجازى ود كل قرين أم هذه شيم الظباء العين ثم ذكر قصيدة سبط بن التعاويذي.

وهي على هذا الوزن أضربت عن ذكرها لطولها.

ثم قال ابن خلكان: وأما القصيدة الثانية يعني التي كتبها إليه الخليفة في أوائل أمر صلاح الدين قال: فمنها قوله: حتام أرضى في هواك وتغضب وإلى متى تجني علي وتعتب ما كان لي لولا ملالك زلة لما مللت زعمت أني مذنب أتظنني أضمرت بعدك سلوة هيهات عطفك من سلوي أقرب لي فيك نار جوانح ما تنطفي حزنًا وماء مدامع ما ينضب أنسيت أيامًا لنا وليالي للهو فيها والبطالة ملعب أيام لا الواشي يعد ضلالة ولهي عليك ولا العذول يؤنب قد كنت تنصفني المودة راكبًا في الحب من أخطاره ما أركب واليوم أقنع أن يمر بمضجعي في النوم طيف خيالك المتأوب ما خلت أن جديد أيام الصبا يبلي ولا ثوب الشبيبة يسلب حتى انجلى ليل الغواية واهتدى ساري الدجى وانجاب ذاك الغيهب وتنافر البيض الحسان فأعرضت عني سعاد وأنكرتني زينب قالت وريعت من بياض مفارقي

ونحول جسمي بان منك الأطيب إن تنكري سقمي فخصرك ناحل أو تنكري شيبي فثغرك أشنب يا طالبًا بعد المشيب غضارة من عيشه ذهب الزمان المذهب ثم قال ابن خلكان: وقد مدحه جميع شعراء عصره فمنهم العلم الشاتاني واسمه - رحمه الله - مدحه بقصيدة أولها: أرى النضر مقرونًا برايتك الصفرا فسر واملك فأنت بها أحرى ومدحه المهذب أبو حفص عمر بن محمد بن علي بن أبي نصر المعروف بابن الشحنة الموصلي الشاعر المشهور بقصيدته التي أولها: سلام مشوق قد براه التشوق على جيرة الحي الذين تفرقوا وعدد أبياتها مائة وثلاثة عشر بيتًا وفيها البيتان السائران أحدهما: وإني امرؤ أحببتكم لمكارمٍ سمعت بها والأذن كالعين تعشق وقد أخذ هذا المعنى من قول بشار بن برد وهو: يا قومِ أذني لبعض الحي عاشقة والأذن تعشق قبل العين أحيانا والبيت الثاني من قول ابن الشحنة المذكور: وقالت لي الآمال إن كنت لاحقًا بأبناء أيوب فأنت الموفق قال: ومدحه ابن قلاقس وابن الذروي وابن المنجم وابن سناء الملك وابن الساعاتي والإربلي ومحمد بن إسماعيل بن حمدان الحيزاني.

انتهى ما أوردته من كلام ابن خلكان ومن كلام ابن وقال العلامة أبو المظفر في تاريخه مرآة الزمان: ولما كان في سادس عشر صفر وجد السلطان كسلًا وحم حمى صفراوية ثم ذكر نحوًا مما ذكره ابن شداد إلى أن قال: وأحضر الأفضل يعني ولده الأمراء: سعد الدين مسعودًا أخا بدر الدين مودود شحنة دمشق وناصر الدين صاحب صهيون وسابق الدين عثمان صاحب شيزر ابن الداية وميمونًا القصري والبكي الفارسي وأيبك فطيس وحسام الدين بشارة وأسامة الحلبي وغيرهم فاستحلفهم لنفسه.

وكان عند السلطان أبو جعفر إمام الكلاسة يقرأ القران فلما انتهى إلى قوله تعالى: " هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة " وكان قد غاب فإنه فتح عينيه وقال: صحيح.

ثم قال أبو المظفر: وغسله ابن الدولعي وصفى عليه القاضي محيي الدين بن الزكي.

وبعث القاضي الفاضل له الأكفان والحنوط من أجل الجهات.

ثم قال: وقال العماد الكاتب: دخلنا عليه ليلة الأحد للعيادة ومرضه في زيادة وفي كل يوم تضعف القلوب وتتضاعف الكروب ثم انتقل من دار الفناء إلى دار البقاء سحر يوم الأربعاء ومات بموته رجاء الرجال وأظلم بغروب شمسه فضاء الإفضال.

ورثاه الشعراء فمن ذلك قول بعضهم: شمل الهدى والملك عم شتاته والدهر ساء وأقلعت حسناته بالله أين الناصر الملك الذي لله خالصة صفت نياته أين الذي كانت له طاعاتنا مبذولة ولربه طاعاته أين الذي ما زال سلطانًا لنا يرجى نداه وتتقى سطواته أين الذي شرف الزمان بفضله وسمت على الفضلاء تشريفاته لا تحسبوه مات شخصًا واحدًا قد عم كل العالمين مماته ملك عن الإسلام كان محاميًا أبدًا لماذا أسلمته حماته قد أظلمت مذ غاب عنا دوره لما خلت من بدره داراته دفن السماح فليس تنشر بعدما أقوت قواه وأقفرت ساحاته الدين بعد أبي المظفر يوسف محفوفة بوروده حافاته بحر خلا من وارديه ولم تزل متعطف مفضوضة صدقاته من لليتامى والأرامل راحم في ذكره من ذكره آياته لو كان في عصر النبي لأنزلت من سلها وركوبها عزماته بكت الصوارم والصواهل إذ خلت من كل قلب مؤمن روعاته فارقت ملكًا غير باقٍ متعبًا ووصلت ملكًا باقيًا راحاته فعلى صلاح الدين يوسف دائمًا رضوان رب العرش بل صلواته أولاد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب - رحمه الله -.

كانوا ستة عشر ذكرًا وابنة واحدة أكبرهم الأفضل علي ولد بمصر سنة خمس وستين يوم عيد الفطر.

وأخوه لأبيه وأمه الملك الظافر خضر ولد بمصر سنة ثمان وستين.

وأخوهما أيضًا لأبيهما وأمهما قطب الدين موسى ولد بمصر سنة ثلاث وسبعين.

فهؤلاء الثلاثة أشقاء.

ثم الملك العزيز عثمان الذي ملك مصر بعد أبيه ولد بها سنة سبع وستين.

وأخوه لأبيه وأمه الأعز يعقوب ولد بمصر سنة اثنتين وسبعين.

والملك الظاهر غازي صاحب حلب ولد بمصر سنة ثمان وستين.

وأخوه لأبيه وأمه الملك الزاهر داود ولد بمصر سنة ثلاث وسبعين.

والملك المعز إسحاق ولد سنة سبعين.

والملك المؤيد مسعود ولد بدمشق سنة إحدى وسبعين.

والملك الأشرف محمد ولد بالشام سنة خمس وسبعين.

وأخوه أيضًا لأبيه وأمه الملك المحسن أحمد ولد بمصر سنة سبع وسبعين.

وأخوه أيضًا لأبيه وأمه الملك الغالب ملكشاه ولد بالشام سنة ثمان وسبعين.

وأخوهم أيضًا لأبيهم وأمهم أبو بكر النصر ولد بحران بعد وفاة أبيه سنة تسع وثمانين.

والبنت مؤنسة خاتون تزوجها ابن عمها الملك الكامل - الآتي ذكره - ابن الملك العادل وماتت عنده.

وملك بعد السلطان صلاح الدين مصر ابنه الملك العزيز عثمان الآتي ذكره إن شاء الله تعالى وملك دمشق بعده ابنه الملك الأفضل علي وملك حلب ابنه الظاهر غازي كما كانوا أيام أبيهم.

ثم وقع بين الملك العزيز والأفضل أمور نذكرها فيما يأتي إن شاء الله تعالى.

انتهت ترجمة السلطان صلاح الدين - رحمه الله -.

ونذكر الآن ما وقع في أيامه من الحوادث ومن توفي من الأعيان في زمانه على سبيل الاختصار على عادة هذا الكتاب.

وبالله المستعان.

السنة الأولى من سلطنة الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب على مصر وهي سنة سبع وستين وخمسمائة.

أعني سلطنته بعد موت العاضد العبيدي آخر خلفاء الفاطميين بمصر.

وأما وزارته فكانت قبل ذلك بمدة من يوم مات عمه الملك المنصور أسد الدين شيركوه بن أيوب في يوم السبت ثاني عشر جمادى الآخرة سنة أربع وستين وخمسمائة.

وقد ذكرنا حوادث وزارته فيما مضى ونذكر الآن من يوم سلطنته بعد الخليفة العاضد عني حوادث سنة سبع وستين وخمسمائة.

فيها خطب لبني العباس بمصر وأبطل الخطبة لبني عبيد حسب ما تقدم ذكره في ترجمة العاضد وفي ترجمة صلاح الدين أيضًا ولما وقع ذلك كتب العماد الكاتب عن السلطان صلاح الدين لنور الدين الشهيد يخبره بذلك: قد خطبنا للمستضيء بمصر نائب المصطفى إمام العصر ولدينا تضاعفت نعم الل - - ه وجلت عن كل عد وحصر واستنارت عزائم الملك العا - - دل نور الدين الهمام الأغر وفيها بعث الملك العادل نور الدين محمود المذكور بالبشارة للخليفة فلما وصل شهاب الدين المذكور للخليفة قال في المعنى ابن الحرستاني الشاعر المشهور قصيدة أولها: جاء البشير فسر الناس وابتهجوا فما على ذي سرور بعدها حرج وخلع الخليفة على شهاب الدين المذكور.

ثم بعث جواب الملك العادل على يد الخادم صندل وعلى يديه الخلع والتقاليد له وفي الخلعة الطوق وفيه ألف دينار والفرجية والعمامة ثم أرسل مع الخادم المذكور لصلاح الدين صاحب الترجمة خلعًا دون خلع نور الدين.

وبعث أيضًا لنور الدين سيفًا قلده للشام ثم سيفًا آخر قلده بمصر ويكون صلاح الدين نائبه بمصر.

وزينت بغداد وضربت القباب لذلك.

وفيها وقعت الوحشة بين نور الدين وصلاح الدين.

هذا الأمر ذكرناه في أوائل ترجمة صلاح الدين ثم سكن ذلك.

وفيها توفي حسان بن نمير الكلبي أبو الندى الشاعر المشهور المعروف بعرقلة الدمشقي ويقال له عرقلة من حاضرة دمشق كان شيخًا خليعًا أعور مطبوعًا لطيفًا ظريفًا كان اختص بالسلطان صلاح الدين وله فيه مدائح وله شعر رائق كثير.

من ذلك قصيدته المشهورة: كتم الهوى فوشت عليه دموعه من حر نار تحتويه ضلوعه صب تشاغل بالربيع وزهره قوم وفي وجه الحبيب ربيعه يا لائمي فيمن تمنع وصله عن بغيتي أحلى الهوى ممنوعه كيف التخلص إن تجنى أو جنى والحسن شيء ما يرد شفيعه شمس ولكن في فؤادي حرها بدر ولكن في القباء طلوعه قال العواذل ما الذي استحسنته منه وما يسبيك قلت جميعه وفيها توفي عبد الله بن أحمد بن أحمد بن أحمد العلامة أبو محمد المعروف بابن الخشاب النحوي اللغوي حجة العرب برع في فنون العلوم وانفرد بعلم النحو والعربية حتى فاق أهل عصره.

وفيها توفي عبد الله بن أحمد بن الحسين ابن أحمد بن الحسين بن إسحاق أبو محمد الحميري ويعرف بابن النقار الكاتب.

ولد بطرابلس سنة تسع وسبعين وأربعمائة.

ولما استولى الفرنج على طرابلس انتقل منها إلى دمشق وكان شاعرًا ماهرًا.

ومن شعره - رحمه الله - القصيدة المشهورة التي أولها: بادر إلى اللذات في أزمانها واركض خيول اللهو في ميدانها واستقبل الدنيا بصدرٍ واسعٍ ما أوسعت لك من رحيب مكانها وله: الله يعلم أنني ما خلته يصبو إلى الهجران حين وصلته من منصفي من ظالمٍ متعتبٍ يزداد ظلمًا كلما حكمته ملكته روحي ليحفظ ملكه فأضاعني وأضاع ما ملكته لا ذنب لي إلا هواه لأنه لما دعاني للسقام أجبته وفيها توفي العاضد خليفة مصر حسب ما ذكرناه في ترجمته.

وفيها توفي عبد الله بن أحمد بن أحمد بن أحمد العلامة أبو محمد المعروف بابن الخشاب النحوي اللغوي حجة العرب برع في فنون العلوم وانفرد بعلم النحو والعربية حتى فاق أهل عصره.

وفيها توفي عبد الله بن أحمد بن الحسين ابن أحمد بن الحسين بن إسحاق أبو محمد الحميري ويعرف بابن النقار الكاتب.

ولد بطرابلس سنة تسع وسبعين وأربعمائة.

ولما استولى الفرنج على طرابلس انتقل منها إلى دمشق وكان شاعرًا ماهرًا.

ومن شعره - رحمه الله - القصيدة المشهورة التي أولها: بادر إلى اللذات في أزمانها واركض خيول اللهو في ميدانها واستقبل الدنيا بصدرٍ واسعٍ ما أوسعت لك من رحيب مكانها وله: الله يعلم أنني ما خلته يصبو إلى الهجران حين وصلته من منصفي من ظالمٍ متعتبٍ يزداد ظلمًا كلما حكمته ملكته روحي ليحفظ ملكه فأضاعني وأضاع ما ملكته لا ذنب لي إلا هواه لأنه لما دعاني للسقام أجبته فيها سار الملك العادل نور الدين محمود صاحب دمشق إلى الموصل وصلى بالجامع الذي بناه وسط الموصل وتصدق بمال عظيم.

ولما علم صلاح الدين صاحب الترجمة بتوجهه إلى الموصل خرج بعساكره من مصر إلى الشام وحصر الكرك والشوبك ونهب أعمالهما ثم عاد لما بلغه عود نور الدين إلى الشام.

وهذه أول غزوات صلاح الدين.

وفيها توفي الأمير نجم الدين أيوب بن شادي بن مروان والد صلاح الدين المذكور.

كان أميرًا عاقلًا حازمًا شجاعًا جوادًا عاطفًا على الفقراء والمساكين محبًا للصالحين قليل الكلام جدًا لا يتكلم إلا لضرورة.

ولما قدم مصر سأله ولده السلطان صلاح الدين صاحب الترجمة أن يكون هو السلطان فقال: أنت أولى.

وكان سبب موته أنه ركب يومًا وخرج من باب النصر يريد الميدان فشب به فرسه فوقع على رأسه فأقام ثمانية أيام ومات في ليلة الثلاثاء السابع والعشرين من ذي الحجة ودفن إلى جانب أخيه أسد الدين شيركوه بن أيوب في الدار السلطانية ثم نقلا بعد سنين إلى مدينة النبي صلى الله عليه وسلم.

وكان ابنه السلطان صلاح الدين قد عاد من الكرك فبلغه خبر موته في الطريق فوجد عليه وتأسف حيث لم يحضره.

وخلف من الذكور ستة: السلطان صلاح الدين يوسف وأبا بكر العادل الآتي ذكره في ملوك مصر وشمس الدولة توران شاه وهو أكبر الجميع وشاهنشاه وسيف الإسلام طغتكين وتاج الملوك بوري وهو وفيها توفي الحسن بن أبي الحسن صافي ملك النحاة مولى الحسين بن الأرموي التاجر البغدادي قرأ النحو وأصول الدين والفقه والخلاف والحديث وبرع في النحو وفاق أهل زمانه وسافر البلاد وصنف الكتب في فنون العلوم من ذلك " المقامات " التي من جنس " مقامات الحريري " وكان يقول: مقاماتي جد وصدق ومقامات الحريري هزل وكذب.

قلت: ولكن بين ذلك أهوال.

ومن مصنفاته كتاب أربعمائة كراسة سماها " التذكرة السفرية " وفيها توفي سعد الدين بن علي بن القاسم بن علي أبو المعالي الكتبي الحظيري الحنفي كان شاعرًا فاضلًا.

والحظيرة: قرية فوق بغداد وهي بفتح الحاء المهملة وكسر الظاء المعجمة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها راء وإلى هذه القرية ينسب كثير من العلماء.

ومن شعر الحظيري - رحمه الله تعالى وعفا عنه -: صبح مشيبي بدا وفارقني ليل شبابي فصحت وا قلقي وصرت أبكي دمًا عليه ولا بد لصبح المشيب من شفق الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي نجم الدين أيوب بن شادي والد الملوك.

وملك النحاة أبو نزار الحسن بن صافي البغدادي بدمشق.

وأبو جعفر محمد بن الحسن الصيدلاني بأصبهان وله خمس وتسعون سنة.

وصالح ابن إسماعيل أبو طالب ابن بنت معافى المالكي مفتي الإسكندرية - رحمه الله -.

الماء القديم خمس أذرع وعشرون إصبعًا.

مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعًا وثماني عشرة إصبعًا.

السنة الثالثة من سلطنة صلاح الدين يوسف بن أيوب على مصر وهي سنة تسع وستين وخمسمائة: فيها كتب صلاح الدين صاحب الترجمة لنور الدين يستأذنه في إنفاذ جيش إلى اليمن فأذن له فبعث صلاح الدين أخاه شمس الدولة توران شاه بن أيوب فسار إليها وكان فيها عبد النبي بن مهدي من أصحاب المصريين وكان ظالمًا فاتكًا فحصره شمس الدولة توران شاه في قصره بزبيد مدة حتى طلب الأمان فأذنه فلما نزل إليه قيده ووكل به وفتح صنعاء وحصون اليمن والمدائن يقال: إنه فتح ثمانين حصنًا ومدينة واستولى على أموالها وذخائرها وقتل عبد النبي المذكور.

وولى على زبيد سيف الدولة مبارك بن منقذ وعز الدين عثمان بن الزنجيلي على باقي البلاد.

وفيها قبض صلاح الدين على جماعة من أعيان الدولة العبيدية: مثل داعي الدعاة وعمارة اليمني وغيرهما بلغه أنهم يجتمعون على إثارة الفتن واتفقوا مع السودان وكاتبوا الفرنج فقتل داعي الدعاة وصلب عمارة اليمني.

قال القاضي شمس الدين ابن خلكان: هو أبو محمد عمارة بن أبي الحسن علي بن زيدان بن أحمد بن محمد الحكمي اليمني الملقب نجم الدين الشاعر وهو من جبال اليمن من مدينة مرطان بينها وبين مكة من جهة الجنوب أحد عشر يومًا.

وكان فقيهًا فصيحًا أقام بزبيد مدة يقرأ عليه مذهب الشافعي وله في الفرائض مصنف مشهور باليمن ومدح خلفاء مصر فقربوه وأعطوه الأموال فكان عندهم بمنزلة الوزير وكان أيضًا معظمًا قبل ذلك في اليمن ثم ظهرت أمور اقتضت خروجه منها فقدم إلى مصر في سنة خمسين وخمسمائة.

وقيل: إن سبب قتله أنه مدح توران شاه وحرضه على أخذ اليمن بقصيدة أولها: لعلم مذ كان محتاج إلى العلم وشفرة السيف تستغني عن القلم إلى أن قال: هذا ابن تومرت قد كانت بدايته كما يقول الورى لحمًا على وضم وكان أول هذا الدين من رجل سعى إلى أن دعوه سيد الأمم قال العماد الكاتب: اتفقت لعمارة اتفاقات: منها أنه نسب إليه قول هذا البيت فكان أحد أسباب قتله وأفتى قضاة مصر بقتله وقيل: إنه لما أمر صلاح الدين بصلبه مروا به على دار القاضي الفاضل فرمى بنفسه على بابه وطلب الدخول إليه ليستجير به فلم يؤذن له فقال: # عبد الرحيم قد احتجب إن الخلاص من العجب فصلب وهو صائم في شهر رمضان.

وفيها توفي السلطان الملك العادل نور الدين أبو القاسم محمود بن زنكي بن آق سنقر صاحب الشام ومصر المعروف بنور الدين الشهيد.

قال ابن عساكر: " ولد سنة إحدى عشرة وخمسمائة وكان معتدل القامة أسمر اللون واسع الجبهة حسن الصورة لحيته شعرات خفيفة في حنكه ونشأ على الخير والصلاح.

وكان زنكي يقدمه على أولاده ويرى فيه مخايل النجابة.

وفتح في أيام سلطنته نيفًا وخمسين حصنًا ".

قلت: ومصر أيضًا من جملة فتوحاته وأيضًا ما فتحه صلاح الدين من البلاد والحصون هو شريكه في الأجر والثواب ولولاه إيش كان صلاح الدين! حتى ملك مصر من أيدي تلك الرافضة من بني عبيد خلفاء مصر وقوة بأسهم!.

قلت: وترجمة الملك العادل طويلة يضيق هذا المحل عن ذكرها وأحواله أشهر من أن تذكر.

غير أننا نذكر مرض موته ووفاته.

وكان ابتداء مرضه أنه ختن ولده الملك الصالح إسماعيل يوم عيد الفطر فهنئ بالعيد والطهور فقال العماد الكاتب - رحمه الله -: كلاهما لك فيه حقًا هناء وأجر فمرض بعد عوده من صلاة العيد بالخوانيق وما كان يرى الطب على قاعدة الأتراك فأشير عليه بالفصد في أول مرضه فامتنع وكان مهيبًا فما روجع فمات يوم الأربعاء حادي عشر شوال ودفن بالقلعة ثم نقل إلى مدرسته التي أنشأها مجاورة الخواصين بدمشق.

وعاش ثمانيًا وخمسين سنة.

وكانت سلطنته ثمانيًا وعشرين سنة وستة أشهر.

ورثاه العماد الكاتب بعدة مراثٍ من ذلك قوله: يا ملكًا أيامه لم تزل لفضله فاضلة فاخره ملكت دنياك وخلفتها وسرت حتى تملك الآخره قال أبو اليسر شاكر بن عبد الله التنوخي المعري: " تعدى بعض أمراء صلاح الدين بن أيوب على رجل وأخذ ماله فجاء إلى صلاح الدين فلم يأخذ له بيد فجاء إلى قبر نور الدين وشق ثيابه وحثا التراب على رأسه وجعل يستغيث: يا نور الدين أين أيامك! ويبكي.

فبلغ صلاح الدين فاستدعاه وأعطاه ماله فازداد بكاؤه فقال له صلاح الدين: ما يبكيك وقد أنصفناك فقال: إنما أبكي على ملك أنصفت ببركاته وبعد موته كيف يأكله التراب ويفقده المسلمون!.

وتسلطن بعده ولده الملك الصالح إسماعيل ولم يبلغ الحلم.

وقد مر من أخباره نبذة الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي النقيب أبو عبد الله أحمد بن علي بن المعمر العلوي ببغداد في جمادى الأولى.

والحافظ أبو العلاء الحسن بن أحمد الهمذاني العطار المقرئ في جمادى الأولى وله إحدى وثمانون سنة.

ودهبل بن علي ابن منصور بن إبراهيم بن عبد الله المعروف بابن كارة الحنبلي.

وناصح الدين سعيد بن المبارك بن الدهان النحوي ببغداد وله خمس وسبعون سنة.

وأبو تميم سلمان بن علي الرحبي الخباز بدمشق.

وعبد النبي بن المهدي صاحب اليمن وكان باطنيًا استأصله أخو صلاح الدين.

وأبو الحسن علي بن أحمد الكناني القرطبي بفاس وله ثلاث وتسعون سنة.

والفقيه عمارة بن علي بن زيدان اليمني الشاعر شنق في جماعة سعوا في إعادة الدولة العبيدية.

والسلطان نور الدين محمود بن زنكي الأتابكي بن آق سنقر التركي الملكشاهي في شوال وله ثمان وخمسون سنة.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ست أذرع وست عشرة إصبعًا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا وعشر أصابع.

السنة الرابعة من سلطنة صلاح الدين يوسف بن أيوب على مصر فيها ملك السلطان صلاح الدين دمشق من الملك الصالح ابن الملك العادل نور الدين محمود حسب ما ذكرناه في ترجمته.

وكان أخذه لدمشق بمكاتبة القاضي كمال الدين الشهرزوري وابن الجاولي والأعيان وكان بالقلعة ريحان الخادم فعزم على قتاله فجهز إليه عسكر دمشق وركب صلاح الدين من الجسور فالتقاه أهل دمشق بأسرهم وأحدقوا به فنثر عليهم الدراهم والدنانير ودخل دمشق فلم يغلق في وجهه باب ولا منعه مانع فملكها عناية لا عنوة.

وفيها استخدم صلاح الدين العماد الكاتب الأصبهاني وسببه أنه التقى بالقاضي الفاضل ومدحه بأبيات منها: عاينت طود سكينة ورأيت شم - - س فضيلة ووردت بحر فضائل ورأيت سحبان البلاغة ساحبًا ببيانه ذيل الفخار لوائل حلف الحصافة والفصاحة والسما - - حة والحماسة والتقى والنائل بحر من الفضل الغزير خضمه طامي العباب وما له من ساحل في كفه قلم يعجل جريه ما كان من أجل ورزق آجل أبصرت قسا في الفصاحة معجزًا فعرفت أني في فهاهة باقل فدخل القاضي الفاضل على السلطان صلاح الدين وقال: غدا تأتيك تراجم الأعاجم وما يحلها مثل العماد الكاتب.

فقال: ما لي عنك مندوحة أنت كاتبي ووزيري وقد رأيت على وجهك البركة فإذا استكتبت غيرك تحدث الناس فقال الفاضل: هذا يحل التراجم وربما أغيب أنا ولا أقدر على ملازمتك فإذا غبت قام العماد مقامي وقد عرفت فضل العماد وخدمته للدولة النورية فاستكتبه.

وفيها توفي السلطان أرسلان شاه بن طغرل بن محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقماق السلجوقي.

وقام بعده في الملك ابنه طغرل شاه وكان صغير السن فتولى تدبير ملكه محمد بن إيلدكز الأتابك وكان يلقب بالبهلوان.

وفيها توفي يحيى بن جعفر أبو الفضل زعيم الدين صاحب مخزن الخلفاء: المقتفي والمستنجد والمستضيء وناب في الوزارة وتقلب في الأعمال نيفًا وعشرين سنة وكان حافظًا للقرآن فاضلًا عارفًا منصفًا محبًا للعلماء والصالحين ومات في شهر ربيع الأول وكانت جنازته مشهودة.

قال العماد الكاتب: جلس يومًا في ديوان الوزارة فقام شهاب الدين بن الصيفي فأنشده: لكل زمان من أماثل أهله برامكة يمتارهم كل معسر أبو الفضل يحيى مثل يحيى بن خالدٍ يدًا وأبوه جعفر مثل جعفر وفي الجانب الشرقي يحيى بن جعفر وفي الجانب الغربي موسى بن جعفر فذاك إلى الله الكريم شفيعنا وهذا إلى المولى الإمام المطهر يعني ساكن الجانب الشرقي صاحب الترجمة وبالجانب الغربي موسى بن جعفر الصادق.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي قاضي القضاة أبو طالب روح بن أحمد الحديثي وله ثمان وستون سنة.

وفخر النساء خديجة بنت أحمد النهروانية في شهر رمضان.

وعبد الله بن عبد الصمد بن عبد الرزاق السلمي العطار.

وأبو بكر محمد بن علي بن محمد الطوسي.

وأبو عبد الله محمد بن عبد الله بن خليل القيسي مسند المغرب.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم سبع أذرع وإحدى وعشرون إصبعًا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا وتسع عشرة إصبعًا.

@ لسنة الخامسة من سلطنة صلاح الدين يوسف بن أيوب على مصر وهي سنة إحدى وسبعين وخمسمائة: فيها عزل الخليفة المستضيء بالله الحسن صندل الخادم عن

الأستادارية وضيق على ولده الأمير أبي العباس أحمد لأمر بلغه عنهما وولى ابن الصاحب الأستادارية عوضًا عن صندل المذكور.

وفيها وثبت الإسماعيلية على السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وهو على أعزاز جاءه ثلاثة في زي الأجناد فضربه واحد بسكين في رأسه فلم يجرحه وخدشت السكين خده وقتل الثلاثة فرحل صلاح الدين إلى حلب فلغا نزل عليها بعث إليه الملك الصالح إسماعيل بن الملك العادل نور الدين محمود أخته خاتون بنت نور الدين في الليل فدخلت عليه فقام قائمًا وقبل الأرض لها وبكى على نور الدين فسألته أن يرد عليهم أعزاز فأعطاها إياها وقدم لها من الجواهر والتحف شيئًا كثيرًا واتفق مع الملك الصالح أن من حماة وما فتحه إلى مصر له وباقي البلاد الحلبية للصالح.

وفيها قدم شمس الدولة توران شاه بن أيوب أخو صلاح الدين من اليمن إلى دمشق في سلخ ذي الحجة.

وفيها فوض سيف الدولة غازي أمر الموصل إلى مجاهد الدين قيماز الخادم.

وفيها توفي علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين الحافظ أبو القاسم الدمشقي المعروف بابن عساكر مولده في أول المحرم سنة تسع وتسعين وأربعمائة.

كان أحد أئمة الحديث المشهورين والعلماء المذكورين سمع الكثير وسافر وصنف تاريخًا لدمشق وصنف كتبًا كثيرة وكان إمامًا في الفنون فقيها محدثًا حافظًا مؤرخًا.

قال العماد الكاتب: أنشدني لنفسه بالمزة: أيا نفس ويحك جاء المشيب فماذا التصابي وماذا الغزل تولى شبابي كأن لم يكن وجاء مشيبي كأن لم يزل كأني بنفسي على غرةٍ وخطب المنون بها قد نزل فيا ليت شعري ممن أكون وما قدر الله في الأزل الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي الحافظ ثقة الدين أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر في رجب وله ثلاث وسبعون سنة إلا شهرًا.

ومجد الدين أبو منصور محمد بن أسعد بن محمد المعروف ب حفدة الطوسي العطاري الشافعي الواعظ.

وأبو حنيفة محمد بن كبيد الله الأصبهاني الخطيبي في صفر.

وأبو جعفر هبة الله بن يحيى بن البوقي الشافعي.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربع أذرع وست عشرة إصبعًا.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا وعشر أصابع.

يوسف بن أيوب على مصر وهي سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة: فيها تزوج السلطان صلاح الدين يوسف بالخاتون عصمة الدين بنت الأمير معين الدين أنر زوجة الملك العادل نور الدين محمود وكانت بقلعة دمشق.

وفيها كانت فتنة مقدم السودان من صعيد مصرة سار من الصعيد إلى مصر في مائة ألف أسود ليعيد الدولة المصرية الفاطمية فخرج إليه أخو صلاح الدين الملك العادل أبو بكر وأبو الهيجاء الهكاري وعز الدين موصك بمن معهم من عساكر مصر والتقوا مع السودان فكانت بينهم وقعة هائلة قتل كبير السودان المذكور ومن معه.

قال الشيخ شمس الدين يوسف في مرآة الزمان: " يقال إنهم قتلوا منهم ثمانين ألفًا وعادوا إلى القاهرة.

وفيها خرج السلطان صلاح من دمشق إلى مصر وأستناب أخاه شمس الدولة توران شاه على الشام.

وجاءت الفرنج إلى داريا فأحرقوا ونهبوا وعادوا.

وفيها أمر السلطان صلاح الدين قراقوش الخادم بعمارة سور القاهرة ومصر وضيع فيه أموالًا كثيرة ولم ينتفع به أحد.

وفيها أبطل صلاح الدين المكوس التي كانت تؤخذ من الحاج بجدة مما يحمل في البحرة وعوض صاحب مكة عنها في كل سنة ثمانية آلاف إردب قمحًا تحمل إليه في البحر فتفرق في أهل الحرمين.

وفيها عمر صلاح الدين مدرسة الشافعي بالقرافة وتولى الشيخ نجم الدين الخبوشاني عمارتها.

وعمر البيمارستان في القصر ووقف عليه الأوقاف.

وفيها حج بالناس من الشام قيماز النجمي.

وفيها توفي علي بن منصور أبو الحسن السروجي الأديب مؤدب أولاد الأتابك زنكي بن آق سنقرة كان يأخذ الماء بفيه ويكتب به على الحائط كتابة حسنة كأنها كتبت بقلم الطومار وينقط ما يكتب ويشكله.

ومن شعره في فصل الربيع وفضل دمشق ومدح نور الدين قصيدة طنانة أولها: فصل الربيع زمان نوره نور أنفاس أشجاره مسك وكافور وفيها توفي محمد بن مسعود أبو المعالي خرج إلى الحج في هذه السنة فتوفي بفند كان أديبًا فاضلًا.

ومن شعره هجو في قاض ولي القضاء: ولما إن توليت القضايا وقاض الجور من كفيك فيضا ذبحت بغير سكين وإني لأرجو الذبح بالسكين أيضا وفيها توفي محمد بن عبد الله بن القاسم أبو الفضل كمال الدين الشهرزوري قاضي دمشق.

مولده في سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة كان إمامًا فاضلًا فقيهًا مفتنًا كان إليه في أيام نور الدين الشهيد مع القضاء أمر المساجد والمدارس والأوقاف والحسبة والأمور الدينية والشرعية.

وكان صاحب القلم والسيف وكانت شحنجية دمشق إليه ولى فيها بعض غلمانه ثم ولاها نور الدين بعد ذلك لصلاح الدين يوسف بن أيوب قبل قدومه إلى مصر.

وكان مع فضله ودينه له الشعر الجيد وكان بينه وبين صلاح الدين يوسف بن أيوب صاحب الترجمة في أيام نور الدين مضاغنة.

ومن شعره: وجاؤوا عشاء يهرعون وقد بدا بجسمي من داء الصبابة ألوان فقالوا وكل معظم بعض ما رأى أصابتك عين قلت عين وأجفان قلت: وهذا شبه قول القائل ولم أدر من السابق: ولما رأوني العاذلون متيمًا كئيبًا بمن أهوى وعقلي ذاهب رثوا لي وقالوا كنت

بالأمس عاقلًا أصابتك عين قلت عين وحاجب الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي أبو محمد صالح بن المبارك بن الرخلة القزاز.

والمحدث أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الأموي الديباجي الأصبهاني العثماني الإسكندراني.

وأبو الحسن علي بن عساكر.

وأبو بكر محمد بن أحمد بن ماه شاور الأصبهاني المقرئ آخر من روى عن سليمان الحافظ.

وقاضي الشام كمال الدين أبو الفضل محمد بن عبد الله بن القاسم بن المظفر الشهرزوري في المحرم.

والقاضي أبو الفتح نصر بن سيار بن صاعد الكتاني الهروي الحنفي مسند خراسان يوم عاشوراء وله سبع وتسعون سنة.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ست أذرع وإحدى وعشرون إصبعًا.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا وإحدى وعشرون إصبعًا.

السنة السابعة من سلطنة صلاح الدين يوسف بن أيوب على مصر وهي سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة.

فيها توفي صدقة بن الحسين بن الحسن أبو الفرج الناسخ الحنبلي كان يعرف بابن الحدد كان فقيهًا مفتنًا مناظرًا.

قال أبو المظفر: لكنه قرأ " الشفاء " وكتب الفلاسفة فتغير اعتقاده وكان يبدو من فلتات لسانه ما يدل على ذلك.

ومن شعره - رحمه الله تعالى -: لا توطنها فليست بمقام واجتنبها فهي دار الانتقام وفيها توفي كمشتكين خادم السلطان نور الدين الشهيد.

كان من أكابر خدامه أعني مماليكه وكان ولاه الموصل نيابة عنه.

فلما مات نور الدين هرب إلى حلب وخدم شمس الدين ابن الداية ثم جاء إلى الملك الصالح ابن نور الدين الشهيد فأعطاه حارم ثم غضب عليه لأمر وطلب منه قلعة حارم بعد أن قبض عليه فامتنعوا أصحابه من تسليمها فعلقه الملك الصالح منكسًا ودخن تحت أنفه حتى مات.

وفيها توفي محمد بن عبد الله بن هبة الله بن المظفر الوزير أبو الفرج ابن رئيس الرؤساء ولقبه عضد الدولة.

وكان أبوه أستادار المقتفي وأقره المستنجد.

فلما ولي المستضيء استوزره فشرع ظهير الدين أبو بكر صاحب المخزن في عداوته حتى غير قلب الخليفة عليه فطلب الحج فأذن له فتجهز جهازًا عظيمًا واشترى ستمائة

جمل لحمل المنقطعين وزادهم وحمل معه جماعة من العلماء والزهاد وأخذ معه بيمارستانًا فيه جميع ما يحتاج إليه وسافر بتجمل زائد.

فلما وصل إلى باب قطفتا خرج إليه رجل صوفي بيده قصة فقال: مظلوم! فقال الغلمان: هات قصتك.

فقال: ما أسلمها إلا للوزير.

فلما دنا منه ضربه بسكين في خاصرته فصاح: قتلتني وسقط من دابته وبقي على قارعة الطريق ملقى وتفرق من كان معه إلا حاجب الباب فإنه رمى بنفسه عليه فضربه الباطني بسكين فجرحه وظهر للباطني رفيقان فقتلوا وأحرقوا.

ثم حمل الوزير إلى داره فمات بها.

وكان مشكور السيرة محببًا إلى الرعية غير أن القاضي الفاضل لما بلغه خبر قتله أنشد: وأحسن من نيل الوزارة للفتى حياة تريه مصرع الوزراء وما ربك بظلام للعبيد.

كان - عفا الله عنه - قد قتل ولدي الوزير ابن هبيرة وخلقًا كثيرًا.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي الوزير أبو الفرج محمد بن عبد الله ابن رئيس الرؤساء وثبت عليه الإسماعلية في ذي القعدة.

وهارون بن العباس أبو محمد بن المأموني صاحب التاريخ وأبو شاكر يحيى بن يوسف السقلاطوني.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمس أذرع وثلاث أصابع.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا وإحدى وعشرون إصبعًا.

السنة الثامنة من سلطنة صلاح الدين يوسف بن أيوب على مصر وهي سنة أربع وسبعين وخمسمائة.

فيها جرى بحث في مجلس ظهير الدين بن العطار في قتال عائشة لعلي.

فقال ابن البغدادي الحنفي: كانت عائشة باغية على علي فصاح عليه ابن العطار وأقامه من مكانه وأخبر الخليفة فجمع الفقهاء وسأل: ما يجب عليه فقالوا: يعزر.

فقال ابن الجوزي: لا يجب عليه التعزير لأنه رجل ليس له علم بالنقل وقد سمع أنه جرى قتال ولم يعلم أن السفهاء أثاروه بغير رضا الفريقين وتأديبه العفو عنه فأطلق.

وفيها توفي سعد بن محمد بن سعد أبو الفوارس شهاب الدين بن الصيفي التميمي المعروف بالحيص بيص كان شاعرًا فاضلًا مدح الخلفاء والوزراء والأكابرة وله ديوان شعرة وكانت وفاته ببغداد في شعبان.

وسبب تسميته بالحيص بيص أنه رأى الناس في يوم حركة فقال: ما للناس في حيص بيص! فغلب عليه هذا اللقب ومعنى هاتين الكلمتين: الشدة والاختلاط.

تقول العرب: وقع الناس في حيص بيص أي في شدة واختلاط.

ومن شعر الحيص بيص - رحمه الله وعفا عنه -: لم ألق مستكبرًا إلا تحول لي عند اللقاء له الكبر الذي فيه ولا حلا لي من الدنيا ولذتها إلا مقابلتي للتيه بالتيه وكان الحيص بيص يلبس زي العرب ويتقلد سيفًا فعمل فيه أبو القاسم ابن الفضل: كم تبادى وكم تطول طرطو - - رك ما فيك شعرة من تميم ليس ذا وجه من يضيف ولا يقري ولا يدفع الأذى عن حريم الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي أبو أحمد أسعد بن بلدرك الجبريلي البواب.

والحيص بيص الشاعر شهاب الدين أبو الفوارس سعد بن محمد بن سعد بن صيفي التميمي في شوال.

وفخر النساء شهدة بنت أحمد بن الفرج الإبري في المحرم وقد جاوزت التسعين.

وأبو رشيد عبد الله بن عمر الأصبهاني في شهر ربيع الآخر.

وأبو نصر عبد الرحيم بن عبد الخالق اليوسفي.

وأبو الخطاب عمر بن محمد التاجر بدمشق.

وأبو عبد الله محمد بن نسيم العيشوني.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربع أذرع وثلاث عشرة إصبعًا.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا وتسع عشرة إصبعًا.

السنة التاسعة من سلطنة صلاح الدين يوسف بن أيوب على مصر

وهي سنة خمس وسبعين وخمسمائة.

وفيها توفي الخليفة أمير المؤمنين المستضيء بأمر الله أبو محمد الحسن بن يوسف المستنجد بن المقتفي محمد العباسي الهاشمي البغدادي.

كان أحسن الخلفاء سيرة كان إمامًا عادلًا شريف النفس حسن السيرة ليس للمال عنده قدر حليمًا شفيقًا على الرعية أسقط المكوس والضرائب في أيام خلافته وكانت وفاته ببغداد في ثاني ذي القعدة عن ست وثلاثين سنة وكانت خلافته تسع سنين.

وهو الذي عادت الخطبة باسمه في الديار المصرية والبلاد الشامية والثغور واجتمعت الأمة على خليفة واحد وانقطعت في أيامه دولة بني عبيد الفاطميين الرافضة من مصر وأعمالها.

ولله الحمد.

وأمه أم ولد مولدة.

وفيها توفيت الزاهدة العابدة علم بنت عبد الله بن المبارك.

كانت تضاهي رابعة العدوية في زمانها مرض ولدها أحمد بن الزبيدي فاحتضر وجاء وقت الصلاة فقالت: يا بني ادخل في الصلاة فدخل وكبر ومات فخرجت إلى النساء وقالت: هنيئني! قلن ماذا قالت: ولدي مات في الصلاة.

فتعجب الناس من ذلك.

وكانت وفاتها ببغداد وعمرها مائة سنة وست سنين ولم يتغير لها شيء من حواسها.

وفيها توفي منصور بن نصر بن الحسين الرئيس ظهير الدين صاحب المخزن للخلفاء ونائب الوزارة.

نال من الوجاهة والرياسة ما لم ينله غيره من أطباقه إلى أن قبض عليه الخليفة الناصر الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي أبو الفتح أحمد بن أبي الوفاء الحنبلي بحران.

والمستضيء بأمر الله أبو محمد الحسن بن المستنجد يوسف بن المقتفي في شوال.

وأبو الحسين عبد الحق بن عبد الخالق اليوسفي في جمادى الأولى.

وأبو الفضل عبد المحسن بن تريك الأزجي.

وأبو الحسن علي بن أحمد الزيدي المحدث الزاهد.

وأبو المعالي علي بن هبة الله بن خلدون.

والقاضي أبو المحاسن عمر بن علي القرشي عم كريمة.

وأبو هاشم عيسى بن أحمد الهاشمي الدوشابي.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمس أذرع وست أصابع.

مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعًا وسبع أصابع.

السنة العاشرة من سلطنة صلاح الدين يوسف بن أيوب على مصر وهي سنة ست وسبعين وخمسمائة.

فيها قدمت امرأة إلى القاهرة عديمة اليدين وكانت تكتب برجليها كتابة حسنة فحصل لها القبول التام ونالها مال جزيل.

وفيها توفي أحمد بن محمد بن أحمد الحافظ أبو طاهر السلفي الأصبهاني ولد سنة سبعين وأربعمائة وكان طاف الدنيا ولقي المشايخ وكان يمشي حافيًا لطلب العلم والحديث وقدم دمشق وغيرها وسمع بعدة بلاد ثم دخل مصر وسمع بها واستوطن الإسكندرية حتى مات بها في يوم الجمعة خامس شهر ربيع الآخر ودفن داخل الإسكندرية وقد جاوز المائة بخمس سنين.

ومن شعره في معنى كبر سنه: أنا إن بان شبابي ومضى فلربي الحمد ذهني حاضر ولئن خفت وجفت أعظمي كبرًا غصن علومي ناضر وفيها توفي الملك المعظم فخر الدين شمس الدولة توران شاه بن أيوب أخو السلطان صلاح الدين صاحب الترجمة لأبيه.

كان أكبر من صلاح الدين في السن وكان يرى في نفسه أنه أحق بالملك من صلاح الدين يوسف المذكور وكان تبدو منه كلمات في سكره في حق صلاح الدين ويبلغ صلاح الدين فأبعده وبعثه إلى اليمن فسفك الدماء وقتل الأماثل وأخذ الأموال.

ولم يطب له اليمن فعاد إلى الشام على مضض من صلاح الدين فأعطاه بعلبك فبلغه عنه أشياء فأبعده إلى الإسكندرية فتوجه إليها وأقام بها معتكفًا على اللهو ولم يحضر حروب أخيه صلاح الدين ولا غزواته ومات بالإسكندرية فأرسلت أخته شقيقته ست الشام فحملته في تابوت إلى دمشق فدفنته في تربتها التي أنشأتها بدمشق.

وكان توران شاه المذكور جوادًا ممدحًا حسن الأخلاق إلا أنه كان أسوأ بني أيوب سيرة وأقبحهم طريقة.

وفيها توفي الملك غازي بن مودود بن زنكي بن آق سنقر التركي سيف الدين صاحب الموصل وابن أخي السلطان الملك العادل نور الدين محمود الشهيد.

كان غازي من أحسن الناس صورة وكان وقورًا عاقلًا غيورًا ما يدع خادمًا بالغًا يدخل داره على حرمه وكان طاهر اللسان عفيفًا عن أموال الناس قليل السفك للدماء مع شح كان فيه.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد السلقي في شهر ربيع الآخر وقد جاوز المائة بيقين.

وشمس الدولة توران شاه بن أيوب بن شادي صاحب اليمن بالإسكندرية في صفر.

وأبو المعالي عبد الله بن عبد الرحمن بن أحمد بن علي بن صابر السلمي في رجب.

وأبو المفاخر سعيد بن الحسين المأموني.

وأبو الفهم عبد الرحمن بن عبد العزيز بن محمد الأزدي ابن أبي العجائز في جمادى الآخرة.

وأبو الحسين علي بن عبد الرحيم بن العصار السلمي البغدادي اللغوي في المحرم.

وصاحب الموصل سيف الدين غازي بن مودود بن أتابك في صفر وله ثلاثون سنة.

أمر النيل في هذه السنة: عشرة إصبعًا.

السنة الحادية عشرة من سلطنة صلاح الدين يوسف بن أيوب على مصر وهي سنة سبع وسبعين وخمسمائة.

فيها عاد السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب صاحب الترجمة من دمشق إلى القاهرة واستناب على الشام ابن أخيه عز الدين فرخشاه.

وفيها أمر السلطان صلاح الدين أخاه سيف الإسلام طغتكين بالمسير إلى اليمن فأخذ يتجهز للمسير.

وفيها بعث السلطان صلاح الدين الخادم بهاء الدين قراقوش إلى اليمن فتوجه وقبض على سيف الدولة مبارك بن كامل بن منقذ وطلب منه المال وكان نائب أخيه توران شاه.

وفيها بنيت قلعة الجبل بالقاهرة.

وفيها توفي الملك الصالح إسماعيل ابن الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي بن آق سنقر صاحب حلب بمرض القولنج وكان لما اشتد به مرض القولنج وصف له الحكماء قليل خمر فقال: لا أفعل حتى أسأل الفقهاء.

فسأل الشافعية فأفتوه بالجواز فلم يقبل وقال: إن الله تعالى قرب أجلي أيؤخره شرب الخمر! قالوا: لا.

قال: فوالله لا لقيت الله وقد فعلت ما حرم علي فمات ولم يشربه.

ولما أشرف على الموت أحضر الأمراء واستحلفهم لابن عمه عز الدين مسعود بن مردود صاحب الموصل فقيل له: لو أوصيت لابن عمك عماد الدين صاحب سنجار! فإنه صعلوك ليس له غير سنجار وهو تربية أبيك وزوج أختك وشجاع كريم وعز الدين له من الفرات إلى همذان فقال: هذا لم يخف عني ولكن قد علمتم استيلاء صلاح الدين على الشام سوى ما بيدي ومصر واليمن وعماد الدين لا يثبت له إذا أراد أخذ البلاد وعز الدين له العساكر والأموال فهو أقدر على حفظ حلب وأثبت من عماد الدين ومتى ذهبت حلب ذهب الجميع فاستحسنوا قوله.

قلت: ولم يخطر ببال أحد أخذ صلاح الدين بن أيوب الشام من الملك الصالح هذا قبل تاريخه فإنه كان غرس نعمة أبيه الملك العادل فلم يلتفت صلاح الدين للأيادي السالفة وانتهز الفرصة حيث أمكنته وقاتل الملك الصالح هذا حتى أخذ منه دمشق فلهذا صار عند الصالح كمين من صلاح الدين.

وفيها توفي عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله بن أبي سعيد أبو البركات الأنباري النحوي مصنف كتاب " الأسرار في علم العربية " وكتاب " هداية الذاهب في معرفة المذاهب ".

كان إمامًا في فنون كثيرة مع الزهد والورع والعبادة وكانت وفاته في شعبان.

وفيها توفي عمر بن حمويه عماد الدين والد شيخ الشيوخ صدر الدين وتاج الدين وهو من ولد حمويه بن علي الحاكم على خراسان إمام السامانية.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة في كتاب الإشارة قال: وفيها توفي الملك الصالح إسماعيل ابن السلطان نور الدين بحلب في رجب وله ثماني عشرة سنة.

والكمال أبو البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري النحوي العبد الصالح.

وشيخ الشيوخ أبو الفتوح عمر بن علي الجويني.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمس أذرع وعشر أصابع.

مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعًا وخمس أصابع.

السنة الثانية عشرة من سلطنة الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب على مصر فيها سار سيف الإسلام طغتكين أخو صلاح الدين من مصر إلى اليمن إلى أن نزل زبيد وبها حطان فأمره أن يسير إلى الشام فجمع أمواله وذخائره ونزل بظاهر زبيد فقبض عليه سيف الإسلام وأخذ جميع ما كان معه وقيمته ألف ألف دينار ثم قتله بعد ذلك.

وكان عثمان الزنجبيلي بعدن فلما بلغه ذلك سافر إلى الشام بعد أن أثر باليمن آثارًا كبيرة ووقف الأوقاف وله مدرسة أيضًا بمكة ورباط بالمدينة وغيرها.

وفيها في خامس المحرم خرج صلاح الدين من مصر فنزل البركة قاصدًا الشام وخرج أعيان الدولة لوداعه وأنشده الشعراء أبياتًا في الوداع فسمع قائلًا يقول في ظاهر المخيم: تمتع من شميم عرار نجد فما بعد العشية من عرار فطلب القائل فلم يجده.

فوجم الناس وتطير الحاضرون فكان كما قال.

قلت: وقول من قال " فكان كما قال " ليس بشيء فإن صلاح الدين عاش بعد ذلك نحو العشر سنين غير أنه ما دخل مصر بعدها فيما أظن فإنه اشتغل بفتح الساحل وقتال الفرنج كما تقدم ذكره في ترجمته.

وفيها توفي أحمد بن علي بن أحمد الشيخ أبو العباس المعروف بابن الرفاعي إمام وقته في الزهد والصلاح والعلم والعبادة.

كان من الأفراد الذين أجمع الناس على علمه وفضله وصلاحه.

كان يسكن أم عبيدة بالعراق وكان شيخ البطائحية وكان له كرامات ومقامات وأصحابه يركبون السباع ويلعبون بالحيات ويتعلق أحدهم في أطول النخل ثم يلقي نفسه إلى الأرض ولا يتألم وكان يجتمع عنده كل سنة في المواسم خلق عظيم.

قال الشيخ شمس الدين يوسف في تاريخه مرآة الزمان: " حكى لي بعض أشياخنا قال: حضرت عنده ليلة نصف شعبان وعنده نحو من مائة ألف إنسان قال: فقلت له: هذا جمع عظيم فقال لي: حشرت محشر هامان إن خطر ببالي أني مقدم هذا الجمع.

قال: وكان متواضعًا سليم الصدر مجردًا من الدنيا ما ادخر شيئا قط.

انتهى.

قلت: وعلم الشيخ أحمد بن الرفاعي وفضله وصرعه أشهر من أن يذكر وهو أكثر الفقراء أتباعا شرقًا وغربًا والأعاجم يسمونه: سيدي أحمد الكبير وقيل: إن سبب مرضه الذي مات منه أن عبد الغني بن محمد بن نقطة الزاهد مضى إلى زيارته فأنشد أبياتًا منها: إذا جن ليلي هام قلبي بذكركم أنوح كما ناح الحمام المطوق وفوقي سحاب يمطر الهم والأسى وتحتي بحار بالأسى تتدفق سلوا أم عمرو كيف بات أسيرها تفك الأسارى دونه وهو موثق فلا هو مقتول ففي القتل راحة ولا هو ممنون عليه فيعتق وفيها توفي الأمير فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب أبو سعد عز الدين.

كان من الأماثل الأفاضل كان متواضعًا سخيًا جوادًا شجاعًا مقدامًا وكان عمه صلاح الدين قد استنابه بالشام وكان فصيحًا شاعرًا.

مات بدمشق في جمادى الأولى.

ومن شعره - رحمه الله تعالى -: أقرضوني زمنًا قربهم واستعادوا بالنوى ما أقرضوا أنا راض بالذي يرضيهم ليت شعري بالتلاقي هل رضوا وفيها توفي الأمير يوسف بن عبد المؤمن بن علي أبو يعقوب صاحب المغرب أمير الموحدين.

كان حسن السيرة عادلًا دينًا ملازمًا للصلوات الخمس لابسًا للصوف مجاهدًا في سبيل الله تعالى.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي الشيخ الكبير أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد الرفاعي بالبطائح.

وأبو طالب الخضر بن هبة الله بن أحمد بن طاوس في شوال.

والحافظ أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود بن موسى بن بشكوال الأنصاري القرطبي في شهر رمضان وله أربع وثمانون سنة.

وأبو طالب أحمد بن المسلم بن رجاء اللخمي التنوخي في شهر رمضان بالإسكندرية.

وخطيب الموصل أبو الفضل عبد الله بن أحمد بن محمد الطوسي في شهر رمضان عن اثنتين وتسعين سنة.

وعز الدين فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب نائب دمشق في جمادى الأولى.

والقطب النيسابوري أبو المعالي مسعود بن محمد بن مسعود شيخ الشافعية في آخر شهر رمضان.

وأبو محمد هبة الله بن محمد بن هبة الله الشيرازي بدمشق في شهر ربيع الأول.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ست أذرع وإحدى وعشرون إصبعًا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا وإصبعًا.

السنة الثالثة عشرة من سلطنة صلاح الدين يوسف بن أيوب على مصر وهي سنة تسع وسبعين وخمسمائة.

فيها في يوم الأحد عاشر المحرم تسلم السلطان صلاح الدين آمد من ديار بكر ودخل إليها وجلس في دار الإمارة ثم سلمها وأعمالها إلى نور الدين محمد بن قرا أرسلان صاحب حصن كيفا وكان قد وعده بها لما جاء إلى خدمته.

ثم عاد إلى حلب وحاصرها حتى أخذها من عماد الدين زنكي ابن أخي نور الدين الشهيد وبذل له عوضها سنجار وعمل الناس في ذلك أشعارًا كثيرة منها: وبعت بسنجار خير القلاع ثكلتك من بائعٍ مشتري وكان في أيام حصار حلب أصاب تاج الملوك بوري بن أيوب سهم في عينه فمات بعد أيام فحزن أخوه السلطان صلاح الدين عليه حزنًا شديدًا وكان يبكي ويقول: " ما وفت حلب بشعرة من أخي تاج الملوك بوري ".

وخرج عماد الدين من حلب وسار إلى سنجار.

ولما طلع صلاح الدين إلى قلعة حلب في سلخ صفر أنشد القاضي محيي الدين بن زكي الدين محمد بن علي القرشي قاضي دمشق أبياتًا منها: وفتحه حلبًا بالسيف في صفرٍ مبشر بفتوح القدس في رجب فكان كما قال لكن بعد سنين وهو الذي خطب بالقدس لما فتحه صلاح الدين في رجب.

وفيها توفي محمد بن بختيار الأديب أبو عبد الله المولد المعروف بالأبله البغدادي الشاعر المشهور كان شاعرًا ماهرًا جمع في شعره بين الصناعة والرقة.

ومن شعره: زار من أحيا بزورته والدجى في لون طرته قمر يثني معاطفه بانة في ثني بردته بت أستجلي المدام على غرة الواشي وغرته يا لها من زورة قصرت فأماتت طول جفوته يا له في الحسن من صنم كلنا في جاهليته دعني أكابد لوعتي وأعاني أين الطليق من الأسير العاني وفيها توفي الملك تاج الملوك بوري بن أيوب بن شادي أبو سعيد أخو السلطان صلاح الدين من سهم أصابه في حصار حلب كما تقدم ذكره.

كان مولد تاج الملوك في ذي الحجة سنة ست وخمسين وخمسمائة وكان قد جمع فيه محاسن الأخلاق: من مكارم وشيمٍ ولطف طباع مع شجاعة وفضل وفصاحة وكان شاعرًا بليغًا.

ومن شعره: رمضان بل مرضان إلا أنهم غلطوا إذًا في قولهم وأساؤوا مرضان فيه تحالفا فنهاره سل وأما ليله استسقاء الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي إسماعيل بن قاسم الزيات بمصر.

وتقية بنت أغيث بن علي الأرمنازية الشاعرة.

وأبو الفتح عبد الله بن أحمد الأصبهاني الخرقي في رجب وله تسع وثمانون سنة.

ومحمد بن بختيار البغدادي الشاعر المعروف بالأبله.

وأبو العلاء محمد بن جعفر بن عقيل وله ثلاث وتسعون سنة.

وأبو طالب محمد بن علي الكتاني المحتسب.

والعلامة رضي الدين يونس بن محمد بن منعة فقيه الموصل.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ست أذرع وإحدى وعشرون إصبعًا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة السنة الرابعة عشرة من سلطنة صلاح الدين يوسف بن أيوب على مصر وهي سنة ثمانين وخمسمائة: فيها حج بالناس من العراق طاشتكين.

وفيها توفي إيلغازي بن ألبي بن تمرتاش بن إيلغازي بن أرتق قطب الدين صاحب ماردين كانت وفاته في جمادى الآخرة.

وخلف ولدين صغيرين.

وكان ملكًا شجاعًا عادلًا منصفًا عاقلًا.

وفيها توفي عبد الرحيم بن إسماعيل بن أبي سعد شيخ الشيوخ صدر الدين وابن شيخ الشيوخ النيسابوري.

ولد سنة ثمان وخمسمائة وكان فاضلًا رسولًا بين الخليفة وصلاح الدين وكان يلبس الثياب الفاخرة ويتخصص بالأطعمة الطيبة فكان أهل بغداد يعيبون عليه حيث لم يسلك طريق المشايخ في التعفف عن الدنيا ولما مات رثاه ابن المنجم المصري: يا أخلائي وحقكم ما

بقي من بعدكم فرح أفي صدر في الزمان لنا بعد صدر الدين ينشرح وتولى مشيخة الرباط بعده الشيخ صفي الدين إسماعيل.

وفيها توفي محمد بن قرا أرسلان نور الدين صاحب حصن كيفا الذي كان أعطاه السلطان صلاح الدين آمد.

وترك ابنه ظهير الدين سكمان صغيرًا عمره عشر سنين.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي صدر الدين عبد الرحيم بن إسماعيل بن أبي سعد شيخ الشيوخ في رجب بالرحبة راجعًا في الرسلية.

وأبو عبد الله محمد بن حمزة بن أبي الصقر القرشي.

وأبو الوفا محمود بن أبي القاسم محمد الأصبهاني في شهر ربيع الآخر وله إحدى وسبعون سنة.

أجاز له طراد " الزينبي النقيب " وسمع من أبي الفتح " أحمد بن محمد " البيودرحاني.

وصاحب المغرب أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن شهيدًا على حصار شنترين بالأندلس في رجب.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ست أذرع وثلاث عشرة إصبعًا.

مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعًا وثلاث عشرة إصبعًا.

السنة الخامسة عشرة من سلطنة صلاح الدين يوسف بن أيوب على مصر فيها قطع السلطان صلاح الدين الفرات ونزل على الموصل وافتتح عدة بلاد.

وفيها توفي عبد السلام بن يوسف بن محمد الأديب أبو الفتوح الجماهري.

كان فاضلًا شاعرًا.

ومن شعره من قصيدة: على ساكني بطن العقيق سلام وإن أسهروني بالفراق وناموا حرمتم علي النوم وهو محلل وحللتم التعذيب وهو حرام إلا يا حمامات الأراك إليكم فما لي في تغريدكن مرام فوجدي وشوقي مسعد ومؤانس ونوحي ودمعي مطرب ومدام وفيها توفيت عصمة الدين خاتون بنت معين الدين أنر زوجة السلطان صلاح الدين صاحب الترجمة تزوجها بعد زوجها الملك العادل نور الدين الشهيد.

كانت من أعف الناس وأكرمهن كان لها صدقات كثيرة وبر عظيم بنت بدمشق مدرسة للحنفية في حجر الذهب ورباطًا للصوفية وبنت تربة بقاسيون على نهر بردى وبها دفنت وأوقفت على هذه الأماكن أوقافًا كثيرة.

وماتت في رجب فبلغ صلاح الدين موتها وهو مريض بحران فتزايد مرضه لموتها ولحزنه عليها.

ثم مات بعدها أخوها سعد الدين مسعود بن أنر في هذه السنة وكان من أكابر الأمراء زوجه صلاح الدين أخته ربيعة خاتون.

فلما توفي تزوجها وفيها توفي محمد ابن الملك المنصور أسد الدين شيركوه بن شادي الأمير ناصر الدين ابن عم السلطان صلاح الدين.

كان السلطان صلاح الدين يخافه لأنه كان يدعي أنه أحق بالملك منه.

وكان السلطان صلاح الدين يبلغه عنه هذا وكان زوج أخت السلطان صلاح الدين ست الشام بنت أيوب.

ومات بحمص في يوم عرفة وتناثر لحمه حتى قيل إنه سم وقيل: مات فجأة فنقلته زوجته ست الشام إلى تربتها ودفنته عند أخيها الملك المعظم توران شاه بن أيوب المقدم ذكره.

ولما بلغ صلاح الدين موته أبقى على ولده أسد الدين شيركوه بن محمد المذكور ما كان بيد والده: حمص وتدمر والرحبة وسلمية وخلع عليه وكتب منشورًا بذلك.

وفيها توفي محمد بن أحمد بن فتح الدين البغدادي الحنفي كان فقيهًا شاعرًا أديبًا.

ومن شعره في مليح عليه قباء كمه مطرز: ضممت معذبي لما أتاني ورقم طرازه قد راق عيني فيا طرزيه هل يدني زماني ليالي وصلنا بالرقمتين الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي أبو الطاهر إسماعيل بن مكي ابن إسماعيل بن عيسى بن عوف الزهري شيخ المالكية بالثغر في شعبان.

وصاحب أذربيجان البهلوان محمد بن إيلدكز.

والشيخ حياة بن قيس الحراني العابد في جمادى الأولى.

وأبو اليسر شاكر بن عبد الله بن محمد التنوخي كاتب نور الدين.

والمهذب عبد الله بن أسعد بن علي بن الدهان الموصلي الشافعي النحوي الشاعر في شعبان بحمص.

والحافظ أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الأزدي الإشبيلي في شهر ربيع الآخر ببجاية وله سبعون سنة.

والحافظ أبو زيد عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي المالقي الأديب في شعبان.

وعبد الرزاق بن نصر بن المسلم النخار الدمشقي.

وأبو الفتح " عبيد الله ابن " عبد الله بن محمد بن نجا بن شاتيل الدباس في رجب وله تسعون سنة.

وأبو الجيوش عساكر بن علي المقرىء بمصر.

وأبو حفص عمر بن عبد المجيد الميانشي بمكة.

وأبو المجد الفضل بن الحسين البانياسي في شوال.

وصاحب حمص ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه.

والحافظ أبو سعد محمد بن عبد الواحد الصائغ بأصبهان في ذي القعدة.

والحافظ العلامة أبو موسى محمد بن أبي بكر عمر بن أبي عيسى المدني في جمادى الأولى وله ثمانون سنة.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم سبع أذرع وتسع عشرة إصبعًا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا وإصبع واحدة.

السنة السادسة عشرة من سلطنة صلاح الدين فيها حكم المنجمون في الآفاق بخراب العالم في جمادى الآخرة وقالوا: تقترن الكواكب السيارة: الشمس والقمر وزحل والمريخ والزهرة وعطارد والمشتري في برج الميزان أو السرطان فتؤثر تأثيرًا يضمحل به العالم وتهب سموم محرقة تحمل رملًا أحمر فاستعد الناس وحفروا السراديب وجمعوا فيها الزاد.

وانقضت المدة المعينة وظهر كذب المنجمين.

فقال أبو الغنائم محمد بن المعلم في أبي الفضل المنجم قصيدة طنانة: قل لأبي الفضل قول معترفٍ مضى جمادى وجاءنا رجب وما جرت زعزغ كما حكموا ولا بدا كوكب له ذنب ومنها: مدبر الأمر واحد ليس للسب - - عة في كل حادثٍ سبب لا المشتري سالم ولا زحل باقٍ ولا زهرة ولا قطب ومنها: فليبطل المدعون ما وضعوا في كتبهم ولتحرق الكتب قلت: وهذا الكذب متداول بين القوم إلى زماننا هذا حتى إنه لا يمضي شهر إلا وقد أوعدوا الناس بشيء لا حقيقة له.

والعجب أن الشخص من العامة إذا كذب مرة على رجل يستحي دع النجوم لصوفي يعيش بها وبالعزائم فانهض أيها الملك إن النبي وأصحاب النبي نهوا عن النجوم وقد أبصرت ما ملكوا وفيها عاد السلطان صلاح الدين إلى الشام وتلقاه شيركوه بن محمد بن شيركوه وأخته سفري خاتون أولاد ابن عمه محمد بن أسد الدين شيركوه وزوجته ست الشام وهي أخت السلطان صلاح الدين فقال السلطان لأخيه العادل أبي بكر بن أيوب: اقسم التركة بينهم على فرائض الله تعالى.

وكان محمد قد خلف أموالًا عظيمة فكان مبلغ التركة ألف ألف دينار.

وفيها دخل سيف الإسلام أخو صلاح الدين إلى مكة ومنع من الأذان في الحرم ب " حيي على خير العمل ".

وفيها قدم السلطان صلاح الدين يوسف البلاد بين أهله وولده برأي القاضي الفاضل فأعطى مصر لولده العزيز عثمان والشام لولده الأفضل وحلب لولده الظاهر وأعطى أخاه العادل أبا بكر إقطاعات كثيرة بمصر وجعله أتابك العزيز وأعطى لابن أخيه تقي الدين حماة والمعرة ومنبج وأضاف إليه ميافارقين.

وفيها توفي الحسن بن علي بن بركة أبو محمد المقرئ النحوي كان إمامًا فاضلًا انتفع بعلمه وما شنان الشيب من أجل لونه ولكنه حادٍ إلى الموت مسرع إذا ما بدت منه الطليعة آذنت بأن المنايا بعدها تتطلع وفيها توفي عبد الله ابن بري بن عبد الجبار المعروف بابن بري النحوي بمصر كان إمامًا أديبًا فاضلًا بارعًا في علم النحو والعربية وانتفع به خلق كثير ومات بمصر في شوال.

وكان حجة ثقة.

ومن شعره - رحمه الله -: خد وثغر فجل رب بمبدع الحسن قد تفرد فذا عن الواقدي يروي وذاك يروي عن المبرد الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي أبو محمد عبد الله ابن بري النحوي بمصر في شوال وله ثلاث وثمانون سنة.

وأبو محمد عبد الله بن محمد بن جرير القرشي الناسخ ببغداد.

وأبو محمد الحسن بن علي ابن بركة بن عبيدة الكوفي النحوي المقرئ في شوال.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ست أذرع واثنتا عشرة إصبعًا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا وإصبع واحدة.

السنة السابعة عشرة من سلطنة صلاح الدين وهي سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة.

فيها فتح السلطان صلاح الدين بيت المقدس وعكا وحصونًا كثيرة بالساحل بعد أمور وحروب ذكرناها في ترجمته.

وفيها توفي علي بن أحمد بن علي بن محمد قاضي القضاة أبو الحسن بن الدامغاني الحنفي قاضي قضاة بغداد.

قال أبو المظفر: قاض ابن قاض ابن قاض ابن قاض ابن قاض ابن قاض.

ولد سنة ثلاث عشرة وخمسمائة وولاه الخليفة المقتفي القضاء بمدينة السلام وسائر البلاد مشرقًا ومغربًا وأقره المستنجد ثم عزله ثم أعاده المستضيء سنة سبعين وخمسمائة ثم أقره الناصر لدين الله تعالى إلى أن توفي ببغداد في ذي القعدة ودفن بالشونيزية عند جده لأمه أبي الفتح الشاوي.

وكان إمامًا فقيهًا عالمًا نزهًا عفيفًا معدودًا من كبار فقهاء الساعة الحنفية - رحمه الله تعالى -.

وفيها توفي محمد بن عبد الله بن المقدم الأمير شمس الدين كان من أكابر أمراء الملك العادل نور الدين ثم صلاح الدين بن أيوب.

وله المواقف المشهودة وحضر جميع فتوحات السلطان صلاح الدين ثم إنه استأذن صلاح الدين في الحج فأذن له على كره من مفارقته فلما وصل إلى عرفات أراد أن يرفع علم صلاح الدين ويضرب الطبل فمنعه طاشتكين وقال: لا يرفع هنا سوى علم الخليفة.

فقال ابن المقدم هذا: والسلطان مملوك الخليفة.

فمنعه طاشتكين فأمر ابن المقدم غلمانه فرفع العلم فنكسوه فركب ابن المقدم ومن معه وركب طاشتكين له واقتتلوا فقتل من الفريقين ورمى مملوك طاشتكين ابن المقدم بسهم فوقع في عينه فخر صريعًا وجاء طاشتكين وحمله إلى خيمته فتوفي في يوم الخميس يوم النحر ودفن بالمعلى.

ثم أرسل الخليفة يعتذر لصلاح الدين أن ابن المقدم كان الباغي فلم يقبل صلاح الدين وقال: أنا الجواب عن الكتاب.

ولولا اشتغاله بالجهاد لكان له وللخليفة شأن.

وفيها توفي محمد بن عبيد الله الأديب أبو الفتح البغدادي المعروف بسبط ابن التعاويذي الشاعر المشهور.

وله ديوان شعر كبير الموجود غالبه في المديح.

ومن شعره - رحمه الله - في غير المديح في الزهد: اجعل همومك واحدًا وتخل عن كل الهموم فعساك أن تحظى بما يغنيك عن كل الهموم وله: فكم ليلةٍ قد بت أرشف ريقه وجرت على ذاك الشنيب المنضد وبات كما شاء الغرام معانقي وبت وإياه كحرف مشدد الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي شيخ الفتوى عبد الجبار بن يوسف ببغداد.

والمحدث أبو العز عبد المغيث بن زهير الحربي.

وقاضي القضاة أبو الحسن علي بن أحمد ابن قاضي القضاة علي بن محمد بن الدامغاني الحنفي.

وأبو الفتح محمد بن يحيى بن محمد بن مواهب البرداني.

والأمير الكبير شمس الدين محمد بن عبد الملك بن المقدم النوري قتل بعرفات.

وأبو السعادات نصر الله بن عبد الرحمن بن محمد المعروف بابن زريق القزاز في شهر ربيع الآخر وله اثنتان وتسعون سنة.

وشيخ الحنابلة ناصح الدين أبو الفتح نصر بن فتيان " بن مطرف المعروف با " بن المني في رمضان عن إحدى وثمانين سنة.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ست أذرع وثماني أصابع.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا واثنتا عشرة إصبعًا.

السنة الثامنة عشرة من سلطنة صلاح الدين يوسف بن أيوب على مصر

وهي سنة أربع وثمانين وخمسمائة.

فيها توفي الأمير أسامة بن مرشد بن علي بن المقلد بن نصر بن منقذ الأمير أبو الحارث مؤيد الدولة مجد الدين الكناني.

مولده بشيزر في سنة ثمان وثمانين وأربعمائة وكانت له اليد الأولى في الأدب والكتابة والشعر وكان فارسًا شجاعًا عاقلًا مدبرًا كان يحفظ عشرين ألف بيت من شعر العرب الجاهلية وطاف البلاد ثم استوطن حماة فتوفي فيها في شهر رمضان وقد بلغ ستًا وتسعين سنة.

وله ديوان شعر مشهور وكان السلطان صلاح الدين مغرى بشعره.

ومن شعره في قلع الضرس: وصاحب لا أمل الدهر صحبته يشقي لنفعي ويسعى سعي مجتهد لم ألقه مذ تصاحبنا فمذ وقعت عيني عليه افترقنا فرقة الأبد وقال في أيام الملك

العادل نور الدين الشهيد: سلطاننا زاهد والناس قد زهدوا له فكل على الخيرات منكمش أيامه مثل شهر الصوم طاهرة من المعاصي وفيها الجوع والعطش وفيها توفي مجاهد الدين خالص بن عبد الله الناصري خادم الخليفة الناصر لدين الله كان قريبًا من الخليفة سلم إليه مماليكه الخواص وكان سليم الباطن دينًا صلى به إمامه صلاة الفجر فقرًا الإمام فيها: " إن الله وملائكته يصلون على النبي " فلما سمع خالص ذلك رفع صوته وهو في الصلاة وقال: صلى الله عليك يا رسول الله.

فضحك القوم وقطعوا الصلاة.

فقال لهم خالق المذكور: مجانين أنتم! يقول الله: صلوا عليه وسلموا تسليمًا وأسكت أنا! وفيها توفي محمد بن محمد بن عبد الله بن القاسم بن المظفر بن علي أبو حامد محيي الدين الشهرزوري الإمام الفقيه ولي القضاء بالموصل وقدم بغداد رسولًا من صاحب الموصل فأكرمه الخليفة وخلع عليه.

ثم عاد فمات في جمادى الأولى.

ومن شعره: ولما شاب رأس الدهر غيظًا لما قاساه من فقد الكرام أقام يميط عنه الشيب عمدًا وينشر ما أماط على الأنام الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قاد: وفيها توفي الأمير مؤيد الدولة أبو المظفر أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني في شهر رمضان عن سبع وتسعين سنة.

وظاعن بن محمد الزبيري الخياط.

وأبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله " بن يوسف بن أبي عيسى القاضي " بن حبيش الأنصاري بمرسية وكان خطيبها وقاضيها ومحدثها ومسندها توفي في صفر وأبو القبائل بن علي عن مائة سنة وزيادة.

والعلامة شمس الأئمة عماد الدين عمر بن شمس الأئمة بكر بن محمد الزرنجري البخاري شيخ الحنفية في شوال وله خمس وستون سنة.

وأبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن الحسن بن صدقة الحراني التاجر وله سبع وتسعون سنة.

والحافظ أبو بكر محمد بن موسى بن عثمان الحازمي الهمذاني في جمادى الأولى شابًا وله خمس وثلاثون سنة.

وأبو الفرج يحيى بن محمود الثقفي الصوفي في نواحي همذان غريبًا.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ست أذرع واثنتا عشرة إصبعًا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا وثلاث عشرة إصبعًا.

السنة التاسعة عشرة من سلطنة صلاح الدين يوسف بن أيوب على مصر وهي سنة خمس وثمانين وخمسمائة.

فيها وفي السلطان صلاح الدين على عكة حسام الدين بشارة وولى على عمارة سررها الخادم بهاء الدين قراقوش.

وفيها توفي الأمير طمان بن عبد الله النوري صاحب الرقة كان شجاعًا جوادًا محبًا للخير كثير الصدقات يحب الفقهاء والعلماء بنى مدرسة بحلب للحنفية.

وكانت وفاته في ليلة نصف وفيها توفي عبد الله بن محمد بن هبة الله بن المطهر بن علي أبو سعد بن أبي السري التميمي الموصلي القاضي شرف الدين بن أبي عصرون.

كان إمامًا فاضلًا مصنفًا وكان خصيصًا بالملك العادل نور الدين ثم اقتضى به السلطان صلاح الدين وولي القضاء بعدة بلاد وضر قبل وفاته بعشر سنين.

ومن شعره قوله: كل جمع إلى الشتات يصير أي صفو ما شانه التكدير أنت في اللهو والأماني مقيم والمنايا في كل وقت تسير وفيها توفي الفقيه عيسى الهكاري ضياء الدين حضر فتح مصر مع أسد الدين شيركوه وهو الذي مشى بين الأمراء وبين السلطان صلاح الدين لما ولي وزارة العاضد بعد موت عمه أسد الدين شيركوه حسب ما تقدم ذكره حتى تم أمره.

ثم حضر مع السلطان صلاح الدين فتح القدس والغزوات وكان صلاح الدين يميل إليه ويستشيره وكأن الله قد أقامه لقضاء حوائج الناس والتفريج عن المكروبين مع الورع والعفة والدين - رحمه الله -.

وفيها توفي الأمير موسك بن جكو ابن خال صلاح الدين.

كان حافظًا للقرآن سامعًا للحديث وكان محسنا إلى الناس ملازما للسلطان في غزواته وكان دينا صالحا جوادا مرض بمرج عكا فأمره السلطان أن يمضي إلى دمشق ليتطبب بها فتوجه إلى دمشق ومات بها - رحمة الله -.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي أبو العباس الترك أحمد بن أحمد بن محمد بن ينال شيخ الصوفية بأصبهان ومسندها في شعبان.

وأبو الحسين أحمد بن حمزة الموازيني في المحرم.

وقاضي القضاة شرف الدين أبو سعد عبد الله بن محمد بن أبي عصرون التميمي الموصلي في رمضان.

وأبو الفضل عبد المجيد بن الحصيني بن يوسف بن الحسن بن أحمد بن دليل الإسكندراني المعدل.

وشيخ الشافعية أبو طالب المبارك بن المبارك بن المبارك الكرخي صاحب ابن الخل.

وأبو المعالي وأبو النجاح منجب بن عبد الله المرشدي الخادم في المحرم.

والحافظ يوسف بن أحمد الشيرازي ثم البغدادي الصوفي.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمس أذرع وخمس عشرة إصبعًا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا واثنتان وعشرون إصبعًا.

السنة العشرون من سلطنة صلاح الدين يوسف بن أيوب على مصر وهي سنة ست وثمانين وخمسمائة.

وفيها حج بالناس من العراق طاشتكين المذكور في السنة الماضية.

وفيها توفي مسعود بن علي بن عبيد الله أبو الفضل بن النادر الصفار الأديب الشاعر كان بارعًا في الأدب وكتب خطًا حسنًا نحوًا من مائة ربعة.

ومن شعره قوله: تولوا فأولوا الجسم من بعدهم ضنًا وحرًا شديدًا في الحشا يتزايد وزاد بلائي بالذين أحبهم وللناس فيما يذهبون مقاصد وفيها توفي يوسف بن علي بن بكتكين الأمير زين الدين صاحب إربل.

كان قدم إلى السلطان صلاح الدين نجمة فمرض ومات وفرح بموته أخوه مظفر الدين وتولى إربل مكانه من قبل السلطان صلاح الدين.

وكان زين الدين أميرًا كبيرًا شجاعًا مقدامًا مدبرًا.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي الحافظ أبو المواهب الحسن بن هبة الله بن محفوظ بن صصرى التغلبي الدمشقي وله تسع وأربعون سنة.

وأبو الطيب عبد المنعم بن يحيى بن خلف بن نفيس بن الخلوف الغرناطي المقرئ.

وأبو عبد الله محمد بن سعيد بن أحمد بن عبد العزيز بن عبد البر بن مجاهد المعروف ب " ابن زرقون الإشبيلي المالكي المسند.

وأبو بكر محمد بن عبد الله بن يحيى بن الفرح بن الجد الفهري الحافظ بإشبيلية.

وقاضي القضاة محيي الدين أبو حامد محمد ابن قاضي القضاة كمال الدين بن الشهرزوري وله اثنتان وستون سنة أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمس أذرع وخمس وعشرون إصبعًا.

مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعًا وأربع أصابع.

السنة الحادية والعشرون من سلطنة صلاح الدين يوسف بن أيوب على مصر وهي سنة سبع وثمانين وخمسمائة.

فيها كان استيلاء الفرنج على عكا كما تقدم في ترجمة السلطان صلاح الدين من هذا الكتاب.

وفيها توفي الموفق أسعد بن إلياس بن جرجس المعروف بابن المطران الطيب.

كان نصرانيًا فأسلم على يد السلطان وكان غزير المروءة حسن الأخلاق كريم العشرة.

وكان يصحبه صبي حسن الصورة اسمه عمر.

وكان الموفق يحب أهل البيت ويبغض ابن عنين الشاعر لخبث لسانه وكان يحرض السلطان صلاح الدين عليه ويقول له: أليس هذا هو القائل: سلطاننا أعرج وكاتبه أعمش والوزير منحدب قالوا الموفق شيعي فقلت لهم هذا خلاف الذي للناس منه ظهر فكيف يجعل دين الرفض مذهبه وما دعاه إلى الإسلام غير عمر وفيها توفي سليمان بن جنحرة كان من أكابر أمراء حلب ومشائخ الدولتين: النورية والصلاحية شهد مع السلطان صلاح الدين حروبه كلها وهو الذي أشار بخراب عسقلان مصلحة للمسلمين.

ومات في أواخر ذي الحجة.

وفيها توفي عمر بن شاهنشاه بن أيوب الملك المظفر تقي الدين.

قد ذكرنا من أمره: أن عمه السلطان صلاح الدين كان أعطاه حماة وعدة بلاد من حماة إلى ديار بكر فطمع في مملكة الشرق فنفرت عنه وعن عمه صلاح الدين القلوب لعظم طمعهما.

ووقع لتقي الدين هذا مع بكتمر بن عبد الله مملوك شاه أرمن صاحب خلاط وقائع وحروب فمات تقي الدين بتلك البلاد فكتم محمد ولده موته وحمله إلى ميافارقين فدفن بها.

وكانت وفاته يوم الجمعة عاشر شهر رمضان ثم بنيت له مدرسة بظاهر حماة فنقل إليها.

وكان السلطان صلاح الدين يكره ابنه محمدًا فأخذ منه بلاد أبيه وأبقى معه حماة لا غير.

ولقب محمد هذا بالملك المنصور.

وهو أبو ملوك حماة من بني أيوب الآتي ذكرهم.

وكان تقي الدين شجاعًا مقدامًا شاعرًا فاضلًا عاشر العلماء والأدباء وتخلق بأخلاقهم وله ديوان شعر.

ومن شعره: هبكم حجبتم أن أرا - - ه فهل لقلب الضب حاجز وفيها توفي يحيى السهروردي المقتول بحلب كان يعاني علوم الأوائل والمنطق والسيمياء وأبواب النيرنجيات فاستمال بذلك خلقًا كثيرًا وتبعوه وله تصانيف في هذه العلوم.

واجتمع بالملك الظاهر ابن السلطان صلاح الدين صاحب حلب فأعجب الظاهر كلامه ومال إليه.

فكتب أهل حلب إلى السلطان صلاح الدين: أدرك ولدك وإلا تتلف عقيدته فكتب إليه أبوه صلاح الدين بإبعاده فلم يبعده فكتب بمناظرته فناظره العلماء فظهر عليهم بعبارته فقالوا: إنك قلت في بعض تصانيفك: إن الله قادر على أن يخلق نبيًا وهذا مستحيل.

فقال: ما وجه استحالته فإن الله القادر هو الذي لا يمتنع عليه شيء.

فتعصبوا عليه فحبسه الظاهر وجرت بسببه خطوب وشناعات.

وكان السهروردي رديء الهيئة زري الخلقة دنس الثياب وسخ البدن لا يغسل له ثوبًا ولا جسمًا ولا يقص ظفرًا ولا شعرًا فكان القمل يتناثر على وجهه وكان من رآه يهرب منه لسوء منظره وقبح زيه.

وطال أمره إلى أن أمر السلطان بقتله فقتل في يوم الجمعة منسلخ ذي الحجة من هذه السنة أخرج من الحبس ميتًا.

ومما ينسب إليه من الشعر القصيدة التي أولها: أبدًا تحن إليكم الأرواح ووصالكم ريحانها والراح وقال السيف الآمدي: اجتمعت بالسهروردي بحلب فقال لي: لا بد أن أملك الأرض.

فقلت: من أين لك هذا.

فقال رأيت في المنام أني شربت ماء البحر فقلت: لعل ذلك يكون اشتهار العلم فلم يرجع فرأيته كثير العلم قليل العقل.

ويقال: إنه لما تحقق القتل كان كثيرًا ما ينشد: أرى قدمي أراق دمي وهان دمي فها ندمي والأول قول أبي الفتح البستي وهو قوله: إلى حتفي سعى قدمي أرى قدمي أراق دمي فلا أنفك من ندمٍ وليس بنافعي ندمي وفيها توفي الشيخ نجم الدين الخبوشاني.

قال صاحب المرآة: " قدم إلى الديار المصرية وأظهر الناموس وتزهد وكان يركب الحمار فيقف على السلطان صلاح الدين وأهله.

وأعطاه السلطان مالًا فبنى به المدرسة التي بجانب الشافعي - رحمة الله عليه - وكان كثير الفتن - منذ دخل مصر إلى أن مات - ما زالت الفتنة قائمة بينه وبين الحنابلة " و " ابن الصابوني وزين الدين بن نجية يكفرونه ويكفرهم وكان طائشًا متهورًا نبش على ابن الكيزاني وأخرج عظامه من عند الشافعي وقد تقدم ذلك.

وكان يصوم ويفطر على خبز الشعير فلما مات وجد له ألوف الدنانير وبلغ صلاح الدين فقال: يا خيبة المسعى! ومات في صفر.

وتولى بعده - تدريس مدرسة الشافعي التي بناها - شيخ الشيوخ صدر الدين ابن حمويه.

انتهى كلام صاحب المرآة باختصار بعد أن ثلب الخبوشاني المذكور بمساوئ أضربت عن ذكرها - رحمه الله تعالى -.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي الفقيه أبو محمد عبد الرحمن بن علي الخرقي اللخمي في ذي القعدة وله ثمانٍ وثمانون سنة.

وأبو المعالي عبد المنعم بن عبد الله بن محمد الفراوي في شعبان.

وصاحب حماة المظفر عمر بنى شاهنشاه بن أيوب.

ونجم الدين محمد بن الموفق الخبوشاني الشافعي الزاهد.

والشهاب السهروردي الفيلسوف.

ويعقوب بن يوسف الحربي المقرئ.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ست أذرع وعشرون إصبعًا.

مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعًا وأربع عشرة إصبعًا.

السنة الثانية والعشرون من سلطنة صلاح الدين يوسف بن أيوب على مصر وهي سنة ثمان وثمانين وخمسمائة.

فيها توفي سنان بن سليمان صاحب الدعوة بقلاع اللثام.

كان أصله من البصرة من حصن الموت فرأى منه صاحب الأمر بتلك البلاد نجابة وشهامة وعقلًا وتدبيرًا فسيره إلى حصون الشام فسار حتى وصل إلى البلاد الشامية وكان فيه معرفة وسياسة.

وجد في إقامة الدعوة واستجلاب القلوب وكان مجيئه إلى الشام في أيام السلطان الملك العادل نور الدين الشهيد.

فجرت له معه حروب وخطوب واستولى سنان هذا على عدة قلاع وأقام واليًا ثلاثين سنة والبعوث ترد عليه في كل قليل من قبل نور الدين.

ثم إن السلطان نور الدين عزم على قصده فتوفي.

وأقام سنان على ذلك إلى أن توفي ببلاد الشام في هذه السنة.

وفيها توفي علي بن أحمد الأمير سيف الدين بن المشطوب ملك الهكارية.

وكان أميرًا شجاعًا صابرًا في الحروب مطاعًا في قبيلته دخل مع أسد الدين شيركوه إلى مصر في مراته الثلاث ثم عاد بعد سلطنة صلاح الدين إلى البلاد الشامية فدام بها إلى أن مات في آخر شوال.

وقال ابن شداد: مات بالقدس وصلي عليه بالجامع الأقصى.

وفيها توفي السلطان قليج أرسلان بن مسعود بن قليج أرسلان بن سليمان بن قتلمش بن إسرائيل بن سلجوق الملك عز الدين السلجوقي صاحب بلاد الروم.

طالت أيامه واتسعت ممالكه.

ولما أسن أصابه الفالج فتعطلت حركته وتنافس أولاده في الملك وحكم عليه ولده قطب الدين ملكشاه وقتل كثيرًا من خواصه في حياة أبيه.

وكان قطب الدين مقيمًا بسيواس وأبوه بقونية.

ثم جاء إلى أبيه يقاتله فأخرج إليه العساكر فالتقاهم قطب الدين وكسرهم وبدد شمل أصحاب أبيه ثم ظفر بأبيه فأخذه مكرها وحمله إلى قيسارية ووقع له معه أمور أخر.

وآخر الأمر أنه عهد إلى ولده غياث الدين بالملك ولم يعهد لقطب الدين.

وكانت وفاته في نصف شعبان.

وفيها توفي نصر بن منصور أبو المرهف النميري الشاعر المشهور منسوب إلى نمير بن عامر بن صعصعة.

ولد برقة الشام وأمه بنت سالم بن مالك صاحب الرحبة وربي بالشام وعاشر الأدباء وقال الشعر وهو ابن ثلاث عشرة سنة.

وقل بصره بالجحري وله أربع عشرة سنة.

وقدم بغداد ليداوي عينيه فآيسه الأطباء فحفظ القرآن وتفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل - رضي الله عنه - وكان طاهر اللسان عفيفًا دينًا.

وله مدائح في صلاح الدين وغيره.

ومن شعره - رحمه الله تعالى -: ترى يتألف الشمل الصديع وآمن من زمان ما يروع وتأنس بعد وحشتنا بنجدٍ منازلنا القديمة والربوع ذكرت بأيمن العلمين عصرًا مضى والشمل ملتئم جميع فلم أملك لدمعي رد غرب وعند الشوق تعصيك الدموع وأخوف ما أخاف على فؤادي إذا ما أنجد البرق اللموع لقد حملت من طول التنائي عن الأحباب ما لا أستطيع الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي الفقيه أحمد ابن الحسين بن علي العراقي الحنبلي بدمشق.

والمحدث أبو الفضل إسماعيل بن علي الجنزوري الشروطي بدمشق في سلخ جمادى الأولى.

وأبو ياسر عبد الوهاب ابن هبة الله بن عبد الوهاب بن أبي حبة الدقاق بحران في شهر ربيع الأول.

وأبو جعفر عبيد الله بن أحمد ابن علي بن علي بن السمين.

والأمير الكبير سيف الدين علي بن أحمد الهكاري المشطوب في شوال بالقدس.

وصاحب الروم قليج أرسلان بن مسعود السلجوقي.

والنسابة أبو علي محمد بن أسعد الحسيني الجواني بمصر.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ست أذرع وثلاث وعشرون إصبعًا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا وإحدى عشرة إصبعًا.

سلطنة الملك العزيز عثمان على مصر هو الملك العزيز عماد الدين أبو الفتح عثمان سلطان الديار المصرية وابن سلطانها الملك الناصر صلاح الدين يوسف ابن الأمير نجم الدين أيوب بن شادي بن مروان الأيوبي الكردي الأصل المصري.

ولي سلطنة مصر في حياة والده صورة ثم تسلطن بعد وفاته استقلالًا باتفاق الأمراء وأعيان الدولة بديار مصر لأنه كان كان نائبًا عن أبيه صلاح الدين بها لما كان أبوه مشتغلًا بفتح السواحل بالبلاد الشامية وتم أمره.

وكان مولده بالقاهرة في ثامن جمادى الأولى سنة سبع وستين وخمسمائة.

وكان الملك العزيز هذا أصغر من أخيه الملك الظاهر غازي صاحب حلب وأصغر من أخيه الأفضل صاحب دمشق.

وكان الأفضل هو أكبر الإخوة وهو المشار إليه في أيام أبيه صلاح الدين ومن بعده وهو الذي جلس للعزاء بعد موت صلاح الدين وصار هو السلطان الأكبر إلى أن ظهر منه أمور منها: أنه كان استوزر ضياء الدين الجزري فأساء ضياء الدين السيرة وشغف قلوب الجند إلى مصر وساروا إليها فالتقاهم الملك العزيز وأكرمهم وكانوا معظم الصلاحية.

واشتغل الأفضل بلهوه.

وكان القدس في يده فعجز عنه وسلمه إلى نواب الملك العزيز هذا فبان للناس عجز الأفضل.

ثم وقعت الوحشة بين العزيز هذا وبين أخيه الأفضل المذكور.

وبلغ الفرنج ذلك فطمعوا في البلاد وحاصروا جبلة وكان بها جماعة من الأكراد فباعوها للفرنج.

وبرز الملك العزيز من مصر يريد قتال الفرنج في الظاهر وفي الباطن أخذ دمشق من أخيه الأفضل وعلم الأفضل بذلك فكتب إلى عمه العادل أبي بكر بن أيوب وللمشارقة بالنجدة فأجابوه إلى ما يريد وكان مع العادل عدة بلاد بالشرق وكان لما توفي أخوه السلطان الملك الناصر صلاح الدين بالكرك قدم دمشق معزيًا للأفضل وأقام عنده أيامًا ثم رحل إلى محل ولايته بالجزيرة والرها وسميساط والرقة وقلعة جعبر وديار بكر وميافارقين وهي البلاد التي كان أعطاها له أخوه صلاح الدين في حياته وكان له أيضًا مع ذلك بالبلاد الشامية الكرك والشوبك.

والمقصود أن الملك العزيز هذا لما رحل من مصر إلى نحو دمشق سار حتى نزل بظاهر دمشق وقيل بعقبة الشحورة وجاء العادل بعساكر الشرق ونزل بمرج عدواء.

فأرسل إليه العزيز يقول: أريد الاجتماع بالعادل فاجتمعا على ظهور خيلهما وتفاوضا فقال له العادل: لا تخرب البيت وتدخل عليه الآفة! والعدو وراءنا من كل جانب وقد أخذوا جبلة فارجع إلى مصر واحفظ عهد أبيك.

وأيضًا فلا تكسر حرمة دمشق وتطمع فيها كل أحد! وعاد الملك العادل عنه إلى دمشق وأقام العزيز في منزلته.

وقدمت العساكر على الأفضل وبعث العادل إلى العزيز يقول له: ارحل إلى مرج الصفر فرحل وهو مريض.

وكان قصد العادل أن يبعده عن البلد.

فوصل الملك الظاهر غازي من حلب والملك المنصور من حماة وشيركوه بن محمد بن شيركوه من حمص والأمجد من بعلبك والجميع نجمة للأفضل.

فقال لهم العادل: قد تقرر أنه يرحل إلى مصر.

واشتد مرض العزيز فاحتاج إلى المصالحة ولولا المرض ما صالح فأرسل الملك العزيز كبراء دولته فخر الدين اياز جهاركس وغيره يحلف الملوك وطلب مصاهرة عمه العادل فزوجه ابنته الخاتون.

ورجع كل واحد إلى بلده وذلك في شعبان سنة تسع وثمانين وخمسمائة.

وقال العماد الكاتب الأصفهاني: خرج الملوك لتوديع الملك العزيز إلى مرج الصفر واحدًا بعد واحد.

وأول من خرج إليه أخوه الملك الظاهر غازي صاحب حلب فبات عنده ليلة وعاد فخرج إليه أخوه الأفضل صاحب الواقعة فقام إليه واعتنقا وبكيا وأقام عنده أيضًا يومًا وكان قد فارقه منذ تسع سنين فلما عاد كتب إلى العزيز من إنشائه من عدة أبيات: نظرتك نظرة من بعد تسع تقضت بالتفرق من سنين ولما انفصل العساكر عن دمشق شرع الأفضل على عادته في اللهو واللعب فاحتجب عن الرعية فسمي " الملك النوام " وفوض الأمر إلى وزيره ضياء الدين الجزري وحاجبه الجمال محاسن بن العجمي فأفسدا عليه الأحوال وكانا سببًا لزوال دولته.

واستمر الملك العزيز هذا بمصر وأمره ينمو ويزداد إلى سنة تسعين.

وفيها عاد الاختلاف ثانيًا بين العزيز والأفضل وسببه إغراء الجند والوسائط.

وكان أكبر المحرضين للعزيز على أخيه الأفضل أسامة حتى قال له: إن الله يسألك عن الرعية هذا الرجل قد غرق في اللهو وشربه واستولى عليه الجزري وابن العجمي.

ثم قال له القاضي ابن أبي عصرون: لا تسلم يوم القيامة.

وبلغ الأفضل قول أسامة وابن أبي عصرون فأقلع عما كان عليه وتاب وندم على تفريطه وعاشر العلماء والصلحاء وشرع يكتب مصحفًا بخطه وكان خطه في النهاية فلم يغن عنه ذلك.

وتحرك العزيز يقصده فسار الأفضل إلى عمه العادل يستنجد به فالتقاه العادل على صفين فسار معه بعساكر الشرق إلى دمشق وكان الأفضل لما اجتاز بحلب اتفق مع أخيه الظاهر غازي وتحالفا وجاء إلى حماة ففعل كذلك مع ابن عمه المنصور.

وصار العادل يشير عليه بعزل الجزري عن الوزارة ويقود له: هذا يخرب بيتك.

فصار لا يلتفت إليه فحنق منه.

ثم إن العادل سأل الملك الظاهر غازي في شيء فلم يجبه فغضب لذلك العادل وانفرد عنهم وكتب إلى العزيز يخبره أنه معه ويستحثه على القدوم إلى دمشق فخرج العزيز من مصر مسرعًا ثم علم العادل أنه لا طاقة له بالعزيز ولا بالظاهر فراسل الأسدية الذين كانوا بمصر وأوعدهم بالأموال والإقطاعات.

وكان الملك العزيز قد قدم عليهم الصلاحية مماليك أبيه.

والأسدية هم مماليك عمه أسد الدين شيركوه وحواشيه الأكراد ثم دس العادل للأسدية الأموال وكان مقدم الأكراد الأسدية أبو الهيجاء السمين وكان العزيز قد عزله عن ولاية القدس وتقدمت الأسدية بسيف الدين جرديك فركب أبو الهيجاء بجموعه ومعه أزكش في الليل وقصدوا دمشق فأصبح العزيز فلم ير في الخيام من الأسدية أحدًا فرجع إلى مصر.

وشرع أزكش وأبو الهيجاء والأسدية يحرضون العادل على أخذ مصر وكانت الأسدية والأكراد يكرهون العادل وإنما دعتهم الضرورة إليه.

واتفق العادل مع ابن أخيه الأفضل وسارا إلى جهة العزيز نحو مصر.

فلما وصلوا إلى القدس ولوا أبا الهيجاء كما كان وعزلوا جرديك عنها ثم ساروا حتى نزلوا بلبيس وبها جماعة من الصلاحية.

فتوقف العادل عن القتال ولم ير انتزاع مصر من يد العزيز وظهرت منه قرائن تدل على أنه لا يؤثر السلطنة للأفضل ولا يرى بتقدميته على العزيز.

فأرسل العادل إلى العزيز يطلب منه القاضي الفاضل وكان الفاضل قد اعتزلهم وانقطع إلى داره فأرسل إليه العزيز يسأله فامتنع فتضرع إليه وأقسم عليه فخرج إلى العادل فاحترمه العادل وأكرمه وتحدث معه بما قرره وعاد الفاضل إلى العزيز وتحدث معه فأرسل العزيز ولديه الصغيرين مع خادم له برسالة ظاهرة مضمونها: " لا تقاتلوا المسلمين ولا تسفكوا دماءهم وقد أنفذت ولدي يكونان تحت كفالة عمي العادل وأنا أنزل لكم عن البلاد وأمضي إلى الغرب ".

وكان ذلك بمشهد من الأمراء فرق العادل وبكى من حضر.

فقال العادل: معاذ الله ما وصل الأمر إلى هذا الحد.

وكان العادل قد قرر مع القاضي الفاضل رد خبز الأسدية وإقطاعاتهم وأملاكهم وأن يبقى أبو الهيجاء على ولاية القدس.

ثم قال العادل للأفضل: المصلحة أن تمضى إلى أخيك وتصالحه ما عذرنا عند الله وعند الناس إذا فعلنا بابن أخينا ما لا يليق!.

وكان العزيز أرسل يقول للعادل مع الخادم المقدم ذكره: " البلاد بلادك وأنت السلطان ونحن رعيتك ".

ففهم الأفضل أن العادل رجع عن يمينه وأنه اتفق مع العزيز على أخذ البلاد منه لكنه لم يمكنه الكلام ومضى إلى أخيه الملك العزيز واصطلحا وعاد إلى دمشق.

ودخل العزيز والعادل والأسدية إلى القاهرة يوم الخميس رابع ذي الحجة.

وسلطن العادل العزيز ومشى بين يديه بالغاشية.

ولو أراد العادل مصر في هذه المرة لأخذها وإنما كان قصده الإصلاح بين الإخوة.

ثم وقع بين العزيز هذا والأفضل ثالثًا وهو أنه لما عاد الأفضل إلى دمشق ازداد وزيره الجزري من الأفعال القبيحة والأفضل يسمع منه ولا يخالفه فكتب قيماز النجمي وأعيان الدولة إلى العادل يشكونه فأرسل العادل إلى الأفضل: ارفع يد هذا الأحمق السيء التدبير القليل التوفيق " فلم يلتفت.

فاتفق العادل مع ابن أخيه العزيز هذا على التوجه إلى الشام فسارا.

واستشار الأفضل أصحابه فكل أشار عليه بأن يلتقي عمه العادل وأخاه العزيز ولا يخالفهما إلا الجزري فإنه أشار بالعصيان فاستعد الأفضل للقتال والحصار وحلف الأمراء والمقدمين وفرقهم في الأبراج والأسوار فراسلوا العزيز والعادل وأصلحوا أمرهم في الباطن واتفق العادل مع عز الدين الحمصي على فتح الباب الشرقي وكان مسلمًا إليه فلما كان يوم الأربعاء سادس عشرين شهر رجب ركب العادل والعزيز وجاءا إلى الباب

الشرقي ففتحه ابن الحمصي فدخلا إلى البلد من غير قتال فنزل العزيز دار عمته ست الشام ونزل العادل دار العقيقي ونزل الأفضل إليهما وهما بدار العقيقي فدخل عليهما وبكى بكاء شديدًا فأمره العزيز بالانتقال من دمشق إلى صرخد فأخرج وزيره الجزري في الليل في جملة الصناديق خوفًا عليه من القتل فأخذ أموالًا عظيمة وهرب إلى بلاده.

وكان العزيز قد قرر مع عمه العادل أن يكون نائبه بمصر ويقيم العزيز بدمشق.

ثم ندم فأرسل إلى أخيه الأفضل رسالة فيها صلاح حاله.

ثم وقعت أمور إلى أن سلم العزيز بصرى إلى العادل وكان بها الظافر.

وأقام العزيز بعد ذلك بدمشق مدة وصلى الجمعة عند قبر والده بالكلاسة وأمر ببناء القبة والمدرسة إلى جانبها ثم أمر محيي الدين بن الزكي بعمارة المدرسة العزيزية ونقل السلطان صلاح الدين إلى الكلاسة في سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة.

وكان الأفضل قد شرع في بناء تربة عند مشهد القدم بوصية من السلطان صلاح الدين.

وكان الملك العزيز إذا جلس في مجالس لهوه يجلس العادل على بابه كأنه برددارة.

فلما كان آخر ليلة من مقام العزيز بدمشق وكانت ليلة الاثنين تاسع شعبان قال العادل لولده المعظم عيسى: ادخل إلى العزيز فقبل يده واطلب منه دمشق وكان المعظم قد راهق الحلم فدخل إلى ابن عمه العزيز وقبل يده وطلب منه دمشق فدفعها إليه وأعطاه مستحقه وقيل: بل استناب العادل فيها نم أعطاها للمعظم في سنة أربع وتسعين.

وكان خروج الملك العزيز من دمشق في يوم تاسع شعبان المذكور.

وسار إلى مصر ومضى الأفضل إلى صرخد واجتاز العزيز بالقدس فعزل أبا الهيجاء السمين عن نيابتها وولاها لسنقر الكبير ومضى أبو الهيجاء إلى بغداد.

واستمر الملك العزيز بمصر واستقامت الأمور في أيامه وعمل في الرعية وعف عن أموالها حتى قيل: إن ابن البيساني أخا القاضي الفاضل بذل على قضاء المحلة أربعين ألف دينار فعجل منها عشرين ألفًا وكان رسوله في ذلك الملك العادل عم العزيز المقدم ذكره وبذل له عن ترسله خمسة آلاف دينار وللحاجب أبي بكر ألف دينار ولجهاركس ألف دينار.

فاجتمعوا على العزيز جميعًا وخاطبوه في ذلك وألح عليه الملك العادل.

فقال له العزيز: والله يا عم هذا الرجل بذل لنا هذا البذل " لا " عن محبة لنا والله إنه ليأخذ من أموال الرعية أضعاف ذلك لا وليته أبدًا! فرجع العادل عن مساعدته فلما آل الأمر إلى العادل صادر ابن البيساني المذكور وأخذ منه أموالًا كثيرة انتهى.

وقال القاضي شمس الدين بن خلكان في ترجمة الملك العزيز هذا بعد أن ذكر اسمه ولقبه قال: أو كان ملكًا مباركًا كثير الخير واسع الكرم محسنًا إلى الناس معتقدًا في أرباب الخير والصلاح وسمع بالإسكندرية الحديث من الحافظ السلفي والفقية أبي طاهر بن عوف الزهري وسمع بمصر من العلامة أبي محمد بن بري النحوي وغيرهم.

ويقال: إن والده لما كان بالشام والقاضي الفاضل عبد الرحيم بالقاهرة عند العزيز ولد للعزيز المذكور ولد فكتب القاضي الفاضل يهنئ والده السلطان صلاح الدين بولد ولده فقال: المملوك يقبل الأرض بين يدي مولانا الملك الناصر دام رشده وإرشاده وزاد سعده وإسعاده وكثر أولياؤه وعبيده وأحفاده واشتد بأعضاده فيهم اعتضاده وأنمى الله عدده حتى يقال هذا آدم الملوك وهذه أولاده وينهي أن الله تعالى - وله الحمد - رزق الملك العزيز - عز نصره - ولدًا مباركًا عليًا ذكرًا سريًا " برًا " زكيًا نقيًا تقيًا من ورثةٍ كريمة بعضها من بعض وبيت شريف كادت ملوكه تكون ملائكة في السماء ومماليكه ملوكًا في الأرض.

انتهى ما كتبه القاضي الفاضل في التهنئة.

قال ابن خلكان - رحمه الله -: " وكانت ولادة العزيز بالقاهرة في ثامن جمادى الأولى سنة سبع وستين وخمسمائة.

وكان قد توجه إلى الفيوم فطرد فرسه وراء صيد فتقنطر به فرسه فأصابته الحمى من ذلك وحمل إلى القاهرة فتوفي بها في الساعة السابعة من ليلة الأربعاء الحادي والعشرين من المحرم سنة خمس وتسعين وخمسمائة - رحمه الله تعالى - قال: ولما مات كتب القاضي الفاضل إلى عمه العادل رسالة يعزيه من جملتها: " فنقول في توديع النعمة بالملك العزيز: لا حول ولا قوة إلا بالله قول الصابرين ونقول في استقبالها بالملك العادل: الحمد لله رب العالمين قول الشاكرين وقد كان من أمر هذه الحادثة ما قطع كل قلب وجلب كل كرب ومثل وقوع هذه الواقعة لكل أحد ولا سيما لأمثال المملوك ومواعظ الموت بليغة وأبلغها ما كان في شباب الملوك فرحم الله ذلك الوجه ونضره ثم السبيل إلى الجنة يسره.

وإذا محاسن أوجهٍ بليت فعفا الثرى عن وجهه الحسن والمملوك في حال تسطير هذه الخدمة جامع بين مرضي قلب وجسد ووجع أطرافٍ وعليل كبد فقد فجع المملوك بهذا المولى والعهد بوالده غير بعيد والأسى في كل يوم جديد وما كان ليندمل ذلك الفرح حتى أعقبه هذا الجرح والله تعالى لا يعدم المسلمين بسلطانهم الملك العادل السلوة كما لم يعدمهم بينهم صلى الله عليه وسلم الأسوة " وأخذ في نعت الملك العادل إلى أن قال -: " ودفن بالقرافة الصغرى يعني العزيز في قبة الإمام الشافعي - رضي الله عنه -.

وقبره معروف هناك " انتهى كلام ابن خلكان برمته ولم يتعرض لشيء من أحواله ولا إلى ما كان في وقال أبو المظفر سبط ابن الجوزي في تاريخه: " وفيها يعني سنة خمس وتسعين توفي الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين صاحب مصر.

كان صلاح الدين يحبه وكان جوادًا شجاعًا عادلًا منصفًا لطيفًا كثير الخير رفيقًا بالرعية حليمًا.

حكى لي المبارز سنقر الحلبي - رحمه الله - قال: ضاق ما بيده بمصر يعني عن العزيز ولم يبق في الخزانة درهم ولا دينار فجاء رجل من أهل الصعيد إلى أزكش سيف الدين قال: عندي للسلطان عشرة آلاف دينار ولك ألف دينار وتوليني قضاء الصعيد فدخل أزكش إلى العزيز فأخبره فقال: والله لا بعت دماء المسلمين وأموالهم بملك الأرض! وكتب ورقة لأزكش بألف دينار.

قال: اخرج فاطرد هذا الدبر ولولاك لأذبته.

وقد ذكرنا أنه وهب دمشق للملك المعظم وكان يطلق عشرة آلاف دينار وعشرين ألفًا.

وكان سبب وفاته أنه خرج إلى الفيوم يتصيد فلاح له ظبي فركض الفرس خلفه فكبا به الفرس فدخل قربوس السرج في فؤاده فحمل إلى القاهرة فمات في العشرين من المحرم ودفن عند الشافعي - رحمه الله - عن سبع وعشرين سنة وشهور وقيل: عن ثمان وعشرين سنة.

ولما مات نص على ولده ناصر الدين محمد وهو أكبر أولاده وكان له عشرة أولاد ولم يذكر عمه العادل في الوصية.

وأوصى للأمير أزكش وكان مقدم الأسدية وكبيرهم وعاش بعد العزيز مدة طويلة ".

انتهى وقال ابن القادسي - خلاف ما نقل أبو المظفر وابن خلكان وغيرهما - قال: " كان قد ركب وتبع غزالةً فوقع فاندقت عنقه وبقي أربعة أيام ومات.

وبقي على ولده الأكبر محمد إن أمضى العادل ذلك.

وكانت الوصية إلى أمير كبير اسمه أزكش فوثبت الأسدية عليه فقتلته ".

انتهى.

وقال الشيخ شمس الدين يوسف بن قزأوغلي في تاريخه: " ولما مات العزيز كان لابنه محمد عشر سنين وكان مقدم الصلاحية فخر الدين جهاركس وأسد الدين سرا سنقر وزين الدين قراجا فاتفقوا على ناصر الدين محمد يعني ابن العزيز وحلفوا له الأمراء.

وكان سيف الدين أزكش مقدم الأسدية غائبًا بأسوان فقدم فصوب رأيهم وما فعلوه إلا أنه قال: هو صغير السن لا ينهض بأعباء الملك ولا بد من تدبير كبير يحسم المواد ويقيم الأمور والعادل مشغول في الشرق بماردين وما ثم أقرب من الأفضل نجعله أتابك العساكر.

فلم يمكن الصلاحية مخالفته.

وقالوا: افعل فكتب ازكش إلى الأفضل يستدعيه وهو بصرخد وكتبت الصلاحية إلى من بدمشق من أصحابهم يقولون: قد اتفقت الأسدية على الأفضل وإن ملكوا حكموا علينا فامنعوه من المجيء فركب عسكر دمشق ليمنعوه ففاتهم وكان الأفضل قد التقى نجابًا من جهاركس إلى من بدمشق بهذا المعنى ومعه كتب فأخذها منه وقال: ارجع فرجع إلى مصر.

ولما وصل الأفضل إلى مصر التقاه الأسدية - نحكي ذلك كله في أول ترجمة الملك المنصور بن العزيز هذا إن شاء الله -.

وكان الملك العزيز قويًا ذا بطش وخفة حركةٍ كريمًا محسنًا عفيفًا لم يرد سائلًا وبلغ من كرمه أنه لم يبق له خزانة ولا خاص ولا ترك ولا فرش.

وأما عفته فإنه كان له غلام تركي اشتراه بألف دينار يقال له: أبو شامة فوقف يومًا على رأسه في خلوة ليس معهما ثالث فنظر العزيز إلى جماله وأمره أن ينزع ثيابه وقعد العزيز منه مكان الفاحشة فأدركه التوفيق ونهض مسرعًا إلى بعض سراريه فقضى وطره وخرج إلى الغلام وأمره بالخروج عنه.

انتهى.

ويحكى عن عفته عن الأموال: أن عرب المحلة قتلوا بعض أمرائه وكان والي المحلة ابن بهرام فجباهم عشرة آلاف دينار وجاء بها إلى القاهرة فصادف في الدهليز غلامًا خارجًا من عند السلطان فقال ابن بهرام: ارجع إلى السلطان واستأذنه لي فقال الغلام: دعني أنا في أمر مهم للسلطان قد وهب لشيخ صياد دينارين وقد سيرني إلى الجهات كلها فلم أجد فيها شيئًا وقد تعذر عليه هذا المبلغ اليسير فقال: ارجع إليه معي مال عظيم.

فلما دخل ابن بهرام إلى العزيز فض المال بين يديه وقال: هذا دية فلان فقال: أخذتها من القاتل قال: لا بل من القبيلة فقال العزيز: لا أستجيز أخذه رده على أربابه فراجعه فاكفهر فخرج ابن بهرام بالمال وهو يقول: ما يرد هذا مع شدة الحاجة إلا مجنون.

فرحم الله هذه الشيم.

انتهت ترجمة الملك العزيز من عدة أقوال.

رحمه الله تعالى وعفا عنه وعن جميع المسلمين والحمد لله رب العالمين.

السنة الأولى من سلطنة العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف على مصر

وهي سنة تسع وثمانين وخمسمائة على أن والده السلطان صلاح الدين يوسف حكم منها المحرم وصفرًا.

فيها كانت وفاة السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب حسب ما تقدم ذكره في ترجمته.

وفيها توفي الأمير بكتمر بن عبد الله مملوك شاه أرمن.

وعز الدين صاحب الموصل كما سيأتي.

وفيها بنى الخليفة الناصر لدين الله العباسي دار الكتب بالمدرسة النظامية ببغداد ونقل إليها عشرة آلاف مجلد فيها الخطوط المنسوبة وغيرها.

وفيها توفي أسعد بن نصر بن أسعد النحوي كان إمامًا فاضلًا أديبًا شاعرًا.

ومن شعره قوله: ليس يحظى إلا بذكر جميلٍ أو بعلم من بعده مأثور وفيها توفي الأمير بكتمر بن عبد الله مملوك شاه أرمن بن سكمان صاحب خلاط مات شاه أرمن ولم يخلف ولدًا فاتفق خواصه على بكتمر فولي وضبط الأمور وأحسن للرعية وصاحب العلماء وكان حسن السيرة متصدقًا دينًا صالحًا جاءه أربعة على زي الصوفية فتقدم إليه واحد منهم فمنعه الجاندارية.

فقال: دعوه فتقدم وبيده قصة فأخذها منه فضربه بسكين في جوفه فمات في ساعته.

فأخذوا الأربعة وقرروا فقالوا: نحن إسماعيلية فقتلوا وأحرقوا وذلك في جمادى الأولى.

وفيها توفي السلطان مسعود بن مودود بن زنكي بن آق سنقر عز الدين صاحب الموصل وابن أخي السلطان الملك العادل نور الدين الشهيد.

كان خفيف العارضين أسمر مليح اللون عادلًا عاقلًا محسنًا إلى الرعية شجاعًا صبر على حصار السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب له بالموصل ثلاث مرات وحفظ البلد وفرق الأموال العظيمة.

وكان دينًا صالحًا خرج من الموصل لقتال الملك العادل أبى بكر ابن أيوب وكان العادل على حران بعد موت صلاح الدين.

فعاد مريضًا ومات في شهر رمضان وكانت أيامه ثلاث عشرة سنة وستة أشهر.

وأوصى بالملك من بعده لولده الأكبر نور الدين أرسلان شاه وكان أخوه شرف الدين مودود يروم السلطنة الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي الشيخ سنان بن سليمان البصري زعيم الإسماعيلية.

وأبو منصور عبد الله بن محمد ابن علي بن هبة الله ابن عبد السلام الكاتب.

والقاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الحضري بالإسكندرية.

وصاحب الموصل عز الدين مسعود بن قطب الدين مودود بن زنكي.

والمكرم بن هبة الله بن المكرم الصوفي.

والسلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب في صفر بقلعة دمشق وله سبع وخمسون سنة.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ست أذرع وثلاث أصابع.

مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعًا وثماني أصابع.

السنة الثانية من سلطنة العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف على مصر وهي سنة تسعين وخمسمائة.

فيها توفي أحمد بن إسماعيل بن يوسف الشيخ الإمام أبو الخير القزويني الشافعي.

كان إمامًا عالمًا بالتفسير والفقه وكان متعبدًا يختم القرآن في كل يوم وليلة.

ومولده بقزوين في سنة اثنتي عشرة وخمسمائة وقدم بغداد ووعظ ومال إلى الأشعري فوقعت الفتن.

وجلس يوم عاشوراء في النظامية فقيل له: العن يزيد بن معاوية فقال: ذاك إمام مجتهد فجاءه الرجم حتى كاد يقتل وسقط عن المنبر فأدخل إلى بيت في النظامية وأخذت فتاوى الفقهاء بتعزيره فقال بعضهم يضرب عشرين سوطًا: قيل له: من أين لك هذا.

فقال: عن عمر بن عبد العزيز سمع قائلًا يقول: أمير المؤمنين يزيد بن معاوية فضربه عشرين سوطًا.

ثم خلص القزويني بعد ذلك وأخرج من بغداد إلى قزوين.

وفيها توفي السلطان طغرلبك شاه بن أرسلان شاه بن طغرل شاه بن محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق السلجوقي آخر ملوك السلجوقية بالعراق سوى صاحب الروم.

وكان مبدأ أمره - عند وفاة والده - سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة وكان صغير السن فكفله البهلوان إلى أن مات في سنة اثنتين وثمانين فكفله بعده أخوه البهلوان لأبيه حتى أنف من الحجر وخرج عن يده وانضاف إليه جماعة من الأمراء وكسر عسكر الخليفة وأسر ابن يونس وهابته الملوك.

وكان طغرلبك هذا سفاكًا للدماء قتل وزيره رضي الدين الغزنوي وفخر الدين العلوي رئيس همذان.

ثم وقع له أمور ومحن وأخذ وحبس.

وقد تقدم أن طغرلبك هذا آخر ملوك السلجوقية وعدتهم نيف وعشرون ملكًا ومدة ملكهم مائة وستون سنة.

وأول من ملك منهم طغرلبك في سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة ثم ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقماق وهو ابن أخي طغرلبك ثم بعده ولده ملكشاه ثم ولده محمود ثم أخوه بركياروق ثم أخوه محمد شاه ثم ولده محمود ثم واحد بعد واحد.

حسب ما ذكرناهم في هذا الكتاب كل واحد في محله.

وطغريلبك " بضم الطاء المهملة وسكون الغين المعجمة وكسر الراء المهملة وبعدها ياء ولام ساكنتان ".

وهو اسم باللغة التركية لطائر معروف عندهم.

وبك: هو الأمير واضح لا يحتاج إلى تفسير.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: فيها توفي العلامة رضي الدين أبو الخير أحمد بن إسماعيل الطالقاني القزويني الشافعي الواعظ في المحرم وله ثمان وثمانون سنة.

وطغرلبك شاه السلطان ابن أرسلان بن طغرل بن محمد بن ملكشاه السلجوقي قتله في المصاف خوارزم شاه تكش.

وأبو المظفر عبد الخالق بن فيروز الجوهري.

والإمام أبو محمد القاسم بن فيره الرعيني الشاطبي المقرئ في جمادى الآخرة وله اثنتان وخمسون سنة.

والحافظ محمد بن إبراهيم بن خلف المالقي أبو عبد الله بن الفخار بمراكش.

والفخر محمد بن علي بن شعيب بن الدهان الأديب المؤرخ فجأة بالجلة.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ست أذرع وخمس أصابع.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا واثنتان وعشرون السنة الثالثة من سلطنة العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف على مصر وهي سنة إحدى وتسعين وخمسمائة.

فيها أقطع الملك العزيز فارس الدين ميمون القصري نابلس في سبعمائة فارس من مقاتلة الفرنج.

وفيها كانت وقعة الزلاقة بين يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن وبين ألفنش الفرنجي ملك طليطلة وكان قد استولى على جزيرة الأندلس وقهر ولاتها ويعقوب المذكور مشغول بقتال الخارجين عليه وبينه وبين الأندلس زقاق سبتة وعرضه ثلاث فراسخ فجمع يعقوب العساكر وعرض جنده وكانوا مائتي ألف مقاتل: مائة ألف يأكلون الأرزاق ومائة ألف مطوعة وعبر الزقاق إلى مكان يقال له الزلاقة والتقوا فجرى بينهم قتال لم يجر في جاهلية ولا إسلام حتى أنزل الله نصره على المسلمين.

فولى ألفنش هاربًا في نفر يسير إلى طليطلة وغنم المسلمون ما كان في عسكره.

وكان عدة من قتل من الفرنج مائة ألف وستة وأربعين ألفًا وعدة الأسارى ثلاثين ألفًا ومن الخيام: مائة ألف خيمة وخمسين ألفًا ومن الخيل ثمانين ألفًا ومن البغال والأموال والجواهر والثياب ما لا يحد ولا يحصى.

وبيع الأسير من الفرنج بدرهم والسيف بنصف درهم والحصان بخمسة دراهم والحمار بدرهم.

وقسم الملك يعقوب هذه الغنائم بين المسلمين على مقتضى الشريعة فاستغنوا إلى الأبد.

ووصل ألفنش إلى طليطلة على أقبح وجه فحلق رأسه ولحيته ونكس صليبه وآلى أنه لا ينام على فراش ولا يقرب النساء ولا يركب فرسا حتى يأخذ بالثأر.

وفيها اعتنى الخليفة الناصر لدين الله العباسي بحمام البطاقة اعتناء زائدًا حتى صار يكتب بأنساب الطير المحاضر أنه من ولد الطير الفلاني وقيل: إنه باع طيرًا بألف دينار.

وفيها حج بالناس من بغداد سنجر الناصري ومن الشام سرا سنقر وأيبك فطيس الصلاحيان ومن مصر الشريف إسماعيل بن ثعلب الجعفري الطالبي.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال.

وفيها توفي أبو القاسم ذاكر بن كامل الخفاف.

والفقيه أبو محمد عبد الله الزاهد ابن محمد بن علي الأندلسي في المحرم عن بضع وثمانين سنة.

وأبو الحسن نجبة بن يحيى ابن خلف بن نجبة الإشبيلي المقرئ النحوي.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ست أذرع وإصبعان.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا وعشر أصابع.

السنة الرابعة من سلطنة العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف على مصر وهي سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة.

فيها بعد خروج الحاج من مكة هبت ريح سوداء عمت الدنيا ووقع على الناس رمل أحمر ووقع من الركن اليماني قطعة وتحرك البيت الحرام مرارًا.

وهذا شيء لم يعهد منذ بناه عبد الله بن الزبير - رضي الله عنهما -.

وفيها أيضًا كانت الوقعة الثانية بين السلطان يعقوب وبين ألفنش ملك الفرنج بعد أن حشد ألفنش جمعًا كبيرًا والتقوا فكان بينهم قتلة عظيمة ونصر الله المسلمين.

وهزمه يعقوب وتبعه وحصره على الزلاقة وبطليطلة ونصب عليها المجانيق وضيق عليها ولم يبق إلا أخذها.

فخرجت إليه والدة ألفنش وبناته ونساؤه وبكين بين يديه وسألنه إبقاء البلد عليهن فرق لهن ومن عليهن بها ولو فتح طليطلة لفتح إلى مدينة النحاس.

ثم عاد يعقوب إلى قرطبة فأقام بها شهرًا يقسم الغنائم وجاءته رسل ألفنش أيضًا تسأل الصلح فصالحه على مدة معينة.

وفيها توفي محمد بن علي بن أحمد الوزير أبو الفضل مؤيد الدين بن القضاب.

أصله من شيراز وقدم بغداد واستخدم في الديوان ثم ترقى إلى أن ولي الوزارة وقرأ الأدب والنحو.

وكان داهية رديء الاعتقاد إلا أنه كان له خبرة بالأمور والحروب وفتح البلاد وكان الخليفة الناصر لدين الله يثني عليه ويقول: لو قبلوا من رأيه ما جرى ما جرى ولقد أتعب الوزراء من بعده.

وفيها توفي محمد بن علي بن شعيب الشيخ أبو شجاع الفرضي الحاسب البغدادي المعروف بابن الذهان.

كان فاضلًا عالمًا وصنف تاريخًا من عشر وخمسمائة إلى اثنتين وتسعين وخمسمائة.

وفيها توفي محمد بن علي بن فارس الشيخ أبو الغنائم " المعروف ب " ابن المعلم الهرثي الشاعر المشهور.

وهرث: قرية تحت واسط.

كان رقيق الشعر لطيف المعاني وله ديوان شعر.

ومن شعره القصيدة التي أولها: لو قضى من أهل نجد أربه لم يهج نشر الخزامى طربه عللوا الصب بأنفاس الصبا إنها تشفي النفوس الوصبه فهي إن مرت عليه نشرت ما انطوى عنه وجلت كربه كلفي فيكم قديم عهده ما صباباتي بكم مكتسبه أين ورق الجزع من لي أن أرى عجمه إن لم أشاهد عربه ومنها: عن جفوني النوم من بعده وإلى جسمي الضنا من قربه وصلوا الطيف إذا لم تصلوا مستهامًا قد قطعتم سببه وهي أطول من هذا.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي المحدث أبو الرضا أحمد بن طارق الكركي في ذي الحجة ببغداد.

وعبد الخالق بن عبد الوهاب بن محمد المالكي الصابوني الخفاف.

وأبو الغنائم محمد بن علي بن فارس " المعروف ب " ابن المعلم الواسطي شاعر العراق عن إحدى وتسعين سنة.

والوزير مؤيد الدين محمد بن علي بن القضاب.

والعلامة مجير الدين محمود بن المبارك البغدادي الشافعي عن خمس وسبعين سنة.

ويوسف بن معالي الكتاني المقرئ بدمشق.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمس أذرع وست وعشرون إصبعًا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا وثماني عشرة إصبعًا.

السنة الخامسة من سلطنة العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف على مصر وهي سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة.

فيها قدم حسام الدين أبو الهيجاء السمين بغداد وخرج الموكب للقائه ودخل أبو الهيجاء في زي عظيم ورتب الأطلاب على ترتيب أهل الشام وكان في خدمته عدة من الأمراء وأول ما تقدم من الأمراء طلب ابن أخيه المعروف بكور الغرس ثم أمير أمير وجاء هو بعد الكل في العدة الكاملة والسلاح التام وخرج أيضًا أهل بغداد للقائه وكان رأسه صغيرًا وبطنه كبيرًا جدًا بحيث كان بطنه على رقبة البغلة فرآه رجل كواز فعمل في الساعة كوزًا من طين على هيئته وسبقه فعلقه في السوق فلما اجتاز به ضحك.

ثم عمل بعد ذلك أهل بغداد كيزانًا سموها: أبا الهيجاء.

وأكرمه الخليفة وأقام له بالضيافات.

قلت: أبو الهيجاء هذا هو الذي عزله الملك العزيز هذا عن نيابة القدس بجرديك في أوائل أمره.

حسب ما تقدم ذكره في ترجمة العزيز.

وفيها توفي الأمير طغتكين بن أيوب أخو السلطان صلاح الدين بن أيوب ولقبه سيف الإسلام.

كان والي اليمن ملكها من زبيد إلى حضرموت وكان شجاعًا مقدامًا شهمًا.

وتوفي بزبيد.

وولي اليمن بعده ولده شمس الملوك إسماعيل وادعى الخلافة.

وفيها توفي عبد الله بن منصور بن عمران الشيخ أبو بكر الباقلاني.

ومولده في سنة خمسمائة.

وانفرد بالرواية في القراءات العشر وكان حسن التلاوة.

وقدم بغداد ومات بواسط في سلخ شهر ربيع الآخر.

وفيها توفي عبيد الله بن يونس بن أحمد الوزير جلال الدين أبو المظفر الحنبلي ولي حجابة الديوان ثم استوزره الخليفة وكان إمامًا عالمًا في الأصلين أخرب بيت الشيخ عبد القادر الجيلاني وشتت أولاده ويقال: إنه بعث في الليل من نبش على الشيخ عبد القادر ورمى بعظامه في اللجة وقال: هذا وقف ما يحل أن يدفن فيه أحد.

قلت: وما فعله هو بعظام الشيخ أقبح من أن يدفن بعض المسلمين في بعض أوقاف المسلمين وما ذاك إلا الحسد داخله من الشيخ عبد القادر وعظم شهرته حتى وقع منه ما وقع ولهذا كان موته على أقبح وجه بعد أن قاسى خطوبًا ومحنًا وحبس سنين حتى أخرج من الحبس ميتًا وهذا ما وقع له في الدنيا وأما الأخرى فأمره إلى الله تعالى.

وبالجملة فإنه كان من مساوئ الدهر.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي سيف الإسلام طغتكين بن أيوب بن شادي صاحب اليمن في شوال وولى بعده ابنه إسماعيل.

ومقرئ العراق أبو عبد الله بن منصور الربعي الباقلاني بواسط في شهر ربيع الأول عن ثلاث وتسعين سنة.

والوزير جلال الدين عبيد الله بن يونس مات في المطمورة.

وعذراء بنت شاهنشاه بن أيوب ودفنت بالعذراوية.

وقاضي القضاة أبو طالب علي بن علي بن أبي البركات البخاري الشافعي ببغداد.

وأبو المعمر محمد بن حيمرة بن عمر بن إبراهيم العلوي الزيدي الرافضي.

وأبو الفتح الأصبهاني ناصر الدين بن محمد الوترح في ذي الحجة.

وأبو القاسم يحيى بن أسعد بن بوش الخباز في ذي أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمس أذرع وخمس وعشرون إصبعًا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا وإحدى وعشرون إصبعًا.

السنة السادسة من سلطنة العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف على مصر وهي سنة أربع وتسعين وخمسمائة.

فيها توفي الأمير جرديك بن عبد الله النوري.

كان من أكابر أمراء الملك العادل نور الدين محمود الشهيد ثم خدم السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب في جميع غزواته وحروبه من يوم قتل شاور بمصر وابن الخشاب بحلب.

وكان أميرًا شجاعًا مهيبًا جوادًا ولاه صلاح الدين نيابة القدس إلى أن أخذها منه الأفضل.

وفيها توفي زنكي بن مودود بن زنكي بن آق سنقر عماد الدين صاحب سنجار وابن أخي نور الدين الشهيد.

كان عاقلًا جوادًا لم يزل مع السلطان صلاح الدين وكان السلطان صلاح الدين يحترمه مثل ما كان يحترم نور الدين ويعطيه الأموال والهدايا وكانت وفاته بسنجار.

ولما احتضر أوصى إلى أكبر أولاده قطب الدين محمد ولقب وفيها توفي قيماز بن عبد الله مجاهد الدين الخادم الرومي الحاكم على الموصل وهو الذي بنى الجامع المجاهدي والمدرسة والرباط والبيمارستان بظاهر الموصل على دجلة ووقف عليها الأوقاف.

وكان عليه رواتب بحيث إنه لم يدع بالموصل بيت فقير إلا أغنى أهله وكان دينًا صالحًا عابدًا عادلًا كريمًا يتصدق كل يوم خارجًا عن الرواتب بمائة دينار.

ولما مات عز الدين مسعود وولي ابنه أرسلان شاه حبس قيماز هذا وضيق عليه وآذاه إلى أن مات في حبسه.

وفيها توفي يحيى بن سعيد بن هبة الله العلامة أبو طالب قوام الدين الشيباني المنشئ الكاتب الواسطي الأصل البغدادي المولد والدار والوفاة.

مولده في سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة.

وشتغل بالأدب وبرع في الإنشاء وفنون من العلوم كالفقه وعلم الكلام والأصول والحساب والشعر وجالس أبا منصور بن الجواليقي وقرأ عليه وسمع أبا القاسم بن الصائغ وغيره وولي للخليفة عدة خدم: حجبة الباب ثم الأستادارية ثم كتابة الإنشاء آخر عمره ومات في ذي الحجة.

ومن شعره - وأحسن فيما قال -: باضطراب الزمان ترتفع الأن - - ذال فيه حتى يعم البلاء وكذا الماء ساكنًا فإذا حرك ثارت من قعره الأقذاء قلت: وفي هذين البيتين شرح حال زماننا هذا لكثرة من ترقى فيه من الأوباش إلى الرتب السنية كل طائفة وقد أذكرني ذلك واقعة جرت في أول سلطنة الملك الأشرف إينال وهي أن بعض أوباش الخاصكية ممن ليس له ذات ولا أدوات وقف إلى السلطان وطلب منه إمرة عشرة وقال له: يا مولانا السلطان إما أن تنعم علي بإمرة عشرة وإلا وسطني هنا وقيل: إنه تمدد ونام بين يديه حتى أخذ إمرة عشرة وهو معروف لا يحتاج إلى تسميته.

ومن هذه المقولة شيء كثير ومع ذلك خرج الزمان وللدولة أعيان فلا قوة إلا بالله.

وفيها توفي أبو الهيجاء السمين الأمير حسام الدين الكردي المقدم ذكره في عدة أماكن وذكرنا أيضًا دخوله إلى بغداد وأنه صار من جملة أمراء الخليفة حتى سيره إلى همذان فلم يتم له أمر واختلف أصحابه عليه فاستحيا أن يعود إلى بغداد فسار إلى الشام ومرض بها ومات بعد أيام.

وكان أميرًا شجاعًا مقدامًا عارفًا متجملًا سيوسًا.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربع أذرع وأربع وعشرون إصبعًا.

مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعًا وإصبعان.

سلطنة الملك المنصور محمد على مصر اختلف المؤرخون فيمن ولي ملك مصر بعد موت الملك العزيز عثمان ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب.

فمن الناس من قال: أخوه الأفضل نور الدين علي بن صلاح الدين يوسف بن أيوب ومنهم من قال: ولده الملك المنصور محمد هذا.

والصواب المقالة الثانية فإنه كان ولاه والده العزيز من بعده وإليه أوصى العزيز بالملك وأيضًا مما يقوي المقالة الثانية أن المنصور كان تحت كنف والده العزيز بمصر وكان الأفضل بصرخد ولم يحضر إلى مصر حتى تم أمر المنصور وتسلطن بعد موت أبيه.

وبيان ذلك أيضًا يأتي فيما نذكره الآن في سياق ترجمة الملك المنصور فيعرف بهذا السياق من كان في هذه المدة السلطان بمصر إلى حين ملك الملك العادل أبو بكر بن أيوب فنقول: لما مات الملك العزيز عثمان بديار مصر في العشرين من المحرم أوصى بالملك لأكبر أولاده وهو ناصر الدين محمد المذكور ونص عليه في الوصية وكان للعزيز عشرة أولاد ولم يذكر في الوصية عمه العادل وجعل وصيه الأمير أزكش مقدم الأسدية.

قال أبو المظفر سبط ابن الجوزي في تاريخه: " كان لابنه محمد عشر سنين وكان مقدم الصلاحية فخر الدين جهاركس وأسد الدين سرا سنقر وزين الدين قراجا فاتفقوا على ناصر الدين محمد وحلفوا له الأمراء وكان سيف الدين أزكش مقدم الأسدية غائبًا بأسوان فقدم وصوب رأيهم وما فعلوه إلا أنه قال: هو صغير السن لا ينهض بأعباء الملك ولا بد من تدبير كبير يحسم المواد ويقيم الأمور والعادل مشغول في الشرق بماردين وما ثم أقرب من الأفضل نجعله أتابك العساكر فلم يمكن الصلاحية مخالفة الأسدية وقالوا: افعلوا ففعلوا.

فكتب أزكش إلى الأفضل يستدعيه وهو بصرخد.

وكتبت الصلاحية إلى من بدمشق من أصحابهم يقولون: قد اتفقت الأسدية على الأفضل وإن ملك الأفضل الديار المصرية حكموا علينا فامنعوا الأفضل من المجيء فركب عسكر دمشق ليمنعوه ففاتهم وكان الأفضل قد التقى النجاب المتوجه إلى دمشق ثانيًا من قبل الصلاحية وعلى يده الكتب التي تتضمن ما ذكرناه من منع الأفضل من المجيء إلى الديار المصرية فأخذ الأفضل النجاب وعاد به إلى مصر ولما وصل الأفضل إلى مصر التقاه الأسدية والصلاحية ورأى جهاركس النخاب الذي أرسله فقال له: ما أسرع ما عدت! فأخبره الخبر فساق هو وقراجا بمن معهما من وقتهما إلى القدس وتحضنا به.

فلما وقع ذلك أشارت الأسدية على الأفضل بقصد دمشق وأن العادل مشغول بماردين.

فكتب الأفضل إلى أخيه الملك الظاهر غازي صاحب حلب يستنجده فأجابه وقال: اقدم حتى أساعدك.

فسار الأفضل بالعساكر المصرية إلى الشام واستناب بمصر سيف الدين أزكش ووصل الأفضل إلى دمشق في شعبان من السنة فأحدق بها.

وبلغ هذا الخير الملك العادل وهو على ماردين وقد أقام عليها عشرة أشهر ولم يبق إلا تسليمها وصعدت أعلامه على القلعة فلما سمعوا بوفاة العزيز توقفوا عن تسليمها فرحل الملك العادل أبو بكر عنها وترك على حصارها ولده الكامل محمدًا الآتي ذكره في سلاطين مصر - إن شاء الله تعالى - وسار العادل إلى نحو الشام فوصلها ومعه جماعة

من الأمراء وكان الأفضل نازلًا في الميدان الأخضر فأشار عليه جماعة من الأمراء أن يتأخر إلى مشهد القدم حتى يصل الظاهر وصاحب حمص والأمراء.

ودخل العادل ومن معه إلى دمشق وجاء الظاهر بعسكر حلب وجاء عسكر حماة وحمص وبشارة من بانياس وعسكر الحصون وسعد الدين مسعود صاحب صفد وضايقوا دمشق وبها العادل وكسروا باب السلامة وجاء آخرون إلى باب الفراديس وكان العادل في القلعة وقد استأمن إليه جماعة من المصريين مثل ابن كهدان ومثقال الخادم وغيرهما.

فلما بلغه أن ابن الحنبلي وأخاه شهاب الدين وأصحابهما قد كسروا باب الفراديس ركب من وقته وخرج إليهم وجاء إلى جيرون والمجد أخو الفقيه عيسى قائم على فرسه يشرب الفقاع ثم صاح العادل: يا فعلة يا صنعة إلى ها هنا! فلما سمعوا كلامه انهزموا وخرجوا فأغلق العادل باب السلامة وجاء إلى باب الفراديس فوجدهم قد كسروا الأقفال بالمرزبات فقال: من فعل هذا.

قالوا: الحنابلة فسكت ولم يقل شيئًا.

وقال أبو المظفر: وحكى لي المعظم عيسى - رحمه الله - قال: لما رجعنا من باب الفراديس ووصلنا إلى باب مدرسة الحنابلة رمي على رأس أبي يعني العادل حب الزيت فأخطأه فوقع في رقبة الفرس فوقع ميتًا فنزل أبي وركب غيره ولم ينطق بكلمة وجاء جهاركس وقراجا في الفيل من جبل سنير فدخلا دمشق.

وأما المواصلة فساقوا على الكامل محمد فرحلوه عن ماردين فجاء أيضًا يقصد دمشق وجمع التركمان وغيرهم.

وأما أمر دمشق فإنه لما اشتد الحصار عليها وقطعوا أشجارها ومياهها الداخلة إليها انقطعت عن أهلها الميرة وضجوا فبعث العادل إلى ابن أخيه الظاهر غازي صاحب حلب يقول له: أنا أسلم إليك دمشق على أن تكون أنت السلطان وتكون دمشق لك لا للأفضل.

فطمع الظاهر وأرسل إلى الأفضل يقول: أنت صاحب مصر فآثرني بدمشق فقال الأفضل: دمشق لي من أبي وإنما أخذت مني غصبًا فلا أعطيها لأحد فوقع الخلف بينهما ووقع التباعد وخرجت السنة على هذا.

ثم دخلت السنة السادسة والتسعون والحصار على دمشق.

وكان أتابك أرسلان شاه صاحب الموصل قد دخل الكامل من ماردين كما تقدم ذكره.

فقدم الكامل دمشق ومعه خلق كثير من التركمان وعسكر حران والرها فتأخر الأفضل بالعساكر إلى عقبة الشحورة في سابع عشر صفر.

ووصل الكامل في تاسع عشره فنزل بجوسق أبيه على الشرف ثم رحل الأفضل إلى مرج الصفر ورحل الظاهر إلى حلب وأحرقوا ما عجزوا عن حمله.

وسار الأفضل إلى مصر.

وأحضر العادل بني الحنبلي: الناصح وأخاه شهاب الدين وغيرهما وكان الأفضل قد وعد الناصح بقضاء دمشق والشهاب بالحسبة فقال لهم العادل: ما الذي دعاكم إلى كسر باب

الفراديس ومظاهرة أعدائي علي وسفك دمي فقال له الناصح: أخطأنا ثم إلا عفو السلطان.

- ثم ساق أبو المظفر كلامًا طويلًا محصوله العفو عن الحنابلة إلى أن قال -: وأما الأفضل فإنه سار إلى مصر فأرسل العادل وراءه أبا محمد نجيب الدين إليه بالزبداني يقول له: ترفق فأنا لك مثل الوالد وعندي كل ما تريد.

فقال الأفضل: قل له: إن صحت مقاتلك فأبعد عنك أعدائي الصلاحية.

وبلغ ذلك الصلاحية فقالوا للعادل: إيش قعودنا هنا.

قم بنا وساروا خلف الأفضل مرحلة مرحلة فنزل الأفضل بلبيس ونزل العادل السائح فرجع الأفضل وضرب معهم المصاف وتقاتلوا فانكسر الأفضل وتفرق عنه أصحابه ورحل إلى القاهرة وأغلق أبوابها.

وجاء العادل فنزل البركة ودخل سيف الدين أزكش بين العادل والأفضل واتفقوا أن يعطيه العادل ميافارقين وجبل جور وديار بكر ويأخذ منه مصر فاتفق الأمر على ذلك.

ورحل الأفضل من مصر في شهر ربيع الآخر ودخل العادل إلى القاهرة وأحسن إلى أزكش وقال للأفضل: جميع من كان معك كاتبني إلا سيف الدين أركش.

ثم قدم العادل أزكش المذكور وحكمه في البلاد ورد القضاء إلى صدر الدين عبد الملك بن درباس الكردي وولى شيخ الشيوخ ابن حمويه التدريس بالشافعي ومشهد الحسين والنظر في خانقاه الصوفية وجلس الوزير صفي الدين عبد الله بن علي بن شكر في دار السلطنة في حجرة القاضي الفاضل ونظر في الدواوين.

وسار الأفضل إلى ميافارقين.

واستدعى العادل ولده الكامل إلى مصر فخرج من دمشق في ثالث عشرين شعبان وودعه أخوه الملك المعظم عيسى إلى رأس الماء.

قال العماد الكاتب: وسرت معه إلى مصر وأنشدته: دعتك مصر إلى سلطانها فأجب دعاءها فهو حق غير مكذوب قد كان يهضمني دهري فأدركني محمد بن أبي بكر بن أيوب ووصل الكامل إلى مصر في عاشر شهر رمضان والتقاه أبوه العادل من العباسة وأنزله في دار الوزارة.

وكان قد زوجه بنت أخيه صلاح الدين فدخل بها.

ولم يقطع العادل الخطبة لولد العزيز.

قلت: وهذا مما يدل أيضًا على أن الأفضل كان عند الملك المنصور محمد بن العزيز عثمان بمنزلة الأتابك.

والظاهر أنه كان ظن الأفضل إذا تم أمره مع عمه العادل هذا استقل بالملك فلم يقع له ذلك ولهذا لم نذكره في ملوك مصر وما ذكرناه هنا إلا في ضمن ترجمة المنصور صاحب قال: ثم إنه جمع الفقهاء يعني الملك العادل وقال لهم: هل يجوز ولاية الصغير على الكبير فقالوا: الصغير مولى عليه.

قال: فهل يجوز للكبير أن ينوب عن الصغير قالوا: لا لأن الولاية من الأصل إذا كانت غير صحيحة فكيف تصح النيابة! فعند ذلك قطع خطبة ابن العزيز يعني عن المنصور صاحب الترجمة وخطب لنفسه ولولده الكامل من بعده.

ونقص النيل في هذه السنة ولم يبلغ ثلاث عشرة ذراعًا.

ووقع الغلاء بديار مصر ".

قلت: وعلى هذا يكون أول سلطنة العادل على مصر في يوم خطب له بمصر وهو يوم الجمعة الحادي والعشرين من شوال سنة ست وتسعين وخمسمائة.

قال ابن المستوفي في تاريخ إربل: فتكون أول سلطنة الملك العادل من هذا اليوم ولا عبرة باستيلائه على مصر قبل ذلك.

وعلى هذا أيضًا تكون مدة الملك المنصور محمد صاحب الترجمة على سلطنة مصر سنة واحدة وتسعة أشهر سواء فإن والده العزيز عثمان مات في عشرين المحرم من سنة خمس وتسعين وخمسمائة فتسلطن من يوم موت أبيه وخلع في العشرين من شوال سنة ست وتسعين وخمسمائة.

انتهى.

ولم أقف على وفاته الآن.

السنة الأولى من سلطنة الملك المنصور

وهي سنة خمس وتسعين وخمسمائة على أن الملك العزيز والده حكم منها نحو العشرين يومًا من المحرم كما تقدم ذكره.

فيها حج بالناس من بغداد مظفر الدين وجه السبع.

وفيها كانت وفاة الملك العزيز عثمان حسب ما تقدم ذكره في ترجمته.

وفيها توفي يحيى بن علي بن الفضل أبو القاسم بن فضلان مدرس النظامية كان فقيهًا بارعًا قم بغداد وناظر وأفتى ودرس وكان مقطوع اليد وقع من الجمل فعملت عليه يده فخيف عليه فقطعت.

وكانت وفاته في شعبان.

ومن شعره: - رحمه الله تعالى -: وإذا أردت منازل الأشراف فعليك بالإسعاف والإنصاف وإذا بغى باغٍ عليك فخله والدهر فهو له مكافٍ كافٍ وفيها توفي يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن الملك المنصور أبو يوسف صاحب المغرب.

كان ملكًا مغازيًا مجاهدًا وهو الذي كسر ألفنش ملك الفرنج المقدم ذكره على الزلاقة وهو أعظم ملوك المغرب وأحسنهم سيرة لما كان جمع من المحاسن: الدين والصلاح والشجاعة والكرم والحزم والعزم ودام في ملكه إلى أن مات في شهر ربيع الأول بعد أن أوصى بالملك إلى ولده أبي عبد الله محمد.

وكانت مدة أيامه خمس عشرة سنة.

وفيه يقول شاعره أبو بكر يحيى بن عبد الجليل بن عبد الرحمن بن مجير الأندلسي المرسي قصيدته المطولة وعدة أبياتها مائة وسبعة أبيات.

أولها: أتراه يترك الغزلا وعليه شب واكتهلا ومدحه أيضًا إبراهيم بن يعقوب الشاعر المشهور بقصيدة طنانة أولها: أزال حجابه عني وعيني تراه من المهابة في حجاب وقربني تفضله ولكن بعدت مهابة عند اقترابي الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف بن أيوب صاحب مصر في المحرم وله ثمان وعشرون سنة.

والحفيد ابن رشد العلامة أبو الوليد محمد بن أحمد بن أبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي المتكلم.

وأبو جعفر محمد بن إسماعيل الطرسوسي بأصبهان في جمادى الآخرة.

وأبو الحسن مسعود بن أبي مسعود الأصبهاني الخياط الجمال في شوال.

وأبو الفضل منصور بن أبي الحسن الطبري الصوفي الواعظ.

والعلامة جمال الدين يحيى بن علي بن فضلان البغدادي الشافعي في شعبان.

وصاحب المغرب المنصور أبو يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن القيسي.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ثلاث أذرع وأربع وعشرون إصبعًا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا وست عشرة إصبعًا.

السنة الثانية من سلطنة الملك المنصور محمد ابن الملك العزيز عثمان على مصر على أنه حكم في آخرها من شهر رمضان إلى آخر السنة عم أبيه الملك العادل أبو بكر بن أيوب وهي سنة ست وتسعين وخمسمائة.

فيها توفي تكش بن أرسلان شاه بن اتسز الملك علاء الدين خوارزم شاه هو من ولد طاهر بن الحسين.

كان شجاعًا مقدامًا جودًا ملك الدنيا من الضين والهند وما وراء النهر إلى خراسان إلى باب بغداد وكان نوابه في حلوان وكان في ديوانه مائة ألف مقاتل وهو الذي أزال دولة بني سلجوق وكان عارفًا بعلم الموسيقى ولم يكن في زمانه أعرف منه بضرب العود وكان يباشر الحروب بنفسه حتى ذهبت إحدى عينيه في الحرب وكان قد عزم على أخذ بغداد وسار إليهًا فلما وصل إلى دهستان توفي بها في شهر رمضان.

ووقع له في مسيره إلى أخذ بغداد في هذه المرة طريفة: وهو أن الباطنية جهزوا إليه رجلًا ليقتله وكان قوي الاحتراس فجلس تلك الليلة يلعب بالعود وقد شرع الخيمة وغنى بيتًا بالعجمية وفيه " ببيتم " ومعناه بالعجمي: أبصرتك وكرر هذه اللفظة فلما سمع الباطني ذلك خاف وظن أنه رآه فهرب فأخذ وحمل إليه فعزره وأمر بقتله.

فكان ذلك من الطرائف.

وفيها توفي إمام عصره ووحيد دهره القاضي الفاضل عبد الرحيم ابن القاضي الأشرف أبي المجد علي ابن القاضي السعيد أبي محمد محمد بن الحسن بن الحسين بن أحمد

ابن المفرج بن أحمد اللخمي العسقلاني المولد المصري الدار المعروف بالقاضي الفاضل الملقب محيي الدين وزير السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب.

قال ابن خلكان - رحمه الله -: تمكن منه غاية التمكن يعني من صلاح الدين وبرز في صناعة الإنشاء وفاق المتقدمين وله فيه الغرائب مع الإكثار.

أخبرني أحد الفضلاء الثقات المطلعين على حقيقة أمره أن مسودات رسائله في المجلدات والتعليقات في الأوراق إذا جمعت ما تقصر عن مائة مجلد وهو مجيد في أكثرها.

قال العماد الكاتب الأصبهاني في كتاب الخريدة في حقه: " رب القلم والبيان واللسن واللسان والقريحة الوقادة والبصيرة النقادة والبديهة المعجزة والبديعة المطرزة والفضل الذي ما سمع في الأوائل بمن لو عاش في زمانه لتعلق في غباره أو جرى في مضماره فهو كالشريعة المحمدية التي نسخت الشرائع ورسخت بها الصنائع يخترع الأفكار ويفترع الأبكار ويطلع الأنوار ويبدع الأزهار وهو ضابط الملك بآرائه ورابط السلك بآلائه إن شاء أنشأ في اليوم الواحد بل في الساعة ما لو دون لكان لأهل الصناعة خير بضاعة " انتهى كلام العماد باختصار.

وقال غيره: وكان مع فضله كثير العبادة تاليًا للقرآن العزيز دينًا خيرًا وكان السلطان صلاح الدين يقول: لا تظنوا أني ملكت البلاد بسيوفكم بل بقلم الفاضل.

وكان بين الفاضل وبين الملك العادل أبي بكر بن أيوب وحشة فلما بلغ الفاضل مجيء العادل إلى مصر دعا الله على نفسه بالموت فمات قبل دخوله.

وقيل: إن العادل كان داخلًا من باب النصر وجنازة الفاضل خارجة من باب زويلة.

انتهى.

قلت: وفضل الفاضل وبلاغته وفصاحته أشهر من أن يذكر.

ومن شعره: قوله: وإذا السعادة أحرستك عيونها نم فالمخاوف كلهن أمان واصطد بها العنقاء فهي حبائل واقتد بها الجوزاء فهي عنان وقد استشهد علماء البديع بكثير من شعره في أنواع كثيرة فمما ذكره الشيخ تقي الدين أبو بكر بن حجة في شرح بديعيته في نوع تجاهل العارف " قوله من قصيدة: أهذي كفه أم غوث غيثٍ ولا بلغ السحاب ولا كرامه وهذا الجيش أم صرف الليالي ولا سبقت حوادثها زحامه وهذا الدهر أم عبد لديه يصرف عن عزيمته زمامه وهذا فعل غمد أم هلال إذا أمسى كنون أم قلامه وهذا الترب أم خد لثمنا فآثار الشفاه عليه شامه ومنها وهو غير تجاهل العارف ولكنه من المرقص والمطرب: وهذا الدر منثور ولكن أروني غير أقلامي نظامه وهذي روضة تندى وسطري بها غصن وقافيتي حمامه وهذا الكأس روق من بناني وذكرك كان من مسك ختامه وذكر أيضًا في " تجاهل العارف " قوله من قصيدة: أهذه سير في المجد أم سور وهذه أنجم في السعد أم غرر وأنمل أم بحار والسيوف لها موج وإفرندها في لجها درر وأنت في الأرض أم فوق السماء وفي يمينك البحر أم في وجهك القمر وفيها توفي علي بن نصر بن عقيل المعروف بالهمام البغدادي العبدي الشاعر المشهور قدم وإني لمثرٍ من حياءٍ وعفةٍ وإن لم يكن عندي من المال طائل الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي أبو جعفر أحمد بن علي القرطبي المقرئ إمام الكلاسة.

وإسماعيل بن صالح بن يس بمصر في ذي الحجة.

وأبو سعيد خليل بن أبي الرجاء الراراني الصوفي في شهر ربيع الآخر وله ست وتسعون سنة.

والسلطان علاء الدين خوارزم شاه تكش بن خوارزم شاه أرسلان بن أتسز بن محمد في رمضان بالخوانيق وتملك بعده ابنه علاء الدين محمد.

والقاضي الفاضل أبو علي عبد الرحيم بن علي ابن محمد بن حسن اللخمي البيساني الوزير في شهر ربيع الآخر وله سبع وستون سنة.

وأبو الحسن عبد اللطيف بن إسماعيل بن أبي سعد الصوفي في ذي الحجة بدمشق.

وأبو الفرج عبد المنعم بن عبد الوهاب بن سعد بن صدقة بن الخضر بن كليب في شهر ربيع الأول وله ست وتسعون سنة وشهر.

والأثير أبو الفضل محمد بن محمد بن بيان الأنباري ثم المصري الكاتب في شهر ربيع الآخر.

والعلامة شهاب الدين محمد بن محمود الطوسي بمصر.

وأبو جعفر - المبارك بن المبارك بن أحمد بن زريق الواسطي الحداد المقرىء.

أمر النيل لي هذه السنة: الماء القديم لم يذكر لقلته.

وكان مبلغ الزيادة في هذه السنة اثنتي عشرة ذراعًا وإحدى وعشرين سلطنة الملك العادل على مصر هو السلطان الملك العادل سيف الدين أبو بكر محمد ابن الأمير أبي الشكر نجم الدين أيوب بن شادي بن مروان الدويني التكريتي ثم الدمشقي.

وقد تقدم ذكر نسبه وأصله في ترجمة أخيه السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب.

وقد ذكرنا أيضًا من أحوال العادل هذا نبذة كبيرة في ترجمة أخيه صلاح الدين المذكور وأيضًا في ترجمة أولاده ثم في ترجمة حفيده الملك المنصور محمد ابن الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف الذي خلعه العادل هذا وتسلطن مكانه في العشرين من شوال سنة ست وتسعين وخمسمائة.

وقد تقدم ذلك كله في ترجمة المنصور محمد المخلوع عن السلطنة.

ولابد من ذكر شيء من أحوال العادل هنا على حدته وإيراد قطعة جيدة من أقوال الناس في ترجمته - إن شاء الله تعالى -.

قال الحافظ أبو عبد الله شمس الدين محمد الذهبي في تاريخه: " ولد ببعلبك في سنة أربع وثلاثين وأبوه نائب عليها للأتابك زنكي والد نور الدين محمود وهو أصغر من أخيه صلاح الدين بسنتين وقيل: ولد في سنة ثمان وثلاثين وقيل: ولد في أوائل سنة أربعين.

قال أبو شامة: توفي الملك العادل سيف الدين أبو بكر محمد وهو بكنيته أشهر.

ومولده ببعلبك وعاش سنًا وسبعين سنة.

ونشأ في خدمة نور الدين مع أبيه وإخوته وحضر مع أخيه صلاح الدين فتوحاته وقام أحسن قيام في الهدنة مع الأنكلتير ملك الفرنج بعد أخذهم عكا وكان صلاح الدين يعول عليه كثيرًا واستنابه بمصر مدة ثم أعطاه حلب ثم أخذها منه وأعطاها لولده الظاهر وأعطاه الكرك عوضها ثم حران " انتهى كلام الذهبي.

وقال الشيخ شمس الدين أحمد بن خلكان - رحمه الله - في وفيات الأعيان: " كان الملك العادل قد وصل إلى مصر صحبة أخيه وعمه أسد الدين شيركوه المقدم ذكره.

وكان يقول: لما عزمنا على المسير إلى مصر احتجت إلى جرمدان فطلبته من والدي فأعطاني وقال: يا أبا بكر إذا ملكتم مصر أعطوني ملأة ذهبًا.

فلما جاء إلى مصر قال: يا أبا بكر أين الجرمدان.

فرحت وملأته له من الدراهم السود وجعلت على أعلاها شيئًا من الذهب وأحضرته إليه فلما رآه اعتقده ذهبًا فقلبه فظهرت الفضة السوداء فقال: يا أبا بكر تعلمت زعل المصريين! قال: ولما ملك السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب مصر كان ينوب عنه في حال غيبته بالشام ويستدعي منه الأموال للإنفاق في الجند وغيرهم.

قال: ورأيت في بعض رسائل القاضي الفاضل أن الحمول تأخرت مدة فتقدم السلطان صلاح الدين إلى العماد الأصبهاني أن يكتب إلى أخيه العادل يستحثه على إنفاذها حتى قال: يسير لنا الحمل من مالنا أو من ماله! فلما وصل الكتاب إليه ووقف على هذا الفصل شق عليه وكتب إلى القاضي الفاضل يشكو من السلطان لأجل ذلك.

فكتب القاضي الفاضل جوابه وفي جملته: " وأما ما ذكره المولى من قوله: يسير لنا الحمل من مالنا أو من ماله فتلك لفظة ما المقصود منها من الملك النجعة وإنما المقصود من الكاتب السجعة.

وكم من لفظة فظة وكلمة فيها غلظة حيرت عيي الأقلام فسدت خلل الكلام.

وعلى المملوك الضمان في هذه النكتة وقد فات لسان القلم منها أي سكتة ".

قال: ولما ملك السلطان يعني صلاح الدين مدينة حلب في صفر سنة تسع وسبعين وخمسمائة كما تقدم ذكره " أعطاها لولده الملك الظاهر غازي ثم أخذها منه و " أعطاها للملك العادل فانتقل إليها وقصد قلعتها يوم الجمعة الثاني والعشرين من شهر رمضان من السنة المذكورة ثم نزل عنها للملك الظاهر غازي ابن السلطان صلاح الدين ثم أعطاه السلطان قلعة الكرك وتنقل في الممالك في حياة السلطان صلاح الدين وبعد وفاته.

وقضاياه مشهورة مع الملك الأفضل والملك العزيز والملك المنصور فلا حاجة إلى الإطالة في شرحها.

وآخر الأمر أنه استقل بمملكة الديار المصرية.

وكان دخوله إلى القاهرة لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر سنة ست وتسعين وخمسمائة واستقرت له القواعد.

وقال أبو البركات ابن المستوفي في تاريخ إربل " في ترجمة ضياء الدين أبي الفتح نصر الله المعروف بابن الأثير الوزير الجزري ما مثاله: وجدت بخطه خطب للملك العادل أبي بكر بن أيوب بالقاهرة ومصر يوم الجمعة الحادي والعشرين من شوال سنة ست وتسعين وخمسمائة وخطب له بحلب يوم الجمعة حادي عشر جمادى الآخرة سنة ثمان وتسعين وخمسمائة " - والله أعلم بالصواب - هذا ما ذكره ابن خلكان وهو بخلاف ما ذكرناه من أنه خطب له في عاشر شهر رمضان من السنة ويمكن الجمع بين القولين لأننا قلنا في شهر رمضان تخمينًا لأن الاتفاق كان في شهر رمضان ولعل الخطبة كانت في شوال - انتهى.

قال: " وملك مع ذلك البلاد الشامية والمشرقية وصفت له الدنيا ثم ملك بلاد اليمن في سنة اثنتي عشرة وستمائة " و " سير إليها ولد ولده الملك المسعود صلاح الدين أبا المظفر يوسف ابن الملك الكامل محمد الآتي ذكره.

وكان ولده الملك الأوحد نجم الدين أيوب ينوب عنه في ميافارقين وتلك النواحي فاستولى على مدينة خلاط وبلاد أرمينية واتسعت مملكته وذلك في سنة أربع وستمائة.

ولما تمهدت له البلاد قسمها بين أولاده فأعطى الملك الكامل محمدًا الديار المصرية وأعطى الملك المعظم عيسى البلاد الشامية وأعطى الملك الأشرف موسى البلاد الشرقية والأوحد في المواضع التي ذكرناها.

وكان ملكًا عظيمًا ذا رأي ومعرفة تامة قد حنكته التجارب حسن السيرة جميل الطوية وافر العقل حازمًا في الأمور صالحًا محافظًا على الصلوات في أوقاتها متبعًا لأرباب السنة مائلًا إلى العلماء.

صنف له فخر الدين الرازي " كتاب تأسيس التقديس " وذكر اسمه في خطبته وسيره إليه من بلاد خراسان.

وبالجملة فإنه كان رجلًا مسعودًا ومن سعادته أنه كان خلف أولادًا لم يخلف أحد من الملوك أمثالهم في نجابتهم وبسالتهم ومعرفتهم وعلو همتهم ودان لهم العباد وملكوا أخيار البلاد.

ولما مدحه ابن عنين بقصيدته الرائية ذكر منها في مديح أولاده المذكورين فقال: وله البنون بكل أرض منهم ملك يقود إلى الأعادي عسكرا من كل وضاح الجبين تخاله بدرًا وإن شهد الوغى فغضنفرا متقدم حتى إذا النقع انجلى بالبيض عن سبي الحريم تأخرا قوم زكوا أصلًا وطابوا محتدًا وتدفقوا جودًا وراقوا منظرا قال: ومن جملة هذه القصيدة في مدح الملك العادل هذا قوله ولقد أحسن فيها: العادل الملك الذي أسماؤه في كل ناحيةٍ تشرف منبرا وبكل أرضٍ جنة من عدله الص - - افي أسال نداه فيها كوثرا ما في أبي بكر لمعتقد الهدى شك مريبٌ أنه خير الورى سيف صقال المجد أخلص متنه وأبان طيب الأصل منه الجوهرا ما مدحه بالمستعار له ولا آيات سؤدده حديث يفترى بين الملوك الغابرين وبينه في الفضل ما بين الثريا والثرى نسخت خلائقه الحميدة ما أتى في الكتب عن كسرى الملوك وقيصرا ملك إذا خفت حلوم ذوي النهى في الروع زاد رصانة وتوقرا ثبت الجنان تراع من وثباته وثباته يوم الوغى أسد الشرى يقظ يكاد يقول عما في غدٍ ببديهة أغنته أن يتفكرا حلم تخف له الحلوم وراءه رأي وعزم يحقر الإسكندرا يعفو عن الذنب العظيم تكرمًا ويصد عن قيل الخنا متكبرا لا تسمعن حديث ملك غيره يروى فكل الصيد في جوف الفرا قال: ولما قسم البلاد بين أولاده كان يتردد بينهم ويتنقل من مملكة إلى أخرى وكان يصيف خروفًا لطيفًا مشويًا وكان له في النكاح نصيب وافر.

وحاصل الأمر أنه كان ممتعًا في دنياه.

وكانت ولادته بدمشق في المحرم سنة أربعين وقيل: ثمان وثلاثين وخمسمائة.

قلت: وافق الذهبي في مولده في السنة مع خلاف ذكره الذهبي فيه وخالفه في المكان الذي ولد فيه فإن الذهبي قال: كانت ولادته ببعلبك كما تقدم ذكره.

قال: وتوفي في سابع جمادى الآخرة سنة خمس عشرة وستمائة بعالقين.

ونقل إلى دمشق ودفن بالقلعة ثاني يوم وفاته ثم نقل إلى مدرسته المعروفة به ودفن بالتربة التي بها وقبره على الطريق يراه المجتاز من الشباك المركب هناك.

وعالقين بفتح العين المهملة وبعد الألف لام مكسورة وقاف مكسورة أيضًا وياء مثناة من تحتها ساكنة وبعدها نون وهي قرية بظاهر دمشق.

انتهى كلام ابن خلكان - رحمه الله تعالى - بتمامه.

وقال غيره: ولما افتتح ولده الكامل إقليم أرمينية فرح العادل فرحًا شديدًا وسير أستاداره إيلدكز وقاضي العسكر نجم الدين خليل إلى الخليفة يطلب التقليد بمصر والشام وخلاط وبلاد الجزيرة فأكرمهما الخليفة وأرسل إليه الشيخ شهاب الدين أبا حفص عمر بن محمد السهروردي بالتشريف ومر بحلب ووعظ بها واحترمه الظاهر غازي صاحب حلب وبعث معه بهاء الدين بن شداد بثلاثة آلاف دينار لينثرها على عمه العادل إذا لبس خلعة الخليفة.

ولما وصل السهروردي إلى دمشق فرح العادل وتلقاه من القصير وكان يومًا مشهودًا ثم من الغد أفيضت عليه الخلع وهي: جبة سوداء بطراز ذهب وعمامة سوداء بطراز ذهب وطوق ذهب فيه جوهر وقلد سيفًا محلى جميع قرابه بالذهب وحصان أشهب بمركب ذهب وعلم أسود مكتوب فيه بالبياض ألقاب الناصر لدين الله.

ثم خلع السهروردي على ولدي العادل: المعظم عيسى والأشرف موسى لكل واحد عمامة سوداء وثوبًا أسود واسع الكم وخلع على الصاحب ابن شكر كذلك.

ونثر الذهب على رأس العادل من رسل صاحب حلب وحماة وحمص وغيرهم.

وركب الأربعة أعني العادل وولديه وابن شكر الوزير بالخلع ثم عادوا إلى القلعة وقرأ ابن شكر التقليد على كرسي وخوطب العادل: بشاهنشاه ملك الملوك خليل أمير المؤمنين.

ثم قدم السهروري إلى مصر وخلع على الملك الكامل بن العادل.

وهو يوم ذاك صاحب مصر نيابة عن أبيه العادل كما تقدم ذكره.

وقال الموفق عبد اللطيف في سيرة الملك العادل: " كان أصغر الإخوة وأطولهم عمرًا وأعمقهم فكرًا وأبصرهم في العواقب وأشدهم إمساكًا وأحبهم للدرهم وكان فيه حلم وأناة وصبر على الشدائد وكان سعيد الجد عالي الكعب مظفرًا بالأعداء من قبل السماء وكان نهمًا أكولًا يحب الطعام واختلاف ألوانه وكان أكثر أكله بالليل كالخيل وله عندما ينام رضيع ويأكل رطلًا بالدمشقي خبيص السكر يجعل هذا كالجوارش وكان كثير الصلاة ويصوم الخميس وله صدقات في كثير من الأوقات وخاصة عندما تنزل به الآفات وكان كريمًا على الطعام يحب من يؤاكله وكان قليل الأمراض.

قال لي طبيبه بمصر: إني آكل خير هذا السلطان سنين كثيرة ولم يحتج إلي سوى يوم واحد أحضر إليه من البطيخ أربعون حملًا فكسر الجميع بيده وبالغ في الأكل منه ومن الفواكه والأطعمة فعرض له تخمة فأصبح فأشرت عليه بشرب الماء الحار وأن يركب طويلًا ففعل وآخر النهار تعشى وعاد إلى صحته.

وكان نكاحًا يكثر من اقتناء السراري وكان غيورا لا يدخل في داره خصي إلا دون البلوغ وكان يحب أن يطبخ لنفسه مع أن في كل دار من دور حظاياه مطبخًا دائرًا وكان عفيف الفرج لا يعرف له نظر إلى غير حلائله.

نجب له أولاد من الذكور والإناث سلطن الذكور وزوج البنات بملوك الأطراف.

وكان العادل قد أوقع الله تعالى بغضته في قلوب رعاياه والمخامرة عليه في قلوب جنده وعملوا في قتله أصنامًا من الحيل الدقيقة مرات كثيرة وعند ما يقال إن الحيلة تفت تنفسح وتنكشف وتحسم موادها ولولا أولاده يتولون بلاده لما ثبت فلكه بخلاف أخيه صلاح الدين فإنه إنما حفظ ملكه بالمحبة له وحسن الطاعة ولم يكن - رحمه الله - بالمنزلة المكروهة وإنما كان الناس قد ألفوا دولة صلاح الدين وأولاده فتغيرت عليهم العادة دفعة واحدة.

ثم إن وزيره ابن شكر بالغ قال: وكان العارز يواظب على خدمة أخيه صلاح الدين يكون أول داخل وآخر خارج وبهذا جلبه وكان يشاوره في أمور الدولة لما جرب من نفوذ رأيه.

ولما تسلطن الأفضل بدمشق والعزيز بمصر قصد العزيز دمشق ووقع له ما حكيناه إلى أن ملكها.

قال: ثم أخذ العادل يدبر الحيلة حتى يستنيبه العزيز على مصر ويقيم العزيز بدمشق ففطن بعض أصحاب العزيز فرمى قلنسوته بين يديه وقال: ألم يكفك أنك أعطيته دمشق حتى تعطيه مصرة فنهض العزيز لوقته على غرة ولحق بمصر.

قال الموفق: ومات الملك الظاهر غازي قبله بسنتين فلم يتهن العادل بالملك من بعده وكاد كل واحد منهما ينتظر موت الآخر فلم يصف للعادل العيش بعد موته لأمراض لزمته بعد طول الصحة والخوف من الفرنج بعد طول الأمن.

وخرجوا يعني الفرنج إلى عكا وتجمعوا على الغور فنزل العادل قبالتهم على بيسان وخفي عليه أن ينزل على عقبة أفيق وكانوا قد هدموا قلعة كوكب وكانت ظهرهم ولم يقبل من الجواسيس ما أخبروه بما عزم عليه الفرنج من الغارة فاغتر بما عودته المقادير من طول السلامة فغشيت الفرنج عسكره على غرة وكان قد آوى إليه خلق من البلاد يعتصمون به فركب مجدًا وماج الفرنج في أثره حتى وصل دمشق على شفًا وهم فدخل إليها فمنعه المعتمد وشجعه وقال له: المصلحة أن تقيم بظاهر دمشق.

وأما الفرنج فاعتقدوا أن هزيمته مكيدة فرجعوا من قرب دمشق بعد ما عادوا في البلاد قتلًا وأسرا وعادوا إلى بلادهم وقصدوا دمياط في البحر فنازلوها.

وكان قد عرض له قبل ذلك ضعف وصار يعتريه ورم الأنثيين.

فلما هزته الحيل على خلاف العادة ودخله الرعب لم يبق إلا مدة يسيرة ومات بظاهر دمشق.

وكان مع حرصه يهين المال عند الشدائد غاية الإهانة ببذله.

وشرع في بناء قلعة دمشق فقسم أرضها على أمرائه وأولاده وكان الحفارون يحفرون الخندق ويقطعون الحجارة فخرج من تحته خرزة بئر فيها ماء معين.

قال: ودعا مرة فقال: الفهم حاسبني حسابًا يسيرًا فقال له رجل ماجن من خواصه: يا مولانا إن الله قد يسر حسابك قال: ويلك! وكيف ذلك قال: إذا حاسبك قل له: المال كله في قلعة جعبر لم أفرط فيه في قليل ولا كثير.

وكانت خزائنه بالكرك ثم نقلها إلى قلعة جعبر وبها ولده الملك الحافظ فسول له بعض أصحابه الطمع فيها فأتاها الملك العادل ونقل ما فيها إلى قلعة دمشق فحصلت في قبضة ولده الملك المعظم عيسى فلم ينازعه فيها إخوته وقيل: إن الذي سول للحافظ الطمع والعصيان هو المعظم ففعل ذلك الحافظ وكانت مكيدة من المعظم حتى رجع إليه المال ".

انتهى كلام الموفق باختصار.

وقال أبو المظفر شمس الدين يوسف بن قزأوغلي في تاريخه: " سألته عن مولده فقال: فتوح الرها يعني سنة تسع وثلاثين وخمسمائة " - وهذا نقل آخر في مولده - قال: وقد ذكرنا أحواله في السنين إلى أن استقر له الملك وامتد من بلاد الكرج إلى همذان والجزيرة والشام ومصر والحجاز ومكة والمدينة واليمن إلى حضرموت وكان ثبتًا خليقًا بالملك حسن التدبير حليمًا صفوحًا مدبرًا للملك على وجه الرضا عادلًا مجاهدًا دينًا عفيفًا متصدقًا آمرًا بالمعروف ناهيًا عن المنكر طفر جميع ولاياته من الخمور والخواطىء والقمار والمكوس والمظالم.

وكان الحاصل من هذه الجهات بدمشق على الخصوص مائة ألف دينار فأبطل الجميع لله تعالى.

وكان واليه على دمشق المبارز والمعتمد أعانه المبارز على ذلك أقام رجالًا على عقاب قاسيون وجبل الثلج وحوالي دمشق بالجامكية والجراية يحرمون أحدًا يدخل دمشق بمنكر.

بلغني أن بعض المغاني دخلت على العادل في عرس فقال لها: أين كنت.

فقالت: ما قدرت أجيء حتى وفيت ما علي للضامن.

فقال: وأي ضامن قالت ضامن القيان فقامت عليه القيامة وطلب المعتمد وعمل به ما لا يليق وقال: والله لئن عاد بلغني مثل هذا لأفعلن ولأصنعن.

ولقد فعل العادل في غلاء مصر عقيب موت العزيز ما لم يفعله غيره كان يخرج في الليل بنفسه ويفرق الأموال في ذوي البيوتات والمساكين وكفن تلك الأيام من ماله ثلاثمائة ألف من الغرباء وكان إذا مرض أو تشوش قال أبو المظفر: وقد ذكرنا وصول شيخ الشيوخ إليه بخبر برج دمياط وأنه انزعج وأقام مريضًا إلى يوم الجمعة سابع أو ثامن جمادى الآخرة وتوفي بعالقين.

وكان المعظم قد كسر الفرنج على القيمون يوم الخميس خامس جمادى الآخرة وقيل يوم الأربعاء.

ولما توفي العادل لم يعلم بموته غير كريم الذين الخلاطي فأرسل الطير إلى نابلس إلى المعظم فجاء يوم السبت إلى عالقين فاحتاط على الخزائن وصبر العادل وجعله في محفة وعنده خادم يروح عليه وقد رفع طرف سجافها وأظهر أنه مريض ودخلوا به دمشق يوم الأحد والناس يسلمون على الخادم وهو يومئ إلى ناحية العادل ويرد السلام ودخلوا به القلعة وكتموا موته وأمن العجائب أنهم طلبوا له كفنًا فلم يقدروا عليه فأخذوا عمامة الفقيه ابن فارس فكفنوه بها وأخرجوا قطنا من مخدة فلفوه به وصلى عليه وزيره ابن فارس ودفنوه في القلعة.

قال أبو المظفر: وكنت قاعدًا إلى جانب المعظم عند باب الدار التي فيها الإيوان وهو واجم ولم أعلم بحاله فلما دفن أبوه قام قائمًا وشق ثيابه ولطم رأسه ووجهه وكان يومًا عظيمًا وعمل له العزاء ثلاثة أيام بالإيوان الشمالي وعمل له العزاء في الدنيا كلها ونودي ببغداد: من أراد الصلاة على الملك العادل الغازي المجاهد في سبيل الله فليحضر إلى جامع القصر فحضر الناس ولم يتخلف سوى الخليفة وصلوا عليه صلاة الغائب وترحموا عليه وتقدموا إلى خطباء الجوامع بأسرهم ففعلوا ذلك بعد صلاة الجمعة.

وبقي العادل بالقلعة إلى سنة تسع عشرة وستمائة ثم نقل إلى تربته التي أنشأها عند دار العقيقي ومدرسته.

- قلت: لا أعلم ما كان السبب في عدم وجود الكفن القطن للملك العادل مع همة ولده الملك المعظم عيسى وأخذه من عالقين ميتًا في محفة ولم يفطن به أحد.

وهذا أعظم وأكثر كلفة وأصعب من شراء ثوب بعلبكي وما يحتاج إليه الميت من الحنوط والقطن وغيره فلعل لها عذرًا وأنت تلوم " -.

قال: وكان له عدة أولاد: منهم شمس الدين مودود والد الملك الجواد يونس.

والكامل محمد.

والأشرف موسى.

والمعظم عيسى.

والأوحد أيوب.

والفائز إبراهيم.

وشهاب الدين غازي.

والعزيز عثمان.

والأمجد حسن.

والحافظ أرسلان.

والصالح إسماعيل.

والمغيث عمر.

ومجير الدين يعقوب.

وتقي الدين عباس.

وقطب الدين أحمد.

والقاهر إسحاق.

وخليل أصغرهم.

وكان له عدة بنات أفضلهن صفية خاتون صاحبة حلب أم الملك العزيز ".

انتهت ترجمة الملك العادل - رحمه الله تعالى -.

ولما مات العادل استقر كل واحد من أولاده في مملكته فإنه كان قسم ممالكه في أولاده حسب ما تقدم ذكر ذلك كله في صدر هذه الترجمة فالذي كان بمصر الملك الكامل محمد وبالشام المعظم عيسى وبالشرق الأشرف شاه أرمن وباقي أولاده كل واحد في مملكة أو في خدمة أخ من إخوته.

انتهى.

السنة الأولى من سلطنة الملك العادل أبي بكر بن أيوب على مصر

وهي سنة سبع وتسعين وخمسمائة.

فيها كان هبوط النيل ولم يعهد ذلك في الإسلام إلا مرة واحدة في دولة الفاطميين ولم يبق منه إلا شيء يسير واشتد الغلاء والوباء بمصر فهرب الناس إلى المغرب والحجاز واليمن والشام وتفرقوا وتمزقوا كل ممزق.

قال أبو المظفر: " كان الرجل يذبح ولده الصغير وتساعده أمه على طبخه وشيه وأحرق السلطان جماعة فعلوا ذلك ولم ينتهوا.

وكان الرجل يدعو صديقه وأحب الناس إليه إلى منزله ليضيفه فيذبحه ويأكله وفعلوا بالأطباء كذلك فكانوا يدعونهم ليبصروا المرضى فيقتلونهم ويأكلونهم وفقدت الميتات والجيف من كثرة ما أكلوها وكانوا يختطفون الصبيان من الشوارع فيأكلونهم.

وكفن السلطان في مدة يسيرة مائتي ألف وعشرين ألفًا وامتلأت طرقات المغرب والمشرق والحجاز والشام برمم الناس وصلى إمام جامع الإسكندرية في يوم على سبعمائة جنازة.

وقال العماد الكاتب الأصبهاني: " في سنة سبع وتسعين وخمسمائة: اشتد الغلاء وامتد البلاء وتحققت المجاعة وتفرقت الجماعة وهلك القوي فكيف الضعيف! ونحف السمين فكيف العجيف! وخرج الناس حذر الموت من الديار وتفرق فريق مصر في الأمصار ولقد رأيت الأرامل على الرمال والجمال باركة تحت الأحمال ومراكب الفرنج واقفة بساحل البحر على اللقم تسترق الجياع باللقم ".

انتهى.

قال: وجاءت في شعبان زلزلة هائلة من الصعيد هدمت بنيان مصر فمات تحت الهدم خلق كثير ثم امتدت إلى الشام والساحل فهدمت مدينة نابلس فلم تبق فيها جدارًا قائمًا إلا حارة السمرة ومات تحت الهدم ثلاثون ألفًا وهدمت عكا وصور وجميع قلاع الساحل وامتدت إلى دمشق فرمت بعض المنارة الشرقية بجامع دمشق وأكثر الكلاسة والبيمارستان النوري وعامة دور دمشق إلا القليل فهرب الناس إلى الميادين وسقط من الجامع ست عشرة شرفة وتشققت قبة النسر " انتهى كلام صاحب المرآة باختصار فإنه أمعن وذكر أشياء مهولة من هذا النموذج.

وفيها توفي عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن عبد الله بن حماد بن أحمد بن محمد بن جعفر الجوزي بن عبد الله بن القاسم بن النضر بن القاسم بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق أبو الفرج بن أبي قحافة الشيخ الإمام الحافظ الواعظ المفسر العلامة جمال الدين أبو الفرج القرشي التيمي البكري البغدادي الحنبلي المعروف بابن الجوزي صاحب التصانيف المشهورة في أنواع العلوم: كالتفسير والحديث والفقه والوعظ والزهد والتاريخ والطب وغير ذلك.

مولده ببغداد سنة عشر وخمسمائة تقريبًا بدرب حبيب.

وتوفي أبوه وله ثلاث سنين.

قلت: وفضل الشيخ جمال الدين وحفظه وغزير علمه أشهر من أن يذكر هنا والمقصود أن وفاته كانت في ليلة الجمعة بين العشاءين في داره بقطفتا ودفن من الغد وكانت جنازته مشهودة وكثر أسف الناس عليه ولم يخلف بعده مثله.

قال ابن خلكان: وبالجملة فكتبه أكثر من أن تعد وكتب بخطه كثيرًا والناس يغالون في ذلك حتى يقولوا إنه جمعت الكراريس التي كتبها وحسبت مدة عمره وقسمت الكراريس على المدة فكان ما خص كل يوم تسع كراريس وهذا شيء عظيم لا يكاد يقبله العقل.

ويقال: إنه جمعت براية أقلامه التي كتب بها حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فحصل منها شيء كثير وأوصى أن يسخن بها الماء الذي يغسل به بعد موته ففعل ذلك فكفت.

انتهى كلام ابن خلكان باختصار.

ومن شعره: وسل عن الوادي وسكانه وانشد فؤادي في ربا المجمع حي كثيب الرمل رمل الحمى وقف وسلم لي على لعلع واسمع حديثًا قد روته الصبا تسنده عن بانة الأجرع وآبك فما في العين من فضله ونب فدتك النفس عن مدمعي وله: رأيت خيال الظل أعظم عبرة لمن كان في أوج الحقيقة راق شخوص وأشكال تمر وتنقضي وتفنى جميعًا والمحرك باق وفيها توفي الأمير بهاء الدين قراقوش ابن عبد الله الأسمي الخادم الخصي المنسوب إليه حارة بهاء الذين بالقاهرة داخل باب الفتوح وهو الذي بنى قلعة الجبل بالقاهرة والسور على مصر والقاهرة والقنطرة التي عند الأهرام وغير ذلك وكان من أكابر الخدام من خدام القصر وقيل إن أصله من خدام العاضد وقيل إنه من خدام أسد الدين شيركوه وهو الأصح.

واتصل بخدمة السلطان صلاح الدين وكان صلاح الذين يثق به ويعول عليه في مهماته.

ولما افتتح عكا من الفرنج سلمها إليه ثم لما استولوا عليها أخذ أسيرًا ففداه صلاح الدين بعشرة آلاف دينار وقيل: بستين ألف دينار.

قال ابن خلكان: " والناس ينسبون إليه أحكامًا عجيبة في ولايته نيابة مصر عن صلاح الدين حتى إن الأسعد بن مماتي له فيه كتاب لطيف سماه: " الفاشوش في أحكام قراقوش ".

وفيه أشياء يبعد وقوع مثلها منه والظاهر أنها موضوعة فإن صلاح الدين كان يعتمد في أحوال المملكة عليه ولولا وثوقه بمعرفته وكفايته ما فوضها إليه.

وكانت وفاته في مستهل رجب.

وفيها توفي محمد بن محمد بن حامد بن محمد بن عبد الله بن علي بن محمود بن هبة الله أبو عبد الله الإمام العلامة عماد الدين الأصبهاني المنشئ المعروف بالعماد الكاتب وبابن أخي العزيز.

ولد بأصبهان سنة تسع عشرة وخمسمائة وبها نشأ.

وقدم بغداد مع أبيه وبها تفقه واشتغل بالأدب وبرع في الإنشاء وخدم الوزير يحيى بن محمد بن هبيرة وكان أحد كتابه.

ثم قدم دمشق أيام نور الدين الشهيد واتصل به وخدمه.

وكان فاضلًا حافظًا لدواوين العرب وله عدة مصنفات منها: " خريدة القصر في شعراء العصر " وغير ذلك وكان القاضي الفاضل يقول: العماد الكاتب كالزناد الوقاد يعني أن النار في باطنه كامنة وظاهره فيه فترة.

وكانت وفاة العماد بدمشق في يوم الاثنين غرة شهر رمضان.

ودفن عند مقابر الصوفية عند المنيبع.

وقيل إن العماد اجتمع بالقاضي الفاضل يومًا في موكب السلطان فسارا جميعًا وقد انتشر الغبار لكثرة الفرسان ما سد الفضاء فتعجبا من ذلك فأنشد العماد في الحال: والجو منه مظلم لكن أنار به السنابك يا دهر لي عبد الرح - - يم فلست أخشى مس نابك ومن شعره: دار غير اللبيب إن كنت ذا لب ولاطفة حين يأتي بحذق فأخو السكير لا يخاطبه الصا - - حي إلى أن يفيق إلا برفق وفيها توفي محمد بن المبارك بن محمد الطهير أبو غالب المصري كان فاضلًا أديبًا.

ولد سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة ومن شعره - رحمه الله تعالى - قوله: تقنع بالقليل وعش عزيزًا خفيف الظهر من كلفٍ وإثم وإلا هي نفسك للبلايا وهم واردٍ في إثرِ هم الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي القاضي أبو المكارم أحمد بن محمد بن محمد التميمي الأصبهاني المعروف بابن اللبان العدل في ذي الحجة.

ومفيد بغداد تميم بن أحمد البندنيجي في جمادى الآخرة أدرك ابن الزاغوني.

والإمام أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي وقد ناهز التسعين.

وأبو محمد عبد المنعم بن محمد المالكي فقيه الأندلس.

والأمير بهاء الدين قراقوش الأسدي الخادم الأبيض.

ومحمد بن أبي زيد الكراني الخباز بأصبهان في شوال وقد كمل المائة.

والعماد الكاتب العلامة محمد بن محمد بن حامد الأصبهاني في شهر رمضان وله سبع وسبعون سنة.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ذراعان سواء.

مبلغ الزيادة خمس عشرة ذراعًا وست عشرة إصبعًا.

السنة الثانية من سلطنة الملك العادل أبي بكر بن أيوب على مصر وهي سنة ثمان وتسعين وخمسمائة: فيها برز العادل المذكور من ديار مصر طالبًا حلب وكان الملك الأفضل بحمص عند شيركوه فجاء إلى العادل فأكرمه العادل وعوضه عن ميافارقين سميساط وسروج ثم سار العادل ونزل على حماة وصالحه الملك الظاهر صاحب حلب وعاد الملك العادل إلى حمص.

وفيها توفي عبد الملك بن زيد بن يس التغلبي الدولعي خطيب دمشق والدولعية: قرية من قرى الموصل.

قدم دمشق واستوطنها وصار خطيبها ودرس بالزاوية الغربية من جامع دمشق وكان منزهًا حسن الأثر حميد الطريقة.

مات في شهر ربيع الأول.

وفيها توفي هبة الله بن الحسن بن المظفر الهمذاني محدث ابن محدث ابن محدث.

إذا الفتى ذم عيشًا في شبيبتِهِ فما يقول إذا عَصْرُ الشباب مَضَى وقد تعوضت عن كل بمشيبِهِ فما وجدت لأيّام الصَبا عِوضًا الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها تُوفّي الملك المُعِز إسماعيل ابن سيف الإسلام أطُغتِكِين صاحب اليمن.

وأبو طاهر بركات بن إبراهيم الخُشُوعِي.

والمحدث حَمّاد بن هبة الله الحَرَّانِي التاجر في ذي الحجة.

وعبد الله بن حمد بن أبي المجد الحَرْبِيَ الإسكاف في المحرم بالمَوْصِل.

وزَيْنُ القضاة أبو بكر عبد الرحمن بن سلطان بن يحيى القُرَشِيّ الزَكَوِي في ذي الحجة سمع من جده.

وأبو الحسن عبد الرحيم بن أبي القاسم عبد الرحمن الشَعَرِي أخو زينب في المحرم.

وخطيب دمشق الضَياء عبد الملك بن زَيْد بن يس الدَّوْلَعِيَ في شهر ربيع الأول وله إحدى وتسعون سنة.

وقاضي القضاة محيي الدين أبو المعالي محمد ابن القاضي الزكِي علي بن محمد القُرَشي وله ثماني وأربعون سنة تُوفي في شعبان.

وأبو القاسم هبَة الله بن عليّ بن مسعود الأنصاري البُوصِيرِي في صفر وله اثنتان وتسعون سنة.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ذراع واحد وأربع عشرة إصبعًا.

مبلغ الزيادة خمس عشرة ذراعًا وثلاث وعشرون إصبعًا.

أبي بكر بن أيّوب على مصر وهي سنة تسع وتسعين وخمسمائة: فيها في ليلة السبت سلخ المحرم ماجت النجوم في السماء شرقًا وغربًا وتطايرت كالجراد المنتشر يمينًا وشمالًا ولم يُرَ هذا إلا عند مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وفي سنة إحدى وأربعين ومائتين وكانت هذه السنة أعظم.

وفيها تُوفي إبراهيم بن أحمد بن محمد أبو إسحاق الموفق الفقيه بن الصقال الحنبلي.

وُلد سنة خمس وعشرين وخمسمائة.

وتفقّه على أبي يَعْلَى الفَراء وسمع الحديث الكثير وكان شيخًا ظريفًا صالحًا زاهدًا.

مات في ذي الحجّة ودُفِن بباب حَرْب ببغداد.

وفيها تُوُفَيت زمرّد خاتون أمّ الخليفة الناصر لدين الله العباسِي ببغداد.

كانت صالحة كثيرة البِر والصدقات وحجت مرّة فأنْفَقَت ثلاثمائة ألف دينار وكان معها نحو ألفي جمل وتصدّقت على أهل الحرمين وأصلحت البِرَك والمصانع وعمرت التُّربة عند قبر معروف الكَرْخِي والمدرسة إلى جانبها.

وماتت في جُمادى الأولى.

وفيها تُوفي علي بن الحسن بن إسماعيل أبو الحسن العَبْدي من عبد القَيْس كان فاضلًا بارعًا في الأدب وغيره وله شعر جيّد من ذلك قوله - رحمه اللّه تعالى -: قد أنزل الله تعالى: ولا تُلْقُوا بأيديكم إلى التَهْلُكَه وفيها تُوفي القاسم بن يحيى بن عبد الله بن القاسم أبو الفضائل ضياء الدين الشَهْرُزورِيّ وهو ابن أخي القاضي كمال الدين محمد الشَهْرُزُوري.

كان فقيهًا فاضلًا جَوَادًا كريمًا أديبًا شاعرًا.

ومن شعره أوّل قصيدة: في كل يوم ترى للبين آثار وما له في التئام الشمل آثار يسطو علينا بتفريق فواعجبا هل كان للبين فيما بيننا ثار وفيها توفي يحيى بن طاهر بن محمد أبو زكرياء الواعظ ويعرف بابن النجار البغدادي.

كان فاضلًا فصيحًا.

وكان ينشد في مجلسه - رحمه الله تعالى -: عاشر من الناس من تبقى مودته فأكثر الناس جمع غير مؤتلف منهم صديق بلا قاف ومعرفة بغير فاءٍ وإخوان بلا ألف الذين ذكر الذهبي وفاتهم في السنة قال: وفيها توفي أبو القاسم عبد الرحمن بن مكي بن حمزة بن موقا الأنصاري الإسكندراني التاجر في شهر ربيع الآخر وله أربع وتسعون سنة.

وزين الدين أبو الحسن علي بن إبراهيم بن نجا الدمشقي الحنبلي الواعظ بمصر في رمضان وله إحدى وتسعون سنة وأبو الحسن علي بن حمزة بن علي بن طلحة البغدادي الكاتب بمصر في شعبان.

وسلطان غزنة غياث الدين.

وقاضي القضاة ضياء الدين القاسم بن يحيى بن عبد الله بن القاسم الشهرزوري الشافعي وله خمس وستون سنة ولي القضاء بدمشق بعد عمه ثم استعفى لأمر ما ثم بعد مدة ولي قضاء العراق ثم استعفى وخاف العواقب ثم سكن حماة وولي قضاءها وبها مات في رجب.

والزاهد أبو عبد الله محمد بن أحمد القرشي الهاشمي الأندلسي ببيت المقدس.

والشهاب أبو الفضل محمد بن يوسف الغزنوي الحنفي المقرئ بمصر.

وأبو طاهر المبارك بن المبارك بن هبة الله بن المعطوش في جمادى الأولى عن اثنتين وتسعين سنة ببغداد.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ذراعان وست وعشرون إصبعًا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا.

السنة الرابعة من سلطنة الملك العادل أبي بكر بن أيوب على مصر وهي سنة ستمائة: فيها وصل إلى بغداد أبو الفتح بن أبي نصر الغزنوي رسولًا من صاحب غزنة وجلس بباب بدر وقال: هنيئًا لكم يا أهل بغداد أنتم تحظون بأمير المؤمنين ونحن محرومون! وأنشد - رحمه الله -: أفيضوا علينا من الماء فيضًا فنحن عطاش وأنتم ورود وفيها توفي الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور أبو محمد المقدسي.

ولد بجماعيل وهي قرية من أعمال نابلس في شهر ربيع الآخر سنة إحدى وأربعين وخمسمائة وكان أكبر من الشيخ موفق الدين بأربعة أشهر وهما ابنا خالة.

وكان إمامًا حافظًا متقنًا مصنفًا ثقة سمع الكثير ورحل إلى البلاد وكتب الكثير وهو أحد أكابر أهل الحديث وأعيان حفاظهم ووقع له محن ذكرها صاحب مرآة الزمان ونجاه الله منها.

ومات في يوم الاثنين ثالث عشرين شهر ربيع الأول ودفن بالقرافة عند الشيخ أبي عمرو بن مرزوق وكان إمامًا عابدًا زاهدًا ورعًا.

قال تاج الدين الكندي: هو أعلم من الدارقطني والحافظ أبي موسى.

قال أبو المظفر: وفي هذه السنة سافرت من بغداد إلى الشام وهي أول رحلتي فاجتزت بدقوقًا وجلست بها يعني للموعظة ثم قدمت إربل واجتمعت بمحيي الدين الساعاتي وأنشدني مقطعات لغيره.

منها - رحمه الله -: رحمت أسود هذا الخال حين بدا في جمرة الخد مرميًا بأبصار كأنه بعض عباد المجوس وقد ألقى بمهجته في لجة النار الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي منتخب الدين أبو الفتح أسعد بن أبي الفضائل محمود بن خلف العجلي الأصبهاني شيخ الشافعية ببلده في صفر وله خمس وثمانون سنة.

وأبو سعد عبد الله بن عمر بن أحمد النيسابوري الصفار في رمضان وله اثنتان وتسعون سنة.

والحافظ تقي الدين عبد الغني بن عبد الواحد بن علي الجماعيلي المقدسي في شهر ربيع الأول وله تسع وخمسون سنة وفاطمة بنت سعد الخير الأنصارية في شهر ربيع الأول ولها ثمان وسبعون سنة.

وبهاء الدين أبو محمد القاسم ابن الحافظ علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر في صفر وله ثلاث وسبعون سنة.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ثلاث أذرع وست أصابع.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا وإحدى وعشرون إصبعًا.

السنة الخامسة من سلطنة الملك العادل أبي بكر بن أيوب على مصر وهي سنة إحدى وستمائة: فيها جاءت الفرنج حماة بغتة وأخذوا النساء الغسالات من باب البلد على العاصي وخرج إليهم الملك المنصور بن تقي الدين وقاتلهم وثبت وأبلى بلاء حسنًا وكسر الفرنج عسكره فوقف على الساقة ولولا وقوفه ما أبقوا من المسلمين أحدًا.

وفيها حج بالناس من العراق وجه السبع ومن الشام صارم الدين برغش العادلي وزين الدين قراجا صاحب صرخد.

وفيها توفي عبد المنعم بن علي بن نصر بن الصيقلي أبو محمد نجم الدين الحراني قدم بغداد وتفقه بها وسمع الحديث ثم عاد إلى حران ووعظ بها وحصل له القبول التام ثم عاد إلى بغداد واستوطنها.

قال أبو المظفر سبط ابن الجوزي في تاريخه: سمعته ينشد: وأشتاقكم يا أهل ودي وبيننا كما زعم البين المشت فراسخ فأما الكرى عن ناظري فمشرد وأما هواكم في فؤادي فراسخ وفيها توفي محمد بن سعد الله بن نصر أبو نصر بن الدجاجي الواعظ الحنبلي.

ولد سنة أربع وعشرين وخمسمائة ومات في شهر ربيع الأول ودفن بباب حرب.

ومن شعره - رحمه الله -: نفس الفتى إن أصلحت أحوالها كان إلى نيل التقى أحوى لها وإن تراها سددت أقوالها كان على حمل العلا أقوى لها وفيها توفي ملك خلاط سيف الدين بكتمر.

كان من أحسن الشباب ولم يبلغ عشرين سنة من الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي المحدث أحمد بن سليمان الحربي الملقب بالسكر.

وأبو الفضل محمد بن الحسين بن الخصيب بدمشق.

ويوسف بن المبارك بن كامل الخفاف.

وعبد الله بن عبد الرحمن بن أيوب الحربي البقلي.

وشميم الحلي أبو الحسن علي بن الحسن بن عنتر الأديب.

ومحمد بن أحمد بن حامد - أبو عبد الله الارتاحي الحنبلي بمصر وله بضع وتسعون سنة.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربع أذرع وست أصابع.

مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعًا وثماني أصابع.

السنة السادسة من سلطنة الملك العادل أبي بكر بن أيوب على مصر وهي سنة اثنتين وستمائة: فيها توجه ناصر الدين صاحب ماردين إلى خلاط بمكاتبة أهلها وملكها فجاء الملك الأشرف موسى شاه أرمن ابن الملك العادل هذا فنزل على دنيسر وأقطع بلاد ماردين فلما بلغ ذلك ناصر الدين عاد إلى ماردين بعد أن غرم مائة ألف دينار ولم تسلم له خلاط.

وليها أغار ابن لاون على حلب وأخذ الجشار من نواحي حارم فبعث إليه الملك الظاهر غازي ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب - وهو يوم ذاك صاحب حلب - فارس الدين ميمونا القصري وأيبك فطيس والأمير حسام الدين بن أمير تركمان فتقاتلا قتالًا شديدًا وكان ميمون تقدم ولولاهما لأخذ ميمون فلما بلغ ذلك الملك الظاهر خرج من حلب ونزل مرج دابق ثم جاء إلى حارم فهرب ابن لاون إلى بلاده.

وكان ابن لاون قد بنى قلعة فوق دربساك فأخذها الظاهر وأخربها ثم عاد الملك الظاهر إلى حلب.

وفيها حج بالناس من العراق وجه السبع ومن الشام الشجاع علي بن السلار.

وفيها توفي الأمير طاشتكين بن عبد الله المقتفوي مجير الدين أمير الحاج حج بالناس سنًا وعشرين حجة وكان يسير في طريق الحج مثل الملوك.

شكاه ابن يونس االوزير إلى الخليفة أنه يكاتب السلطان صلاح الدين صاحب مصر وزور عليه كتابة فحبسه الخليفة مدة ثم تبين له أنه بريء فأطلقه وأعطاه خوزستان ثم أعاده إلى إمرة الحاج وكانت الحلة إقطاعه.

وكان شجاعًا جوادًا سمحًا قليل الكلام يمضي عليه الأسبوع ولا يتكلم.

استغاث إليه رجل يومًا فلم يكلمه فقال الرجل: الله كلم موسى فقال: وأنت موسى! فقال الرجل: وأنت الله! فقضى حاجته.

وكان حليمًا.

التقاه رجل فاستغاث إليه من نوابه فلم يجبه فقال الرجل: أنت حمار وأمير على البلاد مولى لا يجيب الشاكي بغير السكوت كلما زاد رفعة حطنا الل - - ه بتغفيله إلى البهموت إملائي وفيها توفي مسعود بن سعد الدين صاحب صفد.

وأخوه بدر الدين ممدود شحنة دمشق وهما ابنا الحاجب مبارك بن عبد الله وأمهما أم فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب ففرخشاه أخوهما لأمهما وأختهما لأمهما أيضًا الست عذراء صاحبة المدرسة العذراوية المجاورة لقلعة دمشق.

وكانا أميرين كبيرين أعني ممدودًا ومسعودًا صاحبي الترجمة ولهما مواقف مع السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وتقدمت وفاة ممدود على أخيه مسعود فإنه مات بصفد في يوم الأحد خامس شهر رمضان من هذه السنة.

وتوفي مسعود هذا بصفد في يوم الاثنين خامس شوال - رحمهما الله تعالى -.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي سلطان غزنة شهاب الدين أبو المظفر محمد بن سام الغوري قتلته الباطنية.

وأبو علي ضياء الدين بن أبي القاسم أحمد بن الحسن بن علي بن الخريف.

والمفتي أبو المفاخر خلف بن أحمد الأصبهاني الفراء وله أربع وثمانون سنة.

وأبو يعلى حمزة بن علي بن حمزة بن فارس بن القبيطي قرأ القرآن على سبط الخياط وجماعة.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم سبع أذرع وأربع عشرة إصبعًا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا وست عشرة إصبعًا.

السنة السابعة من سلطنة الملك العادل أبي بكر بن أيوب على مصر وهي سنة ثلاث وستمائة: فيها فارق وجه السبع الحاج وقصد الشام مغضبًا وكان في الحج جماعة من الأعيان فبكوا وسألوه العود معهم على العادة فقال: مولاي أمير المؤمنين محسن إلي وما أشكو إلا من الوزير ابن مهدي وما عن التوجه بد ففارقهم وسار إلى الشام فتلقاه الملك العادل صاحب الترجمة وأولاده وأحسن العادل إليه وأكرم نزله.

وحزن الخليفة على فراقه.

وفيها ولى الخليفة عماد الدين أبا القاسم عبد الله بن الدامغاني الحنفي قاضي قضاة بغداد.

وفيها قبض الخليفة على عبد السلام بن عبد الوهاب بن الشيخ عبد القادر الجيلي واستأصله حتى احتاج إلى الطلب من الناس.

وفيها نزلت الفرنج على حمص وكان الملك الظاهر غازي صاحب حلب قد بعث المبارز يوسف بن خطلخ الحلبي إليها نجدة لأسد الدين صاحبها وحصل القتال بينهم وبين الفرنج وأسر الصمصام بن العلائي وخادم صاحب حمص.

ورجع الفرنج إلى بلادهم.

وفيها توفي عبد الرزاق ابن الشيخ عبد القادر الجيلي المعروف بالكيلاني - رضي الله عنه - وكان عبد الرزاق هذا زاهدًا ورعًا عابدًا مقتنعًا من الدنيا باليسير صالحًا ثقة لم يدخل في الدنيا كما دخل فيها غيره من إخوته.

وكان مولده سنة ثمان وعشرين وخمسمائة ومات في شوال ببغداد ودفن بباب حرب.

وفيها توفي أبو القاسم أحمد ابن المقرئ صاحب ديوان الخليفة ببغداد كان شابًا حسنًا يعاشر ابن الأمير أصبه وكان ابن أصبه شابًا جميلًا جلسا يومًا فداعب ابن المقرئ ابن أصبه فرماه بسكين صغيرة فوقعت في فؤاده فقتلته فسلم الخليفة ابن المقرئ إلى أولاد أصبه فلما خرجوا به ليقتلوه أنشد: قدمت على الإله بغير زادٍ من الأعمال بالقلب السليم وسوء الظن أن تعتد زادًا إذا كان القدوم على كريم فقتلوه - رحمه الله تعالى -.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي أبو جعفر محمد بن أحمد بن نصر الصيدلاني وله أربع وتسعون سنة.

وأبو عبد الله محمد بن معمر بن عبد الواحد بن رجاء بن الفاخر القرشي.

وأبو بكر عبد الرزاق بن عبد القادر بن أبي صالح الجيلي الحافظ في شوال وله خمس وسبعون سنة.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمس أذرع سواء.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا وأربع أصابع.

السنة الثامنة من سلطنة الملك العادل أبي بكر بن أيوب على مصر وهي سنة أربع وستمائة.

فيها ملك الأوحد ابن الملك العادل صاحب الترجمة خلاط بمكاتبة أهلها بعد قتل ابن بكتمر والهزار ديناري المقدم ذكرهما وكانت بنت بكتمر مع صاحب أرزن الروم - فقالت بعد قتل أخيها -: لا أرضى حتى تقتل قاتل أخي وهو الهزار ديناري وتأخذ بثأره فسار صاحب أرزن إلى خلاط وخرج الهزار ديناري للقائه فضربه صاحب أرزن فأبان رأسه وعاد إلى أرزن الروم.

وبقيت خلاط بغير ملك وكان الأوحد ابن العادل صاحب ميافارقين فكاتبوه وفيها حج بالناس من العراق ياقوت.

وفيها توفي محمود بن هبة الله بن أبي القاسم الحلبي أبو الثناء البزاز.

كان فاضلًا قرأ القرآن وسمع الحديث على إسماعيل بن موهوب بن الجواليقي وحكى عنه قال: كنت في حلقة والدي بجامع القصر فوقف عليه شاب وقال: ما معنى قول القائل: وصل الحبيب جنان الخلد أسكنها وهجره النار يصليني به النارا فالشمس بالقوس أضحت وهي نازلة إن لم يزرني وبالجوزاء إن زارا فقال له والحي: يا بني هذا شيء يتعلق بعلم النجوم لا بعلم الأدب.

ثم قام والحي وآلى نفسه إلا يعود إلى مكانه حتى ينظر في علم النجوم ويعرف مسير الشمس والقمر فنظر فيه وعلمه.

ومعنى الشعر: أن الشمس إذا نزلت القوس يكون الليل في غاية الطول وإذا كانت في الجوزاء كان في غاية القصر.

قلت: ومحصول البيتين: أنه إذا لم يزره محبوبه كان الليل عليه أطول الليالي وإذا زاره كان عليه أقصر الليالي فقصد القوس للطول والجوزاء للقصر.

وهذا يشبه قول القائل وقد تقدم ذلك في غير هذا المحل من هذا الكتاب: ليلي وليلى نفى نومي اختلافهما بالطول يا طوبى لو اعتدلا ومثل هذا قول شرف الدين أحمد بن نصر بن كامل - وقيل هما لغيره -: عهدي بهم ورداء الوصل يجمعنا والليل أطوله كاللمح بالبصر فاليوم ليلي مذ غابوا فديتهم ليل الضرير فصبحي غير منتظر ويعجبني قول من قال - وهو قريب من هذا المعنى إن لم يكن هو بعينه -: هجم السهاد على عيوني في الدجى سرق الرقاد ودمع عيني سافح وغدا يسامح للدجى في بيعه واللص كيف يبيع فهو الرابح وقد استوعبنا هذا النوع أعني ما قيل في طول الليل وقصره في كتابنا المسمى: ب " حلية الصفات في الأسماء والصناعات " فلينظر هناك في حرف الطاء المهملة.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي حنبل بن عبد الله ابن الفرج بن سعادة أبو علي الرصافي المكبر الدلال في المحرم.

وعبد المجيب بن عبد الله بن زهير الحربي بحماة.

وأبو الفضل عبد الواحد بن عبد السلام بن سلطان المقرئ.

وست الكتبة نعمة بنت علي بن يحيى بن محمد بن الطراح بدمشق.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمس أذرع وسبع أصابع.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا سواء.

أبي بكر بن أيوب على مصر وهي سنة خمس وستمائة.

فيها زلزلت نيسابور زلزلة عظيمة دامت عشرة أيام فمات تحت الردم خلق كثير.

وفيها اتفق الفرنج من طرابلس وحصن الأكراد على الإغارة على أعمال حمص فتوجهوا إليها وحاصروها فعجز صاحب حمص أسد الدين شيركوه عنهم ونجده ابن عمه الملك الظاهر غازي صاحب حلب فعاد الفرنج إلى طرابلس.

وبلغ السلطان الملك العادل صاحب الترجمة فخرج إليهم من مصر بالجيوش وقصد وعكا فصالحه صاحبها فسار حتى نزل على بحيرة حمص وأغار على بلاد طرابلس وأخذ من أعمالها حصنًا صغيرًا.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي قاضي القضاة صدر الدين أبو القاسم عبد الملك بن عيسى بن درباس بمصر عن تسع وثمانين سنة.

والقاضي أبو الفتح محمد بن أحمد بن بختيار بواسط في شعبان وله ثمان وثمانون سنة.

وأبو الجود غياث بن فارس اللخمي مقرئ ديار مصر.

وأبو بكر محمد بن المبارك ابن مشق محدث بغداد وله اثنتان وسبعون سنة.

والحسين بن أبي نصر بن الحسين بن هبة الله بن أبى حنيفة بن القارص الحريمي الضرير آخر من روى شيئًا عن المسند توفي في شعبان.

وخطيب القدس علي بن محمد بن أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمس أذرع وعشرون إصبعًا.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا واثنتا عشرة إصبعًا.

السنة العاشرة من سلطنة الملك العادل أبي بكر بن أيوب على مصر

وهي سنة ست وستمائة.

فيها توفي الحسن بن أحمد بن محمد بن حكينا من أهل الحرم الطاهري كان فاضلًا رئيسًا شاعرًا.

ومن شعره: قد بان لي عذر الكرام وصدهم عن أكثر الشعراء ليس بعار لم يسأموا بذل النوال وإنما جمد الندى لبرودة الأشعار وفيها توفي محمد بن عمر بن الحسين العلامة أبو المعالي فخر الدين الرازي المتكلم صاحب التصانيف في علم الكلام والمنطق والتفسير.

كان إمامًا بارعًا في فنون من العلوم صنف " التفسير " و " المحصل " و " الأربعين " و " نهاية العقول " وغير ذلك.

قال صاحب المرآة: " واختص بكتب ابن سينا في المنطق وشرحها وكان يعظ وينال من الكرامية وينالون منه ويكفرهم ويكفرونه وقيل: إنهم دسوا عليه من سقاه السم فمات ففرحوا بموته وكانوا يرمونه بالكبائر وكانت وفاته في ذي الحجة.

ثم ذكر عنه صاحب المرآة أشياء الأليق الإضراب عنها والسكات عن ذكرها ".

وفيها توفي المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم أبو السعادات مجد الدين بن الأثير الموصلي الجزري الكاتب ولد سنة أربعين وخمسمائة بجزيرة ابن عمر ثم انتقل إلى الموصل وكتب لأمرائها وكانوا يحترمونه وكان عندهم بمنزلة الوزير الناصح إلا أنه كان منقطعًا إلى العلم قليل الملازمة لهم.

صنف الكتب الحسان منها: " جامع الأصول في أحاديث الرسول " جمع فيه بين الصحاح الستة.

وكتاب " النهاية في غريب الحديث " في خمسة مجلدات.

وكتاب " الإنصاف في الجمع بين الكشف والكشاف " في تفسير القرآن أخذه من تفسير الثعلبي والزمخشري وله كتاب " المصطفى والمختار في الأدعية والأذكار " وله كتاب لطيف في صناعة الكتابة وكتاب " البديع في شرح الفصول في النحو لابن الدهان " وله " ديوان رسائل " وكتاب " الشافي في شرح مسند الإمام الشافعي " - رضي الله عنه -.

ومن شعره - رحمه الله - ما أنشده لصاحب الموصل وقد زلت به بغلته وألقته إلى الأرض: إن زلت البغلة من تحته فإن في زلتها عذرا وكانت وفاته بالموصل في يوم الخميس سلخ ذي الحجة ودفن برباطه بحرب دراج وهو أخو أبي الحسن علي بن الجزري الكاتب.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي القاضي وجيه الدين أسعد بن المنجا التنوخي في المحرم وله سبع وثمانون سنة.

وأبو مسلم المؤيد هشام بن عبد الرحيم ابن أحمد بن محمد بن الإخوة العدل بأصبهان في جمادى الآخرة.

وأبو عبد الله محمود بن أحمد المضري الأصبهاني إمام جامع أصبهان عن تسع وثمانين سنة.

وأبو القاسم إدريس بن محمد العطار بأصبهان وله نحو مائة سنة.

وفخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين الرازي المصنف ابن خطيب الري يوم عيد الفطر وله اثنتان وستون سنة.

ومجد الدين يحيى بن الربيع الواسطي مدرس النظامية عن ثمان وسبعين سنة.

ومجد الدين أبو السعادات المبارك بن الأثير الجزري الكاتب صاحب " جامع الأصول " و " النهاية " في سلخ العام وله ثلاث وستون سنة.

وأم هانئ عفيفة بنت أحمد الفارفانية مسندة أصبهان ولها ست وتسعون سنة.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمس أذرع وعشرون إصبعًا.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا وست عشرة إصبعًا.

أبي بكر بن أيوب على مصر وهي سنة سبع وستمائة.

فيها حج بالناس من الشام سيف الدين علي بن علم الدين سليمان بن جندر.

وفيها توفي أرسلان شاه بن عز الدين مسعود الأمير نور الدين الأتابك صاحب الموصل كان متكبرًا جبارًا بخيلًا فاتكًا سفاكًا للدماء حبس أخاه عماد الدين سنين حتى مات في حبسه وولى الموصل لرجل ظالم يقال له السراج فأهلك الحرث والنسل وكانت وفاة أرسلان هذا في صفر.

وخلف ولدين: القاهر مسعودًا وزنكي وأوصى إلى بدر الدين لؤلؤ أن يكون مسعود السلطان ويكون زنكي في شهرزور.

وفيها توفي عبد الوهاب بن علي الشيخ أبو محمد الصوفي ضياء الدين المعروف بابن سكينة سبط شيخ الشيوخ إسماعيل بن أحمد النيسابوري.

وكان فاضلًا محدثًا عابدًا زاهدًا وكان ينشد لمحمد الفارقي - رحمه اله -: تحمل أخاك على خلقه فما في استقامته مطمع وأنى له خلق واحد وفيه طبائعه الأربع وفيها توفي عمر بن محمد بن معمر بن أحمد بن يحيى بن حسان المسند الكبير رحلة الآفاق أبو حفص بن أبي بكر البغدادي الدارقزي المؤدب المعروف بابن طبرزد والطبرزد: هو السكر.

ولد في ذي الحجة سنة ست عشرة وخمسمائة وسمع الكثير بإفادة أخيه المحدث أبي البقاء محمد ثم بنفسه وحصل الأصول وحفظها إلى وقت الحاجة إليه فلما كبرت سنه حدث بالكثير وصار رحلة الزمان إلى أن مات في تاسع شهر رجب ببغداد ودفن بباب حرب.

وفيها توفي محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة بن مقدام الإمام القدوة الزاهد أبو عمر المقدسي الجماعيلي.

قال ابن أخته الحافظ ضياء الدين: مولده في سنة ثماني وعشرين وخمسمائة بجماعيل وسمع الكثير بدمشق من والده وخلق كثير سواه وروى عنه أخوه الشيخ الموفق وولداه شرف الدين عبد الله وشمس الدين عبد الرحمن وجماعة كثيرة وكان إمامًا عالمًا زاهدًا ورعًا متقنًا متعبدًا قال أبو المظفر: وكان معتدل القامة حسن الوجه عليه أنوار العبادة لا يزال مبتسمًا نحيل الجسم من كثرة الصيام والقيام.

ثم قال - بعد كلام طويل وبعد أن أورد أشعارًا كثيرة -: وأنشدني لغيره: لي حيلة فيمن ينم وليس في الكذاب حيله من كان يخلق ما يقو - - ل فحيلتي فيه قليله وفيها توفي

الوجيه بن النوري المصري الفقيه المقرئ الحنفي إمام مقصورة الحنفية الغربية بجامع ومن عادة السادات أن يتفقدوا أصاغرهم والمكرمات مصايد سليمان ذو ملك تفقد هدهدًا وإن أقل الطائرات الهداهد الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي أبو محمد جعفر بن محمد ابن أبي محمد بن آموسان الأصبهاني بعد حجه بالمدينة في المحرم وله خمس وسبعون سنة.

وأبو محمد عبد الوهاب ابن الأمين علي بن سكينة الصوفي مسند العراق وشيخها وله ثمان وثمانون سنة.

مات في شهر ربيع الآخر.

والشيخ أبو عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة الزاهد شيخ المقادسة في شهر ربيع الآخر وله تسع وسبعون سنة.

وعائشة بنت معمر بن الفاخر عن بضع وثمانين سنة.

وأبو الفرج محمد بن هبة الله بن كامل الوكيل ببغداد عن خمس وثمانين سنة.

وأبو حفص عمر بن محمد بن معمر بن طبرزد عن إحدى وتسعين سنة كلاهما في رجب.

وأبو المجد زاهر بن أحمد بن أبي غانم الثقفي الأصبهاني وقد قارب التسعين في ذي القعدة.

وأسعد بن سعيد بن محمود بن محمد بن أحمد بن جعفر بن روح التاجر بأصبهان في ذي الحجة وله تسعون سنة وختم به حديث الطبراني في الدنيا.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم لم يوجد له قاع في هذه السنة.

مبلغ الزيادة خمس عشرة ذراعًا وأربع أصابع بعد السنة الثانية عشرة من سلطنة الملك العادل أبي بكر بن أيوب على مصر وهي سنة ثمان وستمائة.

فيها قدم بغداد رسول جلال الدين حسن صاحب الموت يخبر الخليفة بأنهم تبرؤوا من الباطنية وبنوا الجوامع والمساجد وأقيمت الجمعة والجماعات عندهم وصلوا التراويح في شهر رمضان فسر الخليفة والناس بذلك.

وقدمت الخاتون أم جلال الدين حاجة واحتفل بها الخليفة وجهز لها ما يليق بها.

وفيها بعث الخليفة الناصر لدين الله خاتمه للأمير وجه السبع بالشام وقد تقدم ذكره فيما مضى فتوجه وجه السبع إلى الخليفة ومعه رسول الملك العادل صاحب الترجمة فأكرم الخليفة وجه السبع وأعطاه الكوفة إقطاعًا.

وفيها توفي عبد الواحد بن عبد الوهاب بن علي بن سكينة ويلقب بالمعين.

ولد سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة وسافر إلى الشام في أيام الأفضل وبسط لسانه في الدولة ثم عاد إلى بغداد بأمان من الخليفة وولي مشيخة الشيوخ.

ومات غريقًا في البحر وكان سمع ولم أخضب مشيبي وهو زين لإيثاري جهالات الشباب ولكن كي يراني من أعادي فأرهبه بوثبات التصابي وفيها توفي مظفر الماسكي البغدادي كان ظريفًا أديبًا وكان يقول من الشعر " كان وكان " وغيره.

ومن شعره في " كان وكان " قوله: ذي زوجها ما شطها وكل من جا حفها قصده يرى النقش عنده في كفها ألوان إن شندرت فلوجهه تصيب قبل كفوفها ما صح ذاك النشادر إلا من الدخان الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي أبو المعالي محمد ابن صالح آخر من حدث عن الميورقي.

ويحيى بن البناء وله تسعون سنة.

وأبو الفتح منصور بن عبد المنعم بن عبد الله بن محمد الفراوي العدل بنيسابور وله ست وثمانون سنة في شعبان.

والقاضي أبو القاسم هبة الله بن جعفر بن سناء الملك بمصر.

وأبو عبد الله محمد بن أيوب بن محمد بن وهب بن محمد بن وهب بن نوح الغافقي ببلنسية وله ثمان وسبعون سنة.

والخضر بن كامل ابن سالم بن سبيع الدلال بدمشق.

وأبو العباس أحمد بن الحسن بن أبي البقاء العاقولي في ذي الحجة ببغداد.

أمر النيل في هذه السنة: السنة الثالثة عشرة من سلطنة الملك العادل أبي بكر بن أيوب على مصر وهي سنة تسع وستمائة.

فيها اجتمع الملك العادل المذكور وأولاده: الكامل والفائز والمعظم على دمياط لقتال الفرنج وكان الأمير أسامة بالقاهرة فاتهم بمكاتبة الملك الظاهر غازي صاحب حلب ووجدوا كتبًا إليه وأجوبة فخرج أسامة المذكور من القاهرة كأنه يتصيد وساق إلى الشام في مماليكه يطلب قلعة كوكب وعجلون.

وكان ذلك في يوم الاثنين سلخ جمادى الآخرة.

فأرسل والي بلبيس الحمام إلى دمياط بالخبر فقال العادل: من ساق خلفه فله أمواله وقلاعه فقال ولده الملك المعظم عيسى: أنا وركب من دمياط يوم الثلاثاء غرة رجب.

قال أبو المظفر سبط ابن الجوزي: وكنت معه فقال لي: أنا أريد أن أسوق فابق أنت مع قماشي ودفع لي بغلة وساق ومعه نفر يسير وعلى يده حصان فكان صباح يوم الجمعة بغزة ساق مسيرة ثمانية أيام في ثلاثة أيام فسبق أسامة.

وأما أسامة فتقطع عنه مماليكه وبقي وحده وكان به مرض النقرس يعني بأسامة فجاء إلى بلد الداروم وكان المعظم أمسك عليه من البحر إلى الزرقاء فرآه بعض الصيادين في برية الداروم فعرفه فقال له: انزل فقال: هذه ألف دينار وأوصلني إلى الشام فأخذها الصياد وجاء إلى رفاقه فأخذوه على طريق الخليل ليحملوه إلى عجلون فدخلوا به إلى القدس في يوم الأحد في سادس رجب بعد وصول المعظم بثلاثة أيام فتسلمه المعظم وأنزله بصهيون وبعث إليه بثياب وطعام ولاطفه وقال له: أنت شيخ كبير وبك نقرس وما

تصلح لك قلعة سلم إلي كوكب وعجلون وأنا أحلف لك على مالك وجميع أسبابك وتعيش بيننا مثل الوالد.

فامتنع وشتم المعظم فبعث به المعظم إلى الكرك فاعتقله بها واستولى على قلاعه وأمواله وذخائره فكان قيمة ما أخذ منه ألف ألف دينار.

وفيها حج بالناس من العراق حسام الدين بن أبي فراس نيابة عن محمد بن ياقوت وكان معه مال وخلع لقتادة صاحب مكة وحج بالناس من الشام شجاع الدين بن محارب من على أيلة.

وفيها توفي الملك الأوحد نجم الدين أيوب ابن السلطان الملك العادل أبي بكر صاحب الترجمة.

كان صاحب خلاط وغيرها في أيام أبيه الملك العادل وقد تقدم ذكر أخذه خلاط وغيرها وكان قد ابتلى بأمراض مزمنة وكان يتمنى الموت وكان قد استزار أخاه الملك الأشرف موسى من حران فأقام عنده أيامًا واشتد مرضه فطلب الأشرف الرجوع إلى حران لئلا يتخيل منه الأوحد فقال له الأوحد: يا أخي لم تلح في الرواح! والله إني ميت وأنت تأخذ البلاد من بعدي فكان كذلك.

وملك الأشرف بعد موته خلاط وأحبه أهلها.

كل ذلك في حياة أبيهما الملك العادل هذا.

فكانت مدة تملك الأوحد خلاط أقل من خمس سنين ووجد عليه الملك العادل كثيرًا.

وفيها توفي محمود بن عثمان بن مكارم أبو الثناء الحنبلي كان شيخًا زاهدًا عابدًا صاحب رياضات ومجاهدات يصوم الدهر وانتفع بصحبته خلق كثير وكان من الأبدال.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي أبو جعفر أحمد ابن علي الأنصاري الداني الحضار المقرئ ببلنسية استشهد في وقعة العقاب هو وخلق من المسلمين.

وأبو الفرج محمد بن علي بن حمزة بن القبيطي وله نيف وثمانون سنة.

والحافظ أبو نزار ربيعة بن الحسن الحضرمي اليمني بمصر عن اثنتين وثمانين سنة.

وأبو أشجاع زاهر بن رستم المقرئ بمكة.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربع أذرع وعشر أصابع.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا وإحدى عشرة إصبعًا.

السنة الرابعة عشرة من سلطنة الملك العادل أبي بكر بن أيوب على مصر فيها حج بالناس من العراق ابن أبي فراس نيابة عن ابن ياقوت.

وحج بالناس من الشام الغرز صديق بن تمرداش التركماني من على عقبة أيلة بحجاج الكرك والقدس.

وحج في هذه السنة الملك الظافر خضر ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب من على تيماء ومعه حج الشام بإذن عمه السلطان الملك العادل - فيما قيل - فلما بلغ الملك الكامل محمد بن العادل أنه توجه إلى الحجاز خاف على بلاد اليمن منه فوجه إليه عسكرًا من مصر فلحقوه وقالوا له: ارجع فقال: قد بقي بيني وبين مكة مسافة يسيرة والله ما قصدي اليمن وإنما قصدي الحج فقيدوني واحتاطوا بي حتى أقضي المناسك وأعود إلى الشام فلم يلتفتوا لكلامه فأراد أن يقاتلهم فلم يكن له بهم طاقة فرجع إلى الشام ولم يحج.

وفيها توفي الأمير أيدغمش صاحب همذان أرسله الخليفة إلى همذان فسار وانتظر العسكر وطال عليه الأمر فرحل عن همذان.

فالتقاه عسكر منكلي بغا ملك التتار قاتلوه فقتلوه وحملوا رأسه إلى منكلي بغا المذكور.

وكان أميرًا صالحًا كثير الصدقات دينًا صائمًا عادلًا كثير المحاسن - رحمه الله -.

وفيها توفي الوزير الرئيس سعيد بن علي بن أحمد أبو المعالي بن حديدة من ولد قطبة بن عامر بن حديدة الأنصاري الصحابي.

وكان مولده بكرخ سامرا سنة ست وثلاثين وخمسمائة وكان له مال كثير واستوزره الخليفة الناصر لدين الله ووقع له بعد ذلك محن فهرب واختفى إلى أن توفي.

وفيها توفي الأمير سنجر ابن عبد الله الناصري صهر طاشتكين وكان ذليلًا بخيلًا ساقط النفس مع كثرة المال.

وتولى إمرة الحاج سنة تسع وثمانين وخمسمائة فاعترض الحاج رجل بدوي في نفر يسير جدًا وكان مع سنجر هذا خمسمائة نفس فذل وجبن عن ملاقاته وجبى له مالًا من الحج فلما دخل بغداد رسم عليه الخليفة حتى أخذ منه المال ورده إلى أصحابه ثم عزله وأخذ إقطاعه.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي أبو الحسن مهذب الدين علي بن أحمد بن علي المعروف بابن هبل البغدادي الطبيب بالموصل.

وأبو عبد الله الحسين بن سعيد بن الحسين بن شنيف الدارقزي الأمين ببغداد كلاهما في المحرم.

وأم النور عين الشمس بنت أحمد بن أبي الذر الثقفية ولها ست وثمانون سنة.

وأبو مسعود عبد الجليل بن أبي غالب بن أبي المعالي بن محمد بن الحسين بن مندويه الصوفي بدمشق عن ثمانٍ وثمانين سنة وإنما سمع في كبره.

وتاج الأمناء أحمد بن محمد بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي.

والفخر إسماعيل بن علي الحنبلي المتكلم غلام بن المني.

الماء القديم أربع أذرع وعشر أصابع.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا وإصبع واحدة.

السنة الخامسة عشرة من سلطنة الملك العادل أبي بكر بن أيوب على مصر وهي سنة إحدى عشرة وستمائة: قلت: وفي مدة هذه السنين كلها كان صاحب مصر ولده الكامل محمد بن العادل والملك العادل يتنقل في البلاد غير أنه هو الأصل في السلطنة وعليه المعول ولا تحسب سلطنة الكامل على مصر إلا بعد موت أبيه العادل هذا.

كما سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى.

فيها ملك اليمن أضسيس بن الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبي بكر صاحب الترجمة.

ولقب أضسيس المذكور بالملك المسعود والعامة يسمونه " أقسيس " وغلب عليه مقالة العامة والصواب ما قلناه لأن والده الملك الكامل ما كان يعيش له ولد فلما ولد له هذا أضسيس قال له بعض الأتراك: في بلادنا إذا كان الإنسان لا يعيش له ولد يسمونه أضسيس.

ومعناه باللغة التركية: ما له اسم فسماه والده الملك الكامل بذلك فلما كبر ثقل على العامة لفظ أضسيس فسفوه " أقسيس ".

انتهى.

وكان أقسيس المذكور شابًا جبارًا فاتكًا قتل باليمن نحو ثمانمائة شريف.

ودخل إلى مكة إلى حاشية الطواف راكبًا.

وقيل إنه كان يسكر وينام بدار على المسعى فتخرج أعوانه تمنع الناس من الصياح والضجيج في المسعى ويقولون: الأمير سكران نائم! لا ترفعوا أصواتكم بالذكر والتلبية! وقتل أقسيس هذا خلقًا كثيرًا من الأكابر والعظماء.

ولو لم يحج عمه الملك المعظم عيسى صاحب دمشق ما قدر أقسيس هذا على أخذ اليمن.

كل ذلك في حياة جده الملك العادل صاحب الترجمة.

وفيها أخذ الملك المعظم عيسى ابن الملك العادل هذا قلعة صرخد من الأمير ابن قراجا وعوضه مالًا وإقطاعًا.

وفيها حج بالناس من العراق ابن أبي فراس بن وزام نائبًا عن محمد بن ياقوت.

وفيها حج الملك المعظم عيسى المقدم ذكره من دمشق وحج معه عدة أمراء من أعيان دمشق وحج على مذهب أبي حنيفة واستمر على المذهب وكلمه والده الملك العادل صاحب الترجمة في العود إلى مذهب الشافعي فلم يقبل وجاوبه بكلام السكات عنه أليق.

وفيها توفي عبد العزيز بن محمود بن المبارك الشيخ أبو محمد البزاز سمع الحديث وأكثر وصنف وكتب وكان فاضلًا دينًا صالحًا.

مات في شوال.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي الحافظ شرف الدين أبو الحسن علي بن المفضل بن علي المقدسي الإسكندراني المالكي وله سبع وستون سنة.

وفقيه بغداد أبو بكر محمد بن معالي بن غنيمة بن الحلاوي الحنبلي وكان من أبناء السبعين.

والحافظ عبد العزيز بن محمود بن المبارك بن محمود بن الأخضر وله سبع وثمانون سنة في شوال.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ثلاث أذرع وأربع عشرة إصبعًا.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا وثماني عشرة إصبعًا.

السنة السادسة عشرة من سلطنة الملك العادل أبي بكر بن أيوب على مصر وهي سنة اثنتي عشرة وستمائة: فيها خرج وجه السبع من بغداد بالعساكر إلى همذان للقاء منكلي مملوك السلطان أزبك خان وكان قد عصى على مولاه وعلى الخليفة وقطع الطريق فكتب الخليفة إلى ابن زين الدين وإلى الملك الظاهر غازي صاحب حلب وإلى الملك العادل هذا يطلب العساكر فجاءته العساكر من كل مكان وتوجه ابن زين الدين مقدم العساكر وجاء أزبك وجلال الدين مقدم الإسماعيلية.

وجمع أيضًا منكلي جموعًا كثيرة والتقوا قريبًا من همذان واقتتلوا قتالًا شديدًا فكانت الدائرة على منكلي وقتل من أصحابه ستة آلاف ونهبوا أثقاله فحال بينهم الفيل فصعد منكلي على جبل وابن زين الدين والعساكر أسفل وأوقد منكلي نارًا عظيمة وهرب في الليل فأصبح الناس وليس لمنكلي أثرة ثم قتل منكلي بعد ذلك.

وأزبك خان هذا هو غير أزبك خان التتري المتأخر.

وفيها أخذ خوارزم شاه محمد بن تكش مدينة غزنة من يلدزتاج الدين مملوك شهاب الدين الغوري بغير قتال.

وفيها أخذ ابن لاون الإفرنجي أنطاكية في يوم الأحد رابع عشرين شوال.

وفيها حج بالناس ابن أبي فراس من العراق نيابة عن محمد بن ياقوت.

وفيها توفي علي ابن الخليفة الناصر لدين الله العباسي وكنيته أبو الحسن.

وكان لقبه أبوه الخليفة بالملك المعظم وكان جليلًا نبيلًا.

مات في ذي القعدة وأخرج تابوته وبين يديه أرباب الدولة.

ومن الاتفاق الغريب أنه يوم الجمعة دخل بغداد رأس منكلي على رمح وزينت بغداد وأظهر الخليفة السرور والفرح ووافق تلك الساعة وفاة ابن الخليفة علي هذا ووقع صراخ عظيم في دار الخلافة فانقلب ذلك الفرح بحزن.

وخرجت المخدرات من خدورهن ونشرن شعورهن.

قال أبو المظفر: " ولطمن وقام النوائح في كل ناحية وعظم حزن الخليفة بحيث إنه امتنع من الطعام والشراب وغلقت الأسواق وغلقت الحمامات وبطل البيع والشراء وجرى ما لم يجر قبله.

وكان الخليفة قد رشحه للخلافة ففعل الله في ملكه ما أراد.

وخلف ولدين: أبا عبد الله الحسين ولقبه جده " المؤيد " ويحيى ولقبه ب " الموفق ".

وفيها توفي المبارك بن المبارك أبو بكر الواسطي النحوي.

ولد سنة أربع وثلاثين وخمسمائة وكان حنبليًا ثم صار حنفيًا ثم صار شافعيًا لأسباب وقعت له وكان قرأ الأدب على ابن الخشاب وغيره وكان أديبًا فاضلًا شاعرًا.

ومن شعره - رحمه الله - قوله: لا خير في الخمر فمن شأنها إفقادها العقل وجلب الجنون أو أن تري الأقبح مستحسنًا وتظهر السر الخفي المصون قلت: ويعجبني قول القائل وهو قريب مما نحن فيه: على قدر عقل المرء في حال صحوه تؤثر فيه الخمر في حال سكره فتأخذ من عقل كبير أقله وتأتي على العقل اليسير بأسره الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي الفقيه سليمان بن محمد بن علي الموصلي في صفر وله أربع وثمانون سنة.

وأبو العباس أحمد بن يحيى بن بركة الدبيقي البزاز في شهر ربيع الأول وله أربع وثمانون سنة أيضًا.

والحافظ عبد القادر ابن عبد الله أبو محمد الرهاوي بحران وله ست وسبعون سنة في جمادى الأولى.

وأبو الفرج يحيى بن ياقوت الفراش في جمادى الآخرة.

والقدوة الزاهد أبو الحسن علي بن الصباغ بن حميد الصعيدي ببلدة قنا.

وأبو الفتوح محمد بن علي الجلاجلي التاجر بالقدس عن إحدى وسبعين سنة.

ومحمد بن أبي المعالي عبد الله بن موهوب الصوفي ابن البناء في ذي القعدة.

وأبو محمد عبد العزيز بن معالي ابن غنيمة بن الحسن المعروف ب " ابن منينا الأشناني وله سبع وثمانون سنة.

مات في ذي الحجة.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربع أذرع سواء.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا وثماني عشرة إصبعًا.

السنة السابعة عشرة من سلطنة الملك العادل أبي بكر بن أيوب على مصر وهي سنة ثلاث عشرة وستمائة.

فيها جهز الخليفة الناصر لدين الله ولدي ولده المقدم ذكرهما إلى تستر وضمهما إلى بدر الدين محمد سبط العقاب وخرج أرباب الدولة بين يديهما وضرب لهما خيمة الأطلس

بأطناب خضر إبريسم وعلى رؤوسهما الشمسية والبنود والأعلام وخلفهما الكوسات وسار معهما نجاح الشرابي والمكين القمي بالعساكر في سابع المحرم فأقاما بتستر شهرين فلم تطب لهما فعادا إلى بغداد عند جدهما الخليفة في شهر ربيع الآخر.

وفيها توفي الملك الظاهر غازي - على ما يأتي ذكره - في هذه السنة.

وتوجه الشيخ أبو العباس عبد السلام بن أبي عصرون رسولًا من الملك العزيز محمد بن الظاهر غازي المذكور إلى الخليفة الناصر لدين الله يطلب تقريره بسلطنة حلب على ما كان أبوه عليها.

وفيها قصد الملك المعظم عيسى صاحب دمشق الاجتماع بأخيه الملك الأشرف موسى فاجتمعا بنواحي الرقة وفاوض المعظم الأشرف في أمر حلب.

وفيها حج بالناس من العراق ابن أبي فراس ومن الشام الشيخ علم الدين الجعبري.

وفيها توفي زيد بن الحسن بن زيد بن الحسن بن زيد بن الحسن بن سعيد بن عصمة بن حمير العلامة تاج الدين أبو اليمن الكندي البغدادي المقرئ النحوي اللغوي.

مولده في شعبان سنة عشرين وخمسمائة وحفظ القرآن وهو ابن سبع سنين وكمل القراءات العشر وله عشر سنين.

قال الذهبي: " وكان أعلى أهل الأرض إسنادًا في القراءات فإني لا أعلم أحدًا من الأئمة عاش بعد ما قرأ القراءات ثلاثًا وثمانين سنة غيره.

هذا مع أنه قرأ على أسن شيوخ العصر بالعراق ولم يبق أحد ممن قرأ عليه مثل بقائه ولا قريبًا منه بل آخر من قرأ عليه الكمال بن فارس وعاش بعده نيفًا وستين سنة.

ثم إنه سمع الحديث على الكبار وبقي مسند الزمان في القراءات والحديث.

انتهى كلام الذهبي باختصار.

وكان فاضلًا أديبًا ومات في شوال.

ومن شعره - رحمه الله تعالى -: دع المنجم يكبو في ضلالته إن ادعى علم ما يجري به الفلك تفرد الله بالعلم القديم فلا ال - - إنسان يشركه فيه ولا الملك وفيها توفي سعيد بن حمزة بن أحمد أبو الغنائم بن شاروخ الكاتب العراقي.

كان فاضلًا بارعًا في الأدب وله رسائل ومكاتبات وشعر.

ومن شعره القصية التي أولها: يا شائم البرق من نجدي كاظمةٍ يبدو مرارًا وتخفيه الدياجير وفيها توفي السلطان الملك الظاهر أبو منصور غازي صاحب حلب ابن السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف ابن الأمير نجم الدين أيوب.

ولد بالقاهرة في سنة ثمان وستين وخمسمائة في سلطنة والده.

ونشأ تحت كنف والده وولاه أبوه سلطنة حلب في حياته.

وكان ملكًا مهيبًا وله سياسة وفطنة ودولة معمورة بالعلماء والأمراء والفضلاء.

وكان محسنًا للرعية والوافدين عليه.

وحضر معظم غزوات والده السلطان صلاح الدين وكان في دولة الظاهر هذا من الأمراء: ميمون القصري والمبارز بن يوسف بن خطلخ وسنقر الحلبي وسراسنقر وأيبك فطيس وغيرهم من الصلاحية.

ومن أرباب العمائم القاضي بهاء الدين بن شداد والشريف الافتخاري الهاشمي والشريف النسابة وبنو العجمي والقيسراني وبنو الخشاب.

وكان ملجأ للغرباء وكهفًا للفقراء يزور الصالحين ويتفقدهم ودام على ذلك إلى أن توفي ليلة الثلاثاء العشرين من جمادى الآخرة بعلة الذرب.

ودفن بقلعة حلب ثم نقل بعد ذلك إلى مدرسته التي أنشأها.

وقام بعده ولده الملك العزيز محمد بوصيته وولاه الخليفة حسب ما تقدم ذكره.

وفيها توفي الشيخ عز الدين محمد بن الحافظ عبد الغني المقدسي ولد سنة ست وستين وخمسمائة وسمع الحديث ورحل البلاد وكان حافظًا دينًا ورعًا زاهدًا.

ومات بقاسيون.

وفيها توفي يحيى بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد أبو جعفر الشريف الحسيني.

ولي نقابة الطالبيين بالبصرة بعد أبيه وقرأ الأدب وسمع الحديث ومن شعره - رحمه الله تعالى -: هذا العقيق وهذا الجزع والبان فاحبس فلي فيه أوطار وأوطان آليت والحر لا يلوي أليته إلا تلد بطيب النوم أجفان حتى تعود لياليا التي سلفت بالأجرعين وجيراني كما كانوا الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي العلامة تاج الدين أبو اليمن زيد بن الحسن الكندي في شوال وله ثلاث وتسعون سنة وشهران.

والملك الظاهر أبو منصور غازي ابن السلطان صلاح الدين بحلب في جمادى الآخرة.

والمحدث عز الدين محمد ابن الحافظ عبد الغني المقدسي في شوال.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربع أذرع وأربع أصابع.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا وثلاث وعشرون إصبعًا.

السنة الثامنة عشرة من سلطنة الملك العادل أبي بكر بن أيوب على مصر

وهي سنة أربع عشرة وستمائة.

فيها قدم الملك خوارزم شاه واسمه محمد ابن تكش إلى همذان بقصد بغداد في أربعمائة ألف مقاتل وقيل في ستمائة ألف فاستعد له الخليفة الناصر لدين الله وفرق المال والسلاح وأرسل إليه الشيخ شهاب الدين السهروردي في رسالة فأهانه واستدعاه وأوقفه إلى جانب تخته ولم يأذن له بالقعود.

قال أبو المظفر: - " حكى الشهاب قال - استدعاني فأتيت إلى خيمة عظيمة لها دهليز لم أر في الدنيا مثله والدهليز والشقة أطلس والأطناب حرير وفي الدهليز ملوك العجم

على اختلاف طبقاتهم: صاحب همذان وأصبهان والري وغيرهم فدخلنا إلى خيمة أخرى إبريسم وفي دهليزها ملوك خراسان: مرو ونيسابور وبلخ وغيرهم ثم دخلنا خيمة أخرى وملوك ما وراء النهر في دهليزها كذلك ثلاث خيام.

ثم دخلنا عليه وهو في خركاة عظيمة من ذهب وعليها سجاف مرصع بالجواهر.

وهو صبي له شعرات قاعد على تخت ساذج وعليه قباء بخاري يساوي خمسة دراهم وعلى رأسه قطعة من جلد تساوي درهمًا فسلمت عليه فلم يرد ولا أمرني بالجلوس فشرعت فخطبت خطبة بليغة ذكرت فيها فضل بني العباس ووصفت الخليفة بالزهد والورع والتقى والدين والترجمان يعيد عليه قولي.

فلما فرغت قال للترجمان: قل له: هذا الذي وصفته ما هو في بغداد.

قلت: نعم قال: أنا أجيء وأقيم خليفة يكون بهذه الأوصاف.

ثم ردنا بغير جواب.

فنزل الثلج عليهم فهلكت دوابهم وركب خوارزم شاه يومًا فعثر به فرسه فتطير ووقع الفساد في عسكره وقفت الميرة.

وكان معه سبعون ألفًا من الخطا فرده الله ونكب تلك النكبة العظيمة ".

وسنذكرها - إن شاء الله تعالى - في محلها.

وفيها توفي إبراهيم بن عبد الواحد بن علي بن سرور الشيخ العماد المقدسي الزاهد القدوة الحنبلي أخو الحافظ عبد الغني ولد بجماعيل في سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة فهو أصغر من الحافظ عبد الغني بسنتين وسمع الكثيرة وكان إمامًا حافظًا عالمًا محدثًا زاهدًا عابدًا فقيهًا.

مات فجأة في ليلة الأربعاء سادس عشر ذي القعدة.

وفيها توفي عبد الصمد بن محمد بن أبي الفضل بن علي بن عبد الواحد أبو القاسم القاضي جمال الدين الحرستاني الأنصاري شيخ القضاة.

ولد بدمشق في سنة عشرين وخمسمائة ورحل وسمع الحديث وتفقه وكان إمامًا عفيفًا خطيبًا دينًا صالحًا.

له حكايات مع الملك المعظم عيسى في أحكامه - رحمه الله تعالى -.

وفيها توفي محمد بن أبي القاسم بن محمد أبو عبد الله الهكاري الأمير بدر الدين استشهد على حصن الطور وأبلى بلاء حسنًا ذلك اليوم وكان من المجاهدين له المواقف المشهودة في قتال الفرنج وكان من أكابر أمراء الملك المعظم كان يستشيره ويصدر عن رأيه ويثق له لصلاحه ودينه وكان سمحًا جوادًا.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي المحدث أبو الخطاب أحمد بن محمد البلنسي بمراكش.

وأبو الحسن علي بن محمد بن علي الموصلي أخو سليمان.

وأبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكناني البلنسي الأديب الإسكندراني بها وله أربع وسبعون سنة.

وقاضي القضاة أبو القاسم عبد الصمد بن محمد الحرستاني في ذي الحجة وله أربع وتسعون سنة وأشهر.

والإمام عماد الدين إبراهيم بن عبد الواحد المقدسي فجأة في ذي القعدة وله سبعون سنة.

والمحدث أبو محمد عبد الله بن عبد الجبار العثماني الإسكندراني الكارمي بمكة.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربع أذرع وأربع عشرة إصبعًا مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا وسبع عشرة إصبعًا.

السنة التاسعة عشرة من سلطنة الملك العادل أبي بكر بن أيوب على مصر وهي التي مات فيها العادل في جمادى الآخرة حسب ما تقدم ذكره.

وهي سنة خمس عشرة وستمائة.

وفيها نزلت الفرنج على دمياط في شهر ربيع الأول وكان العادل بمرج الصفر فبعث بالعساكر التي كانت معه إلى مصر إلى ولده الكامل وأقام المعظم بالساحل بعسكر الشام في مقابلة الفرنج ليشغلهم عن دمياط.

وفيها استدعى الملك العادل صاحب الترجمة ابنه الملك المعظم المقدم ذكره وقال له: قد بنيت هذا الطور وهو يكون سببًا لخراب الشام وقد سلم الله من كان فيه من أبطال المسلمين وسلاح الدنيا والذخائر وأرى من المصلحة خرابه ليتوفر من فيه من المسلمين والعمد على حفظ دمياط وأنا أعوضك عنه فتوقف المعظم وبقي أيامًا لا يدخل إلى أبيه العادل فبعث إليه العادل ثانيًا وأرضاه بالمال ووعده في مصر ببلاد فأجاب المعظم وبعث ونقل ما كان فيه.

وفيها في يوم الجمعة ثاني عشر شهر ربيع الآخر كسر الملك الأشرف موسى صاحب خلاط وديار بكر وحلب ابن الملك العادل هذا ملك الروم كيكاوس.

وفيها أيضا بعث الأشرف المذكور بالأمير سيف الدين بن كهدان والمبارز ابن خطلج بجماعة من العساكر نجمة إلى أخيه الملك الكامل بدمياط كل ذلك والقتال عمال بين الملك الكامل والفرنج على ثغر دمياط.

وفيها في آخر جمادى الأولى أخذ الفرنج برج السلسلة من الكامل فأرسل الكامل شيخ الشيوخ صدر الدين إلى أبيه العادل وأخبره فدق العادل بيده على صدره ومرض من قهره مرض الموت.

وفيها في جمادى الآخرة التقى الملك المعظم الفرنج بساحل الشام وقاتلهم فنصره الله عليهم وقتل منهم مقتلة وأسر من الداوية مائة فارس وأدخلهم القدس منكسي الأعلام.

وفيها وصل رسول خوارزم شاه إلى الملك العادل هذا وهو بمرج الصفر فبعث بالجواب الخطيب الدولعي ونجم الدين خليل ابن علي الحنفي قاضي العسكر فوصلا همذان فوجدا الخوارزمي قد اندفع بين يحيى الخطا والتتار وقد خامر عليه عسكره فسارا إلى حد

بخارى فاجتمعا بولده الملك جلال الدين فأخبرهما بوفاة العادل صاحب الترجمة مرسلهما فرجعا إلى دمشق.

وفيها حج بالناس من بغداد أقباش الناصري.

وفيها توفي عبد الله بن الحسين أبو القاسم عماد الدين الدامغاني الحنفي قاضى القضاة ببغداد ومولده في شهر رجب سنة أربع وستين وخمسمائة.

وكان له صمت ووقار ودين وعصمة وعفة وسيرة حسنة مع العلم والفضل وكانت وفاته في ذي القعدة ودفن بالشونيزية.

وفيها توفي كيكاوس الأمير عز الدين صاحب الروم كان جبارًا ظالمًا سفاكًا للدماء ولما عاد إلى بلده من كسرة الأشرف موسى اتهم أقوامًا من أمراء دولته أنهم قصروا في قتال الحلبيين وسلق منهم جماعة في القدور وجعل آخرين في بيت وأحرقه فأخذه الله بغتة.

ومات سكران فجأة وقيل: بل ابتلي في بدنه وتقطعت أوصاله.

وكان أخوه علاء الدين كيقباد محبوسًا في قلعة وقد أمر كيكاوس بقتله فبادروا وأخرجوه وأقاموه في الملك.

وكانت وفاة كيكاوس في وفيها توفي خوارزم شاه واسمه محمد بن تكش بن إيل أرسلان بن أتسز بن محمد بن أنوشتكين السلطان علاء الدين المعروف بخوارزم شاه.

قال ابن واصل: نسبه ينتهي إلى إيلتكين أحد مماليك السلطان ألب أرسلان بن طغرلبك السلجوقي وكانت سلطنة خوارزم شاه المذكور في سنة ست وتسعين وخمسمائة عند موت والده السلطان علاء الدين تكش.

وقال عز الدين بن الأثير: كان صبورًا على التعب وإدمان السير غير متنعم ولا مقبل على اللذات إنما همته في الملك وتدبيره وحفظه وحفظ رعيته وكان فاضلًا عالمًا بالفقه وغيرهما وكان مكرمًا محبًا لهم محسنًا إليهم يحب مناظرتهم بين يديه ويعظم أهل الدين ويتبرك بهم.

- قلت: وهذا بخلاف ما ذكره أبو المظفر مما حكاه عن الشيخ شهاب الدين السهروردي لما توجه إلى خوارزم شاه هذا رسولًا من قبل الخليفة الناصر لدين الله فإنه ذكر عنه أشياء من التكبر والتعاظم عليه وعدم الالتفات له وإنه صار لا يفهم كلام السهروردي إلا بالترجمان ولعله كان فعل ذلك لإظهار العظمة وهو نوع من تجاهل العارف -.

قال: وكان أعظم ملوك الدنيا واتسعت ممالكه شرقًا وغربًا وهابته الملوك حتى لم يبق إلا من دخل تحت طاعته وصار من عسكره.

ومحق أبوه التتار بالسيف وملك منهم البلاد.

ووقع له أمور طويلة حتى إنه نزل همذان وكان في عسكره سبعون ألفًا من الخطا فكاتب القمي عساكره ووعدهم بالبلاد فاتفقوا مع الخطا على قتله.

وكان خاله من الخطا وحلفوه إلا يطلعه على ما دبروا عليه فجاء إليه في الليل وكتب في يده صورة الحال فقام وخرج من وقته ومعه ولداه: جلال الدين وآخر ولما خرج من الخيمة دخل الخطا والعساكر من بابها ظنًا منهم أنه فيها فلم يجدوه فنهبوا الخزائن يقال: إنه كان في خزائنه عشرة آلاف ألف دينار وألف حمل قماش أطلس وعشرون ألف فرس وبغل وكان له عشرة آلاف مملوك فتمزق الجميع وهرب ولداه إلى الهند وهرب خوارزم شاه إلى الجزيرة وفيها قلعة ليتحصن بها فمات دون طلوع القلعة المذكورة في هذه السنة وقيل: في سنة سبع عشرة وستمائة.

والله أعلم.

وفيها توفي الملك القاهر عز الدين مسعود ابن أرسلان بن مسعود بن مودود ابن زنكي أبو الفتح صاحب الموصل وترك ولدًا صغيرًا اسمه محمود فأخرج الأمير بدر الدين لؤلؤ زنكي أخا القاهر من الموصل واستولى عليها ودبر مملكة محمود المذكور.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي الشهاب فتيان بن علي الشاغوري الأديب.

وصاحب الروم السلطان عز الدين كيكاوس وولي بعده علاء الدين أخوه.

وصاحب الموصل عز الدين مسعود بن أرسلان شاه الأتابكي.

وصاحب مصر وغيرها السلطان الملك العادل سيف الدين أبو بكر بن أيوب في جمادى الآخرة عن سبع وسبعين سنة.

وأبو الفتوح محمد بن محمد بن محمد بن عمروك البكري النيسابوري الصوفي في جمادى الآخرة وهو في عشر المائة.

والشمس أبو القاسم أحمد بن عبد الله بن عبد الصمد السلمي العطار في شعبان.

والحافظ أبو العباس أحمد بن أحمد بن أحمد بن كرم البندنيجي في رمضان عن أربع وسبعين سنة سمع ابن الزاغوبي.

وأم المؤيد زينب بنت عبد الرحمن بن الحسن الشعرية ولها إحدى وتسعون سنة.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ست أذرع وست أصابع.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا وست أصابع.

سلطنة الملك الكامل على مصر أعني بذلك استقلالًا بعد وفاة أبيه العادل لأن الكامل هذا كان متولي سلطنة مصر في حياة والده العادل لما قسم العادل الممالك في أولاده من سنين عديدة أعطى المعظم عيسى دمشق وأعطى الأشرف موسى الشرق وأعطى الملك الكامل محمدًا هذا مصر وصار هو يتنقل في ممالك أولاده والعمدة في كل الممالك عليه إلى أن مات الملك العادل تفرد الملك الكامل محمد بالخطبة في ديار مصر وأعمالها واستقل بأمورها وتدبير أحوالها وذلك من يوم وفاة والده الملك إلى المذكور وهو من يوم الجمعة سابع جمادى الآخرة من سنة خمس عشرة وستمائة.

قلت: وقد تقدم نسب الملك الكامل هذا في ترجمة عمه السلطان صلاح الدين واستوعبنا ذلك من عدة أقوال وحررناه فلينظر هناك.

قال أبو المظفر: " ولد الكامل سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة وكان أكبر أولاد العادل بعد مودود وكان العادل قد عهد إليه لما رأى من ثباته وعقله وسداده.

وكان شجاعًا ذكيًا فطنًا يحب العلماء والأماثل ويلقي عليهم المشكلات ويتكلم على صحيح مسلم بكلام مليح ويثبت بين يدي العدو.

وأما عدله فإليه المنتهى " انتهى كلام أبي المظفر باختصار.

وقال الحافظ أبو عبد الله شمس الدين محمد الذهبي في تاريخ الإسلام: " الملك الكامل محمد السلطان ناصر الدين أبو المعالي وأبو المظفر ابن السلطان الملك العادل سيف الدين أبي بكر محمد بن أيوب بن شادي صاحب مصر.

ولد بمصر سنة ست وسبعين وخمسمائة ".

- قلت: وهذا بخلاف ما نقله أبو المظفر في سنة مولده وعندي أن أبا المظفر أثبت لصحبته بأخيه المعظم عيسى وكونه أيضًا عصري الملك الكامل هذا -.

والله أعلم.

قال أعني الذهبي: وأجاز له العلامة عبد الله بن بري وأبو عبد الله ابن صدقة الحراني وعبد الرحمن بن الخرقي قرأت بخط ابن مسدي في معجمه: كان الكامل محبًا للحديث وأهله حريصًا على حفظه ونقله وللعلم عنده شرف خرج له أبو القاسم بن الصفراوي أربعين حديثًا وسمعها جماعة.

وحكى لي عنه مكرم الكاتب أن أباه العادل استجاز له السلفي قبل موت السلفي بأيام قال ابن المسدي: ثم وقفت أنا على ذلك وأجاز لي " و " لابني.

قال الذهبي: وتملك الديار المصرية أربعين سنة شطرها في أيام والده.

وقيل: بل ولد في ذي القعدة سنة خمس وسبعين.

قلت: وهذا قول ثالث في مولده.

وقال الحافظ عبد العظيم المنذري استادار الحديث بالقاهرة يعني بذلك المدرسة الكاملية ببين القصرين.

قال: وعمر القبة على ضريح الشافعي وأجرى الماء من بركه الحبش إلى حوض السبيل والسقايه وهما على باب القبة المذكورة ووقف غير ذلك من الوقوف على أنواع من أعمال البر بمصر وغيرها.

وله المواقف المشهودة في الجهاد بدمياط المدة الطويلة وأنفق الأموال الكثيرة وكافح العدو المخذول برًا وبحرًا ليلًا ونهارًا.

يعرف ذلك من مشاهده.

ولم يزل على ذلك حتى أعز الله الإسلام وأهله وخذل الكفر وأهله وكان معظمًا للسنة النبوية وأهلها راغبًا في نشرها والتمسك بها مؤثرًا الاجتماع مع العلماء والكلام معهم حضرًا وسفرًا.

انتهى كلام المنذري باختصار.

وقال القاضي شمس الدين ابن خلكان في تاريخه بعد ما ساق نسبه وذكره نحوًا مما ذكرناه حتى قال: " ولما وصل الفرنج إلى دمياط كما تقدم ذكره كان الملك الكامل في مبدأ استقلاله بالسلطنة وكان عنده جماعة كثيرة من أكابر الأمراء منهم: عماد الدين أحمد بن المشطوب فاتفقوا مع أخيه الملك الفائز سابق الدين إبراهيم ابن الملك العادل وانضموا إليه فظهر للملك الكامل منهم أمور تدل على أنهم عازمون على تفويض الملك إليه وخلع الكامل واشتهر ذلك بين الناس وكان الملك الكامل يداريهم لكونه في قبالة العدو ولا يمكنه المقاهرة وطول روحه معهم ولم يزل على ذلك حتى وصل إليه أخوه الملك المعظم عيسى صاحب دمشق يوم الخميس تاسع عشر ذي القعدة من سنة خمس عشرة وستمائة فأطلعه الكامل في الباطن على صورة الحال وأن رأس هذه الطائفة ابن المشطوب فجاءه يومًا على غفلة في خيمته واستدعاه فخرج إليه فقال له: أريد أن أتحدث أمعك سرًا في خلوة فركب فرسه يعني ابن المشطوب.

وسار معه جريدة وقد خرد المعظم جماعة ممن يعتمد عليهم ويثق إليهم وقال لهم: اتبعونا.

ولم يزل المعظم يشغله بالحديث ويخرج معه من شيء إلى شيء حتى أبعد عن المخيم ثم قال له: يا عماد الدين هذه البلاد لك ونشتهي أن تهبها لنا ثم أعطاه شيئًا من النفقة وقال لأولئك المجردين: تسلموه حتى تخرجوه من الرمل فلم يسعه إلا الامتثال لانفراده وعدم القدرة على الممانعة في تلك الحال ثم عاد المعظم إلى أخيه الملك الكامل وعرفه صورة ما جرى.

ثم جهز أخاه الملك الفائز المذكور إلى الموصل لإحضار النجدة منها " و " من بلاد الشرق فمات بسنجار.

وكان ذلك خديعة لإخراجه من البلاد.

فلما خرج هذان الشخصان من العسكر تحللت عزائم من بقي من الأمراء الموافقين لهما ودخلوا في طاعة الملك الكامل كرهًا لا طوعًا.

وجرى في قصة دمياط ما هو مشهور فلا حاجة للإطالة في ذكره.

ولما ملك الفرنج دمياط وصارت في أيديهم خرجوا منها قاصدين القاهرة ومصر ونزلوا في رأس الجزيرة التي دمياط في برها وكان المسلمون قبالتهم في القرية المعروفة بالمنصورة والبحر حائل بينهم وهو بحر أشموم ونصر الله - سبحانه وتعالى - بمنه وجميل لطفه المسلمين عليهم كما هو مشهور ورحل الفرنج عن منزلتهم ليلة الجمعة سابع رجب سنة ثماني عشرة وستمائة وتم الصلح بينهم وبين المسلمين في حادي عشر الشهر المذكور ورحل الفرنج عن البلاد في شعبان من السنة المذكورة وكانت مدة إقامتهم في بلاد الإسلام ما بين الشام والديار المصرية أربعين شهرًا وأربعة عشر يومًا وكفى الله - تعالى - المسلمين شرهم والحمد لله على ذلك.

- قلت ونذكر أمر دمياط من كلام أبي المظفر في آخر هذه الترجمة بأوسع من ذلك لأنه معاصر الكامل وصاحب المعظم فهو أجدر بهذه الواقعة -.

فلما استراح خاطر الملك الكامل من جهة هذا العدو تفرغ للأمراء الذين كانوا متحاملين عليه فنفاهم عن البلاد وبدد شملهم وشردهم ودخل القاهرة وشرع في عمارة البلاد واستخراج الأموال من جهاتها وكان سلطانًا عظيم القدر جميل الذكر محبًا للعلماء متمسكًا بالسنة حسن الاعتقاد معاشرًا لأرباب الفضائل حازمًا في أموره لا يضع الشيء إلا في مواضعه من غير إسراف ولا إقتارة وكان يبيت عنده كل ليلة جمعة جماعة من الفضلاء يشاركهم في مباحثهم ويسألهم عن المواضع المشكلة في كل فنٍ وهو معهم كواحد منهم وكان - رحمه الله - يعجبه هذان البيتان وينشدهما كثيرًا وهما: ما كنت من قبل ملك قلبي تصد عن مدنفٍ حزين وإنما قد طمعت لما حللت في موضع حصين قال: ولما مات أخوه الملك المعظم عيسى صاحب الشام وقام ابنه الملك الناصر صلاح الدين داود مقامه خرج الملك الكامل من الديار المصرية قاصدًا أخذ دمشق منه وجاءه أخوه الملك الأشرف مظفر الدين موسى واجتمعا على أخذ دمشق بعد فصول يطول شرحها.

وملك الكامل دمشق في أول شعبان سنة ست وعشرين وستمائة وكان يوم الاثنين فلما ملكها دفعها لأخيه الملك الأشرف وأخذ عوضها من بلاد الأشرف: حران والرها وسروج والرقة ورأس العين توجه إليها بنفسه في تاسع شهر رمضان من السنة.

قال ابن خلكان: واجتزت بحران في شوال سنة ست وعشرين وستمائة والملك الكامل مقيم به بعساكر الديار المصرية وجلال الدين خوارزم شاه يوم ذاك محاصر لخلاط وكانت لأخيه الملك الأشرف ثم رجع إلى الديار المصرية.

ثم تجهز في جيش عظيم وقصد آمد في سنة تسع وعشرين وستمائة فأخذها مع حصن كيفا والبلاد من الملك المسعود ركن الدين مودود بن الملك الصالح أبي الفتح محمود بن نور الدين محمد بن فخر الدين قرا أرسلان بن ركن الدولة داود بن نور الدولة سقمان ويقال سكمان بن أرتق قال: ثم مات أخوه الملك الأشرف وجعل ولي عهده أخاه الملك الصالح إسماعيل بن العادل فقصده الملك الكامل أيضًا وانتزع منه دمشق بعد مصالحة جرت بينهما في التاسع من جمادى الأولى سنة خمس وثلاثين وستمائة وأبقى له بعلبك وأعمالها وبصرى وأرض السواد وتلك البلاد.

ولما ملك البلاد المشرقية وآمد وتلك النواحي استخلف فيها ولده الملك الصالح نجم الدين أيوب واستخلف ولده الأصغر الملك العادل سيف الدين أبا بكر بالديار المصرية.

وقد تقدم في ترجمة الملك العادل أنه سير ولده الملك المسعود أقسيس إلى اليمن وكان أكبر أولاد الملك الكامل.

وملك الملك المسعود مكة - حرسها الله تعالى - وبلاد الحجاز مضافة إلى اليمن وكان رحيل الملك المسعود من الديار المصرية متوجهًا إلى اليمن في يوم الاثنين سابع عشر رمضان سنة إحدى عشرة وستمائة ودخل مكة في ثالث ذي القعدة من السنة وخطب له بها وحج ودخل زبيد وملكها مستهل المحرم سنة اثنتي عشرة وستمائة.

ثم ملك مكة في شهر ربيع الآخر سنة عشرين وستمائة أخذها من الشريف حسن بن قتادة الحسني.

قلت: وقد ذكرنا خروج الملك المسعود إلى اليمن من وقته في ترجمة جده الملك العادل.

وتوفي الملك المسعود في حياة والده الملك الكامل بمكة في ثالث جمادى الأولى سنة ست وعشرين وستمائة.

وكان مولده في سنة سبع وتسعين وخمسمائة وأظنه أكبر أولاد الكامل.

والله أعلم.

قال ابن خلكان: واتسعت المملكة للملك الكامل ولقد حكى لي من حضر الخطبة يوم الجمعة بمكة أنه لما وصل الخطيب إلى الدعاء للملك الكامل قال: صاحب مكة وعبيدها واليمن وزبيدها ومصر وصعيدها والشام وصناديدها والجزيرة ووليدها سلطان القبلتين ورب العلامتين وخادم الحرمين الشريفين الملك الكامل أبو المعالي ناصر الدين محمد خليل أمير المؤمنين.

قال: ولقد رأيته بدمشق سنة ثلاث وثلاثين وستمائة عند رجوعه من بلاد المشرق واستنقاذه إياها من الأمير علاء الدين كيقباد بن كيخسرو بن قليج أرسلان بن مسعود ابن قليج أرسلان بن سليمان ابن قتلمش بن إسرائيل بن سلجوق بن دقاق السلجوقي صاحب الروم وهي وقعة مشهورة يطول شرحها وفي خدمته يومئذ بضعة عشر ملكًا منهم أخوه الملك الأشرف.

ولم يزل في علو شأنه وعظيم سلطانه إلى أن مرض بعد أخذه دمشق ولم يركب وكان ينشد في مرضه كثيرًا: يا خليلي خبراني بصدق كيف طعم الكرى فإني نسيته ولم يزل كذلك إلى أن توفي يوم الأربعاء بعد العصر ودفن بالقلعة بمدينة دمشق يوم الخميس الثاني والعشرين من رجب سنة خمس وثلاثين وستمائة وأنا بدمشق يومئذ وحضرت الصيحة يوم السبت في جامع دمشق لأنهم أخذوا موته إلى وقت صلاة الجمعة فلما أحضرت الصلاة قام بعض الدعاة على العريش بين يدي المنبر وترحم على الملك الكامل ودعا لولده الملك العادل صاحب مصر وكنت حاضرًا في ذلك الموضع فضج الناس ضجة واحدة وكانوا قد أحسوا بذلك لكنهم لم يتحققوه إلا ذلك اليوم.

وترتب ابن أخيه الملك الجواد مظفر الدين يونس بن شمس الدين مودود ابن الملك العادل في نيابة السلطنة بدمشق عن الملك العادل بن الكامل صاحب مصر باتفاق الأمراء الذين كانوا حاضرين ذلك الوقت بدمشق.

ثم بني له تربة مجاورة للجامع ولها شباك إلى الجامع ونقل إليها.

قال: وأما ولده الملك العادل فإنه أقام في المملكة إلى يوم الجمعة ثامن ذي القعدة من سنة سبع وثلاثين وستمائة فقبض عليه أمراء دولته بظاهر بلبيس ".

انتهى كلام ابن خلكان على جليته.

ونذكر أيضًا من أحوال الكامل نبذة جيدة من أقوال غيره من المؤرخين.

إن شاء الله تعالى.

قال بعضهم: كان الملك الكامل فاضلًا عالمًا شهمًا مهيبًا عاقلًا محبًا للعلماء وله شعر حسن واشتغال في العلم.

قيل: إنه شكا إليه ركبدار أستاذه بأنه استخدمه ستة أشهر بلا جامكية فأنزل أستاذه من فرسه وألبسه ثياب الركبدار وألبس الركبدار ثيابه وأمره بخدمة الركبدار وحمل مداسه ستة أشهر حتى شفع وكانت الطرق آمنة في زمانه.

ولما بعث ابنه الملك المسعود أقسيس وافتتح اليمن والحجاز ثم مات قبله كما ذكرناه ورث منه أموالًا عظيمة ففرق غالبها في وجوه البر والصدقات.

وكانت راية الملك الكامل صفراء.

وفيه يقول البهاء زهير - رحمه الله تعالى -.

بك اهتز عطف الدين في حلل النصر وردت على أعقاب ملة الكفر وأقسم إن ذاقت بنو الأصفر الكرى لما حلمت إلا بأعلامك الضفر ثلاثة أعوام أقمت وأشهرًا تجاهد فيهم لا بزيد ولا عمرو وليلة نفر للعدو رأيتها بكثرة من أرديته ليلة النحر وقال: وكان فيه جبروت مع سفك الدماء.

وذكر الشيخ شمس الدين محمد بن إبراهيم الجزري: أن عماد الدين يحيى البيضاوي الشريف قال: حكى لي الخادم الذي للكامل قال: طلب مني الكامل طستا حتى يتقيأ فيه فأحضرته وكان الملك الناصر داود على الباب جاء ليعود عمه الكامل فقلت: داود على الباب فقال: ينتظر موتي فانزعج فخرجت وقلت: ما ذاك وقتك.

السلطان منزعج فنزل إلى داره ودخلت إلى السلطان فوجدته قد قضى والطست بين يديه وهو مكبوب على المخدة.

وقال ابن واصل: حكى لي طبيبه قال: أصابه لما دخل قلعة دمشق زكام فدخل الحمام وصب على رأسه ماء شديد الحرارة اتباعًا لقول محمد بن زكريا الرازي في كتاب سماه " طب ساعة " قال فيه: من أصابه زكام وصب على رأسه ماء شديد الحرارة انحل زكامه لوقته وهو لا ينبغي أن يعمل على إطلاقه قال الطبيب: فانصب من دماغه إلى فم معدته فتورمت وعرضت له حمى شديدة وأراد القيء فنهاه الأطباء وقالوا: إن تقيأ هلك فخالفهم وتقيأ فهلك لوقته.

قال ابن واصل: وحكى لي الحكم رضي الدين قال: عرض له خوانيق وتقيأ دمًا كثيرًا ومدة فأراد القيء أيضًا فنهاه موفق الدين إبراهيم وأشار عليه بعض الأطباء بالقيء فتقيأ فانصبت وقال ابن واصل: وكان ملكًا جليلًا حازمًا سديد الآراء حسن التدبير لممالكه عفيفًا حليمًا عمرت في أيامه الديار المصرية عمارة كبيرة وكان عنده مسائل غريبة من الفقه والنحو يوردها فمن أجابه حظي عنده.

@ أخذ دمياط قال أبو المظفر في تاريخه: " في شعبان أخذ الفرنج دمياط وكان المعظم قد جهز إليها الناهض بن الجرخي في خمسمائة راجل فهجموا على الخنادق فقتل ابن الجرخي ومن كان معه وصفوا رؤوس القتلى على الخنادق وكان الفرنج قد طموها يعني الخنادق وضعف أهل دمياط وأكلوا الميتات وعجز الملك الكامل عن نصرتهم ووقع فيهم الوباء والفناء فراسلوا الفرنج على أن يسلموا إليهم البلد ويخرجوا منه بأموالهم وأهلهم واجتمعوا وحلفوهم على ذلك فركبوا في المراكب وزحفوا في البر والبحر وفتح لهم أهل دمياط الأبواب فدخلوا ورفعوا أعلامهم على السور وغدروا بأهل دمياط ووضعوا فيهم السيف قتلًا وأسرًا وباتوا تلك الليلة بالجامع يفجرون بالنساء ويفتضون البنات وأخذوا المنبر والمصاحف ورؤوس القتلى وبعثوا بها إلى الجزائر وجعلوا الجامع كنيسة وكان أبو

الحسن ابن قفل بدمياط فسألوا عنه فقيل لهم: هذا رجل صالح من مشايخ المسلمين يأوي إليه الفقراء فما تعرضوا له.

ووقع على المسلمين كآبة عظيمة.

وبكى الكامل والمعظم بكاءً شديدًا ثم تأخرت العساكر عن تلك المنزلة.

ثم قال الكامل لأخيه المعظم: قد فات المطلوب وجرى المقدر بما هو كائن وما في مقامك هاهنا فائدة والمصلحة أن تنزل إلى الشام تشغل خواطر الفرنج وتستجلب العساكر من بلاد الشرق.

قال أبو المظفر: فكتب المعظم إلي وأنا بدمشق كتابًا بخطه يقول - في أوله -: قد علم الأخ العزيز بأن قد جرى على دمياط ما جرى وأريد أن تحرض الناس على الجهاد وتعرفهم ما جرى على إخوانهم أهل دمياط من الكفرة أهل العناد.

وإني كشفت ضياع الشام فوجدتها ألفي قرية منها ألف وستمائة أملاك لأهلها وأربعمائة سلطانية وكم مقدار ما تقوم به هذه الأربعمائة من العساكر وأريد أن تخرج الدماشقة ليذبوا عن أملاكهم الأصاغر منهم والأكابر.

ويكون لقاؤنا وهم صحبتك إلى نابلس في وقت سماه.

قال: فجلست بجامع دمشق وقرأت كتابه عليهم فأجابوا بالسمع والطاعة وقالوا: نمتثل أمره بحسب الاستطاعة.

وتجهزوا فلما حل ركابه بالساحل وقع التقاعد وكان تقاعدهم سببًا لأخذه الثمن والخمس من أموالهم.

وكتب إلي يقول: إذا لم يخرجوا فسر أنت إلينا فخرجت إلى الساحل وهو نازل على قيسارية فأقمنا حتى فتحها عنوة ثم سرنا إلى النفر ففتحه وهدمه وعاد إلى دمشق بعد أن أخرج العساكر إلى السواحل.

واستمر الملك الكامل على مقاتلة الفرنج إلى أن فتح الله عليه في سنة ثماني عشرة وستمائة وطلب من إخوته النجدة وتوجه المعظم في أول السنة إلى أخيه الأشرف موسى واجتمعا على حران.

وكتب صاحب ماردين إلى الأشرف يسأله أن يصعد المعظم إليه فسأله فسار إلى ماردين فتلقاه صاحب ماردين من دنيسر وأصدمه إلى القلعة وخدمه خدمة عظيمة وقدم له التحف والجواهر وتحالفا واتفقا على ما أرادا ثم عاد المعظم إلى أخيه الأشرف.

وجاء خبر دمياط.

وكان المعظم أحرص الناس على خلاص دمياط والغزاة وكان مصافيًا لأخيه الكامل وكان الأشرف مقصرًا في حق الكامل مباينًا له في الباطن فلما اجتمعت العساكر على حران قطع بهم المعظم الفرات وسار الأشرف في آثاره ونزل المعظم حمص والأشرف سلمية.

قال: وكنت قد خرجت من دمشق إلى حمص لطلب الغزاة فإنهم كانوا على عزم الدخول إلى طرابلس فاجتمعت بالمعظم في شهر ربيع الآخر فقال لي: قد سحبت الأشرف إلى هاهنا وهو كاره وكل يوم أعتبه في تأخره وهو يكاسر وأخاف من الفرنج أن يستولوا على مصر وهو صديقك وأشتهي أن تقوم تروح إليه فقد سألني عنك مرارًا ثم كتب إلى أخيه كتابًا بخطه نحو ثمانين سطرًا فأخذته ومضيت إلى سلمية وبلغ الأشرف وصولي فخرج من الخيمة وتلقاني وعاتبني على انقطاعي عنه وجرى بيني وبينه فصول وقلت له: المسلمون في ضائقة وإذا أخذ الفرنج الديار المصرية ملكوا إلى حضرموت وعفوا آثار مكة والمدينة والشام وأنت تلعب قم الساعة وارحل فقال: ارموا الخيام والدهليز وسبقته إلى حمص فتلقاني المعظم وقال: ما نمت البارحة ولا أكلت اليوم شيئًا فقلت: غدا يصبح أخوك الأشرف حمصي.

فلما كان من الغد أقبلت الأطلاب وجاء طلب الأشرف والله ما رأيت أجمل منه ولا أحسن رجالًا ولا أكمل عدة وسر المعظم سرورًا عظيمًا وجلسوا تلك الليلة يتشاورون فاتفقوا على الدخول في السحر إلى طرابلس وكانوا على حال فأنطق الله الملك الأشرف من غير قصد وقال للمعظم: يا خوند عوض ما ندخل الساحل وتضعف خيلنا وعساكرنا ويضيع الزمان ما نروح إلى دمياط ونستريح فقال له المعظم - قول رماة البندق قال -: نعم فقبل المعظم قدمه ونام الأشرف فخرج المعظم من الخيمة كالأسد الضاري يصيح: الرحيل الرحيل إلى دمياط وما كان يظن أن الأشرف يسمح بذلك وساق المعظم إلى دمشق وتبعته العساكر ونام الأشرف في خيمته إلى قرب الظهر وانتبه فدخل الحمام فلم ير حول خيمته أحدًا فقال: وأين العساكر فأخبروه الخبر فسكت وساق إلى دمشق فنزل القصير يوم الثلاثاء رابع جمادى الأولى فأقام إلى سلخه وعرض العساكر تحت قلعة دمشق وكان هو وأخوه المعظم في الطيارة بقلعة دمشق وساروا إلى مصر.

وأما الفرنج فإنهم خرجوا بالفارس والراجل وكان البحر زائدًا جدًا فجاؤوا إلى ترعة فأرسوا عليها وفتح المسلمون عليهم الترع من كل مكان وأحدق بهم عساكر الكامل فلم يبق لهم وصول إلى دمياط وجاء أسطول المسلمين فأخذوا مراكبهم ومنعوهم أن تصل إليهم الميرة من دمياط وكانوا خلقًا عظيمًا وانقطعت أخبارهم عن دمياط وكان فيهم مائة كند وثمانمائة من الخيالة المعروفين وملك عكا والدوك واللوكان نائب البابا ومن الرجالة ما لا يحصى فلما عاينوا الهلاك أرسلوا إلى الكامل يطلبون الصلح والرهائن ويسلمون دمياط فمن حرص الكامل على خلاص دمياط أجابهم ولو أقاموا يومين أخذوا برقابهم فبعث إليهم الكامل ابنه الملك الصالح نجم الدين أيوب وابن أخيه شمس الملوك وجاء ملوكهم إلى الكامل ممن سمينا فالتقاهم وأنعم عليهم وضرب لهم الخيام.

ووصل المعظم والأشرف في تلك الحال إلى المنصورة في ثالث رجب فجلس الكامل مجلسًا عظيمًا في خيمة كبيرة عالية وقد مد سماطًا عظيمًا وأحضر ملوك الفرنج ووقف المعظم والأشرف والملوك في خدمته وقام الحلي الشاعر - رحمه الله تعالى - فأنشد: هنيئًا فإن السعد راح مخلدًا وقد أنجز الرحمن بالنصر موعدا حبانا إله الخلق فتحًا بدا لنا مبينًا وإنعامًا وعزًا مؤيدا ولما طغى البحر الخضم بأهله ال - - طغاة وأضحى بالمراكب مزبدا أقام لهذا الدين من سل سيفه صقيلًا كما سل الحسام مجردا فلم ينج إلا كل شلو مجدلٍ ثوى منهم أو من تراه مقيدا ونادى لسان الكون في الأرض رافعًا عقيرته في الخافقين ومنشدا أعباد عيسى إن عيسى وحزبه وموسى جميعًا يخدمون محمدا وهذا من أبيات كثيرة.

قلت: صح للشاعر فيما قصد من التورية في المعظم عيسى والأشرف موسى لما وقفا في خدمة العامل محمد فلله دره! لقد أجاد فيما قال.

ووقع الصلح بين الملك الكامل وبين الفرنج في يوم الأربعاء تاسع عشر شهر رجب سنة ثماني عشرة وستمائة وسار بعض الفرنج في البر وبعضهم في البحر إلى عكا وتسلم الكامل دمياط.

قلت: ويعجبني قول البارع كمال الدين علي بن النبيه في مدح مخدومه الملك الأشرف موسى لما حضر مع أخيه المعظم إلى دمياط في هذه الكائنة قصيدته التي أولها: للذة العيش والأفراح أوقات فانشر لواءً له بالنصر عادات إلى أن قال منها: ألق العصا تتلقف كل ما صنعوا ولا تخف ما حبال القوم حيات وقي قصيدة طويلة مثبتة في ديوان ابن النبيه.

قال أبو المظفر: قال فخر الدين ابن شيخ الشيوخ: حضر الفرنج دمياط صعد الكامل على مكان عالٍ وقال لي: ما ترى ما أكثر الفرنج! ما لنا بهم طاقة فقلت: أعوذ بالله من هذا الكلام قال: ولم.

قلت لأن السعد موكل بالمنطق قال: فأخذت الفرنج دمياط بعد قليل فلما طال الحصار صعد يومًا على مكان عال وقال: يا فلان ترى الفرنج ما أقلهم! والله ما هم شيء فقلت: أخذتهم والله قال: وكيف قلت: قلت في يوم كذا وكذا: كذا وكذا فأخذوا دمياط وقد قلت اليوم: كذا والملوك منطقون بخير وشرة فأخذ دمياط بعد قليل ".

انتهى.

وقد تقدم ذكر الكامل في أوائل الترجمة من قول جماعة من المؤرخين ويأتي أيضًا - من ذكره في السنين المتعلقة به - نبذة كبيرة إن شاء الله تعالى.

والله الموفق لذلك بمنه وكرمه.

السنة الأولى من سلطنة الملك الكامل

محمد ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب على مصر وهي سنة ست عشرة وستمائة.

وقد تقدم أن الكامل كان ولي مصر في حياة والده العادل سنين عديدة فلا عمدة بولايته تلك الأيام فإنه كان كالنائب بمصر لأبيه العادل ولا عبرة إلا بعد استقلاله بسلطنة مصر بعد وفاة أبيه.

فيها أعني سنة ست عشرة وستمائة أخرب الملك المعظم عيسى صاحب دمشق القدس لأنه كان توجه إلى أخيه الملك الكامل صاحب الترجمة في نوبة دمياط في المرة الأولى فبلغه أن الفرنج على عزم أخذ القدس فاتفق الأمراء على خرابه وقالوا: قد خلا الشام من العساكر فلو أخذ الفرنج القدس حكموا على الشام جميعه.

وكان بالقدس أخوه العزيز عثمان وعز الدين أيبك أستادار فكتب إليهما المعظم بخرابه فتوقفا وقالا: نحن نحفظه فكتب إليهما المعظم ثانيًا: لو أخذوه لقتلوا كل من فيه وحكموا على الشام وبلاد الإسلام فألجأت الضرورة إلى خرابه.

فشرعوا في خراب السور أول يوم من المحرم ووقع في البلد ضجة عظيمة.

وخرج النساء المخدرات والبنات والشيوخ وغيرهم إلى الصخرة والأقصى وقطعوا شعورهم ومزقوا ثيابهم وفعلوا أشياء من هذه الفعال ثم خرجوا هاربين وتركوا أموالهم

وأهاليهم وما شكوا أن الفرنج تصبحهم وامتلأت بهم الطرقات فتوجه بعضهم إلى مصر وبعضهم إلى الكرك وبعضهم إلى دمشق وكانت البنات المخدرات يمزقن ثيابهن ويربطنها على أرجلهن من الحفا ومات خلق كثير من الجوع والعطش ونهبت الأموال التي كانت لهم بالقدس وبلغ ثمن القنطار الزيت عشرة دراهم والرطل النحاس نصف درهم وذم الناس المعظم فقال بعض أهل العلم في ذلك: في رجب حلل الحميا وأخرب القدس في المحرم وقال القاضي مجد الدين محمد بن عبد الله الحنفي قاضي الطور في خراب القدس: مررت على القدس الشريف مسلمًا على ما تبقى من زبوع كأنجم ففاضت دموع العين مني صبابةً على ما مضى من عصرنا المتقدم وقد رام علج أن يعفي رسومه وشمر عن كفي لئيم مذمم فقلت له شلت يمينك خلها لمعتبر أو سائل أو مسلم فلو كان يفدى بالنفوص فديتُه بنفسي وهذا الظن في كل مسلم وفيها حج بالناس من العراق أقباش الناصري ومن الشام مملوك الملك المعظم عيسى.

وفيها توفيت ست الشام بنت الأمير نجم الذين أيوب أخت السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب كانت سيدة الخواتين في زمنها كانت كثيرة البر والصدقات كانت تعمل في دارها الأشربة والمعاجين والعقاقير كل سنة بألوف دنانير وتفرقها على الناس وكان بابها ملجأ للقاصدين وكان زوجها ابن عمها الأمير ناصر الدين محمد بن شيركوه صاحب حمص وهي أم حسام الدين محمد بن عمر بن لاجين وصاحبة الأوقاف والأربطة بدمشق وغيرها - رحمها الله تعالى -.

وفيها توفي محمد بن زنكي الملك المنصور صاحب سنجار كان ملكًا عادلًا عاقلًا جوادًا خلف عدة أولاد: سلطان شاه وزنكي ومظفر الدين وعدة بنات.

وكان من بيت ملك وسلطنة.

وفيها توفي علي بن القاسم بن علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر ابن صاحب تاريخ دمشق.

كان فاضلًا سمع الحديث وتفقه وسافر إلى بغداد فلما عاد قطع عليه الطريق فأصابه جراح فمات منه بعد أيام.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي العدل أبو منصور سعيد بن محمد بن سعيد الرزاز فجأة في المحرم.

وأبو منصور عتيق بن أحمد في صفر.

والعلامة أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن أبي البقاء العكبري الضرير في شهر ربيع الآخر وقد قارب الثمانين.

وأبو البركات داود بن أحمد بن محمد ابن منصور بن ثابت بن ملاعب الأزجي الوكيل في رجب ولد في أول سنة اثنتين وأربعين.

وأبو الفضل أحمد بن محمد بن سيدهم الأنصاري بن الهراس الجابي في شعبان وله أربع وثمانون سنة.

وأبو الفرج عبد الرحمن بن محمد بن علي الأنباري الكاتب سبط قاضي القضاة أبي الحسن بن الدامغاني وله تسعون سنة.

وأبو يعلى حمزة بن السيد بن أبي لقمة الصفار في شهر رمضان وهو أصغر من أخيه.

وأبو محمد عبد العزيز بن أحمد بن مسعود بن سعد بن علي بن الناقد المقرئ ويقال: كان آخر من قرأ المصباح على مؤلفه الشهرزوري مات في شوال عن ست وثمانين سنة.

والخاتون ست الشام أخت الملك العادل في ذي القعدة.

والعلامة افتخار الدين أبو هاشم عبد المطلب بن الفضل الهاشمي الحنفي بحلب.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربع أذرع ونصف إصبع.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا سواء.

السنة الثانية من سلطنة الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب على مصر وهي سنة سبع عشرة وستمائة.

فيها قتل صاحب سنجار أخاه فسار الملك الأشرف موسى أخو الملك الكامل هذا إليها فأخذها وعوض صاحبها الرقة.

وفيها نزل الملك الأشرف المذكور على الموصل نجدة لبدر الدين علي بن زين الدين وعزم على قصد إربل فبعث الخليفة من رده عن إربل وأصلح بينهما.

وفيها في شهر رجب كانت واقعة البرلس بين الكامل صاحب الترجمة وبين الفرنج ونصر الله الكامل وقتل منهم عشرة آلاف وغنم خيولهم وسلاحهم ورجعوا إلى دمياط مهزومين.

وفيها عزل الملك المعظم عيسى صاحب دمشق المبارز المعتمد عن ولاية دمشق وولى عوضه عليها العزيز خليلًا.

وفيها كان أول ظهور التتار وعبورهم جيحون وكان أول ظهورهم من ما وراء النهر سنة خمس عشرة وستمائة.

وقبل عبورهم جيحون قصدوا بخارى وسمرقند وقتلوا أهلها وسبوهم وحصروا خوارزم شاه فانضم إليهم الخطا وصاروا تبعًا لهم.

وكان خوارزم شاه قد أخلى البلاد من الملوك فلم يجدوا أحدًا يردهم ووصلوا في هذه السنة إلى الري وقزوين وهمذان وقتلوا أهلها وأحرقوا مساجدها ثم فعلوا بأذربيجان كذلك.

وفيها حج بالناس من العراق أقباش الناصري وقتل بمكة ولم يحج أحد من العجم بسبب التتار وعاد الحج البغدادي من على الشام.

وحج بالناس من الشام المبارز المعتمد.

وفيها توفي الملك الفائز إبراهيم ابن الملك العادل أبي بكر ابن الأمير نجم الدين أيوب أخو الملك الكامل صاحب الترجمة.

وقد تقدم أنه كان يريد الوثوب على أخيه الملك الكامل واتفق مع ابن المشطوب حتى أخرجهما أخوه الملك المعظم عيسى من مصر فمات الفائز بين سنجار والموصل فحمل إلى سنجار ودفن بتربة عماد الدين زنكي والد السلطان الملك العادل نور الدين محمود الشهيد ومات وهو في عنفوان شبيبته.

وفيها توفي الأمير أقباش بن عبد الله الناصري.

قال أبو المظفر: " اشتراه الخليفة يعني الناصر لدين الله وهو ابن خمس عشرة سنة بخمسة آلاف دينار ولم يكن بالعراق أجمل صورة منه ثم قربه إليه ولم يكن يفارقه فلما ترعرع ولاه إمرة الحاج والحرمين وكان متواضعًا محبوبًا إلى القلوب.

قتل بمكة المشوفة في واقعة بين أشراف مكة خرج ليصلح بينهم فقتل.

وكان قتله في سادس عشر ذي الحجة.

وفيها توفي الشيخ عبد الله بن عثمان بن جعفر بن محمد اليونيني أصله من قرية من قرى بعلبك يقال لها " يونين ".

كان صاحب رياضات وكرامات ومجاهدات ومكاشفات وكان من الأبدال.

وكانت وفاته يوم السبت في العشر الأول من ذي الحجة - رحمه الله -.

وفيها توفي الشريف قتادة بن إدريس أبو عزيز الحسيني المكي أمير مكة.

كان شيخًا عارفًا منصفًا نقمة على عبيد مكة المفسدين وكان الحاج في أيامه في أمان على أموالهم ونفوسهم وكان يؤذن في الحرم ب " حي على خير العمل " على قاعدة الرافضة وما كان يلتفت إلى أحد من خلق الله تعالى ولا وطئ بساط الخليفة ولا غيره وكان يحمل إليه من بغداد في كل سنة الذهب والخلع وهو بداره في مكة وهو يقول: أنا أحق بالخلافة من الناصر لدين الله ولم يرتكب كبيرة فيما قيل.

قلت: وأي كبيرة أعظم من الرفض وسب الصحابة! - رضي الله عنهم -.

وفيها توفي محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب الملك المنصور صاحب حماة.

كان شجاعًا محبًا للعلماء والفضلاء مات بحماة ودفن بها.

وقام بعده ولده الأكبر الملك الصالح الناصر قليج أرسلان.

وجرى له مع الملك الكامل صاحب الترجمة أمور وفصول.

وفيها توفي محمود بن محمد بن قرا أرسلان بن أرتق الملك الصالح ناصر الدين صاحب آمد كان شجاعًا عاقلًا جوادًا محبًا للعلماء وكان الأشرف يحبه وجاء إلى الأشرف وخدمه غير مرة ة ومات بآمد في صفر.

وقام بعده ولده مسعود وكان مسعود ضد اسمه بخيلًا فاسقًا حصره الملك الكامل هذا وظفر به وأخذه إلى مصر وأحسن إليه فكاتب الروم وسعى في هلاك الكامل فحبسه الكامل - لما سمع ذلك - في الحبس مدة ثم أطلقه فمضى إلى التتار وكان معه الجواهر والأموال فقتلته التتار وأخذوا جميع ما كان معه.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي عبد الرحمن بن أحمد بن هدية الوراق في شهر ربيع الأول وقد جاوز التسعين وهو آخر من روى عن عبد الوهاب الأنماطي.

وشيخ الشيوخ صدر الدين أبو الحسن محمد بن أبي الفتح عمر بن علي بن محمد بن حفويه في جمادى الأولى ذاهبًا في الرسلية من الكامل بالموصل وله أربع وسبعون سنة.

وصاحب حماة الملك المنصور محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه.

والزاهد الكبير الشيخ عبد الله اليونيني في ذي الحجة ببعلبك.

وصاحب مكة قتادة بن إدريس الحسيني.

وأبو الحسن المؤيد بن محمد بن علي الطوسي المقرئ في شوال.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ثلاث أذرع ونصف إصبع.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا وثماني أصابع.

السنة الثالثة من سلطنة الملك الكامل بن العادل أبي بكر بن أيوب على مصر وهي سنة ثماني عشرة وستمائة.

فيها توفي إسماعيل بن عبد الله أبو طاهر الأنماطي المحدث كان إمامًا فاضلًا سمع الكثير ولقي الشيوخ وحدث وتوفي بدمش في شهر رجب وكان ثقةً.

وفيها توفي محمد بن خلف بن راجح المقدسي ويلقب بالشهاب والد القاضي نجم الدين كان زاهدًا عابدًا فاضلًا في فنون العلوم.

وفيها توفي محمد بن محمد الشيخ الإمام النحوي التكريني كان بارعًا في النحو والأدب والشعر.

ومن شعره قوله: من كان ذم الرقيب يومًا فإنني للرقيب شاكر لم أر وجه الرقيب وقتًا إلا ووجه الحبيب حاضر وله في مجنونة: أمسيت مجنونًا بمجنونةٍ يغار من قامتها الغصن فمن عذيري من هوى ظبيةٍ قد عشقتها الإنس والجن قلت: وطريف قول الشيخ زين الدين عمر بن الوردي - رحمه الله - في هذا المعنى: زاد جنوني بذي جنونٍ معذر والعذار زين قالوا به عارض وعين قلت وبي عارض وعين الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي شهاب الدين محمد بن خلف بن راجح المقدسي في صفر وله ثمان وستون سنة.

وأبو محمد هبة الله ابن الخضر بن هبة الله بن أحمد بن عبد الله بن طاوس في جمادى الأولى وله إحدى وثمانون سنة.

وأبو نصر موسى ابن الشيخ عبد القادر الجيلي جمادى الآخرة.

واستشهد بهمذان خلق بأيدي التتار منهم: الإمام تقي الدين أبو جعفر محمد بن محمود بن إبراهيم الحمامي الواعظ.

وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن هبة الله الروذراوري.

وبهراة أبو روح عبد المعز بن محمد الهروي.

وبنيسابور أبو بكر القاسم بن عبد الله بن عمر بن الصفار.

وأبو النجيب إسماعيل بن عثمان بن إسماعيل بن أبي القاسم القارئ الصوفي.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ثلاث أذرع وست أصابع.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا وإصبعان.

السنة الرابعة من سلطنة الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب على مصر وهي سنة تسع عشرة وستمائة.

فيها ظهر جراد بالشام أكل الشجر والزروع والثمر ولم ير مثله.

وفيها نقلت رمة الملك العادل أبي بكر من قلعة دمشق إلى مدرسته التي عند دار العقيقي وفيها توفي مسمار بن عمر بن محمد الشيخ أبو بكر بن العويس البغدادي في شعبان بالموصل وكان فاضلًا ثقة.

وفيها توفي نصر بن أبي الفرج الفقيه الحنبلي كان إمام الحنابلة بمكة جاور بمكة سنين ثم خرج إلى اليمن فمات بالمهجم ودفن به وكان صالحًا متعبدًا لا يفتر عن الطواف.

وفيها توفي الأمير قطب الدين أحمد ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب أخو الملك الكامل محمد هذا.

مات بالفيوم فنقل إلى القاهرة ودفن بها.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي الحافظ أبو الفتوح نصر بن أبي الفرج البغدادي ابن الحصري المقرئ الحنبلي في المحرم وله ثلاث وثمانون سنة.

والحافظ أبو الطاهر تقي الدين إسماعيل بن عبد الله بن عبد المحسن المصري ابن الأنماطي في رجب كهلًا.

وأبو بكر مسمار بن عمر بن محمد بن العويس النيار بالموصل في شعبان.

والقدوة الشيخ علي ابن أبي بكر محمد بن عبد الله بن إدريس اليعقوبي في ذي القعدة.

وأبو سعد ثابت بن مشرف المعمار في ذي الحجة.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ثلاث أذرع وسبع أصابع.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا وثلاث أصابع.

بن العادل أبي بكر بن أيوب على مصر وهي سنة عشرين وستمائة.

قال أبو شامة: ففيها عاد الملك الأشرف موسى من مصر إلى الشام قاصدًا بلاده بالشرق فالتقاه أخوه المعظم عيسى وعرض عليه النزول بالقلعة فامتنع ونزل بجوسق والده العادل وبدت الوحشة بين الإخوة الثلاثة يعني الكامل محمدًا صاحب الترجمة

والمعظم عيسى صاحب دمشق والأشرف موسى صاحب خلاط وغيرها قال: ثم رحل الأشرف سحرًا على ضمير ثم سار إلى حران وكان الأشرف قد استناب أخاه شهاب الدين غازيًا صاحب ميافارقين على خلاط لما سافر إلى مصر وجعله ولي عهده ومكنه من بلاده فسولت له نفسه العصيان وحسن له ذلك الملك المعظم وكاتبه وأعانه وكذا كاتبه صاحب إربل والمشارقة فأرسل الأشرف إلى غازي المذكور يطلبه فامتنع فأرسل إليه: يا أخي لا تفعل أنت ولي عهدي والبلاد في حكمك فأبى فجمع الأشرف عساكره وقصده ووقع له معه أمور حتى هزمه ثم رضي عنه الأشرف حسب ما نذكره في السنة الآتية.

وفيها كانت بين التتار الذين جاؤوا إلى الدربند وبين القبجاق والروس وقعة هائلة وصبر الفريقان أيامًا ثم انهزم القبجاق والروس ولم يسلم منهم إلا اليسير.

وفيها توفي عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة بن مقدام بن نصر شيخ الإسلام موفق الدين أبو محمد المقدسي الجماعيلي الدمشقي الصالحي الحنبلي صاحب التصانيف.

ولد بجماعيل في شعبان سنة إحدى وأربعين وخمسمائة وقرأ القراءات واشتغل في صغره وسمع من أبيه سنة نيفٍ وخمسين ورحل إلى البلاد وسمع الكثير وكتب وصنف وبرع في الفقه والحديث وأفتى ودرس وشاع ذكره وبعد صيته.

وكانت وفاته في يوم عيد الفطر وله ثمانون سنة.

وفيها توفي عبد الرحمن بن محمد بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين الإمام المفتي فخر الدين أبو منصور الدمشقي الشافعي المعروف بابن عساكر شيخ الشافعية بالشام.

ولد في سنة خمسين وخمسمائة وسمع من عميه هبة الله والحافظ أبي القاسم وجماعة أخر وتفقه على حميه قطب الدين النيسابوري وكان بارعًا مفتنًا مدرسًا فقيهًا عالمًا محدثًا وكانت وفاته في شهر رجب.

وفيها توفي ملك الغرب يوسف بن محمد بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن ابن علي السلطان المستنصر بالله الملقب بأمير المؤمنين المكنى أبا يعقوب القيسي المغربي صاحب بلاد المغرب لم يكن في بني عبد عبد المؤمن أحسن صورة منه ولا أبلغ خطابًا ولكنه كان مشغولًا باللذات ومات وهو شاب في هذه السنة ولم يخلف ولدًا فاتفق أهل دولته على تولية الأمر لأبي محمد عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي فولي ولم يحسن التدبير ولا المداراة.

وكان مولد يوسف صاحب الترجمة في سنة أربع وتسعين وخمسمائة وأمه أم ولد رومية اسمها قمر وكانت دولته عشر سنين وشهرين.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي أبو سعد عبد السلام بن المبارك بن عبد الجبار بن محمد بن عبد السلام بن الردغولي في المحرم وله تسع وثمانون سنة.

والعلامة فخر الدين أبو منصور عبد الرحمن بن محمد بن الحسن ابن عساكر الشافعي في رجب وله سبعون سنة.

والعلامة موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي شيخ الحنابلة في يوم الفطر وله ثمانون سنة.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربع أذرع ونصف إصبع.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا سواء.

السنة السادسة من سلطنة الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب على مصر وهي سنة إحدى وعشرين وستمائة.

فيها استرد الملك الأشرف موسى مدينة خلاط من أخيه شهاب الدين غازي وأبقى عليه ميافارقين ورضي عنه بعد أمور وقعت بينهما وقد تقدم ذكر ذلك أيضًا.

وفيها ظهر السلطان جلال اللين بن خوارزم شاه بعد ما انفصل عن بلاد الهند وكرمان واستولى على أذربيجان وحكم عليها.

وراسله الملك المعظم عيسى ليعينه على قتال أخيه الملك الأشرف موسى ثم كتب المعظم أيضًا لصاحب إربل في هذا المعنى وبعث ولده الملك الناصر داود إليه رهينة.

وفيها استولى بدر الدين لؤلؤ على الموصل وأظهر أن الملك محمود بن القاهر قد توفي وكان قد أمر بخنقه.

وفيها بنى الملك الكامل صاحب الترجمة دار الحديث الكاملية بالقاهرة في بين القصرين وجعل أبا الخطاب بن دحية شيخها.

وفيها قدم الملك مسعود أضسيس المشهور بأقسيس على أبيه الملك الكامل من اليمن طائعًا وعزمه أخذ الشام من عمه الملك المعظم عيسى وقدم لأبيه أشياء عظيمة منها مائتا خادم.

قال ابن الأثير: وفيها عادت التتار من بلاد القبجاق ووصلت إلى الري وكان من سلم من أهلها قد عمروها فلم يشعروا إلا بقدوم التتار بغتة فوضعوا فيهم السيف ثم فعلوا بعدة بلاد أخر وفيها حدثت واقعة قبيحة من الكرج وهو أن الكرج - لعنهم الله - لم يبق فيهم من بيت الملك أحد سوى امرأة فملكوها عليهم.

قال ابن الأثير: ثم طلبوا لها زوجًا يتزوجها وينوب عنها في الملك ويكون من بيت مملكة.

وكان صاحب أرزن الروم مغيث الدين طغرل شاه بن قليج أرسلان بن مسعود بن قليج أرسلان وهو من الملوك السلجوقية وله ولد فأرسل إلى الكرج يخطب الملكة لولده فامتنعوا وقالوا: لا يملكنا مسلم فقال لهم: إن ابني يتنصر ويتزوجها فأجابوا فتنصر وتزوج بها وأقام عندها حاكمًا في بلادهم فنعوذ بالله من الخذلان! وكانت الملكة تهوى مملوكًا فكان هذا الزوج يسمع عنها من القبائح أشياء ولا يمكنه الكلام لعجزه فدخل يومًا فرآها مع المملوك فأنكر ذلك فقالت: إن رضيت بذا وإلا أنت أخبر بما أفعله معك!.

فقال: إنني لا أرضى بهذا فنقلته إلى بلد آخر ووكلت به من يحفظه وحجرت عليه وأرسلت إلى بلاد اللان وأحضرت رجلين وصفًا لها بحسن الصورة فتزوجت بأحدهما وبقي معها ذاك يسيرًا ثم فارقته وأحضرت آخر من كنجة وهو مسلم فطلبت منه أن يتنصر ويتزوجها فلم يفعل فأرادت أن تتزوجه وهو مسلم فقام عليها الأمراء ومعهم إبواني

مقدمهم وقالوا لها: فضحتينا بين الملوك بما تفعلين! " ثم تريدين أن يتزوجك مسلم وهذا لا نمكنك منه أبدًا " والأمر بينهم متردد والرجل الكنجي عندهم " لم يجبهم إلى الدخول في النصرانية وهي وفيها توفي فخر الدين أبو المعالي محمد بن أبي الفرج الموصلي المقرئ ببغداد في شهر رمضان.

وكان إمامًا فاضلًا بارعًا في فنون.

ومن شعره " مواليا ": ساق قمر بكفه شمس ضحا قد أسكرني من راحتيه وصحا لو أمكنني والراح في راحته في الحان شربت كفه والقدحا قلت: ويعجبني في هذا المعنى قول أبي الحسن علي بن عبد الغني الفهري القيرواني الضرير المعروف بالحصري الشاعر المشهور ووفاته سنة ثمان وثمانين وأربعمائة وهما: أقول له وقد حيا بكأس لها من مسك ريقته ختام أمن خديك يعصر قال كلا متى عصرت من الورد المدام وفيها توفي القاضي أبو البركات عبد القوي بن عبد العزيز بن الجباب السعدي في شوال وله خمس وثمانون سنة.

وكان عالمًا بارعًا دينًا.

عفيفًا أفتى وعرس سنين.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي أبو جعفر محمد بن هبة الله بن مكرم الصوفي ببغداد في المحرم.

وأبو طالب عبد الرحمن بن محمد بن عبد السميع الهاشمي المقرئ بواسط.

وأبو العباس أحمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن صرمى الأزجي في شعبان.

وفخر الدين أبو المعالي محمد بن أبي الفرج الموصلي البغدادي المقرئ في رمضان.

الماء القديم ثلاث أذرع سواء.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا وثلاث وعشرون إصبعًا.

السنة السابعة من سلطنة الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب على مصر وهي سنة اثنتين وعشرين وستمائة.

فيها في شهر ربيع الأولى وصل السلطان جلال الدين بن خوارزم شاه إلى دقوقا فافتتحها بالسيف وأحرق البلد ونهب أهلها وفعل فيها ما لا تفعله الكفار لكونهم شتموه ولعنوه على الأسوار ثم عزم على قصد بغداد فانزعج الخليفة الناصر لدين الله واستعد لقتاله وأنفق ألف ألف دينار في هذا المعنى.

قال أبو المظفر: " قال لي الملك المعظم عيسى: كتب إلي جلال الدين يقول: تحضر أنت ومن عاهدني فنتفق حتى نقصد الخليفة فإنه كان السبب في هلاك المسلمين وفي هلاك أبي وفي مجيء الكفار إلى البلاد ووجدنا كتبه إلى الخطا وتواقيعه لهم بالبلاد والخلع والخيل فقال المعظم: فكتبت إليه: أنا معك على كل أحد إلا على الخليفة فإنه إمام المسلمين ".

انتهى.

قلت: ثم وقع لجلال الدين المذكور في هذه السنة أمور ووقائع مع غير الخليفة من الملوك يطول وفيها توفي الخليفة الناصر لدين الله أمير المؤمنين أبو العباس أحمد ابن الخليفة المستضيء بالله أبي محمد الحسن ابن الخليفة المستنجد بالله أبي المظفر يوسف ابن الخليفة المقتفي بأمر الله أبي عبد الله محمد ابن الخليفة المستظهر بالله أحمد الهاشمي العباسي البغدادي.

ولد يوم الاثنين عاشر شهر رجب سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة وبويع بالخلافة بعد موت أبيه المستضيء في أول ذي القعدة سنة خمس وسبعين وخمسمائة.

وأمه أم ولد تركية.

قال الشيخ شمس الدين: " وكان أبيض اللون تركي الوجه مليح العينين أنور الجبهة أقنى الأنف خفيف العارضين أشقر اللحية رقيق المحاسن.

كان نقش خاتمه: " رجائي من الله عفوه ".

لم يل الخلافة قبله أحد من بني العباس أطول مدة منه إلا ما ذكرنا من خلفاء العبيدية المستنصر معد " انتهى.

وفي أيام الناصر لدين الله ظهرت الفتوة ببغداد ورمي البندق ولعب الحمام المناسيب وافتن الناس في ذلك ودخل فيه الأجلاء ثم الملوك فألبسوا الملك العادل ثم أولاده سراويل الفتوة ولبسها أيضًا الملك شهاب الدين صاحب غزنة والهند من الخليفة الناصر لدين الله ولبسها جماعة أخر من الملوك.

وأما لعب الحمام فخرج فيه عن الحد يحكى عنه أنه لما دخلت التتار البلاد وملكوا من ما وراء النهر إلى العراق وقتلوا تلك المقتلة من المسلمين التي ما نكب المسلمون بأعظم منها دخل عليه الوزير فقال له: آه يا مولانا إن التتار قد ملكت البلاد وقتلت المسلمين! فقال له الناصر لدين الله: دعني أنا في شيء أهم من ذلك! طيرتي البلقاء لي ثلاثة أيام ما رأيتها! وفي هذه الحكاية كفاية إن صحت عنه.

وكانت وقاته في سلخ شهر رمضان وكانت خلافته سبعًا وأربعين سنة.

وبويع بعده لولده أبي نصر ولقب بالظاهر بأمر الله فكانت خلافه الظاهر المذكور تسعة أشهر ومات.

حسب ما يأتي ذكره.

وفيها توفي السلطان الملك الأفضل على بن ابن السلطان صلاح الدين يوسف ابن الأمير نجم الدين أيوب في يوم الجمعة من شهر ربيع الأول من السنة وهو الذي كان ملك الشام في حياة أبيه ثم من بعده ووقع له تلك الأمور مع أخيه وعمه العادل وقد تقدم ذكر ذلك كله وتنقلت به الأحوال إلى أن صار صاحب سميساط وبقي بها إلى أن مات في هذه السنة.

وكان مولده بمصر في سلطنة والده سنة خمس وستين وخمسمائة.

وكان فاضلًا شاعرًا حسن الخط قليل الحظ غير مسعود في حركاته - رحمه الله تعالى - - ومن شعره - مما كتبه إلى الخليفة لما خرج من دمشق واتفق عليه الملك العادل عمه

والعزيز أخوه -: مولاي إن أبا بكر وصاحبه عثمان قد غصبا بالسيف حق علي فانظر إلى حظ هذا الاسم كيف لقي من الأواخر ما لاقى من الأول الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي الواعظ أبو إسحاق إبراهيم بن المظفر بن إبراهيم بن البرني بالموصل في المحرم.

والخطيب المفسر فخر الدين محمد بن الخضر بن محمد بن تيمية الحراني في صفر.

والملك الأفضل علي بن السلطان صلاح الدين بسميساط في صفر وله سبع وخمسون سنة.

وأبو الحسن علي بن أبي الكرم نصر بن المبارك الجلال بن البناء بمكة في شهر ربيع الأول.

وعبد المحسن خطيب الموصل ابن عبد الله بن أحمد الطوسي في شهر ربيع الأول.

وقاضي القضاة بالقاهرة زين الدين علي ابن العلامة يوسف بن عبد الله بن بندار الدمشقي.

والوزير الكبير صفي الدين عبد الله بن علي الشيبي ابن شكر بالقاهرة في شعبان.

ومجد الدين أبو المجد محمد بن الحسين القزويني الصوفي بالموصل في شعبان.

والناصر لدين الله أبو العباس أحمد بن المستضيء بالله حسن بن المستنجد في سلخ شهر رمضان وله سبعون سنة وكانت خلافته سبعًا وأربعين سنة.

وفخر الدين محمد بن إبراهيم بن أحمد الفارسي الخبري الصوفي بمصر في ذي الحجة وله أربع وتسعون سنة.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربع أذرع ونصف إصبع.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا وتسع عشرة إصبعًا.

M0لنة الثامنة من سلطنة الملك الكامل محمد وهي سنة ثلاث وعشرين وستمائة.

فيها قدم الشيخ محيي الدين بن الجوزي إلى دمشق رسولًا إلى الملك المعظم عيسى صاحب دمشق ومعه الخلع له ولإخوته أولاد العادل من الخليفة الظاهر بأمر الله أبي نصر محمد العباسي المتولي الخلافة بعد وفاة والده الناصر لدين الله.

ومضمون رسالته طلب رجوع المعظم عن موالاة ابن الخوارزمي.

قال أبو المظفر سبط ابن الجوزي قال لي الملك المعظم قال خالك: المصلحة رجوعك عن هذا الخارجي يعني جلال الدين بن الخوارزمي وترجع إلى إخوتك ونصلح بينكم قال: فقلت لخالك: إذا رجعت عن ابن الخوارزمي وقصدني إخوتي تنجدونني.

قال: نعم فقلت: ما لكم عادة تنجحون أحدًا! هذه كتب الخليفة الناصر لدين الله عندنا ونحن على دمياط نكتب ونستصرخ به فيجيء الجواب بأنا قد كتبنا إلى ملوك الجزيرة ولم يفعلوا.

قال: قلت: مثلي معكم كمثل رجل كان يخرج إلى الصلاة وبيده عكاز خوفًا من الكلاب فقال له بعض أصدقائه: أنت شيخ كبير وهذا العكاز يثقلك وأنا أدلك على شيء يغنيك عن حمله قال: وما هو قال: تقرأ سورة يس عند خروجك من الدار وما يقربك كلب وأقام مدة فرأى الشيخ حامل العكاز فقال له: أما قد علمتك ما يغنيك عن حمله فقال: هذا العكاز لكلب لا يعرف القرآن.

وقد اتفق إخوتي علي وقد أنزلت ابن الخوارزمي على خلاط إن قصدني أخي الأشرف منعه وإن قصدني أخي الكامل يعني صاحب الترجمة فأنا له.

ثم اصطلح الإخوة.

بعد ذلك في السنة.

وفيها توفي كافور بن عبد الله شبل الدولة الحسامي خادم ست الشام بنت أيوب.

كان عاقلًا دينًا صالحًا بني مدرسته على نهر ثورا بدمشق لأصحاب أبي حنيفة - رضي الله عنه - والخانقاه إلى جانب مدرسته.

وكانت وفاته بدمشق في شهر رجب.

وفيها توفي الخليفة أمير المؤمنين الظاهر بأمر الله أبو نصر محمد ابن الخليفة الناصر لدين الله أبي العباس أحمد الهاشمي البغدادي.

ولي الخلافة بعد وفاة أبيه في السنة الماضية فلم تطل مدته فيها ووقع له شدائد إلى أن مات في شهر رجب وأمه أم ولد.

وكانت خلافته تسعة أشهر وأيامًا وكان مولده في المحرم سنة سبعين وخمسمائة وكان جميل الصورة أبيض مشربا بحمرة حلو الشمائل شديد القوى.

أفضت الخلافة إليه وله اثنتان وخمسون سنة إلا أشهرًا فقيل له: إلا تنفسح فقال: قد فات الزرع! فقيل له: يبارك الله في عمرك فقال: من فتح دكانًا بعد العصر إيش يكسب!.

وكان خيرًا عادلًا قطع الظلامات والمكوس حتى قيل: إن جملة ما قطع من الظلامات والمكوس ثمانية آلاف دينار في كل سنة وتصدق في ليلة العيد بمائة ألف دينار.

وسببه أنه لما ولي الخلافة ولى الشيخ عماد الدين ابن الشيخ عبد القادر الجيلي القضاء فما قبل عماد الدين إلا بشرط أن يورث ذوي الأرحام فقال له الخليفة: أعط كل ذي حق حقه واتق الله ولا تثق بسواه فكلمه القاضي أيضًا في الأوراق التي ترفع إلى الخليفة وهو أن حراس الحروب كانت ترفع إلى الخليفة في صبيحة كل يوم ما يكون عندهم من أحوال الناس الصالحة والطالحة فأمر الظاهر بتبطيل ذلك وقال: أي فائدة في كشف أحوال الناس! فقيل له: إن تركت ذلك فسدت أحوال الرعية فقال: نحن ندعو لهم بالإصلاح.

ثم أعطى القاضي المذكور عشرة آلاف دينار يفي بها ديون من في السجون من الفقراء ثم فرق بقية المائة الألف الدينار في العلماء والفقراء.

ولما مات الظاهر تولى الخلافة بعده ولده المستنصر بالله أبو جعفر.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي أبو المحاسن محمد بن السيد بن أبي لقمة الأنصاري الصفار في شهر ربيع الأول عن أربع وتسعين سنة.

وقاضي الشام جمال الدين يونس بن بدران القرشي المصري الشافعي في شهر ربيع الأول ودفن بقرب القليجية.

وشمس الدين أحمد بن عبد الواحد المقدسي الملقب بالبخاري الفقيه المناظر في جمادى الآخرة وله تسع وخمسون سنة.

والتقي خزعل بن عسكر المصري النحوي اللغوي بدمشق.

والمحاري.

الزاهد أبو محمد عبد الرحمن بن عبد الله بن علوان بحلب في جمادى الآخرة وله تسعون سنة.

والعلامة إمام الدين عبد الكريم بن محمد بن الفضل الرافعي القزويني صاحب الشرح.

والظاهر بأمر الله أبو نصر محمد بن الناصر لدين الله في رجب وله ثلاث وخمسون سنة وكانت خلافته عشرة أشهر.

وبويع بعده ابنه المستنصر.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربع أذرع وعشرون إصبعًا.

مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعًا وإصبع واحدة.

السنة التاسعة من سلطنة الملك الكامل

محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب على مصر وهي سنة أربع وعشرين وستمائة.

فيها عاد الملك الأشرف موسى ابن الملك العادل إلى بلاده بعد أن صالح أخاه الملك المعظم عيسى ابن الملك العادل وكلاهما أخو الملك الكامل هذا.

وفيها حج بالناس من الشام الشجاع علي بن السلار ومن ميافارقين الشهاب غازي ابن الملك العادل.

وفيها توفي السلطان الملك المعظم شرف الدين عيسى ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب بن شادي الأيوبي صاحب الشام.

قال أبو المظفر: وفيها توفي الملك المعظم العالم الفقيه المجاهد في سبيل الله الغازي النحوي اللغوي.

ولد بالقاهرة سنة ست وسبعين وخمسمائة ونشأ بالشام وقرأ القرآن وتفقه على مذهب أبي حنيفة بجمال الدين الحصيري وحفظ المسعودي واعتنى بالجامع الكبير " وقرأ الأدب والنحو على تاج الدين الكندي فأخذ عنه " كتاب " سيبويه وشرحه الكبير للسيرافي " والحجة في القراءات " لأبي علي الفارسي و " الحماسة " وقرأ عليه الإيضاح لأبي علي

حفظًا ثم ذكر مسموعاته في الحديث وغيره إلى أن قال: وشرح الجامع الكبير وصنف الرد على الخطيب والعروض وله " ديوان شعر ".

قال: وكان شجاعًا مقدامًا كثير الحياء متواضعًا مليح الصورة ضحوكًا غيورًا جوادًا حسن السيرة.

وأطلق أبو المظفر عنان القلم في ميدان محاسنه حتى إنه ساق ترجمته في عدة أوراق في مرآة الزمان.

قلت: ويحق له ذلك فإن المعظم كان في غاية ما يكون من الكمال في عدة علوم وفنون وهو رجل بني أيوب وعالمهم بلا مدافعة ومحاسنه أشهر من أن تذكر.

وكانت وفاته - رحمه الله - في ثالث ساعة من نهار الجمعة أول يوم ذي الحجة ودفن بقلعة دمشق ثم نقل بعد ذلك من قلعة دمشق ودفن مع والدته في القبة عند الباب.

وخلف عدة أولاد: الملك الناصر داود والملك المغيث عبد العزيز والملك القاهر عبد الملك ومن البنات تسعًا وقيل إحدى عشرة.

وتولى ابنه الناصر داود دمشق بعده إلى أن أخذها منه عمه الملك الكامل صاحب الترجمة.

وفيها توفي الملك جنكزخان التركي طاغية التتار وملكهم الأول الذي خرب البلاد وأباد العباد وليس قلت: هو صاحب " التورا " و " اليسق " وقد أوضحنا أمره في غير هذا الكتاب وذكرنا أصله واعتقاد التتار فيه وأشياء كثيرة.

والتورا باللغة التركية هو المذهب واليسق هو الترتيب وأصل كلمة اليسق: سي يسا وهو لفظ مركب من أعجمي وتركي ومعناه: التراتيب الثلاث لأن " سي " بالعجمي في العدد ثلاثة و " يسا " بالتركي: الترتيب وعلى هذا مشت التتار من يومه إلى يومنا هذا وانتشر ذلك في سائر الممالك حتى ممالك مصر والشام وصاروا يقولون: " سي يسا " فثقلت عليهم فقالوا: " سياسة " على تحاريف أولاد العرب في اللغات الأعجمية.

ولما أن تسلطن الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري أحب أن يسلك في ملكه بالديار المصرية طريقة جنكرخان هذا وأموره ففعل ما أمكنه ورتب في سلطنته أشياء كثيرة لم تكن قبله بديار مصر: مثل ضرب البوقات وتجديد الوظائف على ما نذكره - إن شاء الله تعالى - في ترجمته.

واستمر أولاد جنكزخان في ممالكه التي قسمها عليهم في حياته ولم يختلف منهم واحد على واحد ومشوا على ما أوصاهم به وعلى طريقته " التورا " و " اليسق " إلى يومنا هذا.

انتهى.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي داود بن معمر بن عبد الواحد بن الفاخر القرشي في رجب وفي شعبان وله تسعون سنة.

وطاغية التتار جنكزخان في شهر رمضان.

وقاضي القضاة بحران أبو بكر عبد الله بن نصر الحنبلي وله خمس وسبعون سنة.

وأبو محمد عبد البر ابن الحافظ ابن العلاء الهمذاني بروذراور في شعبان.

والبهاء عبد الرحمن بن إبراهيم المقدسي الحنبلي الفقيه المحدث في ذي الحجة وله تسع وستون سنة.

والملك المعظم شرف الدين عيسى بن العادل في ذي القعدة وله ثمان وأربعون سنة.

وأبو الفرج الفتح بن عبد الله بن محمد بن علي بن هبة الله بن عبد السلام الكاتب في المحرم وله سبع وثمانون سنة.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربع أذرع وعشرون إصبعًا.

مبلغ الزيادة سبع أذرع واثنتا عشرة إصبعًا.

هكذا وجدته مكتوبًا ولعله وهم من الكاتب.

السنة العاشرة من سلطنة الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب على مصر وهي سنة خمس وعشرين وستمائة.

فيها نزل جلال الدين بن خوارزم شاه على خلاط مرة ثانية وهجم عليه الثتاء فرحل عنها إلى أذربيجان وخرج الحاجب علي من خلاط بالعسكر فاستولى على خوي وسلماس وتلك النواحي وأخذ خزائن جلال الدين المذكور وعاد إلى خلاط فقيل له: بئس ما فعلت! وهذا يكون سببًا لهلاك العباد والبلاد فلم يلتفت.

وفيها كان فراغ مدرسة ركن الدين الفلكي بقاسيون دمشق.

وفيها توفي عبد الرحيم بن علي بن إسحاق سبط القاضي جمال الدين القرشي.

كان إمامًا عالمًا فاضلًا غزير المروءة كثير الإحسان شاعرًا مترسلًا وكانت وفاته بدمشق في سابع المحرم.

ومن شعره قوله في مليح بالحمام: تجرد للحمام عن قشر لؤلؤ وألبس من ثوب المحاسن ملبوسا وقد زئين الموسى لتزيين رأسه فقلت لقد أوتيت سؤلك يا موسى الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي أبو المعالي أحمد ابن الخضر بن هبة الله بن طاوس الصوفي في رمضان.

والمحدث محب الدين أحمد بن تميم اللبلي.

وأبو منصور أحمد بن يحيى بن البراج الصوفي الوكيل في المحرم.

والعلامة أبو القاسم أحمد بن يزيد القرطبي آخر من روى بالإجازة عن شريح في رمضان.

وأبو علي الحسن بن إسحاق بن موهوب بن أحمد الجواليقي في شعبان وله إحدى وثمانون سنة.

ونفيس الدين الحسن بن علي بن أبي القاسم الحسين بن الحسن بن البن الأسدي في شعبان وله ثمان وثمانون سنة.

والرئيس المنشىء جمال الدين عبد الرحيم بن علي بن الحسين بن شيث القرشي الفرضي بدمشق في المحرم وكان كاتب المعظم.

وأبو منصور محمد بن عبد الله بن المبارك البندنيجي.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمس أذرع وتسع عشرة إصبعًا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا وخمس أصابع.

السنة الحادية عشرة من سلطنة الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب على مصر وهي سنة ست وعشرين وستمائة.

فيها أعطى الملك الكامل صاحب الترجمة بيت المقدس لملك الفرنج الأنبرور وفيها خرج الملك الكامل في صفر من مصر ونزل تل العجول وكان الملك الناصر داود ابن الملك المعظم عيسى صاحب دمشق كاتب عمه الملك الأشرف موسى بالحضور إلى دمشق فوصل إليها ونزل بالنيرب وكان عز الدين أيبك قد أشار على الملك الناصر داود بمداراة عمه الملك الكامل محمد صاحب مصر فخالفه وقال الناصر لعمه الأشرف في قتال عمه الكامل فلم يلتفت الأشرف إلى كلامه واجتمع الأشرف مع أخيه الملك الكامل واتفقا على حصار دمشق.

ووصلت الأخبار بتسليم القدس إلى الأنبرور فقامت قيامة الناس لذلك ووقع أمور وتسلم الأنبرور القدس والكامل والأشرف على حصار دمشق فلم يقم الأنبرور بالقدس سوى ليلتين وعاد إلى يافا بعد أن أحسن إلى أهل القدس ولم يغير من شعائر الإسلام شيئًا.

وفيها سلم الملك الناصر داود إلى عمه الملك الكامل دمشق وعوضه عمه الكامل الشوبك وذلك في شهر ربيع الآخر من السنة.

وفيها توفي أضسيس المعروف بأقسيس المنعوت بالملك المسعود بن الملك الكامل صاحب الترجمة مرض بعد خروجه من اليمن مرضًا مزمنًا ومات بمكة ودفن بالمعلي في حياة والده الملك الكامل وكان معه من الأموال شيء كثير.

وكان ظالمًا جبارًا سفاكًا للدماء قتل باليمن خلائق لا تدخل تحت حصر واستولى على أموالهم.

وكان أبوه الملك الكامل يكرهه ويخافه.

ودام باليمن حتى سمع بموت عمه الملك المعظم عيسى فخرج من اليمن بطمع دمشق فمرض ومات.

فلما سمع أبوه الملك الكامل بموته سر بذلك واستولى على جميع أمواله.

وفيها توفي الحسن بن هبة الله بن محفوظ بن صصرى الشيخ الإمام أبو القاسم الدمشقي التغلبي.

سمع الحافظ ابن عساكر وغيره وروى الكثير وكان صالحًا ثقة - رحمه الله -.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي أبو القاسم ابن هبة الله بن محفوظ بن صصرى التغلبي في المحرم وقد قارب التسعين.

وتوفيت أمة الله بنت أحمد بن عبد الله بن علي الأبنوسي.

وأبو الحسن محمد بن محمد بن أبي حرب النرسي الشاعر.

والمهذب بن علي بن قنيدة أبو نصر الأزجي والملك المسعود أقسيس صاحب اليمن ابن الملك الكامل في جمادى الآخرة.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربع أذرع وثلاث أصابع.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا وإحدى عشرة إصبعًا.

السنة الثانية عشرة من سلطنة الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب على مصر وهي سنة سبع وعشرين وستمائة.

فيها أخذ السلطان جلال الدين بن خوارزم شاه مدينة خلاط بعد حصار طويل أقام عليها عشرة أشهر ولما بلغ صاحبها الملك الأشرف ذلك استنجد بملك الروم وغيره من الملوك وواقع جلال الدين الخوارزمي المذكور وكسره بعد أمور وقتل معظم عسكره وامتلأت الجبال والأودية منهم وشبعت الوحوش والطيور من رممهم وعظم الملك الأشرف في النفوس.

وفيها توفي الحسن بن محمد بن الحسن بن هبة الله الشيخ أبو البركات زين الأمناء المعروف بابن عساكر في ليلة الجمعة سابع عشر صفر ودفن عند أخيه فخر الدين وكان فاضلًا محدثًا سمع الكثير وروى تاريخ الحافظ ابن عساكر.

وفيها توفي فتيان بن علي بن فتيان الأسدي الحريمي المعروف بالشاغوري المعلم الشاعر المشهورة كان فاضلًا شاعرًا.

خدم الملوك ومدحهم وعلم أولادهم وله ديوان شعر مشهور.

قال الإسعردي: إنه مات في هذه السنة.

وقال ابن خلكان: إنه توفي سحر الثاني والعشرين من المحرم سنة خمس عشرة وستمائة بالشاغور ودفن بمقابر الباب الصغير وقول ابن خلكان هو الأرجح.

انتهى.

ومن شعر الشاغوري في مدح أرض الزبداني من دمشق: قد أجمد الخمر كانون بكل قدح وأخمد الجمر في الكانون حين قدح يا جنة الربداني أنت مسفرة بحسن وجه إذا وجه الزمان كلح فالثلج قطن عليه السحب تندفه والجو يحلجه والقوس قوس قزح وله وقد دخل الحمام وماؤها شديد الحرارة وكان شاخ فقال: أرى ماء حمامكم كالحميم نكابد منه عناء وبوسا وعهدي بكم تسمطون الجداء فما بالكم تسمطون التيوسا ومثل هذا قول بعضهم: أعجب شيء رأيت فيها طهورها ينقض الطهاره ومن أحسن لغز سمعناه في الحمام: وما ليل يخالطه نهار وأقمار تصد عن الشموس وأنهار على النيران تجري

وأسلحة تسل على الرؤوس الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي زين الأمناء الحسن بن محمد بن الحسن بن عساكر في صفر وله ثلاث وثمانون سنة.

والشرف راجح بن إسماعيل الحلي الشاعر.

وعبد الرحمن بن عتيق بن عبد العزيز بن صيلا المؤدب.

وعبد السلام بن عبد الرحمن ابن الأمين علي ابن علي بن سكينة.

وأبو المعالي محمد بن أحمد بن صالح الحنبلي ببغداد.

وفخر الدين محمد بن عبد الوهاب الأنصاري يوم عيد الأضحى.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ذراعان سواء.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا وثلاث أصابع.

السنة الثالثة عشرة من سلطنة الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب على مصر! فيها ساق التتار خلف السلطان جلال الدين بن خوارزم شاه بعد أن واقعهم عدة وقائع من بلاد تبريز فانهزم بين أيديهم إلى ديار بكر فقتل في قرية من أعمال ميافارقين.

وفيها توفي بهرام شاه بن فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب الملك الأمجد صاحب بعلبك.

كان السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب أعطاه بعلبك عند وفاة أبيه سنة ثمان وسبعين وخمسمائة فأقام فيها خمسين سنة حتى حصره الملك الأشرف موسى بن العادل أبي بكر بن أيوب وأخرجه منها وساعده عليه ابن عمه أسد الدين شيركوه صاحب حمص فانتقل الملك الأمجد إلى الشام وسكنها حتى قتله بعض مماليكه غيلة وكان فاضلًا شاعرًا فصيحًا كاتبًا وله ديوان شعر كبير.

ومن شعره " دوبيت ": كم يذهب هذا العمر في الخسران يا غفلتي فيه وما أنساني ضيعت زماني كله في لعب يا عمر فهل بعدك عمر ثان قلت: وما أحسن قول قاضي القضاة شهاب الدين أحمد بن حجر - رحمه الله - في هذا المعنى وهو مما أنشدني من لفظه لنفسه - عفا الله عنه -: خليلي ولى العمر منا ولم نتب وننوي فعال الصالحات ولكنا فحتى متى نبني بيوتًا مشيدة وأعمارنا منا تهد وما تبنى يا خجلتي وصحائفي سودًا غدت وصحائف الأبرار في إشراق وفضيحتي لمعنفٍ لي قائل أكذا تكون صحائف الوراق وفيها قتل السلطان جلال الدين بن خوارزم شاه واسمه تكش وقيل محمود ابن السلطان علاء الدين خوارزم شاه واسمه محمد بن تكش وهو من نسل عبد الله بن طاهر بن الحسين وجده تكش هو الذي أزال ملك السلجوقية.

قتل بديار بكر كما ذكرناه في أول هذه السنة.

ولما قتل دخل جماعة على الملك الأشرف موسى فهنؤوه بموته فقال: تهنوني به ولفرحون! سوف ترون غبة! والله لتكونن هذه الكسرة سببًا لدخول التتار إلى بلاد الإسلام ما كان الخوارزمي إلا مثل السد الذي بيننا وبين يأجوج ومأجوج فكان كما قال الأشرف.

كان الخوارزمي يقاتل التتار عشرة أيام بلياليها بعساكره يترجلون عن خيولهم ويلتقون بالسيوف ويبقى الرجل منهم يأكل ويبول وهو يقاتل.

وفيها توفي المهذب عبد الرحيم بن علي بن الدخوار الطبيب كان فاضلًا حاذقًا بعلم الطب أستاذ عصره تقدم على جميع أطباء زمانه ومع هذا مات بستة أمراض مختلفة ووقف داره وكتبه على الأطباء.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي أبو نصر أحمد بن الحسين بن عبد الله بن النرسي البيع في رجب وله ثلاث وثمانون سنة.

والملك الأمجد مجد الدين بهرام شاه بن فرخشاه صاحب بعلبك.

ومحمد بن عمر بن حسين المقرئ الكردي بدمشق.

والمهذب عبد الرحيم بن علي رئيس الطب ويعرف بالدخوار في صفر.

وأبو الفضل عبد السلام بن عبد الله الداهري الخفاف في شهر ربيع الأول عن اثنتين وثمانين سنة.

وأبو الرضا محمد بن أبي الفتح المبارك ابن عصية الحربي في المحرم وله ثلاث وثمانون سنة.

والعلامة زين الدين يحيى بن عبد المعطي بن عبد النور الزواوي النحوي في ذي القعدة بمصر.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ذراع واحدة ونصف إصبع.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا سواء.

السنة الرابعة عشرة من سلطنة الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب على مصر وهي سنة تسع وعشرين وستمائة.

فيها عاد التتار إلى الجزيرة وحران وقتلوا وأسروا وسبوا وخرج الكامل صاحب الترجمة من مصر إلى أن وصل إلى ديار بكر واجتمع مع أخيه الأشرف موسى واجتمعوا على دفع التتار وكان أهل حران قد خرجوا لقتال التتار فما رجع منهم إلا القليل.

وعاد التتار إلى بلادهم بعد أمور صدرت منهم في حق المسلمين.

فلما بلغ الكامل عود التتار نزل على مدينة آمد ومعه أخوه الأشرف وحاصرها حتى استولى عليها وعلى عدة قلاع.

وفيها توفي إسماعيل بن إبراهيم الشيخ شرف الدين الفقيه الحنفي وهو ابن خالة شمس الدين ابن الشيرازي.

كان فقيهًا فاضلًا زاهدًا عابدًا ورعًا وله تصانيف حسان منها مقدمة في الفرائض " وكان بعث إليه الملك المعظم عيسى صاحب دمشق يقول: أفت بإباحة الأنبذة وما يعمل من ماء الرمان ونحوه فقال: لا أفتح هذا الباب على أبي حنيفة! إنما هي رواية النوادر وقد

صح عن أبي حنيفة أنه ما شربه قط وحديث ابن مسعود لا يصح وكذا ما يروي عن عمر في إباحة شربه لا يثبت عنه.

فغضب المعظم وأخرجه من مدرسة طرخان.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي أبو القاسم أحمد بن أحمد بن السمذي الكاتب.

والحافظ أبو موسى عبد الله ابن الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي في رمضان وله ثمان وأربعون سنة.

وعبد اللطيف بن عبد الوهاب بن الطبري في شعبان.

والعلامة موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف بن محمد البغدادي النحوي الطبيب في المحرم عن اثنتين وسبعين سنة.

والزاهد الشيخ عمر بن عبد الملك الدينوري بقاسيون.

وأبو حفص عمر بن كرم بن أبي الحسن الدينوري الحمامي في رجب وله تسعون سنة.

وأبو القاسم عيسى بن عبد العزيز بن عيسى المقرئ بالإسكندرية.

والحافظ معين الدين أبو بكر محمد بن عبد الغني نقطة الحنبلي في صفر كهلًا.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ثلاث أذرع وثماني أصابع.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا.

وثلاث أصابع.

السنة الخامسة عشرة من سلطنة الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب على مصر وهي سنة ثلاثين وستمائة.

فيها فتح الملك الكامل محمد صاحب الترجمة آمد وأخرج منها صاحبها الملك المسعود بن مودود بعد حصار طويل وتسلم منه جميع القلاع التي كانت بيده وبقي حصن كيفا عاصيًا فبعث الكامل أخاه الأشرف وأخاه شهاب الدين غازيًا ومعهما صاحب آمد تحت الحوطة فسألهم صاحب آمد في تسليم الحصن فلم يسلموا البلد فعذبه الأشرف عذابًا عظيمًا وكان يبغضه ولا زال الأشرف يحاصر حصن كيفا حتى تسلمها بعد أمور في صفر من السنة ووجد عند مسعود المذكور خمسمائة بنت من بنات الناس للفراش.

وفيها فتحت دار الحديث الأشرفية المجاورة لقلعة دمشق التي بناها الملك الأشرف موسى وأمده بها ابن الصلاح الحديث وذلك في ليلة النصف من شعبان ووقف عليها الأشرف الأوقاف وجعل بها نعل النبي صلى الله عليه وسلم.

وفيها توفي الوزير صفي الدين عبد الله بن علي بن شكر وزير الملك العادل وأصله من الدميرة وهي قرية بالوجه البحري من أعمال مصر.

وكان صفي الدين المذكور وزيرًا مهيبًا عالمًا فاضلًا له معرفة بقوانين الوزارة وكانت عنايته مصروفة إلى العلماء والفقهاء والأدباء وكان مالكي المذهب.

ومات بالقاهرة وهو على حرمته وله بالقاهرة مدرسة معروفة به.

وفيها توفي الملك العزيز عثمان ابن السلطان الملك العادل أبي بكر بن أيوب أخو الملك الكامل هذا وكان شقيق المعظم عيسى وهو صاحب بانياس وتبنين والحصون وهو الذي بنى الصبيبة ودام مالكًا لهذه القلاع إلى أن مات في يوم الاثنين عاشر شهر رمضان ببستانه ببيت لهيا وحمل تابوته فدفن بقاسيون عند أخيه الملك المعظم عيسى وقد تقدم أنه كان شقيقه.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي بهاء الدين إبراهيم ابن أبي اليسر شاكر بن عبد الله التنوخي الشافعي في المحرم ولي قضاء المعرة خمسة أعوام.

وأبو الحسن علي بن أحمد بن يوسف الأزجي بالقدس في صفر.

وأبو محمد الحسن ابن الأمير السيد علي بن المرتضى العلوي الحسيني في شعبان.

وصفي الدين أبو بكر عبد العزيز بن أحمد بن عمر بن سالم بن محمد بن باقا التاجر في رمضان وله خمس وسبعون سنة.

وصاحب الصبيبة الملك العزيز عثمان بن العادل - رحمه الله - والعلامة عز الدين أبو الحسن علي بن الأثير بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري المؤرخ في شعبان وقد قارب ستًا وسبعين سنة.

وصاحب إربل مظفر الدين كوكبوري ابن صاحب إربل أيضًا زين الدين علي بن بكتكين التركماني في رمضان.

والوزير مؤيد الدين محمد بن محمد بن القمي ببغداد.

وشرف الدين محمد بن نصر الله بن مكارم الدمشقي الشاعر الكاتب المعروف بابن عنين في شهر ربيع الأول.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربع أذرع وعشر أصابع.

مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعًا وست أصابع وطال مكثه على الأراضي.

والله أعلم.

السنة السادسة عشرة من سلطنة الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب على مصر وهي سنة إحدى وثلاثين وستمائة.

فيها اجتمع الملك الكامل صاحب الترجمة وإخوته وأسد الدين شيركوه صاحب حمص وساروا ليدخلوا بلاد الروم من عند النهر الأزرق فوجدوا الروم قد حفظوا الدربند ووقفوا على رؤوس الجبال وسموا الطرق فامتنعت العساكر من الدخول وكان الملك الأشرف صاحب دمشق يومئذ ضيق الصدر من أخيه الملك الكامل هذا لأنه طلب منه الرقة فامتنع وقال له: ما يكفيك كرسي بني أمية! فاجتمع أسد الدين شيركوه صاحب حمص بالأشرف وقال له: إن حكم الكامل على الروم أخذ جميع ما بأيدينا فوقع التقاعد فلما رأى الكامل

ذلك عبر الفرات ونزل السويداء وجاءه صاحب خرتبرت وهو من بني أرتق وقال له: عندنا طريق سهلة تدخل منها إلى الروم.

فجهز الملك الكامل بين يديه ولده الملك الصالح نجم الدين الوب وابن أخيه الملك الناصر داود بن المعظم والخادم صوابا فجاءتهم عساكر الروم وكان الناصر تأخر وتقدم صواب في خمسة آلاف فارس ومعه الملك المظفر صاحب حماة وقاتلوا الروم وانهزموا فعاد الملك الكامل إلى آمد.

وكان أسر صواب وجماعة من الأمراء فأطلقهم الروم بعد أن أحسنوا إليهم.

وفيها قدم رسول الأنبرور الفرنجي على الملك الكامل بهدايا فيها دب أبيض وشعره مثل شعر السبع ينزل البحر فيصعد بالسمك فيأكله ومعه أيضًا طاووس أبيض.

وفيها توفي الشيخ العارف المسلك الزاهد شهاب الدين أبو حفص - وقيل أبو عبد الله - عمر بن محمد بن عبد الله بن عمويه القرشي التيمي البكري السهروردي الصوفي.

وذكر الذهبي وفاته في سنة اثنتين وثلاثين وهو الأشهر.

قلت: ومولده في شهر رجب سنة تسع وثلاثين وخمسمائة بسهرورد وقدم بغداد وهو أمرد فصحب عمه الشيخ أبا النجيب عبد القاهر وأخذ عنه التصوف والوعظ وصحب أيضًا الشيخ عبد القادر الجيلي وسمع الحديث من عمه المذكور وغيره وروى عنه البرزالي وجماعة كثيرة وكان له في الطريقة قدم ثابتة ولسان ناطق وولي عدة ربط للصوفية ونفذه الخليفة إلى عدة جهات رسولًا وكان فقيهًا عالمًا واعظًا مفتنًا مصنفًا وهو صاحب التصانيف المشهورة واشتهر اسمه وقصد من الأقطار وظهرت بركات أنفاسه على خلق من العصاة فتابوا ووصل به خلق إلى الله تعالى وكف بصره قبل موته.

قال أبو المظفر سبط ابن الجوزي: رأيته في سنة تسعين وخمسمائة يعظ برباط درب المقير على منبر طين وعلى رأسه مئزر صوف قال: وصنف كتابًا للصوفية وسماه " عوارف المعارف ".

قال: وجلس يومًا ببغداد وذكر أحوال القوم وأنشد - رحمه الله تعالى وعفا عنه -: ما في الصحاب أخو وجد نطارحه حديث نجد ولا صب نجاريه وجعل يرعد البيت ويطرب فصاح به شاب من أطراف المجلس وعليه قباء وكلوتة وقال: يا شيخ لم تشطح وتنتقص القوم! والله إن فيهم من لا يرضى أن يجاريك ولا يصل فهمك إلى ما ما في الصحاب وقد سارت حمولهم إلا محب له في الركب محبوب كأنه يوسف في كل راحلةٍ والحي في كل بيت منه يعقوب! فصاح الشيخ ونزل من على المنبر وقصده فلم يجده ووجد موضعه حفرة بها دم مما فحص برجليه عند إنشاد الشيخ البيت.

انتهى كلام أبي المظفر باختصار.

وفيها توفي الشيخ طي المصري مريد الشيخ محمد الفزاري قدم الشام وأقام مدة بزاويته وكان يغشاه الأكابر وانتفع بصحبته جماعة وكان زاهدًا عابدًا ودفن بزاويته بدمشق.

وفيها توفي الشيخ عبد الله الأرمني الزاهد العابد الورع.

كان رحالًا سافر إلى البلاد ولقي الأبدال وأخذ عنهم وكان له مجاهدات ورياضات وعبادات وسياحات وكان في بداية أمره لا يأوي إلا البراري القفار ويتناول المباحات قرأ القرآن وكتاب القدوري في الفقه وصحب رجالًا من الأولياء وكان معدودًا من فقهاء الحنفية وله حكايات ومناقب كثيرة.

ومات في يوم الجمعة تاسع عشرين ذي القعدة ودفن بسفح قاسيون وقد جاوز سبعين سنة.

وفيها توفي العلامة سيف الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم المعروف بالسيف الآمدي كان إمامًا بارعًا لم يكن في زمانه من يجاريه في علم الكلام.

قال أبو المظفر: وكان يرمى بأشياء ظاهرها أنه كان بريئًا منها لأنه كان سريع الدمعة رقيق القلب سليم الصدر وكان مقيمًا بحماة وسكن دمشق وكان بنو العادل: المعظم والأشرف والكامل يكرهونه لما اشتهر عنه من الاشتغال بالمنطق وعلوم الأوائل.

ثم قال أبو المظفر بعد كلام آخر: وأقام السيف خاملًا في بيته إلى أن توفي في صفر ودفن بقاسيون في تربته.

وفيها توفي كريم الدين الخلاطي الأميرة كان أديبًا لطيفًا حسن اللقاء ذا مروءة.

خدم الأشرف والمعظم والكامل وحج بالناس أميرًا من الشام وتوفي بدمشق ودفن بقاسيون عند مغارة الجوع.

وفيها توفي الصلاح الإربلي كان أديبًا فاضلًا شاعرًا خدم مظفر الذين صاحب إربل ثم انتقل إلى خدمة الملك المغيث بن العادل ثم خدم الكامل وتقدم في دولته وصار نديمه ثم سخط عليه لأنه بعثه رسولًا إلى أخيه المعظم فنقل عنه أن المعظم استماله فحبسه الكامل في الجب مدة سنتين ثم رضي عنه وأخرجه.

ومن شعره من قصيدة: من يوم فراقنا على التحقيق هذي كبدي أحق بالتمزيق لو دام لنا الوصال ألفي سنة ما كان يفي بساعة التفريق الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي إسماعيل بن علي بن إسماعيل بن ماتكين الجوهري في ذي القعدة وله ثمانون سنة.

ونجم الدين ثابت بن بادان التفليسي الصوفي شيخ الأسدية.

وسراج الدين الحسين بن أبي بكر المبارك بن محمد الزبيدي الحنبلي في صفر وله خمس وثمانون سنة.

وزكريا بن علي بن حسان العلبي في شهر ربيع الأول.

والخادم طغريل أتابك الملك العزيز ومدبر دولته.

والشيخ القدوة عبد الله بن يونس الأرمني.

والسيف الآمدي علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي في صفر وله ثمانون سنة.

والمحدث أبو رشيد محمد بن أبي بكر الأصبهاني الغزالي المقرئ.

وأبو عبد الله محمد بن - عمر بن يوسف القرطبي في صفر بالمدينة.

وأبو الغنائم المسلم بن أحمد المازني النصيبي في شهر ربيع الأول.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمس أذرع سواء.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا وثلاث أصابع.

السنة السابعة عشرة من سلطنة الملك الكامل

محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب على مصر وهي سنة اثنتين وثلاثين وستمائة.

فيها خرجت عساكر الروم نحو آمد وحاصروها وأقاموا عليها أيامًا ثم نازلوا السويداء فأخذوها.

وفيها كان الوباء العظيم بمصر حيث إنه مات في شهر نيفٍ وثلاثون ألف إنسان.

وفيها توفي عبد السلام بن المظفر بن عبد الله بن محمد بن أبي عصرون.

كان فقيهًا فاضلًا زاهدًا إلا أنه كان مغرى بالنكاح كان عنده نيف وعشرون جارية للفراش.

ومات بدمشق بقاسيون وهو والد قطب الدين وتاج الدين.

وفيها توفي صواب العادلي مقدم عسكر الملك الكامل الذي كانت الروم أسرته في عام أول وكان خادمًا عاقلًا شجاعًا وكان العادل والكامل يعتمدان عليه وكان حاكمًا على الشرق كله من قبل الكامل.

وفيها توفي الشيخ شرف الدين أبو حفص عمر بن أبي الحسن علي بن المرشد بن علي المعروف بابن الفارض الحموي الأصل المصري " المولد و " الدار والوفاة الصالح الشاعر المشهور أحد البلغاء الفصحاء الأدباء.

مولده في رابع ذي القعدة سنة ست وسبعين وخمسمائة وتوفي بالقاهرة في يوم الثلاثاء الثاني من جمادى الأولى ودفن من الغد بسفح المقطم وقبره معروف به يقصد للزيارة.

والفارض بفتح الفاء وبعدها ألف وراء مكسورة وضاد معجمة وهو الذي يكتب الفروض على النساء والرجال.

وهو صاحب النظم الرائق والشعر الفائق الغرامي.

وديوان شعره مشهور كثير الوجود بأيدي الناس وشعره أشهر من أن يذكر.

فمن مقطعات شعره قوله: وحياة أشواقي إلي - - ك وحرمة الصبر الجميل ومن قصائده - رحمه الله وعفا عنه: سائق الأظعان يطوي البيد طي منعمًا عرج على كثبان طي وبذات الشيح عني إن مرر - - ت بحي من عريب الجزع حي وتلطف واجر ذكرى عندهم علهم أن ينظروا عطفًا إلي قل تركت الصب فيكم شبحًا ما له مما براه الشوق في خافيًا عن عائد لاح كما لاح في برديه بعد النشر طي صار وصف الضر ذاتيًا له عن عناء والكلام الحي لي كهلال الشك لولا أنه أن عيني عينه لم تتأي مثل مسلوب حياةٍ مثلًا صار في حبكم ملسوب حي مسبلًا للنأي طرفًا جاد إن ضن نوء الطرف إذ يسقط خي بين أهليه

غريبًا نازحًا وعلى الأوطان لم يعطفه لي جامحًا إن سيم صبرًا عنكم وعليكم جانحًا لم يتأي حائرًا فيما إليه أمره حائر والمرء في المحنة عي فكأين من أسى أعيا الإسى نال لو يغنيه قولي وكأي رائيًا إنكار ضر مسه حذر التعنيف في تعريف ري والذي أرويه عن ظاهر ما باطني يزويه عن علمي زي يا أهيل الود أنى تنكرو - - ني كهلًا بعد عرفاني فتي وهوى الغادة عمري عادة يجلب الشيب إلى الشاب الأحي نصبًا أكسبني الشوق كما تكسب الأفعال نصبًا لام كي ومتى أشكو جراحًا بالحشى زيد بالشكوى إليها الجرح كي عين حسادي عليها لي كوت لا تعداها أليم الكي كي عجبًا في الحرب أدعى باسلًا ولها مستبسلًا في الحب كي هل سمعتم أو رأيتم أسدًا صاده لحظ مهاةٍ أو ظبي سهم شهم القوم أشوى وشوى سهم ألحاظكم أحشاي شي أوعدوني أوعدوني وامطلوا حكم دين الحب دين الحب لي رجع اللاحي عليكم آيسًا من رشادي وكذاك العشق غي أبعينيه عمى عنكم كما صمم عن عذله في أذني أو لم ينه النهى عن عذله زاويا وجه قبول النصح زي ظل يهدي لي هدى في زعمه ضل كم يهذي ولا أصغى لغي ولما يعذل عن لمياء طو - - ع هويً في العذل أعصى من عصي لومه صبًا لدى الحجر صبا بكم دل على حجر صبي عاذلي عن صبوة عذريةٍ هي بي لا فتئت هي بن بي ذابت الروح اشتياقًا فهي بع - - د نفاد الجمع أجرى عبرتي فهبوا عيني ما أجدى البكا عين ماءٍ فهي إحدى منيتي أو حشا سال ولا أختارها إن تروا ذاك بها منا علي بل أسيئوا في الهوى أو أحسنوا كل شيء حسن منكم لدي من أولاد الأتراك.

وكان أديبًا فاضلًا ظريفًا فصيحًا وله ديوان شعر مشهور يغلب على شعره الرقة والانسجام.

قال ابن خلكان - رحمه الله -: وكان صاحبي وأنشدني كثيرًا من شعره فمن ذلك وهو معنى جيد في نهاية الجودة: ما زال يحلف لي بكل أليةٍ ألا يزال مدى الزمان مصاحبي لما جفا نزل العذار بخده فتعجبوا لسواد وجه الكاذب قال وأنشدني لنفسه أيضًا: لك خال من فوق عر - - ش شقيق قد استوى بعث الصدغ مرسلًا يأمر الناس بالهوى انتهى.

قلت: ومن شعره أيضًا: لك أن تشوقني إلى الأوطان وعلي أن أبكي بدمعي القاني إن الألى رحلوا غداة محجر ملؤوا القلوب لواعج الأحزان فلأبعثن مع النسيم إليهم شكوى تميل لها غصون البان وكانت وفاته في يوم الخميس ثاني شوال وتقدير عمره خمسون سنة.

والحاجري بفتح الحاء المهملة وبعد الألف جيم مكسورة وبعدها راء وهذه النسبة إلى حاجر وكانت بليدة بالحجاز.

وسبب تسميته بذلك لأنه كان يكثر من ذكر الحاجر في شعره فسمي بذلك.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي الحسن بن صباح بن حسام المخزومي الكاتب في رجب وله إحدى وتسعون سنة.

وتقي الدين علي بن أبي الفتح بن ماسويه الواسطي في شعبان وله ست وسبعون سنة.

والأديب شرف الدين عمر بن علي بن المرشد الحموي بن الفارض بمصر في جمادى الأولى.

والزاهد العارف أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الله التيمي السهروردي في أول السنة وله ثلاث وتسعون سنة.

وأبو عبد الله محمد بن عماد بن محمد الحراني التاجر في صفر بالإسكندرية وله تسعون سنة.

والقدوة الزاهد غانم بن علي المقدسي.

والقاضي العلامة بهاء الدين يوسف بن رافع بن لميم الشافعي ابن شداد بحلب في صفر.

وسيف الدولة محمد بن غسان الحمصي في شعبان.

وأبو الوفا محمود ابن إبراهيم بن سفيان بن منحه التاجر بأصفهان شهيدًا في خلق لا يحصون بسيف التتار في شوال.

وأبو سعد محمد بن عبد الواحد المديني.

وحسام الدين عيسى بن سنجر بن بهرام الإربلي المعروف بالحاجري الشاعر المشهور قتله شخص في شوال وله خمسون سنة.

الماء القديم خمس أذرع سواء.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا وثلاث عشرة إصبعًا.

السنة الثامنة عشرة من سلطنة الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب على مصر وهي سنة ثلاث وثلاثين وستمائة.

فيها استعاد الكامل من الروم حران والرها وغيرهما وأخرب قلعة الرها ونزل على دنيسر فأخربها ومعه أخوه الأشرف وبينما هم في ذلك جاء كتاب بدر الدين لؤلؤ إلى الأشرف يقول: قد قطع التتار دجلة في مائة طلب كل طلب خمسمائة فارس ووصلوا إلى سنجار فخرج إليهم معين الدين بن كمال الدين بن مهاجر فقتلوه على باب سنجار ثم رجع التتار ثم عادت.

فأمنهم الأشرف للتوجه إلى جهة الشرق.

وفي هذه السنة كان الطاعون العظيم بمصر وقراها مات فيه خلق كثير من أهلها وغيرها حتى تجاوز الحد.

وفيها جاءت الخوارزمية إلى صاحب ماردين فنزل إليهم وقاتلهم ثم نزلوا نصيبين وأحرقوها وفعلوا فيها أعظم ما فعل الكامل بدنيسر.

وفيها توفي الحسن بن محمد القاضي القيلوي وقيلوية: قرية من قرى بغداد.

كان فاضلًا كاتبًا ولد بالعراق سنة أربع وستين وخمسمائة وكان كثير الأدب مليح الخط عارفًا بالتواريخ حسن العبارة متواضعًا وكانت وفاته في ذي القعدة ودفن بمقابر الصوفية عند المنيبع.

وفيها توفي أبو المحاسن محمد بن نصر الدين بن نصر بن الحسين بن عنين الزرعي أصله من حوران.

قال أبو المظفر: " كان خبيث اللسان هجاء فاسقًا متهتكًا عمل قصيدة سماها: " مقراض الأعراض " خمسمائة بيت لم يفلت أحد من أهل دمشق منها بأقبح هجو.

ونفاه السلطان صلاح الدين إلى الهند فمضى ومدح ملوكها واكتسب مالًا وعاد إلى دمشق.

ومن هجوه في السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب - رحمه الله تعالى - قوله: سلطاننا أعرج وكاتبه ذو عمش والوزير منحدب وصاحب الأمر خلقه شرس وعارض الجيش داؤه عجب والدولعي الخطيب معتكف وهو على قشر بيضة يثب ولابن باقا وعظ يغر به الن - - اس وعبد اللطيف محتسب ولما نفي كتب من الهند إلى دمشق: انفوا المؤذن من بلادكم إن كان ينفى كل من صدقا ولما عاد إلى دمشق هجا الملك العادل سيف الدين أبا بكر بن أيوب بقوله: إن سلطاننا الذي نرتجيه واسع المال ضيق الإنفاق هو سيف كما يقال ولكن قاطع للرسوم والأرزاق قال: واستكتبه الملك المعظم وكان من أكبر سيئات المعظم.

ومات عن إحدى وثمانين سنة.

انتهى كلام أبي المظفر باختصار.

وقال ابن خلكان: " كان خاتمة الشعراء لم يأت بعده مثله ولا كان في أواخر عصره من يقاس به ولم يكن شعره مع جودته مقصورًا على أسلوب واحد.

ثم نعته بأشياء إلى أن قال: ولما ملك الملك العادل دمشق كتب إليه قصيدته الرائية يستأذنه في الدخول إليها ويصف دمشق ويذكر ما قاساه في الغربة وقد أحسن فيها كل الإحسان واستعطفه كل الاستعطاف وأولها: ماذا على طيف لو سرى وعليهم لو سامحوني في الكرى ثم وصف دمشق وقال: فارقتها لا عن رضا وهجرتها لا عن قلى ورحلت لا متخيرا أسعى لرزق في البلاد مشتت ومن العجائب أن يكون مقترا ومنها يشكو الغربة: أشكو إليك نوى تمادى عمرها حتى حسبت اليوم منها أشهرا لا عيشتي تصفو ولا رسم الهوى يعفو ولا جفني يصافحه الكرى أضحي عن الأحوى المريع محلًا وأبيت عن ورد النمير منفرا ومن العجائب أن يقيل بظلكم كل الورى وأبيت وحدي بالعرا فلما وقف عليها العادل أذن له في الدخول إلى دمشق ففما دخلها قال: هجوت الأكابر في جلقٍ ورعت الوضيع بسب الرفيع وأخرجت منها ولكنني رجعت على رغم أنف الجميع وفيها توفي أبو الخطاب بن دحية المغربي.

قال أبو المظفر: كان في المحدثين مثل ابن عنين في الشعراء يثلب علماء المسلمين ويقع فيهم ويتزيد في كلامه فترك الناس الرواية عنه وكذبوه.

وكان الكامل مقبلًا عليه فلما انكشف له حاله أعرض عنه وأخذ منه دار الحديث وأهانه فمات في شهر ربيع الأول بالقاهرة ودفن بقرافة مصر.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي الجمال أبو حمزة أحمد بن عمر بن الشيخ أبي عمر المقدسي.

وعفيف الدين علي بن عبد الصمد بن الرماح المصري المقرئ النحوي.

وأبو الحسن علي بن أبي بكر بن روزبة القلانسي الصوفي في شهر ربيع الآخر وقد جاوز التسعين.

والعلامة أبو الخطاب عمر بن الحسن بن علي البلنسي المعروف بابن دحية في شهر ربيع الأول عن سبع وثمانين سنة.

والفخر محمد بن إبراهيم بن مسلم الإربلي الصوفي بإربل في شوال أو شهر رمضان.

وقاضي القضاة عماد الدين أبو صالح نصر بن عبد الرزاق ابن الشيخ عبد القادر الجيلي الحنبلي في شوال.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمس أذرع وسبع عشرة إصبعًا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا وإصبعان.

السنة التاسعة عشرة من سلطنة الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر ابن أيوب على مصر وهي سنة أربع وثلاثين وستمائة.

فيها نزلت التتار على إربل وحاصرتها مدة حتى أخذوها عنوة وقتلوا كل من فيها وسبوا وفضحوا البنات وصارت الآبار والدور قبورا للناس.

وكان أيدكين مملوك الخليفة بالقلعة فقاتلهم فنقبوا القلعة وجعلوا لها سردابًا وطرقًا وقلت عندهم المياه حتى مات بعضهم عطشًا فلم يبق سوى أخذها فرحلوا عنها في ذي الحجة وقد عجزوا عن حمل ما أخذوا من الأموال والغنائم.

وفيها استخدم الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل - صاحب الترجمة - الخوارزمية أصحاب جلال الدين فانضموا عليه وانفصلوا من الروم وسر والده الملك الكامل بذلك.

وفيها بدت الوحشة بين الأخوين وسببها أن الأشرف طلب من الكامل الرقة وقال: الشرق كله صار له وأنا أركب كل يوم في خدمته فتكون الرقة برسم عليق دوابي فأبى الكامل وأغلظ في الجواب فوقعت الوحشة بينهم بسبب ذلك.

وفيها توفي الناصح عبد الرحمن بن نجم بن عبد الوهاب الحنبلي ولد بدمشق ونشأ بها وتفقه ووعظ وصنف ودرس بمدرسة ربيعة خاتون.

ومات في غرة المحرم.

وفيها توفي السلطان الملك العزيز محمد ابن السلطان الملك الظاهر غازي ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب.

كان صاحب حلب وليها بعد وفاة أبيه الظاهر.

ومولده في ذي الحجة سنة تسع أو عشر وستمائة.

وتوفي والده وهو طفل فنشأ تحت حجر شهاب الدين الخادم فرتب شهاب الدين أموره أحسن ترتيب إلى سنة تسع وعشرين وستمائة.

استقل الملك العزيز هذا بالأمر إلى أن توفي بحلب في شهر ربيع الأول.

وكان حسن الصورة كريمًا عفيفًا ولم يبلغ أربعًا وعشرين سنة.

ودفن بقلعة حلب وإليه تنسب المماليك العزيزية الآتي ذكرهم في عدة أماكن.

وفيها توفي كيقباذ السلطان علاء الدين صاحب الروم.

كان عاقلًا شجاعًا مقدامًا جوادًا وهو الذي كسر الخوارزمي وكسر الكامل واستولى على بلاد الشرق.

وكان الملك العادل زوجه ابنته فأولدها أولادًا وكان عادلًا منصفًا مهيبًا ما وقف له مظلوم إلا وكشف ظلامته وكانت وفاته في شوال.

قلت: وبنو قرمان ملوك الروم في زماننا هذا يزعمون أنهم من نسل السلطان علاء الدين هذا - والله أعلم -.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي الملك المحسن أحمد ابن السلطان صلاح الدين في المحرم وله سبع وخمسون سنة.

والخطيب أبو طاهر الخليل أحمد الجوسقي في شهر ربيع الأول.

وأبو منصور سعيد بن محمد بن يس السفار وقد حج تسعًا وأربعين حجة في صفر.

والحافظ أبو الربيع سليمان بن موسى بن سالم الكلاعي البلنسي في ذي الحجة وله سبعون سنة.

والإمام ناصح الدين عبد الرحمن بن نجم بن عبد الوهاب الحنبلي في المحرم وقد نيف على الثمانين.

ومفتي حران ناصر الدين عبد القادر بن عبد القاهر بن أبي الفهم الحنبلي في شهر ربيع الأول عن اثنتين وسبعين سنة.

وعلي بن محمد بن جعفر بن كب المؤدب.

وكمال الدين علي بن أبي الفتح بن الكباري الطبيب بحلب في المحرم.

وسلطان الروم علاء الدين كيقباذ بن كيخسرو بن قلج أرسلان السلجوقي في شوال.

والحافظ أبو الحسن محمد بن أحمد بن عمر القطيعي في شهر ربيع الآخر عن تسع وثمانين سنة.

والملك العزيز محمد ابن الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين يوسف صاحب حلب بها في شهر ربيع الأول.

ومحتسب دمشق الفخر محمود بن عبد اللطيف.

وأبو الحسن مرتضى ابن أبي الجود حاتم بن المسلم الحارثي المصري في شوال.

وأبو بكر هبة الله بن عمر بن الحسن القطان وكان آخر من روى عن أمه كمال بنت عبد الله بن السمرقندي وعن هبة الله الشبلي عاش نيفًا وثمانين سنة.

وياسمين بنت سالم بن علي بن البيطار يوم عاشوراء.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم سبع أذرع سواء.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا وثلاث وعشرون إصبعًا.

السنة العشرون من سلطنة الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب على مصر وهي سنة خمس وثلاثين وستمائة.

وهي السنة التي مات الكامل المذكور في رجبها وحكم ابنه العادل في باقيها حسب ما تقدم في وفاة الكامل في ترجمته.

وفيها أيضًا توفي الملك الأشرف موسى ثم بعده أخوه الملك الكامل.

وملك دمشق بعد موت الأشرف الملك الجواد بن الأشرف.

على ما سيأتي ذكره في وفاة الأشرف في هذه السنة.

وفيها اختلفت الخوارزمية على الملك الصالح أيوب بن الكامل وأرادوا القبض عليه فهرب إلى سنجار وترك خزائنه وأثقاله فنهبوا الجميع.

ولما قدم الصالح سنجار سار إليه بدر الدين لؤلؤ في ذي القعدة وحصره بها فأرسل إليه الصالح يسأله الصلح فقال: لا بد من حمله في قفص إلى بغداد وكان لؤلؤ " و " المشارقة يكرهونه وينسبونه إلى التكبر والظلم فاحتاج الصالح أن يبعث إلى الخوارزمية وهم على حران يستنجدهم فساقوا جريدة من حران وكبسوا لؤلؤًا فنجا وحده ونهبوا أمواله وخزائنه وجميع ما كان في عسكره.

وفيها توفي الملك الأشرف أبو الفتح مظفر الدين موسى شاه أرمن ابن السلطان الملك العادل أبي بكر ابن الأمير نجم الدين أيوب أخو الملك الكامل محمد صاحب الترجمة.

وأول شيء ملكه الأشرف هذا من القلاع والبلاد الرها في أيام أبيه وآخر شيء دمشق.

ومات بها بعد أن ملك قلاع ديار بكر سنين.

وقد تقدم من ذكره نبذة كبيرة في حوادث دولة أخيه الكامل وفي غزوة دمياط وغير ذلك.

ومولده سنة ثمان وسبعين وخمسمائة بقصر الزمرد بالقاهرة قبل أخيه المعظم عيسى بليلة واحدة وكان مولدهما بموضع واحد - وقيل: كان بقلعة الكرك - والأول أشهر.

وكان الملك الأشرف ملكًا كريمًا حليمًا واسع الصدر كريم الأخلاق كثير العطايا لا يوجد في خزائنه شيء من المال مع اتساع مملكته ولا تزال عليه الديون ونظر يومًا في دواة كاتبه وشاعره كمال الدين علي بن النبيه المصري فرأى بها قلمًا واحدًا فأنكر عليه فأنشد الكمال بديهًا " دوبيت ": قال الملك الأشرف قولًا رشدًا أقلامك يا كمال قلت عددا جاوبت لعظم كتب ما تطلقه تحفى فتقط فهي تفنى أبدا ولكمال الدين ابن النبيه المذكور فيه غرر المدائح معروفة بمخالص قصائده في ديوانه وتسمى الأشرفيات.

وكانت وفاة الأشرف في يوم الخميس رابع المحرم بدمشق ودفن بقلعتها ثم نقل بعد محق إلى التربة التي أنشئت له بالكلاسة في الجانب الشمالي من جامع دمشق.

وفيها توفي يحيى بن هبة الله بن الحسن القاضي شمس الدين أبو البركات بن سناء الدولة كان إمامًا فقيهًا فاضلًا حافظًا للقوانين الشرعية ولي القضاء بالبيت المقدس ثم بدمشق وكان الملك الأشرف موسى يحبه ويثني عليه.

ومات في ذي القعدة.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي الأنجب بن أبي السعادات الحمامي في شهر ربيع الآخر وله نيف وثمانون سنة.

وأبو محمد الحسين بن علي بن الحسين بن رئيس الرؤساء في رجب.

وقاضي حلب زين الدين أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن غلوان الأسدي ابن الأستاذ.

وأبو المنجا عبد الله بن عمر بن علي بن اللتي القزاز في جمادى الأولى وله تسعون سنة.

وأبو طالب علي بن عبد الله بن مظفر ابن الوزير علي بن طراد الزينبي في رمضان.

والرضي عبد الرحمن بن محمد بن عبد الجبار المقدسي المقرىء.

وشيخ الشيوخ صدر الدين عبد الرزاق بن عبد الوهاب بن سكينة في جمادى الأولى.

والسلطان الملك الكامل ناصر الدين محمد بن العادل في رجب بدمشق وله ستون سنة.

وأبو بكر محمد بن مسعود بن بهروز الطبيب في شهر رمضان وقد نيف على التسعين وهو آخر من حدث ببغداد عن أبي الوقت.

وشرف الدين محمد بن نصر المقدسي ابن أخي الشيخ أبي البيان في رجب.

والقاضي شمس الدين أبو نصر محمد بن هبة الله بن محمد ابن الشيرازي في جمادى الآخرة وله ست وثمانون سنة.

وخطيب دمشق جمال الدين محمد بن أبي الفضل الدولعي في جمادى الأولى ودفن بمدرسته بجيرون وله ثمانون سنة.

ونجم الدين مكرم بن محمد بن حمزة بن أبي الصقر القرشي السفار في رجب وله سبع وثمانون سنة.

والسلطان الملك الأشرف مظفر الدين موسى بن العادل في المحرم وله تسع وخمسون سنة.

وقاضي القضاة شمس الدين يحيى بن هبة الله بن سناء الدولة في ذي القعدة وله ثلاث وثمانون سنة وهو من تلامذة القطب النيسابوري.

والشهاب يوسف بن إسماعيل الحلبي بن الشواء الشاعر المشهور.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربع أذرع ونصف إصبع.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا سواء.

سلطنة الملك العادل الصغير على مصر هو السلطان الملك العادل أبو بكر ابن السلطان الملك الكامل محمد ابن السلطان الملك العادل أبي بكر ابن الأمير نجم الدين أيوب الأيوبي المصري.

وسبب تسلطنه وتقدمه على أخيه الأكبر نجم الدين أيوب أنه لما مات أبوه الملك الكامل محمد بقلعة دمشق في رجب - حسب ما ذكرناه في أواخر ترجمته - كان ابنه الملك الصالح نجم الدين أيوب - وهو الأكبر - نائب أبيه الملك الكامل على الشرق وإقليم ديار بكر وكان ابنه الملك العادل أبو بكر هذا - وهو الأصغر - نائب أبيه بديار مصر فلما مات الكامل قعد الأمراء يشتورون فيمن يولون من أولاده فوقع الاتفاق بعد اختلاف كبير - نذكره من قول صاحب المرآة - على إقامة العادل هذا في سلطنة مصر والشام وأن يكون نائبه بدمشق ابن عمه الملك الجواد يونس وأن يكون أخوه الملك الصالح نجم الدين أيوب على ممالك الشرق على حاله فتم ذلك وتسلطن الملك العادل هذا في أواخر سنة خمس وثلاثين وستمائة وتم أمره ونعت بالعادل سيف الدين على لقب جده.

ومولد العادل هذا بالمنصورة ووالده الملك الكامل على قتال الفرنج بدمياط في ذي الحجة سنة سبع عشرة وستمائة.

وقال العلامة شمس الدين يوسف بن قزأوغلي في مرآة الزمان: ذكر ما جرى بعد وفاة الملك الكامل: اجتمع الأمراء وفيهم سيف الدين علي بن قليج وعز الدين أيبك والركن الهيجاوي وعماد الدين وفخر الدين ابنا الشيخ وتشاوروا وانفصلوا على غير شيء وكان الناصر داود يعني ابن الملك المعظم عيسى بدار أسامة فجاءه الهيجاوي وأرسل إليه عز الدين أيبك يقول: أخرج المال وفرقه في مماليك أبيك المعظم والعوام معك وتملك البلد ويبقوا في القلعة محصورين فما اتفق ذلك.

وأصبحوا يوم الجمعة في القلعة فحضر من سمينا بالأمس وذكروا الناصر والجواد - قلت: والناصر داود هو ابن المعظم عيسى والجواد مظفر الدين يونس هو ابن شمس الدين مودود بن العادل " أعني هما أولاد عم " انتهى -.

قال: وكان أضر ما على الناصر عماد الدين ابن الشيخ لأنه كان يجري في مجالس الكامل مباحثًا فيخطئه فيها ويستجهله فبقي في قلبه وكان أخوه فخر الدين يميل إلى الناصر فأشار عماد الدين بالجواد ووافقوا أمره وأرسلوا الهيجاوي في يوم الجمعة إلى الناصر وهو في دار أسامة فدخل عليه وقال له: إيش قعودك في بلد القوم.

قم فاخرج فقام وركب وجميع من في دمشق من دار أسامة إلى القلعة وما شك أحد أن الناصر لما ركب من دار أسامة إلا أنه طالع إلى القلعة فلما تعدى مدرسة العماد الكاتب وخرج من باب الترب عرج إلى باب الفرج فصاحت العامة لا لا لا وانقلبت دمشق وخرج الناصر من باب الفرج إلى القابون فوقع بهاء الدين بن بركيسو وغلمانه في الناس بالدبابيس فأنكوا فيهم فهربوا.

وأما الجواد فإنه فتح الخزائن وأخرج المال وفرق ستة آلاف ألف دينار وخلع خمسة آلاف خلعة وأبطل المكوس والخمور ونفى الخواطئ.

وأقام الناصر بالقابون أيامًا فعزموا على قبضه فرحل وبات بقصر أم حكيم وخرج خلفه أيبك الأشرفي ليمسكه وعرف عماد الدين بن موسك فبعث إليه في السر فسار في الليل إلى عجلون ووصل أيبك إلى قصر أم حكيم وعاد إلى دمشق.

وسار الناصر إلى غزة فاستولى على الساحل فخرج إليه الجواد في عسكر مصر والشام وقال للأشرفية: كاتبوه وأطمعوه فكاتبوه وأطمعوه فاغتر بهم وساق من غزة في سبعمائة فارس إلى نابلس بأثقاله وخزائنه وأمواله وكانت على سبعمائة جمل وترك العساكر منقطعة خلفه وضرب دهليزه على سبسطية والجواد على جيتين فساقوا عليه وأحاطوا به فساق في نفر قليل إلى نابلس وأخذوا الجمال بأحمالها والخزائن والجواهر والجنائب واستغنوا غنى الأبد وافتقر هو فقرًا ما افتقره أحد ووقع عماد الدين بسفط صغير فيه اثنتا عشرة قطعة من الجوهر وفصوص ليس لها قيمة فدخل على الجواد فطلبه منه فأعطاه إياه.

وسار الناصر لا يلوي على شيء إلى الكرك.

ثم وقع له أمور نذكر بعضها في حوادث العادل والصالح وغيرهما.

انتهى.

ولما تم أمر العادل وتسلطن بمصر واستقر الجواد بدمشق على أنه نائب العادل وبلغ هذا الخبر الملك الصالح نجم الدين أيوب عظم عليه ذلك كونه كان هو الأكبر فقصد الشام بعد أمور وقعت له مع الخوارزمية ومع لؤلؤ صاحب الموصل ثم سار الملك الصالح بعساكر الشرق حتى وافى دمشق ودخلها في جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين وستمائة فخرج إليه الملك الجواد والتقاه واتفق معه على مقايضة دمشق بسنجار وعانة وسببه ضيق عطن الجواد وعجزه عن القيام بمملكة الشام فإنه كان يظهر أنه نائب العادل بدمشق في مدة إقامته ثم خاف الجواد أيضًا من العادل وظن أنه يأخذ دمشق منه فخرج الجواد إلى البرية وكاتب الملك الصالح المذكور حتى حضر فلما حضر استأنس به وقايضه ودخلا دمشق ومشى الجواد بين يدي الصالح وحمل الغاشية من تحت القلعة ثم حملها بعده الملك المظفر صاحب حماة من باب الحديد ونزل الملك الصالح أيوب بقلعة دمشق والجواد في دار فرخشاه ثم ندم الجواد على مقايضة دمشق بسنجار واستدعى المقدمين والجند واستحلفهم وجمع الصالح أصحابه عنده في القلعة وأراد الصالح أن يحرق دار فرخشاه فدخل ابن جرير في الوسط وأصلح الحال.

ثم خرج الجواد إلى النيرب واجتمع الخلق عند باب النصر يدعون عليه ويسبونه في وجهه وكان قد أساء السيرة في أهل دمشق.

ثم خرج الصالح من دمشق وتوجه إلى خربة الفصوص على عزم الديار المصرية فكاتب عمه صاحب بعلبك الملك الصالح إسماعيل بن العادل وسار الملك الصالح نجم الدين إلى نابلس فاستولى عليها وعلى بلاد الناصر داود فتوجه الناصر داود إلى مصر داخلًا في طاعة الملك العادل فأكرمه العادل وأقام الصالح بنابلس ينتظر مجيء عمه الصالح إسماعيل فلم يلتفت الملك الصالح إسماعيل إلى ابن أخيه الصالح نجم الدين أيوب هذا وتوجه نحو دمشق وهجم عليها ومعه أسد الدين شيركوه صاحب حمص فدخلوها يوم الثلاثاء سابع عشرين صفر من سنة سبع وثلاثين كل ذلك والصالح نجم الدين مقيم بنابلس واتفق الملك الصالح إسماعيل صاحب بعلبك وأسد الدين شيركوه صاحب حمص على أن تكون البلاد بينهما مناصفة.

ونزل الصالح إسماعيل في دمشق بداره بحرب الشعارين ونزل صاحب حمص بداره أيضًا وأصبحوا يوم الأربعاء فزحفوا على القلعة ونقبوها من ناحية باب الفرج وهتكوا حرمتها ودخلوها وبها الملك المغيث وبلغ الملك الصالح نجم الدين أيوب ما جرى وقيل له في العود إلى دمشق فخلع الصالح أيوب على عميه مجير الدين وتقي الدين وعلى غيرهم وأعطاهم الأموال وقال لهم: ما الرأي قالوا: نسوق إلى دمشق قبل أن تؤخذ القلعة.

فخرجوا من نابلس فنزلوا القصير فبلغهم أخذ القلعة فنفر بنو أيوب بأسرهم وخافوا على أولادهم وأهليهم بدمشق وكان الفساد قد لعب فيهم فتركوا الصالح أيوب وتوجهوا إلى دمشق وبقي الصالح في مماليكه وغلمانه لا غير ومعه جاريته شجرة الدر أم خليل فرحل من القصير يريد نابلس فطمع فيه أهل الغور والقبائل وكان مقدمهم شيخًا جاهلًا يقال له مسبل من أهل بيسان قد سفك الدماء فتقاتل عسكر الصالح معه حتى كسروه.

ثم اتفق بعد ذلك الملك الناصر داود من مصر بغير رضًا من الملك العادل صاحب مصر ووصل إلى الكرك وكتب الوزيري إلى الناصر يخبره الخبر فلما بلغ الناصر ذلك أرسل عماد الدين بن موسك والظهير بن سنقر الحلبي في ثلاثمائة فارس إلى نابلس.

فركب الصالح أيوب والتقاهم فخدموه وسقموا عليه بالسلطنة وقالوا له: طيب قلبك إلى بيتك جئت فقال الصالح: لا ينظر ابن عمي فيما فعلت فلا زال الملوك على هذا وقد جئت إليه أستجير به فقالوا: قد أجارك وما عليك بأس وأقاموا عنده أياما حول الدار.

فلما كان في بعض الليالي ضربوا بوق النفير وقالوا: جاءت الفرنج فركب الناس ومماليك الصالح ووصلوا سبسطية وجاء عماد الدين والظهير بالعسكر إلى الدار وقالوا للصالح: تطلع إلى الكرك فإن ابن عمك له بك اجتماع وأخذ سيفه.

وكانت شجرة الدر حاملًا فسقطت وأخذوه وتوجهوا به إلى الكرك.

واستفحل أمر أخيه الملك العادل صاحب مصر بالقبض على الصالح هذا وأخذ وأعطى وأمر ونهى فتغذر عليه بعض أمراء مصر ولكن ما أمكنهم يومئذ إلا السكات.

وأما الصالح قال أبو المظفر: ولما اجتمعت به يعني الصالح في سنة تسع وثلاثين وستمائة بالقاهرة حكى لي صورة الحال قال: أركبوني بغلة بغير مهماز ولا مقرعة وساروا إلى البرية في ثلاثة أيام والله ما كلمت أحدًا منهم كلمة ولا أكلت لهم طعامًا حتى جاءني خطيب الموتة ومعه بردة عليها دجاجة فأكلت منها وأقاموا بي في الموتة يومين وما أعلم إيش كان المقصود فإذا بهم.

يريدون أن يأخذوا طالعًا خبيثًا يقتضي ألا أخرج من حبس الكرك ثم أدخلوني إلى الكرك ليلًا على الطالع الذي كان سبب سعادتي ونحوسهم.

قلت: وأنا ممن ينكر على أرباب التقاويم أفعالهم وأقوالهم لأني من عمري أصحب عيانهم فلم أر لما يقولونه صحة بل الكذب الصريح المحض.

ويعجبني قول الإمام الرباني عبد المؤمن بن هبة الله الجرجاني في كتابه " أطباق الذهب " الذي يشتمل على مائة مقالة واثنتين والذي أعجبني من ذلك هي المقالة الثالثة والعشرون وهي مما نحن فيه من علم الفلك والنجوم قال: " أهل التسبيح والتقديس لا يؤمنون بالتربيع والتسديس والإنسان بعد علو النفس يجل عن ملاحظة السعد والنحس وإن في الدين القويم استغناء عن الزيج والتقويم والإيمان بالكهانة باب من أبواب المهانة فأعرض عن الفلاسفة وغلق بصرك عن تلك الوجوه الكاسفة فأكثرهم عبدة الطبع

وحرسة الكواكب السبع ما للمنجم الغبي والعلم الغيبي وما للكاهن الأجنبي وسر حجب عن النبي وهل ينخدع بالفال إلا قلوب الأطفال وإن امرأ جهل حال قومه وما الذي يجري عليه في يومه كيف يعرف علم الغد وبعده ونحس الفلك وسعده! وإن قومًا يأكلون من قرصة الشمس لمهزولون وإنهم عن السمع لمعزولون ما السموات إلا مجاهل خالية والكواكب سواها والنجوم إلا هياكل عالية ومن الله قواها سبعة سيرة نيرة خمسة منها متحيرة شرارة وخيرة طباعها متغايرة كل يسري لأمر معمى وكل يجري لأجل مسمى! " انتهت المقالة بتمامها وكمالها.

وقد خرجنا بذكرها عن المقصود ولنرجع إلى ما نحن فيه من ترجمة العادل وأخبار أخيه الصالح.

قال: ووكلوا بي مملوكًا لهم يقال له: زريق وكان أضر علي من كل ما جرى فأقمت عندهم إلى شهر رمضان سبعة أشهر ولقد كان عندي خادم صغير فاتفق أن أكل ليلة كثيرًا فاتخم وبال على البساط فأخذت البساط بيدي والخادم وقمت من الإيوان إلى قرب الدهليز وفي الدهليز ثمانون رجلًا يحفظوني وقلت: يا مقدمون هذا الخادم قد أتلف هذا البساط فاذهبوا به إلى الوادي واغسلوه فنفر في زريق وقال: إيش جاء بك إلى هاهنا! وصاحوا علي فعدت إلى موضعي.

انتهى.

قلت: وأما مماليكه وخزائنه فإن الوزيري توجه بهم إلى قلعة الصلت.

وأقام مماليكه بنابلس واستمر الحال على ذلك إلى أن بلغ الملك العادل صاحب الترجمة ما جرى على أخيه الصالح فأظهر الفرح ودقت الكوسات وزينت القاهرة ثم أرسل الملك العادل المذكور العلاء بن النابلسي إلى الملك الناصر داود صاحب الكرك يطلب الملك الصالح نجم الدين المذكور منه ويعطيه مائة ألف دينار فما أجاب.

ثم كاتبه الملك الصالح صاحب بعلبك وصاحب حمص أسد الدين شيركوه في إرساله إلى الملك العادل إلى مصر كل ذلك والعادل في قلق من جهة الصالح فلم يلتفت الملك الناصر داود لكلامهم وأقام الصالح مدة في الحبس حتى أشار عماد الدين وابن قليج والظهير على الملك الناصر بالاتفاق مع الصالح نجم الدين أيوب وإخراجه فأخرجه الناصر وتحالفا واتفقا وذلك في آخر شهر رمضان وكان تحليف الناصر داود للصالح أيوب على شيء ما يقوم به أحد من الملوك وهو أنه يأخذ له دمشق وحمص وحماة وحلب والجزيرة والموصل وديار بكر ونصف ديار مصر ونصف ما في الخزائن من المال والجواهر والخيل ولما علم الملك العادل صاحب الترجمة بخلاص أخيه الصالح اتفق مع عمه الملك الصالح إسماعيل صاحب بعلبك الذي ملك دمشق فسار الملك العادل من مصر والملك الصالح من دمشق ومعه أسد الدين صاحب حمص ثم عزموا على قصد الناصر والصالح فأول من برز لهم الملك العادل صاحب الترجمة بعساكر مصر وخرج وسار حتى وصل إلى بلبيس وكان قد أساء السيرة في أمرائه وحواشيه فوقع الخلف بينهم وتزايد الأمر حتى قبضوا عليه وأرسلوا إلى الصالح نجم الدين أيوب يعرفونه ويسألونه الإسراع في المجيء إلى الديار المصرية.

فسار ومعه الملك الناصر داود صاحب الكرك وجماعة من أمرائه ابن موسك وغيره فكان وصول الصالح إلى بلبيس في يوم الأحد رابع عشرين في القعدة فنزل في خيمة العادل والعادل معتقل في خركاه.

قال أبو المظفر: حكى لي الصالح واقعات جرت له في مسيره إلى مصر منها أنه قال: ما قصدت بمجيء الناصر معي إلا خوفًا أن تكون معمولة علي ومنذ فارقنا غزة تغير علي ولا شك أن بعض أعدائي أطمعه في الملك فذكر لي جماعة من مماليكي أنه تحدث معهم في قتلي.

قال: ومنها أنه لما أخرجني يعني الناصر ندم وعزم على حبسي فرميت روحي على ابن قليج فقال: ما كان قصده إلا أن يتوجه إلى دمشق أولًا فإذا أخذنا دمشق عدنا إلى مصر.

قال: ومنها أنه ليلة وصل إلى بلبيس شرب وشطح إلى العادل فخرج له من الخركاه فقبل الأرض بين يديه فقال له: كيف رأيت ما أشرت عليك ولم تقبل مني! فقال: يا خوند التوبة فقال: طيب قلبك الساعة أطلقك وجاء فدخل علينا الخيمة ووقف فقلت: باسم الله اجلس فقال: ما أجلس حتى تطلق العادل فقلت: اقعد وهو يكرر الحديث ثم سكت ونام فما صدقت بنومه وقمت في باقي الفيل فأخذت العادل في محفة ورحلت به إلى القاهره.

ولما دخلنا القاهرة بعثت إليه بعشرين ألف دينار فعادت إلى مع غلماني وغضب وأراد نصف ما في خزائن مصر.

قلت: واستولى الصالح على ملك مصر وقبض على أخيه العادل صاحب الترجمة في يوم الاثنين خامس عشرين ذي الحجة وحبسه عنده بالقلعة سنين.

قال سعد الدين مسعود بن حمويه: وفي خامس شوال سنة ست وأربعين وستمائة جهز الصالح أخاه أبا بكر العادل ونفاه إلى الشوبك وبعث إليه الخادم محسنًا يكلمه في السفر فدخل عليه المحسن وقال له: السلطان يقول لك: لا بد من رواحك إلى الشوبك فقال: إن أردتم أن تقتلوني في الشوبك فهاهنا أولى ولا أروح أبدًا فعذله محسن فرماه بدواة كانت عنده فخرج وعرف الصالح أيوب بقوله فقال: دبر أمره فأخذ المحسن ثلاث مماليك ودخلوا عليه ليلة الاثنين ثاني عشر شوال فخنقوه بشاش وعلقوه به وأظهروا أنه شنق نفسه وأخرجوا جنازته مثل بعض الغرباء ولم يتجاسر أحد أن يترحم عليه أو يبكي حول نعشه وعاش بعده الملك الصالح عشرة أشهر رأى في نفسه العبر من مرض تمادى به وما نفعه الاحتراز كما سيأتي ذكره في ترجمته إن شاء الله تعالى.

وزاد ابن خلكان في وفاته بأن قال: ودفن في تربة شمس الدولة خارج باب النصر - رحمه الله تعالى -.

وكان للعادل المذكور ولد صغير يقال له الملك المغيث مقيم بالقلعة فلا زال بها إلى أن وصل ابن عمه الملك المعظم توران شاه بعد موت أبيه الصالح نجم الدين إلى المنصورة وسير المغيث المذكور من هناك ونقله إلى الشوبك فلما جرت الكائنة على المعظم ملك المغيث الكرك وتلك النواحي.

قلت: وكانت ولاية الملك العادل على مصر سنة واحدة ونحو شهرين وأيامًا مع ما وقع له فيها من الفتن والأنكاد ولم يعرف حاله فيها لصغر سنه وقصر مدته - رحمه الله تعالى - والعادل هذا يعرف بالعادل الصغير والعادل الكبير هو جده.

السنة الأولى من سلطنة الملك العادل الصغير

أبي بكر ابن الملك الكامل محمد على مصر وهي سنة ست وثلاثين وستمائة.

على أنه ولي السلطنة في شهر رجب منها.

فيها توفي محمود بن أحمد الشيخ الإمام العلامة جمال الدين الحصيري الحنفي أصله من بخارى من قرية يقال لها حصير وتفقه في بلده وسمع الحديث وبرع في علوم كثيرة وقدم الشام ودرس بالنورية وانتهت إليه رياسة الحنفية في زمانه وصنف الكتب الحسان وشرح " الجامع الكبير " وقرأ عليه الملك المعظم عيسى الجامع الكبير وغيره.

وكان كثير الصدقات غزير الدمعة عاقلًا دينًا نزهًا عفيفًا وقورًا وكان المعظم يحترمه ويجله.

وكانت وفاته في يوم الأحد ثامن صفر ودفن بمقابر الصوفية عند المنيبع ومات وله تسعون سنة.

وفيها توفى عماد الدين عمر ابن شيخ الشيوخ محمد المنعوت بالصاحب وهو الذي كان السبب في عطاء دمشق الجواد فلما مضى إلى مصر لامه العادل على ذلك وتهدده فقال: أنا أمضي إلى دمشق وأنزل بالقلعة وأبعث بالجواد إليك وإن امتنع قمنا عليه فسار إلى دمشق فوصلها قبل مجيء الملك الصالح نجم الدين أيوب ونزل بقلعة دمشق وأمر ونهى وقال: أنا نائب العادل وأمر الجواد بالمسير إلى مصر.

وكان أسد الدين صاحب حمص بدمشق فاتفق مع الجواد على قتل عماد الدين فاستدعى صاحب حمص بعض نصارى قارة وأمره بقتله فركب ابن الشيخ يومًا من القلعة بعد العصر فوثب عليه النصراني وضربه بالسكاكين حتى قتله وذلك في جمادى الأولى.

ودخل الصالح أيوب دمشق فحبس النصراني أيامًا ثم أطلقه ومات عماد الدين وله ست وخمسون سنة.

وفيها توفي الحافظ زكي الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف البرزالي الإشبيلي بحماه في رابع عشرين شهر رمضان ودفن بها وكان إمامًا فقيهًا محدثًا فاضلًا دينًا - رحمه الله -.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي أبو العباس أحمد بن علي القسطلاني المالكي بمكة.

وصاحب ماردين ناصر الدين أرتق الأرتقي.

وأبو المعالي أسعد بن المسلم بن مكي بن علان القيسي في رجب وله ست وتسعون سنة.

والمحدث بدر بن أبي المعمر التبريزي في جمادى الأولى.

وأبو الفضل جعفر بن علي بن هبة الله الهمذاني المالكي المقرىء في صفر وله تسعون سنة.

والعلامة جمال الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد المجيد بن إسماعيل بن حفص الصفراوي المالكي مفتي الإسكندرية ومقرئها في شهر ربيع الآخر وله اثنتان وتسعون سنة.

والشيخ عثمان القصير الزاهد.

وشيخ نصيبين عسكر بن عبد الرحيم بن عسكر عن نيف وسبعين سنة.

والصاحب عماد الدين عمر ابن شيخ الشيوخ صدر الدين محمد بن عمر الجويني قتيلًا بقلعة دمشق.

وأبو الفضل محمد بن محمد بن الحسين بن السباك في شهر ربيع الآخر.

والحافظ زكي الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف بن البرزالي الإشبيلي بحماة في رمضان وله ستون سنة.

والعلامة جمال الدين محمود بن أحمد بن عبد السيد البخاري الحصيري شيخ الحنفية بدمشق في صفر وله تسعون سنة.

الماء القديم أربع أذرع وعشرون إصبعًا.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا وإحدى عشرة إصبعًا.

السنة الثانية من سلطنة الملك العادل الصغير ابن الملك الكامل على مصر وهي سنة سبع وثلاثين وستمائة.

فيها خلع الملك العادل المذكور من ملك مصر بأخيه الملك الصالح نجم الدين أيوب حسب ما تقدم ذكره.

وفيها هجم الملك الصالح إسماعيل صاحب بعلبك على دمشق ومعه أسد الدين شيركوه صاحب حمص وملكها في يوم الثلاثاء سابع عشرين صفر.

وفيها توفي الملك ناصر الدين أرتق صاحب ماردين الأرتقي كان الملك المعظم عيسى بن العادل تزوج أخته وهي التي بنت المدرسة والتربة عند الجسر الأبيض بقاسيون ولم تدفن فيها لأنها نقلت بعد موت زوجها المعظم إلى عند أبيها بماردين فماتت هناك.

وكان ناصر الدين المذكور شيخًا شجاعًا شهمًا جوادًا ما قصده أحد وخيبه.

قتله ولده بماردين خنقًا وهو سكران.

وفيها توفي الملك المجاهد أسد الدين شيركوه بن محمد بن أسد الدين شيركوه ابن شادي الأيوبي صاحب حمص أعطاه ابن عم أبيه السلطان صلاح الدين يوسف ابن أيوب حمص بعد وفاة أبيه محمد بن شيركوه في سنة إحدى وثمانين وخمسمائة فأقام بها إلى هذه السنة وحفظ المسلمين من الفرنج والعرب ومات بحمص في يوم الثلاثاء العشرين من شهر رجب ودفن بها.

وفيها توفي يعقوب الخياط.

كان يسكن مغارة الجوع بقاسيون.

وكان شيخًا صالحًا.

لقي المشايخ وعاصر الرجال ومات بقاسيون - رحمه الله تعالى -.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي قاضي القضاة شمس الدين أحمد بن الخليل الخويي في شعبان وله أربع وخمسون سنة.

وأبو البقاء إسماعيل بن محمد بن يحيى المؤدب راوي مسند إسحاق في المحرم.

والصدر علاء الدين أبو سعد ثابت بن محمد الخجندي بشيراز وله تسع وثمانون سنة.

وأمين الدين سالم ابن الحافظ ابن صصرى في جمادى الآخرة وله ستون سنة.

وصاحب حمص الملك المجاهد أسد الدين شيركوه بن شادي في رجب وكانت دولته ستًا وخمسين سنة.

والقاضي أبو بكر عبد المجيد بن عبد الرشيد بن علي بن سمان الهمذاني سبط الحافظ أبي العلاء في شوال عن ثلاث وسبعين سنة.

وأبو القاسم عبد الرحيم بن يوسف بن هبة الله بن الطفيل في ذي الحجة.

وإمام الربوة عبد العزيز بن دلف المقرىء الناسخ في صفر.

وأبو الحسن علي بن أحمد الأندلسي الحراني الصوفي المفسر بحماة.

وشمس الدين محمد بن الحسن بن محمد بن عبد الكريم الكاتب بدمشق في رجب.

والحافظ أبو عبد الله محمد بن سعيد بن يحيى في شهر ربيع الآخر وله تسع وسبعون سنة.

وتقي الدين محمد بن طرخان السلمي الصالحي في المحرم وله ست وسبعون سنة.

وأبو طالب محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن ابن أحمد بن علي بن صابر السلمي الزاهد في المحرم.

والمحتسب رشيد الدين أبو الفضل محمد بن عبد الكريم بن الهادي التنسي في جمادى الآخرة وله ثمان وثمانون سنة.

والصاحب شرف الدين أبو البركات المبارك بن أحمد المستوفي بالموصل في المحرم.

والصاحب ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم ابن عبد الواحد المعروف بابن الأثير الشيباني الجزري الكاتب مؤلف كتاب " المثل السائر " في شهر ربيع الآخر وله نحو من ثمانين سنة.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمس أذرع وثماني أصابع.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا وتسع عشرة إصبعًا.

سلطنة الملك الصالح نجم الدين أيوب على مصر هو السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن السلطان الملك الكامل ناصر الدين محمد ابن السلطان الملك العادل سيف الدين أبي بكر ابن الأمير نجم الدين أيوب بن شادي الأيوبي سلطان الديار المصرية.

وقد تقدم أن الملك الصالح هذا ولي الشرق وديار بكر في أيام والده الملك الكامل سنين وذكرنا أيضًا ما وقع له بعد موت الكامل مع أخيه العادل ومع ابن عمه الملك الناصر داود وغيرهما في ترجمة أخيه العادل مفصلًا إلى أن ملك الديار المصرية في يوم الاثنين الخامس والعشرين من ذي الحجة سنة سبع وثلاثين وستمائة.

ومولده بالقاهرة في سنة ثلاث وستمائة وبها نشأ واستخلفه أبوه على مصر لما توجه إلى الشرق فأقام الصالح هذا بمصر مع صواب الخادم لا أمر له ولا نهي إلى أن عاد أبوه الكامل إلى الديار المصرية وأعطاه حصن كيفا فتوجه إليها ووقع له بها أمور ووقائع مع ملوك الشرق بتلك البلاد في حياة والده حتى مات أبوه ووقع له ما حكيناه إلى أن ملك مصر ولما تم أمره بمصر أصلح أمورها ومهد قواعدها.

قلت: والملك الصالح هذا هو الذي أنشأ المماليك الأتراك وأمرهم بديار مصر وفي هذا المعنى يقول بعضهم: الصالح المرتضى أيوب أكثر من تركٍ بدولته يا شر مجلوبٍ لا آخذ الله أيوبًا بفعلته فالناس كلهم في ضر أيوب وقال الحافظ أبو عبد الله شمس الدين الذهبي في تاريخه - بعد أن ذكر من مبدأ أمره نبذة إلى أن قال -: " ثم ملك مصر بلا كلفة واعتقل أخاه ثم جهز من أوهم الناصر بأن الصالح في نية القبض عليه فخاف وغضب فأسرع إلى الكرك.

ثم تحقق الصالح فساد نيات الأشرفية وأنهم يريدون الوثوب عليه فأخذ في تفريقهم والقبض عليهم فبعث مقدم الأشرفية وكبيرهم يبك الأشقر نائبًا على جهة ثم سير من قبض عليه ثم مسكهم عن بكرة أبيهم وسجنهم وأقبل على شراء المماليك الترك والخطائية واستخدم الأجنادة ثم قبض على أكبر الخدام: شمس الدين الخاص وجوهر النوبي وعلى جماعة من الأمراء الكاملية وسجنهم بقلعة صدر بالقرب من أيلة وأخرج فخر الدين ابن الشيخ من سجن العادل فركب ركبة عظيمة ودعت له الرعية لكرمه وحسن سيرته فلم يعجب الصالح ذلك وتخيل فأمره بلزوم بيته: واستوزر أخاه معين الدين.

ثم شرع يؤمر غلمانه يعني مماليكه فأكثر من ذلك وأخذ في بناء قلعة الجزيرة واتخذها سكنًا وأنفق عليها أموالًا عظيمة وكانت الجزيرة قبلًا متنزها لوالده فشيدها في ثلاثة أعوام وتحول إليها.

وأما الناصر داود فإنه اتفق مع عمه الصالح إسماعيل والمنصور صاحب حمص فاتفقوا على الصالح أيوب.

وأما الخوارزمية فإنهم تغلبوا على عدة قلاع وعادوا وخربوا البلاد وكانوا شرًا من التتار لا وفي سنة إحدى وأربعين وقع الصلح بين الصالحين والمنصور صاحب حمص على أن تكون دمشق للصالح إسماعيل وأن يقيم هو والحلبيون والحمصيون الخطبة في بلادهم لصاحب مصر وأن يخرج ولد الملك الصالح أيوب الملك المغيث من اعتقال الملك الصالح إسماعيل - والملك المغيث هو ابن الملك الصالح نجم الدين كان معتقلًا قبل سلطنته في واقعة جرت.

قلت: يعني أن الصالح قبض عليه لما ملك دمشق بعد خروج الصالح من دمشق قاصدًا الديار المصرية قبل أن يقبض عليه الناصر داود وقد ذكرنا ذلك كله في ترجمة العادل مفصلًا.

قلت وكذلك أطلق أصحاب الصالح مثل حسام الدين بن أبي علي ومجير الدين بن أبي ذكرى فأطلقهم الملك الصالح إسماعيل -.

وركب الملك المغيث وبقي يسير ويرجع إلى القلعة ورد على حسام الدين ما أخذ منه.

ثم ساروا إلى مصر واتفق الملوك على عداوة الناصر داود وجهز الصالح إسماعيل عسكرًا يحاصرون عجلون وهي للناصر وخطب لصاحب مصر في بلاده وبقي عنده المغيث حتى تأتيه نسخ الأيمان ثم بطل ذلك كله.

وقال ابن واصل: فحدثني جلال الدين الخلاطي قال: كنت رسولًا من جهة الصالح إسماعيل فورد علي منه كتاب وفي طيه كتاب من الصالح نجم الدين إلى الخوارزمية يحثهم على الحركة ويعلمهم أنه إنما صالح عمه الصالح ليخلص ابنه المغيث من يده وأنه باق على عداوته ولا بد له من أخذ دمشق منه فمضيت بهذا الكتاب إلى الصاحب معين الدين فأوقفته عليه فما أبدى عنه عذرًا يسوغ.

ورد الصالح إسماعيل المغيث بن الصالح نجم الدين إلى الاعتقال وقطع الخطبة ورد عسكره عن عجلون وأرسل إلى الناصر داود واتفق معه على عداوة صاحب مصر وكذلك رجع صاحب حلب وصاحب حمص عنه وصاروا كلمة واحدة عليه واعتقلت رسلهم بمصر واعتضد صاحب دمشق بالفرنج وسلم إليهم القدس وطبرية وعسقلان.

وتجهز صاحب مصر الملك الصالح هذا لقتالهم وجهز البعوث وجاءته الخوارزمية فساقوا إلى غزة واجتمعوا بالمصريين وعليهم ركن الدين بيبرس البندقداري الصالحي.

قلت: وبيبرس هذا هو غير بيبرس البندقداري الظاهري وإنما هذا أيضًا على اسمه وشهرته وهذا أكبر من الظاهر بيبرس وأقدم وقبض عليه الملك الصالح بعد ذلك وأعدمه.

انتهى.

قال ابن واصل: وتسلم الفرنج حرم القدس وغيره وعمروا قلعتي طبرية وعسقلان وحصنوهما ووعدهم الصالح إسماعيل بأنه إذا ملك مصر أعطاهم بعضها فتجمعوا وحشدوا وسارت عساكر الشام إلى غزة ومضى المنصور صاحب حمص بنفسه إلى عكا وطلبها فأجابوه.

قال: وسافرت أنا إلى مصر ودخلت القدس فرأيت الرهبان على الصخرة وعليها قناني الخمر ورأيت الجرس في المسجد الأقصى وأبطل الأذان بالحرم وأعلن الكفر.

وقدم - وأنا بالمقدس - الناصر داود إلى القدس فنزل بغربيه.

وفيها ولى الصالح نجم الدين قضاء مصر للأفضل بعد أن عزل ابن عبد السلام نفسه بمديدة.

ولما عدت الخوارزامية الفرات وكانوا أكثر من عشرة آلاف ما مروا بشيء إلا نهبوه وتقهقر الذين بغزة منهم وطلع الناصر إلى الكرك وهربت الفرنج من القدس فهجمت الخوارزمية على القدس وقتلوا من به من النصارى وهدموا مقبرة القمامة وجمعوا بها عظام الموتى فحرقوها ونزلوا بغزة وراسلوا صاحب مصر يعني الملك الصالح هذا فبعث إليهم بالخلع والأموال وجاءتهم العساكر وسار الأمير حسام الدين بن أبي علي بعسكر ليكون مركزًا بنابلس وتقدم المنصور إبراهيم على الشاميين يعني لقتال المصريين وكان شهمًا شجاعًا قد انتصر على الخوارزامية غير مرة وسار بهم ورافقته الفرنج من عكا وغيرها بالفارس والراجل ونفذ الناصر داود عسكرًا فوقع المصاب بظاهر غزة فانكسر المنصور إبراهيم شر كسرة.

وأخذت سيوف المسلمين الفرنج فأفنوهم قتلًا وأسرًا ولم يفلت منهم إلا الشارد وأسر أيضًا من عسكر دمشق والكرك جماعة من المقدمين.

قال ابن واصل: حكي لي عن المنصور أنه قال: والله لقد قصرت ذلك اليوم ووقع في قلبي أنه لا ننتصر لانتصارنا بالفرنج - قلت: عليه من الله ما يستحقه من الخزي.

وإيش يفيد تقصيره بعد أن صار هو والفرنج يدًا واحدة على المسلمين! - قال: ووصلت عسكر دمشق معه في أسوأ حال.

وأما مصر فزينت زينة لم ير مثلها وضربت البشائر ودخلت أسارى الشام الفرنج والأمراء وكان يومًا مشهودًا بالقاهرة.

ثم عطف حسام الدين بن أبي علي وركن الدين بيبرس فنازلوا عسقلان وحاصروها وبها الفرنج الذين تسلموها فجرج حسام الدين وامتنعت عليهم عسقلان لحصانتها " ثم ترحلوا إلى نابلس وحكموا على فلسطين والأغوار إلا عجلون فهي بيد سيف الدين بن قليج نيابة عن الناصر داود.

ثم بعث السلطان الملك الصالح نجم الدين ابن الشيخ على جيشه وأقامه مقام نفسه وأنفذ معه الخزائن وحكمه في الأمور وسار إلى الشام ومعه الخوارزمية فنالوا دمشق وبها الصالح إسماعيل والمنصور صاحب حمص فذل الصالح إسماعيل وبعث وزيره أمين الدولة مستشفعًا بالخليفة ليصلح بينه وبين ابن أخيه الملك نجم الدين فلم يظفر بطائل ورجع واشتد الحصار على دمشق وأخذت بالأمان لقلة من مع صاحبها ولعدم الميرة بالقلعة ولتخلي الحلبيين عنه فترحل ولما رأت الخوارزمية أن السلطان قد تملك الشام بهم وهزم أعداءه صار لهم عليه إدلال كثير مع ما تقدم من نصرهم له على صاحب الموصل قبل سلطنته وهو بسنجار فطمعوا في الأخبار العظيمة فلما لم يحصلوا على شيء فسدت نيتهم له وخرجوا عليه وكاتبوا الأمير ركن الدين بيبرس البندقداري وهو أكبر أمراء الصالح نجم الدين أيوب وكان بغزة فأصغى إليهم - فيما قيل - وراسلوا صاحب الكرك فنزل إليهم ووافقهم.

وكانت أمه أيضًا خوارزمية وتزوج منهم ثم طلع إلى الكرك واستولى حينئذ على القدس ونابلس وتلك الناحية وهرب منه نواب صاحب مصرة ثم راسلت الخوارزمية الملك الصالح إسماعيل وهو في بعلبك وحلفوا له فسار إليهم واتفقت كلمة الجميع على حرب الصالح صاحب مصر فقلق الصالح لذلك وطلب ركن الدين بيبرس فقدم مصر فاعتقله وكان آخر العهد به.

ثم خرج بعساكره فخيم بالعباسة وكان قد نفذ رسوله إلى الخليفة المستعصم يطلب تقليدًا بمصر والشام أو الشرق فجاءه التشريف والطوق الذهب والمركوب فلبس التشريف الأسود والعمامة والجبة وركب الفرس بالحلية الكاملة وكان يومًا مشهودًا ثم جاء الصالح والخوارزمية ونازلوا دمشق وليس بها كبير عسكر وبالقلعة الطواشي رشيد وبالبلد نائبها حسام الدين بن أبي علي الهذباني فضبطها وقام بحفظها بنفسه ليلًا ونهارًا واشتد بها الغلاء وهلك أهلها جوعًا ووباء.

قال: وبلغني أن رجلًا مات في الحبس فأكلوه كذلك حدثني حسام الدين بن أبي علي فعند ذلك اتفق عسكر حلب والمنصور صاحب حمص على حرب الخوارزمية وقصدوهم فتركوا حصار دمشق وساقوا أيضًا يقصدونهم فالتقى الجمعان ووقع المصاف في أول سنة أربع وأربعين على القصب وهي منزلة بريد من حمص من قبليها فاشتد القتال والصالح إسماعيل مع الخوارزمية فانكسروا عندما قتل مقدمهم حسام الدين بركة خان

وانهزموا ولم تقم لهم بعدها قائمة وقتل بركة خان مملوك من الحلبيين وتشتتت الخوارزمية وخدم طائفة منهم بالشام وطائفة بمصر وطائفة مع كشلوخان ذهبوا إلى التتار وخدموا معهم وكفى الله شرهم.

وعلق رأس بركة خان على قلعة حلب.

ووصل الخبر إلى القاهرة فزينت وحصل الصلح التام بين السلطان يعني الصالح نجم الدين أيوب وبين صاحب حمص والحلبيين.

وأما الصالح إسماعيل فإنه التجأ إلى ابن أخته الملك الناصر صلاح الدين صاحب حلب.

وأما نائب دمشق حسام الدين فإنه سار إلى بعلبك وحاصرها وبها أولاد الصالح إسماعيل فسلموها بالأمان ثم أرسلوا إلى مصر تحت الحوطة هم والوزير أمين الدولة والأستادار ناصر الدين بن يغمور فاعتقلوا بمصر.

وصفت البلاد للملك الصالح.

وبقي الملك الناصر داود بالكرك في حكم المحصور ثم رضي السلطان على فخر الدين ابن الشيخ وأخرجه من الحبس بعد موت أخيه الوزير معين الدين وسيره إلى الشام واستولى على جميع بلاد الناصر داود وخرب ضياع الكرك ثم نازلها أيامًا وقل ما عند الناصر من المال والذخائر وقل ناصره فعمل قصيدة يعاتب فيها السلطان فيما له عنده من اليد من الذب عنه وتمليكه ديار مصر وهي: قل للذي قاسمته ملك اليد ونهضت فيه نهضة المستأسد عاصيت فيه ذوي الحجى من أسرتي وأطعت فيه مكارمي وتوددي يا قاطع الرحم التي صلتي بها كتبت على الفلك الأثير بعسجد إن كنت تقدح في صريح مناسبي فاصبر بعزمك للهيب المرصد عمي أبوك ووالدي عم به يعلو انتسابك كل ملك أصيد صالًا وجالًا كالأسود ضواريا فارتد تيار الفرات المزبد دع سيف مقولي البليغ يذب عن أعراضكم بفرنده المتوقد فهو الذي قد صاغ تاج فخاركم بمفضل من لؤلؤ وزبرجد ثم أخذ يصف نفسه وجوده ومحاسنه وسؤدده إلى أن قال: يا محرجي بالقول والله الذي خضعت لعزته جباه السجد والله يابن العم لولا خيفتي لرميت ثغرك بالعداة المرد لكنني ممن يخاف حرامه ندمًا يجرعني سمام الأسود فأراك ربك بالهدى ما ترتجي لنراك تفعل كل فعل مرشد لتعيد وجه الملك طلقًا ضاحكًا وترد شمل البيت غير مبدد كي لا ترى الأيام فينا فرصة للخارجين وضحكة للحسد لا زال هذا البيت مرتفع البنا يزهى بعد آخر أمجد قال: ثم إن السلطان طلب الأمير حسام الدين بن أبي علي وولاه نيابة الديار المصرية واستناب على دمشق الصاحب جمال الدين يحيى بن مطروح ثم قدم الشام وجاء إلى خدمته صاحب حماة الملك المنصور وهو ابن اثنتي عشرة سنة وصاحب حمص وهو صغيرًا فأكرمهما وقربهما ووصل إلى بعلبك ثم رد إلى الشام ثم رجع السلطان ومرض في الطريق.

قال ابن واصل: حكى لي الأمير حسام الدين قال: لما ودعني السلطان قال: إني مسافر وأخاف أن يعرض لي موت وأخي العادل بقلعة مصر فيأخذ البلاد وما يجري عليكم منه خير فإن مرضت - ولو أنه حمى يوم - فأعدمه فإنه لا خير فيه وولدي توران شاه لا يصلح للملك فإن بلغك موتي فلا تسلم البلاد لأحد من أهلي بل سلمها للخليفة.

انتهى.

قال: ودخل السلطان مصر وصرف حسام الدين عن نيابة مصر بجمال الدين ابن يغمور وبعث الحسام بالمصريين إلى الشام فأقاموا بالصالحية أربعة أشهر.

قال ابن واصل: وأقمت مع حسام الدين هذه المدة وكان السلطان في هذه المدة وقبلها مقيمًا بأشمون طناح.

ثم في السنة خرج الحلبيون وعليهم شمس الدين لؤلؤ الأميني فنازلوا حمص ومعهم الملك الصالح إسماعيل يرجعون إلى رأيه فحاصرها شهرين ولم ينجدها صاحب مصرة وكان السلطان مشغولًا بمرض عرض له في بيضه ثم فتح وحصل منه ناسور بعسر بولٍ وحصلت له في رئته بعض قرحة متلفة لكنه عازم على إنجاد صاحب حمص.

ولما اشتد الحصار بالأشرف صاحب حمص اضطر إلى أن أذعن بالصلح وطلب العوض عن حمص تل باشر مضافًا إلى ما بيده وهو الرحبة وتدمر فتسلمها الأمير شمس الدين لؤلؤ الاميني وأقام بها نوابًا لصاحب حلب.

فلما بلغ السلطان أخذ حمص وهو مريض غضب وعظم عليه وترحل إلى القاهرة فاستناب بها ابن يغمور وبعث الجيوش إلى الشام لاستنقاذ حمص.

وسار السلطان في محفة وذلك في سنة ست وأربعين وستمائة فنزل بقلعة دمشق وبعث جيشه فنازلوا حمص ونصبوا عليها المجانيق منها منجنيق مغربي ذكر الأمير حسام الدين أنه كان يرمي حجرًا زنتة مائة وأربعون رطلًا بالدمشقي ونصب عليها قرابغا اثني عشر منجنيقًا سلطانية وذلك في الشتاء.

وخرج صاحب حلب بعسكره فنزل بأرض كفر طاب ودام الحصار إلى أن قم البادرائي للصلح بين صاحب حلب والسلطان على أن تقر حمص بيد صاحب حلب فوقع الاتفاق على ذلك وترحل السلطان عن حمص لمرض السلطان ولأن الفرنج تحركوا وقصدوا مصر وترحل السلطان إلى الديار المصرية كذلك وهو في محفة.

وكان الناصر صاحب الكرك قد بعث شمس الدين الخسروشاهي إلى السلطان وهو بدمشق يطلب خبزًا بمصر والشوبك وينزل له عن الكرك فبعث السلطان تاج الدين بن مهاجر في إبرام ذلك إلى الناصر فرجع عن ذلك لما سمع حركة الفرنج وطلب السلطان نائب مصر جمال الدين بن يغمور فاستنابه بدمشق وبعث على نيابة مصر حسام الدين بن أبي علي فدخلها في المحرم سنة سبع وأربعين وسار السلطان فنزل بأشموم طناح ليكون في مقابلة الفرنج إن قصدوا دمياط.

وتواترت الأخبار بأن ريدا فرنس مقدم الأفرنسيسية قد خرج من بلاده في جموع عظيمة وشتى بجزيرة قبرص وكان من أعظم ملوك الفرنج وأشدهم بأسًا - وريدا بلسانهم: الملك - فشحنت دمياط بالذخائر وأحكمت الشواني ونزل فخر الدين ابن الشيخ بالعساكر على جزيرة دمياط فأقبلت مراكب الفرنج فأرست في البحر بإزاء المسلمين في صفر من السنة.

ثم شرعوا من الغد في النزول إلى البر الذي فيه المسلمون وضربت خيمة حمراء لريدا فرنس وناوشهم المسلمون القتال فقتل يومئذ الأمير نجم الدين ابن شيخ الإسلام والأمير الوزيري - رحمهما الله تعالى - فترحل فخر الدين ابن الشيخ بالناس وقطع بهم الجسر إلى البر الشرقي الذي فيه دمياط وتقهقر إلى أشمون طناح ووقع الخذلان على أهل دمياط فخرجوا منها طول الليل على وجوههم حتى لم يبق بها أحد وكان هذا من قبيح رأي فخر الدين فإن دمياط كانت في نوبة سنة خمس عشرة وستمائة أقل ذخائر وعددًا وما قدر عليها الفرنج إلا بعد سنة وإنما هرب أهلها لما رأوا هرب العسكر وضعف السلطان فلما أصبحت الفرنج ملكوها صفوًا بما حوت من العدد والأسلحة والذخائر والغلال والمجانيق وهذه مصيبة لم يجر مثلها! فلما وصلت العساكر وأهل دمياط إلى

السلطان حنق على الشجعان الذين كانوا بها وأمر بهم فشنقوا جميعًا ثم رحل بالجيش وسار إلى المنصورة فنزل بها في المنزلة التي كان أبوه نزلها وبها قصر بناه أبوه الكامل.

ووقع النفير العام في المسلمين فاجتمع بالمنصورة أمم لا يحصون من المطوعة والعربان وشرعوا في الإغارة على الفرنج ومناوشتهم وتخطفهم واستمر ذلك أشهرًا والسلطان يتزايد مرضه والأطباء قد آيسته لاستحكام المرض به.

وأما صاحب الكرك يعني الملك الناصر داود فإنه سافر إلى بغداد فاختلف أولاده فسار أحدهم إلى الملك الصالح نجم الدين أيوب وسلم إليه الكرك ففرح بها مع ما فيه من الأمراض وزينت بلاده وبعث إليها بالطواشي بدر الدين الصوابي نائبًا.

وقدم عليه أولاد الناصر داود فبالغ الملك الصالح في إكرامهم وأقطعهم أخبازًا جليلة.

ولم يزل يتزايد به المرض إلى أن مات وأخفي موته على ما سيأتي ذكره.

إن شاء الله تعالى.

قال ابن واصل في سيرة الملك نجم الدين أيوب هذا: وكان مهيبًا عزيز النفس عفيفًا طاهر اللسان والذيل لا يرى الهزل ولا العبث شديد الوقار كثير الصمت اشترى من المماليك الترك ما لم يشتره أحد من أهل بيته حتى صاروا معظم عسكره ورجحهم على الأكراد وأمرهم واشترى وهو بمصر خلقًا منهم وجعلهم بطانته والمحيطين بدهليزه وسماهم " البحرية ".

حكى لي حسام الدين بن أبي علي: أن هؤلاء المماليك مع فرط جبروتهم وسطوتهم كانوا أبلغ من يعظم هيبته كان إذا خرج وشاهدوا صورته يرعدون خوفًا منه وأنه لم يقع منه في حال غضبه كلمة قبيحة قط أكثر ما يقول إذا شتم: يا متخلف وكان كثير الباه بجواريه فقط ولم يكن عنده في آخر وقت غير زوجتين: إحداهما شجرة الدر والأخرى بنت العالمة تزوجها بعد مملوكه الجوكندار وكان إذا سمع الغناء لا يتزعزع ولا يتحرك وكذلك الحاضرون يلتزمون حالته كأنما على رؤوسهم الطيرة وكأن لا يستقل أحدًا من أرباب دولته بأمر بل يراجعون القصص مع الخدام فيوقع عليها بما يعتمده كتاب الإنشاء وكان يحب أهل الفضل والدين وما كان له ميل لمطالعة الكتب وكان كثير العزلة والانفراد وله نهمة باللعب بالصوالجة وفي إنشاء الأبنية العظيمة الفاخرة.

انتهى كلام ابن واصل.

وقال غيره: وكان ملكًا مهيبًا جبارًا ذا سطوة وجلالة وكان فصيحًا حسن المحاورة عفيفًا عن الفواحش أمر مماليكه الترك وجرى بينه وبين عمه الملك الصالح أمور وحروب إلى أن أخذ نقابة دمشق عام ثلاثة وأربعين وذهب إسماعيل إلى بعلبك ثم أخذت من إسماعيل بعلبك وتعثر والتجأ إلى ابن أخته الناصر صاحب حلب.

ولما خرج الملك الصالح هذا من مصر إلى الشام خاف من بقاء أخيه الملك العادل فقتله سرًا ولم يتمتع بعده ووقعت الأكلة في فخذه بدمشق.

ونزل الأفرنس ملك الفرنج بجيوشه على دمياط فأخذها فسار إليه الملك الصالح في محفة حتى نزل المنصورة عليلًا ثم عرض له إسهال إلى أن مات في ليلة النصف من شعبان بالمنصورة وأخفي موته حتى أحضروا ولده الملك المعظم توران شاه من حصن كيفا وملكوه.

وقال سعد الدين: إن ابن عمه فخر الدين نائب السلطنة أمر بتحليف الناس لولده الملك المعظم توران شاه ولولي عهده فخر الدين فتقرر ذلك وطلبوا الناس فحضروا وحلفوا إلا أولاد الناصر داود صاحب الكرك توقفوا وقالوا: نشتهي أن نبصر السلطان فدخل خادم وخرج وقال: السلطان يسلم عليكم وقال: ما يشتهي أن تروه في هذه الحالة وقد رسم لكم أن تحلفوا.

فحلفوا وكان للسلطان مدة من وفاته ولا يعلم به أحد وزوجته شجرة الدر توقع مثل خطه على التواقيع - على ما يأتي ذكره - ولما حلف أولاد الناصر صاحب الكرك جاءتهم المصيبة من كل ناحية لأن الكرك راحت من يدهم واسودت وجوههم عند أبيهم ومات الملك الصالح الذي أفلوه وأعطوه الكرك ثم عقيب ذلك نفوهم من مصر.

ثم إن الأمير فخر الدين نفذ نسخة الأيمان إلى البلاد ثم كل ذلك والسلطان لم يظهر موته.

قال: وكانت أم ولده شجرة الدر ذات رأي وشهامة فدبرت أمر الملك الصالح وأخفت موته.

وهي التي وليت الملك مدة شهرين بعد ذلك وخطب لها على المنابر بمصر وغيرها - على ما يأتي ذكر ذلك في محله إن شاء الله تعالى.

ثم ملك بعدها الأتراك إلى يومنا هذا.

انتهى.

وقال الشيخ شمس الدين يوسف بن قزأرغلي في تاريخه مرآة الزمان - بعد ما ذكر اسم الملك الصالح ومولده قال -: ولما ملك مصر اجتهد في خلاص ولده المغيث فلم يقدر.

قلت يعني المغيث الذي كان حبسه الملك الصالح إسماعيك بقلعة دمشق في مبادئ أمر الملك الصالح.

قال: وكان مهيبًا هيبته عظيمة جبارًا أباد الأشرفية وغيرهم.

وقال جماعة من أمرائه: والله ما نقعد على بابه إلا ونقول من هاهنا نحمل إلى الحبوس وكان إذا حبس إنسانًا نسيه ولا يتجاسر أحد أن يخاطبه فيه وكان يحلف أنه ما قتل نفسًا بغير حق.

قال صاحب المرآة: وهذه مكابرة وغيرهم ولو لم يكن إلا قتل أخيه العادل لكفى.

قال: وكانت عشيقته شجرة الدر تكتب خطًا يشبه خطه فكانت تعلم على التواقيع وكان قد نسر مخرج السلطان وامتد إلى فخذه اليمنى ورجله ونحل جسمه وعملت له محفة يركب فيها وكان يتجلد ولا يطلع أحد على حاله ولما مات حمل تابوته إلى الجزيرة فعلق بسلاسل حتى قبر في تربته إلى جانب مدرسته بالقاهرة.

قلت: وذكر القطب اليونيني في كتابه الذيل على مرآة الزمان قال في ترجمة البهاء زهير كاتب الملك الصالح قال: فلما خرج الملك الصالح بالكرك من الاعتقال وسار إلى الديار المصرية كان بهاء الدين زهير المذكور في صحبته وأقام عنده في أعلى المنازل وأجل

المراتب وهو المشار إليه في كتاب المرج والمقدم عليهم وأكثرهم اختصاصًا بالملك الصالح واجتماعًا به.

وسيره رسولًا في سنة خمس وأربعين وستمائة إلى الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب حلب يطلب منه إنفاذ الملك الصالح عماد الدين إسماعيل إليه فلم يجب إلى ذلك وأنكر الناصر هذه الرسالة غاية الإنكار وأعظمها واستصعبها وقال: كيف يسعني أن أسير عمه إليه وهو خال أبي وكبير البيت الأيوبي حتى يقتله وقد استجار بي! والله هذا شيء لا أفعله أبدًا.

ورجع البهاء زهير إلى الملك الصالح نجم الدين بهذا الجواب فعظم عليه وسكت على ما في نفسه من الحنق.

وقبل موت الملك الصالح نجم الدين أيوب بمديدة يسيرة - وهو نازل على المنصورة - تغير على بهاء الدين زهير وأبعده لأمر لم يطلع عليه أحد.

قال: حكى لي البهاء أن سبب تغيره عليه أنه كتب عن الملك الصالح كتابًا إلى الملك الناصر داود صاحب الكرك وأدخل الكتاب إلى الملك الصالح ليعلم عليه على العادة فلما وقف عليه الملك الصالح كتب بخطه بين الأسطر: " أنت تعرف قلة عقل ابن عمي وأنه يحب من يعظمه ويعطيه من يده فاكتب له غير هذا الكتاب ما يعجبه " وسير الكتاب إلى البهاء زهير ليغيره والبهاء زهير مشغول فأعطاه لفخر الدين إبراهيم بن لقمان وأمره بختمه فختمه وجهزه إلى الناصر على يد نجاب ولم يتأمله فسافر به النجاب لوقته واستبطأ الملك الصالح عود الكتاب إليه ليعلم عليه ثم سأل عنه بهاء الدين زهير بعد ذلك وقال له: ما وقفت على ما كتبته بخطي بين الأسطر.

قال البهاء زهير: ومن يجسر أن يقف على ما كتبه السلطان بخطه إلى ابن عمه! وأخبره أنه سير الكتاب مع النجاب فقامت قيامة السلطان وسيروا في طلب النجاب فلم يدركوه ووصل الكتاب إلى الملك الناصر بانكرك فعظم عليه وتألم له ثم كتب جوابه إلى الملك الصالح وهو يعتب فيه العتب المؤلم ويقول له فيه: والله ما بي ما يصدر منك في حقي وإنما بي اطلاع كتابك على مثل هذا! فعز ذلك على الملك الصالح وغضب على بهاء الدين زهير وبهاء الدين لكثرة مروءته نسب ذلك إلى نفسه ولم ينسبه لكاتب الكتاب وهو فخر الدين بن لقمان - رحمه الله تعالى -.

قال: وكان الملك الصالح كثير التخيل والغضب والمؤاخذة على الذنب الصغير والمعاقبة على الوهم لا يقبل عثرة ولا يقبل معذرة ولا يرعى سالف خدمة والسيئة عنده لا تعذر والتوسل إليه لا يقبل والشفائع لديه لا تؤثر فلا يزداد بهذه الأمور التي تسل سخائم الصدور إلا انتقامًا.

وكان ملكًا جبارًا متكبرًا شديد السطوة كثير التجبر والتعاظم على أصحابه وندمائه وخواصه ثقيل الوطفة لا جرم أن الله تعالى قصر مدة ملكه وابتلاه بأمراض عدم فيها صبره.

وقتل مماليكه ولده توران شاه من بعده لكنه كان عنده سياسة حسنة ومهابة عظيمة وسعة صدر في إعطاء العساكر والإنفاق في مهمات الدولة لا يتوقف فيما يخرجه في هذا الوجه وكانت همته عالية جدًا وآماله بعيدة ونفسه تحدثه بالاستيلاء على الدنيا بأسرها والتغلب عليها وانتزاعها من يد ملوكها حتى لقد حدثته نفسه بالاستيلاء على بغداد والعراق وكان لا يمكن القوي من الضعيف وينصف المشروف - من الشريف وهو أول من استكثر من المماليك من ملوك البيت الأيوبي ثم اقتدوا به لما آل الملك إليهم.

قلت: ومن ولي مصر بعد الصالح من بني أيوب حتى اقتنى المماليك! هو آخر ملوك مصر ولا عبرة بولاية ولده الملك المعظم توران شاه اللهم إن كان الذي بالبلاد الشامية فيمكن وأما بمصر فلا.

وكانت ولايته بمصر تسع سنين وسبعة أشهر وعشرين يومًا لأنه ولي السلطنة في عشرين ذي الحجة سنة سبع وثلاثين ومات في نصف شعبان سنة سبع وأربعين وستمائة.

انتهى.

قال: ولما مات الملك الصالح نجم الدين لم يحزن لموته إلا القليل مع ما كان الناس فيه من قصد الفرنج الديار المصرية واستيلائهم على قلعة منها ومع هذا سر معظم الناس بموته حتى خواصه فإنهم لم يكونوا يأمنون سطوته ولا يقدرون على الاحتراز منه.

قال: ولم يكن في خلقه الميل لأحد من أصحابه ولا أهله ولا أولاده ولا المحبة لهم ولا الحنو عليهم على ما جرت به العادة.

وكان يلازم في خلواته ومجالس أنسه من الناموس ما يلازمه إذا كان جالسًا في دست السلطنة.

وكان عفيف الذيل طاهر اللسان قليل الفحش في حال غضبه ينتقم بالفعل لا بالقول - رحمه الله تعالى -.

انتهى ما أوردناه في ترجمة الملك الصالح من أقوال جماعة كثيرة من المؤرخين ممن عاصره وبعدهم فمنهم من شكر ومنهم من أنكر.

قلت: وهذا شأن الناس في أفعال ملوكهم والحاكم أحد الخصمين غضبان منه إذا حكم بالحق فكيف السلطان! وفي الجملة هو عنده أعظم ملوك بني أيوب وأجلهم وأحسنهم رأيًا وتدبيرًا ومهابة وشجاعة وسؤددًا بعد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وهو أخو جده الملك العادل أبي بكر بن أيوب ولو لم يكن من محاسنه إلا تجلده على مقابلة العدو بالمنصورة وهو بتلك الأمراض المزمنة المذكورة وموته على الجهاد والذب عن المسلمين.

- والله يرحمه.

ما كان أصبره وأغزر مروءته! ولما مات رثاه الشعراء بعدة مراثٍ.

وأما مدائحه فكثيرة من ذلك ما قاله فيه كاتبه وشاعره بهاء الدين زهير من قصيدته التي أولها: وعد الزيارة طرفه المتملق وبلاء قلبي من جفونٍ تنطق إني لأهوى الحسن حيث وجدته وأهيم بالقد الرشيق وأعشق يا عاذلي أنا من سمعت حديثه فعساك تحنو أو لعلك ترفق لو كنت منا حيث تسمع أو ترى لرأيت ثوب الصبر كيف يمزق ورأيت ألطف عاشقين تشاكيًا وعجبت ممن لا يحب ويعشق أيسومني العذال عنه تصبرًا وحياته قلبي أرق وأشفق إن عنفوا أو سوفوا أو خوفوا لا أنتهي لا أنثني لا أفرق أبدًا أزيد مع الوصال تلهفًا كالعقد في جيد المليحة يقلق وأذاع أني قد سلوتك معشر يا رب لا عاشوا لذاك ولا بقوا ما أطمع العذال إلا أنني خوفًا عليك إليهم أتملق وإذا وعدت الطيف منك بهجعةٍ فاشهد علي بأنني لا أصدق فعلام قلبك ليس بالقلب الذي قد كان لي منه المحب المشفق وأظن قدك شامتًا لفراقنا فلقد نظرت إليه وهو مخلق ولقد سعيت إلى العلا بعزيمةٍ فقضى لسعيي أنه لا يحقق وسريت في ليلٍ كأن نجومه من فرط غيرتها إلي

تحدق حتى وصلت سرادق الملك الذي تقف الملوك ببابه تسترزق ووقفت من ملك الزمان بموقفٍ ألفيت قلب الدهر منه يخفق فإليك يا نجم السماء فإنني قد لاح نجم الدين لي يتألق الصالح الملك الذي لزمانه حسن يتيه به الزمان ورونق ملك تحدث عن أبيه وجده نسب لعمري في العلا لا يلحق

نجم الدين أيوب بن الكامل محمد على مصر

وهي سنة ثمان وثلاثين وستمائة.

فيها سلم الملك الصالح إسماعيل الشقيف لصاحب صيداء الفرنجي وعزل عز الدين بن عبد السلام عن الخطابة وحبسه وحبس أيضًا أبا عمرو بن الحاجب لأنهما أنكرا عليه فعله فحبسهما مدة ثم أطلقهما وولى العماد ابن خطيب بيت الأبار الخطابة عوضًا عن ابن عبد السلام.

وفيها ظهر بالروم رجل تركماني يقال له البابا وادعى النبوة وكان يقول قولوا: لا إله إلا الله البابا ولي الله واجتمع إليه خلق كثير فجهز إليه صاحب الروم جيشًا فالتقوا فقتل بينهم أربعة آلاف وقتل البابا المذكور.

قال أبو المظفر: " وفيها ذكر أن بمازندران - وهي مدينة العجم - عين ماء يطلع منها في كل ست وثلاثين سنة حية عظيمة مثل المنارة فتقيم طول النهار فإذا غربت الشمس غاصت الحية في العين فلا ترى إلا مثل ذلك الوقت وقيل: إن بعض ملوك العجم جاء بنفسه إليها في مثل ذلك اليوم وربطها بسلاسل حتى يعوقها فلما غربت الشمس غاصت في العين وهي إلى الآن إذا طلعت رأوا السلاسل في وسطها ".

قلت: ولعلها لم تتعرض لأحد بسوء وإلا فكان الناس تحيلوا في قتلها وفيها وصل الملك الناصر داود من مصر إلى غزة وكان بينه وبين الفرنج وقعة وكسرهم فيها وغنم منهم أشياء كثيرة.

وفيها توفي أبو بكر محمد بن علي بن محمد الشيخ الإمام محيي الدين العالم المشهور بابن عربي الطائي الحاتمي في شهر ربيع الآخر وله ثمان وسبعون سنة وكان إمامًا في علوم الحقائق وله المصنفات الكثيرة.

وقد اختلف الناس في تصانيفه وأقواله اختلافًا كبيرًا.

قال: وكان يقول: أعرف الاسم الأعظم وأعرف الكيمياء بطريق المنازلة لا بطريق الكسب وكانت وفاته بدمشق ودفن بقاسيون بتربة القاضي محيي الدين بن الزكي.

ومن شعره في جزار: # ناديت جزارًا تروق صفاته قد أخجلت سمر القنا حركاته يا واضع السكين في فمه وقد أهدى بها ماء الحياة لهاته ضعها على المذبوح ثاني كرةٍ وأنا الضمين بأن تعود حياته قلت: وأحسن من هذا قول البرهان القيراطي - رحمه الله - في المعنى: رب جزارٍ هواه صار لي دمًا ولحما فضت بالألية منه وامتلا قلبي شحما الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي أبو علي أحمد بن محمد بن محمود الحراني ثم البغدادي في المحرم.

والعلامة القاضي نجم الدين أبو العباس أجمد بن محمد بن خلف بن راجح المقدسي الشافعي مدرس العذراوية في شوال.

وخطيب داريا سمح بن ثابت.

وجمال الملك علي بن مختار العامري ابن الجمل في شعبان وله تسعون سنة.

ومحيي الدين أبو بكر محمد بن علي بن محمد بن العربي الطائي الحاتمي المرسي وله ثمان وسبعون سنة.

مات في شهر ربيع الآخر.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمس أذرع وعشرون إصبعًا.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا وتسع أصابع.

السنة الثانية من سلطنة الملك الصالح نجم الدين أيوب على مصر وهي سنة تسع وثلاثين وستمائة.

فيها شرع الملك الصالح المذكور في عمارة المدارس بين القصرين من القاهرة وشرع أيضًا في بناء قلعة الجزيرة وأخذ أملاك الناس وأخرب نيفًا وثلاثين مسجدًا وقطع ألف نخلة وغرم عليها خراج مصر سنين كثيرة فلم تقم بعد وفاته وأخربها مماليكه الأتراك سنة إحدى وخمسين وفيها توفي أحمد بن الحسين بن أحمد الشيخ الإمام العالم شمس الدين النحوي الإربلي ثم الموصلي الضرير المعروف بابن الخباز صاحب التصانيف.

كان إمامًا بارعًا مفتنًا عالمًا بالنحو واللغة والأدب.

ومن شعره في العناق: كأنني عانقت ريحانة تنفست في ليلها البارد فلو ترانا في قميص الدجى حسبتنا في جسد واحد قلت: ومثل هذا قول العلامة أبي الحسن علي بن الجهم - رحمه الله تعالى -: سقى الله ليلًا ضمنا بعد هجعةٍ وأدنى فؤادًا من فؤادٍ معذب فبتنا جميعًا لو تراق زجاجة من الخمر فيما بيننا لم تسرب ومثل هذا قول القائل: لا والمنازل من نجدٍ وليلتنا بالخيف إذ جسدانا بيننا جسد كم رام منا الكرى من لطف مسلكه نومًا فما انفك لا خذ ولا عضد ومثل هذا أيضًا قول ابن التعاويذي - رحمه الله تعالى -: فكم ليلةٍ قد بت أرشف ريقه وجرت على ذاك الشنيب المنضد وبات كما شاء الغرام معانقي وبت وإياه كحرف مشدد وفيها توفي موسى بن يونس بن محمد بن منعة بن مالك العلامة كمال الدين أبو الفتح الموصلي الشافعي.

مولده في صفر سنة إحدى وخمسين وخمسمائة بالموصل وتفقه على والده وغيره وبرع في عدة علوم.

قال ابن خلكان - رحمه الله -: وكان الشيخ يعرف الفقه والأصلين والخلاف.

والمنطق والطبيعي والإلهي والمجسطي وإقليدس والهيئة والحساب والجبر والمقابلة والمساحة والموسيقى معرفة لا يشاركه فيها غيره.

ثم قال بعد ثناء زائد إلا أنه كان يتهم في دينه لكون العلوم العقلية غالبة عليه.

وعمل فيه العماد المغربي وهو عمر بن عبد النور الصنهاجي النحوي هجوًا - رحمه الله تعالى -: أجدك أن قد جاء بعد التعبس غزال بوصلٍ لي وأصبح مؤنسي وعاطيته صهباء من فيه مزجها كرقة شعري أو كدين ابن يونس وكان العماد المذكور قد مدحه قبل ذلك

بأبيات منها: كمال كمال الدين للعلم والعلا فهيهات ساعٍ في مساعيك يطمع إذا اجتمع النظار في كل موطنٍ فغاية كلٍ أن تقول ويسمعوا ومنٍ شعر ابن يونس ما كتبه لصاحب الموصل يشفع عنده شفاعة وهو: لئن شرفت أرض بمالك قدرها فمملكة الدنيا بكم تتشرف بقيت بقا نوحٍ وأمرك نافذ وسعيك مشكور وظلك منصف ومكنت في حفظ البسيطة مثل ما تمكّن في أمصار فرعون يوسف الذين ذكر الدهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي العلامة شمس الدين أحمد بن الحسين بن أحمد الإربلي ثم الموصلي الضرير النحوي صاحب التصانيف.

وأحمد بن يعقوب أبو العيناء المارستاني الصوفي في ذي الحجة.

والفقيه إسحاق بن طرخان الشاغوري في رمضان وله نحو تسعين سنة.

وأبو الطاهر إسماعيل بن ظفر النابلسي في شوال وله خمس وستون سنة.

وأبو علي الحسن بن إبراهيم بن هبة الله بن دينار الصائغ في جمادى الآخرة.

وخطيب بيت لهيا أبو الربيع سليمان بن إبراهيم بن هبة الله بن رحمة الإسعردي الحنبلي في شهر ربيع الآخر.

والفقيه عبد الحميد بن محمد بن أبي بكر بن ماض.

والعلامة كمال الدين أبو الفتح موسى بن موسى الموصلي ذو الفنون في شعبان عن تسع وثمانين سنة.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربع أذرع وعشرون إصبعًا.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا وإحدى وعشرون السنة الثالثة من سلطنة الملك الصالح نجم الدين أيوب على مصر وهي سنة أربعين وستمائة.

فيها كان الوباء ببغداد وتزايدت الأمراض.

وتوفي الخليفة المستنصر وبويع ابنه المستعصم.

وفيها عزم الملك الصالح المذكور على التوجه إلى الشام فقيل له: البلاد مختلة والعساكر مختلفة فجهز إليها العساكر وأقام هو بمصر.

وفيها توفي كمال الدين أحمد بن صدر الدين شيخ الشيوخ بمدينة غزة في صفر عن ست وخمسين سنة وبنى عليه أخوه معين الدين قبة على جانب الطريق وكان قد كسره الجواد بعسكر الملك الناصر داود صاحب الكرك وقيل: إنه مات مسمومًا.

ومن شعره ما كتبه لابن عمه سعد الدين: لو أن في الأرض جنات مزخرفة تحف أركانها الولدان والخدم ولم تكن رأى عيني فالوجود بها إذ لا أراك وجود كله عدم وفيها توفي الخليفة أمير المؤمنين المستنصر بالله أبو جعفر منصور ابن الخليفة الظاهر بأمر الله محمد ابن الخليفة الناصر لدين الله أبي العباس أحمد ابن الخليفة المستضيء بأمر الله حسن ابن الخليفة المستنجد بالله يوسف العباسي الهاشمي البغدادي.

مولده في سنة ثمان وثمانين وخمسمائة ببغداد وأفه أم ولد تركية بويع بالخلافة بعد موت أبيه الظاهر بأمر الله في شهر رجب سنة ثلاث وعشرين وستمائة ولما ولي الخلافة نشر

العدل في الرعايا وبذل الإنصاف وقرب أهل العلم والدين وبنى المساجد والربط والمدارس وأقام منار الدين وقمع المتمردة ونشر السنن وكف الفتن.

وكان أبيض أشقر الشعر ضخمًا قصيرًا وخطه الشيب فخضب بالحناء ثم ترك الخضاب.

ومات في العشرين من جمادى وقيل: في يوم الجمعة عاشر جمادى الآخر عن إحدى وخمسين سنة وأربعة أشهر وتسعة أيام وكتم موته وخطب له يومئذ بالجامع حتى أقبل شرف الدين إقبال الشرابي ومعه جمع من الخدام وسلم على ولده المستعصم بالله أمير المؤمنين واستدعاه إلى سدة الخلافة ثم عرف الوزير وأستاذ الدار ثم طلبوا الناس وبايعوه بالخلافة وتم أمره.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي زين الدين أحمد بن عبد الملك بن عثمان المقدسي المحدث الشروطي.

وإبراهيم بن بركات بن إبراهيم الخشوعي في رجب.

وعبد العزيز بن محمد بن الحسن بن عبد الله ويعرف بابن الدجاجية.

وعلم الدين علي بن محمود ابن الصابوني الصوفي في شوال وله أربع وثمانون سنة.

وأبو الكرم محمد بن عبد الواحد بن أحمد المتوكلي المعروف بابن شفنين في رجب وله إحدى وتسعون سنة.

والمستنصر بالله أبو جعفر منصور بن الظاهر وله اثنتان وخمسون سنة توفي في جمادى الآخرة وكانت خلافته ثلاث عشرة سنة.

قلت: لعل الذهبي وهم في مدة خلافته والصحيح أنه ولي سنة ثلاث وعشرين وستمائة وتوفي سنة أربعين.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربع أذرع وأربع عشرة إصبعًا.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا وثلاث أصابع.

السنة الرابعة من سلطنة الملك الصالح نجم الدين أيوب على مصر وهي سنة إحدى وأربعين وستمائة.

فيها ترددت الرسل بين السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب المذكور وبين عمه الملك الصالح إسماعيل صاحب الشام في الصلح وكان الملك المغيث بن الصالح نجم الدين هذا في حبس الصالح إسماعيل صاحب الشام بدمشق فأطلقه الصالح إسماعيل وخطب للصالح هذا ببلاده ثم تغير ذلك كله وقبض الصالح إسماعيل ثانيًا على الملك المغيث بن الصالح نجم الدين وحبسه.

قال أبو المظفر - رحمه الله -: " وفيها قدمت القاهرة وسافرت إلى الإسكندرية في هذه السنة فوجدتها كما قال الله تعالى: ذات قرار ومعين معمورة بالعلماء مغمورة بالأولياء الذين هم في الدنيا شامة: كالشيخ محمد القباري والشاطبي وابن أبي أسامة.

وهي أولى بقول القيسراني رحمه الله في وصف دمشق: أرض تحل الأماني من أماكنها بحيث تجتمع الدنيا وتفترق إذا شدى الطير في أغصانها وقفت على حدائقها الأسماع

والحدق قلت: وأين قول أبي المظفر من قول مجير الدين بن تميم في وصف الإسكندرية: لما قصدت سكندرية زائرًا ملأت فؤادي بهجة وسرورا ما زرت فيها جانبًا إلا رأت عيناي فيها جنة وحريرا وفيها صالح صاحب الروم التتار على أن يدفع إليهم في كل يوم ألف دينار وفرسًا ومملوكًا وجارية وكلب صيد وكان صاحب الروم يومئذ ابن علاء الدين كيقباذ وهو شاب لغاب ظالم قليل العقل يلعب بالكلاب والسباع ويسلطها على الناس فعضه بعد ذلك سبع فمات فأقام وفيها توفي الشيخ نجم الدين خليل بن علي بن الحسين الحموي الحنفي الفقيه.

قدم دمشق وتفقه بها وخدم المعظم ودرس في الريحانية بدمشق وناب في القضاء بها عن الرفيع.

ومات في شهر ربيع الأول ودفن بقاسيون.

وفيها توفي مظفر الدين الملك الجواد يونس بن مودود بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب.

وقد تقدم من ذكره نبذة كبيرة عند وفاة الملك الكامل محمد بدمشق.

انتهى.

وكان مظفر الدين هذا قد جاء إلى ابن عمه الملك المعظم لما وقع بينه وبين الملك الكامل صاحب مصر ما وقع فأحسن إليه المعظم ثم عاد إلى مصر لما مات الملك الأشرف موسى شاه أرمن فأقام بها عند الكامل إلى أن عاد صحبته إلى دمشق وأقام بها إلى أن مات الكامل فملكوه دمشق حسب ما حكيناه في ترجمة الكامل والعادل ابنه ووقع له بعد ذلك أمور.

وكان جوادًا كما اسمه ويحب الصالحين والفقراء.

قال أبو المظفر: " إلا أنه كان حوله من ينهب الناس ويظلم وينسب ذلك إليه "!.

قلت: ثم قبض عليه عمه الملك الصالح إسماعيل واعتقله فطلبه الفرنج لصحبة كانت بينهم فخنقه ابن يغمور وقال: إنه مات وكان ذلك في شوال ودفن بقاسيون دمشق في تربة المعظم.

وأما ابن يغمور فإنه حبس بإذن الصالح بقلعة دمشق ثم شنقه الملك الصالح أيوب لما ملك دمشق.

بعث به ابن شيخ وفيها توفي الشيخ الصالح الزاهد أبو بكر الشعيبي كان من أهل ميافارقين وكان من الأبدال بعث إليه غازي صاحب ميافارقين مرارًا يسأله الإذن في الزيارة فلم يأذن له فقيل له: هل يطرق البلاد التتار.

فرفع رأسه إلى السماء وأنشد: وما كل أسرار القلوب مباحة ولا كل ما حل الفؤاد يقال ثم خرج إلى الشعيبة وهي قرية هناك وقال: احذروا لي هاهنا فبعد يومين أموت فمات بعد يومين - رحمه الله تعالى -.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي أبو تمام علي ابن أبي الفخار هبة الله بن محمد الهاشمي خطيب جامع ابن المطلب ببغداد وله تسعون سنة.

وأبو الوفاء عبد الملك بن عبد الحق بن عبد الوهاب بن عبد الواحد بن الحنبلي.

وأم الفضل كريمة بنت عبد الوهاب القرشية في جمادى الآخرة.

والعدل أبو المكارم عبد الواحد بن عبد الرحمن بن عبد الواحد بن محمد بن هلال في رجب.

وأبو طالب عبد اللطيف بن محمد بن علي بن القبيطي التاجر وله ست وثمانون سنة.

وأبو محمد عبد الحق بن خلف الحنبلي.

وأبو الرضا علي بن زيد التسارسي الخياط بالثغر.

والأعز بن كرم بن محمد الإسكاف.

والقاضي شمس الدين عمر بن أسعد بن المنجا الحنبلي وله أربع وثمانون سنة.

والحافظ تقي الدين إبراهيم بن محمد بن الأزهر بدمشق وله ستون سنة.

وقيصر بن فيروز المقرئ البواب في رجب.

وقاضي القضاة الرفيع الحنبلي في آخر السنة.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ثلاث أذرع وقيل أكثر.

مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعًا وثماني أصابع.

السنة الخامسة من سلطنة الملك الصالح نجم الدين أيوب على مصر وهي سنة اثنتين وأربعين وستمائة.

فيها توفي شهاب الدين أحمد بن محمد بن الناقد وزير الخليفة.

كان أبوه وكيل أم الخليفة الناصر لدين الله ونشأ ابنه هذا وتنقل في الخدم حتى ولي الوزارة للخليفة المستنصر ولقب مؤيد الدين وحسنت سيرته.

وكان رجلًا صالحًا فاضلًا عفيفًا دينًا صار في وزارته أحسن سيرة - رحمه الله تعالى -.

وفيها توفي شيخ الشيوخ تاج الدين أبو محمد عبد الله بن عمر بن علي بن محمد بن حمويه.

كان فاضلًا نزها شريف النفس عالي الهمة صنف التاريخ وغيره وكان معدودًا من العلماء وفيها قتل القاضي الرفيع عبد العزيز بن عبد الواحد بن إسماعيل أبو حامد الملقب بالرفيع.

قال أبو المظفر في تاريخه: قيل إنه كان فاسد العقيدة دهريًا مستهترًا بأمور الشريعة يخرج إلى الجمعة سكران وكذلك كان يجلس في مجلس الحكم وكانت داره مثل الحانات قبض عليه أمين الدولة وبعث به في الليل إلى بعلبك وصودر هناك وباع أملاكه وبعد ذلك جاءه داود النصراني فقال: قد أمرنا بحملك إلى بعلبك فأيقن بالهلاك فقال: دعوني أصلي

ركعتين! فقال له داود: صل فقام يصلي فأطال فرفسه داود من رأس شقيف مطل على نهر إبراهيم فوقع فما وصل إلى الماء إلا وقد تقطع - وقيل: إنه تعلق بذيله بسن الجبل فما زال داود يضربه بالحجارة حتى قتله - قلت: لا شلت يداه! فإنه كان من مساوئ الدنيا!.

وفيها توفي الملك المغيث عمر بن السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب صاحب الترجمة مات في حياة والده الملك الصالح في حبس دمشق - بعد أن عجز والده في خلاصه - في يوم الجمعة ثاني عشرين شهر ربيع الآخر وحمل إلى تربة جده الملك الكامل محمد فدفن بها وكان شابًا حسنًا عاقلًا دينًا.

وقد مر من ذكره نبذة كبيرة في عدة مواضع من هذا الكتاب.

وفيها توفي شمس الأئمة محمد بن عبد الستار بن محمد الإمام العلامة فريد دهره ووحيد عصره المعروف بشمس الأئمة الكردري البراتقيني الحنفي.

وبراتقين: قصبة من قصبات كردر من أعمال جرجانية.

قال الذهبي: كان أستاذ الأئمة على الإطلاق والموفود إليه من الآفاق برع في علوم وأقرأ في فنون وانتهت إليه رياسة الحنفية في زمانه.

انتهى قلت: وشمس الأئمة أحد العلماء الأعلام وأحد من سار ذكره شرقًا وغربًا وانتشرت تصانيفه في الدنيا - رحمه الله تعالى -.

الذين ذبهر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي شيخ الشيوخ تاج الدين عبد الله بن عمر بن علي الجويني في صفر وله سبعون سنة.

وأبو المنصور ظافر بن طاهر بن ظافر بن إسماعيل بن سحم الأزدي المطرز بالإسكندرية في شهر ربيع الأول.

وأبو الفضل يوسف بن عبد المعطي بن منصور بن نجا العسالي.

ابن المخيلي أحد رؤوس الثغر في جمادى الآخرة وله أربع وسبعون سنة.

وأبو الضوء قمر بن هلال بن نطاح القطيعي في رجب.

وتاج الدين أحمد بن محمد بن هبة الله بن محمد بن الشيرازي في رمضان وقد نيف على السبعين.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربع أذرع سواء.

مبلغ الزيادة خمس عشرة ذراعًا سواء.

السنة السادسة من سلطنة الملك الصالح وهي سنة ثلاث وأربعين وستمائة.

فيها كان الحصار على دمشق من الخوارزمية.

وفيها كان الغلاء العظيم بدمشق وبلغت الغرارة القمح ألفًا وستمائة درهم وأبيعت الأملاك والأمتعة بالهوان.

وفيها أيضًا كان الغلاء بمصر وقاسى أهلها شدائد.

وفيها توفي الوزير معين الدين الحسن ابن شيخ الشيوخ أبو علي وزير الملك الصالح أيوب وهو الذي حصر دمشق فيما مضى.

كان استوزره الملك الصالح بعد أخيه عماد الدين وكانت وفاته بدمشق في شهر رمضان ودفن إلى جانب أخيه عماد الدين المذكور بقاسيون.

وفيها توفي عبد المحسن بن حمود بن عبد المحسن أبو الفضل أمين الدين الحلبي كان كاتبًا لعز الدين أيبك المعظمي وكان فاضلًا دينًا بارعًا حسن الخط.

ومن شعره في إجازة - رحمه الله تعالى -: قد أجزت الذي فيها إلى ما التمسوه مني فلهم بعدها رواية ما صح لديهم من الرواية عني وكانت وفاته في شهر رجب ودفن بباب توما.

وفيها توفيت ربيعة خاتون بنت أيوب أخت السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وأخت الملك العادل أبي بكر بن أيوب كان تزوجها أولًا سعد الدين مسعود بن معين الدين أنر وبعد موته تزوجها صلاح الدين بن مظفر الدين بن زين الدين صاحب إربل ثم قدمت دمشق وهي صاحبة الأوقاف وماتت بدمشق ودفنت بقاسيون وقد جاوزت ثمانين سنة.

وفيها توفي أحمد بن عيسى ابن العلامة موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الإمام الحافظ الزاهد سيف الدين بن المجد الحنبلي.

ولد سنة خمس وستمائة.

وسمع الحديث الكثير وكتب وصنف وجمع وخرج وكان ثقة حجة بصيرًا بالحديث ورجاله ومات في أول شعبان.

وفيها توفي عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان بن موسى أبي نصر الإمام المفتي تقي الدين أبو عمرو ابن الإمام البارع صلاح الدين النصري الكردي الشهرزوري الشافعي المعروف بابن الصلاح.

ولد سنة سبع وسبعين وخمسمائة وتفقه على والده الصلاح بشهرزور وغيره وبرع في الفقه والحديث والعربية وشارك في فنون.

ومات في شهر ربيع الآخر ودفن بمقابر الصوفية.

وفيها توفي علي بن محمد بن عبد الصمد العلامة شيخ القراء بدمشق علم الدين أبو الحسن الهمذاني السخاوي المصري.

ولد سنة ثالث أو تسع وخمسين وخمسمائة وكان إمامًا علامة مقرئًا محققًا مجودًا بصيرًا بالقراءات ماهرًا في النحو واللغة إمامًا في التفسير مات بدمشق في وفيها توفي محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن بن إسماعيل الحافظ ضياء الدين أبو عبد الله المقدسي السعدي ثم الدمشقي الصالحي صاحب التصانيف المشهورة.

ولد سنة تسع وستين وخمسمائة وسمع الكثير ورحل البلاد وكتب وصنف وحصل شيئًا كثيرًا من الأجزاء والأسانيد.

ومات يوم الاثنين الثامن والعشرين من جمادى الآخرة وله أربع وسبعون سنة.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي الحافظ أبو القاسم عبد الرحمن بن مقرب التجيبي الإسكندري في صفر.

والحافظ أبو العباس أحمد بن محمود بن إبراهيم بن نبهان بن الجوهري بدمشق في صفر.

والحافظ العلامة تقي الدين عثمان بن الصلاح عبد الرحمن بن عثمان الكردي في شهر ربيع الآخر وله ست وستون سنة.

والحافظ سيف الدين أحمد بن المجد عيسى بن الموفق في شعبان.

والحافظ ضياء الدين محمد بن عبد الواحد المقدسي في جمادى الآخرة وله أربع وسبعون سنة.

والحافظ الفقيه تقي الدين أحمد بن المعز محمد بن عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي في شهر ربيع الآخر وله اثنتان وخمسون سنة.

والحافظ المفيد تاج الدين محمد بن أبي جعفر أحمد بن علي القرطبي إمام الكلاسة في جمادى الأولى.

والرئيس عز الدين ابن النسابة محمد بن أحمد بن محمد بن الحسن بن عساكر في رجب وله ثمان وسبعون سنة.

والعلامة موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوي بحلب في جمادى الأولى وله تسعون سنة.

والعلامة علم الدين علي بن محمد بن عبد الصمد الهمذاني السخاوي المقرئ المفسر وله خمس وثمانون سنة في جمادى الآخرة.

وأبو غالب منصور بن أحمد بن أبي غالب محمد بن محمد المراتبي ابن المعوج فيه وله ثمان وثمانون سنة.

وخطيب الجبل شرف الدين عبد الله ابن الشيخ أبي عمر محمد المقدسي فيه أيضًا.

والحافظ مجد الدين محمد بن محمود بن حسن بن هبة الله بن محاسن بن النجار محدث العراق في شعبان وله خمس وتسعون سنة.

والصاحب معين الدين حسن ابن شيخ الشيوخ صدر الدين محمد بن عمر الجويني بدمشق في رمضان.

والشيخ أبو الحسن علي بن الحسين بن المقير النجار بمصر في ذي القعدة وله ثمان وتسعون سنة.

وأبو بكر محمد بن سعد بن الموفق الصوفي بن الخازن ببغداد في ذي الحجة وله سبع وثمانون سنة.

والأمير سيف الدين علي بن قليج ودفن بتربته داخل دمشق.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربع أذرع وعشرون إصبعًا.

مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعًا وأربع عشرة إصبعًا.

السنة السابعة من سلطنة الملك الصالح نجم الدين أيوب على مصر فيها توفي الملك المنصور صاحب حمص واسمه إبراهيم بن شيركوه بن محمد بن أسد الدين شيركوه الكبير أخو أيوب.

كان المنصور هذا شجاعًا متواضعًا موافقًا للملك الصالح إسماعيل ومصاهرًا له.

ومات بدمشق في يوم الأربعاء حادي عشر صفر وحمل في تابوت إلى حمص ومات وله عشرون سنة.

وقام بعده على حمص ولده الأشرف موسى فأقام بها سنتين وشهورًا وأخذت منه.

وفيها تسلم السلطان الملك الصالح أيوب قلعة الصبيبة من ابن عمه الملك السعيد ابن الملك العزيز ثم أخذ السلطان أيضًا حصن الصلت من الملك الناصر داود صاحب الكرك.

وفيها قدم رسولان من التتار إلى بغداد أحدهما من بركة خان والآخر من باجو فاجتمعا بالوزير مؤيد الدين ابن العلقمي فتغمت على الناس بواطن الأمور.

وفيها أخذت الفرنج مدينة شاطبة من بلاد المغرب صلحًا ثم أجلوا أهلها بعد سنة عنها.

فما شاء الله كان.

وفيها توفي بركة خان الخوارزمي أحد الخانات الأربعة كان أصلحهم في الميل إلى الخير وكان الملك الصالح نجم الدين - صاحب الترجمة - قد صاهره وأحسن إليه وجرى منه عليه ما جرى في حياة والده الملك الكامل.

ولما قتل انحل نظام الخوارزمية من بعده وكان قتله بالقرب من حلب في قتال كان بينه وبين صاحب حلب وحمص.

وقد تقدم ذكر ذلك كله في أول ترجمة الصالح هذا.

قال الأمير شمس الدين لؤلؤ: لما التقينا على حمص رأيت الخوارزمية خلقًا عظيمًا وكنا بالنسبة إليهم كالشامة السوداء في الثور الأبيض فقال لي غلماني يعني مماليكه: أيما أحب إليك نأخذ بركة خان أسيرًا أو نحمل رأسه إليك.

فقلت: رأسه كأن الله أنطقني والتقينا.

فلما كان بعد ساعة وإذا بواحد من أصحابنا يحمل رأسًا مليح الصورة وليس في وجهه سوى شعرات يسيرة ولم يعرفه أحد ولا نحن عرفناه وانهزموا وجيء بطائفة منهم أساري فلما رأوا الرأس رموا نفوسهم من خيولهم وحثوا التراب على رؤوسهم فعلمنا حينئذ أنه رأسه وبعثنا به إلى حلب.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي أبو عبد الله محمد بن حسان بن رافع العامري خطيب الموصل.

وعبد المنعم بن محمد بن محمد بن أبي الضياء الدمشقي بحماة.

والزاهد إسماعيل بن علي الكوراني ودفن بمقابر الصوفية.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ست أذرع سواء.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا وتسع أصابع.

نجم الدين أيوب على مصر وهي سنة خمس وأربعين وستمائة.

فيها نزل الوزير فخر الدين ابن الشيخ بعسكر الصالح نجم الدين المذكور على طبرية ففتحها عنوة وحاصر عسقلان وقاتل عليها قتالًا عظيمًا وأخذها المسلمون.

وفيها وجه الملك الصالح نجم الدين تاج الدين بن مهاجر من مصر إلى دمشق ومعه المبارز نسيبه ومعهما تذكرة فيها أسماء جماعة من أعيان الدماشقة بأن يحملوا إلى مصر فحملوا وهم: محيي الدين بن الزكي وابن الحصيري وابن العماد الكاتب وبنو صصرى الأربعة وشرف الدين بن المعتمد وابن الخطيب العقرباني والتاج الإسكندراني الملقب بالشحرور وأبو الشامات والحكيمي مملوك إسماعيل وغازي والي بصرى وابن الهاب المحتسب وأخرج العماد ابن خطيب بيت الأبار من جامع دمشق وولى العماد الحرستاني الخطابة عوضه.

وسبب حمل هؤلاء الجماعة إلى مصر أنه نقل إلى الملك الصالح أيوب أنهم خواص الصالح إسماعيل فخاف أن يجري ما جرى في النوبة الأولى من أخذ دمشق.

ولما وصلوا إلى مصر حبس منهم السلطان الملك الصالح جماعة فأقاموا في الحبس إلى أن مات الملك الصالح فأخرجوا وعادوا إلى دمشق.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي العلامة أبو علي عمر بن محمد الأزدي الإشبيلي النحوي الشلوبيني في صفر وله ثلاث وثمانون سنة.

وأبو مدين شعيب بن يحيى الإسكندراني الزعفراني التاجر بمكة - شرفها الله تعالى - والشيخ علي بن الحسن بن المنصور الحريري في رمضان عن سن عالية.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ست أذرع سواء.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا وتسع عشرة إصبعًا.

السنة التاسعة من سلطنة الملك الصالح نجم الدين أيوب على مصر

وهي سنة ست وأربعين وستمائة.

فيها قايض الملك الأشرف موسى صاحب حمص تل باشر بحمص مع الملك الناصر يوسف ابن العزيز بن الظاهر بن صلاح الدين صاحب حلب ولذلك خرج الملك الصالح نجم الدين أيوب هذا من مصر بالعساكر حسب ما ذكرناه في ترجمته ثم عاد مريضًا لما بلغه مجيء الفرنج إلى دمياط.

وفيها أخذ الملك الصالح نجم الدين المذكور من الأمير علاء الدين ايدكين البندقداري الذي وفيها زار الملك الصالح في عوده إلى مصر القدس الشريف وأمر أن يذرع سوره فجاء ستة آلاف ذراع فأمر بأن يصرف مغل القدس في عمارته.

وتصدق السلطان الملك الصالح بألفي دينار في الحرم وزار الخليل - عليه السلام - ثم عاد إلى مصر.

وفيها توفي علي بن أبي الجن بن منصور الشيخ أبو الجن.

وأبو محمد الحريري مقدم الطائفة الفقراء الحريرية ولد بقرية بسر وقدم دمشق صبيًا فنشأ بها.

وفي أحوال الحريري هذا أقوال كثيرة أثنى عليه أبو شامة وغيره وتكلم فيه جماعة منهم الذهبي وغيره.

والله أعلم بحاله.

وقال ابن إسرائيل: وتوفي في الساعة التاسعة من يوم الجمعة السادس والعشرين من رمضان سنة خمس وأربعين من غير مرض وكان أخبر بذلك قبل موته بمدة.

وفيها توفى عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس الشيخ الإمام العالم العلامة جمال الدين أبو عمرو المعروف بابن الحاجب الكردي المالكي النحوي الأصولي صاحب التصانيف في النحو وغيره.

مولده في سنة سبعين وخمسمائة بإسناد من بلاد الصعيد ومات في شوال وفي شهرته ما يغني عن الإطناب في ذكره - رحمه الله تعالى -.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي أبو على منصور ابن سند بن منصور المعروف بابن الدباغ بالإسكندرية في شهر ربيع الأول.

وأبو القاسم عبد الله بن الحسين بن عبد الله بن الحسين بن عبد الله بن رواحة الأنصاري في جمادى الآخرة.

وله ست وثمانون سنة.

وأم حمزة صفية بنت عبد الوهاب بن علي القرشية أخت كريمة في رجب.

والعلامة أبو الحسن علي بن جابر بن الدباح الإشبيلي بها عند استيلاء الفرنج عليها.

والوزير الأكرم علي بن يوسف جمال الدين القفطي بحلب.

والعلامة جمال الدين أبو عمرو عثمان بن الجاجب.

وعمرو بن عبد الله بن أبي بكر الإشبيلي في شوال بالإسكندرية وله ست وسبعون سنة.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمس أذرع وأربع وعشرون إصبعًا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا وثلاث وعشرون إصبعًا.

السنة العاشرة من سلطنة الملك الصالح نجم الدين أيوب على مصر وهي سنة سبع وأربعين وستمائة.

وفيها كانت وفاته في شعبان حسب ما تقدم ذكره.

فيها في أولها كان عود السلطان الملك الصالح المذكور من دمشق - حسب ما ذكرناه في العام الماضي - قال الذهبي: وفيها في أولها عاد الملك الصالح إلى الديار المصرية مريضًا في محفة وكان قد قتل أخاه الملك العادل قبل خروجه من مصر فما هنأه الله.

واستعمل على نيابة دمشق الأمير جمال الدين بن يغمور.

قال: وفيها ولدت امرأة ببغداد ابنين وبنتين في جوف وشاع ذلك فطلبوا إلى دار الخلافة وأحضروا وقد مات واحد فاحضر ميتًا فتعجبوا وأعطيت الأم من الثياب والحلي ما يبلغ ألف دينار.

وفيها توجه الملك الناصر داود صاحب الكرك إلى الملك الناصر يوسف صاحب حلب وبلغ السلطان الملك الصالح نجم الدين ذلك فأرسل إلى نائبه ابن يغمور بدمشق بخراب دار أسامة وقطع شجر بستان القصر الذي للناصر داود بالقابون وخراب القصر ففعل ذلك.

وفيها سار الملك الظاهر شادي والملك الأمجد ابنا الملك الناصر داود المقدم ذكره من الكرك إلى مصر وسلما الكرك إلى السلطان الملك الصالح نجم الدين بغير رضا أبيهما الناصر فأعطى الملك الصالح للظاهر بن الناصر داود عوضًا عن الكرك خبز مائتي فارس بمصر وخمسين ألف دينار وثلاثمائة قطعة قماش والذخائر التي بالكرك وأعطى لأخيه الأمجد إخميم وخبز مائة وخمسين فارسًا بمصر فلم تطل مدتهم بمصر ومات الملك الصالح وزال ذلك كله من أيديهم حسب ما تقدم ذكره وحسب ما يأتي ذكره أيضًا.

وفيها توفي الصاحب فخر الدين يوسف بن صدر الدين شيخ الشيوخ أبي الحسن محمد بن عمر بن علي بن محمد بن حمويه الجويني.

كان عاقلًا جوادًا ممدحًا مدبرًا خليقًا بالملك محبوبًا إلى الناس.

ولما مات الملك الصالح نجم الدين أيوب على دمياط ندب إلى الملك فامتنع ولو أجاب لما خالفوه واستشهد على دمياط بعد أخذها.

ومن شعره قوله: عصيت هوى نفسي صغيرًا فعندما رمتني الليالي بالمشيب وبالكبر أطعت الهوى عكس القضية ليتني خلقت كبيرًا وانتقلت إلى الصغر قلت: ويذكر هذا الشعر أيضًا لغيره فيما يأتي - إن شاء الله تعالى -.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي أبو يعقوب يوسف بن محمود بن الحسين الساوي في رجب بالقاهرة وولد بدمشق في سنة ثمان وستين.

والسلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل بن العادل بالمنصورة في شعبان وله أربع وأربعون سنة.

والأمير مقدم الجيوش فخر الدين يوسف ابن شيخ الشيوخ صدر الدين الجوييي في ذي القعدة شهيدًا يوم وقعة المنصورة.

وأبو جعفر محمد بن عبد الكريم بن محمد ببغداد.

وصفي الدين عمر بن عبد الوهاب بن البرادعي في شهر ربيع الآخر.

أمر النيل في هذه السنة: سلطنة الملك المعظم توران شاه على مصر هو السلطان الملك المعظم توران شاه ابن السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن السلطان الملك الكامل ناصر الدين محمد ابن الملك العادل سيف الدين محمد أبي بكر ابن نجم الدين أيوب بن شادي سلطان الديار المصرية الأيوبي الكردي آخر ملوك بني أيوب بمصر ولا عبرة بولاية الأشرف في سلطنة الملك المعز أيبك.

تسلطن الملك المعظم هذا بعد موت أبيه الملك الصالح بنحو شهرين ونصف وقيل: أربعة أشهر ونصف وهو الأصح لأن الملك الصالح أيوب كانت وفاته في ليلة النصف من شعبان سنة سبع وأربعين بالمنصورة والفرنج محدقة بعساكر الإسلام فأخذت زوجته أم ولده خليل شجرة الدر موته مخافة على المسلمين وبايعوا لابنه المعظم هذا بالسلطنة في غيبته وصارت شجرة الدر تدبر الأمور وتخفي موت السلطان الملك الصالح إلى أن حضر المعظم توران شاه هذا من حصن كيفا إلى المنصورة في أول المحرم من سنة ثمان وأربعين وستمائة.

وكان المعظم هذا نائبًا لأبيه الملك الصالح على حصن كيفا وغيرها من ديار بكر.

ولما وصل المعظم إلى المنصورة فتح الله على يديه ونصر الله الإسلام في يوم دخوله فتيمن الناس بطلعته.

وسبب النصر أنه لما استهلت سنة ثمان وأربعين والفرنج على المنصورة والجيوش الإسلامية بإزائهم وقد طال القتال بين الفريقين أشهرًا ضعف حال الفرنج لانقطاع الميرة عنهم ووقع في خيلهم وباء وموت وعزم ملكهم الفرنسيس على أن يركب في أول الليل ويسير إلى دمياط فعلم المسلمون بذلك.

وكان الفرنج قد عملوا جسرًا عظيمًا من الصنوبر على النيل فسهوا عن قطعه فعبر منه المسلمون في الليل إلى برهم وخيامهم على حالها وثقلهم وأحدق المسلمون بهم يتخطفونهم طول الليل قتلًا وأسرًا فالتجؤوا إلى قرية تسمى منية أبي عبد الله وتحصنوا بها ودار المسلمون حولها وظفر أسطول المسلمين بأسطولهم فغنموا جميع المراكب بمن فيها.

واجتمع إلى الفرنسيس خمسمائة فارس من أبطال الفرنج وقعد في حوش منية أبي عبد الله وطلب الطواشي رشيد الدين والأمير سيف الدين القيمري فحضرا إليه فطلب منهما الأمان على نفسه ومن معه فأجاباه وأفناه وهرب باقي الفرنج على حمية وأحدق المسلمون بهم وبقوا يحملون عليهم حملة بعد حملة حتى أبيدت الفرنج ولم يبق منهم سوى فارسين فرموا نفوسهم بخيولهم إلى البحر فغرقوا وغنم المسلمون منهم ما لا يوصف واستغنى خلق وأنزل الفرنسيس في حراقة وأحدقت به مراكب المسلمين تضرب فيها الكوسات والطبول.

وفي البر الشرقي العسكر سائر منصور مؤيد والبر الغربي فيه العربان والعامة في لهو وتهان وسرور بهذا وقال سعد الدين بن حمويه في تاريخه: لو أراد الفرنسيس أن ينجو بنفسه لخلص على خيل سبقٍ أو في حراقة لكنه أقام في الساقة يحمي أصحابه.

وكان في الأسر ملوك وكنود من الفرنج.

وأحصي عدة الأسرى فكانوا نيفًا وعشرين ألف آدمي والذي غرق وقتل سبعة آلاف نفس.

قال: فرأيت القتلى وقد ستروا وجه الأرض من كثرتهم وكان الفارس العظيم يأتيه وسائق يسوقه وراءه كأذل ما يكون وكان يومًا لم يشاهد المسلمون مثله ولم يقتل في ذلك اليوم من المسلمين مائة نفس ونفذ السلطان الملك المعظم توران شاه للفرنسيس والملوك الذين معه والكنود خلعًا.

وكانوا نيفًا وخمسين فلبس الكل سواه.

وقال إن بلادي بقدر بلاد صاحب مصر كيف ألبس خلعته! وعمل السلطان من الغد دعوة عظيمة فامتنع الملعون أيضًا من حضورها وقال: أنا ما آكل طعامه وما يحضرني إلا ليهزأ بي عسكره ولا سبيل إلى هذا! وكان عنده عقل وثبات ودين فالنصارى كانوا يعتقدون فيه بسبب ذلك.

وكان حسن الخلقة.

وأبقى الملك المعظم الأسرى وأخذ أصحاب الصنائع ثم أمر بضرب رقاب الجميع.

انتهى.

وقال غيره: وحبسوا الفرنسيس بالمنصورة بدار ابن لقمان يحفظه الطواشى صبيح مكرمًا غاية الكرامة.

وقال آخر: بمصر بدار ابن لقمان وهو الأصح وزاد بعضهم فقال: دار ابن لقمان هي الدار الكبيرة بالقرب من باب الخرق يعني دار ابن قطينة انتهى.

وقال أبو المظفر في تاريخه مرآة الزمان: " وفي أول ليلة منها يعني سنة ثمانٍ وأربعين كان المصاف بين الفرنج والمسلمين على المنصورة بعد وصول المعظم توران شاه إلى المخيم ومسك الفرنسيس وقتل من الفرنج مائة ألف ووصل كتاب المعظم توران شاه إلى جمال الدين بن يغمور يعني إلى نائب الشام يقول: " الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن.

وما النصر إلا من عند الله.

وبومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم.

وأما بنعمة ربك فحدث.

وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها.

نبشر المجلس السامي الجمالي بل نبشر الإسلام كافة بما من الله به على المسلمين من الظفر بعدو الدين فإنه كان قد استفحل أمره واستحكم شره ويئس العباد من البلاد والأهل والأولادة فنودوا: " ولا تيأسوا من روح الله " الآية.

ولما كان يوم الأربعاء مستهل السنة المباركة تمم الله على الإسلام بركتها فتحنا الخزائن وبذلنا الأموال وفرقنا السلاح وجمعنا العربان والمطوعة واجتمع خلق لا يحصيهم إلا الله تعالى فجاؤوا من كل فج عميق ومن كل مكان بعيد سحيق ولما رأى العدو ذلك أرسل يطلب الصلح على ما وقع عليه الاتفاق بينهم وبين الملك العادل أبي بكر فأبينا.

ولما كان في الليل تركوا خيامهم وأثقالهم وأموالهم وقصدوا دمياط هاربين فسرنا في آثارهم طالبين وما زال السيف يعمل فيهم عامة الليل ويدخل فيهم الخزي والويل.

فلما أصبحنا نهار الأربعاء قتلنا منهم ثلاثين ألفًا غير من ألقى نفسه في اللجج.

وأما الأسرى فحدث عن البحر ولا حرج والتجأ الفرنسيس إلى المنية وطلب الأمان فأمناه وأخذناه وأكرمناه وتسلمنا دمياط بعونه وقوته وجلاله وعظمته ".

وأرسل الملك المعظم مع الكتاب إلى ابن يغمور المذكور بغفارة الفرنسيس فلبسها ابن يغمور في دست مملكته بدمشق وكانت سقراط أحمر بفرو سنجاب.

فكتب ابن يغمور في الجواب إلى السلطان الملك المعظم المذكور بيتين لابن إسرائيل وهما: أسيد أملاك الزمان بأسرهم تنجزت من نصر الإله وعوده فلا زال مولانا يبيح حمى العدا ويلبس أسلاب الملوك عبيده انتهى كلام أبي المظفر بعد أن ساق كلامًا طويلًا من هذا النموذج بنحو ما حكيناه.

وقال غيره: وبمي الفرنسيس في الاعتقال إلى أن قتل الملك المعظم توران شاه ابن الملك الصالح نجم الدين أيوب يعني صاحب الترجمة فدخل حسام الدين بن أبي علي نائب السلطان في قضيته على أن يسلم للمسلمين دمياط ويحمل خمسمائة ألف دينار.

فأركبوه بغلة وساقت معه الجيوش إلى دمياط فما وصلوا إلا والمسلمون على أعلاها بالتكبير والتهليل والفرنج الذين كانوا بها قد هربوا إلى المراكب وأخلوها فخاف الفرنسيس واصفر لونه.

فقال الأمير حسام الدين بن أبي علي للملك المعز: هذه دمياط قد حصلت لنا وهذا الرجل في أسرنا وهو عظيم النصرانية وقد اطلع على عوراتنا والمصلحة ألا نطلقه وكان قد تسلطن أيبك التركماني الصالحي أو صار حاكمًا عن المحلكة شجرة الدر فقال أيبك وغيره من المماليك الصالحية: ما نرى الغمر! وكانت المصلحة ما قاله حسام الدين.

فقووا عليه وأطلقوه طمعًا في المال! فركب في البحر الرومي في شيني.

وذكر حسام الدين أنه سأل الفرنسيس عن عدة العسكر الذي كان معه لما قدم لأخذ دمياط فقال: كان معي تسعة آلاف وخمسمائة فارس ومائة ألف وثلاثون ألف طبسي سوى الغلمان والسوقة والبخارة.

انتهى.

قال سعد الدين في تاريخه: اتفقوا على أن يسلم الفرنسيس دمياط وأن يعطي هو والكنود ثمانمائة ألف دينار عوضًا عما كان بدمياط من الحواصل ويطلقوا أسرى المسلمين فحلفوا على هذا وركبت العساكر ثاني صفر إلى دمياط قرب الظهر وساروا حتى دخلوها ونهبوا وقتلوا من بقي من الفرنج حتى ضربتهم الأمراء وأخرجوهم وقوموا الحواصل التي بقيت في دمياط بأربعمائة ألف دينار وأخذوا من الملك الفرنسيس أربعمائة ألف دينار وأطلقوه العصر هو وجماعته فانحدروا في شيني إلى البطس وأنفذ رسولًا إلى الأمراء الصالحية يقول: ما رأيت أقل عقلًا ولا دينًا منكم! أما قلة الدين فقتلتم سلطانكم بغير ذنبٍ يعني لما قتلوا ابن أستاذهم الملك المعظم توران شاه بعد أخذ دمياط بأيام على ما سنذكره هنا إن شاء الله تعالى.

قال: وأما قلة العقل فكذا مثلي ملك البحر وقع في أيديكم بعتموه بأربعمائة ألف دينار ولو طلبتم مملكتي دفعتها لكم حتى أخلص.

ثم لما سار إلى بلاده أخذ في الاستعداد والعود إلى دمياط فأهلكه الله تعالى.

وندمت الأمراء على إطلاقه.

ولما أراد الفرنسيس العود إلى دمياط قال في ذلك الصاحب جمال الدين يحيى بن مطروح قصيدته المشهورة وكتب بها إليه يعني إلى الفرنسيس وهي: قل للفرنسيس إذا جئته مقال صدقٍ من قول فصيح آجرك الله على ما جرى من قتل عباد يسوع المسيح أتيت مصر تبتغي ملكها تحسب أن الزمر يا طبل ريح فساقك الحين إلى أدهم ضاق به عن ناظريك الفسيح وكل أصحابك أودعتهم بحسن تدبيرك بطن الضريح خمسون ألفًا لا ترى منهم إلا قتيلًا أو أسيرًا جريح وفقك الله لأمثالها لعل عيسى منكم يستريح إن كان باباكم بذا راضيًا فرب غش قد أتى من نصيح وقل لهم إن أضمروا عوده لأخذ ثارٍ أو لعقدٍ صحيح قلت: لله دره! فيما أجاب عن المسلمين مع اللطف والبلاغة وحسن التركيب رحمه الله.

وأما أمر الملك المعظم توران شاه صاحب الترجمة قال العلامة شمس الدين يوسف بن قزأوغلي في تاريخه في سبب قتله قال: ذكرنا مجيئه إلى الشام وذهابه إلى مصر واتفق كسرة الفرنج عند قدومه فتيمن الناس بطلعته غير أنه بدت منه أسباب نفرت القلوب عنه فاتفقوا على قتله.

وكان فيه نوع خفة فكان يجلس على السماط فإذا سمع فقيهًا يذكر مسألة وهو بعيد عنه يصيح: لا نسلم!.

ثم احتجب عن الناس أكثر من أبيه وكان إذا سكر يجمع الشموع ويضرب رؤوسها بالسيف فيقطعها ويقول: كذا أفعل بالبحرية! يعني مماليك أبيه الذين كان جعلهم بقلعة البحر بجزيرة الروضة ثم يسمي مماليك أبيه بأسمائهم وأهانهم وقدم الأراذل وأبعد الأماثل.

ووعد الفارس أقطاي أن يؤمره ولم يف له فاستوحش منه.

وكانت أم خليل يعني شجرة الدر زوجة والده الملك الصالح لما وصل إلى القاهرة مضت هي إلى القدس فبعث يهددها ويطلب المال والجواهر منها فخافت منه فكاتبت فيه فاتفق الجميع عند ذلك على قتله.

فلما كان يوم الاثنين سابع عشرين المحرم جلس المعظم على السماط فضربه بعض مماليك أبيه البحرية بالسيف فتلقاه بيده فقطع بعض أصابعه وقام من وقته ودخل البرج الخشب الذي نصب له بفارسكور وصاح: من جرحني.

قالوا: الحشيشية.

فقال: لا والله إلا البحرية والله لا واستدعى المزين فخيط يده وهو يتوعدهم فقال بعضهم لبعض: تمموه وإلا أبادكم! فدخلوا عليه فانهزم إلى أعلى البرج فأوقدوا النيران حول البرج ورموه بالنشاب فرمى بنفسه وهرب نحو البرج وهو يقول: ما أريد ملكًا! دعوني أرجع إلى الحصن يا مسلمون! ما فيكم من يصطنعني ويجيرني! والعساكر واقفة فما أجابه أحد والنشاب تأخذه فتعلق بذيل الفارس أقطاي فما أجاره فقطعوه قطعًا وبقي

على جانب البحر ثلاثة أيام منتفخًا لا يجسر أحد أن يدفنه حتى شفع فيه رسول الخليفة فحمل إلى ذلك الجانب فدفن به.

ولما قتلوه دخلوا على الفرنسيس الخيمة بالسيوف فقالوا نريد المال فقال: نعم فأطلقوه وسار إلى عكا على ما اتفقوا عليه معه.

قال: وكان الذي باشر قتله أربعة وكان أبوه الملك الصالح أيوب قال لمحسن الخادم: اذهب إلى أخي العادل إلى الحبس وخذ معك من المماليك من يخنقه فعرض محسن ذلك على جميع المماليك فامتنعوا إلا هؤلاء الأربعة فإنهم مضوا معه وخنقوه فسلطهم الله على ولده فقتلوه أقبح قتلة ومثلوا به أعظم مثلة لما فعل بأخيه! قال الأمير حسام الدين بن أبي علي: كان توران شاه لا يصلح للملك كنا نقول لأبيه الملك الصالح نجم الدين أيوب: ما تنفذ تحضره إلى هاهنا! فيقول: دعوني من هذا فألححنا عليه يومًا فقال: أجيبه إلى هاهنا أقتله! وقال عماد الدين بن درباس: رأى بعض أصحابنا الملك الصالح أيوب في المنام وهو يقول: # قتلوه شر قتله صار للعالم مثله لم يراعوا فيه إلا لا ولا من كان قبله ستراهم عن قليلٍ لأقل الناس أكله وكانوا قد جمعوا في قتله ثلاثة أشياء: السيف والنار والماء! وتسلطن بعده زوجة والده أم خليل شجرة الدر باتفاق الأمراء وخشداشينها المماليك الصالحية وخطب لها على المنابر بمصر والقاهرة.

وكانت ولاية توران شاه هذا على مصر دون الشهر وقتل في يوم الاثنين سابع عشرين المحرم من سنة ثمان وأربعين وستمائة وكان قدومه من حصن كيفا إلى المنصورة في ليلة مستهل المحرم من السنة المذكورة حسب ما تقدم ذكره.

سلطنة الملكة شجرة الدر على مصر هي الملكة شجرة الدر بنت عبد الله جارية السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب وزوجته وأم ولده خليل وكانت حظية عنده إلى الغاية وكانت في صحبته وهو ببلاد المشرق في حياة أبيه الملك الكامل ثم سارت معه لما حبسه الملك الناصر داود صاحب الكرك بالكرك ومعها ولدها خليل أيضًا وقاست مع الصالح تلك الأهوال والمحن ثم قدمت معه مضر لما تسلطن وعاش ابنها خليل بعد ذلك وتوفي صغيرًا.

ولا زالت في عظمتها من الحشم إليها غالب تدبير الديار المصرية في حياة سيدها الملك الصالح وفي مرضه وبعد موته والأمور تدبرها على أكمل وجه إلى أن قدم ولد زوجها الملك المعظم توران شاه فلم يشكر لها توران شاه ما فعلته من الإخفاء لموت والده وقيامها بالتدبير أتم قيام حتى حضر إلى المنصورة وجلس في دست السلطنة.

ولم تدع أحدًا يطمع في الملك لعظمتها في لنفوس فترك توران شاه ذلك كله وأخذ في تهديدها وطلب الأموال منها بسرعة سلم يحسن ذلك ببال أحد.

واتفقوا على ولايتها لحسن سيرتها وغزير عقلها وجودة تدبيرها وجعلوا المعز أيبك التركماني أتابكا لها وخطب لها على المنابر بمصر والقاهرة لكنها لم تلبس خلعة السلطنة الخليفتي على العادة غير أنهم بايعوها السلطنة في أيام أرسالًا وتم أمرها.

قال الشيخ صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي في تاريخه: " شجرة الدر أم خليل الصالحية وجارية السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب وأم ولده خليل كان الملك الصالح يحبها حبًا عظيمًا ويعتمد عليها في أموره ومهماته وكانت بديعة الجمال ذات رأي وتدبير ودهاء وعقل ونالت من السعادة ما لم ينله أحد في زمانها.

ولما مات الملك الصالح في شعبان سنة سبع وأربعين وستمائة على دمياط في حصار الفرنج أخفت موته وصارت تعلم بخطها مثل علامة الملك الصالح وتقول: السلطان ما هو طيب.

وتمنع الناس من الدخول إليه وكان أرباب الدولة يحترمونها.

ولما علموا بموت السلطان ملكوها عليهم أيامًا.

وتسلطنت بعد قتل السلطان الملك المعظم ابن الملك الصالح نجم الدين أيوب وخطب لها على المنابر وكان الخطباء يقولون على المنبر بعد الدعاء للخليفة: " واحفظ اللهم الجهة الصالحية ملكة المسلمين عصمة الدنيا والدين أم خليل المستعصمية صاحبة السلطان الملك الصالح ".

انتهى كلام الصفدي.

وقال غيره: وكانت تعلم على المناشير وغيرها " والدة خليل " وبقيت على ذلك مدة ثلاثة أشهر إلى أن خلعت نفسها واستقر زوجها الملك المعز أيبك التركماني الصالحي الآتي ذكره إلى أن اتفقت المماليك البحرية وقالوا: لا بد لنا من واحد من بني أيوب يجتمع الكل على طاعته وكان القائم بهذا الأمر الأصر الفارس أقطاي الجمدار وبيبرس البندقداري وبلبان الرشيدي وسنقر الرومي فأقاموا في السلطنة الملك الأشرف الأيوبي.

وقيل: إنه تزوجها أيبك بعد سلطنته وكانت مستولية على أيبك في جميع أحواله ليس له معها كلام.

وكانت تركية ذات شهامة ونفس قوية وسيرة حسنة شديدة الغيرة.

فلما بلغها أن زوجها الملك المعز أيبك يريد أن يتزوج ببنت الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل وقد عزم على ذلك فتخيلت منه أنه ربما عزم على إبعادها أو إعدامها لأنه سئم من حجرها عليه واستطالتها فعاجلته وعزمت على الفتك به وإقامة غيره في الملك.

قال الشيخ قطب الدين: " وطلبت صفي الدين إبراهيم بن مرزوق وكان بمصر فاستشارته ووعدته بالوزارة فأنكر عليها ونهاها عن ذلك فلم تصغ إلى قوله وطلبت مملوكًا للطواشي محسن الجوجري الصالحي وعرضت عليه أمرها ووعدته ومنته إن قتل المعز! ثم استدعت جماعة من الخدام واتفقت معهم.

فلما كان يوم الثلاثاء الثالث والعشرون من شهر ربيع الأول سنة لعب المعز بالكرة ومن معه وصعد إلى القلعة آخر النهار وأتى الحمام ليغتسل فلما قلع ثيابه وثب عليه سنجر الجوجري والخدم فرموه وخنقوه وطلبت شجرة الدر ابن مرزوق على لسان الملك المعز فركب حماره وبادر وطلع القلعة من باب السر فرآها جالسة والمعز بين يديها ميت فأخبرته الأمر فعظم عليه جدًا واستشارته فقال: ما أعرف ما أقول وقد وقعت في أمر عظيم مالك منه مخلص! ثم طلبت الأمير جمال الدين بن أيدغدي العزيزي وعز الدين أيبك الحلبي وعرضت عليهما السلطنة فامتنعا فلما ارتفع النهار شاع الخبر واضطربت الناس ".

انتهى كلام قطب الدين.

وقيل في قتله وجه آخر: وهو أن شجرة الدر لما غارت رتبت للمعز سنجر الجوهري مملوك الفارس أقطاي فدخل عليه الحمام ولكمه ورماه وألزم الخدام معاونته وبقيت هي تضربه بالقبقاب وهو يستغيث ويتضرع إليها إلى أن مات وانطوت الأخبار عن الناس تلك الليلة.

فلما كان سحر يوم الأربعاء الرابع والعشرين من شهر ربيع الأول ركب الأمراء الأكابر إلى القلعة على عادتهم وليس عندهم خبر بما جرى ولم يركب الفائزي في ذلك اليوم وتحيرت شجرة الدر فيما تفعل فأرسلت إلى الملك المنصور نور الدين علي ابن الملك المعز تقول له عن أبيه: إنه ينزل إلى البحر في جمع من الأمراء لإصلاح الشواني التي تجفزت للمضي إلى دمياط ففعل وقصدت بذلك لتقل الناس من على الباب لتتمكن مما تريد فلم يتم مرادها.

ولما تعالى النهار شاع الخبر بقتل الملك المعز واضطربت الناس في البلد واختلفت أقاويلهم ولم يقفوا على حقيقة الأمر وركب العسكر إلى جهة القلعة وأحدقوا بها ودخلها مماليك الملك المعز أيبك والأمير بهاء الدين بغدي الأشرفي مقدم الحلقة وطمع الأمير عز الدين الحلبي في التقدم وساعده على ذلك جماعة من الأمراء الصالحية فلم يتم له ذلك.

ثم استحصر الذين في القلعة الوزير شرف الدين الفائزي واتفقوا على تمليك الملك المنصور نور الدين علي بن الملك المعز أيبك وعمره يومئذ نحو خمس عشرة سنة فرتبوه في الملك ونودي في البلد بشعاره وسكن الناس وتفرقوا إلى دورهم ونزل الأمراء الصالحية إلى دورهم.

فلما كان يوم الخميس خامس عشرين الشهر وقع في البلد خبطة عظيمة وركب العسكر إلى القلعة.

واتفق رأي الذين بالقلعة على نصب الأمير علم الدين سنجر الحلبي في السلطنة وكان أتابك الملك المعز ويعرف بالمشد واستحلفوا العسكر له وحلف له الأمراء الصالحية على كره من أكثرهم وامتنع الأمير عز الدين ثم خاف على نفسه فحلف وانتظمت الأمور ثم انتقض بعد ذلك.

وفى يوم الجمعة سادس عشرين شهر ربيع الأول خطب للملك المنصور بمصر والقاهرة.

وأما شجرة الدر صاحبة الترجمة فإنها امتنعت بدار السلطنة هي والذين قتلوا الملك المعز أيبك وطلب المماليك المعزية هجوم الدار عليهم فحالت الأمراء الصالحية بينهم وبينها حمية لشجرة الدر لأنها خشداشتهم فلما غلبوا مماليك المعز منهم ومنها أمنوها وحلفوا لها أنهم لا يتعرضون لها بسوء.

فلما كان يوم الاثنين التاسع والعشرون منه أخرجت من دار السلطنة إلى البرج الأحمر فحبست به وعندها بعض جواريهًا وقبض على الخدام واقتسمت الأمراء جواريها وكان نصر العزيزي الصالحي وهو أحد الخدام القتلة قد تسرب إلى الشام يوم ظهور الواقعة وأحاطت المماليك المعزية بالدار السلطانية وجميع ما فيها ويوم ظهور الواقعة أحضر الصفي بن مرزوق من الدار وسئل عن حضوره عند شجرة الدر لما طلبته بعد قتل المعز واستشارته فعرفهم صورة الحال فصدقوه وأطلقوه.

وحضر الأمير جمال الدين أيدغدي العزيزي وكان الناس قد قطعوا بموت المعز فعند حضور أيدغدي العزيزي المذكور أمر باعتقاله بالقلعة ثم نقل إلى الإسكندرية فاعتقل بها

ثم صلب الخدام الذين اتفقوا على قتل المعز وهرب سنجر غلام الجوهري ثم ظفر به وصلب إلى جانب أستاذه محسن فمات سنجر من يوم الاثنين المذكور وقت العصر على الخشبة وتأخر موت الباقين إلى تمام يومين.

واستمرت شجرة الدر بالبرج الأحمر بقلعة الجبل والملك المنصور علي ابن الملك المعز أيبك ووالدته يحرضان المعزية على قتلها والمماليك الصالحية تمنعهم عنها لكونها جارية أستاذهم ولا زالوا على ذلك إلى يوم السبت حادي عشر شهر ربيع الآخر حيث وجدت مقتولة مسلوبة خارج القلعة فحملت إلى التربة التي كانت بنتها لنفسها بقرب مشهد السيدة نفيسة - رحمها الله تعالى - فدفنت.

وشجرة الدر أوقاف على التربة المذكورة وغيرها.

وكان الصاحب بهاء الدين.

علي بن محمد بن سليم المعروف بابن حنا وزيرها ووزارته لها أول عرجة ترقاها من المناصب الجليلة.

ولما تيقنت شجرة الدر أنها مقتولة أودعت جملة من المال والجواهر وأعدت أيضًا جملة من الجواهر النفيسة فسحقتها في الهاون لئلا يأخذها الملك المنصور ابن المعز أيبك وأمه فإنها كانت تكره المنصور ووالدته وكانت غير متجملة في أمرها لما تزوجها أيبك حتى منعته الدخول إليهما بالكلية فلهذا كان المنصور وأمه يحرضان المماليك المعزية على قتلها.

وكانت خيرة دينة رئيسة عظيمة في النفوس ولها مآثر وأوقاف على وجوه البر معروفة بها.

والذي وقع لها من تملكها الديار المصرية لم يقع ذلك لامرأة قبلها ولا بعدها في الإسلام.

انتهى الجزء السادس من النجوم الزاهرة ويليه الجزء السابع وأوله: ذكر سلطنة المعز أيبك التركماني على مصر.

سلطنة المعز أيبك التركماني

هو السلطان الملك المعز عز الدين أيبك بن عبد الله الصالحي النجمي المعروف بالتركماني أول ملوك الترك بالديار المصرية.

وقد ذكرهم بعض الناس في أبيات مواليا إلى يومنا هذا وهم الملوك الذين مسهم الرق غير أولادهم فقال: أيبك قطز يعقبو بيبرس ياذا الدين بعدو قلاوون بعدو كتبغا لاجين بيبرس برقوق بعدو شيخ ذو التبيين ططر برسباي جقمق صاحب التمكين قلت: هذا قبل أن يتسلطن الملك الأشرف إينال العلائي فلما ملك إينال قلت أنا: أيبك قطز يعقبو بيبرس ذو الإكمال بعدو قلاوون بعدو كتبغا المفضال وقد خرجنا عن المقصود.

ولنعد إلى ذكر الملك المعز أيبك المذكور فنقول: أصله من مماليك السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب اشتراه في حياة والده الملك الكامل محمد وتنقلت به الأحوال عنده ولازم أستاذه الملك الصالح في الشرق حتى جعله جاشنكيره ولهذا لما أمره كان عمل رنكه صورة خوانجا.

واستمر على ذلك إلى أن قتل المعظم توران شاه وملكت شجرة الدر بعده.

اتفق الأمراء على سلطنة الملك المعز أيبك هذا وسلطنوه بعد أن بقيت الديار المصرية بلا سلطان مدة وتشوف إلى السلطنة عدة أمراء فخيف من شرهم ومال الناس إلى أيبك المذكور وهو من أوسط الأمراء ولم يكن من أعيانهم غير أنه كان معروفا بالسداد وملازمة الصلاة ولا يشرب الخمر وعنده كرم وسعة صدر ولين جانب.

وقالوا أيضا: هذا متى أردنا صرفه أمكننا ذلك لعدم شوكته وكونه من أوسط الأمراء.

فبايعوه وسلطنوه وأجلسوه في دست الملك في أواخر شهر ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين وستمائة.

وحملت الغاشية بين يديه وركب بشعائر السلطنة.

وأول من حمل الغاشية بين يديه الأمير حسام الدين بن أبي علي ثم تداولها أكابر الأمراء واحدا بعد واحد.

وتم أمره في السلطنة وخطب له على المنابر ونودي في القاهرة ومصر بسلطنته إلى أن كان الخامس من جمادى الأولى بعد سلطنته بخمسة أيام ثارت المماليك البحرية الصالحية وقالوا: لا بد لنا من سلطان يكون من بني أيوب يجتمع الكل على طاعته وكان الذي قام بهذا الأمر الأمير فارس الدين أقطاي الجمدار والأمير ركن الدين بيبرس البندقداري والأمير سيف الدين بلبان الرشيدي والأمير شمس الدين سنقر الرومي واتفقوا على أن يكون الملك المعز أيبك هذا أتابكًا عليهم واختاروا أن يقيموا صبيا عليهم من بني أيوب يكون له اسم السلطنة وهم يدبرونه كيفما شاؤوا ويأكلون الدنيا به.

كل ذلك والملك المعز سامع مطيع.

فوقع الاتفاق على الملك الأشرف مظفر الدين موسى ابن الملك الناصر يوسف ابن الملك المسعود أقسيس ابن السلطان الملك الكامل محمد ابن السلطان الملك العادل أبي بكر ابن الأمير ووصلتْ طائفةٌ منهم من البَحْريّة على وجوههم إلى الصعيد وكانوا قد أساؤوا إلى المصريين ونهبوهم وآرتكبوا معهم كلّ قبيح فخافوا منهم فتوجهوا إلى الصعيد.

وخُطِب في ذلك النهار بالقاهرة ومصر والقلعة للملك الناصر صلاح الدين يوسف المذكور وفي جميع البلاد.

وأيقن كل أحد بزوال دولة الملك المُعِز أَيْبَك.

وبات في تلك الليلة جمالُ الدين بن يَغمور بالعباسة وأَحْمَى الحَمام للملك الناصر صلاح الدين يوسف وهيّأ له الاقامة.

كل ذلك والملك الناصر ما عنده! خبرٌ بماوقع من القتال والكَسْرة وهو واقف بسَنَاجقه وأصحابِه ينتظِر ما يرد عليه من أمر جيشه.

وأما أمر المصريين فإنّه لما وقعت الهزيمةُ عليهم ساق الملكُ المعز أيبك وأَقْطَاي الجَمَدَار المعروف ب إ أقطيا أ في ثلاثمائة فارس طالبين الشامَ هاربين فعثَروا في طريقهم بشمس الدين لؤلؤ المقدَم ذكرُه والضياءِ القَيْمُري فساق شمس الدين لؤلؤ عليهم فحملوا عليه فكسروه وأَسَروه وقتلوا ضياءَالدين القَيْمُرِي وجيء بشمس الدين

لؤلؤ إلى بين يدي الملك المُعِزّ أَيْبَك فقال الأمير حُسَام الدين بن أبي عليّ: لا تقتلوه لنأخذ به الشام فقال أَقْطَاي الجَمَدَار: هذا الذي ياخذ مصر منا بمائتي قِناع! وجعَلَنا مَخاَنيثَ كيف نتركه! وضربوا عنقه وساقوا على حَمِيَّة إلى جهة فاعترضوا طُلْب السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف فوقع المصَافّ بينهم فخامَر على الملك الناصر جماعةٌ من المماليك العَزِيزية من مماليك أبيه وجاؤوا إلى الملك المُعز أَيْبَك التُرْكُماني وقالوا له: إلى أين تتوجه.

هذا السلطان واقفٌ في طُلْبِه ليس له عِلْمٌ بكسرتهم فعطفوا على الطُلْب وتقدمتهم العزِيزية فكَسروا سَناجِقَ السلطان وصناديقَه ونَهبوا ماله ورمَوه بالنُشَّاب فأخذ نَوْفل البدوي وجماعة من مماليكه وأصحابه وعادوا به إلى الشام وأسر المصريون الملك المعظم توران شاه ابن السلطان صلاح الدين بعد أن جرحوه وجرحوا ولده تاج الملوك وأخذوا الملك الأشرف صاحب حمص والملك الزاهر عمه والملك الصالح إسماعيل صاحب الوقائع مع الملك الصالح نجم الدين أيوب وجماعة كثيرة من أعيان الحلبيين ومات تاج الملوك من جراحة كانت به فحمل إلى بيت المقدس ودفن به.

وضرب الشريف المرتضى في وجهه بالسيف ضربة هائلة عرضا وأرادوا قتله فقال: أنا رجل شريف و ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتركوه وتمزق عساكر دمشق كل ممزق ومشوا في الرمل أياما.

وأما المصريون فإنهم لما وقعت لهم هذه النصرة عادوا إلى القاهرة بالأسارى وسناجق الناصر مقلوبة وطبوله مشققة ومعهم الخيول والأموال والعدد وشقوا القاهرة فلما وصلت المماليك الصالحية النجمية إلى تربة أستاذهم الملك الصالح نجم الدين أيوب بين القصرين أخذوا الملك الصالح إسماعيل الذي أسروه في الوقعة وكان عدو أستاذهم الملك الصالح المذكور ووقفوا به عند التربة وقالوا: يا خوند أين عينك ترى عدوك أسيرا بأيدينا! ثم سحبوه ومضوا به إلى الحبس فحبسوه هو وأولاده أياما ثم غيبوه إلى يومنا هذا ولم يسمع عنه خبر إلا ما تحدث به العوام بإتلافه.

وأما عساكر الناصر الذين كانوا بالعباسة - أعني الذين كسروا الملك المعز أيبك أولا - فإن المعز لما تم له النصر وهزم الناصر رد إلى المذكورين في عوده إلى القاهرة ومال عليهم بمن معه قتلا وأسرا حتى بدد شملهم ورحل إلى القاهرة بمن معه من الأسارى وغيرهم.

ولما دخل الملك المعز أيبك هذا إلى القاهرة ومعه المماليك الصالحية مالوا على المصريين قتلا ونهبا ونهبوا أموالهم وسبوا حريمهم وفعلوا بهم ما لم يفعله الفرنج بالمسلمين.

قلت: وسبب ذلك أنه لما بلغهم كسرة المعز فرحوا وتباشروا بزوال المماليك من الديار المصرية وأسرعوا أيضا بالخطبة للملك صلاح الدين يوسف صاحب الشام المقدم ذكره.

وكان السامري وزير الملك الصالح إسماعيل المقدم ذكره معتقلا بقلعة الجبل هو وناصر الدين إسماعيل بن يغمور نائب الشام وسيف الدين القيمري والخوارزمي صهر الملك الناصر يوسف فخرجوا من الجب وعصوا بقلعة الجبل فلم يوافقهم سيف الدين القيمري بل جاء وقعد على باب الدار التي فيها أعيان الملك المعز أيبك وحماها من النهب ولم يدع أحدا يقربها وأما الباقون فصاحوا: الملك الناصر يا منصور.

فلما جاء الترك فتحوا باب القلعة ودخلوها وأخذوا من كان عصى فيها وشنقوا وزير الصالح و ابن يغمور والخوارزمي متقابلين وشنقوا أيضا مجير الدين بن حمدان وكان شابًا حسنًا وكان تعدى على بعض المماليك وأخذ خيله.

وأما الملك الناصر يوسف فإنه سار حتى وصل إلى غزة وأقام ينتظر اصحابه فوصل إليه منهم من سلم من عسكر الشام وعسكر الموصل ومضوا إلى الشام.

وأما العساكر المصرية فإن الملك المعز أيبك المذكور لما دخل إلى مصر بعد هذه الوقعة عظم أمره وثبتت قواعد ملكه ورسخت قدمه.

ثم وقع له فصول مع الملك الناصر يوسف المذكور يطول شرحها.

محصول ذلك: أنه لما كانت سنة إحدى وخمسين وستمائة وقع الاتفاق بينه وبين الملك الناصر المذكور على أن يكون للمعز وخشداشيته المماليك الصالحية البحرية الديار المصرية وغزة والقدس وما بقي بعد ذلك من البلاد الشامية تكون للملك الناصر صلاح الدين يوسف.

وأفرج الملك المعز عن الملك المعظم توران شاه ابن الملك الناصر صلاح الدين يوسف المذكور وعن أخيه نصرة الدين وعن الملك الأشرف صاحب حمص وغيرهم من الاعتقال وتوجهوا إلى الشام.

ولما فرغ الملك المعز من ذلك أخذ ينظر في أمره مع فارس الدين أقطاي الجمدار فإنه كان أمره قد زاد في العظمة والتفت عليه المماليك البحرية وصار أقطاي المذكور يركب بالشاويش وغيره من شعار الملك وحدثته نفسه بالملك وكان أصحابه يسمونه الملك الجواد فيما بينهم.

كل ذلك والمعز سامع مطيع حتى خطب أقطاي بنت الملك المظفر تقي الدين محمود صاحب حماة وكان أخوها الملك المنصور هو يومئذ صاحب حماة بعد موت أبيه.

وتحدث أقطاي مع الملك المعز أيبك أنه يريد يسكنها في قلعة الجبل لكونها من بنات الملوك ولا يليق سكناها بالبلد فاستشعر الملك المعز منه بما عزم عليه وأخذ يدبر أمره وعمل على قتله فلم يقدر على ذلك.

فكاتب الملك المعز السلطان صلاح الدين يوسف واستشاره في الفتك به فلم يجبه في ذلك بشيء مع أنه كان يؤثر ذلك لكنه علم أنه مقتول على كل حال فترك الجواب.

ثم سير فارس الذين أقطاي الجمدار المذكور جماعة لإحضار بنت صاحب حماة إليه فخرجت من حماة ووصلت إلى دمشق بتجمل عظيم في عدة محفات مغشاة بالأطلس وغيره من فاخر الثياب وعليها الحلي والجواهر ثم خرجت بمن معها من دمشق متوجهة إلى الديار المصرية.

وأما الملك المعز فإنه لما أبطأ عليه جواب الملك الناصر صلاح الدين في أمر أقطاي وتحقق أن بنت صاحب حماة في الطريق بقي متحيرا إن منعه من سكنى القلعة حصلت المباينة الكلية وإن سكنه قويت أسبابه بها ولا يعود يتمكن من إخراجه ويترتب على ذلك استقلال الأمير فارس الدين أقطاي بالملك فعمل على معاجلته فدخل أقطاي عليه على عادته وقد رتب له الملك المعز جماعة للفتك به منهم الأمير سيف الدين قطز المعزي - أعني الذي تسلطن بعد ذلك - وبهادر وسنجر الغتمي فلما دخل أقطاي وثبوا عليه وقتلوه

في دار السلطنة بقلعة الجبل في سنة اثنتين وخمسين وستمائة فتحرك لقتله جماعة من خشداشيته البحرية ثم سكن الحال ولم ينتطح في ذلك شاتان!.

ولما وقع ذلك التفت الملك المعز إلى خلع الملك الأشرف مظفر الدين موسى الأيوبي فخلعه وأنزله من قلعة الجبل إلى حيث كان أولا عند عماته القطبيات.

وركب الملك المعز بالسناجق السلطانية وحملت الأمراء الغاشية بين يديه واستقل على الملك بمفرده استقلالًا تامًا إلى أن قصدت المماليك العزيزية القبض عليه في سنة ثلاث وخمسين فشعر بذلك قبل وقوعه فقبض على بعضهم وهرب بعضهم.

ثم وقعت الوحشة ثانيا بين الملك المعز هذا وبين الملك الناصر صلاح الدين يوسف فمشى الشيخ نجم الدين البادرائي بينهما حتى قرر الصلح بين المعز وبين الناصر على أن تكون الشام جملة للملك الناصر وديار مصر للملك المعز وحد ما بينهما بئر القاضي وهو فيما بين الورادة والعريش واستمر الحال على ذلك.

ثم إن الملك المعز تزوج بالملكة شجرة الدر أم خليل في هذه السنة ودخل بها وكان زواجه بها سببا لقتله على ما تقدم في ترجمتها وعلى ما يأتي في هذه الترجمة أيضا.

ولما تزوجها وأقام معها مدة أراد أن يتزوج ببنت الملك الرحيم صاحب الموصل وكانت شجرة الدر شديدة الغيرة فعملت عليه وقتلته في الحمام وأعانها على ذلك جماعة من الخدام.

وقد ذكرنا ذلك كله مفصلا في ترجمة شجرة الدر فيما مضى.

وكان قتل الملك المعز في يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من شهر ربيع الأول سنة خمس وخمسين وستمائة.

وكان ملكًا شجاعًا كريمًا عاقلًا سيوسًا كثير البذل للأموال أطلق في مدة سلطنته من الأموال والخيول وغير ذلك ما لا يحصى كثرة حتى رضي الناس بسلطان مسه الرق.

وأما أهل مصر فلم يرضوا بذلك إلى أن مات وهم يسمعونه ما يكره حتى في وجهه إذا ركب ومر بالطرقات ويقولون: لا نريد إلا سلطانًا رئيسًا مولودًا على الفطرة.

على أن الملك المعز كان عفيفا طاهر الذيل بعيدا عن الظلم والعسف كثير المداراة لخشداشيته والاحتمال لتجنيهم عليه وشر أخلاقهم وكذلك مع الناس.

وخلف عدة أولاد منهم الملك المنصور علي الذي تسلطن بعده وناصر الدين قان.

قال الشيخ قطب الدين اليونيني في الذيل على مرآة الزمان: ورأيت له ولدًا آخر بالديار المصرية في سنة تسع وثمانين وستمائة وهو في زي الفقراء الحريرية.

انتهى.

وكان للمعز بر ومعروف وعمائر من ذلك: المدرسة المعزية على النيل بمصر القديمة ووقف عليها أوقافًا.

ودهليز المدرسة متسع طويل مفرط قيل: إن بعض الأكابر دخل إلى هذه المدرسة المذكورة فراها صغيرة بالنسبة إلى دهليزها فقال: هذه المدرسة مجاز بلا حقيقة! انتهى.

وكان مدرسها القاضي برهان الدين الخضر بن الحسن السنجاري إلى أن مات.

وكانت مدة سلطنة الملك المعز على مصر سبع سنين.

ومات وقد ناهز الستين سنة - رحمه الله قلت: وقد تقدم أن الملك المعز أيبك هذا أول من ملك الديار المصرية من الأتراك الذين مسهم الرق.

وقد ذكرنا مبدأ أمره وما وقع له من الحروب وغيرها على سبيل الاختصار.

ولنذكر هنا أيضًا من عاصره من ملوك الأقطار ليعلم الناظر في هذه الترجمة بأصل جماعة كبيرة من الملوك الآتي ذكرهم في الحوادث وأيضا بحد مملكة الملك المعز يوم ذاك وحد تحكمه من البلاد ومع هذا كان له من المماليك والحشم والعساكر أضعاف ما لملوك زماننا هذا مع اتساع ممالكهم.

انتهى.

ونذكر أيضا من أمر النار التي كانت بأرض الحجاز في أيام سلطنته في سنة أربع وخمسين وستمائة فنقول: استهلت سنة أربع وخمسين المذكورة والخليفة المستعصم بالله أبو أحمد عبد الله العباسي ببغداد وسلطان مصر الملك المعز أيبك التركماني هذا وسلطان الشام إلى الفرات الملك الناصر صلاح الدين يوسف الأيوبي ما خلا حماة وحمص والكرك وبلادًا أخر نذكر ملوكها فيما يأتي - إن شاء الله تعالى - وهم: صاحب حماة الملك المنصور ناصر الدين محمد بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب.

وصاحب الكرك والشوبك الملك المغيث فتح الدين عمر ابن الملك العادل أبي بكر ابن الملك الكامل محمد ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب.

وصاحب صهيون وبرزيه وبلاطنس الأمير مظفر الدين عثمان ابن الأمير ناصر الدين منكورس.

وصاحب تل باشر والرحبة وتدمر الملك الأشرف مظفر الدين موسى ابن إبراهيم بن شيركوه بن محمد بن شيركوه بن شادي.

وصاحب الموصل وأعمالها الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ الأتابكي.

وصاحب ميافارقين وديار بكر وتلك الأعمال الملك الكامل ناصر الدين محمد ابن الملك المظفر شهاب الدين غازي ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب.

وصاحب ماردين الملك السعيد إيلغازي الأرتقي.

وصاحب إربل وأعمالها الصاحب تاج الدين بن صلايا العلوي من جهة الخليفة.

والنائب في حصون الإسماعيلية الثمانية بالشام رضي الدين أبو المعالي.

وصاحب المدينة الشريفة - صلوات الله وسلامه على ساكنها - الأمير عز الدين أبو ملك منيف بن شيحة بن قاسم الحسيني.

وصاحب اليمن الملك المظفر شمس الدين يوسف بن عمر.

وأما ملوك الشرق فسلطان ما وراء النهر وخوارزم السلطان ركن الدين وأخوه عز الدين والبلاد بينهما مناصفة وهما في طاعة هولاكو ملك التتار.

وأما أمر النار التي ظهرت بالحجاز قال قاضي المدينة سنان الحسيني: لما كان ليلة الأربعاء ثالث خمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستمائة ظهر بالمدينة الشريفة دوي عظيم ثم زلزلة عظيمة رجفت منها المدينة والحيطان والسقوف ساعة بعد ساعة إلى يوم الجمعة خامس الشهر المذكور ظهرت نار عظيمة وقد سالت أودية منها بالنار إلى وادي شظا حيث يسيل الماء وقد سدت مسيل شظا وما عاد يسيل.

ثم قال: والله لقد طلعنا جماعة نبصرها فإذا الجبال تسيل نيرانا وقد سدت الحرة طريق الحاج العرافي وسارت إلى أن وصلت إلى الحرة فوقفت بعد ما أشفقنا أن تجيء إلينا ورجعت تسير في الشرق يخرج من وسطها مهود وجبال نيران تأكل الحجارة كما أخبر الله في كتابه العزيز فقال عز من قائل: " إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ ".

قال: وقد كتبت هذا الكتاب يوم خامس رجب سنة أربع وخمسين والنار في زيادة ما تغيرت وقد عادت إلى الحرة وفي قريظة طريق الحاج العراقي.

وأما أمر النار الكبيرة فهي جبال نيران حمر والأم الكبيرة النار التي سالت النيران منها من عند قريظة وقد زادت وما عاد الناس يدرون أي شيء يتم بعد ذلك والله يجعل العاقبة إلى خير وما أقدر أصف هذه النار.

انتهى كلام القاضي في كتابه.

وقال غيره بعد ما ساق من أمر النار المذكورة عجائب نحوًا مما ذكرناه وأعظم إلى أن قال: وقد سال من هذه النار واد يكون مقداره أربعة فراسخ وعرضه أربعة أميال وعمقه قامة ونصفا وهي تجري على وجه الأرض وتخرج منها أمهاد وجبال صغار تسير على الأرض وهو صخر يذوب حتى يبقى مثل الآنك فإذا جمد صار أسود وقبل الجمود لونه أحمر وقد حصل بسبب هذه النار إقلاع عن المعاصي والتقرب إلى الله تعالى بالطاعات وخرج أمير المدينة عن مظالم كثيرة.

ثم قال قطب الدين في الذيل: ومن كتاب شمس الدين سنان بن نميلة الحسيني قاضي المدينة إلى بعض أصحابه يصف الزلزلة إلى أن ذكر قصة النار وحكى منها شيئًا إلى أن قال: وأشفقنا منها وخفنا خوفًا عظيمًا وطلعت إلى الأمير وكلمته وقلت: قد أحاط بنا العذاب ارجع إلى الله! فأعتق كل مماليكه ورد على جماعة أموالهم فلما فعل هذا قلت له: اهبط الساعة معنا إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فهبط وبتنا ليلة السبت والناس جميعهم والنسوان وأولادهم وما بقي أحد لا في النخيل ولا في المدينة إلا عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأشفقنا منها وظهر ضوءها إلى أن أبصرت من مكة ومن الفلاة جميعها.

ثم سال من ذلك نهر من نار وأخذ في وادي أحيلين وسد الطريق ثم طلع إلى بحرة الحاج وهو بحر نار يجري وفوقه جمر يسير إلى أن قطعت الوادي: وادي الشظا وما عاد يجري سيل قط لأنها حفرته نحو قامتين.

والمدينة قد تاب جميع أهلها ولا بقي يسمع فيها رباب ولا دف.

ثم ذكر أشياء مهولة من هذا الجنس إلى أن قال: والشمس والقمر من يوم طلعت النار ما يطلعان إلا كاسفين! قال: وأقامت هذه النار أكثر من شهرين.

وفيها يقول بعضهم: البسيط يا كاشف الضر صفحا عن جرائمنا لقد أحاطت بنا يا رب بأساء نشكو إليك خطوبا لا نطيق لها حملًا ونحن بها حقًا أحقاء أقام سبعًا يرج الأرض فانصدعت عن منظر منه عين الشمس عشواء والقصيدة طويلة جدا كلها على هذا المنوال.

ولولا خشية الإطالة لذكرنا أمر هذه النار وما وقع منها فرأينا أن الشرح يطول والمقصود هنا بقية ترجمة السلطان الملك المعز أيبك.

ولما مات المعز رثاه سراج الدين الوراق بقصيدة أولها: الطويل نقيم عليه مأتما بعد مأتم ونسفح دمعًا دون سفح المقطم ولو أننا نبكي على قدر فقده لدمنا عليه نتبع الدمع بالدم وسل طرفي ينبيك عني أنني دعوت الكرى من بعده بالمحرم ومنها في ذكر ولده الملك المنصور علي - رحمه الله -: بنى الله بالمنصور ما هم الردى وإن بناء الله غير مهدم مليك الورى بشرى لمضمر طاعة وبؤسى لطاغ في زمانك مجرم فما للذي قدمت من متأخر ولا للذي أخرت من متقدم وأيبك صوابه كما هو مكتوب وهو لفظ تركي مركب من كلمتين.

فأي هو القمر وبك أمير فمعنى الاسم باللغة العربية أمير قمر ولا عبرة بالتقديم والتأخير في اللفظ وأيبك بفتح الهمزة وسكون الياء المثناة من تحت وتفخيمهما معا وبك معروف لا حاجة إلى التعريف به.

انتهى.

شاه ابن الملك الصالح نجم الدين ثم في صفر والربيعين منها الملكة شجرة الدر أم خليل الصالحية ثم في باقيها الملك المعز أيبك صاحب الترجمة ومعه الملك الأشرف مظفر الدين موسى والعمدة في ذلك على المعز هذا.

وهي سنة ثمان وأربعين وستمائة.

فيها كانت كسرة الفرنج على دمياط وقبض على الفرنسيس كما تقدم.

وفيها قتل الملك المعالم توران شاه وقد مر أيضا.

وفيها كانت الوقعة بين الملك الناصر صلاح الدين يوسف وبين الملك المعز هذا.

وفيها حج طائفة من العراق ولم يحج أحد من الشام ولا مصر في هذه السنة.

وفيها ثارت الجند ببغداد لقطع أرزاقهم.

وكل ذلك كان من عمل الوزير ابن العلقمي الرافضي فإنه كان حريصا على زوال دولة بني العباس ونقلها إلى العلويين وكان يرسل إلى التتار في السر والخليفة المستعصم لا يطلع على باطن الأمور.

وفيها لما فرغوا من حرب دمياط وتفرق أهلها نقلوا أخشاب بيوتهم وأبوابهم منها وتركوها خاوية على عروشها ثم بنيت بعد ذلك بليدة بالقرب منها تسمى المنشية.

وكان سور دمياط من أحسن الأسوار.

وفيها توفيت أرغوان الحافظية عتيقة الملك العادل أبي بكر بن أيوب سميت الحافظية لأنها ربت الملك الحافظ صاحب جعبر وكانن امرأة عاقلة صالحة وكانت مدة حبس الملك المغيث ابن الملك الصالح نجم الدين أيوب بدمشق تهيئ له الأطعمة والأشربة وتبعث له الثياب فحقد عليها الملك الصالح إسماعيل فصادرها وأخذ منها أموالًا عظيمة يقال: إنه أخذ منها أربعمائة صندوق.

ولها تربة ومسجد ووقفت عليهما أوقافًا.

وفيها قتل الأمير شمس الدين لؤلؤ بن عبد الله مقدم عسكر حلب وهو الذي قتلته المماليك الصالحية في الوقعة التي كانت بين الناصر والمعز صاحب الترجمة.

وكان أميرًا شجاعًا مقدامًا زاهدًا مدبرًا عظيم الشأن وكان فيه قوة وبأس غير أنه كان مستخفًا بالمماليك ويقول: كل عشرة من المماليك في مقابلة كردي ولا زال يمعن في ذلك حتى كانت منيته بأيدي المماليك الصالحية كما تقدم ذكره.

وفيها توفي أبو الحسن المتطبب وزير الملك الصالح إسماعيل وهو الذي كان السبب لزوال ملك مخدومه فإنه كان سيئ السيرة كثير الظلم قليل الخير وكان يتستر بالإسلام وكان يرمى في دينه بعظائم وقيل: إنه كان أولًا سامريًا فلم يحسن إسلامه وظهر له بعد موته من الأموال والجواهر والتحف والذخائر ما لا يوجد في خزائن الخلفاء وأقاموا ينقلونه مدة سنين.

وقيمة ما ظهر له غير ما ذهب عند الناس ثلاثة آلاف ألف دينار ووجد له عشرة آلاف مجلد من الكتب النفيسة والخطوط المنسوبة.

قال الشيخ إسماعيل الكوراني يومًا وقد زاره الوزير المذكور: لو بقيت على دينك كان أصلح لأنك تتمسك بدين في الجملة وأما الآن فأنت مذبذب لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء!.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي الإمام أبو محمد إبراهيم بن محمود بن سالم بن الخير في شهر ربيع الآخر وله خمس وثمانون سنة.

والحافظ شمس الدين يوسف بن خليل الدمشقي الأدمي بحلب في جمادى الآخرة وله ثلاث وتسعون سنة.

والقاضي أبو الفضل أحمد بن محمد بن عبد العزيز بن الحباب التميمي السعدي وله سبع وثمانون سنة في شهر رمضان.

والمحدث أبو محمد عبد الوهاب بن رواح واسمه ظافر بن علي بن فتوح القرشي المالكي.

وله أربع وتسعون سنة.

وأبو المنصور مظفر بن عبد الملك بن الفوي المالكي.

ونائب الملك الناصر الأمير شمس الدين لؤلؤ قتل في جماعة في الوقعة الكائنة بين المصريين والشاميين.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمس أذرع وأربع أصابع.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا وإصبعان.

الصالحي النجمي التركماني على مصر وهي سنة تسع وأربعين وستمائة.

فيها عاد الملك الناصر صلاح الدين يوسف من غزة إلى دمشق وأرسل المعز عسكر مصر فنزل إلى غزة والساحل ثم عادوا إلى القاهرة.

وفيها أيضا أخذ الملك المغيث ابن الملك العادل ابن الملك الكامل الكرك والشوبك أعطاه إياهما الخادم.

ولما سمع الملك المعز بذلك جهز الأمير فارس الدين أقطاي الجمدار في ألف فارس إلى غزة.

وفيها نقلوا تابوت الملك الصالح نجم الدين أيوب إلى تربته بالقاهرة ببين القصرين ولبس الأمراء ثياب العزاء وناحوا عليه ببين القصرين وتصدقت جاريته شجرة الدر في ذلك اليوم بمال عظيم.

وفيها أخرب الترك دمياط وحملوا آلاتها إلى مصر وأخربوا الجزيرة - أعني الروضة - وأخلوها.

وفيها كثر الظلم بالديار المصرية وعظم الجور والمصادرات لكل أحد حتى أخذوا مال الأوقاف ومال الأيتام على نية القرض ومن أرباب الصنائع كالأطباء والشهود.

وفيها توفي الفقيه بهاء الدين علي بن هبة الله بن سلامة الجميزي كان إمامًا فاضلًا عارفًا بمذهب الشافعي دينًا وكان يخالط الملوك.

ولما حج قبل هدية صاحب اليمن فأعرض عنه الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي الإمام عبد الظاهر بن نشوان السعدي المقرئ النحوي الضرير في جمادى الأولى.

وأبو نصر عبد العزيز بن يحيى بن الزبيدي وله تسع وثمانون سنة.

والإمام أبو المظفر محمد بن مقبل بن فتيان النهرواني بن المني في جمادى الآخرة.

وأبو نصر الأعز بن فضائل ببغداد في رجب.

والأمير الصاحب جمال الدين يحيى بن عيسى المصري بن مطروح الأديب.

وأبو القاسم عيسى بن أبي الحرم مكي بن حسين العامري المصري المقرئ في شوال.

والإمام أبو محمد عبد الخالق بن الأنجب بن المعمر النشتبري بماردين في ذي الحجة وله تسعون سنة وأسبوعان.

والفقيه عبيد الله بن عاصم خطيب رندة وله سبع وثمانون سنة.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمس أذرع وعشرون إصبعًا.

مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعا وثماني عشرة إصبعا.

السنة الثالثة من ولاية الملك المعز أيبك التركماني وهي سنة خمسين وستمائة.

فيها وصلت التتار إلى الجزيرة ونهبوا ديار بكر وميافارقين وجاؤوا إلى رأس عين وسروج وغيرها وقتلوا زيادة على عشرة آلاف إنسان وصادفوا قافلة خرجت من حران تقصد بغداد فأخذوا منها أموالًا عظيمة: منها ستمائة حمل سكر مصري وستمائة ألف دينار قاله أبو المظفر في مرآة الزمان قال: وقتلوا الشيوخ والعجائز وساقوا من النساء والصبيان ما أرادوا ثم رجعوا إلى خلاط.

وقطع أهل الشرق الفرات وخاض الناس في القتلى من دنيسر إلى الفرات.

قال بعض التجار: عددت على جسر بين حران ورأس عين في مكان واحد ثلاثمائة وثمانين قتيلا من المسلمين ثم قتل ملك التتار كشلوخان.

وفيها حج بالناس من بغداد بعد أن كان بطل الحج منذ عشر سنين من سنة مات الخليفة المستنصر.

وفيها قدم الشيخ نجم الدين البادراني رسولًا من الخليفة وأصلح بين المعز أيبك صاحب الترجمة وبين الناصر يوسف وقد تقدم ذلك وكان كل واحد من الطائفتين قد سئم وضرس من الحرب وسكنت الفتنة بين الملوك واستراح الناس.

وفيها توفي العلامة رضي الدين أبو الفضائل الحسن بن محمد بن الحسن بن حيدر بن علي القرشي العدوي العمري الصاغاني الأصل الهندي اللاهوري المولد البغدادي الوفاة المحدث الفقيه الحنفي اللغوي الإمام صاحب التصانيف ولد بمنية لاهور في عاشر صفر سنة سبع وسبعين وخمسمائة ونشأ بغزنة ودخل بغداد فسمع الكثير في عدة بلاد ورحل.

وكان إليه المنتهى في علم العربية واللغة وصنف كتاب مجمع البحرين في اللغة اثنا عشر مجلدًا وكتاب العباب الزاخر في اللغة أيضًا عشرون مجلدًا وأشياء غير ذلك.

قال الحافظ الدمياطي: وكان شيخًا صدوقًا صالحًا صموتًا عن فضول الكلام إمامًا في اللغة والفقه والحديث قرأت عليه يوم الأربعاء وتوفي ليلة الجمعة تاسع عشر شعبان وحضرت دفنه بداره بالحريم الطاهري ببغداد.

ثم ترجمه الدمياطي ترجمة طويلة وأثنى على علمه وفضله ودينه.

وفيها توفي الشيخ شمس الدين محمد بن سعد بن عبد الله بن سعد بن مفلح بن هبة الله الكاتب المقدسي نشأ بقاسيون على الخير والصلاح وقرأ النحو والعربية وسمع الحديث الكثير وبرع في الأدب.

وكان دينًا حسن الخط وكتب للملك الصالح إسماعيل وللملك الناصر داود.

ومن شعره: الوافر لنا بقدوم طلعتك الهناء وللأعداء ويحهم الفناء قدمت فكنت شبه الغيث وافى بلادًا قد أحل بها الظماء قلت: ويعجبني في هذا المعنى قول القائل ولم أدر لمن هو: الطويل قدومك أشهى من زلال على ظما وأحسن من نيل المنى في المآرب حكى الغيث وافى الأرض من بعد جدبها وأطلع فيها النبت من كل جانب وفيها توفي الأمير الصاحب جمال الدين أبو الحسين يحيى بن عيسى بن إبراهيم بن الحسين بن علي بن حمزة بن إبراهيم بن الحسين بن مطروح.

كان أصله من صعيد مصر وولد به ونشأ هناك ثم قدم القاهرة واشتغل وبرع في الأدب والكتابة واتصل بخدمة الملك الصالح نجم الدين أيوب.

قال أبو المظفر: كان فاضلًا كيسًا شاعرًا.

ومن شعره لما فتح الناصر داود برج داود بالقدس قال: السريع المسجد الأقص له عادة سارت وصارت مثلا سائرا إذا غدا للكفر مستوطنًا أن يبعث الله له ناصرا فناصر طهره أولًا وناصر طهره آخرا قال: وتوفي في شعبان ودفن بسارية بالقرافة وكانت له أخبار عظيمة وكان قد دخل بين الخوارزمية والصالح أيوب واستنابه أيوب بالشام ولبس ثياب الجند وما كانت تليق به.

ثم غضب عليه الصالح وأعرض عنه إلى أن مات فأقام خاملًا إلى أن مات.

وقد كان جوادا ذا مروءة متعصبًا سمحًا حليمًا حسن الظن بالفقراء عارفًا فاضلًا.

انتهى كلام أبي المظفر.

قلت: وديوان شعره مشهور.

ومن شعره القصيدة المشهورة: الكامل هي رامة فخذوا يمين الوادي وذروا السيوف تقر في الأغماد وحذار من لحظات أعين عينها فلكم صرعن بها من الاساد يا صاحبي ولي بجرعاء الحمى قلب أسير ما له من فادي سلبته مني يوم بانوا مقلة مكحولة أجفانها بسواد وبحي من أنا في هواه ميت عين على العشاق بالمرصاد وأغن مسكي اللمى معسوله لولا الرقيب بلغت منه مرادي كيف السبيل إلى وصال محجب ما بين بيض ظبا وسمر صعاد في بيت شعر نازل من شعره فالحسن منه عاكف في بادي حرسوا مهفهف قده بمثقف فتشابه المياس بالمياد قالت لنا ألف العذار بخده في ميم مبسمه شفاء الصادي وهي أطول من ذلك اختصرتها خوف الإطالة.

ويعجبني قصيدة الجزار في مدح ابن مطروح هذا.

أذكر غزلها: الرمل هو ذا الربع ولي نفش مشوقه فاحبس الركب عسى أقضي حقوقه فقبيح بي في شرع الهوى بعد ذاك البر أن أرضى عقوقه لست أنسى فيه ليلات مضت مع من أهوى وساعات أنيقه ضع يدًا منك على قلبي عسى أن تهدي بين جنبي خفوقه فاض دمعي مذ رأى ربع الهوى ولكم فاض وقد شام بروقه نفد اللؤلؤ من أدمعه فغدا ينثر في الترب عقيقه قف معي واستوقف الركب فإن لم يقف فاتركه يمضي وطريقه فهي أرض قلما يلحقها آمل والركب لم أعدم لحوقه طالما استجليت في أرجائها من يتيه البدر إذ يدعى شقيقه يفضح الورد احمرارًا خده وتود الخمر لو تشبه ريقه فبه الحسن خليق لم يزل والمعالي بابن مطروح خليقه وله بيتان ضمنهما بيت المتنبي الذي هو أول قصيدته وهو: الطويل تذكرت ما بين العذيب وبارق مجر عوالينا ومجرى السوابق فقال ابن مطروح مضمنًا: الطويل إذا ما سقاني ريقه وهو باسم تذكرت ما بين العذيب وبارق ويذكرني من قده ومدامعي مجر عوالينا ومجرى السوابق الحسين المعروف بابن الواعظ المقدسي ثم الإسكندراني عن إحدى وثمانين سنة.

وأبو القاسم يحيى بن أبي السعود نصر بن قميرة التاجر في جمادى الأولى وله خمس وثمانون سنة.

والعلامة أبو الفضائل الحسن بن محمد بن الحسن العدوي العمري الصغاني النحوي اللغوي.

والأديب شمس الدين محمد بن سعد بن عبد الله المقدسي الكاتب في شوال.

والمسند رشيد الدين أحمد بن المفرج بن علي بن عبد العزيز بن مسلمة العدل في ذي القعدة.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربع أذرع وسبع أصابع.

مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعا وسبع عشرة إصبعا.

السنة الرابعة من ولاية الملك المعز أيبك الصالحي

النجمي التركماني على مصر وهي سنة إحدى وخمسين وستمائة.

فيها كانت الوقفة الجمعة.

وفيها عظم بمصر أمر الأمير فارس الدين أقطاي الجمدار ورشح للسلطنة وكان من حزبه من خشداشيته بيبرس البندقداري وبلبان الرشيدي وسنقر الرومي وسنقر الأشقر.

وصار الملك المعز في خوف.

وقد تقدم ذكر هذه الحكاية في ترجمة المعز.

وفيها توفي الشيخ الإمام سعد الدين محمد بن المؤيد بن حمويه ابن عم شيخ الشيوخ صدر الدين.

مات بخراسان وكان زاهدًا عابدًا دينًا متكلمًا في الحقيقة وله مجاهدات ورياضات وقدم الشام وحج وسكن بدمشق ثم عاد إلى الشرق بعد أن افتقر بالشام واجتمع بملك التتار فأحسن به الظن وأعطاه مالًا كثيرًا وأسلم على يده خلق كثير من التتار وبنى هناك خانقاه وتربة إلى جانبها وأقام يتعبد وكان له قبول عظيم هناك - رحمه الله تعالى -.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي أبو البقاء صالح بن شجاع بن محمد بن سيدهم المدلجي الخياط في المحرم.

وسبط السلفي أبو القاسم عبد الرحمن بن أبي الحرم مكي بن عبد الرحمن الطرابلسي الإسكندراني في شوال عن إحدى وثمانين سنة.

وأبو محمد عبد القادر بن حسين البندنيجي البواب آخر من روى عن عبد الحق اليوسفي.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمس أذرع وثماني أصابع.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وسبع عشرة إصبعا.

السنة الخامسة من ولاية الملك المعز أيبك الصالحي النجمي التركماني على مصر فيها وصلت الأخبار من مكة بأن نارًا ظهرت في أرض عدن في بعض جبالها بحيث يطير

شررها إلى البحر في الليل ويصعد منها دخان عظيم في النهار فما شكوا أنها النار التي ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أنها تظهر في آخر الزمان.

فتاب الناس وأقلعوا عما كانوا عليه من المظالم والفساد وشرعوا في أفعال الخير والصدقات.

قلت: وقد تقدم ذكر هذه النار بأوسع من هذا في ترجمة الملك المعز هذا.

وفيها وصلت الأخبار من الغرب باستيلاء إنسان على إفريقية وادعى أنه خليفة وتلقب بالمستنصر وخطب له في تلك النواحي وأظهر العدل وبنى برجًا وأجلس الوزير والقاضي والمحتسب بين يديه يحكمون بين الناس وأحبته الرعية وتم أمره.

وفيها توفي الإمام عبد الحميد بن عيسى الخسروشاهي.

كان إمامًا فاضلًا في فنون وصحب الفخر الرازي خطيب الري وأقام عند الملك الناصر داود سنين كثيرة بدمشق والكرك وكان متواضعًا كبير القدر كثير الإحسان.

مات بدمشق ودفن بقاسيون في تربة المعظم عيسى.

وفيها توفي الشيخ الإمام العلامة مجد الدين أبو البركات عبد السلام بن عبد الله بن تيمية الحراني الحنبلي جد الشيخ تقي الدين ابن تيمية.

ولد في حدود سنة تسعين وخمسمائة وتفقه في صغره على عمه الخطيب فخر الدين وسمع الكثير ورحل البلاد وبرع في الحديث والفقه وغيره ودرس وأفتى وانتفع به الطلبة ومات يوم الفطر بحران.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي السديد أبو محمد مكي بن المسلم بن علان القيسي في صفر وله تسع وثمانون سنة.

والرشيد إسماعيل بن أحمد بن الحسين العراقي الحنبلي عن نيف وثمانين سنة في جمادى الأولى.

والمفتي كمال الدين أبو سالم محمد بن طلحة النصيبي بحلب عن سبعين سنة.

وأبو البقاء محمد بن علي بن بقاء بن السباك.

والعلامة مجد الدين أبو البركات عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن تيمية بحران يوم الفطر عن اثنتين وستين سنة.

وأبو الغيث فرج ابن عبد الله الحبشي فتى أبي جعفر القرطبي في شوال.

والإمام شمس الدين عبد الحميد بن عيسى الخسروشاهي بدمشق.

وأبو العزائم عيسى بن سلامة بن سالم الخياط بحران في أواخر السنة وله مائة وسنة.

والفارس أقطاي مقدم البحرية قتله المعز بمصر.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربع أذرع وست أصابع.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا واثنتا عشرة إصبعا.

السنة السادسة من ولاية الملك المعز أيبك الصالحي النجمي التركماني على مصر.

فيها عزمت المماليك العزيزية على القبض على الملك المعز وكاتبوا الملك الناصر فلم يوافقهم أيدغدي العزيزي واستشعر الملك المعز منهم بذلك وعلم الخبر وعلموا هم أيضا فهربوا على حمية وكبيرهم آقوش البرنلي ولم يهرب أيدغدي وأقام بمخيمه فجاء الملك المعز راكبًا إلى قرب خيمته فخرج إليه أيدغدي فأمر المعز بحمله وقبض أيضا على الأمير الأتابكي ونهبت خيام العزيزية وكانوا بالعباسة.

والأعيان الذين هربوا هم بلبان الرشيدي وعز الدين أزدمر وبيبرس البندقداري وسنقر الأشقر وسيف الدين قلاوون الألفي وبدر الدين بيسري وسنقر الرومي وبلبان المستنصري.

وفيها عاد الملك الناصر داود من الأنبار إلى دمشق بعد أن حبسه الملك الناصر صلاح الدين يوسف بقلعة حمص ثلاث سنين وبعث به إلى بغداد ثم عاد إلى دمشق وأقام بها ثم عاد في سنة ثلاث وخمسين إلى العراق وحج وأقام بالحلة وكان قد جرى بين الحج العراقي وأصحاب أمير مكة فتنة فأصلح بينهم.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي المفتي ضياء الدين صقر بن يحيى بن سالم الحلبي في صفر عن نيف وتسعين سنة.

والمحدث شهاب الدين أبو العرب إسماعيل بن حامد الأنصاري القوصي في شهر ربيع الأول عن ثمانين سنة.

والنور محمد بن أبي بكر بن خلف البلخي ثم الدمشقي في شهر ربيع الأخر وقد رأى السلفي.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمس أذرع واثنتا عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعا سواء.

السنة السابعة من ولاية الملك المعز أيبك الصالحي النجمي التركماني وهي سنة أربع وخمسين وستمائة.

فيها فتح الملك الناصر صلاح الدين يوسف مدرسته التي أنشأها بدمشق بباب الفراديس.

وفيها غرقت بغداد الغرق العظيم الذي لم يعهد مثله بحيث انتقل الخليفة ودخل الماء إلى دار الوزير وغرقت خزائن الخليفة وجرى شيء لم يجر مثله وكان ذلك في شهر ربيع الآخر وجمادى الأولى.

وفيها توفي الشيخ الزاهد العابد الورع المجاهد عماد الدين عبد الله بن أبي المجد الحسن بن الحسين بن علي الأنصاري ابن النحاس خدم في مبادئ أمره الملوك وولى الوزارة لبعضهم ثم انقطع في آخر عمره بقاسيون بزاويته فأقام بها ثلاثين سنة صائما قائما مشغولا بالله تعالى ويقضي حوائج الناس بنفسه وماله ودفن بقاسيون وكان له مشهد هائل.

وفيها كان ظهور النار العظيمة بالمدينة الشريفة وهي غير التي ذكرناها في السنة الماضية وهذه النار التي تقدم ذكرها في ترجمة الملك المعز هذا.

وفيها احترق مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان وهذا غير النار التي ظهرت بنواحي المدينة فإن هذا الحريق له سبب ابتدأ من زاوية الحرم النبوي الغربية من الشمال فعلقت في آلات الحرم ثم دبت في السقوف فما كان إلا ساعة حتى احترقت سقوف المسجد أجمع ووقع بعض أساطينه وكان ذلك قبل أن ينام الناس واحترق أيضا سقف الحجرة.

وأصبح الناس في يوم الجمعة فعزلوا موضعا للصلاة.

ونظم في حريق المسجد غير واحد من الشعراء فقال معين الدين بن تولو المغربي: الكامل قل للروافض بالمدينة ما لكم يقتادكم للذم كل سفيه ما أصبح الحرم الشريف محرقا إلا لسبكم الصحابة فيه وقال غيره: الكامل لم يحترق حرم النبي لحادث يخشى عليه ولا دهاه العار لكنها أيدي الروافض لامست ذاك الجناب فطهرته النار قال: وعد ما وقع من تلك النار الخارجة وحريق المسجد من جملة الآيات.

وقال أبو شامة: في ليلة السادس عشر من جمادى الآخرة خسف القمر أول الليل وكان شديد الحمرة ثم انجلى وكسفت الشمس في غده احمرت وقت طلوعها وقريب غروبها واتضح بذلك ما صوره الإمام الشافعي من اجتماع الخسوف والكسوف واستبعده أهل النجامة.

وفيها تواترت الأخبار بوصول هولاكو إلى أذربيجان قاصدًا بلاد الشام فتصالح العسكر المصري والشامي على قتاله وتهيأ كل منهم للقاء التتار.

وفيها توفي الأمير مجاهد الدين إبراهيم بن أدنبا الصوابي نائب دمشق وليها بعد حسام الدين بن أبي علي وكان في أول أمره أمير جاندار الملك الصالح نجم الدين أيوب وكان أميرًا كبيرًا عاقلًا فاضلًا شاعرًا.

ومن شعره - رحمه الله تعالى -: مخلع البسيط أشبهك الغصن في خصال القد واللين والتثني لكن تجنيك ما حكاه الغصن يجنى وأنت تجني وفيها توفي الإمام العلامة عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر بن عبد الله بن محمد بن جعفر بن الحسن زكي الدين أبو محمد البغداي ثم المصري المعروف بابن أبي الإصبع.

كان أحد الشعراء المجيدين وهو صاحب التصانيف المفيدة في الأدب وغيره.

ومولده في سنة خمس وقيل سنة تسع وثمانين وخمسمائة بمصر وتوفي بها.

ومن شعره في نوع التصدير وسماه الأوائل رد العجز اصبر على خلق من تصاحبه واصحب صبورا على أذى خلقك وذكر أيضا في نوع المدح في معرض الذم أبياتا يعارض بها القاضي السعيد ابن سناء الملك في قواد.

فقال هو فيمن ادعى الفقه والكرم: السريع إن فلانا أكرم الناس لا يمنع ذا الحاجة من فلسه وهو فقيه ذو اجتهاد وقد نص على التقليد في درسه فيحسن البحث على وجهه ويوجب الدخل على نفسه وأما قول ابن سناء الملك في قواد: السريع لي صاحب أفديه من صاحب حلو التأتي حسن الاحتيال لو شاء من رقة ألفاظه ألف ما بين الهدى والضلال يكفيك منه أنه ربما قاد إلى المهجور طيف الخيال قلت: ويعجبني قول من قال في هذا

المعنى - أعني في قواد -: الوافر إذا ما كان من تهواه غصنًا وأقسم لا يرق لمن يهيم فدونك والنسيم له رسول فإن الغصن يعطفه النسيم لو لم يكن مثل النسيم لطافة ما كان يعطف لي غصون البان وفيها توفي الشيخ الإمام الفقيه الواعظ المؤرخ العلامة شمس اللين أبو المظفر يوسف بن قزأغلي بن عبد الله البغدادي ثم الدمشقي الحنفي سبط الحافظ أبي الفرج بن الجوزي.

كان والده حسام الدين قزأوغلي من مماليك الوزير عون الدين يحيى بن هبيرة وكان عنده بمنزلة الولد رباه وأعتقه وأدبه.

ومولد الشيخ شمس الدين هذا في سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة ببغداد وبها نشأ تحت كنف جده لأمه الحافظ أبي الفرج بن الجوزي إلى أن مات في سنة سبع وتسعين وخمسمائة واشتغل وبرع في عدة علوم ووعظ ببغداد وغيرها وقدم دمشق واستوطنها ونالته السعادة والوجاهة عند الملوك لا سيما الملك المعظم عيسى فإنه كان عنده بالمنزلة العظمى ورحل البلاد وسمع الحديث وجلس للوعظ في الأقطار وكان له لسان حلو في الوعظ والتذكار ولكلامه موقع في القلوب وعليه قابلية من الخاص والعام وله مصنفات مفيدة: تاريخه المسمى مرآة الزمان وهو من أجل الكتب في معناها.

ونقلت منه في هذا الكتاب معظم حوادثه.

وكانت وفاته في ذي الحجة.

رحمه الله تعالى.

وقد استوعبنا ترجمته في تاريخنا المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي بأوسع من هذا إذ هو كتاب تراجم وليس للإطناب في ذكره هنا محل كون أننا شرطنا في هذا الكتاب ألا نطنب إلا في تراجم ملوك مصر الذين تأليف هذا الكتاب بصددهم وما عداهم يكون على سبيل الاختصار في ضمن الحوادث المتعلقة بالمترجم من ملوك مصر.

انتهى.

وفيها توفي الأمير سيف الدين أبو الحسن يوسف بن أبي الفوارس بن موسك القيمري واقف المارستان بجبل الصالحية كان أكبر الأمراء في آخر عمره وأعظمهم مكانة وجميع أمراء الأكراد القيمرية وغيرهم كانوا يتأدبون ويقفون في خدمته إلى أن مات في شعبان وهو أجل الأمراء مرتبة.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي العماد أبو بكر عبد الله بن أبي المجد الحسن بن الحسين الأنصاري ابن النحاس الأصم في المحرم وله اثنتان وثمانون سنة.

والإمام أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمن بن وثيق الإشبيلي المقرئ بالإسكندرية وله سبع وثمانون سنة توفي في شهر ربيع الآخر.

والقاضي أبو بكر محمد بن الحسن بن عبد السلام بن المقدسية السفاقسي آخر من حضر على السلفي في جمادى الأولى.

والمفتي شمس الدين عبد الرحمن بن نوح المقدسي.

والواعظ شمس الدين يوسف بن قزأوغلي سبط ابن الجوزي في ذي الحجة.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربع أذرع وست عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة ثماني عشرة سلطنة المنصور علي بن إيبك التركماني السلطان الملك المنصور نور الدين علي ابن السلطان الملك المعز عز الدين أيبك التركماني الصالحي النجمي ملك الديار المصرية بعد قتل أبيه المعز أيبك في يوم الخميس خامس عشرين شهر ربيع الأول سنة خمس وخمسين وستمائة وتم أمره وخطب له من الغد في يوم الجمعة سادس عشرينه على منابر مصر وأعمالها.

والمنصور هذا هو الثاني من ملوك مصر من الترك بالديار المصرية.

وتسلطن المنصور هذا وعمره خمس عشرة سنة وركب في يوم الخميس ثاني شهر ربيع الآخر بشعار السلطنة من القلعة إلى قبة النصر في موكب هائل ثم عاد ودخل القاهرة من باب النصر وترجل الأمراء ومشوا بين يديه ما خلا الأتابك علم الدين سنجر الحلبي.

ثم صعد المنصور إلى القلعة وجلس بدار السلطنة ومد السماط للأمراء فأكلوا ووزر له وزير أبيه شرف الدين الفائزي وانفض الموكب.

وفي يوم الجمعة ثالث شهر ربيع الآخر خطب للملك المنصور وبعده لأتابكه علم الدين سنجر الحلبي المذكور.

وفوض القضاء بالقاهرة وأعمالها إلى القاضي بدر الدين السنجاري وعزل تاج وفي عاشر شهر ربيع الأخر قبض الأمير قطز وسنجر الغتمي وبهادر وغيرهم من الأمراء المعزية على الأتابك سنجر الحلبي وأنزلوه إلى الجب بالقلعة وكان القبض عليه لأمور: أحدها أنه كان طمع في السلطنة بعد قتل الملك المعز أيبك لما طلبته شجرة الدر وعرضت عليه الملك والثاني أنه بلغهم أنه ندم على ترك الملك وهو في عزم الوثوب.

فعاجلوه وقبضوا عليه.

ولما قبض عليه اضطربت خشداشيته من المماليك الصالحية النجمية وخاف كل أحد على نفسه فهرب أكثرهم إلى جهة الشام فخرج في إثرهم جماعة من الأمراء المعزية وغيرهم وتقنطر بالأمير عز الدين أيبك الحلبي الكبير فرسه وكذلك الأمير خاص ترك الصغير فهلكا خارج القاهرة وادخلا ميتين وكانوا ركبوا في جماعة من المماليك الصالحية في قصد الشام أيضا.

واتبع العسكر المهزومين إلى الشام فقبض على أكثرهم وحملوا إلى القلعة واعتقلوا بها.

وقبض أيضًا على الوزير شرف الدين الفائزي.

وفوض أمر الوزارة إلى القاضي بدر الدين يوسف السنجاري مضافًا إلى القضاء وأخذ موجود الفائزي وكان له مال كثير.

ثم قبض على بهاء الدين علي بن حنا وزير شجرة الدر وأخذ خطه بستين ألف دينار.

ثم خلع الملك المنصور على الأمير أقطاي المستعرب باستقراره أتابكا عوضًا عن سنجر الحلبي.

ثم في شهر رجب رفعت يد القاضي بحر الدين السنجاري من الوزارة وأضيف إليه قضاء
ثم في شعبان كثرت الأراجيف بين الناس بأن الأمراء والأجناد اتفقوا على إزالة حكم
مماليك الملك المعز من الدولة وأن الملك المنصور تغير على الأمير سيف الدين قطز
المعزي واجتمع الأمراء في بيت الأمير بهاء الدين بغدي الأشرفي مقدم الحلقة وتكلموا
إلى أن صلح الأمر بين الملك المنصور وبين مملوك أبيه الأمير قطز.

وخلع عليه وطيب قلبه ثم وقع الكلام أيضًا من المعزية وغيرهم.

فلما كان رابع شهر رمضان ركب الأمير بغدي وبدر الدين بلغان وانضاف إليهما جماعة
ووقفوا بآلة الحرب فخرج إليهم حاشية السلطان فقاتلوهم وهزموهم وقبضوا على بغدي
بعد أن جرح وعلى بلغان وحملا إلى القلعة ودخلت المعزية إلى القاهرة فقبضوا على
الأمير عز الدين أيبك الأسمر وأرزن الرومي وسابق الدين بوزنا الصيرفي وغيرهم من
المماليك الأشرفية ونهبت دورهم فاضطربت القاهرة حتى نودي بالأمان لمن دخل في
الطاعة وسكن الناس وركب السلطان الملك المنصور في خامس شهر رمضان وشق
القاهرة وفي خدمته الأمير قطز وباقي مماليك أبيه ثم نزل أيضًا في عيد الفطر وصلى
بالمصفى.

وركب وعاد إلى القلعة ومد السماط.

ثم ورد كتاب الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب الشام وحلب على الملك المنصور
بمفارقة البحرية والصالحية له - أعني الأمراء والمماليك الذين خرجوا من القاهرة بعد
القبض على علم الدين سنجر الحلبي المقدم ذكره -.

فلما وقف المصريون على الكتاب ظنوا أن ذلك خديعة من الملك الناصر فاحترزوا
لأنفسهم.

ثم جهز المنصور عسكرا من المماليك والأمراء ومقدمهم الدمياطي إلى الشام فتوجهوا
ونزلوا بالعباسة فوردت الأخبار على السلطان الملك المنصور بأن عساكر الملك الناصر
وصلت إلى نابلس لقتال البحرية الذين قدموا عليه من مصر ثم فارقوه وكان البحرية
نازلين بغزة ثم وردت الأخبار بأن البحرية وكان مقدم البحرية بلبان الرشيدي وبيبرس
البندقداري خرجوا من غزة وكبسوا عسكر الملك الناصر وقتلوا منهم جماعة كثيرة ليلا.

ثم ورد الخبر ثانيا بأن عسكر الملك الناصر كسروا البحرية وأن البحرية انحازوا إلى ناحية
زغر من الغور.

ثم ورد الخبر أيضا بمجيء البحرية إلى جهة القاهرة طائعين للسلطنة فقدم منهم الأمير
عز الدين أيبك الأفرم ومعه جماعة فتلقوا بالإكرام وأفرج عن أملاك الأفرم وأرزاقه ونزل
بداره بمصر.

ثم بلغ السلطان أن البحرية - أعني الذي بقي منهم - رحلوا من زغر طالبين بعض
الجهات فاتضح من أمرهم أنهم خرجوا من دمشق على حمية وأنهم قصدوا القدس
الشريف ومقطع القدس يوم ذاك سيف الدين كبك من جهة الملك الناصر يوسف صاحب
الشام وحلب فطلبوا منه البحرية أن يكون معهم فامتنع فاعتقلوه وخطبوا بالقدس للملك
المغيث بن العادل بن الكامل بن العادل بن أيوب.

ثم جاؤوا إلى غزة وقبضوا على واليها - أعني نائبها - وأخذوا حواصل الملك الناصر من
غزة.

والقدس وغيرهما.

ثم إنهم أطمعوا الملك المغيث صاحب الكرك في ملك مصر وقالوا له: هذا ملك أبيك وجدك وعمك ثم عزموا على قصد الديار المصرية فجاء الخبر إلى مصر بذلك فخرج إليهم العسكر المصري واجتمعوا بالصالحية وأقاموا بها فلما كان سحر ليلة السبت منتصف في القعدة وصلت البحرية بمن معهم من عسكر الملك المغيث ووقعت الحرب بين الفريقين واشتد القتال بينهم وجرح جماعة والمصريون مع ذلك يزدادون كثرة وطلعت الشمس فرأت البحرية كثرة المصريين فانهزموا وأسر منهم بلبان الرشيدي وبه جراحات وهو من كبار القوم وهرب بيبرس البندقداري وبدر الصوابي إلى الكرك وبعض البحرية دخل في العسكر المصري ودخل العسكر المصري القاهرة وزين البلد لهذا النصر وفرح الملك المنصور والأمير قطز بذلك.

وأما البحرية فإنهم توجهوا إلى الملك المغيث صاحب الكرك وحسنوا له أن يركب ويجيء معهم لأخذ مصر فأصغى لهم وتجهز وخرج بعساكره من الكرك في أول سنة ست وخمسين وستمائة وسار حتى قدم غزة وأمر البحرية راجع إلى بيبرس البندقداري.

فلما بلغ ذلك المصريين خرج الأمير سيف الدين قطز بعساكر مصر ونزل بالعباسة.

فلما تكامل عسكره سار منه قاصدا الشاميين.

وخرج الملك المغيث من غزة إلى الرمل فالتقى بالعسكر المصري وتقاتلا قتالًا شديدًا في يوم الثلاثاء الحادي والعشرين من شهر ربيع الآخر فانكسر الملك المغيث بمن معه من البحرية وقبض على جماعة كثيرة من المماليك البحرية الصالحية وهم: الأمير عز الدين أيبك الرومي وعز الدين أيبك الحموي وركن الدين الصيرفي وابن أطلس خان الخوارزمي وجماعة كثيرة فاحضروا بين يدي الأمير سيف الدين قطز والأمير الغتمي والأمير بهادر المعزية فأمروا بضرب أعناقهم فضربت وحملت رؤوسهم إلى القاهرة وعلقت بباب زويلة ثم أنزلت من يومها لما أنكر قتلهم على المعزية بعض أمراء مصر واستشنع ذلك.

وأما الملك المغيث فإنه هرب هو والطواشي بدر الصوابي وبيبرس البندقداري ومن معهم ووصلوا إلى الكرك في أسوأ حال بعد أن نهب ما كان معهم من الثقل والخيام والسلاح وغير ذلك وأقاموا بالكرك وبينما هم في ذلك أرسل الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب الشام جيشا مقدمه الأمير مجير الدين إبراهيم بن أبي بكرم بن أبي زكري والأمير نور الدين علي بن الشجاع الأكتع في طلب البحرية وخرجت البحرية لما بلغهم ذلك إلى غزة والتقوا مع العسكر الشامي وتقاتلوا فانكسر العسكر الشامي وقبض على مجير الدين ونور الدين وحملوهما البحرية إلى الكرك وقوي أمر البحرية بهذه الكسرة واشتدوا.

وأما الملك الناصر لما بلغه كسر عسكره تجهز وخرج بنفسه لقتال البحرية وضرب دهليزه قبلي دمشق.

فلما بلغ البحرية ذلك توجهوا نحو دمشق وضربوا أطراف عساكر الملك الناصر وخف بيبرس البندقداري حتى إنه أتى في بعض الأيام وقطع أطناب خيمة الملك الناصر المضروبة وذلك قبل خروج الناصر من دمشق.

وبينما الناس في ذلك ورد الخبر بأخذ التتار لبغداد وقتل هولاكو الخليفة المستعصم بالله وإخراب بغداد.

سقوط بغداد بأيدي المغول قلت: نذكر سبب أخذ هولاكو لبغداد ثم نعود إلى أمر المصريين والشاميين والبحرية.

فأما أمر هولاكو فإنه هولاكو وقيل: هولاو بن تولي خان بن جنكزخان المغلي.

ولي الملك بعد موت أبيه تولي قان واتسعت ممالكه وعظم أمره وكثرت جيوشه من المغل والتتار ولا زال أمره في زيادة حتى ملك مدينة ألموت وقتل متوليها شمس الشموس وأخذ بلاده ثم أخذ الروم وأبقى بها ركن الدين كيقباد بن غياث الدين كيخسرو صورة بلا معنى والحكم والتصرف لغيره.

وكان وزير الخليفة المستعصم بالله مؤيد الدين بن العلقمي ببغداد وكان رافضيًا خبيثًا حريصًا على زوال الدولة العباسية ونقل الخلافة إلى العلويين يدبر ذلك في الباطن ويظهر للخليفة المستعصم خلاف ذلك ولا زال يثير الفتن بين أهل السنة والرافضة حتى تجالدوا بالسيوف وقتل جماعة من الرافضة ونهبوا فاشتكى أهل باب البصرة إلى الأمير مجاهد الدين الدوادار وللأمير أبي بكر ابن الخليفة فتقدما إلى الجند بنهب الكرخ فركبوا من وقتهم وهجموا على الرافضة بالكرخ وقتلوا منهم جماعة وارتكبوا معهم العظائم فخنق الوزير ابن العلقمي ونوى الشر في الباطن وأمر أهل الكرخ الرافضة بالصبر والكف عن القتال وقال لهم: أنا أكفيكم فيهم.

وكان الخليفة المستنصر بالله قد استكثر من الجند قبل موته حتى بلغ عدد عسكره مائة ألف.

وكان الوزير ابن العلقمي مع ذلك يصانع التتار في الباطن ويكاتبهم ويهاديهم فلما استخلف المستعصم بعد موت أبيه المستنصر وكان المستعصم خليًا من الرأي والتدبير فأشار عليه ابن العلقمي المذكور بقطع أرزاق أكثر الجند وأنه بمصانعة التتار وإكرامهم يحصل بذلك المقصود ولا حاجة لكثرة الجند ففعل الخليفة ذلك! قلت: وكلمة الشيخ مطاعة! ثم إن الوزير بعد ذلك كاتب التتار وأطمعهم في البلاد سرًا وأرسل إليهم غلامه وأخاه وسهل عليهم فتح العراق وأخذ بغداد وطلب منهم أن يكون نائبهم بالبلاد فوعدوه بذلك وتأهبوا لقصد بغداد وكاتبوا لؤلؤا صاحب الموصل في تهيئة الإقامات والسلاح فكاتب لؤلؤ الخليفة سرًا وحذره ثم هيأ لهم الآلات والإقامات.

وكان الوزير ابن العلقمي المذكور ليس لأحد معه كلام في تدبير أمر الخليفة فصار لا يوصل مكاتبات لؤلؤ ولا غيره للخليفة وعمى عنه الأخبار والنصائح فكان يقرؤها هو ويجيب عنها بما يختار فنتج أمر التتار بذلك غاية النتاج وأخذ أمر الخليفة والمسلمين في إدبار! وكان تاج الدين بن صلايا نائب الخليفة بإربل حذر الخليفة وحرك عزمه والخليفة لا يتحرك ولا يستيقظ فلما تحقق الخليفة حركة التتار نحوه سير إليهم شرف الدين بن محيي الدين بن الجوزي رسولًا يعدهم بأموال عظيمة ثم سير مائة رجل إلى الدربند يكونون فيه يطالعون الخليفة بالأخبار فمضوا فلم يطلع لهم خبر لأن الأكراد الذين كانوا هناك دلوا التتار عليهم فهجموا عليهم وقتلوهم أجمعين.

ثم ركب هولاكو بن تولي خان بن جنكزخان في جيوشه من المغل والتتار وقصدوا العراق وكان على مقدمته الأمير بايجونوين وفي جيشه خلق من أهل الكرخ الرافضة ومن عسكر بركة خان ابن عم هولاكو ومدد من صاحب الموصل مع ولده الملك الصالح ركن الدين إسماعيل فوصلوا قرب بغداد واقتتلوا من جهة البر الغربي عن دجلة فخرج عسكر بغداد وعليهم ركن الدين الدوادار فالتقوا على نحو مرحلتين من بغداد فانكسر البغداديون وأخذتهم السيوف وغرق بعضهم في الماء وهرب الباقون.

ثم ساق بايجونوين مقدمة هولاكو فنزل القرية مقابل دار الخلافة وبينه وبينها دجلة لا غير.

وقصد هولاكو بغداد من البر الشرقي وضرب سورا وخندقا على عسكره وأحاط ببغداد فأشار الوزير ابن العلقمي على الخليفة المستعصم بالله بمصانعتهم.

وقال له: أخرج إليهم أنا في تقرير الصلح فخرج إليهم واجتمع بهولاكو وتوثق لنفسه ورد إلى الخليفة وقال: إن الملك قد رغب في أن يزوج بنته بابنك الأمير أبي بكر ويبقيك على منصب الخلافة كما أبقى صاحب الروم في سلطنته ولا يطلب إلا أن تكون الطاعة له كما كان أجدادك مع السلاطين السلجوقية وينصرف هو عنك بجيوشه فتجيبه يا مولانا أمير المؤمنين لهذا فإن فيه حقن دماء المسلمين ويمكن أن تفعل بعد ذلك ما تريد والرأي أن تخرج إليه فسمع له الخليفة وخرج إليه في جمع من الأعيان من أقاربه وحواشيه وغيرهم.

فلما توجه إلى هولاكو لم يجتمع به هولاكو وأنزل في خيمة ثم ركب الوزير وعاد إلى بغداد بإذن هولاكو واستدعى الفقهاء والأعيان والأماثل ليحضروا عقد بنت هولاكو على ابن الخليفة فخرجوا من بغداد إلى هولاكو فأمر هولاكو بضرب أعناقهم ثم مد الجسر ودخل بايجونوين بمن معه إلى بغداد وبذلوا السيف فيها واستمر القتل والنهب والسبي في بغداد بضعة وثلاثين يوما فلم ينج منهم إلا من اختفى.

ثم أمر هولاكو بعد القتلى فبلغوا ألف ألف وثمانمائة ألف وكسرًا.

وقال الذهبي - رحمه الله - في تاريخ الإسلام: والأصح أنهم بلغوا ثمانمائة ألف.

ثم نودي بعد ذلك بالأمان فظهر من كان اختفى وهم قليل من كثير.

وأما الوزير ابن العلقمي فلم يتم له ما أراد وما اعتقد أن التتار يبذلون السيف مطلقا في أهل السنة والرافضة معًا وراح مع الطائفتين أيضا أمم لا يحصون كثرة وذاق ابن العلقمي الهوان والذل من التتار ولم تطل أيامه بعد ذلك كما سيأتي ذكره.

ثم ضرب هولاكو عنق مقدم جيشه بايجونوين لأنه بلغه عنه من الوزير ابن العلقمي أنه كاتب الخليفة المستعصم لما كان بالجانب الغربي.

وأما الخليفة فيأتي ذكره في الحوادث على عادة هذا الكتاب في محله غير أننا نذكره هنا على سبيل الاستطراد.

ولما تم أمر هولاكو طلب الخليفة وقتله خنقا.

وقيل غم في بساط وقيل جعله هو وولده في عدلين وأمر برفسهما حتى ماتا.

ثم قتل الأمير مجاهد الدين الدوادار والخادم إقبال الشرابي صاحب الرباط بحرم مكة والأستادار محيي الدين بن الجوزي وولداه وسائر الأمراء الأكابر والحجاب والأعيان.

وانقضت الخلافة من بغداد وزالت أيامهم من تلك البلاد وخربت بغداد الخراب العظيم وأحرقت كتب العلم التي كانت بها من سائر العلوم والفنون التي ما كانت في الدنيا قيل: إنهم بنوا بها جسرًا من الطين والماء عوضًا عن الآجر وقيل غير ذلك.

وكانت كسرة الخليفة يوم عاشوراء من سنة ست وخمسين وستمائة المذكورة ونزل هولاكو بظاهر بغداد في عاشر المحرم وبقي السيف يعمل فيها أربعة وثلاثين يومًا وآخر

جمعة خطب الخطيب ببغداد كانت الخطبة: الحمد لله الذي هدم بالموت مشيد الأعمار وحكم بالفناء على أهل هذه الدار إلى أن قال: اللهم أجرنا في مصيبتنا التي لم يصب الإسلام وأهله بمثلها وإنا لله وإنا إليه راجعون.

ثم عمل الشعراء والعلماء قصائد في مراثي بغداد وأهلها وعمل الشيخ تقي الدين إسماعيل ابن إبراهيم بن أبي اليسر شاكر بن عبد الله التنوخي قصيدته المشهورة وهي: البسيط لسائل الدمع عن بغداد أخبار فما وقوفك والأحباب قد ساروا يا زائرين إلى الزوراء لا تفدوا فما بذاك الحمى والدار ديار تاج الخلافة والربع الذي شرفت به المعالم قد عفاه إقفار أضحى لعطف البلى في ربعه أثر وللدموع على الآثار آثار يا نار قلبي من نار لحرب وغى شبت عليه ووافي الربع إعصار علا الصليب على أعلى منابرها وقام بالأمر من يحويه زنار ومنها: وكم بدور على البدرية انخسفت ولم يعد لبدور منه إبدار وكم ذخائر أضحت وهي شائعة من النهاب وقد حازته كفار وكم حدود أقيمت من سيوفهم على الرقاب وحطت فيه أوزار ومنها: وهم يساقون للموت الذي شهدوا النار يا رب من هذا ولا العار يا للرجال بأحداث تحدثنا بما غدا فيه إعذار وإنذار من بعد أسر بني العباس كلهم فلا أنار لوجه الصبح إسفار ما راق لي قط شيء بعد بينهم إلا أحاديث أرويها وآثار لم يبق للدين والدنيا وقد ذهبوا سوق لمجد وقد بانوا وقد باروا إن القيامة في بغداد قد وجدت وحدها حين للإقبال إدبار آل النبي وأهل العلم قد سبيوا فمن ترى بعدهم تحويه أمصار ما كنت آمل أن أبقى وقد ذهبوا لكن أبى دون ما أختار أقدار وهي أطول من ذلك.

وجملة القصيدة ستة وستون بيتا.

وقال غيره في فقد الخلافة من بغداد بيتًا مفردًا وأجاد: الكامل خلت المنابر والأسرة منهم فعليهم حتى الممات سلام انتهى ذكر بغداد هنا ولا بد من ذكر شيء منها أيضا في الحوادث.

يوسف صاحب الشام بعساكر في أثر البحرية فاندفعوا البحرية أمامه إلى الكرك فسار الناصر حتى نزل بركة زيزاء ليحاصر الكرك وصحبته الملك المنصور صاحب حماة فأرسل الملك المغيث عمر بن العادل بن الكامل صاحب الكرك رسله إلى الملك الناصر يطلب الصلح وكان مع رسله الدار القطبية ابنة الملك المفضل قطب الدين بن العادل وهي من عمات الناصر والمغيث يتضرعون إلى الناصر ويطلبون الصلح ورضاه على ابن المغيث فشرط عليه الناصر أن يقبض على من عنده من البحرية فأجاب إلى ذلك وقبض وجهزهم إلى الملك الناصر على الجمال وهو نازل ببركة زيزاء.

فحملهم الملك الناصر إلى حلب واعتقلهم بقلعتها ما خلا الأمير بيبرس البندقداري فإنه لما أحس بما وقع عليه الصلح هرب من الكرك في جماعة من البحرية وأتى إلى الملك الناصر صلاح الدين المذكور داخلًا تحت طاعته فأكرمه الملك الناصر وأكرم رفقته إكرامًا زائدًا وعاد الناصر إلى دمشق وفي خدمته الأمير ركن الدين بيبرس البندقداري وغيره من البحرية.

وأما المصريون فإنه لما بلغ الملك المنصور عليًا والأمير قطز المعزي ما وقع للبحرية فرحًا فرحًا زائدًا وزينت مصر أياما لذلك وصفا الوقت للأمير قطز.

وبينما هو في ذلك ورد الخبر عليه بنزول هولاكو على مدينة آمد من ديار بكر وأنه في قصد البلاد الشامية وأن هولاكو بعث رسله إلى الملك السعيد نجم الدين إيلغاري صاحب ماردين يستدعيه إلى طاعته وحضرته فسير إليه الملك السعيد ولده الملك المظفر قرا أرسلان وقاضي القضاة مهذب الدين محمد بن مجلي والأمير سابق الدين بلبان وعلى أيديهم هدية وحملهم رسالة تتضمن الاعتذار عن الحضور بمرض منعه الحركة.

ووافق وصولهم إلى هولاكو أخذه لقلعة اليمانية وإنزاله من بها من حريم صاحب ميافارقين وأولاده وأقاربه وهم: ولده الملك الناصر صلاح الدين يوسف جفتاي وولده الملك السعيد عمر وابن أخيه الملك الأشرف أحمد وولده الملك المشهر ابن تاج الملوك علي ابن الملك العادل وكان ينعت بالملك الصالح نجم الدين أيوب فأدوا الرسالة فقال هولاكو: ليس مرضه بصحيح وإنما هو يتمارض مخافة الملك الناصر صاحب الشام فإن انتصرت عليه اعتذر لي بزيادة المرض وإن انتصر علي كانت له اليد البيضاء عنده ثم قال: ولو كان للملك الناصر قوة يدفعني لم يمكني من دخول هذه البلاد وقد بلغني أنه بعث حريمه إلى مصر ثم أمر برد القاضي وحده فرد القاضي وأخبر الملك السعيد بالجواب.

وأما هولاكو فإنه لازال يأخذ بلدًا بعد أخرى إلى أن استولى على حلب والشام واضمحل أمر الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب الشام بعد أمور ووقائع وقعت له وانفل عنه أصحابه.

فلما وقع ذلك فارقه الأمير بيبرس البندقداري وقدم إلى مصر ومعه جماعة من البحرية طائعًا للملك المنصور هذا فأكرمه قطز وأكرم رفقته وصاروا الجميع من عساكر مصر على العادة أولًا.

يأتي تفصيل ذلك في ترجمة الملك المظفر قطز.

إن شاء الله تعالى.

ولما استفحل أمر قطز بديار مصر وصار هو المشار إليه فيها لصغر السلطان الملك المنصور علي ولكثرة حواشي قطز المذكور ثم تحقق قطز مجيء التتار إلى البلاد الشامية وعلم أنه لا بد من خروجه من الديار المصرية بالعساكر للذب عن المسلمين فرأى أنه لا يقع له ذلك فإن الآراء مغلولة لصغر السلطان ولاختلاف الكلمة فجمع قطز كمال الدين بن العديم الحنفي وغيره من الأعيان والأمراء بالديار المصرية وعرفهم أن الملك المنصور هذا صبي لا يحسن التدبير في مثل هذا الوقت الصعب ولا بد أن يقوم بأمر الملك رجل شهم يطيعه كل أحد وينتصب للجهاد في التتار فأجابه الجميع: ليس لها غيرك! وكان قطز قبل ذلك قد قبض على الملك المنصور علي هذا وعوقه بالدور السلطانية فخلع الملك المنصور في الحال من الملك وبويع الأمير قطز ولقب بالملك المظفر سيف الدين قطز واعتقل الملك المنصور ووالدته بالدور السلطانية من قلعة الجبل وحلف قطز الناس لنفسه وتم أمره وذلك في يوم السبت سابع عشر في القعدة سنة سبع وخمسين وستمائة.

وكانت مدة الملك المنصور في السلطنة بالديار المصرية سنتين وسبعة أشهر واثنين وعشرين يومًا وبقي معتقلًا سنين كثيرة إلى أن تولى الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري فنفاه هو ووالدته وأخاه ناصر الدين قاقان إلى بلاد الأشكري في ذي القعدة سنة ثمان وخمسين وستمائة.

قلت: والملك المظفر قطز هذا هو أول مملوك خلع ابن أستاذه من الملك وتسلطن عوضه ولم يقع ذلك قبله من أحد من الملوك.

وتمت هذه السنة السيئة في حاصد إلى يوم القيامة.

وبهذه الواقعة فسدت أحوال مصر.

السنة الأولى من سلطنة المنصور علي ابن الملك المعز

أيبك التركماني على مصر وهي سنة خمس وخمسين وستمائة على أن والده الملك المعز حكم فيها نحوًا من ثلاثة أشهر.

فيها أرسل الملك الناصر يوسف صاحب الشام ولده الملك العزيز بهدية إلى هولاكو ملك التتار وطاغيتهم.

وفيها قتلت الملكة شجرة الدر الملك المعز أيبك ثم قتلت هي أيضا.

وقد تقدم ذكر ذلك كل واحد على حدته في ترجمته من هذا الكتاب فلا حاجة إلى الإعادة.

وفيها توفي الأمير عز الدين أيبك بن عبد الله الحلبي الكبير كان من أعيان المماليك الصالحية النجمية وممن يضاهي الملك المعز أيبك التركماني في موكبه وكانت له المكانة العظمى في الدولة كان الأمراء يعترفون له بالتقدم عليهم وكان له عدة مماليك نجباء صاروا من بعده أمراء منهم: ركن الدين إياجي الحاجب وبدر الدين بيليك الجاشنكير وصارم الدين أزبك الحلبي وغيرهم.

ولما قتل الملك المعز أيبك التركماني حدثته نفسه بالسلطنة فلما قبض قطز على الأمير سنجر الحلبي ركب أيبك هذا ومعه الأمراء الصالحية فتقنطر به فرسه فهلك خارج القاهرة وأدخل إليها ميتًا وكذلك وقع للأمير خاص ترك.

وقد تقدم ذكر ذلك في ترجمة الملك المنصور.

وفيها توفي الشيخ الإمام العلامة نجم الدين أبو محمد عبد الله بن محمد بن الحسن بن عبد الله البغدادي البادرائي ولد سنة أربع وتسعين وخمسمائة وسمع الكثير وتفقه وبرع وأفتى ودرس وترسل عن الخليفة إلى ملوك الشام ومصر غير مرة إلى هذه السنة ولي قضاء القضاة ببغداد.

ومات في سلخ ذي القعدة.

وفيها توفي الشيخ الأديب أبو الحسن علي بن محمد بن الرضا الموسوي الحسيني الشريف المعروف بابن دفتر خوان.

ولد سنة تسع وثمانين بحماة وكان فاضلًا وله تصانيف وشعر جيد من ذلك قوله: الطويل إذا لمت قلبي قال عيناك أبصرت وإن لمت عيني قالت الذنب للقلب فعيني وقلبي قد تشاركن في دمي فيا رب كن عوني على العين والقلب وفيها توفيت الصاحبية غازية خاتون بنت الملك الكامل محمد ابن العادل أبي بكر بن أيوب والدة الملك المنصور صاحب حماة.

كانت صالحة دينة دبرت ملك ولدها المنصور بعد وفاة زوجها الملك المظفر أحسن تدبير وهي والدة الملك الأفضل نور الدين أبي الحسن علي أيضًا.

وكانت وفاتها في أواخر في القعدة أو في ذي الحجة من السنة.

وفيها توفي الشيخ الإمام العالم العلامة المقرئ أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم بن فيره بن خلف الرعيني الشاطبي الأصل المصري المولد والدار الضرير راوي القصيدة المشهورة في القراءات التي لم يسبق إلى مثلها التي سماها حرز الأماني ووجه التهاني.

ومولده في حادي عشر في الحجة سنة ست أو سبع وسبعين وخمسمائة بمصر وتوفي بها في حادي عشر شوال ودفن من يومه بسفح المقطم ولم يخلف بعده مثله.

وكان الشيخ كثيرًا ما ينشد هذا اللغز وهو نعش الموتى واللغز المذكور للخطيب أبي زكريا يحيى بن سلامة الحصكفي وهو: الطويل أتعرف شيئا في السماء نظيره إذا سار صاح الناس حين يسير فتلقاه مركوبًا وتلقاه راكبًا وكل أمير يعتليه أسير يحض على التقوى وتكره قربه وتنفر منه النفس وهو نذير وفيها توفي الوزير الصاحب شرف الدين هبة الله بن صاعد الفائزي كان أولًا نصرانيًا يلقب بالأسعد وهو منسوب بالفائزي إلى الملك الفائز إبراهيم ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب ثم أسلم وتنقل في الخدم حتى ولي الوزارة.

وكان عنده رياسة ومكارم وعقل وحسن تدبير وخدم عدة ملوك وكان محظوظًا عندهم وهو الذي هجاه الصاحب جمال الدين يحيى بن مطروح وقيل بهاء الدين زهير بقوله: مجزوء الخفيف لعن الله صاعدا وأباه فصاعدا وبنيه فنازلا واحدا ثم واحدا وفيها توفي أبو الحسن المغربي الميورقي الشيخ نور الدين.

كان من أقارب الميورقي الملك المشهور ببلاد الغرب مات بدمشق ودفن بقاسيون وكان فاضلًا أديبًا شاعرًا.

ومن شعره من أبيات: البسيط القضب راقصة والطير صادحة والستر مرتفع والماء منحدر وقد تجلت من اللذات أوجهها لكنها بظلال الدوح تستتر فكل واد به موسى يفجره وكل روض على حافاته الخضر قلت: وهذا يشبه قول من قال في مليح حليق: الرمل مرت الموسى على عارضه فكأن الماء بالآس غمر الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي المحدث أبو محمد عبد الرحمن بن أبي الفهم اليلداني في شهر ربيع الأول وله سبع وثمانون سنة.

والإمام شرف الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن أبي الفضل السلمي المرسي في نصف شهر ربيع الأول وله ست وثمانون سنة.

والإمام نجم الدين أبو محمد عبد الله بن أبي الوفاء البادرائي الشافعي في ذي القعدة ببغداد.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربع أذرع وخمس وعشرون إصبعا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وسبع عشرة إصبعا.

السنة الثانية من سلطنة المنصور علي ابن الملك المعز أيبك على مصر وهي سنة ست وخمسين وستمائة.

فيها استولى الطاغية هولاكو على بغداد وقتل الخليفة المستعصم بالله ومعظم أهل بغداد وقد تقدم ذلك.

وفيها كان الوباء العظيم بدمشق وغيرها.

وفيها توفي الأديب البارع شرف الدين أبو الطيب أحمد بن محمد بن أبي الوفا الربعي الموصلي المعروف بابن الحلاوي الشاعر المشهور كان من أحسن الناس صورة وألطفهم أخلاقا مع الفضيلة التامة ورحل البلاد ومدح الخلفاء والملوك وخدم الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤًا صاحب الموصل ولبس زي الجند.

وشعره في نهاية الرقة والجزالة وهو صاحب القصيدة التي أولها: الطويل حكاه من الغصن الرطيب وريقه وما الخمر إلا وجنتاه وريقه هلال ولكن أفق قلبي محله غزال ولكن سفح عيني عقيقه وأسمر يحكي الأسمر اللدن قده غدا راشقا قلب المحب رشيقه على خده جمر من الحسن مضرم يشب ولكن في فؤادي حريقه أقر له من كل حسن جليله ووافقه من كل معنى دقيقه بديع التثني راح قلبي أسيره على أن دمعي في الغرام طليقه على سالفيه للعذار جريرة وفي شفتيه للسلاف عتيقه يهدد منه الطرف من ليس خصمه ويسكر منه الريق من لا يذوقه على مثله يستحسن الصب هتكه وفي حبه يجفو الصديق صديقه من الترك لا يصبيه وجد إلى الحمى ولا ذكر بانات الغوير تشوقه ولا بات صبًا بالفريق وأهله ولكن إلى خاقان يعزى فريقه له مبسم ينسي المدام بريقه ويخجل نوار الأقاحي بريقه تداويت من حر الغرام ببرده فأضرم من ذاك الحريق رحيقه إذا خفق البرق اليماني موهنا تذكرته فاعتاد قلبي خفوقه حكى وجهه بدر السماء فلو بدا مع البدر قال الناس هذا شقيقه رآني خيالًا حين وافى خياله فأطرق من فرط الحياء طروقه فأشبهت منه الخصر سقمًا فقد غدا يحملني كالخصر ما لا أطيقه فما بال قلبي كل حب يهيجه وحتام طرفي كل حسن يروقه فهذا ليوم البين لم تطف ناره وهذا لبعد الدار ما جف موقه ولله قلبي ما أشد عفافه وإن كان طرفي مستمرًا فسوقه فما فاز إلا من يبيت صبوحه شراب ثناياه ومنها غبوقه وفيها توفي الأمير بكتوت بن عبد الله سيف الدين العزيزي أستادار الملك الناصر صلاح الدين وفيها توفي الملك الناصر أبو المظفر وقيل أبو المفاخر داود صاحب الكرك ابن الملك المعظم عيسى صاحب الشام ابن الملك العادل أبي بكر صاحب مصر ابن الأمير نجم الدين أيوب.

مولده في جمادى الآخرة سنة ثلاث وستمائة ووقع له أمور وحوادث ومحن تكرر ذكرها في عدة تراجم من هذا الكتاب.

وكان تغلب على الشام بعد موت عمه الملك الكامل محمد وقدم مصر بعد ذلك غير مرة وتوجه إلى الشرق ووقع له أمور يطول شرحها إلى أن مات في جمادى الأولى.

وكان ملكًا شجاعًا مقدامًا فاضلًا أديبًا شاعرًا وقد تقدم من شعره عدة أبيات يستعطف بها الملك الصالح نجم الدين أيوب في ترجمة الملك الصالح المذكور.

ومن شعره أيضا: الطويل لئن عاينت عيناي أعلام جلق وبان من القصر المشيد قبابه تيقنت أن البين قد بان والنوى نأى شحطها والعيش عاد شبابه وفيها توفي العلامة المفتن أبو الفضل وقيل أبو العلاء بهاء الدين زهير بن محمد بن علي بن يحيى بن الحسن بن جعفر بن المنصور بن عاصم الأزدي المكي القوصي المنشأ المصري الدار الكاتب الشاعر المشهور المعروف بالبهاء زهير صاحب الديوان المشهور.

مولده بوادي نخلة بقرب مكة في خامس ذي الحجة سنة إحدى وثمانين وخمسمائة وربي بصعيد مصر بقوص وقرأ الأدب وسمع الحديث وبرع في النظم والنثر والترسل وله الشعر الرائق الفائق وكان رئيسا فاضلًا حسن الأخلاق اتصل بخدمه الملك الصالح نجم الدين أيوب في حياة أبيه الملك الكامل ودام في خدمته إلى أن توفي.

وقد تقدم من ذكره في ترجمة الملك الصالح نبذة جيدة.

وكانت وفاة البهاء زهير هذا في يوم الأحد قبل المغرب رابع ذي القعدة وقيل خامسه.

ومن شعره - رحمه الله -: الطويل ولما جفاني من أحب وخانني حفظت له الود الذي كان ضيعا ولو شئت قابلت الصدود بمثله ولكنني أبقيت للصلح موضعا وقد كان ما قد كان بيني وبينه أكيدًا ولكني رعيت وما رعى سعى بيننا الواشي ففرق بيننا لك الذنب يا من خانني لا لمن سعى ومن شعره أيضا قصيدته التي أولها: الطويل رويدك قد أفنيت يا بين أدمعي وحسبك قد أحرقت يا شوق أضلعي إلى كم أقاسي لوعة بعد لوعة وحتى متى يا بين أنت معي معي وقالوا علمنا ما جرى منك بعدنا فلا تظلموني ما جرى غير أدمعي وفيها توفي الإمام الحافظ الحجة أبو محمد زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله بن سلامة بن سعد بن سعيد المنذري الدمشقي الأصل المصري المولد والدار والوفاة.

ولد سنة إحدى وثمانين وخمسمائة وسمع الكثير ورحل وكتب وصنف وخرج وأملى وحدث بالكثير وتخرج به جماعة وهو أحد الحفاظ المشهورين.

وفيها توفي الخليفة أمير المؤمنين المستعصم بالله أبو أحمد عبد الله ابن الخليفة المستنصر بالله منصور ابن الخليفة الظاهر بأمر الله محمد ابن الخليفة الناصر لدين الله أبي العباس أحمد ابن الخليفة المستضيء بالله أبي الحسن ابن الخليفة المستنجد بالله أبي المظفر يوسف ابن الخليفة المقتفي بالله أبي عبد الله محمد ابن الخليفة المستظهر بالله أبي العباس أحمد ابن الخليفة المقتدي بالله أبي القاسم عبد الله ابن الأمير محمد الذخيرة وهو غير خليفة ابن الخليفة القائم بأمر الله عبد الله ابن الخليفة القادر بالله أبي العباس أحمد ابن الأمير إسحاق وإسحاق غير خليفة ابن الخليفة المقتدر بالله أبي الفضل جعفر ابن الخليفة المعتضد بالله أبي العباس أحمد ابن الأمير طلحة الموفق وطلحة غير خليفة أيضًا ابن الخليفة المتوكل على الله أبي الفضل جعفر ابن الخليفة المعتصم بالله محمد ابن الخليفة الرشيد بالله هارون ابن الخليفة المهدي بالله محمد ابن الخليفة أبي جعفر عبد الله المنصور بن محمد بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي البغدادي آخر خلفاء بني العباس ببغداد وبموته انقرضت الخلافة من بغداد.

ولي الخلافة بعد وفاة والده المستنصر بالله في العشرين من جمادى الأولى سنة أربعين وستمائة ومات قتيلا بيد هولاكو طاغية التتار في هذه السنة.

وقد تقدم كيفية قتله في ترجمة الملك المنصور علي هذا وكانت مدة خلافته خمس عشرة سنة وثمانية أشهر وأيامًا.

وتقدير عمره سبع وأربعون سنة.

وكان قليل المعرفة بتدبير الملك نازل الهمة مهملًا للأمور المهمة محبًا لجمع الأموال يقدم على فعل ما يستقبح أهمل أمر هولاكو حتى كان في ذلك هلاكه.

وشغرت الخلافة بعده سنين وبقيت الدنيا بلا خليفة حتى أقام الملك الظاهر بيبرس البندقداري بعض بني العباس في الخلافة.

على ما يأتي ذكر ذلك في ترجمة الظاهر بيبرس البندقداري إن شاء الله تعالى.

وفيها توفي الأمير الأديب الشاعر سيف الدين أبو الحسن علي بن عمر بن قزل المعروف بالمشد الشاعر المشهور.

مولده بمصر في شوال سنة اثنتين وستمائة وتولى شد الدواوين بمصر مدة سنين وكان من أكابر الأمراء الفضلاء وهو قريب الأمير جمال الدين بن يغمور وله ديوان شعر مشهور بأيدي الناس وتوفي بدمشق في يوم عاشوراء.

ورثاه بعض الفضلاء فقال: الكامل عاشور يوم قد تعاظم ذنبه إذ حل فيه كل خطب مشكل لم يكفه قتل الحسين وما جرى حتى تعدى بالمصاب على علي ومن شعره - رحمه الله - بيت مفرد كل كلمة منه قلب نفسها وهو: مجزوء الكامل ليل أضاء هلاله أنى يضيء بكوكب وشادن أوردني حبه لهيب حر الشوق والفرقه أصبحت حرانًا إلى ريقه فليت لي من قلبه الرقه وله أيضا مضمنا مقتبسا: البسيط وافى إلي وكأس الراح في يده فخلت من لطفه أن النسيم سرى لا تدرك الراح معنى من شمائله والشمس لا ينبغي أن تدرك القمرا وله في خود عمياء: السريع علقتها نجلاء مثل المها فخان فيها الزمن الغادر أذهب عينيها فإنسانها في ظلمة لا يهتدي حائر تجرح قلبي وهي مكفوفة وهكذا قد يفعل الباتر ونرجس اللحظ غدا ذابلا واحسرتا لو أنه ناظر وله في لاعب شطرنج: السريع لعبت بالشطرنج مع شادن رشاقة الأغصان من قده احل عقد البند من خصره وألثم الشامات من خده منصور بن المعمر بن عبد السلام الصرصري الضرير الشاعر المشهور.

كان من العلماء الفضلاء الزهاد العباد وكان له اليد الطولى في النظم وشعره في غاية الجودة ومدح النبي صلى الله عليه وسلم بقصائد لا تدخل تحت الحصر كثرة قيل: إن مدائحه في النبي صلى الله عليه وسلم تقارب عشرين مجلدا.

ومن شعره من المدائح النبوية قوله: الخفيف زار وهنًا ونحن بالزوراء في مقام خلا من الرقباء من حبيب القلوب طيف خيال فجلا نوره دجى الظلماء يا لها زورة على غير وعد بت منها في ليلة سراء نعمت عيشتي وطابت حياتي في دجاها يا طلعة الغراء ومنها: يا هلال السرور يا قمر الأن - - س ونجم الهدى وشمس البهاء يا ربيع القلوب يا قرة العي - - ن وباب الإحسان والنعماء ومنها: أحمد حبه فخار وتشري - - ف وعز باق لأهل الصفاء أحمد المصطفى السراج المنير ال - - خير خاتم الأنبياء ومن شعره في عدد الخلفاء بني العباس إلى المستعصم آخر خلفاء بني العباس ببغداد قال: الطويل لكرب بني العباس سفاحهم جلا وجر لمنصور ومهدي الولا وهاد وهارون الرشيد تلاهما أمين ومأمون ومعتصم الملا وواثقهم من بعده متوكل ومنتصر والمستعين بنو العلا وطاب بمعتز جنى مهتد كما بمعتضد عيش لمعتمد حلا قلت: لعله ما قال إلا: .

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

كما بمعتمد عيش لمعتضد حلا لأن المعتمد عم المعتضد وتولى المعتضد الخلافة بعده.

انتهى.

ومكتفيا فاعدد ومقتدرًا وقد تلا قاهرًا راض لمتقي تلا ومستكفيا ثم المطيع وطائعًا وقادرهم والقائم اعدد محصلا وبالمقتدي مستظهر ساد مثلما بمسترشد والراشد المقتفي علا بمستنجد والمستضيء وناصر وظاهر والمستنصر اجل مقفلا قال الذهبي: حكى لنا شيخنا ابن الذباهي - وكان خال أمه يعني الصرصري - قال: بلغنا أنه دخل عليه التتار وكان ضريرا فطعن بعكازه بطن واحد قتله ثم قتل شهيدا بيد التتار.

انتهى.

قلت: كل ذلك في واقعة هولاكو المقدم ذكرها.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفى الأمير سيف الدين المشد الشاعر صاحب الديوان واسمه علي بن عمر بن قزل في المحرم.

والشيخ يحيى بن يوسف بن يحيى الصرصري الزاهد صاحب الديوان استشهد ببغداد في صفر في أمم لا يحصون: منهم المستعصم بالله أبو أحمد عبدا لله ابن المستنصر وله سبع وأربعون سنة وكانت خلافته ست عشرة سنة.

ومنهم أستاداره محيي الدين يوسف ابن الشيخ أبي الفرج بن الجوزي.

ومدرس المستنصرية الإمام أبو المناقب محمود بن أحمد بن محمود الزنجاني الشافعي وله ثلاث وثمانون سنة.

والمحدث شمس الدين علي بن المظفر بن القاسم النشبي في شهر ربيع الأول.

وأبو عمرو عثمان بن علي القرشي ابن خطيب القرافة في شهر ربيع الآخر وله أربع وثمانون سنة.

وأبو العز عبد العزيز بن محمد بن أحمد بن محمد بن صديق المؤدب الحراني بدمشق.

والملك الناصر أبو المظفر داود ابن الملك المعظم ابن العادل في جمادى الأولى وله ثلاث وخمسون سنة.

والمحدث نجيب الدين نصر الله بن أبي العز الشيباني بن شقيشقة في جمادى الآخرة وقد جاوز السبعين.

وأبو الفضل عبد العزيز بن عبد الوهاب بن بنان الكفرطابي في شوال وله تسع وسبعون سنة.

والأديب شرف الدين الحسين بن إبراهيم الإربلي اللغوي في ذي القعدة وله ثمان وثمانون سنة.

والحافظ زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري في ذي القعدة وله ست وسبعون سنة.

والبهاء زهير بن محمد بن علي المهلبي الكاتب الشاعر.

والعارف أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار الشاذلي الضرير بصحراء عيذاب في ذي القعدة.

وأبو العباس القرطبي أحمد بن عمر بن إبراهيم العدل بالإسكندرية وله ثمان وسبعون سنة.

وخطيب مردا أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن أحمد الحنبلي في ذي الحجة.

والحافظ صدر الدين أبو علي الحسن بن محمد بن محمد بن محمد البكري بالقاهرة في ذي الحجة وله اثنتان وثمانون سنة.

والشيخ أبو عبد الله الفاسي محمد بن حسن شيخ الإقراء بحلب في شهر ربيع الآخر.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربع أذرع وتسع عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وخمس أصابع.

السنة الثالثة من سلطنة المنصور علي ابن الملك المعز أيبك على مصر فيها خلع الملك المنصور علي المذكور بمملوك أبيه الملك المظفر قطز المعزي.

وقد تقدم ذلك.

وفيها دخل هولاكو ديار بكر قاصدا حلب.

يأتي ذكر ذلك كله في ترجمة الملك المظفر قطز إن شاء الله تعالى.

وفيها توفي الملك الرحيم أبو الفضائل بدر الدين لؤلؤ بن عبد الله الأتابكي صاحب الموصل كان من أجل الملوك وطالت أيامه بالموصل لأنه أقام بتدبير أستاذه نور الدين أرسلان شاه بن عز الدين مسعود بن موعود بن زنكي بن آق سنقر التركي.

فلما توفي نور الدين قام بتدبير ولده الملك القاهر عز الدين مسعود.

فلما توفي الملك القاهر سنة أربع عشرة وستمائة أقام صبيين من ولده هما ابنا بنت مظفر الدين صاحب إربل ثم إنه أخنى على أولاد أستاذه فقتلهم غيلة واحدا بعد واحد ثم بعد ذلك استبد بمملكة الموصل وأعمالها سبعا وأربعين سنة.

وكان كثير التجمل بالرسل والوافدين عليه وكان له همة عالية ومعرفة تامة وكان شديد البحث عن أخبار رعاياه ما يخفى عنه من أحوالهم إلا ما قل وكان يغرم على القصاد والجواسيس في كل سنة مالًا عظيمًا وكان إذا عدم من بلاده ما قيمته مائة درهم هان عليه أن يبذل عشرة آلاف دينار ليبلغ غرضه في عوده ولا يذهب مال رعيته.

قلت: لله در هذا الملك ما أحوج الناس إلى ملك مثل هذا يملك الدنيا بأسرها.

وكانت وفاته وفيها توفي الأديب الفاضل أبو عبد الله بهاء الدين محمد بن مكي بن محمد بن الحسن القرشي الدمشقي العدل المعروف بابن الدجاجية كان فاضلًا شاعرًا مطبوعًا.

ومن شعره قوله: مخلع البسيط كم تكتم الوجد يا معنى منا وما يختفي اللهيب سل عرب الواديين عمن بانوا فما بيننا غريب الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي أبو الحسين أحمد بن محمد بن أحمد الأنصاري الإشبيلي بن السراج مسند الغرب ببجاية في صفر وله سبع وتسعون سنة وكانت الرحلة إليه من الأقطار.

وصدر الدين أسعد بن عثمان بن المنجى ودفن بمدرسته الصدرية في شهر رمضان.

والمقرئ شمس الدين أبو الفتح محمد بن موسى الأنصاري بدمشق في المحرم.

والملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل في شعبان.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربع أذرع وست وعشرون إصبعا.

مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعا وإصبع واحدة.

سلطنة المظفر قطز السلطان الملك المظفر سيف الدين قطز بن عبد الله المعزي الثالث من ملوك الترك بالديار المصرية.

وقطز بضم القاف والطاء المهملة وسكون الزاي وهو لفظ مغلي.

تسلطن بعد خلع ابن أستاذه الملك المنصور علي ابن الملك المعز أيبك في يوم السبت سابع عشر ذي القعدة سنة سبع وخمسين وستمائة وذلك بعد أن عظمت الأراجيف بتحرك التتار نحو البلاد الشامية وقطعهم الفرات وهجمهم بالغارات على البلاد الحلبية وكان وصل إليه بسبب ذلك الصاحب كمال الدين عمر بن العديم رسولًا من الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب حلب والشام يطلب منه النجدة على قتال التتار فأنزله قطز بالكبش وجمع القضاة والفقهاء والأعيان لمشاورتهم فيما يعتمد عليه في أمر التتار وأن يؤخذ من الناس ما يستعان به على جهادهم فحضروا في دار السلطنة بقلعة الجبل

وحضر الشيخ عز الدين بن عبد السلام والقاضي بدر الدين السنجاري قاضي الديار المصرية وغيرهما من العلماء.

وجلس الملك المنصور علي في دست السلطنة وأفاضوا في الحديث فكان الاعتماد على ما يقوله ابن عبد السلام وخلاصة ما قال: إنه إذا طرق العدو بلاد الإسلام وجب على العالم قتالهم وجاز لكم أن تأخذوا من الرعية ما تستعينون به على جهادكم بشرط ألا يبقى في بيت المال شيء وتبيعوا مالكم من الحوائص المذهبة والآلات النفيسة ويقتصر كل الجند على مركوبه وسلاحه ولتساووا هم والعامة.

وأما أخذ الأموال من العامة مع بقايا في أيدي الجند من الأموال والآلات الفاخرة فلا.

وانفض المجلس على ذلك ولم يتكلم السلطان بكلمة في المجلس لعدم معرفته بالأمور ولصغر سنه فلهج الناس بخلع المنصور وسلطنة قطز حتى يقوم بهذا الأمر المهم.

واتفق ذلك بعد أيام وقبض قطز هذا على الملك المنصور علي واحتج لكمال الدين ابن العديم وغيره بأنه صبي لا يحسن تدبير الملك وفي مثل هذا الوقت الصعب لابد أن يقوم بأمر الملك رجل شهم يطيعه الناس وينتصب للجهاد.

وكان الأميران: علم الدين سنجر الغتمي المعظمي وسيف الدين بهادر حين جرى هذا الأمر غائبين في الصيد فاغتنم قطز لغيبتهما الفرصة فلما حضرا قبض عليهما واعتقلهما وتسلطن.

وركب بشعار الملك وجلس على كرسي السلطنة وتم أمره.

ولما وقع ذلك تقدم قطز إلى برهان الدين الخضر أن يتوجه في جواب رسالة الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب الشام صحبة الصاحب كمال الدين ابن العديم ويعد الملك الناصر بالنجمة وإنفاذ العساكر إليه فتوجها ووصلا إلى دمشق وأديا الرسالة.

ولم يزل البرهان بدمشق إلى أن رحل الملك الناصر من دمشق إلى جهة الديار المصرية جافلًا من التتار.

وكان الناصر لما تحقق بحركة التتار رحل إلى برزة شمالي دمشق ونزل بها بعساكره واجتمع إليه أمم عظيمة من العرب والعجم والتركمان والأتراك والمطوعة فلم يعجب الناصر حاله لما رأى من تخاذل عسكره وعلم أنه إذا لاقى التتار لم يثبت عسكره لهم لكثرتهما ولقوتهم فإن هولاكو في خلق لا يحصيهم إلا الله تعالى عن المغل والكرج والعجم وغيرهم ولم يكن من حين قدومهم على بلاد المسلمين من سنة ست عشرة وستمائة إلى هذه السنة يلقاهم عسكر إلا فلوه سوى وقائع كانت بينهم وبين جلال الدين بن خوارزم شاه انتصف جلال الدين في بعضها ثم كبسوه على باب آمد وبددوا جمعه وأعقب ذلك موت جلال الدين بالقرب من ميافارقين.

وأما أمر هولاكو فإنه في جمادى الأولى من هذه السنة نزل حران واستولى عليها وملك بلاد الجزيرة ثم سير ولده أشموط بن هولاكو إلى الشام وأمره بقطع الفرات وأخذ البلاد الشامية وسيره في جمع كثيف من التتار فوصل أشموط إلى نهر الجوز وتل باشر ووصل الخبر إلى حلب من البيرة بذلك.

وكان نائب السلطان صلاح الدين يوسف بحلب ابنه الملك المعظم توران شاه فجفل الناس بين يدي التتار إلى جهة دمشق وعظم الخطب واجتمع الناس من كل فج عند

الملك الناصر بدمشق واحترز الملك المعظم توران شاه ابن الملك الناصر بحلب غاية الاحتراز وكذلك جميع نواب البلاد الحلبية وصارت حلب في غاية الحصانة بأسوارها المحكمة البناء وكثرة الآلات.

فلما كان العشر الأخير من ذي الحجة سنة سبع وخمسين وستمائة قصد التتار حلب ونزلوا على قرية يقال لها سلمية وامتدوا إلى حيلان والحادي وسيروا جماعة من فخرج عسكر حلب ومعهم خلق عظيم من العوام والسوقة وأشرفوا على التتار وهم نازلون على هذه الأماكن وقد ركبوا جميعهم لانتظار المسلمين فلما تحقق المسلمون كثرتهم كروا راجعين إلى المدينة فرسم الملك المعظم بعد ذلك ألا يخرج أحد من المدينة.

ولما كان غد هذا اليوم رحلت التتار من منازلهم طالبين مدينة حلب واجتمع عسكر المسلمين بالنواشير وميدان الحصا وأخذوا في المشورة فيما يعتمدونه فأشار عليهم الملك المعظم أنهم لا يخرجون أصلا لكثرة التتار ولقوتهم وضعف المسلمين على لقائهم فلم يوافقه جماعة من العسكر وأبوا إلا الخروج إلى ظاهر البلد لئلا يطمع العدو فيهم فخرج العسكر إلى ظاهر حلب وخرج معهم العوام والسوقة واجتمعوا الجميع بجبل بانقوسا ووصل جمع التتار إلى أسفل الجبل فنزل إليهم جماعة من العسكر ليقاتلوهم فلما رآهم التتار اندفعوا بين أيديهم مكرا منهم وخديعة فتبعهم عسكر حلب ساعة من النهار ثم كر التتار عليهم فولوا منهزمين إلى جهة البلد والتتار في أثرهم.

فلما حاذوا جبل بانقوسا وعليه بقية عسكر المسلمين والعوام اندفعوا كلهم نحو البلد والتتار في أعقابهم فقتلوا من المسلمين جمعًا كثيرًا من الجند والعوام.

وممن استشهد في ذلك اليوم الأمير علم الدين زريق العزيزي - رحمه الله - وكان من أعيان الأمراء.

ونازل التتار المدينة في ذلك اليوم إلى آخره ثم رحلوا طالبين أعزاز فتسلموها بالأمان.

ثم عادوا إلى حلب في ثاني صفر من سنة ثمان وخمسين وستمائة وحاصروها حتى استولوا عليها في تاسع صفر بالأمان.

فلما ملكوها غدروا بأهل حلب وقتلوا ونهبوا وسبوا وفعلوا تلك الأفعال القبيحة على عادة فعلهم.

وبلغ الملك الناصر يوسف أخذ حلب في منتصف صفر فخرج الناصر من الشام بأمرائه نحو القبلة.

وكان رسل التتار بقرية حرستا فأدخلوا دمشق ليلة الاثنين سابع عشر صفر.

وقرئ بعد صلاة الظهر فرمان - أعني مرسومًا - جاء من عند ملك التتار يتضمن الأمان لأهل دمشق وما حولها وشرع الأكابر في تدبير أمرهم.

ثم وصلت التتار إلى دمشق في سابع عشر ربيع الأول فلقيهم أعيان البلد أحسن ملتقى وقرئ ما معهم من الفرمان المتضمن الأمان ووصلت عساكرهم من جهة الغوطة مارين من وراء الضياع إلى جهة الكسوة وأهلكوا في ممرهم جماعة كانوا قد تجمعوا وتحزبوا.

وفي السادس والعشرين منه جاء منشور من هولاكو للقاضي كمال الدين عمر بن بندار التفليسي بتفويض قضاء القضاة إليه بمدائن الشام إلى الموصل وميافارقين وغير ذلك وكان القاضي قبله صدر الدين أحمد بن سني الدولة.

وتوجه الملك الناصر نحو الديار المصرية ونزل العريش ثم قطيا بعد أن تفرق عسكره عنه وتوجه معظم عسكره إلى مصر قبله مع الأثقال.

فلما وصل الناصر إلى قطيا عاد منها إلى جهة الشام لشيء بلغه عن الملك المظفر صاحب مصر ونزل بوادي موسى ثم نزل بركة زيزاء فكبسه التتار بها وهو في خواصه وقليل من مماليكه فاستأمن الناصر من التتار وتوجه إليهم.

فلما وصل إليهم احتفظوا به وبقي معهم في ذل وهوان إلى أن قتل على ما يأتي ذكره في محله إن شاء الله تعالى.

وأما التتار فإنه بلغت غارتهم إلى غزة وبلد الخليل - عليه السلام - فقتلوا الرجال وسبوا النساء والصبيان واستاقوا من الأسرى والأبقار والأغنام والمواشي شيئًا كثيرًا.

كل ذلك والسلطان الملك المظفر قطز سلطان مصر يتهيأ للقاء التتار.

فلما اجتمعت العساكر الإسلامية بالديار المصرية ألقى الله تعالى في قلب الملك المظفر قطز الخروج لقتالهم بعد أن كانت القلوب قد أيست من النصرة على التتار وأجمعوا على حفظ مصر لا غير لكثرة عددهم واستيلائهم على معظم بلاد المسلمين وأنهم ما قصدوا إقليمًا إلا فتحوه ولا عسكرًا إلا هزموه ولم يبق خارج عن حكمهم في الجانب الشرقي إلا الديار المصرية والحجاز واليمن وهرب جماعة من المغاربة الذين كانوا بمصر إلى الغرب وهرب جماعة من الناس إلى اليمن والحجاز والباقون بقوا في وجل عظيم وخوف شديد يتوقعون دخول العدو وأخذ البلاد وصمم الملك المظفر - رحمه الله - على لقاء التتار وخرج من مصر في الجحافل الشامية والمصرية في شهر رمضان وصحبته الملك المنصور صاحب حماة وكان الأتابك فارس الدين أقطاي المستعرب الأمور كلها مفوضة إليه وسير الملك المظفر قطز إلى صاحب حماة وهو بالصالحية يقول له: لا تحتفل في مد سماط بل كل واحد من أصحابك يفطر على قطعة لحم في صولقه.

وسافر الملك المظفر بالعساكر من الصالحية ووصل غزة والقلوب وجلة.

وأما كتبغانوين مقدم التتار على عسكر هولاكو لما بلغه خروج الملك المظفر قطز كان بالبقاع فاستدعى الملك الأشرف موسى ابن المنصور صاحب حمص وقاضي القضاة محيي الدين واستشارهم في ذلك فمنهم من أشار بعدم الملتقى والاندفاع بين يدي الملك المظفر إلى حيث يجيئه مدد من هولاكو ليقوى على ملتقى العسكر المصري ومنهم من أشار بغير ذلك وتفرقت الآراء فاقتضى رأي كتبغانوين الملتقى وتوجه من فوره لما أراد الله تعالى من إعزاز الإسلام وأهله وإذلال الشرك وحزبه بعد أن جمع كتبغانوين من في الشام من التتار وغيرهم وقصد محاربة المسلمين وصحبته الملك السعيد حسن ابن الملك العزيز عثمان.

ثم رحل الملك المظفر قطز بعساكره من غزة ونزل الغور بعين جالوت وفيه جموع التتار في يوم الجمعة خامس عشرين شهر رمضان ووقع المصاف بينهم في اليوم المذكور وتقاتلا قتالًا شديدًا لم ير مثله حتى قتل من الطائفتين جماعة كثيرة وانكسرت ميسرة المسلمين كسرة شنيعة فحمل الملك المظفر - رحمه الله - بنفسه في طائفة من عسكره وأردف الميسرة حتى تحايوا وتراجعوا واقتحم الملك المظفر القتال وباشر ذلك

بنفسه وأبلي في ذلك اليوم بلاء حسنًا وعظم الحرب وثبت كل من الفريقين مع كثرة التتار.

والمظفر مع ذلك يشجع أصحابه ويحسن إليهم الموت وهو يكر بهم كرة بعد كرة حتى نصر الله الإسلام وأعزه وانكسرت التتار وولوا الأدبار على أقبح وجه بعد أن قتل معظم أعيانهم وأصيب مقدم العساكر التتارية كتبغانوين فإنه أيضا لما عظم الخطب باشر القتال بنفسه فأخزاه الله تعالى وقتل شر قتلة.

وكان الذي حمل عليه وقتله الأمير جمال الدين آقوش الشمسي - رحمه الله تعالى -.

وولوا التتار الأدبار لا يلوون على شيء واعتصم منهم طائفة بالتل المجاور لمكان الوقعة فأحدقت بهم العساكر وصابروهم على القتال حتى أفنوهم قتلًا ونجا من نجا.

وتبعهم الأمير ركن الدين بيبرس البندقداري في جماعة من الشجعان إلى أطراف البلاد واستوفى أهل البلاد والضياع من التتار آثارهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة حتى إنه لم يسلم منهم إلا القليل جدًا.

وفي حال الفراغ من المصاف حضر الملك السعيد حسن ابن الملك العزيز عثمان ابن الملك العادل بين يدي السلطان الملك المظفر قطز وكان التتار لما ملكوا قلعة البيرة وجدوه فيها معتقلًا فأطلقوه وأعطوه بانياس وقلعة الصبيبة فانضم على التتار وبقي منهم وقاتل يوم المصاف المسلمين قتالًا شديدًا فلما أيد الله المسلمين بنصره وحضر الملوك عند الملك المظفر فحضر الملك السعيد هذا من جملتهم على رغم أنفه فلم يقبل المظفر عذره وأمر بضرب عنقه فضربت في ثم كتب الملك المظفر كتابًا إلى أهل دمشق يخبرهم فيه بالفتح وكسر العدو المخذول ويعدهم بوصوله إليهم ونشر العدل فيهم فسر عوام دمشق وأهلها بذلك سرورًا زائدًا وقتلوا فخر الدين محمد بن يوسف بن محمد الكنجي في جامع دمشق.

وكان المذكور من أهل العلم لكنه كان فيه شر وكان رافضيا خبيثا وانضم على التتار.

وقتلوا أيضًا بدمشق من أعوان التتار ابن الماسكيني وابن النفيل وغيرهما.

وكان النصارى بدمشق قد شمخوا وتجرؤوا على المسلمين واستطالوا بتردد التتار إلى كنائسهم.

وذهب بعضهم إلى هولاكو وجاؤوا من عنده بفرمان يتضمن الوصية بهم والاعتناء بأمرهم ودخلوا بالفرمان من باب توما وصلبانهم مرتفعة وهم ينادون بارتفاع دينهم واتضاع دين المسلمين ويرشون الخمر على الناس وفي أبواب المساجد فحصل عند المسلمين من ذلك هم عظيم.

فلما هرب نواب التتار حين بلغتهم الكسرة أصبح الناس وتوجهوا إلى دور النصارى ينهبونها ويأخذون ما استطاعوا منها وأخربوا كنيسة اليعاقبة وأحرقوا كنيسة مريم حتى بقيت كومًا وقتلوا منهم جماعة واختفى الباقون.

وكانت النصارى في تلك الأيام ألزموا المسلمين بالقيام في دكاكينهم للصليب ومن لم يقم أخرقوا به وأهانوه وشقوا السوق على هذا الوجه إلى عند القنطرة آخر سويقة كنيسة مريم فقام بعضهم على الدكان الوسطى من الصف الغربي بين القناطر وخطب وفضل دين النصارى ووضع من دين الإسلام وكان ذلك في ثاني عشرين شهر رمضان.

ثم من الغد طلع المسلمون مع قضاتهم وشهودهم إلى قلعة دمشق وبها التتار فأهانوهم التتار ورفعوا قسيس النصارى عليهم ثم أخرجوهم بالضرب فصار ذلك كله في قلوب المسلمين.

انتهى.

ثم إن أهل دمشق هموا أيضًا بنهب اليهود فنهبوا منهم يسيرًا ثم كفوا عنهم.

ثم وصل الملك المظفر قطز إلى دمشق مؤيدًا منصورًا فانجبرت بذلك قلوب الرعايا وتضاعف شكرهم لله تعالى.

والتقاه أهل دمشق بعد أن عفوا آثار النصارى وخربوا كنائسهم جزاء لما كانوا سلفوه من ضرب النواقيس على رؤوس المسلمين ودخولهم بالخمر إلى الجامع.

وفي هذا المعنى يقول بعض شعراء دمشق: الخفيف هلك الكفر في الشام جميعًا واستجد الإسلام بعد دحوضه بالمليك المظفر الملك الأر - - وع سيف الإسلام عند نهوضه ملك جاءنا بعزم وحزم فاعتززنا بسمره وبيضه أوجب الله شكر ذاك علينا دائما مثل واجبات فروضه وفي نصرة الملك المظفر هذا يقول الشيخ شهاب الدين أبو شامة: الكامل غلب التتار على البلاد فجاءهم من مصر تركي يجود بنفسه ثم قدم الخبر على السلطان بدمشق في شوال بأن المنهزمين من رجال التتار ونسائهم لحقهم الطلب من الأمير ركن الدين بيبرس البندقداري فإن بيبرس كان تقدم قبل السلطان إلى دمشق يتبع آثار التتار إلى قرب حلب فلما قرب منهم بيبرس سيبوا ما كان في أيديهم من أسارى المسلمين ورموا أولادهم فتخطفهم الناس وقاسوا من البلاء ما يستحقونه.

وكان الملك المظفر قطز قد وعد الأمير بيبرس بحلب وأعمالها فلما انتصر على التتار انثنى عزمه عن إعطائه حلب وولاها لعلاء الذين علي بن بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل فكان ذلك سبب الوحشة بين بيبرس وبين الملك المظفر قطز.

على ما يأتي ذكره.

ولما قدم الملك المظفر إلى دمشق أحسن إلى الناس وأجراهم على عوائدهم وقواعدهم إلى آخر أيام الملك الناصر صلاح الدين يوسف.

وسير الملك الأشرف صاحب حمص يطلب منه أمانًا على نفسه وبلاده وكان الأشرف أيضا ممن انضاف إلى التتار فأمنه وأعطاه بلاده وأقره عليها فحضر الأشرف إلى خدمة الملك المظفر ثم عاد إلى بلده.

ثم توجه الملك المظفر صاحب حماة إلى حماة على ما كان عليه وكان حضر مع الملك المظفر قطز من مصر.

قلت: والملك المظفر قطز هو أول من ملك البلاد الشامية واستناب بها من ملوك الترك.

ثم إن الملك المظفر قطز رتب أمور الشام واستناب بدمشق الأمير علم الدين سنجر الحلبي الكبير.

ثم خرج المظفر من دمشق عائدا إلى مصر إلى أن وصل إلى القصير وبقي بينه وبين الصالحية مرحلة واحدة ورحلت العساكر إلى جهة الصالحية وضرب الدهليز السلطاني بها

وبقي المظفر مع بعض خواصه وأمرائه وكان جماعة قد اتفقوا مع الأمير بيبرس البندقداري على قتل الملك المظفر: منهم الأمير سيف الدين أنص من مماليك نجم الدين الرومي الصالحي وعلم الدين صنغلي وسيف الدين بلبان الهاروني وغيرهم كل ذلك لكمين كان في نفس بيبرس لأجل نيابة حلب.

واتفق عند القصير بعد توجه العساكر إلى الصالحية أن ثارت أرنب فساق الملك المظفر قطز عليها وساق هؤلاء المتفقون على قتله معه فلما أبعدوا ولم يبق معه غيرهم تقدم إليه الأمير بيبرس البندقداري وشفع عنده شفاعة في إنسان فأجابه فأهوى بيبرس ليقبل يده فقبض عليها وحمل أنص عليه وقد أشغل بيبرس يده وضربه بالسيف ثم حمل الباقون عليه ورموه عن فرسه ورشقوه بالنشاب فقتلوه ثم حملوا على العسكر وهم شاهرون سيوفهم حتى وصلوا إلى الدهليز السلطاني بالصالحية فنزلوا ودخلوا والأتابك على باب الدهليز فأخبروه بما فعلوا فقال: من قتله منكم فقال بيبرس: أنا فقال: يا خوند اجلس على مرتبة السلطان يأتي بقية ذلك في أول ترجمة الملك الظاهر بيبرس البندقداري المذكور.

إن شاء الله تعالى.

ولما وقع ذلك وبلغ الأمير علم الدين سنجر الحلبي الكبير نائب دمشق عز عليه قتل الملك المظفر ثم دعا الناس لنفسه واستحلفهم وتلقب بالملك المجاهد.

على ما يأتي ذكره أيضا.

أما الملك المظفر قطز فإنه دفن موضع قتله - رحمه الله تعالى - وكثر أسف الناس وحزنهم عليه.

قال الحافظ أبو عبد الله شمس الدين محمد الذهبي في تاريخه - رحمه الله تعالى - بعد ما سماه ونعته قال: وكان المظفر أكبر مماليك الملك المعز أيبك التركماني وكان بطلًا شجاعًا مقدامًا حازمًا حسن التدبير يرجع إلى دين وإسلام وخير وله اليد البيضاء في جهاد التتار فعوض الله شبابه بالجنة ورضي عنه.

وحكى الشيخ شمس الدين الجزري في تاريخه عن أبيه قال: كان قطز في رق ابن الزعيم بدمشق في القصاعين فضربه أستاذه فبكى ولم يأكل شيئًا يومه ثم ركب أستاذه للخدمة وأمر الفراش أن يترضاه ويطعمه قال: فحدثني الحاج علي الفراش قال: فجئته وقلت: ما هذا البكاء من لطشة فقال: إنما بكائي من لعنة أبي وجدي وهم خير منه فقلت: من أبوك واحد كافر فقال: والله ما أنا إلا مسلم ابن مسلم أنا محمود بن ممدود ابن أخت خوارزم شاه من أولاد الملوك فسكته وترضيته.

وتنقلت به الأحوال إلى أن تملك مصر.

ولما تملك أحسن إلى الحاج علي الفراش المذكور وأعطاه خمسمائة دينار وعمل له راتبا.

قال الذهبي أيضًا: ولما تسلطن لم يبلع ريقه ولا تهنى بالسلطنة حتى امتلأت الشامات المباركة بالتتار ثم ساق الذهبي وقال الشيخ قطب الدين: حكي عن الملك المظفر قطز أنه قتل جواده يوم القتال مع التتار ولم يصادف المظفر أحد من الأوشاقية فبقي راجلًا فرآه بعض الأمراء الشجعان فترجل له وقدم له حصانه فامتنع المظفر من ركوبه وقال: ما كنت لأمنع المسلمين الانتفاع بك في هذا الوقت! ثم تلاحقت الأوشاقية إليه.

وقال ابن الجزري في تاريخه: حدثني أبي قال حدثني أبو بكر بن الدريهم الإسعردي والزكي إبراهيم أستاذ الفارس أقطاي قالا: كنا عند سيف الدين قطز لما تسلطن أستاذه الملك المعز أيبك التركماني فأمرنا قطز بالقعود ثم أمر المنجم فضرب الرمل ثم قال له قطز: اضرب لمن يملك بعد أستاذي الملك المعز أيبك ومن يكسر التتار فضرب وبقي زمانًا يحسب فقال: يطلع معي خمس حروف بلا نقط.

فقال له قطز: لم لا تقول محمود بن ممدود فقال: يا خوند لا ينفع غير هذا الاسم فقال: أنا هو أنا محمود بن ممدود وأنا أكسر التتار وآخذ بثأر خالي خوارزم شاه فتعجبنا من كلامه وقلنا: إن شاء الله يكون هذا يا خوند فقال: اكتموا ذلك وأعطى المنجم ثلاثمائة درهم.

قلت: ونقل الشيخ قطب الدين اليونيني في تاريخه الذي ذيله على مرآة الزمان فقال في أمر المنجم غير هذه الصورة وسنذكرها في سياق كلام قطب الدين المذكور.

قال - أعني قطب الدين -: كان المظفر أخص مماليك الملك المعز وأقربهم إليه وأوثقهم عنده.

وهو الذي قتل الأمير فارس الدين أقطاي الجمدار.

قال: وكان الملك المظفر بطلًا شجاعًا مقدامًا حازمًا حسن التدبير لم يكن يوصف بكرم ولا شح بل كان متوسطا في ذلك وذكر حكايته لما أن قتل جواده يوم الوقعة بنحو مما حكيناه لكنه زاد بأن قال: فلام المظفر بعض خواصه على عدم ركوبه وقال: يا خوند - لو صادفك والعياذ بالله تعالى - بعض المغل وأنت راجل كنت رحت وراح الإسلام فقال: أما أنا فكنت رحت إلى الجنة - إن شاء الله تعالى - وأما الإسلام فما كان الله ليضيعه فقد مات الملك الصالح نجم الدين أيوب وقتل بعده أبنه الملك المعظم توران شاه وقتل الأمير فخر الدين ابن الشيخ مقدم العساكر يوم ذاك ونصر الله الإسلام بعد اليأس من نصره! - يعني عن نوبة أخذ الفرنج دمياط -.

ثم قال قطب الدين بعد ما ساق توجهه إلى دمشق وإصلاح أمرها إلى أن قال: وقتل الملك المظفر قطز مظلومًا بالقرب من القصير وهي المنزلة التي بقرب الصالحية وبقي ملقى بالعراء فدفنه بعض من كان في خدمته بالقصير وكان قبره يقصد للزيارة دائمًا.

قال: واجتزت به في شهر رمضان سنة تسع وخمسين وستمائة وترحمت عليه وزرته.

وكان كثير الترحم عليه والدعاء على من قتله.

فلما بلغ بيبرس ذلك أمر بنبشه ونقله إلى غير ذلك المكان وعفي أثره ولم يعفى خبره - رحمه الله تعالى وجزاه عن الإسلام خيرا - قال: ولم يخلف ولدًا ذكرًا وكان قتله يوم السبت سادس عشر ذي القعدة سنة ثمان وخمسين وستمائة.

قلت: فعلى هذا تكون مدة سلطنة الملك المظفر قطز سنة إلا يومًا واحدًا فإنه تسلطن في يوم السبت سابع عشر ذي القعدة من سنة سبع وخمسين وستمائة وقتل فيما نقله الشيخ قطب الدين في يوم السبت سادس عشر في القعدة من سنة ثمان وخمسين وستمائة انتهى.

قال: حكى لي المولى علاء الدين بن غانم في غرة شوال سنة إحدى وتسعين وستمائة ببعلبك قال: حدثني المولى تاج الدين أحمد ابن الأثير - تغمده الله برحمته - ما معناه: أن

الملك الناصر صلاح الدين يوسف - رحمه الله - لما كان على برزة في أواخر سنة سبع وخمسين وصله قصاد من الديار المصرية بكتب يخبرونه فيها أن قطز تسلطن وملك الديار المصرية وقبض على ابن أستاذه.

قال المولى تاج الدين - رحمه الله -: فطلبني السلطان الملك الناصر قرأت عليه الكتب وقال لي: خذ هذه الكتب ورح إلى الأمير ناصر الدين القيمري والأمير جمال الدين بن يغمور أوقف كلًا منهما عليها قال: فأخذتها وخرجت فلما بعدت عن الدهليز لقيني حسام الدين البركتخاني وسلم علي وقال: جاءكم بريدي أو قصاد من الديار المصرية.

فوريت وقلت: ما عندي علم بشيء من هذا قال: قطز تسلطن وتملك الديار المصرية ويكسر التتار قال تاج الدين: فبقيت متعجبا من حديثه وقلت له: ايش هذا القول ومن أين لك هذا قال: والله هذا قطز خشداشي كنت أنا وإياه عند الهيجاوي من أمراء مصر ونحن صبيان وكان عليه قمل كثير فكنت أسرح رأسه على أنني كلما أخذت منه قملة أخذت منه فلسا أو صفعته ثم قلت في غضون ذلك: والله ما أشتهي إلا أن الله يرزقني إمرة خمسين فارسًا فقال لي: طيب قلبك أنا أعطيك إمرة خمسين فارسًا فصفعته وقلت: أنت تعطيني إمرة خمسين! قال: نعم فصفعته فقال لي: وألك علة! ايش يلزم لك إلا إمرة خمسين فارسًا أنا والله أعطيك قلت: ويلك! كيف تعطيني قال: أنا أملك الديار المصرية وأكسر التتار وأعطيك الذي طلبت قلت: ويلك أنت مجنون! أنت بقملك تملك الديار المصرية قال: نعم رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وقال لي: أنت تملك الديار المصرية وتكسر التتار وقول النبي صلى الله عليه وسلم حق لا شك فيه قال: فسكت وكنت أعرف منه الصدق في حديثه وعدم الكذب.

قال تاج الدين: فلما قال لي هذا قلت له: قد وردت الأخبار بأنه تسلطن قال لي: والله وهو يكسر التتار.

قال تاج الدين: فرأيت حسام الدين البركتخاني - الحاكي ذلك - بالديار المصرية بعد كسر التتار فسلم علي وقال: يا مولاي تاج الدين تذكر ما قلت لك في الوقت الفلاني قلت: نعم قال: والله حالما عاد الملك الناصر من قطيا دخلت الديار المصرية أعطاني إمرة خمسين فارسًا كما قال لا زائد على ذلك.

قال: وحكى لي عز الدين محمد بن أبي الهيجاء ما معناه: أن سيف الدين بلغاق حدثه أن الأمير بدر الدين بكتوت الأتابكي حكى لي قال: كنت أنا والملك المظفر قطز والملك الظاهر بيبرس - رحمهما الله تعالى - في حال الصبا كثيرا ما نكون مجتمعين في ركوبنا وغير ذلك فاتفق أن رأينا منجمًا في بعض الطريق بالديار المصرية فقال له الملك المظفر قطز: أبصر نجمي فضرب بالرمل وحسب وقال: أنت تملك هذه البلاد وتكسر التتار فشرعنا نهزأ به.

ثم قال له الملك الظاهر بيبرس: أبصر نجمي فقال: وأنت أيضا تملك الديار المصرية وغيرها فتزايد استهزاؤنا به.

ثم قالا لي: لا بد أن تبصر نجمك فقلت له: أبصر لي نجمي فحسب وقال: أنت تخلص لك إمرة مائة فارس يعطيك هذا وأشار إلى الملك الظاهر فاتفق أن وقع الأمر كما قال ولم يخرم منه شيء.

وهذا من عجيب الاتفاق.

انتهت ترجمة الملك المظفر قطز.

ويأتي ذكر حوادثه على عادة هذا الكاتب إن شاء الله تعالى.

السنة التي حكم فيها المظفر قطز مصر

وهي سنة ثمان وخمسين وستمائة على أنه حكم من سنة سبع شهرين وقتل قبل انقضاء السنة أيضًا بشهرين.

فيها كانت كائنة التتار مع الملك المظفر قطز وغيره حسب ما تقدم ذكره من أنهم ملكوا حلب والشام ثم رحلوا عنها.

وفيها غلت الأسعار بالبلاد الشامية.

وفيها توفي الملك السعيد نجم الدين إيلغازي ابن الملك المنصور ناصر الدين أبي المظفر أرتق بن أرسلان بن نجم الدين إيلغازي بن ألبي بن تمرتاش بن إيغازي بن أرتق السلطان أبو الفتح صاحب ماردين كان ملكًا جليلًا كبير القدر شجاعًا جوادًا حازمًا ممدحًا.

مات في ذي الحجة وملك ماردين بعده ابنه الملك المظفر رحمه الله.

وفيها توفي الملك المعظم فخر الدين أبو المفاخر توران شاه ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب كان قد كبرت سنه وصار كبير البيت الأيوبي وكانت نفسه لا تحدثه بالوثوب على الأمر فلذلك عاش عيشًا رغدًا وطال عمره.

وكان الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب الشام يعظمه ويحترمه ويثق به.

وهو غير الملك المعظم توران شاه ابن الملك الصالح نجم الدين أيوب.

وقد تقدم قتل هذاك في كائنة دمياط وعد أيضا من ملوك مصر.

وتوران شاه هذا هو ابن عم الملك الكامل محمد جد توران شاه هذاك.

وهو أيضًا غير توران شاه ابن الملك الكامل محمد المعروف بأقسيس انتهى.

ومولد توران شاه هذا بالقاهرة في سنة سبع وسبعين وخمسمائة ومات في شهر ربيع الأول من هذه السنة بحلب.

وفيها قتل الأمير كتبغانوين مقدم عساكر التتار الذي قتل في الوقعة التي كانت بينه وبين المظفر قطز بعين جالوت المقدم ذكرها.

كان كتبغانوين عظيما عند التتار يعتمدون على رأيه وشجاعته وتدبيره وكان بطلًا شجاعًا مقدامًا خبيرًا بالحروب وافتتاح الحصون والاستيلاء على الممالك وهو الذي فتح معظم بلاد العجم والعراق.

وكان هولاكو ملك التتار يثق به ولا يخالفه فيما يشير إليه ويتبرك برأيه.

يحكى عنه عجائب في حروبه وكانت مقتلته في يوم الجمعة خامس عشرين شهر رمضان في المصاف على عين جالوت.

قلت: إلى سقر وبئس المصير ولقد استراح الإسلام منه فإنه شر عصابة على الإسلام وأهله.

ولله الحمد على هلاكه.

وفيها توفي الملك المظفر أبو المعالي ناصر الدين محمد ابن الملك المظفر غازي بن أبي بكر محمد العادل بن أيوب صاحب ميافارقين وتلك البلاد.

ملكها في سنة خمس وأربعين وستمائة عقيب وفاة والده ودام في الملك سنين إلى أن جفل من التتار بعد أن كان يداريهم سنين وقدم على الملك الناصر صلاح الدين يوسف بدمشق واستنجده على التتار فوعده الناصر بالنجدة وآخر الأمر أنه رجع إلى بلاده وحصره التتار بها نحو سنتين حتى استشهد بأيديهم - رحمه الله تعالى وعفا عنه -.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي واستشهد بحلب خلائق لا يحصون منهم إبراهيم بن خليل الأدمي.

والرئيس أبو طالب عبد الرحمن ابن عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن العجمي تحت عذاب التتار.

وبدمشق عبد الله ابن بركات بن إبراهيم المعروف بابن الخشوعي في صفر.

والعماد عبد الحميد بن عبد الهادي المقدسي في شهر ربيع الأول عن خمس وثمانين سنة.

والملك المعظم توران شاه ابن السلطان صلاح الدين في شهر ربيع الأول وله إحدى وثمانون سنة.

والشمس محمد بن عبد الهادي أخو العماد بقرية ساوية - من عمل نابلس - شهيدا.

وقاضي القضاة صدر الدين أحمد ابن شمس الدين أبي البركات يحيى بن هبة الله ابن سني الدولة ببعلبك وقد قارب السبعين في جمادى الآخرة.

وأبو الكرم لاحق بن عبد المنعم الأرتاحي بالقاهرة وله خمس وثمانون سنة.

والحافظ المفيد محب الدين عبد الله بن أحمد المقدسي.

والفقيه الكبير أبو عبد الله محمد بن أبي الحسين أحمد بن عبد الله اليونيني في رمضان وله سبع وثمانون سنة في المحرم.

والحافظ البليغ أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي الكاتب المعروف بابن الأبار بتونس مقتولاً.

والملك الكامل الشهيد ناصر الدين محمد ابن المظفر شهاب الدين غازي ابن العادل.

والملك المظفر الشهيد سيف الدين قطز في ذي القعدة فتكوا به في الرمل.

وصاحب الصبيبة الملك السعيد حسن ابن العزيز عثمان ابن العادل قتل صبرا يوم عين جالوت بأمر الملك المظفر.

وفي آخرها صاحب ماردين الملك السعيد نجم الدين إيلغازي بن أرتق.

والملك كتبغانوين رأس التتار يوم عين جالوت قتله آقوش الشمسي.

وحسام الدين محمد بن أبي علي الهذباني نائب السلطنة بمصر.

والأمير مجير الدين أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمس أذرع وست عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعا وإحدى عشرة إصبعا.

سلطنة الملك الظاهر بيبرس السلطان الملك القاهر ثم الظاهر ركن الدين أبو الفتوح بيبرس بن عبد الله البندقداري الصالحي النجمي الأيوبي التركي سلطان الديار المصرية والبلاد الشامية والأقطار الحجازية وهو الرابع من ملوك الترك.

مولده في حدود العشرين وستمائة بصحراء القبجاق تخمينًا والقبجاق قبيلة عظيمة في الترك وهو بكسر القاف وسكون الباء ثانية الحروف وسكون الياء المثناة من تحتها ثم فتح الباء الموحدة وسكون الراء والسين المهملتين ومعناه باللغة التركية: أمير فهد.

انتهى.

قلت: أخذ بيبرس المذكور من بلاده وأبيع بدمشق للعماد الصائغ.

ثم اشتراه الأمير علاء الدين أيدكين الصالحي البندقداري وبه سمي البندقداري.

قلت: والعجيب أن علاء الدين أيدكين البندقداري المذكور عاش حتى صار من جملة أمراء الظاهر بيبرس هذا.

على ما سيأتي ذكره مفصلا - إن شاء الله تعالى - حكى شيخ الشيوخ شرف الدين عبد العزيز الأنصاري الحموي قال.

كان الأمير علاء الدين البندقداري الصالحي لما قبض عليه وأحضر إلى حماة واعتقل بجامع قلعتها اتفق حضور ركن الدين بيبرس مع تاجر وكان الملك المنصور - يعني صاحب حماة - إذ ذاك صبيًا وكان إذا أراد شراء رقيق تبصره الصاحبة والدته فأحضر بيبرس هذا مع آخر قرأتهما من وراء الستر فأمرت بشراء خشداشه وقالت: هذا الأسمر لا يكون بينك وبينه معاملة فإن في عينيه شرًا لائحًا فردتهما جميعًا فطلب البندقداري الغلامين يعني بيبرس ورفيقه فاشتراهما وهو معتقل ثم أفرج عنه فسار إلى مصرة وآل أمر ركن الدين إلى ما آل.

وقال الذهبي: اشتراه الأمير علاء الدين البندقداري الصالحي فطلع بطلًا شجاعًا نجيبًا لا ينبغي أن يكون إلا عند ملك فأخذه الملك الصالح منه.

وقيل: بقي بيبرس المذكور في ملك البندقداري حتى صادره أستاذه الملك الصالح نجم الدين أيوب وأخذ بيبرس هذا فيما أخذه منه في المصادرة في شهر شوال سنة أربع وأربعين وستمائة.

قلت: وهذا القول هو المشهور.

ولما اشتراه الملك الصالح أعتقه وجعله من جملة مماليكه وقدمه على طائفة الجمدارية لما رأى من فطنته وذكائه وحضر مع أستاذه الملك الصالح واقعة دمياط.

.

وقال الشيخ عز الدين عمر بن علي بن إبراهيم بن شداد: أخبرني الأمير بدر الدين بيسري الشمسي أن مولد الملك الظاهر بأرض القبجاق سنة خمس وعشرين وستمائة تقريبا.

وسبب انتقاله من وطنه إلى البلاد أن التتار لما أزمعوا على قصد بلادهم سنة تسع وثلاثين وستمائة وبلغهم ذلك كاتبوا أنس خان ملك أولاق أن يعبروا بحر سوداق إليه ليجيرهم من التتار فأجابهم إلى ذلك وأنزلهم واديا بين جبلين وكان عبورهم إليه في سنة أربعين وستمائة فلما اطمأن بهم المقام غدر بهم وشن الغارة عليهم فقتل منهم وسبى.

قال بيسري: وكنت أنا والملك الظاهر فيمن أسر قال: وكان عمره إذ ذاك أربع عشرة سنة تقديرا فبيع فيمن بيع وحمل إلى سيواس ثم افترقنا واجتمعنا في حلب في خان ابن قليج ثم افترقنا فاتفق أن حمل إلى القاهرة فبيع على الأمير علاء الدين أيدكين البندقداري وبقي في يده إلى أن انتقل عنه بالقبض عليه في جملة ما استرجعه الملك الصالح نجم الدين أيوب منه وذلك في شوال سنة أربع وأربعين وستمائة.

قلت: وهذا القول مطابق لقولنا الذي ذكرناه.

قال: ثم قدمه الملك الصالح على طائفة الجمدارية.

انتهى.

وقال غيره: ولما مات الملك الصالح نجم الدين أيوب وملك بعده ابنه الملك المعظم توران شاه وقتل وأجمعوا على الأمير عز الدين أيبك التركماني وولوه الأتابكية ثم استقل بالملك وقتل الأمير فارس الدين أقطاي الجمدار ركب الملك الظاهر بيبرس هذا والبحرية وقصدوا قلعة الجبل فلما لم ينالوا مقصودهم خرجوا من القاهرة مجاهرين بالعداوة للملك المعز أيبك التركماني ومهاجرين إلى الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب الشام.

وهم: الملك الظاهر بيبرس هذا وسيف الدين بلبان الرشيدي وعز الدين أزدمر السيفي وشمس الدين سنقر الرومي وشمس الدين سنقر الأشقر وبدر الدين بيسري الشمسي وسيف الدين قلاوون الألفي وسيف الدين بلبان المستعرب وغيرهم فلما شارفوا دمشق سير إليهم الملك الناصر طيب قلوبهم فبعثوا فخر الدين إياز المقرئ يستحلفه لهم فحلف الناصر لهم ودخلوا دمشق في العشر الأخير من شهر رمضان سنة اثنتين وخمسين وستمائة فأكرمهم الملك الناصر صلاح الدين وأطلق للملك الظاهر بيبرس ثلاثين ألف درهم وثلاثة قطر بغال وثلاثة قطر جمال وملبوسًا وفرق في بقية الجماعة الأموال والخلع على قدر مراتبهم.

وكتب الملك المعز أيبك إلى الملك الناصر يحذره منهم ويغريه بهم فلم يصغ إليه الناصر ودام على إحسانه إليهم.

وكان عين الناصر لبيبرس إقطاعًا بحلب فطلب الملك الظاهر بيبرس من الملك الناصر أن يعوضه عما كان له بحلب من الإقطاع بجيبين وزرعين فأجابه الملك الناصر إلى ذلك

فتوجه بيبرس إليها وعاد فاستشعر بيبرس من الملك الناصر بالغمر فتوجه بمن معه ومن تبعه من خشداشيته إلى الكرك واجتمعوا بصاحب الكرك الملك المغيث عمر بن العادل أبي بكر بن الكامل محمد فجهز الملك المغيث عسكره مع بيبرس المذكور وعدة من كان جهزه معه ستمائة فارس وخرج من عسكر مصر جماعة لملتقاه فأراد بيبرس كبسهم فوجدهم على أهبة ثم واقع المصريين فانكسر ولم ينج منهم إلا القليل فالذي نجا من الأعيان: بيبرس وبيليك الخازندار وأسر بلبان الرشيدي.

وقد تقدم ذكر ذلك كله في ترجمة المعز مجملًا ولكن نذكره هنا مفصلًا.

وعاد بيبرس هذا إلى الكرك وأقام بها فتواترت عليه كتب المصريين يحرضونه على قصد الديار المصرية وجاءه جماعة كثيرة من عسكر الملك الناصر.

فأخذ بيبرس يطمع الملك المغيث صاحب الكرك في ملك مصر ولازال به حتى ركب معه بعسكره ونزل غزة.

وندب الملك المعز أيبك عسكرًا لقتالهم وقدم على العسكر المصري مملوكه الأمير قطز والأمير أقطاي المستعرب وساروا وهرب من عسكر مصر إلى بيبرس والمغيث الأمير عز الدين أيبك الرومي والأمير بلبان الكافوري والأمير سنقر شاه العزيزي والأمير أيبك الخواشي والأمير بدر الدين برخان والأمير بغدي وأيبك الحموي وجمال الدين هارون القيمري والجميع أمراء واجتمعوا الجميع مع بيبرس والملك المغيث بغزة فقويت شوكتهما بهؤلاء.

وساروا الجميع إلى الصالحية ولقوا عسكر مصر يوم الثلاثاء رابع عشر شهر ربيع الآخر سنة ست وخمسين فاستظهر عسكر بيبرس والمغيث أولًا ثم عادت الكسرة عليهم لثبات قطز المعزي وهرب الملك المغيث ولحقه بيبرس وأسر من عسكر بيبرس عز الدين أيبك الرومي وركن الدين منكورس الصيرفي وبلبان الكافوري وعز الدين أيبك الحموي وبدر الدين بلغان الأشرفي وجمال الدين هارون القيمري وسنقر شاه العزيزي وبهاء الدين أيدغدي الإسكندراني وبدر الدين برخان وبغدي وبيليك الخازندار الظاهري فضربت أعناق الجميع صبرًا ما خلا الخازندار فإن جمال الدين الجوكنداري شفع فيه وخيروه بين المقام والذهاب فاختار الذهاب إلى أستاذه فأطلق وتوجه إلى أستاذه ولما أن وصل الملك المغيث إلى الكرك حصل بينه وبين ركن الدين بيبرس هذا وحشة وأراد المغيث القبض عليه بعد أمور صدرت فأحس بيبرس بذلك وهرب وعاد إلى الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب الشام بعد أن استحلفه على أن يعطيه خبز مائة فارس من جملتها قصبة نابلس وجينين وزرعين فأجاب إلى نابلس لا غير.

وكان قدومه على الناصر في شهر رجب سنة سبع وخمسين وستمائة ومعه الجماعة الذين حلف لهم الملك الناصر أيضًا وهم: بيسرى الشمسي وأيتمش السعدي وطيبرس الوزيري وآقوش الرومي الدوادار وكشتغدي الشمسي ولاجين الدرفيل وأيدغمش الحلبي وكشتغدي الشرفي وأيبك الشيخي وبيبرس خاص ترك الصغير وبلبان المهراني وسنجر الباشقردي وسنجر الهمامي وأرسلان الناصري ويكنى الخوارزمي وسيف الدين طمان الشقيري وأيبك العلائي ولاجين الشقيري وبلبان الأقسيسي وعلم الدين سلطان الإلدكزي فأكرمهم الملك الناصر ووفى لهم بما حلف.

وداموا على ذلك حتى قبض الأمير قطز على ابن أستاذه الملك المنصور علي وتسلطن وتلقب بالملك المظفر قطز شرع بيبرس يحرض الملك الناصر على التوجه إلى الديار المصرية ليملكها فلم يجبه فكلمه بيبرس في أن يقدمه على أربعة آلاف فارس أو يقدم عليهم غيره ويتوجه بها إلى شط الفرات يمنع التتار من العبور إلى الشام فلم يمكنه ابن

عمه الملك الصالح إسماعيل لباطن كان له مع التتار قاتله الله! فاستمر بيبرس عند الناصر إلى سنة ثمان وخمسين فارقه بمن معه وقصد الشهرزورية وتزوج منهم ثم أرسل إلى الملك المظفر قطز من استحلفه له فحلف قطز.

ودخل بيبرس إلى القاهرة في يوم السبت الثاني والعشرين من شهر ربيع الأول سنة ثمان وخمسين فركب الملك المظفر قطز للقائه وأنزله في دار الوزارة وأقطعه قصبة قليوب.

فلم تطل مدته بالقاهرة وتهيأ الملك المظفر قطز لقتال التتار وسير بيبرس هذا في عسكر أمامه كالجاليش ليتجسس أخبار التتار فكان أول ما وقعت عينه عليهم ناوشهم بالقتال.

فلما انقضت الوقعة بعين جالوت تبعهم بيبرس هذا يقتل من وجده منهم إلى حمص ثم عاد فوافى الملك المظفر قطز بدمشق وكان وعده بنيابة حلب فأعطاها قطز لصاحب الموصل فحقد عليه بيبرس في الباطن واتفق على قتله مع جماعة لما عاد الملك المظفر إلى نحو الديار المصرية.

والذين اتفقوا معه: بلبان الرشيدي وبهادر المعزي وبكتوت الجوكندار المعزي وبيدغان الركني وبلبان الهاروني وأنص الأصبهاني واتفقوا الجميع مع بيبرس على قتل الملك المظفر قطز وساروا معه نحو الديار المصرية إلى أن وصل الملك المظفر قطز إلى القصير وبقي بينه وبين الصالحية مرحلة ورحل العسكر طالبًا الصالحية وضرب دهليز السلطان بها.

واتفق عند القصير أن ثارت أرنب فساق المظفر قطز وساق هؤلاء المتفقون على قتله معه فلما أبعدوا ولم يبق مع المظفر غيرهم تقدم إليه ركن الدين بيبرس وشفع عنده في إنسان فأجابه المظفر فأهوى بيبرس ليقبل يده فقبض عليها وحمل أنص عليه وقد أشغل بيبرس يده وضربه أنص بالسيف وحمل الباقون عليه ورموه عن فرسه ورشقوه بالنشاب إلى أن مات ثم حملوا على العسكر وهم شاهرون سيوفهم حتى وصلوا إلى الدهليز السلطاني فنزلوا ودخلوه والأتابك على باب الدهليز فأخبروه بما فعلوا فقال فارس الدين الأتابك: من قتله منكم فقال بيبرس: أنا فقال: يا خوند اجلس في مرتبة السلطنة فجلس واستدعيت العساكر للحلف وكان القاضي برهان الدين قد وصل إلى العسكر متلقيا للملك المظفر قطز فاستدعي وحلف العسكر للملك الظاهر بيبرس وتم أمره في السلطنة وأطاعته العساكر ثم ركب وساق في جماعة من أصحابه حتى وصل إلى قلعة الجبل فدخلها من غير ممانع واستقر ملكه.

وكانت البلد قد زينت للملك المظفر فاستمرت الزينة.

وكان الذي ركب معه من الصالحية إلى القلعة وهم خواصه من خشداشيته وهم: فارس الدين الأتابك وبيسرى وقلاوون الألفي وبيليك الخازندار وبلبان الرشيدي ثم في يوم الأحد سابع عشر ذي القعدة وهو صبيحة قتل المظفر قطز وهو أول يوم من سلطنة الظاهر بيبرس جلس بالإيوان من قلعة الجبل.

قلت: ولم يذكر أحد من المؤرخين لبسه خلعة السلطنة الخليفتي ولعله اكتفى بالمبايعة والحلف.

انتهى.

ولما جلس الظاهر بالإيوان رسم أن يكتب إلى الأقطار بسلطنته فأول من بدأ به الملك الأشرف صاحب حمص ثم الملك المنصور صاحب حماة ثم الأمير مظفر الدين صاحب صهيون ثم إلى الإسماعيلية ثم إلى الملك السعيد المظفر علاء الدين علي بن لؤلؤ صاحب الموصل الذي صار نائب السلطنة بحلب ثم إلى من في بلاد الشام يعرفهم بما جرى.

ثم أفرج عمن بالحبوس من أصحاب الجرائم وأقر الصاحب زين الدين يعقوب بن الزبير على الوزارة وتقدم بالإفراج عن الأجناد المحبوسين والإنعام عليهم وزيادة من رأى استحقاقه من الأمراء وخلع عليهم وسير الأمير جمال الدين آقوش المحمدي بتواقيع للأمير سنجر الحلبي نائب دمشق فتوجه إليه فوجده قد تسلطن بدمشق ودعا لنفسه وحلف الأمراء وتلقب بالملك المجاهد فعظم ذلك على الملك الظاهر بيبرس وأخذ في إصلاح أمره معه والإحسان إلى خشداشيته البحرية الصالحية وأمر أعيانهم.

ثم إنه أخرج الملك المنصور نور الدين عليًا ابن الملك المعز أيبك التركماني وأمه وأخاه ناصر الدين قاقان من مصر إلى بلاد الأشكري وكانوا معتقلين بقلعة الجبل.

وكان بيبرس لما تسلطن لقب نفسه الملك القاهر فقال الوزير زين الدين يعقوب بن الزبير وكان فاضلًا في الأدب والترسل وعلم التاريخ فأشار بتغيير هذا اللقب وقال: ما لقب به أحد فأفلح: لقب به القاهر ابن المعتضد فلم تطل مدته وخلع من الخلافة وسمل ولقب به القاهر ابن صاحب الموصل فسم فأبطل بيبرس اللقب الأول وتلقب بالملك الظاهر.

وأما أمر دمشق ففي العشر الأخير من ذي القعدة أمر الأمير عليم الدين سنجر الحلبي الذي تسلطن بدمشق بتجديد عمارة قلعة دمشق وزفت بالمغاني والطبول والبوقات وفرحت أهل دمشق بذلك وحضر كبراء الدولة وخلع على الصناع والنقباء وعمل الناس في البناء حتى النساء وكان يوم الشروع في تجديدها يوما مشهودًا.

ثم في اليوم الأول من العشر الأول من ذي الحجة دعا الأمير علم الدين سنجر الحلبي الناس بدمشق إلى الحلف له بالسلطنة فأجابوه وحضر الجند والأكابر وحلفوا له ولقب بالملك المجاهد وخطب له على المنابر وضربت السكة باسمه وكاتب الملك المنصور صاحب حماة ليحلف له فامتنع وقال: أنا مع من يملك الديار المصرية كائنًا من كان.

ولما صح عند التتار قتل الملك المظفر قطز - رحمه الله تعالى - وكان النائب ابن صاحب الموصل أساء السيرة في الجند والرعية فاجتمع رأي الأمراء والجند بحلب على قبضه وإخراجه من حلب وتحالفوا على ذلك وعينوا للقيام بالأمر الأمير حسام الدين الجوكنداري العزيزي فبينما هم على ذلك وردت عليهم بطاقة نائب البيرة يحبر أن التتار قاربوا البيرة لمحاصرتها واستصرخ بهم لينجدوه بعسكر.

وكان التتار قد هدموا أبراج البيرة وأسوارها وهي مكشوفة من جميع جهاتها فجرد الملك السعيد ابن صاحب الموصل الذي هو نائب حلب عسكره إليها وقدم عليهم الأمير سابق الدين أمير مجلس الناصري فحضر الأمراء عنده وقالوا له: هذا العسكر الذي جردته لا يمكنه رد العدو ونخاف أن يحصل النشوب بيننا وبين العدو وعسكرنا قليل فيصل العدو إلى حلب ويكون ذلك سببا لخروجنا منها فلم يقبل منهم فخرجوا من عنده وهم غضبانون وسار العسكر المذكور إلى البيرة في قلة.

فلما وصلوا إلى عمق البيرة صادفوا التتار بجموعهم فاقتتلوا قتالًا شديدًا وقصد سابق الدين البيرة فتبعه التتار وقتلوا من أصحابه جماعة كثيرة وما سلم منهم إلا القليل وورد هذا الخبر لحلب فجفل أهل حلب إلى جهة القبلة ولم يبق بها إلا القليل.

وندم الملك السعيد نائب حلب على مخالفة الأمراء وقوي بذلك غضبهم عليه وقاطعوه.

ووقعت بطاقة نائب البيرة فيها أن التتار توجهوا إلى ناحية منبج فخرج نائب حلب وضرب دهليزه بباب إله شرقي حلب.

وبعد يومين وصل الأمير عز الدين أزدمر الدوادار الغزيزي وكان قطز قد جعله نائبا باللاذقية وجبلة فقصده خشداشيته بحلب فلما قرب ركبت العزيزية والناصرية والتقوا به فأخبرهم بأن الملك المظفر قطز قتل وأن ركن الدين بيبرس ملك الديار المصرية وأن سنجر الحلبي خطب لنفسه بدمشق ونحن أيضا نعمل بعمل أولئك ونقيم واحدا من الجماعة ونقبض على هذا - يعني على نائب حلب - ونقتصر على حلب وبلادها مملكة أستاذنا وابن أستاذنا فأجابوه إلى ذلك وتقرر بينهم أنه حال دخولهم إلى المخيم يمضي إليه الأمراء: حسام الدين الجوكنداري وبكتمرالساقي وأزدمر الدوادار وكان الملك السعيد نائب حلب نازلًا بباب لا في بيت القاضي وهو فوق سطحه والعساكر حوله فعندما طلعوا إليه وحضروا عنده على السطح شرعت أعوانهم في نهب وطاقه فسمع الضجة فاعتقد أن التتار قد كبست العسكر تم شاهد لهب العزيرية والناصرية لوطاقه ووثب الأمراء الذين عنده ليقبضوا عليه فطلب منهم الأمان على نفسه فأمنوه وشرطوا عليه أن يسلم إليهم جميع ما حصله من الأموال.

ثم نزلوا به إلى الدار وقصدوا الخزانة فما وجدوا فيها طائلا فهددوه وقالوا له: أين الأموال التي حصلتها وطلبوا قتله فقام إلى ساحة بستان في الدار المذكورة وحفر وأخرج الأموال وهي تزيد على أربعين ألف دينار ففرقت على الأمراء على قدر منازلهم.

ثم رسموا عليه جماعة من الجند وسيروه إلى قلعة حبسوه بها.

ثم بعد أيام قلائل دهم العدو حلب فاندفع الأمير حسام الدين الخوكنداري المقدم على عسكر حلب بمن معه إلى جهة دمشق ودخلت التتار حلب وأخرجوا من كان فيها إلى ظاهر حلب ووضعوا السيف فيهم فقتل بعضهم وفر بعضهم.

ونزل العسكر الحلبي بظاهر حماة فقام الملك المنصور بضيافتهم ثم تقدم التتار إلى حماة فلما قاربوا منها رحل صاحبها الملك المنصور ومعه الجوكنداري بعساكر حلب إلى حمص ونزل التتار على حماة فامتنعت عليهم فاندفعوا من حماة طالبين العسكر وجفل الناس بين أيديهم وخاف أهل دمشق خوفًا شديدًا وأقاموا الجميع على حمص حتى قدم إليهم التتار في أوائل المحرم من سنة تسع وخمسين وستمائة وكانوا في ستة آلاف فارس فخرج إليهم الملك المنصور صاحب حماة والأشرف صاحب حمص والجوكنداري العزيزي بعساكر حلب وحملوا عليهم حملة رجل واحد فهزموهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وهرب الأمير بيدرا مقدم التتار في نفر يسير وكانت الوقعة عند قبر خالد بن الوليد - رضي الله عنه - ثم عاد التتار إلى حلب وفعلوا بأهلها تلك الأفعال القبيحة على عادتهم.

وأما الملك الطاهر بيبرس صاحب الترجمة فإنه كاتب أمراء دمشق يستميلهم إليه ويحضهم على منابذة الأمير علم الدين سنجر الحلبي والقبض عليه فأجابوه إلى ذلك وخرجوا من دمشق منابذين لسنجر وفيهم: الأمير علاء الدين أيدكين البندقداري - أعني

أستاذ الملك الظاهر بيبرس المذكور - الذي قدمنا من ذكره أن الملك الصالح نجم الدين أيوب اشتراه منه.

انتهى.

والأمير بهاء الدين بغدي فتبعهم الحلبي بمن بقي معه من أصحابه فحاربوه فهزموه وألجؤوه إلى قلعة دمشق فأغلقها دونهم وذلك في يوم السبت حادي عشر صفر من السنة.

ثم خرج الأمير علم الدين سنجر الحلبي تلك الليلة من القلعة وقصد بعلبك فدخل قلعتها ومعه قريب عشرين نفرًا من مماليكه فدخل الأمير علاء الدين أيدكين البندقداري دمشق واستولى عليها وحكم فيها نيابة عن الملك الظاهر بيبرس ثم جهز عسكرًا إلى بعلبك لحصار الحلبي وعليهم الأمير بدر الدين محمد بن رحال وكان من الشجعان وأمير آخر فحال وصولهما إلى بعلبك دخلا المدينة ونزلا بالمدرسة النورية.

وكان الحلبي لما وصلها جعل عنده طائفة كبيرة من أهل محله مقدمهم علي بن عبور فسير إليهم الأمير بدر الدين بن رحال وأفسدهم فتدلوا من القلعة ليلًا ونزلوا إليه فعند ذلك ترددت المراسلات بين الحلبي وعلاء الدين البندقداري حتى استقر الحال على نزول الحلبي وتوجهه إلى الملك الظاهر بيبرس بمصر فخرج الحلبي من قلعة بعلبك راكبا في وسطه عدته وفي قرابه قوسان وهو كالأسد فجاء حتى بعد عن القلعة قدم له بغلة فتحول إليها وقلع العدة وركبها وسار حتى وصل إلى دمشق وسار منها إلى مصر فأدخل على الملك ليلًا بقلعة الجبل فقام إليه واعتنقه وأدنى مجلسه منه وعاتبه عتابًا لطيفًا ثم خلع عليه ورسم له بخيل وبغال وجمال وقماش وغير ذلك.

ثم التفت الملك الظاهر إلى إصلاح مملكته خلع على الصاحب بهاء الدين علي بن حنا وزير شجرة الدر بالوزارة وذلك في شهر ربيع الأول من سنة تسع وخمسين وهي أول ولايته للوزر.

ثم حضر عند الظاهر شخص وأنهى إليه أن الأمير عز الدين الصقلي يريد الوثوب على السلطان واتفق معه الأمير علم الدين سنجر الغتمي وبهادر المعزي والشجاع بكتوت فقبض الملك الظاهر عليهم.

ثم تسلم الملك الظاهر الكرك من نواب الملك المغيث في هذه السنة.

ثم قبض على الأمير بهاء الدين بغدي الأشرفي وحمل إلى القاهرة وحبس بقلعة الجبل إلى أن مات.

ثم جهز الملك الظاهر عسكرا لخروج التتار من حلب فساروا إليها وأخرجوهم منها على أقبح وجه كل ذلك والدنيا بلا خليفة من سنة ست وخمسين وستمائة.

ففي هذه السنة كان وصول المستنصر بالله الخليفة إلى مصر وبايعه الملك الظاهر بيبرس وهو أبو القاسم أحمد كان محبوسا ببغداد مع جماعة من بني العباس في حبس الخليفة المستعصم فلما ملكت التتار بغداد أطلقوهم فخرج المستنصر هذا إلى عرب العراق واختلط بهم إلى أن سمع بسلطنة الملك الظاهر بيبرس وفد عليه مع جماعة من بني مهارش وهم عشرة أمراء مقدمهم ابن قسا وشرف اللين ابن مهنا وكان وصول المستنصر إلى القاهرة في ثامن شهر رجب من سنة تسع وخمسين وستمائة فركب السلطان للقائه ومعه الوزير بهاء الدين بن حنا وقاضي القضاة تاج الدين ابن بنت الأعز

والشهود والرؤساء والقراء والمؤذنون واليهود بالتوراة والنصارى بالإنجيل في يوم الخميس فدخل من باب النصر وشق القاهرة وكان لدخوله يوم مشهود.

فلما كان يوم الاثنين ثالث عشر الشهر جلس السلطان الملك الظاهر والخليفة بالإيوان وأعيان الدولة بأجمعهم وقرئ نسب الخليفة وشهد عند القاضي بصحته فأسجل عليه بذلك وحكم به وبويع بالخلافة.

وركب من يومه وشق القاهرة في وجوه الدولة وأعيانها.

وكان أول من بايعه قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الأعز عندما ثبت نسبه عنده ثم السلطان ثم الشيخ عز الدين بن عبد السلام ثم الأمراء والوزراء على مراتبهم.

والمستنصر هذا هو الثامن والثلاثون من خلفاء بني العباس - رضي الله عنهم - وهو المستنصر بالله أبو القاسم أحمد الأسمر بن الظاهر بأمر الله محمد بن الناصر لدين الله أحمد بن المستضيء الحسن ابن الخليفة المستنجد بالله يوسف ابن الخليفة المقتفي لأمر الله محمد ابن الخليفة المستظهر بالله أحمد ابن الخليفة المقتدي بأمر الله عبد الله ابن الأمير محمد الذخيرة ابن الخليفة القائم بأمر الله عبد الله ابن الخليفة القادر بالله أحمد ابن الأمير إسحاق ابن الخليفة المقتدر بالله جعفر ابن الخليفة المعتضد بالله أحمد ابن الأمير طلحة الموفق ابن الخليفة المتوكل على الله جعفر ابن الخليفة المعتصم بالله محمد ابن الخليفة الرشيد هارون ابن الخليفة المهدي محمد ابن الخليفة أبي جعفر المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس الهاشمي العباسي البغدادي.

وقد تقدم أن الناس كانوا بغير خليفة منذ قتل التتار ابن أخيه الخليفة المستعصم بالله في أوائل سنة ست وخمسين وستمائة إلى يومنا هذا فكانت مدة شغور الخلافة ثلاث سنين ونصفا والناس بلا خليفة.

وكان المستنصر هذا جسيمًا وسيمًا شديد السمرة عالي الهمة شديد القوة وعنده شجاعة وإقدام وهو أخو الخليفة المستنصر ولقب بلقبه وهذا لم تجر به العادة من أن خليفة يلقب بلقب خليفة تقدمه من أهل بيته.

وفي يوم الجمعة سابع عشر الشهر خرج الخليفة المستنصر بالله وعليه ثياب سود إلى الجامع بالقلعة وخطب خطبة بليغة ذكر فيها شرف بني العباس ثم صلى على النبي صلى الله عليه وسلم.

ثم في مستهل شعبان من سنة تسع وخمسين المذكورة تقدم الخليفة بتفصيل خلعة سوداء وبعمل طوق ذهب وقيد ذهب وبكتابة تقليد بالسلطنة للملك الظاهر بيبرس ونصب خيمة ظاهر القاهرة.

فلما كان يوم الاثنين رابعه ركب الخليفة والسلطان والوزير والقضاة والأمراء ووجوه الدولة إلى الخيمة ظاهر القاهرة بقبة النصر فألبس الخليفة السلطان الملك الظاهر بيبرس خلعة السلطنة بيده وطوقه وقيده وصعد فخر الدين إبراهيم بن لقمان رئيس الكتاب منبرًا نصب له فقرأ التقليد وهو من إنشائه وبخطه.

ثم ركب السلطان بالخلعة والطوق والقيد ودخل من باب النصر وقد زينت القاهرة له وحمل الصاحب بهاء الدين بن حنا التقليد على رأسه راكبا والأمراء يمشون بين يديه فكان يومًا يقصر اللسان عن وصفه.

ونسخة التقليد: الحمد لله الذي أضفى على الإسلام ملابس الشرف وأظهر بهجة دُرره وكانت خافية بما استحكم عليها من الصدف وشيد ما وهي من علائه حتى أنسى ذكر من سلف وقيض لنصره ملوكا اتفق عليهم من اختلف.

أحمده على نعمته التي رتعت الأعين منها في الروض الأنف وألطافه التي وقف الشكر عليها فليس له عنها منصرف وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة توجب من المخاوف أمنًا وتسهل من الأمور ما كان حزنًا وأشهد أن محمدًا عبده الذي جبر من الدين وهنا ورسوله الذي أظهر من المكارم فنونًا لا فنا صلى الله عليه وسلم وعلى آله الذين أصبحت مناقبهم باقية لا تفنى وأصحابه الذين أحسنوا في الدين فاستحقوا الزيادة بالحسنى.

وبعد: فإن أولى الأولياء بتقديم ذكره وأحقهم أن يصبح القلم راكعًا وساجدًا في تسطير مناقبه وبره من سعى فأضحى سعيد الجد متقدما ودعا إلى طاعته فأجاب من كان منجدًا ومتهمًا وما بدت يد في المكرمات إلا كان لها زندًا ومعصمًا ولا استباح بسيفه حمى وغى إلا أضرم منه نارًا وأجراه دمًا.

ولما كانت هذه المناقب الشريفة مختصة بالمقام العالي المولوي السلطاني الملكي الظاهري الركني - شرفه الله وأعلاه - ذكرها الديوان العزيز النبوي الإمامي المستنصري - أعز الله سلطانه - تنويهًا بشريف قدره واعترافًا بصنعه الذي تنفد العبارة المسهبة ولا تقوم بشكره وكيف لا وقد أقام الدولة العباسية بعد أن أقعدتها زمانة الزمان وأذهبت ما كان لها من محاسن وإحسان وعتب دهرها المسيء لها فأعتب وأرضى عنها زمنها وقد كان صال عليها صوله مغضب فأعاده لها سلمًا بعد أن كان عليها حربا وصرف إليها اهتمامه فرجع كل متضايق من أمورها واسعًا رحبًا ومنح أمير المؤمنين عند القدوم عليه حنوًا وعطفًا وأظهر من الولاء رغبة في ثواب الله ما لا يخفى وأبدى من الاهتمام بأمر البيعة أمرًا لو رامه غيره لامتنع عليه ولو تمسك بحبله متمسك لانقطع به قبل الوصول إليه ولكن الله ادخر هذه الحسنة ليثقل بها في الميزان ثوابه ويخفف بها يوم القيامة حسابه والسعيد من خفف حسابه! فهذه منقبة أبى الله إلا أن يخلدها في صحيفة صنعه ومكرمة قضت لهذا البيت الشريف بجمعه بعد أن حصل الإياس من جمعه.

وأمير المؤمنين يشكر لك هذه الصنائع ويعترف أنه لولا اهتمامك لاتسع الخرق على الراقع وقد قلدك الديار المصرية والبلاد الشامية والديار البكرية والحجازية واليمنية والفراتية وما يتجدد من الفتوحات غورًا ونجدًا وفوض أمر جندها ورعاياها إليك حين أصبحت بالمكارم فردًا.

ثم أخذ في آخر التقليد يذكر فضل الجهاد والرفق بالرعية وطول في الكلام إلى الغاية.

وهذا الذي ذكرناه من نسخة التقليد هو المراد.

ثم إن الملك الظاهر ولى الأمير علم الدين سنجر الحلبي نيابة حلب لما بلغه أن البرنلي تغلب على حلب وسير معه عسكرا فسار إليها الأمير علم الدين سنجر الحلبي ودخل إليها وملكها وخرج منها البرنلي وتوجه إلى الرقة ثم حشد وجمع العساكر وأخذ البيرة ثم عاد إلى حلب وأخرج منها الحلبي بعد أمور ووقائع جرت بينهم.

فلما بلغ الملك الظاهر ذلك عزم على التوجه إلى البلاد الشامية وبرز من القاهرة ومعه الخليفة المستنصر وأولاد صاحب الموصل وكان خروجهم الجميع من القاهرة في تاسع عشر شهر رمضان بعد أن رتب السلطان الأمير عز الدين أيدمر الحلبي نائب السلطنة بقلعة الجبل والصاحب بهاء الدين بن حنا مدبر الأمور وخرج مع السلطان العساكر

المصرية وأقام ببركة الجب إلى عيد الفطر ثم سافر في ثالث شوال بعد ما عزل قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الأعز عن القضاء ببرهان الدين خضر السنجاري.

وسار السلطان حتى دخل دمشق في يوم الاثنين سابع ذي القعدة.

وقدم عليه الملك الأشرف صاحب حمص فخلع عليه وأعطاه ثمانين ألف دينار وحملين ثيابًا وزاده على ما بيده من البلاد تل باشر ثم قدم عليه الملك المنصور صاحب حماة فخلع عليه وأعطاه ثمانين ألف درهم وحملين ثيابًا وكتب له توقيعا ببلاده التي بيده.

ثم جهز السلطان الخليفة وأولاد صاحب الموصل صحبته بتجمل زائد وبرك يضاهي برك السلطان من الأطلاب والخيول والجمال وأرباب الوظائف من الكبير إلى الصغير قيل: إن الذي غرمه السلطان الملك الظاهر على تجهيز الخليفة وأولاد صاحب الموصل فوق الألف ألف دينار عينًا.

.

ثم جهز السلطان الأمير علاء الدين أيدكين البندقداري لنيابة السلطنة بحلب وأيدكين هذا هو أستاذ الملك الظاهر بيبرس صاحب الترجمة المقدم ذكره فسبحان من يعز ويذل! وبعث السلطان مع البندقداري عسكرًا لمحاربة البرنلي وصحبته أيضًا الأمير بلبان الرشيدي فخرجا من دمشق في منتصف ذي القعدة فلما وصلا حماة خرج البرنلي وقصد حران فتبعه الرشيدي بالعساكر ودخل علاء الدين البندقداري إلى حلب ثم عاد الرشيدي إلى أنطاكية ثم رحل عنها بعد ما حاصرها مدة لما بلغه عود الملك الظاهر إلى مصر.

وأما الخليفة فإنه لما توجه نحو العراق ومعه أولاد صاحب الموصل وهم: الملك الصالح وولده علاء الدين والملك المجاهد سيف الدين صاحب الجزيرة والملك المظفر علاء الدين صاحب سنجار والملك الكامل ناصر الدين محمد فلما وصلوا صحبة الخليفة إلى الرحبة وافوا عليها الأمير يزيد بن علي بن حديثة أمير آل فضل وأخاه الأخرس في أربعمائة فارس من العرب.

وفارق الخليفة أولاد صاحب الموصل من الرحبة وكان الخليفة طلب منهم المسير معه فأبوا وقالوا: ما معنا مرسوم بذلك وأرسلوا معه من مماليك والدهم نحو ستين نفرا فانضافوا إليه ولحقهم الأمير عز الدين أيدكين من حماة ومعه ثلاثون فارسًا.

ورحل الخليفة بمن معه من الرحبة بعدما أقام بها ثلاثة أيام ونزل مشهد علي - رضي الله عنه - ثم رحل إلى قائم عنقة ثم إلى عانة فوافوا الإمام الحاكم بأمر الله العباسي على عانة من ناحية الشرق ومعه نحو سبعمائة فارس من التركمان.

وكان البرنلي قد جهزه من حلب فبعث الخليفة المستنصر بالله إليهم واستمالهم فلما جاوزوا الفرات فارقوا الحاكم فبعث إليه المستنصر بالله يطلبه إليه ويؤمنه على نفسه ويرغب إليه في اجتماع الكلمة فأجاب ورحل إليه فوفى إليه المستنصر وأنزله معه في الدهليز.

وكان الحاكم لما نزل على عانة امتنع أهلها منه وقالوا: قد بايع الملك الظاهر خليفة وهو واصل فما نسلمها إلا إليه فلما وصل المستنصر بالله إليها نزل إليه نائبها وكريم الدين ناظرها وسلماها إليه وحملا له إقامة فأقطعها الخليفة للأمير ناصر الدين أغلمش أخي الأمير علم الدين سنجر الحلبي.

ثم رحل الخليفة عنها إلى الحديثة ففتحها أهلها له فجعلها خاصًا له ثم رحل عنها ونزل على شط قرية الناووسة ثم رحل عنها قاصدا هيت.

ولما اتصل مجيء الخليفة المستنصر بالله بقرابغا مقدم عسكر التتار بالعراق وبهادر علي الخوارزمي شحنة بغداد وخرج قرابغا بخمسة آلاف فارس من التتار على الشط العراقي وقصد الأنبار فدخلها إغارة وقتل جميع من فيها ثم ردفه الأمير بهادر علي الخوارزمي بمن بقي ببغداد من عساكر التتار وكان قد بعث ولده إلى هيت متشوقًا لما يرد من أخبار المستنصر وقرر معه أنه إذا اتصل به خبره بعث بالمراكب إلى الشط الآخر وأحرقها فلما وصل الخليفة هيت أغلق أهلها الباب دونه فنزل عليها وحاصرها حتى فتحها ودخلها في التاسع والعشرين من ذي الحجة ونهب من فيها من اليهود والنصارى ثم رحل عنها ونزل الحور وبعث طليعة من عسكره مقدمها الأمير أسد الدين محمود ابن الملك المفضل موسى فبات تجاه الأنبار تلك الليلة وهي ليلة الأحد ثالث المحرم من سنة ستين وستمائة فلما رأى قرابغا الطليعة أمر من معه من العساكر بالعبور إليها في المخائض والمراكب ليلًا فلما أسفر الصبح أفرد قرابغا من معه من عسكر بغداد ناحية.

وأما الخليفة فإنه رتب اثني عشر طلبا وجعل التركمان والعربان ميمنة وميسرة وباقي العساكر قلبًا ثم حمل بنفسه مبادرًا وحمل من كان معه في القلب فانكسر بهادر ووقع معظم عسكره في الفرات ثم خرج كمين من التتار فلما رآه التركمان والعرب هربوا وأحاط الكمين بعسكر الخليفة فصدق المسلمون الحملة فأفرج لهم التتار فنجا الحاكم وشرف الدين ابن مهنا وناصر الدين ابن صيرم وبوزنا وسيف الدين بلبان الشمسي وأسد الدين محمود وجماعة من الجند نحو الخمسين نفرا وقتل الشريف نجم الدين جعفر أستادار الخليفة وفتح الدين ابن الشهاب أحمد وفارس الدين أحمد بن أزدمر اليغموري ولم يوقع للخليفة المستنصر على خبر فقيل إنه قتل في الوقعة وعفي أثره وقيل إنه نجا مجروحًا في طائفة من العرب فمات عندهم وقيل سلم وأضمرته البلاد .

وأما السلطان الملك الظاهر بيبرس فإنه لما عاد إلى مصر عاد بعده بلبان الرشيدي في أثره وعاد البرنلي إلى حلب ودخلها وملكها فجرد إليه الملك الظاهر عسكرًا ثانيًا عليهم الأمير شمس الدين سنقر الرومي وأمره بالمسير إلى حلب ثم إلى الموصل وكتب إلى الأمير علاء الدين طيبرس نائب السلطنة بدمشق وإلى الأمير علاء الدين أيدكين البندقداري يأمرهما أن يكونا معه بعسكرهما حيث توجه يتوجه الجميع فسار الجميع إلى جهة حلب فخرج البرنلي من حلب وتسلم نواب أيدكين البندقداري حلب.

ثم جاء مرسوم السلطان بتوجه البندقداري إلى حلب ويعود طيبرس إلى دمشق ويعود سنقر الرومي إلى مصر فعاد الرومي إلى القاهرة.

فلما اجتمع بالسلطان أوغر خاطره على طيبرس فكان ذلك سببا للقبض على طيبرس المذكور وحبسه بالقاهرة مدة سنين.

ثم وصل إلى الديار المصرية في السابع والعشرين من شهر ربيع الآخر الإمام الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد ابن الأمير أبي علي الحسن ابن الأمير أبي بكر بن الحسن بن علي القبي ابن الخليفة المسترشد بالله أبي منصور الفضل ابن الخليفة المستظهر بالله أحمد العباسي.

قلت: ومن المستظهر يعرف نسبه من ترجمة المستنصر وغيره من أقاربه إلى العباس.

ووصل صحبته شمس الدين صالح بن محمد بن أبي الرشيد الأسدي الحاكمي المعروف ابن البناء وأخوه محمد ونجم الدين محمد واحتفل الملك الظاهر بيبرس بلقائه وأنزله بالبرج الكبير داخل قلعة الجبل ورتب له ما يحتاج إليه ووصل معه ولده.

وبايعه بالخلافة في يوم الخميس تاسع المحرم من سنة إحدى وستين بقلعة الجبل.

وكانت المسلمون بلا خليفة منذ استشهد الخليفة المستنصر بالله في أوائل السنة الحالية.

وجلس السلطان بالإيوان لبيعته وحضر القضاة والأعيان وأرباب الدولة وقرئ نسبه على قاضي القضاة وشهد عنده جماعة بذلك فأثبته ومد يده وبايعه بالخلافة ثم بايعه السلطان ثم الوزير ثم الأعيان على طبقاتهم وخطب له على المنابر وكتب السلطان إلى الأقطار بذلك وأن يخطبوا باسمه وأنزل إلى مناظر الكبش فسكن بها إلى أن مات في ليلة الجمعة ثامن عشر جمادى الأولى سنة إحدى وسبعمائة ودفن بجوار السيدة نفيسة وهو أول خليفة مات بالقاهرة من بني العباس حسب ما يأتي ذكره - إن شاء الله تعالى - في محله بأوسع من هذا.

وأما الملك الظاهر فإنه تجهز للسفر إلى البلاد الشامية وخرج من الديار المصرية في يوم السبت سابع شهر ربيع الآخر من سنة إحدى وستين وستمائة.

وفي هذه السفرة قبض على الملك المغيث صاحب الكرك الذي كان معه تلك الأيام على قتال المصريين وغيرهم ولما قبض عليه الظاهر بعث به إلى قلعة الجبل صحبة الأمير آق سنقر الفارقاني فوصل به إلى القاهرة في يوم الأحد خامس عشر جمادى الآخرة فكان ذلك آخر العهد به.

ثم عاد الملك الظاهر إلى الديار المصرية

في يوم السبت سادس عشر شهر رجب.

ولما دخل إلى القاهرة قبض على الأمير بلبان الرشيدي وأيبك الدمياطي وآقوش البرنلي.

ثم في هذه السنة شرع الملك الظاهر في عمارة المدرسة الظاهرية ببين القصرين وتمت في أوائل سنة اثنتين وستين وستمائة.

ورتب في تدريس الإيوان القبلي القاضي تقي الدين محمد بن الحسين بن رزين الشافعي وفي تدريس الإيوان الذي يواجهه القاضي مجد الدين عبد الرحمن بن العديم والحافظ شرف الدين الدمياطي لتدريس الحديث في الإيوان الشرقي والشيخ كمال الدين المحلي في الإيوان الذي يقابله لإقراء القران بالروايات والطرق ثم رتب جماعة يقرؤون السبع بهذا الإيوان أيضًا بعد صلاة الصبح ووقف بها خزانة كتب وبنى إلى جانبها مكتبًا لتعليم الأيتام أجرى عليهم الخبز في كل يوم وكسوة الفصلين وسقاية تعين على الطهارة وجلس للتدريس بهذه المدرسة يوم الأحد ثالث عشر صفر من سنة اثنين وستين وحضر الصاحب بهاء الدين بن حنا والأمير جمال الدين بن يغمور والأمير جمال الدين أيدغدي العزيزي وغيرهم من الأعيان.

وفي سنة إحدى وستين أيضا تسلم الأمير بيليك العلائي حمص بعد وفاة صاحبها الملك الأشرف الأيوبي.

ثم أمر الملك الظاهر أيضا بإنشاء خان في القدس الشريف للسبيل وفوض بناءه ونظره إلى الأمير جمال الدين محمد بن بهادر ولما تم الخان المذكور أوقف عليه قيراطا ونصفا بالمطر وثلث وربع قرية المشيرفة من بلد بصرى ونصف قرية لبنى يصرف ريع ذلك في خبز وفلوس وإصلاح نعال من يرد عليه من المسافرين المشاة.

وبنى له طاحونًا وفرنًا واستمر ذلك كله.

ثم ولى الملك الظاهر في سنة ثلاث وستين وستمائة في كل مذهب قاضيًا مستقلًا بذاته فصارت قضاة القضاة أربعة وسبب ذلك كثرة توقف قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الأعز في تنفيذ الأحكام التي لا توافق مذهبه وكثرة الشكاوى منه بسبب ذلك.

فلما كان يوم الاثنين ثاني عشر في الحجة شكا القاضي المذكور الأمير جمال الدين أيدغدي العزيزي في المجلس وكان يكره القاضي تاج الدين المذكور فقال أيدغدي بحضرة السلطان: يا تاج الدين نترك مذهب الشافعي لك ونولي معك من كل مذهب قاضيًا فمال الملك الظاهر إلى كلامه وكان لأيدغدي منه محل عظيم فولى السلطان الشيخ صدر الدين سليمان الحنفي قاضي قضاة الحنفية بالديار المصرية وكان للقضاة الحنفية أزيد من ثلاثمائة سنة من أول الدولة الفاطمية قد بطل حكمهم من ديار مصر استقلالًا عندما أبطل الفاطميون القضاة من سائر المذاهب وأقاموا قضاة الشيعة بمصر.

انتهى.

وولى القاضي شرف الدين عمر السبكي المالكي قاضي قضاة المالكية.

وولى الشيخ شمس الدين محمد ابن الشيخ العماد الحنبلي قاضي القضاة الحنابلة وفوض لكل واحد منهم أن يستنيب بالأعمال وغيرها وأبقى على تاج الدين النظر في مال الأيتام والمحاكمات المختصة ببيت المال وكتب لهم التقاليد وخلع عليهم ثم فعل ذلك ببلاد الشام كله.

قلت: وقد جمعت أسماء من ولي القضاء من المذاهب الأربعة من يوم رتب الملك الظاهر بيبرس القضاة - أعني من سنة ثلاث وستين وستمائة - إلى يومنا هذا على الترتيب على سبيل الاختصار لتكثر الفائدة في هذا الكتاب وإن كان يأتي ذكر غالبهم في الوفيات في حوادث الملوك على عادة هذا الكتاب فذكرهم هنا جملة أرشق وأهون على من أراد ذلك والله المستعان.

قضاة الشافعية كان قاضي قضاة الشافعية يوم ذاك القاضي تاج الدين عبد الوهاب وهي ولايته الثانية وتوفي سنة خمس وستين وستمائة.

ثم القاضي تقي الدين محمد بن رزين العامري سنة خمس وستين وستمائة ومولده في شعبان سنة ثلاث وستمائة وتوفي ثالث رجب سنة ثمانين وستمائة.

ثم القاضي صدر الدين عمر بن عبد الوهاب ابن بنت الأعز سنة ثمان وسبعين وستمائة.

ثم أعيد القاضي تقي الدين محمد بن رزين سنة تسع وسبعين وستمائة.

ثم القاضي وجيه الدين عبد الوهاب البهنسي سنة ثمانين وستمائة.

ثم القاضي تقي الدين عبد الرحمن ابن القاضي تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الأعز سنة خمس وثمانين وستمائة.

ثم القاضي بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الحموي الكناني سنة تسعين وستمائة.

ثم أعيد القاضي تقي الدين عبد الرحمن ابن بنت الأعز في صفر سنة ثلاث وتسعين وستمائة.

ثم ولي القاضي تقي الدين محمد بن علي بن دقيق العيد سنة خمس وتسعين وستمائة ومولده في شعبان سنة خمس وعشرين وستمائة وتوفي سنة اثنتين وسبعمائة.

ثم أعيد القاضي بدر الدين محمد بن إبراهيم بن جماعة الحموي في سنة أربع وسبعمائة.

ثم ولي القاضي جمال الدين سليمان بن عمر الزرعي سنة عشر وسبعمائة.

ثم أعيد القاضي بدر الدين محمد بن إبراهيم بن جماعة سنة إحدى عشرة وسبعمائة.

ثم ولي القاضي جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني سنة سبع وعشرين وسبعمائة وتوفي سنة تسع وثلاثين وسبعمائة.

ثم ولي القاضي عز الدين عبد العزيز ابن القاضي بدر الدين محمد بن إبراهيم بن جماعة الحموي سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة.

ثم ولي القاضي بهاء الدين عبد الله بن عقيل سنة تسع وخمسين وسبعمائة.

ثم أعيد القاضي عز الدين عبد العزيز بن جماعة سنة تسع وخمسين وسبعمائة.

ثم ولي القاضي بهاء الدين محمد أبو البقاء بن عبد البر السبكي في سنة ست وستين وسبعمائة.

ثم ولي القاضي برهان الدين إبراهيم بن عبد الرحيم بن جماعة سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة.

ثم ولي القاضي بدر الدين محمد بن بهاء الدين محمد بن عبد البر السبكي في صفر سنة تسع وسبعين وسبعمائة.

ثم أعيد القاضي برهان الدين إبراهيم بن جماعة سنة إحدى وثمانين وسبعمائة.

ثم أعيد القاضي بدر الدين محمد بن أبي البقاء السبكي في صفر سنة أربع وثمانين وسبعمائة.

ثم ولي القاضي ناصر الدين محمد بن عبد الدائم بن محمد بن سلامة ابن بنت الميلق في شعبان سنة تسع وثمانين وسبعمائة وامتحن وعزل.

ثم ولي القاضي صدر الدين محمد بن إبراهيم السلمي المناوي في ذي القعدة سنة إحدى وتسعين وسبعمائة.

ثم أعيد القاضي بدر الدين محمد بن أبي البقاء السبكي سنة إحدى وتسعين وسبعمائة.

ثم ولي القاضي عماد الدين أحمد الكركي في رجب سنة اثنتين وتسعين ثم عزل في ذي الحجة سنة أربع وتسعين وسبعمائة.

ثم أعيد القاضي صدر الدين محمد بن إبراهيم المناوي في شعبان سنة أربع وتسعين وسبعمائة.

ثم أعيد القاضي بدر الدين محمد بن أبي البقاء السبكي في شهر ربيع الآخر سنة ست وتسعين وسبعمائة.

ثم أعيد القاضي صدر الدين محمد بن إبراهيم المناوي في شعبان سنة سبع وتسعين وسبعمائة.

ثم ولي القاضي تقي الدين الزبيري في جمادى الأولى سنة تسع وتسعين وسبعمائة.

ثم أعيد القاضي صدر الدين المناوي في شهر رجب سنة إحدى وثمانمائة.

ثم ولي القاضي ناصر الدين الصالحي في سلخ شعبان سنة ثلاث وثمانمائة.

ثم ولي القاضي جلال الدين عبد الرحمن بن عمر بن رسلان بن نصير البلقيني في جمادى الأولى سنة أربع وثمانمائة في حياة والده.

ثم أعيد القاضي ناصر الدين الصالحي في شوال سنة خمس وثمانمائة ومات في المحرم سنة ست وثمانمائة.

ثم ولي القاضي شمس الدين محمد الإخنائي في شهر الله المحرم سنة ست وثمانمائة.

ثم أعيد القاضي جلال الدين عبد الرحمن البلقيني في شهر ربيع الأول سنة ست وثمانمائة ومولده سنة إحدى وستين وسبعمائة وهكذا حكى لي من لفظه - رحمه الله - وتوفي بالقاهرة في شوال سنة أربع وعشرين وثمانمائة.

ثم أعيد القاضي شمس الدين محمد الإخنائي في شهر شعبان سنة ست وثمانمائة.

ثم أعيد القاضي جلال الدين عبد الرحمن البلقيني في ذي الحجة من سنة ست وثمانمائة.

ثم أعيد القاضي شمس الدين الإخنائي في ثاني عشرين جمادى الأولى سنة سبع وثمانمائة.

ثم أعيد القاضي جلال الدين البلقيني في ثالث عشر ذي القعدة سنة سبع وثمانمائة.

ثم أعيد القاضي شمس الدين محمد الإخنائي في حادي عشر صفر سنة ثمان وثمانمائة.

ثم أعيد القاضي جلال الدين البلقيني في خامس شهر ربيع الأول سنة ثمان وثمانمائة وهي ولايته الخامسة ولم يزل في هذه المرة قاضيًا إلى أن توجه صحبة الملك الناصر فرج إلى الشام سنة أربع عشرة وثمانمائة.

ثم عزل بالقاضي شهاب الدين أحمد الباعوني بدمشق في المحرم سنة خمس عشرة وثمانمائة.

ثم أعيد القاضي جلال الدين البلقيني المذكور في أول صفر من سنة خمس عشرة وثمانمائة فاستمر في القضاء إلى آخر جمادى الأولى سنة إحدى وعشرين وثمانمائة.

ثم عزل بالقاضي شمس الدين محمد الهروي في سلخ جمادى الأولى سنة إحدى وعشرين وثمانمائة.

ثم أعيد القاضي جلال الدين البلقيني في شهر ربيع الأول سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة واستمر إلى أن مات في شوال كما تقدم ذكره.

قلت: وقاضي القضاة جلال الدين المذكور هو صهري وزوج كريمتي ومات عنها.

رحمهما الله تعالى وعفا عنهما.

ثم ولي القاضي ولي الدين أحمد ابن الحافظ عبد الرحيم بن الحسين العراقي في شوال سنة أربع وعشرين وثمانمائة.

ثم ولي القاضي علم الدين صالح بن عمر البلقيني في يوم السبت سادس في الحجة سنة خمس وعشرين وثمانمائة.

ثم ولي القاضي شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني في سابع عشرين المحرم سنة سبع وعشرين وثمانمائة.

ثم أعيد القاضي شمس الدين الهروي في سابع ذي القعدة سنة سبع وعشرين وثمانمائة.

ثم أعيد القاضي شهاب الدين أحمد بن حجر في ثاني رجب سنة ثمان وعشرين وثمانمائة.

ثم أعيد القاضي علم الدين صالح البلقيني في خامس عشرين صفر سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة.

ثم أعيد القاضي شهاب الدين أحمد بن حجر في رابع عشرين جمادى الأولى سنة أربع وثلاثين وثمانمائة.

ثم أعيد القاضي علم الدين صالح البلقيني في خامس شوال سنة أربعين وثمانمائة.

ثم أعيد القاضي شهاب الدين أحمد بن حجر في يوم الثلاثاء سادس شوال سنة إحدى وأربعين وثمانمائة.

ثم ولي القاضي شمس الدين محمد القاياتي في يوم الخميس رابع عشر المحرم سنة تسع وأربعين وثمانمائة ومات في ثامن عشرين المحرم سنة خمسين وثمانمائة - رحمه الله تعالى - ثم أعيد القاضي شهاب الدين أحمد بن حجر في خامس صفر سنة خمسين وثمانمائة.

ثم أعيد القاضي علم الدين صالح البلقيني في يوم السبت مستهل سنة إحدى وخمسين وثمانمائة.

ثم ولي القاضي ولي الدين محمد السفطي في يوم الخميس خامس عشر شهر ربيع الأول سنة إحدى وخمسين وثمانمائة.

ثم أعيد القاضي شهاب الدين أحمد بن حجر في ثامن شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة ثم عزل نفسه ومات معزولًا - رحمه الله تعالى -.

ثم أعيد القاضي علم الدين صالح البلقيني في سادس عشر جمادى الآخرة سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة.

ثم ولي القاضي شرف الدين يحيى المناوي في يوم الاثنين ثالث عشر رجب سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة.

ثم أعيد القاضي علم الدين صالح البلقيني في يوم السبت ثامن عشرين صفر سنة سبع وخمسين وثمانمائة.

القضاة الحنفية فالذي ولي أولا قاضي القضاة صدر الدين سليمان.

ثم من بعده قاضي القضاة معز الدين النعمان بن الحسن إلى أن توفي في سابع عشر شعبان سنة اثنتين وتسعين وستمائة.

ثم ولي قاضي القضاة شمس الدين أحمد السروجي فاستمر إلى أن تسلطن الملك المنصور لاجين عزله.

ثم ولي قاضي القضاة حسام الدين الرازي فاستمر إلى أن قتل لاجين نقل إلى قضاء دمشق سنة ثمان وتسعين.

ثم أعيد شمس الدين السروجي ثم عزل أول شهر ربيع الآخر سنة عشر وسبعمائة.

ثم ولي بعده قاضي القضاة شمس الدين محمد بن عثمان الحريري إلى أن مات يوم السبت رابع جمادى الآخرة - رحمه الله - سنة ثمان وعشرين وسبعمائة.

ثم ولي بعده قاضي القضاة برهان الدين إبراهيم بن عبد الحق إلى أن عزل يوم الأحد ثامن عشر جمادى الآخرة سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة.

ثم ولي بعده قاضي القضاة حسام الدين الغوري إلى أن كانت واقعة الأمير قوصون نهبوا الرسل والعامة بيته وطلبوه ليقتلوه فهرب.

ثم ولي بعده قاضي القضاة زين الدين عمر بن عبد الرحمن البسطامي في سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة إلى أن عزل في سنة ثمان وأربعين وسبعمائة.

ثم تولاها من بعده قاضي القضاة علاء الدين التركماني في جمادى منها إلى أن توفي عاشر المحرم سنة خمسين.

فولي بعده ولده قاضي القضاة جمال الدين عبد الله بن التركماني إلى أن مات في شعبان سنة تسع وستين وسبعمائة.

فولي بعده قاضي القضاة سراج الدين عمر ابن إسحاق الهندي إلى أن مات في شهر رجب سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة ثم ولي بعده قاضي القضاة صدر الدين ابن جمال الدين التركماني إلى أن مات في ذي القعدة سنة ست وسبعين.

فوليها بعده قاضي القضاة نجم الدين بن الكشك طلب من دمشق في المحرم سنة سبع وسبعين وسبعمائة ثم عزل عنها.

وتولى من بعده قاضي القضاة صدر الدين علي بن أبي العز الأذرعي ثم اعتفى عنها.

فتولاها قاضي القضاة شرف الدين أبو العباس أحمد بن علي بن منصور في سنة سبع وسبعين فاستمر إلى سادس عشرين رجب عزل.

ثم تولاها بعده قاضي القضاة جلال الدين جار الله فاستمر قاضيا إلى أن مات في يوم الاثنين رابع عشر شهر رجب سنة اثنتين وثمانين وسبعمائة.

فتولى بعده قاضي القضاة صدر الدين محمد بن علي بن منصور في شهر رمضان سنة اثنتين وثمانين وسبعمائة فاستمر إلى أن مات في شهر ربيع الأول سنة ست وثمانين وسبعمائة.

فتولاها بعده قاضي القضاة شمس الدين محمد بن أحمد بن أبي بكر الطرابلسي فاستمر إلى بعد فتنة الأتابك يلبغا الناصري ومنطاش مع الظاهر برقوق سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة عزل عنها.

ثم تولاها قاضي القضاة مجد الدين إسماعيل بن إبراهيم الكناني أقام فيها قليلا ثم عزل.

ثم تولاها من بعده قاضي القضاة جمال الدين محمود بن محمد بن علي بن عبد الله القيصري العجمي مضافًا لنظر الجيش فاستمر إلى أن مات في ليلة الأحد سابع شهر ربيع الأول سنة تسع وتسعين وسبعمائة.

ثم تولاها من بعده قاضي القضاة شمس الدين الطرابلسي ثانيا في الشهر والسنة فاستمر إلى أن مات في آخر السنة المذكورة.

وتولى بعده قاضي القضاة جمال الدين يوسف بن موسى الملطي الحلبي في يوم الخميس العشرين من شهر ربيع الآخر سنة ثمانمائة طلب من حلب واستمر إلى أن مات في ليلة الاثنين تاسع عشر شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وثمانمائة.

وتولاها من بعده قاضي القضاة أمين الدين عبد الوهاب ابن القاضي شمس الدين الطرابلسي في يوم الخميس ثاني عشر جمادي الآخرة من السنة فاستمر إلى سادس عشرين شهر رجب سنة خمس وثمانمائة عزل.

فتولاها من بعده قاضي القضاة كمال الدين عمر ابن إبراهيم بن محمد بن العديم الحلبي واستمر إلى أن مات في ليلة السبت ثاني عشر جمادى الآخرة سنة إحدى عشرة وثمانمائة ومولده بحلب سنة إحدى وسبعين وسبعمائة.

فتولاها من بعده ابنه القاضي ناصر الدين محمد في يوم الاثنين رابع عشر الشهر المذكور مضافا لمشيخة الشيخونية واستمر إلى أن صرف.

وأعيد القاضي أمين الدين الطرابلسي ثانيًا في رابع عشرين شهر رجب من سنة إحدى عشره وثمانمائة فاستمر القاضي أمين الدين إلى سابع المحرم من سنة اثنتي عشرة وثمانمائة صرف.

وأعيد قاضي القضاة ناصر الدين ابن العديم ثانيًا واستقر القاضي أمين الدين الطرابلسي في مشيخة الشيخونية عوضا عن ناصر الدين ابن العديم المذكور.

قلت: وناصر الدين المذكور هو صهري زوج كريمتي.

انتهى.

واستمر ناصر الدين ابن العديم إلى أن عزل فتولاها قاضي القضاة صدر الدين علي بن محمد بن محمد المعروف بابن الأدمي الدمشقي في سنة خمس عشرة وثمانمائة واستمر إلى أن مات في يوم السبت ثامن شهر رمضان من سنة ست عشرة وثمانمائة.

ثم أعيد ناصر الدين بن العديم ثالثا فاستمر إلى أن مات في ليلة السبت تاسع شهر ربيع الآخر سنة تسع عشرة وثمانمائة وشغرت الوظيفة إلى أن طلب الملك المؤيد شيخ شمس الدين محمد بن عبد الله بن سعد الديري من القدس وقدم القاهرة في ثالث عشر جمادى الأولى من سنة تسع عشرة المذكورة ونزل بقاعة الحنفية بالمدرسة الصالحية إلى أن استقر في القضاء يوم الاثنين سابع عشره واستمر إلى أن عزل برغبة منه.

وتولاها من بعده قاضي القضاة زين الدين عبد الرحمن بن علي بن عبد الرحمن التفهني في يوم الجمعة سادس ذي القعدة سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة واستمر إلى أن عزل.

ثم تولاها من بعده قاضي القضاة بدر الدين محمود ابن أحمد بن موسى العيني في يوم الخميس سابع عشرين شهر ربيع الآخر سنة تسع وعشرين وثمانمائة واستقر التفهني المذكور في مشيخة خانقاه شيخون بعد موت شيخ الإسلام سراج الدين عمر قارئ الهداية واستمر العيني إلى أن عزل.

ثم أعيد التفهني في يوم الخميس سادس عشرين صفر سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة فدام إلى أن صرف لطول مرضه.

ثم أعيد قاضي القضاة العيني ثانيا في سابع عشرين جمادى الآخرة سنة خمس وثلاثين وثمانمائة فاستمر العيني إلى أن صرف في دولة الملك العزيز يوسف ابن الملك الأشرف برسباي بقاضي القضاة سعد الدين سعد ابن القاضي شمس الدين محمد بن الديري في أول سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة.

.

.

قلت: وهؤلاء القضاة الذين استجدهم الملك الظاهر بيبرس البندقداري حسب ما ذكرناه في أول الترجمة.

وذلك بعد انقضاء الدولة الأيوبية.

وأما قبل خراب الديار المصرية في الدولة العبيدية فكانت قضاة الحنفية هم حكام مصر بل حكام المشرق والمغرب إلى حدود نيف وأربعمائة لما حمل المعز بن باديس الناس ببلاد المغرب على اتباع مذهب الإمام مالك - رضي الله عنه - ثم ملكت العبيدية مصر فمحوا آثار السنة وولوا قضاة الشيعة وبطل الأربعة مذاهب من مصر إلى أن زالت دولتهم وتولى السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب - رحمه الله - فولى قاضيًا شافعيًا فقط كونه كان شافعيا وأذهب الرافضة واستمر ذلك نحو تسعين سنة حتى ولي الملك الظاهر بيبرس فجدد المذاهب الثلاثة كما سقناه.

انتهى.

القضاة المالكية فالذي كان أولهم ولاية في دولة الظاهر بيبرس

هو القاضي شرف الدين عمر السبكي المالكي تغمده الله برحمته وجميع المسلمين.

.

.

قضاة الحنابلة فالذي ولاه الملك الظاهر بيبرس هو قاضي القضاة شمس الدين أبو بكر محمدًا ابن العماد إبراهيم الجماعيلي الحنبلي إلى أن امتحن وصرف في ثاني شعبان سنة سبعين وستمائة ولم يل بعد عزله بالقاهرة أحد من الحنابلة حتى توفي شمس الدين المذكور في يوم الخميس في العشر الأول من المحرم سنة ست وسبعين.

ثم ولي قاضي القضاة عز الدين عمر بن عبد الله بن عوض في النصف من جمادى الأولى سنة ثمان وسبعين فاستمر حتى مات سنة ست وتسعين وستمائة.

ثم تولى بعده قاضي القضاة شرف الدين أبو محمد عبد الغني بن يحيى الحراني إلى أن مات في رابع عشرين شهر ربيع الأول سنة تسع وسبعمائة.

ثم تولى بعده قاضي القضاة سعد الدين مسعود بن أحمد الحارثي في ثالث شهر ربيع الآخر من السنة وعزل بعد سنتين ونصف بقاضي القضاة تقي الدين ابن قاضي القضاة عز الدين عمر في حادي عشر شهر ربيع الأول سنة اثنتي عشرة وسبعمائة بعدما شغر منصب القضاة ثلاثة أشهر فلم تطل أيامه وعزل بقاضي القضاة موفق الدين عبد الله بن محمد بن عبد الملك المقدسي في نصف جمادى الآخرة سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة فدام في المنصب إلى أن مات في المحرم سنة تسع وستين وسبعمائة.

ثم تولى عوضه قاضي القضاة ناصر الدين نصر الله بن أحمد بن محمد العسقلاني حتى مات في ليلة الحادي والعشرين من شهر شعبان سنة خمس وتسعين وسبعمائة.

ثم تولى بعده ابنه قاضي القضاة برهان الدين إبراهيم ابن نصر الله حتى مات في ثامن شهر ربيع الأول سنة اثنتين وثمانمائة.

ثم تولى عوضه أخوه قاضي القضاة موفق الدين أحمد بن نصر الله فدام حتى صرف بقاضي القضاة نور الدين علي بن خليل بن علي بن أحمد بن عبد الله الحكري فلم تطل مدة الحكري وصرف.

ثم أعيد موفق الدين فاستمر إلى أن مات في سنة ثلاث وثمانمائة.

ثم تولى بعده قاضي القضاة مجد الدين سالم بن أحمد في ثالث عشرين شهر رمضان من سنة ثلاث فاستمر في القضاء إلى أن صرف بقاضي القضاة علاء الدين علي بن محمود بن أبي بكر بن مغلي في حدود سنة ست عشرة وثمانمائة فاستمر علاء الدين بن فغلي في القضاء إلى أن توفي بالقاهرة في العشرين من صفر سنة ثمان وعشرين وثمانمائة.

ثم تولى بعده قاضي القضاة محب الدين أحمد بن نصر الله البغدادي من التاريخ المذكور إلى أن صرفه الملك الأشرف بقاضي القضاة عز الدين عبد العزيز ابن علي البغدادي في ثالث عشر جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين فدام القاضي عز الدين إلى أن صرف في يوم الثلاثاء ثاني عشر صفر سنة ثلاثين وثمانمائة.

ثم أعيد قاضي القضاة محب الدين واستمر إلى أن مات في يوم الأربعاء خامس عشر جمادى الأولى سنة أربع وأربعين وثمانمائة.

ثم تولى بعده قاضي القضاة بدر الدين محمد بن محمد بن عبد المنعم البغدادي إلى أن مات في ليلة الخميس سابع جمادى الأولى سنة سبع وخمسين وثمانمائة.

ثم تولى بعده قاضي القضاة عز الدين أحمد بن إبراهيم بن نصر الله العسقلاني في يوم السبت تاسع جمادى الأولى المذكور.

قلت: وقد خرجنا عن المقصود في ترجمة الملك الظاهر بيبرس بالإطالة فيما ذكرناه غير أن ذلك كله هو أيضا مما يضاف إلى ترجمته ولا بأس بالإطالة مع تحصيل الفائدة ولنعد إلى ذكر السلطان الملك الظاهر بيبرس.

ثم أمر الملك الظاهر بأن يعمل بدمشق أيضًا كذلك في سنة أربع وستين فوقع ذلك وولى بها قضاة أربعة.

ولما وقع ولايته القضاء من كل مذهب بدمشق اتفق أنه كان لقب ثلاثة قضاة منهم شمس الدين وهم: قاضي القضاة شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان الشافعي وقاضي القضاة شمس الدين عبد الله بن محمد بن عطا الأذرعي الحنفي وقاضي القضاة شمس الدين عبد الرحمن ابن الشيخ أبي عمر الحنبلي فقال بعض الشعراء رحمه الله في هذا المعنى: المجتث أهل الشام استرابوا من كثرة الحكام إذ هم جميعا شموس وحالهم في ظلام وقال غيره: مجزوء الرمل بدمشق آية قد ظهرت للناس عاما كلما ولي شمس قاضيا زادت ظلاما ثم سافر الملك الظاهر من مصر إلى البلاد الشامية في هذه السنة - أعني سنة أربع وستين - فخرج منها في يوم السبت مستهل شعبان وجعل نائبه بديار مصر ولده الملك السعيد وجعل الجيش في خدمته والوزير بهاء الدين بن حنا وسار الملك الظاهر حتى نزل عين جالوت وبعث عسكرا مقدمه الأمير جمال الدين أيدغدي العزيزي ثم عسكرًا آخر مقدمه الأمير سيف الدين قلاوون الألفي للإغارة على بلاد الساحل فأغاروا على عكا وصور وطرابلس وحصن الأكراد وسبوا وغنموا ما لا يحصى.

ثم نزل الملك الظاهر بنفسه على صفد في ثامن شهر رمضان ونصب عليها المجانيق ودام الاهتمام بعمل الآلات الحربية إلى مستهل شوال إذ شرع في الزحف والحصار وأخذ النقوب من جميع الجهات إلى أن ملكها بكرة يوم الثلاثاء خامس عشر شوال واستمر الزحف والقتال ونصب السلالم على القلعة وتسلطت عليها النقوب والسلطان يباشر ذلك بنفسه حتى طلب أهل القلعة الأمان على أنفسهم وطلبوا اليمين على ذلك فأجلس السلطان الملك الظاهر الأمير كرمون أغا التتاري في دست السلطنة وحضرت رسلهم

فاستحلفوه فحلف لهم كرمون التتاري وهم يظنونه الملك الظاهر فإنه كان يشبه الملك الظاهر.

وكان في قلب الملك الظاهر منهم حزازة ثم شرط عليهم ألا يأخذوا معهم من أموالهم شيئا.

فلما كان يوم الجمعة ثامن عشر شوال طلعت السناجق على قلعة صفد ووقف الملك الظاهر بنفسه على بابها وأخرج من كان فيها من الخيالة والرجالة والفلاحين ودخل الأمير بدر الدين بيليك الخازندار وتسلمها واطلع على أنهم أخذوا شيئًا كثيرًا من التحف له قيمة فأمر الملك الظاهر بضرب رقابهم فضربت على ذل هناك.

وكتبت البشائر بهذا النصر إلى مصر والأقطار وزينت الديار المصرية لذلك ثم أمر الملك الظاهر بعمارة قلعة صفد وتحصينها ونقل الذخائر إليها والأسلحة وأزال دولة الكفر منها ولله الحمد وأقطع بلدها لمن رتبه لحفظها من الأجناد وجعل مقدمهم الأمير علاء الدين البكي وجعل في نيابة السلطنة بالمدينة الأمير عز الدين العلائي وولاية القلعة للأمير مجد الدين الطوري.

ثم رحل الملك الظاهر إلى دمشق في تاسع عشر شوال.

ولما كان الملك الظاهر نازلًا بصفد وصل إليه رسول صاحب صهيون بهدية جليلة ورسالة مضمونها الاعتذار من تأخيره عن الحضور فقبل الملك الظاهر الهدية والعذر.

ثم وصلت رسل صاحب سيس أيضا بهدية فلم يقبلها ولا سمع رسالتهم.

ثم وصلت البريدية من متولي قوص ببلاد الصعيد بخبر أنه استولى على جزيرة سواكن وأن صاحبها هرب وأرسل يطلب من الملك الظاهر الدخول في الطاعة وإبقاء سواكن عليه فرسم ثم رحل الملك الظاهر من دمشق يوم السبت ثالث في القعدة وأمر العساكر بالتقدم إلى بلاد سيس للإغارة عليها وقدم عليهم الملك المنصور صاحب حماة وتدبير الأمور راجع إلى الأمير آق سنقر الفارقاني فساروا حتى وصلوا إلى الدرب الذي يدخلون منه إليها وكان صاحبها قد بنى عليها أبرجة فيها المقاتلة فلما رأوا العسكر تركوها ومضوا فأخذها المسلمون وهدموها ودخلوا بلاد سيس فنهبوا وأسروا وقتلوا وكان فيمن أسر ابن صاحب سيس وابن أخته وجماعة من أكابرهم.

ودخلوا المدينة يوم السبت ثاني عشر ذي القعدة وأخذوا منها ما لا يحصى كثرة وعادوا نحو دمشق.

فلما قاربوها خرج الملك الظاهر لتلقيهم في ثاني ذي الحجة واجتاز بقارة في سادسه فأمر بنهبها وقتل من فيها من الفرنج فإنهم كانوا يخيفون السبيل ويستأسرون المسلمين فأراح الله منهم وجعلت كنيستها جامعًا ورتب بقارة خطيبًا وقاضيًا ونقل إليها الرعية من المسلمين ثم التقى العساكر وخلع عليهم وعاد معهم فدخل دمشق والغنائم والأسرى بين يديه في يوم الاثنين خامس عشر شهر ذي الحجة فأقام بها مدة.

ثم خرج منها طالبا الكرك في مستهل المحرم سنة خمس وستين وستمائة وأمر الملك الظاهر بعد خروجه من دمشق بعمارة جسر بالغور على نهر الشريعة وكان المتولي لعمارته جمال الدين محمد بن نهار وبدر الدين محمد بن رحال وهما من أعيان الأمراء ولما تكامل عمارته اضطرب بعض أركانه فقلق الملك الظاهر لذلك وأعاد الناس لإصلاحه فتعذر ذلك لزيادة الماء فاتفق وقوف الماء عن جريانه حتى أمكن إصلاحه فلما تم

إصلاحه عاد الماء إلى حاله قيل إنه كان وقع في النهر قطعة كبيرة مما يجاوره من الأماكن العالية فسدته من غير قصد.

وهذا من عجيب الاتفاق.

ثم عاد الملك الظاهر إلى ديار مصر وعند عوده إليها وصل إليه رسل صاحب اليمن الملك المظفر شمس الدين يوسف بن عمر ومعهم فيل وحمار وحش أبيض وأسود وخيول وصيني وتحف وطلب معاضدة الملك الظاهر له وشرط له أن يخطب له ببلاده.

ثم خرج السلطان في يوم السبت في ثاني جمادى الآخرة إلى بركة الجب عازمًا على قصد الشام على حين غفلة وجعل نائب السلطنة على مصر الأمير بيليك الخازندار ورحل في سابع الشهر فوردت عليه رسل صاحب يافا في الطريق فاعتقلهم وأمر العسكر بلبس آلة الحرب ليلا وسار فأصبح يافا وأحاط بها من كل جانب فهرب من كان فيها من الفرنج إلي قلعتها فملك السلطان المدينة وطلب أهل القلعة الأمان فأمنهم وعوضهم عما نهب لهم أربعين ألف درهم فركبوا في المراكب إلى عكا وكان أخذ قلعة يافا في الثاني والعشرين من الشهر المذكور وأمر بهدمها.

فلما فرغ السلطان من هدمها رحل عنها يوم الأربعاء ثاني عشر شهر رجب طالبا للشقيف فنزل عليه يوم الثلاثاء وحاصرها حتى تسلمها يوم الأحد تاسع عشرين رجب وكان الملك الظاهر أيضا ملك الباشورة بالسيف في السادس والعشرين منه.

ثم رحل الملك الظاهر عنها بعد أن رتب بها عسكرًا في عاشر شعبان وبعث أكثر أثقاله إلى دمشق وسار إلى طرابلس فشن عليها الغارة وأخرب قراها وقطع أشجارها وغور أنهارها.

ثم رحل إلى حصن الأكراد ونزل بالمرج الذي تحته فحضر إليه رسول من فيه بإقامة وضيافة فردها عليه وطلب منهم دية رجل من أجناده كانوا قتلوه مائة ألف دينار فأرضوه.

فرحل إلى حمص ثم إلى حماة ثم إلى أفامية ثم سار ونزل منزلة أخرى.

ثم رحل ليلا وأمر العسكر بلبس آلة الحرب ونزل أنطاكية في غرة شهر رمضان فخرج إليه جماعة من أهلها يطلبون الأمان وشرطوا شروطا لم يجب إليها وزحف عليها فملكها يوم السبت رابع الشهر ورتب على أبوابها جماعة من الأمراء لئلا يخرج أحد من الحرافشة بشيء من النهب ومن يوجد معه شيء يؤخذ منه فجمع من ذلك ما أمكن جمعه وفرقه على الأمراء والأجناد بحسب مراتبهم.

وحصر من قتل بأنطاكية فكانوا فوق الأربعين ألفًا وأطلق جماعة من المسلمين.

كانوا فيها أسراء من الحلبيين وكتب البشائر بذلك إلى مصر وإلى سائر الأقطار.

وأنطاكية: مدينة عظيمة مشهورة مسافة سورها اثنا عشر ميلًا وعدد أبراجها مائة وستة وثلاثون برجا وعدد شرفاتها أربع وعشرون ألفًا.

ولم يفتحها السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب - رحمه الله - فيما فتح.

قلت: كم ترك الأول للآخر.

ولما ملك الملك الظاهر أنطاكية وصل إليه قصاد من أهل القصير يطلبون تسليمها إليه فسير السلطان الأمير شمس الدين آق سنقر الفارقاني بالعساكر إليها فوصلها ووجد أكثر أهلها قد برح منها فتسلمها في ثالث عشر شهر رمضان وكان قد تسلم دركوش بواسطة فخر الدين الجناحي في تاسع شهر رمضان وعاد إلى دمشق فدخلها في سابع عشرين شهر رمضان وعيد السلطان بقلعة دمشق.

ثم عاد إلى القاهرة فدخلها آخر نهار الأربعاء حادي عشر في الحجة.

وبعد وصوله بمدة جلس في الإيوان بقلعة الجبل يوم الخميس تاسع صفر وأحضر القضاة والشهود والأعيان وأمر بتحليف الأمراء ومقدمي الحلقة لولده الملك السعيد بركة خان فحلفوا ثم ركب الملك السعيد يوم الاثنين العشرين من الشهر بأبهة السلطنة في القلعة ومشى والده أمامه وكتب تقليد له وقرئ على الناس بحضور الملك الظاهر وسائر أرباب الدولة.

ثم في يوم السبت ثاني عشر جمادى الآخرة خرج الملك الظاهر من القاهرة متوجهًا إلى الشام ومعه الأمراء بأسرهم جرائد واستناب بالديار المصرية في خدمة ولده الأمير بدر الدين بيليك الخازندار.

ومن هذا التاريخ علم الملك السعيد على التواقيع وغيرها.

ولما صار الملك الظاهر بدمشق وصلت إليه كتب التتار ورسلهم والرسل: محب الدين دولة خان وسيف الدين سعيد ترجمان وآخر ومعهم جماعة من أصحاب سيس فأنزلهم السلطان بالقلعة وأحضرهم من الغد وأدوا الرسالة ومضمونها: أن الملك أبغا بن هولاكو لما خرج من الشرق ملك جميع البلاد ومن خالفه قتل وأنت - يعني للملك الظاهر لو صعدت إلى السماء أو هبطت إلى الأرض ما تخلص منا فالمصلحة أن تجعل بيننا صلحًا وأنت مملوك أبعت في سيواس فكيف تشاقق ملوك الأرض وأولاد ملوكها فأجابه في وقته بأنه في طلب جميع ما استولوا عليه من العراق والجزيرة والروم والشام وسفرهم إليه بسرعة.

ثم في آخر شهر رجب خرج الملك الظاهر من دمشق ونزل خربة اللصوص فأقام بها أيامًا ثم ركب ليلة الاثنين ثامن عشر شعبان ولم يشعر به أحد وتوجه إلى القاهرة على البريد بعد أن عرف الفارقاني أنه يغيب أيامًا معلومة وقرر معه أنه يحضر الأطباء كل يوم ويستوصف منهم ما يعالج به متوعك يشكو تغيير مزاجه ليوهم الناس أن الملك الظاهر هو المتوعك فكان يدخل ما يصفونه إلى الخيمة ليوهم العسكر صحة ذلك وسار الملك الظاهر حتى وصل قلعة الجبل ليلة الخميس حادي عشرين شعبان فأقام بالقاهرة أربعة أيام ثم توجه ليلة الاثنين خامس عشرين الشهر على البريد فوصل إلى المعسكر يوم تاسع عشرين الشهر.

وكان غرضه بهذا السفر كشف أحوال ولده الملك السعيد وغير ذلك.

ثم في يوم الأحد سادس عشر شهر رمضان تسلم نواب الملك الظاهر قلعة بلاطنس وقلعة كرابيل من عز الدين أحمد بن مظفر الدين عثمان بن منكورس صاحب صهيون وعوضه غيرهما قرية تعرف بالخميلة من أعمال شيزر.

ثم في يوم الخميس العشرين من شهر رمضان توجه الملك الظاهر إلى صفد فأقام بها يومين ثم شن الغارة على بلد صور وأخذ منها شيئًا كثيرًا.

ثم عاد الملك الظاهر إلى دمشق وعيد بها.

ثم خرج منها في خامس عشرين شوال يريد الكرك فوصله في أوائل ذي القعدة.

ثم توجه في سادسه إلى الحجاز وصحبته بيليك الخازندار والقاضي صدر الدين سليمان الحنفي وفخر الدين إبراهيم بن لقمان وتاج الدين ابن الأثير ونحو ثلاثمائة مملوك وجماعة من أعيان الحلقة فوصل المدينة الشريفة في العشر الأخير من الشهر فأقام بها ثلاثة أيام.

وكان جماز قد طرق المدينة وملكها فلما قدم الظاهر هرب فقال الملك الظاهر: لو كان جماز يستحق القتل ما قتلته.

لأنه في حرم النبي صلى الله عليه وسلم ثم تصدق في المدينة بصدقات كثيرة وخرج منها متوجهًا إلى مكة فوصلها في ثامن ذي الحجة فخرج إليه أبو نمي وعمه إدريس صاحبا مكة وبذلا له الطاعة فخلع عليهما وسارا بين يديه إلى عرفات فوقف بها يوم الجمعة ثم عاد إلى منى ثم إلى مكة وطاف بها طواف الإفاضة وصعد الكعبة وغسلها بماء الورد وطيبها بيده وأقام يوم الاثنين ثم ركب وتوجه إلى المدينة الشريفة فزار بها قبر النبي صلى الله عليه وسلم ثانيا.

ثم توجه إلى الكرك فوصله في يوم الخميس تاسع عشرين في الحجة فصلى به الجمعة.

ثم توجه إلى دمشق فوصل يوم الأحد ثاني المحرم سنة ثمان وستين وستمائة في السحر فخرج الأمير جمال الدين آقوش فصادفه في سوق الخيل واجتمع به.

ثم سار إلى حلب فوصلها في سادس المحرم.

ثم خرج منها في عاشره وسار إلى حماة ثم إلى دمشق ثم إلى مصر وصحبته الأمير عز الدين الأفرم فدخلها يوم الأربعاء رابع صفر واتفق ذلك اليوم دخول ركب الحاج وكانت العادة يوم ذاك بدخول الحاج إلى القاهرة بعد عاشر صفر فأقام الملك الظاهر بالقاهرة أيامًا وخرج منها في صفر المذكور إلى الإسكندرية ومعه ولده الملك السعيد وسائر الأمراء فتصيد أيامًا وعاد إلى نحو القاهرة في يوم الثلاثاء ثامن شهر ربيع الأول وخلع في هذه السفرة على الأمراء وفرق فيهم الخيل والحوائص الذهب والسيوف المحلاة والذهب والدراهم والقماش وغير ذلك.

فلم يقم بالقاهرة إلا مدة يسيرة وخرج منها متوجهًا إلى الشام في يوم الاثنين حادي عشرين شهر ربيع الأول في طائفة يسيرة من أمرائه وخواصه فوصل إلى دمشق في يوم الثلاثاء سابع شهر ربيع الآخر ولقي أصحابه في الطريق مشقة شديدة من البرد.

ثم خرج عقيب ذلك إلى الساحل وأسر ملك عكا وقتل وأسر وسبى.

ثم قصد الغارة على المرقب فوجد من الأمطار والثلوج ما منعه فرجع إلى حمص فأقام بها نحو عشرين يومًا.

ثم خرج إلى جهة حصن الأكراد ونزل تحتها وأقام يركب كل يوم ويعود من غير قتال إلى الثامن والعشرين من شهر رجب فبلغه أن مراكب الفرنج دخلت ميناء الإسكندرية وأخذت مركبين للمسلمين فرحل من فوره إلى نحو الديار المصرية فوصلها ثاني عشر شعبان.

فحين دخوله إلى مصر أمر بعمارة القناطر التي على بحر أبي المنجا وهي من المباني العجيبة في الحسن والإتقان وبينما هو في ذلك ورد عليه البريد من الشام أن الفرنج قاصدون الساحل والمقدم عليهم شارل أخوريدا فرنس وربما كان محطهم عكا فتقدم الملك الظاهر إلى العسكر بالتوجه إلى الشام.

ثم ورد الخبر أيضًا بأن اثني عشر مركبا للفرنج عبروا على الإسكندرية ودخلوا ميناءها وأخذوا مركبًا للتجار واستأصلوا ما فيه وأحرقوه ولم يجسر والي الإسكندرية أن يخرج الشواني من الصناعة لغيبة رئيسها في مهم استدعاه الملك الظاهر بسببه.

ولما بلغ الملك الظاهر ذلك بعث أمر بقتل الكلاب في الإسكندرية وألا يفتح أحد حانوتًا بعد المغرب ولا يوقد نارًا في البلد ليلًا ثم تجهز بسرعة وخرج نحو دمياط يوم الخميس خامس ذي القعدة في البحر.

وفي ذي الحجة أمر السلطان بعمل جسرين: أحدهما من مصر إلى الجزيرة - أعني الروضة والآخر من الجزيرة إلى الجيزة على مراكب لتجوز العساكر عليهما.

ثم عاد الملك الظاهر من دمياط بسرعة ولم يلق حربا.

وخرج من مصر إلى عسقلان في يوم السبت عاشر صفر سنة تسع وستين وستمائة في جماعة يسيرة من الأمراء والأجناد فوصل إلى عسقلان وهدم من سورها ما كان أهمل هدمه في أيام الملك الصالح ووجد فيما هدم كوزان مملوءان ذهبًا مقدار ألفي دينار ففرقها على من صحبه وورد عليه الخبر وهو بعسقلان بأن عسكر ابن أخي بركة خان المغلي كسر عسكر أبغا بن هولاكو فسر الملك الظاهر بذلك سرورًا زائدًا.

وعاد إلى مصر يوم السبت ثامن شهر ربيع الأول.

وفي هذه السنة انتهى الجسر والقناطر الذي عمل على بحر أبي المنجا ووقف عليه الملك الظاهر وقفا يعمر منه ما دثر منه على طول السنين.

وفي هذه السنة أيضًا بنى الملك الظاهر جامع المنشية وأقيمت فيه الخطبة يوم الجمعة ثامن عشرين شهر ربيع الآخر من سنة تسع وستين وستمائة المذكورة.

ثم في السنة المذكورة أيضًا خرج الملك الظاهر من الديار المصرية متوجهًا إلى نحو حصن الأكراد في ثاني عشر جمادى الآخرة ودخل دمشق يوم الخميس ثامن شهر رجب وكان معه في هذه السفرة ولده الملك السعيد والصاحب بهاء الدين بن حنا واستخلف بمصر الأمير شمس الدين آق سنقر الفارقاني وفي الوزارة الصاحب تاج الدين بن حنا.

ثم خرج الملك الظاهر من دمشق في يوم السبت عاشره وتوجه بطائفة من العسكر إلى جهة وولده وبيليك الخازندار بطائفة أخرى إلى جهة وتواعدوا الاجتماع في يوم واحد بمكان معين ليشنوا الغارة على جبلة واللاذقية والمرقب وعرقة ومرقية والقليعات وصافيثا والمجدل وأنطرطوس فلما اجتمعوا على أن يشنوا الغارة فتحوا صافيثا والمجدل ثم ساروا ونزلوا حصن الأكراد يوم الثلاثاء تاسع عشر شهر رجب من سنة تسع وستين وستمائة وأخذوا في نصب المجانيق وعمل الستائر ول! ذا الحصن ثلاثة أسوار فاشتد عليه الزحف والقتال وفتحت الباشورة الأولى يوم الخميس حادي عشرين الشهر وفتحت الثانية يوم السبت سابع شعبان وفتحت الثالثة الملاصقة للقلعة في يوم الأحد خامس عشره وكان المحاصر لها الملك السعيد ابن الملك الظاهر ومعه بيليك الخازندار وبيسري ودخلت العساكر البلد بالسيف وأسروا من فيه من الجبلية والفلاحين ثم أطلقوهم.

فلما رأى أهل القلعة ذلك أذعنوا بالتسليم وطلبوا الأمان فأمنهم الملك الظاهر وتسلم القلعة يوم الاثنين ثالث عشرين شعبان وكتبت البشائر بهذا الفتح إلى الأقطار وأطلق الملك الظاهر من كان فيها من الفرنج فتوجهوا إلى طرابلس.

ثم رحل الملك الظاهر بعد أن رتب الأمير عز الدين أيبك الأفرم لعمارته وأقيمت فيه الجمعة ورتب نائبًا وقاضيًا.

ولما وقع ذلك بعث صاحب أنطرطوس إلى الملك الظاهر يطلب المهادنة وبعث إليه بمفاتيح أنطرطوس فصالحه على نصف ما يتحصل من غلال بلده وجعل عندهم نائبا من قبله.

ثم صالح صاحب المرقب على المناصفة أيضا وذلك في يوم الاثنين مستهل شهر رمضان من سنة تسع وستين وقررت الهدنة عشر سنين وعشرة أشهر وعشرة أيام.

ثم سار الملك الظاهر في يوم الأحد رابع عشر شهر رمضان فأشرف على حصن ابن عكار وعاد إلى المرج فأقام به إلى أن سار ونزل على الحصن المذكور ثانيًا في يوم الاثنين ثاني عشرين شهر رمضان ونصب المجانيق عليه في يوم الثلاثاء.

وفي يوم الأحد ثامن عشرينه رمى المنجنيق الذي قبالة الباب الشرقي رميًا كثيرًا فخسف خسفًا كبيرًا إلى جانب البدنة ودام ذلك إلى الليل فطلبوا الأمان على أنفسهم من القتل وأن يمكنهم من التوجه إلى طرابلس فأجابهم فخرجوا يوم الثلاثاء سلخ الشهر وكتبت البشائر بالفتح والنصر إلى سائر الأقطار.

ثم في يوم السبت رابع شوال خيم السلطان الملك الظاهر بعساكره على طرابلس فسير صاحبها إليه يستعطفه فبعث إليه الملك الظاهر الأتابك وسيف الدين الدوادار الرومي على أن يكون له من أعمال طرابلس نصف بالسوية وأن يكون له دار وكالة فيها وأن يعطى جبلة واللاذقية بخراجهما من يوم خروجهما عن الملك الناصر إلى يوم تاريخه وأن يعطى نفقات العساكر من يوم خروجه فلما علم الرسالة عزم على القتال وحصن طرابلس فنصب الملك الظاهر المجانيق ثم ترددت الرسل ثانيًا وتقرر الصلح أن تكون عرقة وجبلة وأعمالها للبرنس صاحب طرابلس وأن يكون ساحل أنطرطوس والمرقب وبانياس وبلاد هذه النواحي بينه وبين الداوية والتي كانت خاصًا لهم وهي بارين وحمص القديمة تعود خاصًا للملك الظاهر وشرط أن تكون عرقة وأعمالها وهي ست وخمسون قرية صدقة من الملك الظاهر عليه فتوقف صاحب طرابلس وأنف فلما بلغ الملك نقص صفحة 138 - 139 الظاهر امتناعه صمّم على ما شَرَط عليه حتى أجابه وعُقِد الصلح بينهما مدّة عشر سنين وعشرة أشهر وعشرة أيام.

وفي يوم السبت حادى عشر شوّال رَحَل الملك الظاهر عن مَرْج صافيثا وأذِن إلى صاحب حَمَاة وصاحب حِمْص بالعَوْد إلى بلادهم وسار الظاهر حتى دخل دِمَشْق يوم الأربعاء خامس عشر شوّال وعَزَل القاضي شَمسَ الدين أحمد بن خلّكان عن قضاء دِمَشْق وكانت مدّة ولايته عشر سنين وولى عِوضَه القاضيَ عِزالدين محمد بن عبد القادر بن عبد الخالق المعروف بابن الصائغ.

ثم في يوم الجمعة رابع عشرين شوّال خرج الملك الظاهر من دِمَشْق قاصدًا القُرَيْن فنزل عليه يوم الاثنين سابع عشرين الشهر ونصَب عليه المجانيق ولم يكن به نساء ولا أطفال بل مُقاتِلة فقاتلوا قتالًا شديدًا وأخذت النُقُوب للحِصْن من كلّ جانب فطلب مَنْ فيِه الأمان فأَمَنوا يوم الاثنين ثالث عشر ذي القعدة وتَسَلّم السلطانُ الحِصْن بما فيه من

السلاح ثمّ هدمه وكان بناؤه من الحجر الصلْد وبين كلّ حجرين عُود حديد ملزوم بالرصاص فأقاموا في هدمه اثني عشريومًا وفي حِصارِه خمسة عشريومًا.

قريبة من عكَا - ولَبِس العسكر وسار إلى عَكا وأشرف عليها ثم عاد إلى منزله.

ثم رحل منها يوم الثلاثاء قاصدًا مصر فدخلها يومَ الخميس ثالث عشر ذي الحجة وكان جملة ما صرَفه الملك الظاهر في هنه السفْرة من حين خروجه من مصر إلى حين عَوْده إليها ما ينيف على مائة ألف دينار وثمانين ألف دينار عَيْنًا.

وفي اليوم الثاني من وصوله إلى قلعة الجبل قَبَض على جماعة من الأمراء منهم: الأمير علم الدين سَنْجَر الحلبي الكبير الذي كان تسلطن بدِمَشْق في أول سلطنة الملك الظاهر بِيبَرْس والأمير جمال الدين آقوش المحمَّدي والأمير جمال الدين أيدُغْدي الحاجبي الناصري والأمير شمس الدين سُنْقُر المسّاح والأمير سيف الدين بيدغان الركْني والأمير علم الدين سَنْجَر طرطح وغيرهم وحُبِسوا الجميع بقلعة الجبل وسبب ذلك أنه بلغه أنهم تآمروا على قبضه لمّا كان بالشَقِيف فأسرَّها في نفسه إلى وقتها.

وكان بلغ الملكَ الظاهرَ وهوعلى حِصْن الأكراد أنّ صاحب قُبْرُص خرج منها في مراكبه إلى عكا فأراد السلطان اغتنام خلوّها فجهّز سبعة عشر شِينياً فيها الرئيس ناصر الدين عمربن منصور رئيس مصر وشهاب الدين محمد بن إبراهيم بن عبد السلام رئيس الإسكندرية وشرف الدين علوي بن أبي المجد بن علوي العَسْقلاني رئيس دِمْياط وجمال الدين مَكي بن حسون مقدّماً على الجميع فوصلوا الجزيرة ليلًا فهاجت عليهم ريحٌ طردتْهم عن المَرْسَى وألقتْ بعض الشَوَاني على بعض فتحطم منها أكثر من أحد عشر شِينيًا وأخِذ مَنْ فيها من الرجال والصنّاع أسَراء وكانوا زُهَاءَ ألف وثمانمائة نفس وسلِم الرئيس ناصرالدين وابن حَسّون في الشَّوَاني السالمة وعادت إلى مراكزها فعظُم ذلك على الملك الظاهر بِيبَرْس إلى الغاية.

وفي

يوم الاثنين سابع عشر ذي الحجّة أمر الملك الظاهر بإراقة الخمور

في سائر بلاده وأوعد مَنْ يَعْصِرُها بالقتل فأرِيق على الأجناد والعوام منها ما لا تُحْصَى قيمتُه وكان ضمانُ ذلك في ديار مصر خالصة ألفَ دينار في كل يوم وكُتِب بذلك توقيعٌ قُرِىء على ـ وفي العَشْر الأخير من ذي الحجة آهتمّ الملك الظاهر بإنشاء شَوَانٍ عِوَضاً عمّا ذهب على قُبْرُص وانتهى العمل من الشواني في يوم الأحد رابع عشر المحرم سنة سبعين وركب السلطان إلى الصناعة لإلقاء الشواني في بحر النيل وركب السلطان في شيني منها ومعه الأمير بدر الدين بيليك الخازندار فلما صار الشيني في الماء مال بمن فيه فوقع الخازندار منه إلى البحر فنهض بعض رجال الشيني ورمى بنفسه خلفه فأدركه وأخذ بشعره وخلصه وقد كاد يهلك فخلع عليه الملك الظاهر وأحسن إليه.

وفي ليلة السبت السابع والعشرين منه خرج الملك الظاهر من الديار المصرية إلى الشام في نفر يسير من خواصه وأمرائه ودخل حصن الكرك وخرج منه وصحب معه نائبه الأمير عز الدين أيدمر وسار إلى دمشق فوصل إليه يوم الجمعة ثاني عشر صفر فعزل عنها الأمير جمال الدين آقوش النجيبي وولى مكانه الأمير عز الدين أيدمر المعزول عن نيابة الكرك.

ثم خرج منها إلى حماة في سادس عشره ثم عاد منها في السادس والعشرين.

وفيها أمر ملك التتار أبغا بن هولاكو عساكره بقصد البلاد الشامية فخرج عسكره في عدة عشرة آلاف فارس وعليهم الأمير صمغرا والبرواناه فلما بلغهم أن الملك الظاهر بالشام أرسلوا ألفا وخمسمائة من المغل ليتجسسوا الأخبار ويغيروا على أطراف بلاد حلب وكان مقدمهم أمال بن بيجونوين ووصلت غارتهم إلى عينتاب ثم إلى قسطون ووقعوا على تركمان نازلين بين حارم وأنطاكية فاستأصلوهم فتقدم الملك الظاهر بتجفيل البلاد ليحمل التتار الطمع فيدخلوا فيتمكن منهم.

وبعث إلى مصر بخروج العساكر فخرجت ومقدمها الأمير بيسري فوصلوا إلى السلطان في خامس شهر ربيع الآخر وخرج بهم في السابع منه فسبق إلى التتار خبره فولوا على أعقابهم.

وكان الظاهر لما مر بحماة استصحب معه الملك المنصور صاحب حماة ونزل الظاهر حلب يوم الاثنين ثاني عشر شهر ربع الآخر من سنة سبعين وستمائة وخيم بالميدان الأخضر ثم جهز الأمير شمس الدين آق سنقر الفارقاني في عسكر وأمره أن يمضي إلى بلاده حلب الشمالية ولا يتعرض لبلاد صاحب سيس وجهز الأمير علاء الدين طيبرس الوزيري في عسكر وأمره بالتوجه إلى حران.

فاما الفارقاني فإنه سار خلف التتار إلى مرعش فلم يجد منهم أحدًا ثم عاد إلى حلب فوجد الملك الظاهر مقيما بها وقد أمر بإنشاء دار شمالي القلعة كانت تعرف بدار الأمير بكتوت أستادار الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب حلب وأضاف إليها دارًا أخرى ووكل بعمارتها الأمير عز الدين آقوش الأفرم.

ولفا عاد الفارقاني إلى حلب رحل الملك الظاهر منها نحو الديار المصرية في ثامن عشرين شهر ربيع الآخر ودخل مصر في الثالث والعشرين من جمادى الأولى.

ولما وصل الظاهر إلى مصر قبض على الأمراء الذين كانوا مجردين على قاقون بسبب الفرنج لما أغاروا على الساحل ما عدا آقوش الشمسي ثم شفع فيهم فأطلقهم.

وفي يوم الأربعاء ثالث جمادى الآخرة عدى الملك الظاهر إلى بر الجيزة فأخبر أن ببوصير السدر مغارة فيها مطلب فجمع لها خلقًا فحفروا مدى بعيدًا فوجدوا قطاطًا ميتة وكلاب صيد وطيورًا وغير ذلك من الحيوانات ملفوفًا في عصائب وخرق فإذا حلت اللفائف ولاقى الهواء ما كان فيها صار هباء منثورًا وأقام الناس ينقلون من ذلك مدة ولم ينفد ما فيها فأمر الملك وفي يوم السبت سابع عشرين جمادى الآخرة ركب السلطان الملك الظاهر إلى الصناعة ليرى الشواني التي عملت وهي أربعون شينيا فسر بها.

وعند عوده إلى القلعة ولدت زرافة بقلعة الجبل وأرضع ولدها لبن بقرة.

ثم سافر الملك الظاهر إلى الشام في شعبان وسار حتى وصل الساحل وخيم بين قيسارية وأرسوف وكان مركزًا بها الفارقاني فرحل الفارقاني عنها إلى مصر.

ثم إن الملك الظاهر شن الغارة على عكا فطلب منه أهلها الصلح وترددوا في ذلك حتى تقررت الهدنة بينهم مدة عشر سنين وعشرة أشهر وعشرة أيام وعشر ساعات أولها ثاني عشرين شهر رمضان سنة سبعين وستمائة.

ثم رحل الملك الظاهر إلى خربة اللصوص ثم سار منها إلى دمشق فدخلها في الثامن من شوال وبينما هو في دمشق ترددت الرسل بينه وبين التتار وانفصل الأمر من غير اتفاق.

وفي ذي الحجة توجه الملك الظاهر من دمشق إلى حصن الأكراد لينقل حجارة المجانيق إليها ورؤية ما عمر فيها ففعل ذلك.

ثم سار إلى حصن عكار فأشرف عليها.

ثم عاد إلى دمشق في خامس المحرم من سنة إحدى وسبعين وستمائة.

وفي ثاني عشر المحرم المذكور أفرج الملك الظاهر عن الأمير أيبك النجيبي الصغير وأيدمر الحلي العزيزي وكانا محبوسين بالقاهرة.

ثم خرج الملك الظاهر من دمشق في المحرم أيضًا عائدًا إلى الديار المصرية وصحبته الأمير بدر الدين بيسري والأمير أقوش الرومي وجرمك الناصري فوصل إليها في يوم السبت ثالث عشرين المحرم فأقام بالقاهرة إلى ليلة الجمعة تاسع عشرينه خرج من مصر وتوجه إلى دمشق فدخل قلعتها ليله الثلاثاء رابع صفر فأقام بدمشق إلى خامس جمادى الأولى.

واتصل به أن فرقة من التتار قصدت الرحبة فبرز إلى القصير فبلغه أنهم عادوا من الرحبة ونزلوا على البيرة فسار إلى حمص وأخذ مراكب الصيادين على الجمال ليجوز عليها ثم سار حتى وصل إلى الباب من أعمال حلب وبعث جماعة من الأجناد والعربان لكشف أخبارهم وسار إلى منبج فعادوا وأخبروا أن طائفة من التتار مقدار ثلاثة آلاف فارس على شط الفرات مما يلي الجزيرة فرحل عن منبج يوم الأحد ثامن عشر جمادى الأولى ووصل شط الفرات وتقدم إلى العسكر بخوضها فخاض الأمير سيف الدين قلاوون الألفي والأمير بدر الدين بيسري في أول الناس ثم تبعهما هو بنفسه وتبعته العساكر فوقعوا على التتار فقتلوا منهم مقتلة عظيمة وأسروا تقدير مائتي نفس ولم ينج منهم إلا القليل وتبعهم بيسري إلى قريب سروج ثم عاد.

وكان على البيرة جماعة كثيرة من عسكر التتار وكانوا قد أشرفوا على أخذها فلما بلغهم الخبر رحلوا عن البيرة ودخلها السلطان في ثاني عشرين الشهر وخلع على نائبها وفرق في أهلها مائة ألف درهم وأنعم عليهم ببعض ما تركه التتار عندهم لما هربوا.

ثم رحل الملك الظاهر عنها بعساكره وعاد إلى دمشق.

وفي هذه النصرة قال العلامة شهاب الدين أبو الثناء محمود كاتب الإنشاء - رحمه الله - قصيدة طنانة أولها: الكامل سر حيث شئت لك المهيمن جار واحكم فطوع مرادك الأقدار لم يبق للدين الذي أظهرته يا ركنه عند الأعادي ثار لما تراقصت الرؤوس وحركت من مطربات قسيك الأوتار خضت الفرات بسابح أقصى منى هوج الصبا من نعله آثار حملتك أمواج الفرات ومن رأى بحرًا سواك تقله الأنهار وتقطعت فرقًا ولم يك طودها إذ ذاك إلا جيشك الجرار رشت دماؤهم الصعيد فلم يطر منهم على الجيش السعيد غبار شكرت مساعيك المعاقل والورى والترب والآساد والأطيار هذي منعت وهؤلاء حميتهم وسقيت تلك وعم ذا الإيسار فلأملأن الدهر فيك مدائحًا تبقى بقيت وتذهب الأعصار ولما ترامينا الفرات بخيلنا سكناه منا بالقوى والقوائم فأوقفت التيار عن جريانه إلى حيث عدنا بالغنى والغنائم وقال الموفق عبد الله بن عمر الأنصاري - رحمه الله - وأجاد: السريع الملك الظاهر سلطاننا نفديه بالأموال والأهل اقتحم الماء ليطفي به حرارة القلب من المغل ثم توجه الملك الظاهر إلى نحو الديار المصرية فخرج ولده الملك السعيد لتلقيه في يوم الثلاثاء تاسع عشر جمادى الآخرة فاجتمع به بين القصير والصالحية في يوم الجمعة ثاني عشرينه فترجلا واعتنقا طويلًا ثم ركبا وسارا جميعًا إلى القلعة وبين يديهم أسارى التتار ركابًا على الخيل.

ثم في سابع شهر رجب أفرج الملك الظاهر عن الأمير عز الدين أيبك الدمياطي من الاعتقال وكانت مدة اعتقاله تسع سنين وعشرة أيام ثم خلع الملك الظاهر على أمراء الدولة ومقدمي الحلقة وأعطى كل واحد منهم ما يليق به من الخيل والذهب والحوائص والثياب والسيوف وكان قيمة ما صرفه فيهم فوق ثلاثمائة ألف دينار.

وفي سادس عشرين شعبان أفرج الملك الظاهر عن الأمير علم الدين سنجر الحلبي الغتمي المعزي.

وفي يوم الاثنين ثاني عشر شوال استدعى الملك الظاهر الشيخ خضرًا إلى القلعة وأحضره قلت: والشيخ خضر هذا هو صاحب الزاوية بالحسينية بالقرب من جامح الظاهر.

انتهى.

وأحضر معه جماعة من الفقراء حاققوه على أشياء كثيرة منكرة وكثر بينه وبينهم فيها المقالة ورموه بفواحش كثيرة ونسبوه إلى قبائح عظيمة فرسم الملك الظاهر باعتقاله وكان للشيخ خضر المذكور منزلة عظيمة عند الملك الظاهر بحيث إنه كان ينزل عنده في الجمعة المرة والمرتين ويباسطه ويمازحه ويقبل شفاعته ويستصحبه في سائر سفراته ومتى فتح مكانا أفرض له منه أوفر نصيب فامتدت يد الشيخ خضر بذلك في سائر المملكة يفعل ما يختار لا يمنعه أحد من النواب حتى إنه دخل إلى كنيسة قمامة ذبح قسيسها بيده وانتهب ما كان فيها تلامذته وهجم كنيسة اليهود بدمشق ونهبها وكان فيها ما لا يعبر من الأموال وعمرها مسجدًا وعمل بها سماعا ومد بها سماطا.

ودخل كنيسة الإسكندرية وهي عظيمة عند النصارى فنهبها وصيرها مسجدًا وسماها المدرسة الخضراء وأنفق في تعميرها مالًا كثيرًا من بيت المال.

وبنى له الملك الظاهر زاوية بالحسينية ظاهر القاهرة ووقف عليها وحبس عليها أرضًا تجاورها تحتكر للبناء.

وبنى لأجله جامع الحسينية.

وفي يوم الاثنين سابع المحرم سنة اثنتين وسبعين وستمائة جلس الملك الظاهر بدار العدل وحكم بين الناس ونظر في أمور الرعية فأنصف المظلوم وخلص الحقوق ومال على القوي ورفق وفي العاشر منه هدمت غرفة على باب قصر من قصور الخلفاء الفاطميين بالقاهرة.

ويعرف هذا الباب بباب البحر وهو من بناء الخليفة الحاكم بأمر الله منصور المقدم ذكره فوجد في القصر الذي هدم امرأة في صندوق منقوش عليها كتابة اسم الملك الظاهر بيبرس هذا وصفته وبقي منها ما لم يمكن قراءته.

وفيها قبض على ملك الكرج وهو أنه كان قد خرج من بلاده قاصدًا زيارة القدس الشريف متنكرًا في زي الرهبان ومعه جماعة يسيرة من خواصه فسلك بلاد الروم إلى سيس فركب البحر إلى عكا ثم خرج منها إلى بيت المقدس فاطلع الأمير بدر الدين الخازندار على أمره وهو على يافا فبعث إليه من قبض عليه فلما حضر بين يديه بعثه مع الأمير ركن الدين منكورس إلى السلطان وكان السلطان قد توجه إلى دمشق فوصل إلى دمشق في رابع عشر جمادى الأولى فأقبل عليه السلطان وسأله حتى اعترف فحبسه في برج من أبراج قلعة دمشق وأمره أن يبحث من جهته إلى بلاده من يعرفهم بأسره فبعث نفرين.

وخرج الملك الظاهر من دمشق ثالث عشرين جمادى الآخرة وقدم القاهرة يوم الخميس سابع شهر رجب من سنة اثنتين وسبعين المذكورة.

ثم في يوم الخميس خامس عشرين شهر رمضان أمر السلطان العسكر أن يركب بالزينة الفاخرة ويلعب في الميدان تحت القلعة فاستمر ذلك كل يوم إلى يوم عيد الفطر ختن السلطان الملك الظاهر ولده خضرًا ومعه جماعة من أولاد الأمراء وغيرهم وكان الملك السعيد ابن الملك الظاهر في يوم الأربعاء سابع عشر شهر رمضان خرج من القاهرة وتوجه إلى دمشق ومعه شمس الدين آقسنقر الفارقاني وأربعون نفرًا من خواصه على خيل البريد وعاد إلى القاهرة في يوم الخميس الرابع والعشرين من شوال.

وفي يوم الأحد سابع صفر من سنة ثلاث وسبعين وستمائة ركب الملك الظاهر الهجن وتوجه إلى الكرك ومعه بيسري وأتامش السعدي وسبب توجهه أن وقع بالكرك برج فأحب أن يكون إصلاحه بحضوره.

ثم عاد إلى مصر فدخلها في يوم الثلاثاء ثاني عشرين شهر ربيع الأول فأقام بها مدة يسيرة.

ثم توجه إلى دمشق وأقام به إلى أن أرسل في رابع عشرين المحرم سنة أربع وسبعين وستمائة الأمير بدر الدين بيليك الخازندار على البريد إلى مصر لإحضار الملك السعيد فعاد به إلى دمشق في يوم الأربعاء سادس صفر من السنة.

وفي الثالث والعشرين من جمادى الأولى فتح حصن القصير وهو بين حارم وأنطاكية وكان فيه قسيس عظيم عند الفرنج يقصدونه للتبرك به وكان الملك الظاهر قد أمر التركمان وبعض العرب بمحاصرته وبعد أخذه عاد الملك الظاهر إلى مصر فلم تطل مدته به وعاد إلى دمشق فدخله يوم ثالث المحرم من سنة خمس وسبعين فأقام به مدة يسيرة أيضا وعاد إلى الديار المصرية في يوم الاثنين ثالث شهر ربيع الآخر وأمر بعمل عرس ولده الملك السعيد واهتم في ذلك إلى يوم الخميس خامس جمادى الأولى أمر العسكر بالركوب إلى الميدان الأسود تحت القلعة في أحسن زي وأقاموا يركبون كل يوم كذلك ويتراكضون في الميدان والناس تزدحم للفرجة عليهم خمسة أيام وفي اليوم السادس افترق الجيش فرقتين وحملت كل فرقة على الأخرى وجرى من اللعب والزينة ما لا يوصف وفي اليوم السابع خلع على سائر الأمراء والوزراء والقضاة والكتاب والأطباء مقدار ألف وثلاثمائة خلعة وأرسل إلى دمشق الخلع ففرقت كذلك وفي يوم الخميس مد السماط في الميدان المذكور في أربعة خيم وحضر السماط من علا ومن دنا ورسل التتار ورسل الفرنج وعليهم الخلع أيضا وجلس السلطان في صدر الخيمة على تخت من آبنوس وعاج مصفح بالذهب مسمر بالفضة غرم عليه ألف دينار ولما انقضى السماط قدم الأمراء الهدايا من الخيل والسلاح والتحف وسائر الملابس فلم يقبل السلطان من أحد منهم سوى ثوب واحد جبرًا له فلما كان وقت العصر ركب إلى القلعة وأخذ في تجهيز ما يليق بالزفاف والدخول ولم يمكن أحد من نساء الأمراء على الإطلاق من الدخول إلى البيوت ودخل الملك السعيد إلى الحمام ثم دخل إلى بيته الذب هيئ له بأهله وحملت العروس فدخل عليها.

ولما بلغ الملك المنصور صاحب حماة ذلك قدم القاهرة مهنئا للسلطان ومعه هدية سنية فوصل القاهرة في ثامن جمادى الآخرة فركب الملك السعيد لتلقيه ونزل بالكبش وأقام مدة يسيرة ثم عاد إلى بلده.

ثم خرج الملك الظاهر بعد ذلك من القاهرة في يوم الخميس العشرين من شهر رمضان بعد أن استناب الأمير آق سنقر الفارقاني الأستادار نائبا عنه في خدمة ولده الملك

السعيد وترك معه من العسكر بالديار المصرية لحفظ البلاد خمسة آلاف فارس ورحل من المنزلة يوم السبت ثاني عشر شوال قاصدًا بلاد الروم فدخل دمشق ثم خرج منها ودخل حلب يوم الأربعاء مستهل ذي القعدة وخرج منها يوم الخميس إلى حيلان فترك بها بعض الثقل وأمر الأمير نور الدين علي بن مجلي نائب حلب أن يتوجه إلى الساجور ويقيم على الفرات بمن معه من عسكر حلب ويحفظ معابر الفرات لئلا يعبر منها أحد من التتار قاصدًا الشام ووصل إلى الأمير نور الدين الأمير شرف الدين عيسى بن مهنا وأقام عنده فبلغ نواب التتار ذلك فجهزوا إليهم جماعة من عرب خفاجة لكبسهم فحشدوا وتوجهوا نحوهم.

فاتصل بالأمير عليّ نائب حلب الخبرُ وكان يقِظًا فركِب إليهم وآلتقاهم وكسرهم أقبح كسْرة وأخذ منهم ألفآ ومائتي جمل.

وأمّا الملك الظاهر فإنه ركِب من حَيْلانَ يوم الجمعة ثالث الشهر وسار إلىعيْنتَاب ثم إلى دُلُوك ثم إلى منزلة أخرى ثم إلى كَيْنُوك ثم إلى كُكْ صُو ومعناه الماء الأزرق باللغة التركيسة * ثم رَحَل عنه إلى أقجَادَرْبَنْد فقطعه في نصف نهار فلما خرجت عساكره وملكت المَفَاوِز قَدم الأميرُ شمس الدين سنْقُرَ الأشقر على جماعةٍ من العسكر وأمَره بالمَسِير بين يديه فوقع على كَتِيبة التَّتار و عِدَّتُهم ثلاثة آلاف فارس ومقدمُهم كراي فهزمهم! سُنْقُر الأشقر وَأَسَرَ منهم طائفة.

ذ لك في يوم الخميس تاسع ذي القعدة.

ثم ورد الخبرُ على الملك الظاهر بأن عسكر الروم والتتار مع البَرْوَانَاه اجتمعوا على نهر جَيحان فلمّا صَعد العسكرُ الجبلَ أشرف على صحراءابلسْتَيْن فشاهد التَّتارَ قد رَتَبوا عساكرَهم أحدَ عَشرطُلْبًا في كل طُلْب ألف فارس وعزلوا عسمكر الروم عنهم خوفًا من باطنِ يكون لهم مع المسلمين وجعلوا عسكر الكرْج طُلْبًا واحدًا فلمّا تَرَاءَى الجَمْعَانَ حَمَلت مَيْسرة التتار حَمْلةً واحدة وصدمواسجَق الملك الظاهر ودخلت طائفة منهم بينهم وشقُّوا المَيْسَرة وساقوا إلى المَيْمَنة فلما رأى الملك الظاهر ذلك أَرْدفهم بنفسه ثم لاحت منه التفاتةٌ فرأى المَيْسرة قد أتت عليها ميمنةُ التتار فأمر الملك الظاهر جماعةً من أصحابه الشُجْعان بإردافها ثم حَمَل هو بنفسه - رحمه اللّه - فلفا رأتْه العساكر حَمَلت نحوَه برُمتها حملةَ رجل واحد فترخل التَّتار عن خيولهم وقاتلوا قتالَ الموت فلم يُغنِ عنهم ذلك شيئأ وصَبَر لهم الملك الظاهر وعسكره وهو يَكُر في القوم كالأسد الضارِي ويقتحم الآهوال بنفسه ويُشجع أصحابَه ويُطيب لهم الموت في الجهاد إلى أن أنزل اللّه تعالى نصره عليه وآنكسر التتارُ أقبح كَسْرة وقُتِلوا وأسِروا وفَرّ مَنْ نجا منهم فآعتصموا بالجبال فقصدتْهم العساكرُ الإسلامية وأحاطوا بهم فترجلوا عن خيولهم وقاتلوا فقُتِل منهم جماعة كثيرة وقُتِل ممن قاتلهم من عساكر المسلمين الأميرُ ضياء الدين ابن الخَطِير وكان من الشُجْعان الفُرْسان والأميرُ شرف الدين قيران العَلائي والأميرُ عز الدين أخو المحمديّ وسيفُ الدين قفجاق الجَاشْنَكِير والأميرُ أَيْبَك الشَّقِيفِيُّ - رحمهم الله تعالى وأسكنهم الجنة -.

وأُسِر من كبار الروميين مُهَذّب الدين ابن مُعِين الدين البَرْوَانَاه وآبن بنت معين الدين المذكور والأميرُ نورالدين جبريل أبن جاجا والأميرُ قُطب الدين محمود أخو مجد الدين الأتابَك والأمير سِراج الدين إسماعيل أبن جاجا والأميرُ سيف الدين سُنْقُرجاه الزُوبَاشِيّ والأمير نصرة الدين بَهْمَن أخو تاج الدين كيوي يعني الصهر صاحبُ سِيواس والأمير كمال الدين إسماعيل عارض الجيش والأمير حُسام الدين كاوك والأميرُ سيف الدين بن الجاويش والأميرُ شهاب الدين غازي بن علي شِير التُّرْكماني فوبّخهم السلطان الملك الظاهر من كونهم قاتلوه في مساعدة التتار الكَفَرة ثم سلمهم لمن آحتفظ بهم.

وأسِر من مقد مي التّتار على الألوف والمئين بركة " صهر أَبْغا بن هولاكو ملك التتار وسَرْطَق وخيز كدوس وسركده وتماديه.

ولما أسر من أسر وقتل من قتل نجا البرواناه وساق حتى دخل قيصرية يوم الأحد ثاني عشر ذي القعدة واجتمع بالسلطان غياث الدين والصاحب فخر الدين والأتابك مجد الدين والأمير جلال الدين المستوفي والأمير بدر الدين ميكائيل النائب فأخبرهم بالكسرة وقال لهم: إن التتار المنهزمين متى دخلوا قيصرية فتكوا بمن فيها حنقا على المسلمين وأشار عليهم بالخروج منها فخرج السلطان غياث الدين بأهله وماله إلى توقات وبينها وبين قيصرية أربعة أيام.

وعملت شعراء الإسلام في هذه الوقعة عدة قصائد ومدائح من ذلك ما قاله العلامة شهاب الدين أبو الثناء محمود الحلبي كاتب المرج قصيدته التي أولها: الطويل كذا فلتكن في الله تمضي العزائم وإلا فلا تجفو الجفون الصوارم عزائم حاذتها الرياح فأصبحت مخلفة تبكي عليها الغمائم سرت من حمى مصر إلى الروم فاحتوت عليه وسوراه الظبا واللهاذم بجيش تظل الأرض منه كأنها على سعة الأرجاء في الضيق خاتم كتائب كالبحر الخضم جيادها إذا ما تهادت موجه المتلاطم تحيط بمنصور اللواء مظفر له النصر والتأييد عبد وخادم مليك يلوذ الدين من عزماته بركن له الفتح المبين دعائم مليك لأبكار الأقاليم نحوه حنين كذا تهوى الكرام الكرائم مليك به الدين في كل ساعة بشائر للكفار منها مآتم جلا حين أقذى ناظر الكفر للهدى ثغورا بكى الشيطان وهي بواسم إذا رام شيئًا لم يعقه لبعدها وشقتها عنه الإكام الطواسم فلو نازع النسرين أمرًا لناله وذا واقع عجزًا وذا بعد حائم ولما رمى الروم المنيع بخيله ومن دونه سد من الصخر عاصم يروم عقاب الجو قطع عقابه إليه فلا تقوى عليها القوادم ومنها: وسالت عليهم أرضهم بمواكب لها النصر طوع والزمان مسالم أدارت بهم سورًا منيعًا مشرفًا بسمر العوالي ما له الدهر هادم من الترك أما في المغاني فإنهم شموس وأما في الوغى فضراغم غدا ظاهرًا بالظاهر النصر فيهم تبيد الليالي والعدا وهو دائم فأهووا إلى لثم الأسنة في الوغى كأنهم العشاق وهي المباسم ومنها: فلا زلت منصور اللواء مؤيدًا على الكفر ما ناحت وأبكت حمائم ثم جرد الملك الظاهر الأمير سنقر الأشقر لإدراك ما فات من الترك والتوجه إلى قيصرية وكتب معه كتابًا بتأمين أهلها وإخراج الأسواق والتعامل بالدراهم الظاهرية.

ثم رحل الملك الظاهر بكرة السبت حادي عشر ذي القعدة قاصدًا قيصرية فمر في طريقه بقرية أهل الكهف ثم إلى قلعة سمندو فنزل إليه واليها مذعنًا للطاعة ثم سار إلى قلعة درندة وقلعة فالو ففعل متوليها كذلك ثم نزل بقرية من قرى قيصرية فبات بها فلما أصبح رتب عساكره وخرج أهل قيصرية بأجمعهم مستبشرين بلقائه وكانوا لنزوله نصبوا الخيام بوطاة فلما قرب الظاهر منها ترجل وجوه الناس على طبقاتهم ومشوا بين يديه إلى أن وصلها.

فلما كان يوم الجمعة سابع عشر الشهر ركب السلطان للجمعة فدخل قيصرية ونزل دار السلطنة وجلس على التخت وحضر بين يديه القضاة والفقهاء والصوفية والقراء وجلسوا في مراتبهم على عادة ملوك السلجوقية فأقبل عليهم السلطان ومد لهم سماطًا فأكلوا وانصرفوا ثم حضر الجمعة بالجامع وخطب له وحضر بين يديه الدراهم التي ضربت له باسمه.

وكتب إليه البرواناه يهنئه بالجلوس على تخت الملك بقيصرية فكتب الملك الظاهر إليه بعوده ليوليه مكانه فكتب إليه يسأله أن ينتظره خمسة عشر يومًا وكان مراد البرواناه أن يصل أبغا ويحثه على المسير ليدرك الملك الظاهر بالبلاد فاجتمع تتاوون بالأمير شمس الدين سنقر الأشقر وعرفه مكر البرواناه في ذلك فكان ذلك سببا لرحيل الملك الظاهر

عن قيصرية مع ما انضاف إلى ذلك من قلق العساكر فرحل يوم الاثنين وكان على اليزك عز الدين أيبك الشيخي وكان الملك الظاهر ضربه بسبب سبقه الناس فغضب وهرب إلى التتار.

وكان أولاد قرمان قد رهنوا أخاهم الصغير علي بك بقيصرية فأخرجه الملك الظاهر وأنعم عليه وسأل السلطان في تواقيع وسناجق له ولإخوته فأعطاه وتوجه نحو إخوته بجبل لارندة.

وعاد السلطان وأخذ في عوده أيضا عدة بلاد إلى أن وصل مكان المعركة يوم السبت فرأى القتلى فسأل عن عدتهم فأخبر أن المغل خاصة ستة آلاف وسبعمائة وسبعون نفسًا ثم رحل حتى وصلى أقجادربند بعث الخزائن والدهليز والسناجق صحبة الأمير بدر الدين بيليك الخازندار ليعبر بها الدربند وأقام السلطان في ساقة العسكر بقية اليوم ويوم الأحد ورحل يوم الاثنين فدخل الدربند.

ثم سار إلى أن وصل دمشق في سابع المحرم سنة ست وسبعين وستمائة ونزل بالجوسق المعروف بالقصر الأبلق جوار الميدان الأخضر وتواترت عليه الأخبار بوصول أبغا ملك التتار إلى مكان الوقعة فجمع السلطان الأمراء وضرب مشورة فوقع الاتفاق على الخروج من دمشق بالعساكر وتلقيه حيث كان فأمر الملك الظاهر بضرب الدهليز على القصير وفي أثناء ذلك وصل رجل من التركمان وأخبر أن أبغا عاد إلى بلاده هاربًا خائفًا ثم وصل الأمير سابق الدين بيسري أمير مجلس الملك الناصر صلاح الدين وهو غير بيسري الكبير وأخبر بمثل ما أخبر التركماني فعند ذلك أمر الملك الظاهر برد الدهليز إلى الشام.

وكان عود أبغا من ألطاف الله تعالى بالمسلمين فإن الملك الظاهر في يوم الجمعة نصف المحرم من سنة ست وسبعين ابتدأ به مرض الموت.

مرض الملك الظاهر ووفاته لما كان يوم الخميس رابع عشر المحرم سنة ست وسبعين وستمائة جلس الملك الظاهر بالجوسق الأبلق بميدان دمشق يشرب القمز وبات على هذه الحالة فلما كان يوم الجمعة خامس عشره وجد في نفسه فتورا وتوعكا فشكا ذلك إلى الأمير شمس الدين سنقر الألفي السلحدار فأشار عليه بالقيء فاستدعاه فاستعصى عليه القيء فلما كان بعد صلاة الجمعة ركب من الجوسق إلى الميدان على عادته والألم مع ذلك يقوى عليه وعند الغروب عاد إلى الجوسق.

فلما أصبح اشتكى حرارة في باطنه فصنع له بعض خواصه دواء ولم يكن عن رأي طبيب فلم ينجع وتضاعف ألمه فأحضر الأطباء فأنكروا استعماله الدواء وأجمعوا على استعمال دواء مسهل فسقوه فلم ينجع فحركوه بدواء آخر كان سبب الإفراط في الإسهال ودفع دمًا فتضاعفت حماه وضعفت قواه فتخيل خواصه أن كبده يتقطع وأن ذلك عن سم سقيه فعولج بالجوهر وأخذ أمره في انحطاط وجهده المرض وتزايد به إلى أن قضى نحبه يوم الخميس بعد صلاة الظهر السابع والعشرين من المحرم فاتفق رأي الأمراء على إخفائه وحمله إلى القلعة لئلا تشعر العامة بوفاته ومنعوا من هو داخل من المماليك من الخروج ومن هو خارج منهم من الدخول.

فلما كان آخر الليل حمله من كبار الأمراء سيف الدين قلاوون الألفي وشمس الدين سنقر الأشقر وبدر الدين بيسري وبدر الدين بيليك الخازندار وعز الدين آقوش الأفرم وعز الدين أيبك الحموي وشمس اللين سنقر الألفي الظاهري وعلم الذين سنجر الحموي أبو خرص وجماعة من أكابر خواصه.

وتولى غسله وتحنيطه وتصبيره وتكفينه مهتاره الشجاع عنبر والفقيه كمال الدين الإسكندري المعروف بابن المنبجي والأمير عز الدين الأفرم ثم جعل في تابوت وعلق في بيت من بيوت البحرية بقلعة دمشق إلى أن حصل الاتفاق على موضع دفنه.

ثم كتب الأمير بدر الدين بيليك الخازندار إلى ولده الملك السعيد مطالعة بيده وسيرها إلى مصر على يد بدر الدين بكتوت الجوكنداري الحموي وعلاء الدين أيدغمش الحكيمي الجاشنكير فلما وصلا وأوصلاه المطالعة خلع عليهما وأعطى كل واحد منهما خمسين ألف درهم على أن ذلك بشارة بعود السلطان إلى الديار المصرية.

ولما كان يوم السبت ركب الأمراء إلى سوق الخيل بدمشق على عادتهم ولم يظهروا شيئا من زي الحزن.

وكان أوصى أن يدفن على الطريق السالكة قريبًا من داريا وأن يبنى عليه هناك فرأى ولده الملك السعيد أن يدفنه داخل السور فابتاع دار العقيقي بثمانية وأربعين ألف درهم نقرة وأمر أن تغير معالمها وتبنى مدرسة.

انتهى.

وأما الملك السعيد فإنه جهز الأمير علم الدين سنجر الحموي المعروف بأبي خرص والطواشي صفي الدين جوهر الهندي إلى دمشق لدفن والده الملك الظاهر فلما وصلاها اجتمعا بالأمير عز الدين أيدمر نائب السلطنة بدمشق وعرفاه المرسوم فبادر إليه وحمل الملك الظاهر من القلعة إلى التربة ليلا على أعناق الرجال ودفن بها ليلة الجمعة خامس شهر رجب الفرد وكان قد ظهر موته بدمشق في يوم السبت رابع عشر صفر وشرع العمل في أعزيته بالبلاد الشامية والديار المصرية.

قال الأمير بيبرس الدوادار في تاريخه - وهو أعرف بأحواله من غيره - قال: وكان القمر قد كسف كسوفًا كاملًا أظلم له الجو وتأول ذلك المتأولون بموت رجل جليل القدرة فقيل: إن الملك الظاهر لما بلغه ذلك حذر على نفسه وخاف وقصد أن يصرف التأويل إلى غيره لعله يسلم من شره وكان بدمشق شخص من أولاد الملوك الأيوبية وهو الملك القاهر بهاء الدين عبد الملك ابن السلطان الملك المعظم عيسى ابن السلطان الملك العادل أبي بكر بن أيوب فأراد الظاهر على ما قيل اغتياله بالسم فأحضره في مجلس شرابه فأمر الساقي أن يسقيه قمزًا ممزوجًا فيما يقال بسم فسقاه الساقي تلك الكأس فأحس به وخرج من وقته ثم غلط الساقي وملأ الكأس المذكورة وفيها أثر السم ووقعت الكأس في يد الملك الظاهر فشربه فكان من أمره ما كان.

انتهى كلام بيبرس الدوادار باختصار.

قلت: وهذا القول مشهور وأظنه هو الأصح في علة موته والله أعلم.

وكانت مدة ملكه تسع عشرة سنة وشهرين ونصفا وملك بعده ابنه الملك السعيد ناصر الدين محمد المعروف ببركة خان وكان تسلطن في حياته من مدة سنين حسب ما تقدم ذكره.

وكان الملك الظاهر رحمه الله ملكًا شجاعًا مقدامًا غازيًا مجاهدًا مرابطًا خليقًا بالملك خفيف الوطأة سريع الحركة يباشر الحروب بنفسه.

قال الحافظ أبو عبد الله الذهبي في تاريخه بعدما أثنى عليه: وكان خليقًا بالملك لولا ما كان فيه من الظلم والله يرحمه ويغفر له فإن له أياما بيضًا في الإسلام ومواقف مشهورة وفتوحات وقال الشيخ قطب الدين اليونيني في الذيل على مرآة الزمان في موت الملك الظاهر هذا نوعًا مما قاله الأمير بيبرس الدوادار لكنه زاد أمورًا نحكيها قال: حكى لي ابن شيخ السلامية عن الأمير أزدمر العلائي نائب السلطنة بقلعة صفد قال: كان الملك الظاهر مولعًا بالنجوم وما يقوله أرباب التقاويم كثير البحث عن ذلك فأخبر أنه يموت في سنة ست وسبعين ملك بالسم فحصل عنده من ذلك أثر كبير وكان عنده حسد شديد لمن يوصف بالشجاعة.

واتفق أن الملك القاهر عبد الملك بن المعظم عيسى الآتي ذكره لما دخل مع الملك الظاهر إلى الروم وكان يوم المصاف فدام الملك القاهر في القتال فتأثر الظاهر منه ثم انضاف إلى ذلك أن الملك الظاهر حصل منه في ذلك اليوم فتور على خلاف العادة وظهر عليه الخوف والندم على تورطه في بلاد الروم فحدثه الملك القاهر عبد الملك المذكور بما فيه نوع من الإنكار عليه والتقبيح لأفعاله فأثر ذلك عنده أثرًا آخر.

فلما عاد الظاهر من غزوته سمع الناس يلهجون بما فعله الملك القاهر فزاد على ما في نفسه وحقد عليه فخيل في ذهنه أنه إذا سمه كان هو الذي ذكره أرباب النجوم فأحضره عنده ليشرب القمز معه وجعل الذي أعده له من السم في ورقة في جيبه من غير أن يطلع على ذلك أحد وكان للسلطان هنابات ثلاثة مختصة به مع ثلاثة سقاة لا يشرب فيها إلا من يكرمه السلطان فأخذ الملك الظاهر الكأس بيده وجعل فيه ما في الورقة خفية وأسقاه للملك القاهر وقام الملك الظاهر إلى الخلاء وعاد فنسي الساقي وأسقى الملك الظاهر فيه وفيه بقايا السم.

انتهى كلام قطب الدين.

وخفف الملك الظاهر من الأولاد: الملك السعيد ناصر الدين محمد بركة خان.

ومولده في صفر سنة ثمان وخمسين وستمائة بضواحي مصر وأمه بنت الأمير حسام الدين بركة خان بن دولة خان الخوارزمي.

والملك المسعود نجم الدين خضرًا أمه أم ولد.

والملك العادل بدر الدين سلامش.

وولد له من البنات سبع.

وأما زوجاته فأم الملك السعيد بنت بركة خان وبنت الأمير سيف الدين نوكاي التتاري وبنت الأمير سيف الدين كراي التتاري وبنت الأمير سيف نوغاي التتاري وشهرزورية تزوجها لما قدم غزة وحالف الشهرزورية قبل سلطنته فلما تسلطن طلقها.

وأما وزراؤه لما تولى السلطنة استمر زين الدين يعقوب بن عبد الرفيع بن الزبير ثم صرفه واستوزر الصاحب بهاء الذين علي بن محمد بن سليم بن حنا.

وكان للملك الظاهر أربعة آلاف مملوك مشتريات أمراء وخاصكية وأصحاب وظائف.

وأما سيرته وأحكامه وشرف نفسه حكي: أن الأشرف صاحب حمص كتب إليه يستأذنه في الحج وفي ضمن الكتاب شهادة عليه أن جميع ما يملكه انتقل عنه إلى الملك الظاهر

فلم يأذن له الملك الظاهر في تلك السنة غضبا منه لكونه كتب ذلك واتفق أن الأشرف مات بعد ذلك فتسلم الملك الظاهر حصونه التي كانت بيده ولم يتعرض للتركة ومكن ورثته من الموجود والأملاك وكان شيئًا كثيرًا إلى الغاية ودفع الملك الظاهر إليهم الشهادة وقد تجنبوا التركة لعلمهم بالشهادة.

ومنها أن شعرا بانياس وهي إقليم يشتمل على أرض كثيرة عاطلة بحكم استيلاء الفرنج على صفد فلما افتتح صفد أفتاه بعض العلماء باستحقاق الشعرا فلم يرجع إلى الفتيا وتقدم أمره أن من كان له فيها ملك قديم فليتسلمه.

وأما صدقاته فكان يتصدق في كل سنة بعشرة آلاف إردب قمح في الفقراء والمساكين وأرباب الزوايا وكان يرتب لأيتام الأجناد ما يقوم بهم على كثرتهم ووقف وقفًا على تكفين أموات الغرباء بالقاهرة ومصر ووقفا ليشترى به خبز ويفرق في فقراء المسلمين وأصلح قبر خالد بن الوليد - رضي الله عنه - بحمص ووقف وقفًا على من هو راتب فيه من إمام ومؤذن وغير ذلك ووقف على قبر أبي عبيدة بن الجراح - رضي الله عنه - وقفًا مثل ذلك وأجرى على أهل الحرمين والحجاز وأهل بدر وغيرهم ما كان انقطع في أيام غيره من الملوك.

وأما عمائره: المدارس والجوامع والأسبلة والأربطة فكثيرة وغالبها معروفة به وكان يخرج كل سنة جملة مستكثرة يستفك بها من حبسه القاضي من المقلين وكان يرتب في أول شهر رمضان بمصر والقاهرة مطابخ لأنواع الأطعمة وتفرق على الفقراء والمساكين.

وأما حرمته ومهابته منها: أن يهوديا دفن بقلعة جعبر عند قصد التتار لها مصاغًا وذهبًا وهرب بأهله إلى الشام واستوطن حماة فلما أمن كتب إلى صاحب حماة يعرفه ويسأله أن يسير معه من يحفظه ليأخذ خبيئته ويدفع لبيت المال نصفه فطالع صاحب حماة الملك الظاهر بذلك فرد عليه الجواب أنه يوجهه مع رجلين ليقضي حاجته فلما توجهوا مع اليهودي ووصلوا إلى الفرات امتنع من كان معه من العبور فعبر اليهودي وحده فلما وصل وأخذ في الحفر هو وابنه وإذا بطائفة من العرب على رأسه فسألوه عن حاله فأخبرهم فأرادوا قتله وأخذ المال فأخرج لهم كتاب الملك الظاهر مطلقا إلى من عساه يقف عليه فلما رأوا المرسوم كفوا عنه وساعدوه حتى استخلص ماله.

ثم توجهوا به إلى حماة وسلموه إلى صاحب حماة وأخذوا خطه بذلك.

ومنها: أن جماعة من التجار خرجوا من بلاد العجم قاصدين مصر فلما مروا بسيس منعهم صاحبها من العبور وكتب إلى أبغا ملك التتار فأمره أبغا بالحوطة عليهم وإرسالهم إليه وبلغ الملك الظاهر خبرهم فكتب إلى نائب حلب بأن يكتب إلى نائب سيس: إن هو تعرض لهم بشيء يساوي درهما واحدًا أخذت عوضه مرارًا فكتب إليه نائب حلب بذلك فأطلقهم وصانع أبغا بن هولاكو على ذلك بأموال جليلة حتى لا يخالف مرسوم.

الظاهر وهو تحت حكم غيره لا تحت حكم الظاهر.

ومنها: أن تواقيعه التي كانت بأيدي التجار المترددين إلى بلاد القبجاق بإعفائهم من الصادر والوارد كان يعمل بها حيث حلوا من مملكة بركة خان ومنكوتمر وبلاد فارس وكرمان.

ومنها: أنه أعطى بعض التجار مالًا ليشتري به مماليك وجواري من الترك فشرهت نفس التاجر في المال فدخل به قراقرم من بلاد الترك واستوطنها فوقع الملك الظاهر على خبره فبعث إلى منكوتمر في أمره فأحضروه إليه تحت الحوطة إلى مصر.

وله أشياء كثيرة من ذلك.

وكان الملك الظاهر يدب أن يطلع على أحوال أمرائه وأعيان دولته حتى لم يخف عليه من أحوالهم شيء.

وكان يقرب أرباب الكمالات من كل فن وعلم.

وكان يميل إلى التاريخ وأهله ميلًا زائدًا ويقول: سماع التاريخ أعظم من التجارب وكانت ترد عليه الأخبار وهو بالقاهرة بحركة العدو فيأمر العسكر بالخروج وهم زيادة على ثلاثين ألف فارس فلا يبيت منهم فارس في بيته وإذا خرج من القاهرة لا يمكن من العود إليها ثانيًا.

قلت: كان الملك الظاهر - رحمه الله - يسير على قاعدة ملوك التتار وغالب أحكام جنكزخان من أمر اليسق والتورا واليسق: هو الترتيب والتورا: المذهب باللغة التركية وأصل لفظة اليسق: سي يسا وهي لفظة مركبة من كلمتين صدر الكلمة: سي بالعجمي وعجزها يسا بالتركي لأن سي بالعجمي ثلاثة ويا بالمغلي الترتيب فكأنه قال: التراتيب الثلاثة.

وسبب هذه الكلمة أن جنكزخان ملك المغل كان قسم ممالكه في أولاده الثلاثة وجعلها ثلاثة أقسام وأوصاهم بوصايا لم يخرجوا عنها الترك إلى يومنا هذا مع كثرتهم واختلاف أديانهم فصاروا يقولون: سي يسا - يعني التراتيب الثلاثة التي رتبها جنكزخان - وقد أوضحنا هذا في غير هذا الكتاب بأوسع من هذا.

انتهى.

فصارت الترك يقولون: إسي يسا فثقل ذلك على العامة فحرفوها على عادة تحاريفهم وقالوا: سياسة.

ثم إن الترك أيضا حذفوا صدر الكلمة فقالوا: يسا مدة طويلة ثم قالوا: يسق واستمر ذلك إلى يومنا هذا.

انتهى.

الوظائف المستحدثة في أيامه قلت: والملك الظاهر هذا هو الذي ابتدأ في دولته بأرباب الوظائف من الأمراء والأجناد وإن كان بعضها قبله فلم تكن على هذه الصيغة أبدًا وأمثل لذلك مثلًا فيقاس عليه وهو أن الدوادار كان قديمًا لا يباشره إلا متعمم يحمل الدواة ويحفظها.

وأمير مجلس هو الذي كان يحرس مجلس قعود السلطان وفرشه.

والحاجب هو البواب الآن لكونه يحجب الناس عن الدخول وقس على هذا.

فجاء الملك الظاهر جدد جماعة كثيرة من الأمراء والجند ورتبهم في وظائف: كالدوادار والخازندار وأمير آخور والسلاخور والسقاة والجمدارية والحجاب ورؤوس النوب فأما موضوع أمير سلاح في أيام الملك الظاهر فهو الذي كان يتحدث على السلاح دارية ويناول السلطان آلة الحرب والسلاح في يوم القتال وغيره مثل يوم الأضحى وما أشبهه.

ولم يكن إذ ذاك في هذه المرتبة - أعني الجلوس رأس ميسرة السلطان - وإنما هذا الجلوس كان إذ ذاك مختصا بأطابك.

ثم بعده في الدولة الناصرية محمد بن قلاوون برأس نوبة الأمراء كما سيأتي ذكره في محله.

وتأييد ذلك يأتي في أول ترجمة الملك الظاهر برقوق فإن برقوق نقل أمير سلاح قطلوبغا الكوكائي إلى حجوبية الحجاب.

وأمير مجلس كان موضوعها في الدولة الظاهرية بيبرس التحدث على الأطباء والكحالين والمجبرين وكانت وظيفة جليلة أكبر قدرًا من أمير سلاح.

وأما الدوادارية فكانت وظيفة سافلة.

كان الذي يليها أولًا غير جندي وكانت نوعًا من أنواع المباشرة فجعلها الملك الظاهر بيبرس على هذه الهيئة غير أنه كان الذي يليها أمير عشرة.

ومعنى دوادار باللغة العجمية: ماسك الدواة فإن لفظة دار بالعجمي: ماسك لا ما يفهمه عوام المصريين أن دار هي الدار التي يسكن فيها كما يقولون في حق الزمام: زمام الآدر وصوابه زمام دار.

وأول من أحدث هذه الوظيفة ملوك السلجوقية.

والجمدار الجمى هي البقجة باللغة العجمية ودار تقدم الكلام عليه فكأنه قال: ماسك البقجة التي للقماش.

وقس على هذا في كل لفظ يكون فيه دار من الوظائف.

وأما رأس نوبة فهي عظيمة عند التتار ويسمون الذي يليها يسوول بتفخيم السين.

والملك الظاهر أول من أحدثها في مملكة مصر.

والأمير آخور أيضًا وظيفة عظيمة والمغل تسمي الذي يليها آق طشي.

وأمير آخور لفظ مركب من فارسي وعربي فأمير معروف وآخور هو اسم المذود بالعجمي فكأنه يقول: أمير المذود الذي يأكل فيه الفرس.

وكذلك السلاخوري وغيره مما أحدثه الملك الظاهر أيضًا.

وأما

الحجوبية

فوظيفة جليلة في الدولة التركية وليس هي الوظيفة التي كان يليها حجبة الخلفاء فأولئك كانوا حجبة يحجبون الناس عن الدخول على الخليفة ليس من شأنهم الحكم بين الناس والأمر والنهي وهي مما جدده الملك الظاهر بيبرس لكنها عظمت في دولة الملك الناصر محمد بن قلاوون حتى عادلت النيابة.

وأما ما عدا ذلك من الوظائف فأحدثها الملك الناصر محمد بن قلاوون كما سيأتي بيانه في تراجمه الثلاث من هذا الكتاب بعد أن جدد والده الملك المنصور قلاوون وظائف أخر كما سيأتي ذكره أيضًا في ترجمته على ما شرطناه في هذا الكتاب من أن كل من أحدث شيئًا عزيناه له.

ومما أحدثه الملك الظاهر أيضًا البريد في سائر ممالكه بحيث إنه كان يصل إليه أخبار أطراف بلاده على اتساع مملكته في أقرب وقت.

وأما ما افتتحه من البلاد وصار إليه من أيدي المسلمين فعدة بلاد وقلاع.

والذي افتتحه من أيدي الفرنج - خذلهم الله -: قيسارية وأرسوف وصفد وطبرية ويافا والشقيف وأنطاكية وبغراس والقصير وحصن الأكراد وعكار والقرين وصافيثا ومرقية.

وناصفهم على المرقب وبانياس وبلاد أنطرطوس وعلى سائر ما بقي في أيديهم من البلاد والحصون وغيرها.

واستعاد من صاحب سيس دربساك ردركوش ورعبان والمرزبان وبلادًا أخر.

والذي صار إليه من أيدي المسلمين: دمشق وبعلبك وعجلون وبصرى وصرخد والصلت وكانت هذه البلاد التي تغلب عليها الأمير علم الدين سنجر الحلبي بعد موت الملك المظفر قطز لما تسلطن بدمشق وتلقب بالملك المجاهد.

انتهى.

وحمص وتدمر والرحبة ودلويا وتل باشر وهذه البلاد انتقلت إليه عن الملك الأشرف صاحب حمص في سنة اثنتين وستين وستمائة.

وصهيون وبلاطنس وبرزيه وهذه منتقلة إليه عن الأمير سابق الدين سليمان بن سيف الدين أحمد وعمه عز الدين.

وحصون الإسماعيلية وهي: الكهف والقدموس والمينقة والعليقة والخوابي والرصافة ومصياف والقليعة.

وأما ما انتقل إليه عن الملك المغيث ابن الملك العادل أبي بكر ابن الملك الكامل محمد ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب: الشوبك والكرك.

وما انتقل إليه عن التتار: بلاد حلب الشمالية بأسرها وشيزر والبيرة.

وفتح الله على يديه بلاد النوبة وفيها من البلاد مما يلي أسوان جزيرة بلاق ويلي هذه البلاد بلاد العلى وجزيرة ميكائيل وفيها بلاد وجزائر الجنادل وهي أيضًا بلاد ولما فتحها أنعم بها على ابن عم المأخوذة منه ثم ناصفه عليها ووضع عليه عبيدًا وجواري وهجنًا وبقرًا وعن كل بالغ من رعيته دينارًا في كل سنة.

وكانت حدود مملكة الملك الظاهر من أقصى بلاد النوبة إلى قاطع الفرات.

ووفد عليه من التتار زهاء عن ثلاثة آلاف فارس فمنهم من أمره طبلخاناه ومنهم من جعله أمير عشرة إلى عشرين ومنهم من جعله من السقاة ثم جعل منهم سلحدارية وجمدارية ومنهم من أضافه إلى الأمراء.

مبانيه وأما مبانيه فكثيرة منها ما هدمه التتار من المعاقل والحصون.

وعمر بقلعة الجبل دار الذهب وبرحبة الحبارج قبة عظيمة محمولة على اثني عشر عمودا من الرخام الملون وصور فيها سائر حاشيته وأمرائه على هيئتهم وعمر بالقلعة أيضا طبقتين مطلتين على رحبة الجامع وأنشأ برج الزاوية المجاورة لباب القلعة وأخرج منه رواشن وبنى عليه قبة وزخرف سقفها وأنشأ جواره طباقًا للمماليك أيضًا.

وأنشأ برحبة باب القلعة دارًا كبيرة لولده الملك السعيد وكان في موضعها حفير فعقد عليه ستة عشر عقدًا وأنشأ دورًا كثيرة بظاهر القاهرة مما يلي القلعة وإصطبلات برسم الأمراء فإنه كان يكره سكنى الأمير بالقاهرة مخافة من حواشيه على الرعية.

وأنشأ حمامًا بسوق الخيل لولده الملك السعيد وأنشأ الجسر الأعظم والقنطرة التي على الخليج وأظنها قنطرة السباع وأنشأ الميدان بالبورجي ونقل إليه النخيل بالثمن الزائد من الديار المصرية فكانت أجرة نقله ستة عشر ألف دينار وأنشأ به المناظر والقاعات والبيوتات.

وجدد جامع الأنور - أعني جامع الظافر العبيدي - المعروف الآن بجامع الفاكهيين والجامع الأزهر وبنى جامع العافية بالحسينية وأنفق عليه فوق الألف ألف درهم وأنشأ قريبًا منه زاوية الشيخ خضر وحمامًا وطاحونًا وفرنًا وعمر بالمقياس قبة رفيعة مزخرفة وأنشأ عدة جوامع بالديار المصرية وجدد قلعة الجزيرة وقلعة العمودين ببرقة وقلعة السويس وعمر جسرًا بالقليوبية والقناطر على بحر أبي المنجا وقنطرة بمنية السيرج وقنطرتين عند القصير على بحر إبراش بسبعة أبواب مثل قنطرة بحر أبي المنجا وأنشأ في الجسر الذي يسلك فيه إلى دمياط ست عشرة قنطرة وبنى على خليج الإسكندرية قريبًا من قنطرتها قنطرة عظيمة بعقد واحد وحفر خليج الإسكندرية وكان قد ارتدم بالطين وحفر بحر أشموم وكان قد عمي وحفر ترعة الصلاح وخورسخا وحفر المحامدي والكافوري وحفر في ترعة أبي الفضل ألف قصبة وحفر بحر الصمصام بالقليوبية وحفر بحر سردوس.

وتمم عمارة حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمل منبره وجعل بالضريح النبوي درابزينًا وذهب سقوفه وجددها وبيض حيطانه وجدد البيمارستان بالمدينة النبوية ونقل إليه سائر المعاجين والأكحال والأشربة وبعث إليه طبيبًا من الديار المصرية.

وجدد في الخليل عليه السلام قبته ورم شعثه وأصلح أبوابه وميضأته وبيضه وزاد في راتبه.

وجدد بالقدس الشريف ما كان قد تهدم من قبة الصخرة وجدد قبة السلسلة وزخرفها وأنشأ بها خانًا للسبيل نقل بابه من دهليز كان للخلفاء المصريين بالقاهرة وبنى به مسجدًا وطاحونًا وفرنًا وبستانًا.

وبنى على قبر موسى عليه السلام قبة ومسجدًا وهو عند الكثيب الأحمر قبلي أريحا ووقف عليه وقفًا.

وجدد بالكرك برجين كانا صغيرين فهدمهما وغيرهما.

ووسع عمارة مشهد جعفر الطيار - رضي الله عنه - ووقف عليه وقفًا زيادة على وقفه على الزائرين له والوافدين عليه.

وعمر جسرًا بقرية دامية بالغور على نهر الشريعة ووقف عليه وقفًا برسم ما عساه يتهدم منه.

وأنشأ جسورًا كثيرة بالغور والساحل.

وأنشأ قلعة قاقون وبنى بها جامعًا ووقف عليه وقفًا وبنى على طريقها حوضًا للسبيل.

وجدد جامع مدينة الرملة وأصلح جامعًا لبني أمية ووقف عليه وقفًا.

وعدة جوامع ومساجد بالساحل.

وجدد باشورة لقلعة صفد وأنشأها بالحجر الهرقلي وعمر لها أبراجا وبدنات وصنع بغلات مصفحة دائر الباشورة بالحجر المنحوت وأنشأ بالقلعة صهريجًا كبيرًا مدرجًا من أربع جهاته وبنى عليه برجًا زائد الارتفاع قيل إن ارتفاعه مائة ذراع وبنى تحت البرج حمامًا وصنع الكنيسة جامعًا وأنشأ رباطًا ثانيًا وبنى حمامًا ودارًا لنائب السلطنة.

وكانت قلعة الصبيبة قد أخربها التتار ولم يبقوا منها إلا الآثار فجددها وأنشأ لجامعها منارة وبنى بها دارًا لنائب السلطنة وعمل جسرًا يمشى عليه إلى القلعة.

وكان التتار قد هدموا شراريف قلعة دمشق ورؤوس أبراجها فجدد ذلك كله وبنى فوق برج الزاوية المطل على الميادين وسوق الخيل طارمة كبيرة وجدد منظرة على قائمة مستجدة على البرج المجاور لباب النصر وبيض البحرة وجدد دهان سقوفها: وبنى حمامًا خارج باب النصر بدمشق وجمد ثلاثة إسطبلات على الشرف الأعلى وبنى القصر الأبلق بالميدان بدمشق وما حوله من العمائر.

وجدد مشهد زين العابدين رضي الله عنه بجامع دمشق وأمر بترخيم الحائط الشمالي وتجديد باب البريد وفرشه بالبلاط.

ورم شعث مغارة الدم.

وجدد المباني التي هدموها التتار من قلعة صرخد.

وجدد قبر نوح عليه السلام بالكرك.

وجدد أسوار حصن الأكراد وعفر قلعتها.

وعمر جوامع ومساجد بالساحل يطول الشرح في ذكرها حذفتها خوف الإطالة.

وبني في أيامه بالديار المصرية ما لم يبن في أيام الخلفاء المصريين ولا ملوك بني أيوب من الأبنية والرباع والخانات والقواسير والدور والمساجد والحمامات من قريب مسجد التبن إلى أسوار القاهرة إلى الخليج وأرض الطبالة واتصلت العمائر إلى باب المقسم إلى اللوق إلى البورجي ومن الشارع إلى الكبش وحدرة ابن قميحة إلى تحت القلعة ومشهد السيدة نفيسة رضي الله عنها إلى السور القراقوشي.

وكل ذلك من كثرة عدله وإنصافه للرعية والنظر في أمورهم وإنصاف الضعيف من المستضعف والذب عنهم من العدو المخذول رحمه الله وعفا عنه.

ما كان ينوب دولته من الكلف كانت عدة العساكر بالديار المصرية أيام الملك الكامل محمد وولده الملك الصالح أيوب عشرة آلاف فارس فضاعفها أربعة أضعاف وكان أولئك الذين كانوا قبله العشرة آلاف مقتصدين في الملبوس والنفقات والعدد وهؤلاء - أعني عسكر الظاهر الأربعين ألفا - كانوا بالضد من ذلك وكانت كلف ما يلوذ بهم من إقطاعهم وهؤلاء كلفهم على الملك الظاهرة ولذلك تضاعفت الكلف في أيامه.

فإنه كان يصرف في كلف مطبخ أستاذه الملك الصالح أيوب ألف رطل لحم بالمصري خاصة نفسه في كل يوم والمصروف في مطبخ الملك الظاهر عشرة آلاف رطل كل يوم عنها وعن توابلها عشرون ألف درهم نقرة ويصرف في خزانة الكسوة في كل يوم عشرون ألف درهم ويصرف في الكلف الطارئة المتعلقة بالرسل والوفود في كل يوم عشرون ألف درهم ويصرف في ثمن قرط دوابه ودواب من يلوذ به في كل سنة ثمانمائة ألف درهم ويقوم بكلف الخيل والبغال والجمال والحمير من العلوفات خمس عشرة ألف عليقة في اليوم عنها ستمائة إردب وما كان يقوم به لمن أوجب نفقته وألزمها عليه تطحن وتحمل إلى المخابز المعدة لعمل الجرايات خلا ما يصرف على أرباب الرواتب في كل شهر عشرون ألف إدرب وذلك بالديار المصرية خاصة.

وهذا خلاف الطوارئ التي كانت تفد عليه فما يمكن حصرها.

وكلف أسفاره وتجديد السلاح في كل قليل وما كان عليه من الجوامك والجرايات لمماليكه ولأرباب الخدم فكان ديوانه يفي بذلك كله ويحمل لحاصله جملة كبيرة في السنة من الذهب.

وكان سبب ذلك أنه رفع أيدي الأقباط من غالب تعلقاته فافتقر أكثرهم في أيامه وباشروا الصنائع كالنجارة والبناية ولا زال أمرهم على ذلك حتى تراجع أواخر الدولة الناصرية محمد بن قلاوون.

انتهت ترجمة الملك الظاهر بيبرس رحمه الله تعالى.

ونذكر بعض أحواله إن شاء الله تعالى في حوادث سنينه كما هو عادة هذا الكتاب على سبيل الاختصار.

وقد أطلت في ترجمته وهو مستحق لذلك لأنه فرع فاق أصله كونه كان من جملة مماليك الملك الصالح نجم الدين أيوب فزادت محاسنه عليه.

وأما من يأتي بعده فلا سبيل إليه.

ويعجبني في هذا المعنى المقالة الثانية عشرة من قول الشيخ الإمام العالم العارف الرباني شرف الدين عبد المؤمن بن هبة الله الأصفهاني المعروف بشوروة رحمه الله في كتابه الذي في اللغة وسماه أطباق الذهب يشتمل على مائة مقالة أحسن فيها غاية الإحسان وهي: ليس الشريف من تطاول وتكاثر إنما الشريف من تطول وآثر وليس المحسن من روى القرآن إنما المحسن من أروى الظمآن وليس البر إبانة الحروف بالإمالة والاشباع لكن البر إغاثة الملهوف بالإنالة والاشباع ولا خير في زكاة لا يسدي معروفًا ولا بركة في لبنة لا تروي خروفًا فوا ها لك لمن تذخر أموالك! انفق ألفك قبل أن يقسم خلفك إن منازل الخلق سواسية إلا من له يد مواسية فأرفعهم أنفعهم وأسودهم أجودهم وأفضلهم أبذلهم وخير الناس من سقى ملواحًا ونصب للجنة ملواحًا والكرم نوعان أحسنهما إطعام الجوعان والحازم من قدم الزاد لعقبة العقبى وآتى المال على حبه ذوي القربى.

انتهت المقالة.

والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب.

السنة الأولى من سلطنة الظاهر بيبرس البندقداري وهي سنة تسع وخمسين وستمائة على أنه حكم في آخر السنة الماضية نحو الشهر.

قلت: ودخلت سنة تسع وخمسين المذكورة وليس للمسلمين خليفة وكان أولها يوم الاثنين لأيام خلون من كانون أحد شهور الروم وكانون بالقبطي كيهك.

فدخلت السنة والسلطان بديار مصر الملك الظاهر بيبرس وصاحب مكة نجم الدين أبو نمي بن أبي سعد الحسني وصاحب المدينة جماز بن شيحة الحسيني وصاحب دمشق وبعلبك وبانياس والصبيبة الأمير علم الدين سنجر الحلبي تغلب عليها وتسلطن وتلقب بالملك المجاهد ونائب حلب من قبل الملك الظاهر بيبرس الأمير حسام الدين لاجين الجوكندار العزيزي وصاحب الموصل الملك الصالح إسماعيل ابن الملك الرحيم لؤلؤ وصاحب جزيرة ابن عمر أخوه الملك المجاهد سيف الدين إسحاق بن لؤلؤ المذكور وصاحب ماردين الملك السعيد نجم الدين إيلغازي الأرتقي وصاحب بلاد الروم ركن الدين قليج أرسلان ابن السلطان غياث الدين كيخسرو بن علاء الدين كيقباد السلجوقي وأخوه عز الدين كيكاوس والبلاد بينهما مناصفة وصاحب الكرك والشوبك الملك المغيث فتح الدين عمر ابن الملك العادل ابن الملك الكامل ابن الملك العادل بن أيوب وصاحب حماة الملك المنصور محمد الأيوبي وصاحب حمص وتدمر والرحبة الملك الأشرف مظفر الدين موسى وصاحب مراكش من بلاد المغرب أبو حفص عمر الملقب بالمرتضى وصاحب تونس أبو عبد الله محمد بن أبي زكريا وصاحب اليمن الملك المظفر شمس الدين يوسف بن عمر التركماني من وفيها ملك السلطان الملك الظاهر دمشق وأخرج منها علم الدين سنجر الحلبي وولى نيابتها الأمير علاء الدين أيدكين البندقداري أستاذ الملك الظاهر بيبرس هذا الذي أخذه الملك الصالح نجم الدين أيوب منه حسب ما ذكرنا ذلك أول ترجمة الملك الظاهر.

وفيها وصل الخليفة المستنصر بالله إلى القاهرة وبويع بالخلافة وسافر صحبة الملك الظاهر إلى الشام ثم فارقه وتوجه إلى العراق فقتل وقد مر ذكر ذلك كله أيضا.

وفيها توفي الملك الصالح نور الدين إسماعيل ابن الملك المجاهد أسد الدين شيركوه بن محمد ابن أسد الدين شيركوه الكبير كان الملك الصالح هذا صاحب حمص ملكها بعد موت أبيه وكان له اختصاص كبير بابن عمه الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب حلب والشام وكان الصالح هذا يداري التتار ولا يشاققهم وآخر الأمر أنه قتل في وقعة هولاكو بيد التتار - رحمه الله تعالى - لما توجه إليهم صحبة الملك الناصر صلاح الدين يوسف المذكور وكان عنده حزم وشجاعة.

وفيها توفي الشيخ الأديب الفقيه مخلص الدين إسماعيل بن عمر ابن يوسف بن قرناص الحموي الشاعر المشهور كان فصيحًا شاعرًا من بيت علم وأدب.

ومن شعره رحمه الله تعالى: الوافر أما والله لو شقت قلوب ليعلم ما بها من فرط حبي وفيها توفي الملك السعيد إيلغازي نجم الدين الأرتقي صاحب ماردين مات في سادس صفر وقيل في ذي الحجة سنة ثمان وخمسين.

وفيها توفي الشيخ الإمام الواعظ المحدث أبو عمرو عثمان بن مكي بن عثمان السعدي الشارعي الشافعي سمع الكثير واعتنى به والده فأسمعه من نفسه وغيره وكان ينشد

لأبي العتاهية: مجزوء الكامل إصبر لدهر نال مذ - - ك فهكذا مضت الدهور فرخ وحزن مرة لا الحزن دام ولا السرور وفيها توفي الأديب الفاضل نور الدين أبو الحسن علي بن يوسف بن أبي المكارم عبد الله الأنصاري المصرفي المعروف بالعطار كان شاعرًا فاضلًا مات قبل الأربعين سنة من عمره.

ومن شعره ملغزًا في كوز الزير: الهزج وذي أذن بلا سمع له قلب بلا لب مدى الأيام في خفض وفي رفع وفي نصب إذا استولى على الحب فقل ما شئت في الصب وفيها كانت مقتلة السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف وكنيته أبو المظفر ابن السلطان الملك العزيز محمد ابن السلطان الملك الظاهر غازي ابن السلطان صلاح الدين يوسف ابن الأمير نجم الدين أيوب الأيوبي الحلبي وكان صاحب حلب ثم صاحب الشام.

ولد بقلعة حلب في شهر رمضان سنة سبع وعشرين وستمائة وسلطنوه عند موت أبيه سنة أربع وثلاثين وقام بتدبير مملكته الأمير شمس الدين لؤلؤ الأميني وعز الدين ابن المحلي والوزير الأكرم جمال الدين القفطي والطواشي جمال الدولة إقبال الخاتوني والأمر كله راجع لأم أبيه الصاحبة صفية خاتون بنت الملك العادل أبي بكر بن أيوب.

وماتت سنة أربعين واستقل الملك الناصر هذا وأمر ونهى.

ووقع للملك الناصر هذا أمور ووقائع ومحن وهو الذي كان الملك الظاهر بيبرس لما خرج من مصر في نوبة البحرية توجه إليه وصار في خدمته.

وقد مر ذكره في مواطن كثيرة من هذا الكتاب من قدومه نحو القاهرة في جفلة التتار ورجوعه من قطية إلى البلاد الشامية وغير ذلك ثم آل أمره إلى أن توجه إلى ملك التتار هولاكو وتوجه معه أخوه الملك الظاهر سيف الدين غازي وكان رشح للملك والملك الصالح نور الدين إسماعيل صاحب حمص المقدم ذكره في هذه السنة ولما وصل الملك الناصر إلى هولاكو أحسن إليه وأكرمه إلى أن بلغه كسرة عين جالوت غضب عليه وأمر بقتله فاعتذر إليه فأمسك عن قتله لكن أعرض عنه فلما بلغه كسرة بيدرا على حمص قتله وقتل أخاه سيف الدين غازيا المذكور وقتل الملك الصالح نور الدين صاحب حمص وجميع من كان معه سوى ولده الملك العزيز.

وكان الملك الناصر مليح الشكل إلا أنه كان أحول وكان عنده فصاحة ومعرفة بالأدب وكان كريمًا عاقلًا فاضلًا جليلًا متجملًا في مماليكه وملبسه ومركبه وكان فصيحًا شاعرًا لطيفًا.

قال ابن العديم: أنشدني لنفسه.

- يعني الملك الناصر هذا -.

الكامل البدر يجنح للغروب ومهجتي لفراق مشبهه أسى تتقطع والشرب قد خاط النعاس جفونهم والصبح من جلبابه يتطلع قال: وأنشدني لنفسه رحمه الله تعالى: مجزوء الرجز اليوم يوم الأربعا فيه يطيب المرتعى يا صاحبي أما ترى شمل المنى قد جمعا وقد حوى مجلسنا جل السرور أجمعا فقم بنا نشربها ثلاثة وأربعا من كف ساق أهيف شبيه بدر طلعا في خده وثغره ورد ودر صنعا يسطو ويرنو تارة والليث والظبي معا وله لما مرت به التتار على حلب وهي خاوية على عروشها وقد تهدمت والنيران بها تعمل فقال: الطويل يعز علينا أن نرى ربعكم يبلى وكانت به آيات حسنكم تتلى وله يشتاق إلى حلب ومنازلها: الطويل سقى حلب الشهباء في كل لزبة سحابة غيث نوءها ليس يقلع فتلك دياري لا العقيق ولا الغضا وتلك ربوعي لا زرود ولعلع قلت: وقد ذكرنا من محاسنه وفضله نبذة

كبيرة في تاريخنا المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي إذ هو كتاب تراجم يحسن التطويل فيه.

انتهى.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي الجمال عثمان بن مكي ابن السعدي الشارعي الواعظ في شهر ربيع الآخر وله خمس وسبعون سنة.

وأبو الحسن محمد بن الأنجب بن أبي عبد الله الصوفي في رجب وله ثلاث وثمانون سنة.

وحافظ المغرب أبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن يحيى بن سيد الناس اليعمري بتونس في رجب وله واحد وستون عامًا.

وكمال الدين أبو حامد محمد ابن القاضي صدر الدين عبد الملك بن عيسى بن درباس الصدر العدل في شوال وله اثنتان وثمانون سنة.

وصاحب الشام الملك الناصر ويوسف ابن العزيز قتل صبرا وله اثنتان وثلاثون سنة وقتل معه شقيقه الملك الظاهر غازي والملك الصالح إسماعيل ابن الملك المجاهد أسد الدين شيركوه صاحب حمص.

وتوفي بصهيون صاحبها مظفر الدين عثمان بن منكورس في شهر ربيع الأول عن سن عالية تملك بعد أبيه ثلاثا وثلاثين سنة وولي بعد ابنه محمد.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمس أذرع وعشرون إصبعا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وثلاث عشرة إصبعا.